

تحت رعاية فخامة رئيس جمهورية أوزبكستان



إيسيسكو
ICESCO

المؤتمر العلمي الدولي
«الجامع المسند الصحيح للإمام البخاري»
كتاب أمة
تجسيد علمي لحضارة السند والتوثيق»

الأبحاث

07 - 11 يوليو 2026

سمرقند - جمهورية أوزبكستان



تحت رعاية فخامة رئيس جمهورية أوزبكستان



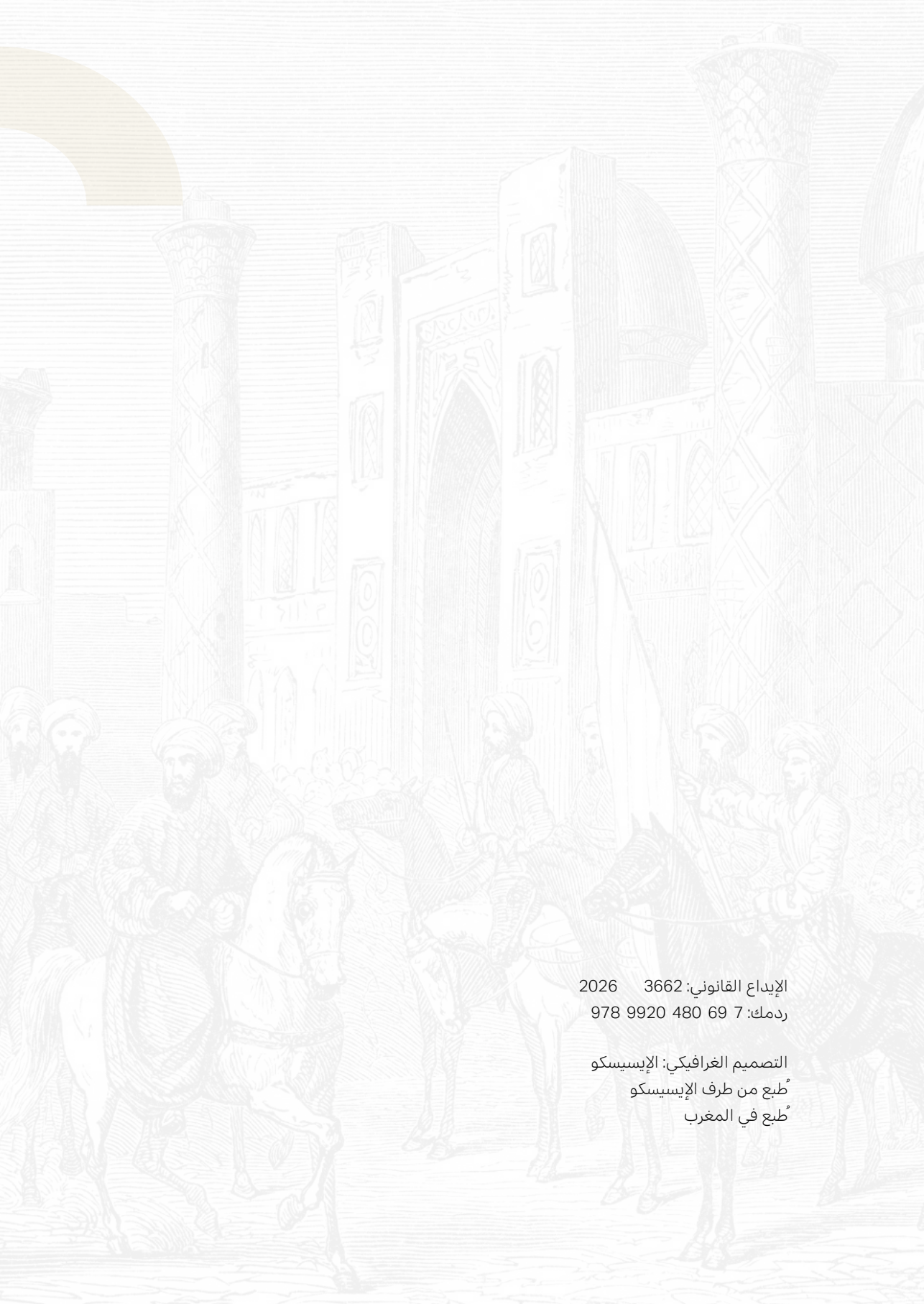
إيسيسكو
ICESCO

المؤتمر العلمي الدولي
«الجامع المسند الصحيح للإمام البخاري
كتاب أمة
تجسيد علمي لحضارة السند والتوثيق»

الأبحاث

07 - 11 يوليو 2026

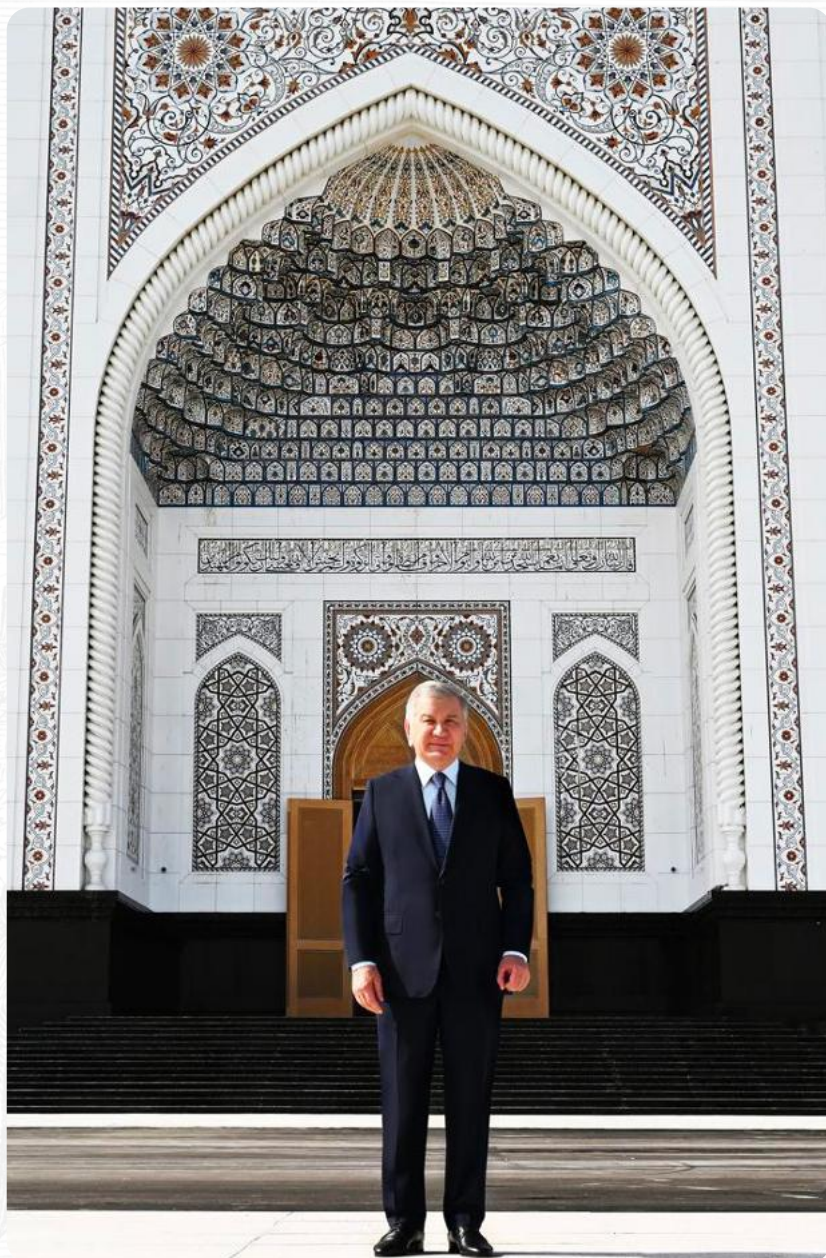
سمرقند - جمهورية أوزبكستان



الإيداع القانوني: 3662 2026
ردمك: 7 69 480 9920 978

التصميم الجرافيكي: الإيسيسكو
طُبع من طرف الإيسيسكو
طُبع في المغرب

تحت رعاية فخامة رئيس جمهورية أوزبكستان





الفهرس

- 8 كلمة الدكتور سالم بن محمد المالك
- 10 تقديم الدكتور عبد الإله بنعرفة
- 14 تقديم اللجنة العلمية للمؤتمر

المحور الأول: البيئة الجغرافية والاجتماعية والأسرية التي نشأ فيها الإمام البخاري

- مصادر التكوين العلمي للإمام البخاري
- أ.د. مفرح بن سليمان القوسي - المملكة العربية السعودية. 20.....
- تجليات تأثير صحيح البخاري في ثقافة المسلمين في كيرالا بالهند
- الباحث سعيد محمد - جمهورية الهند. 40.....
- علم اجتماع الأسانيد من خلال صحيح البخاري: أثر التفاعلات الاجتماعية في توثيق نظام الرواية الحديثة: دراسة في حديث المنزلة
- د. أحمد صنوبر - المملكة الأردنية الهاشمية. 58.....



- صحيح البخاري بمدينة قزوين : رواياته والاعتناء به
أ.د. قاسم علي سعد و أ. عبد الله محمد جربكو - الإمارات العربية المتحدة.82
- الحواضر العلمية في أوزبكستان وأثرها في ازدهار الحياة الفكرية
الباحث مزهودي مسعود - الجمهورية الشعبية الجزائرية.106
- دور علماء أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في ازدهار علم الحديث
الباحث كيمو بن محمد كوند ي. - غينيا كوناكري.126

المحور الثاني: المعايير العلمية والصناعة التوثيقية والتصنيفية عند الإمام البخاري في صحيحه

- خصائص أسانيد الإمام البخاري ومُمَيَّزاته
الأستاذ الدكتور عبد الباري حميدي - جمهورية أفغانستان الإسلامية.154
- تراجم أبواب الجامع الصحيح: البناء المنهجي ومعالج الإبداع العلمي
الدكتور إدريس الخرشافي - المملكة المغربية.174

- نبوغ الإمام البخاري وتبحره في إعلال الأحاديث ومنهجه في ذلك بين التصريح والإشارة والتلميح

الدكتور محمد المتولي علي فاضل - جمهورية مصر العربية. 188

- النقد الحديثي والاستدلالي لأحاديث صحيح البخاري عند الحنفية دراسة استقرائية تحليلية

أ. د. هيثم عبد الحميد خزنة - الجمهورية التركية. 240

- تجلية مظاهر نبوغ الإمام البخاري في معرفة العلل والكشف عنها

د. أبوبكر بن محمد بن عيسى التشادي - جمهورية تشاد. 270

- الرواية عن المبتدعة بين موطأ الإمام مالك وصحيح الإمام البخاري

الباحث حسان العدولي - الجمهورية التونسية. 290

- الجمع بين الرواة في صحيح البخاري

أ. د. بكر بن محمد فضل الله البخاري - المملكة العربية السعودية. 306

المحور الثالث: نفائس النسخ الخطية للجامع الصحيح في الخزائن العالمية

- نسخة مكتبة بلدية الإسكندرية من مخطوط «الجامع الصحيح للإمام البخاري» (دراسة وصفية كوديكولوجية)

د. أحمد عطية - جمهورية مصر العربية. 326

- القيود التوثيقية على مخطوط فريد من صحيح البخاري في مكتبة نور عثمانية منسوخ في القرن السابع

أ. د. محمود مصري - الجمهورية التركية. 348

- أبو الوليد ابن الصَّابُونِي القُرطُبِيّ (ت423هـ) وكتابه في تفسير البخاري

د. رضوان الحصري - المملكة المغربية. 388

- من نفائس النسخ المخطوطة لصحيح البخاري نسخة المسجد الأعظم بتازة من رواية ابن السكن

الباحث نور الدين الحميدي - المملكة المغربية. 406

- نسخة هندية تاريخية للجامع الصحيح مقروءة على الإمام ولي الله الدهلوي

الباحث محمد تقي بن رحيم الدين - جمهورية بنغلاديش الشعبية. 424

- نوادر من مخطوطات الجامع الصحيح للإمام البخاري المحفوظة بالخزائن المغربية، دراسة كوديكولوجية

د. عبد المجيد خيالي - المملكة المغربية. 442

المحور الرابع: جهود علماء الأمصار في خدمة الجامع الصحيح

- تجليات تأثير صحيح البخاري في عدد من المظاهر الحضارية في العالم الإسلامي: مجالس ختم الصحيح برنامج سنتي نموذجًا للباحثين: د. أبرار بنت فهد بن محمد القاسم، ود. أفنان بنت نافع بن أحمد النافع المملكة العربية السعودية. 450
- الأختام الحديثة على صحيح البخاري المجالس والمصنفات الباحث علي بن أحمد العلالي - الجمهورية التونسية. 472
- العناية بصحيح البخاري في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى من خلال تراجم كتاب «فتح الشكور في معرفة أعيان علماء تكرر» دراسة تحليلية الدكتور محمود شريف محمد نور - جمهورية تشاد. 510
- مظاهر العناية بصحيح البخاري في ليبيا: دراسة بليوغرافية تاريخية د. عبد الحميد محمد العزابي - دولة ليبيا. 528
- جهود علماء نيجيريا في العناية بصحيح الإمام البخاري الباحث مطهر يوسف بن ناصر - جمهورية نيجيريا الاتحادية. 550
- مظاهر العناية بصحيح البخاري بمصر دة. بسمة إمام بشير - جمهورية مصر العربية. 568
- جهود المدرسة المغربية الأندلسية في خدمة صحيح البخاري في عصر التأسيس والازدهار ق 4-7 الهجري أ. الدكتور خالد الصمدي - المملكة المغربية. 592
- عناية علماء بنغلاديش بـ «صحيح البخاري» عبر العصور تدريجياً وتأليفاً أ. محفوظ أحمد السلهتي - المملكة المتحدة. 626

المحور الخامس: مشكلات ومآخذ على الجامع الصحيح والأجوبة عنها

- موقف الإمام البخاري التقدي عند إبراده للتراجم المعلّة في مُصنّفاته وأثره في حلّ الإشكالات الواردة في الروايات الحديثة. حديث «الْوَايِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ» نموذجاً. الدكتور فيصل أحمد - الجمهورية التركية. 650
- إشكاليات فهم المتطرفين والمشككين حول أحاديث صحيح البخاري التي تظهر معنى العنف ضد غير المسلمين: دراسة تحليلية نقدية الباحث عارف حسن المنى - جمهورية إندونيسيا. 674
- معالم منهجية لرد الشبهات عن صحيح الإمام البخاري. د. محمد سهلي - المملكة المغربية. 702
- حديث سحر النبي ﷺ ودفع الإشكالات المثارة حوله الباحث: د. عبد الكريم محمد جراد الجمهورية العربية السورية. 724
- استشكال رواية الإمام البخاري عن الزهري خبر التردّي والجواب عنه الدكتورة زينب أبو علي - المملكة المغربية. 746

د. سالم بن محمد المالك المدير العام للإيسيسكو



يطيب لمنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة أن تحظى بالتعاون مع جمهورية أوزبكستان، وتحت الرعاية السامية لفخامة الرئيس «شوكت ميرزياثيف» رئيس جمهورية أوزبكستان، بشرف الاحتفاء بعلم من علماء الأمة: ألا وهو الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله (ت 265هـ)، في مؤتمرها العلمي الدولي (الجامع المسند الصحيح للإمام البخاري: كتاب أمة) وكيف لا يكون كتاب أمة وقد طوّق بأفضاله الأمة والأجيال على مر العصور.

ولد أماننا البخاري على هذه الأرض الطيبة، ارتشف من هوائها ومائها، وارتوى من علمها وعلمائها، ثم ارتحل طائفاً العالم الإسلامي متعلماً ومعلماً وعالمماً، اعتنى بحفظ الحديث وروايته، تلقى عن أكثر من ألف عالم وشيخ، أما تلاميذه ومن سمع منه فعدد لا يكاد يحصى. وقد قيل إن من روى كتابه الصحيح عنه قد بلغ تسعين ألفاً. وكما يحن كل طيب إلى أصله، عاد محمد بن إسماعيل إلى بلاده ودفن بالقرب من مدينة سمرقند.

أما كتاب «الجامع الصحيح» الذي نحتفي هذا اليوم به، ففي كل حرف فيه درس وعبرة، بلغ عدد أبوابه ما يقارب الأربعة آلاف، أما أحاديثه فقد ناهزت سبعة آلاف وخمسمائة بالمكرر، وفي كل مكرر منها فائدة، وفي كل رواية منها فوائد عظيمة وعلم غزير.

ومنظمتكم ... منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة «الإيسيسكو» والتي تشكّل ضمير العالم الإسلامي وحاضنة تراثه العلمي والثقافي، اهتمت مبكراً بالحديث الشريف والسنة النبوية، فأطلقت العديد من المبادرات العلمية والحضارية على مدى تاريخها، توثق عرى الأمة بحضارتها، لتنتقل صانعة لمستقبلها متسلحة بالوعي بهويتها ورسالتها وقيمتها.

وقد انطلقت «الإيسيسكو» بإعدادها لهذا المؤتمر، في وضع ورقة علمية حددت الأهداف والمحاور الكبرى، ثم أعلنت عن استكتاب في موضوع المؤتمر فتقاطرت عليها عشرات بل مئات الطلبات للمشاركة وتوصلت بما يزيد عن مائة وأربعين بحثاً. ثم أنشأت لتحكيم هذه الأبحاث لجنة علمية لتقييم هذه الأبحاث وفرزها واختيار أنفسها علماً ومعرفة، وأكثرها فائدة ومنهجاً، فانتظمت بخمس من المحاور



تبدأ من بخارى حيث ولد أماننا ونشأ وبدأ فيها نبوغه العلمي، إلى كتابه الجامع الصحيح مبنية منهجيته وصناعاته الحديثية والتصنيفية في الجامع الصحيح، هذه المنهجية التي تعتبر الأرقى والأدق في تحمل رواية الحديث ونقله، ثم تنتقل محاور المؤتمر عبر التاريخ للتعريف بنفائس النسخ الخطية لهذا الجامع الصحيح في خزائن الكتب العالمية، ثم تسلط الضوء على جهود علماء الأمصار في خدمة الجامع الصحيح، ومختمة بإثارة قضايا رواية الحديث ونقده، وبيان بعض الشبهات المثارة وردود العلماء عليها مما يدخل في نطاق العلم.

ويأتي هذا الاحتفاء بالبخاري ضمن احتفاء منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» بسمرقند كعاصمة للثقافة في العالم الإسلامي لعام 2025م، بالتعاون مع «مركز الحضارة الإسلامية في طشقند» بجمهورية أوزبكستان، وتكون ثمرة هذا التعاون عقد هذا **المؤتمر العلمي الدولي «الجامع المسند الصحيح للإمام البخاري، كتاب أمة: تجسيد علمي لحضارة السند والتوثيق»**، والذي يتزامن مع افتتاح «معهد الإمام البخاري بسمرقند»، و «مركز الحضارة الإسلامية في طشقند»، وكل ذلك ينساق مع احتفال جمهورية أوزبكستان بعيد الاستقلال الوطني.

وفي ختام هذا التقديم، يسعدني أن أتوجه بالشكر والتقديم إلى فخامة رئيس جمهورية أوزبكستان على رعايته السامية لهذا المؤتمر بما يليق بمقام الحديث الشريف والعلماء الربانيين الذين خدموه وحفظوه، وفي مقدمتهم الإمام البخاري، رحمه الله.

كما أشكر كل من سهر في إنجاح هذا المؤتمر، ولكافة الضيوف من شخصيات وعلماء وأساتذة، وكل من شارك في إنجاح هذه المناسبة العظيمة.

د. عبد الإله بنعرفة نائب المدير العام للإيسيسكو



لقد كان لعلماء بلاد ما وراء النهر إسهامات جليلة في العلوم الإسلامية، وفي مقدمتها علم الحديث، وبزّز من أعلامها الكبار الإمام الحافظ الثقة أمير المؤمنين في الحديث، محمد بن إسماعيل البخاري من خلال كتابه الجامع الصحيح.

ولد البخاري في مدينة بخارى سنة 194 للهجرة (810 م)، ونشأ يتيم الأب في أسرة تعنى بالعلم وتعرف بالدين، فتولت أمه تربيته تربية صالحة. بدأت قصته مع الحديث منذ صغره بعدما حفظ القرآن الكريم. فلما بلغ سن العاشرة حُتِبَ إليه حفظ الحديث الشريف، فحفظ منه الكثير وهو بعد في سن اليافعة والمراهقة. ثم رحل في طلب العلم على عادة ذلك الوقت، وهو في سن السادسة عشرة من عمره، فوصل حاجًا إلى مكة المكرمة ومكث فيها نحو السنتين يأخذ عن أئمة الحديث، ثم ارتحل عنها إلى المدينة المنورة والشام ومصر والعراق وخراسان وغيرها من حواضر العلم في البلاد الإسلامية، فأخذ عن كبار المحدثين، وأشير إليه بالتقدم والنباهة والصدارة، وامتحنه علماء الحديث في بغداد في واقعة شهيرة حينما زارها، فنجح في الامتحان بعدما بهر الناس بحفظه الخارق. وقد لخص الحافظ العراقي هذه الواقعة بقوله في ألفيته:

ومنه قلبٌ سندي لمتين
نحو امتحانهم إمام القنّ
في مائة لمّا أتى بغدادا
فردّها وجوّد الإنسانادًا

ألف البخاري كتبًا عديدة من أشهرها «الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسننه وأيامه»، المعروف اختصارًا بـ «صحيح البخاري». ويعد أصح كتاب بعد القرآن الكريم. ومن مؤلفاته الأخرى: كتاب التاريخ الكبير، والأدب المفرد، والضعفاء الصغير، وخلق أفعال العباد.

وقد أمضى البخاري زهرة حياته في خدمة الحديث الشريف حتى توفي رحمة الله عليه ليلة عيد الفطر عام مائتين وستة وخمسين للهجرة في قرية خرتنغ قريبًا من مدينة سمرقند في جمهورية أوزبكستان حاليًا.

لا يخفى على أي مسلم أهمية الحديث الشريف كمصدر رئيس من مصادر التشريع عند المسلمين. كما لا يخفى عليهم مكانة البخاري، فهو إمام أهل الحديث، الذي عُرف بصدقه وتقواه ودقته في الرواية وعلمه الواسع بمتونها وأسانيدها، وتحريه في قبول الأحاديث وفقاً لشروط وضوابط عالية. وقد أثنى عليه العلماء في كل العصور بما لم يحصل لرجل مثله.

وقد كان لكتابه الجامع الصحيح مسيرة حافلة من العلم في تاريخ الحضارة الإسلامية لم يكتب لمثله ما تم له، فقد تلقى المسلمون هذا الكتاب بالتبجيل والتعظيم، وفَصَّصوه حرفاً وحرفاً، وشَرَّحوه كلمةً كلمةً، لأنهم أدركوا أن كتاب الصحيح قد توفر له من شروط الدقة والتَحَرِّي والصحة وحسن الترجمة والتبويب ما لم يتوفر في غيره، وذلك عناية منهم بحرمة الحديث الشريف وأهميته في حياتهم. وقد كتب لهذا الكتاب من الذبوع والانتشار في كل حواضر العالم الإسلامي قديماً وحديثاً، بل تجلت أهميته في عدة مظاهر ثقافية وحضارية غنية على مر التاريخ.



وإيماننا منا في منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو- بالتعريف بأعلام الحضارة الإسلامية والمحافظة على تراثهم ونقله إلى الأجيال المقبلة، فقد عملنا قبل الإعلان الرسمي للاحتفاء بسمرقند عاصمة للثقافة في العالم الإسلامي للعام 2025 على الإعداد المسبق لمؤتمر يخلد هذه المناسبة العظيمة بما يليق بها، وانتهى نظر الإدارة العامة للإيسيسكو إلى تنظيم مؤتمر دولي كبير عن الإمام البخاري وكتاب الجامع الصحيح، يكون بمثابة درة سنام هذه الاحتفالية، فتم إعداد ورقة علمية جامعة في الموضوع تضمنت الأهداف والمحاور الرئيسة لهذا المؤتمر بعنوان: **«الجامع المسند الصحيح للإمام البخاري، كتاب أمة : تجسيد علمي لحضارة السند والتوثيق»** تم عرضها على فخامة رئيس جمهورية أوزباكستان والجهات المختصة في هذا البلد المسلم، فتمت الموافقة على عقد المؤتمر.

وفور الإعلان عن استكتاب دولي في موضوع المؤتمر، تلقت المنظمة مئات الملخصات والأبحاث من مختلف بقاع المعمور، وقامت المنظمة بتشكيل لجنة علمية مبرزة من أساتذة الحديث وعلومه لتحكيم تلك الأبحاث والمساهمات واختيار أفضلها، وواصلت اللجنة عملها مشكورة بعناية ودقة وتنسيق مستمر مع الإيسيسكو.

وحرصًا من فخامة رئيس جمهورية أوزباكستان، السيد شوكت ميرضيائيف على مقترح الإيسيسكو، فقد وافق على رعاية هذا المؤتمر الكبير، وأعطى توجيهاته للجهات المختصة في أوزباكستان على مزامنة انعقاده مع افتتاح مجمع الإمام البخاري في ضواحي مدينة سمرقند، وافتتاح معهد الحضارة الإسلامية في مدينة طشقند بعد انتهاء أشغال البناء والتوسعة، بمشاركة دولية رفيعة.

ختامًا، يسعد منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو- التي بذلت جهدًا صادقًا في إيجاد كل الظروف المواتية لعقد هذا المؤتمر على أعلى مستوى، أن تقدم اليوم الأبحاث العلمية المشاركة ونشكر كل الشخصيات والأساتذة والباحثين والعلماء المشاركين، واللجنة العلمية للمؤتمر. فنهئ أنفسنا اليوم على هذا الإنجاز المضمن في هذا السفر المبارك، ونحتسب كل ذلك لوجه الله سبحانه وتعالى.

كما نتوجه بالشكر إلى جمهورية أوزباكستان قيادة وحكومة ومؤسسات على كل التسهيلات وكرم الضيافة وحسن التنظيم مما كان له دور في نجاح هذا المؤتمر الكبير.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.



اللجنة العلمية للمؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام الأفاضلان الأكملان على أشرف المرسلين وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الأكرمين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أصحاب الفخامة والمعالي والسعادة ، السادة العلماء والباحثين، الضيوف الكرام / السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، إنه لمن دواعي الغبطة والامتنان وبواعث الفخر والاعتزاز، أن ينعقد هذا المؤتمر العلمي الدولي الذي تنظمه منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو- برعاية كريمة من جمهورية أوزبكستان، تخليدا لذكرى أحد أبنائها البررة، واحترافاً بأعظم شخصية حديثة عرّفها التاريخ الإسلامي، شخصية أمير المؤمنين في الحديث سيدنا محمد بن إسماعيل البخاري أغدق الله عليه شأبيب الرحمة والرضوان وأسكنه فسيح الجنان، وبأصح كتاب بشري يز فيه أقرانه، وسلم له به معاصروه من جهابذة الحفاظ وصيارفة النقد الحديثي، وتلقي بالقبول ولا يزال من جميع علماء الأمة على اختلاف تخصصاتهم وتنوع مذهبهم، جيلا بعد جيل وقبلا عن قبيل، مشرقا ومغربا، منذ أخرجه صاحبه إلى العلن قبل اثني عشر قرنا وإلى اليوم.

وخلال هذه القرون الممتدة، أضع لكل أنماط التحقيق والتدقيق، وأساليب النظر والاختبار، وطرائق الاعتراض والاستشكال، وظهر في بوتقة أنواع المناهج الخاصة والعامة، فتأكد بذلك براعة هذا الإمام الفذ فيما اعتمده من قواعد، وقوة مأخذه فيما راعاه من ضوابط، وفرادته فيما سلكه من مناهج، مما أبان عن سعة اطلاعه وقوة حافظته، ومعرفته بأحوال الرواة وطبقاتهم، وإلمامه بالصناعة الفقهية، واستحضاره للوجوه، وخفي المعاني، ودراية بأدلة رجائها.

أيها الملاء الكريم: إذا جاز للأمة الإسلامية أن تفخر بشيء، فعرّته تلكم الأبنية الرصينة للمنظومة الحديثية، التي تشكلت من أنساق جعلت منها خصيصة، لم تعلم غيرها من الأمم، إنها منظومة معرفية متكاملة، تأسست من منطلقات عقدية وحاجات تشريعية، تمثلت في الإيمان بالرسالة المحمدية اعتقادا وعملا وسلوكا، ولا سبيل إلى تمثلها على الوجه الأكمل إلا بالخبر الصحيح عن الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم، ولما كانت سلامة الشريعة الإسلامية متوقفة على سلامة المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي وهو السنة المطهرة، باعتبارها وحيا مبينا

لوحى القرآن ومكملاً له ومؤسساً عليه، وكانت سلامة السنة المطهرة متوقفة على سلامة أسانيدھا وإتقان رجالھا، فقد غني أئمة الإسلام بالأسانيد عناية فائقة ليس لها مثيل، وتشددوا فيها تشدداً لم يعهد نظيره عند قبيل، فاعتبروا الإسناد من الدين، والرحلة من أجله سنة مؤكدة عن أسلافهم الميامين، والبحث عن رواته جرئاً وتعديلاً أمراً واجباً لا يفرط فيه حاذق أمين.

فمن ثم تنافس المسلمون في إبداع أرقى ما وصل إليه العقل البشري من وسائل التوثق وطرائق التحري لصيانة هذا الإرث النبوي من أن يضيع منه شيء، أو يختلط به سواه، أو يشك في نسبته إليه، وتضافرت الجهود الجماعية في ابتكار ما يضمن سلامة تناقله عبر الأجيال، وغدت قوانين وأدبيات هذه الصناعة أسلوباً عاماً ومهيماً متبعاً لنقل المعرفة في كل التخصصات العلمية.

كان من آثار حرص المحدثين على لزوم الإسناد وعدم الاعتداد بأي نقل عار عنه مهما يكن قائله، أن صاروا قدوة تقتفى ومثالا يحتذى، إذ تأثر بهم غيرهم من أهل العلم والمعرفة، فانتقلت الأسانيد إلى المجالات الأخرى، وأضحت عناية العلماء المسلمين بالإسناد شاملة لكل الفنون، فالتفسير ينقل بالإسناد، والتاريخ يروى بالإسناد، والطرفة تحكى بالإسناد، وقصص البخلاء والأذكياء والمجانين والطفيليين كلها يلتزم فيها الإسناد.

لقد غدا بإمكان العالم كله أن يميز المعرفة الإسلامية عن غيرها بالنظر إلى منهج النقل في مصادرها، ذلكم المنهج الذي أصبحت صبغته هي الإسناد، إن الإسناد في المعرفة الإسلامية من الدين، ولذلك كانت له حرمة الدين.

لم يكن الجامع الصحيح لأستاذ الأستاذين في الحديث أبي عبد الله البخاري مجرد كتاب يجمع أخبار النبوة وآثار الصحابة، بل هو مشروع أمة، انطلقت فكرته من مرابع الدرس، وبحضور جمع من كبار النقاد؛ فقد اقترح إمام أهل الصنعة في زمانه الحافظ إسحاق بن راهويه على نجباء تلاميذه أن يوضع كتاب جامع للأحاديث الصحيحة بعدما كانت ممزوجة بغيرها في دواوين السنة وأوعية الآثار، مودعة في صدور الحفاظ، تتداولها ألسنتهم وتملى في مجالس النقد ومرابع التحديث.

ولما كانت همة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري عالية، فقد التقط الإشارة بعزيمة وثابة، ولم يفوت هذا المقترح العظيم الذي شكل منعطفا حاسما في تاريخ التصنيف الحديثي، إذ سيكون لأول مرة على طراز مختلف، فاستفاد من إبداع الإمام

مالك في ابتكار التويب المركب المنظم الهادف إلى بناء وحدات الفقه، ومسائل الشريعة، وأضاف إلى ذلك فكرة الموسوعية سواء من جهة الوسيلة أو المضمون، فأفاد من مرويّات جميع المدارس الحديثية التي شد الرجال إليها، وانتقى من أسانيد روايتها ما كان على شرطه وارتضاه لكتابه، وضمنه أسس الإسلام ومكونات الشريعة، ليكون الكتاب مرجعا في آثار النبوة مما له تعلق بكل المعارف التي كانت تمثل محاور بحث في مجالس العلم، فجاء عنوانه بهذا الشمول «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه».

ولهذه الخصوصية ولمكان هذا الإمام ومكانة منصب النبوة في قلبه، وإدراكا منه أن هذه الموسوعة لن تظل شأنًا شخصيًا، بل ستصير ميراث أمة، فإن أبا عبد الله بالغ في التحرير، والاحتياط، واجتهد في الانتقاء والنقد والتحصيل، ثم عرض عمله على أهل الفن للتقويم والاختبار قبل العرض العام والنشر، فلقي من الاستحسان والقبول والتنويه ما هو مقرر معلوم.

فلم يأخذ الكتاب مكانه إلا بعدما تحققت سلامته، وقامت الحسبة عليه من كل جهة، فتنادى بعد ذلك الجهابذة لتلقيه وحمله وروايته، وإسماعه وختمه، والتعريف برجاله ورواته، والبحث في تراجم أبوابه، وشرح غريبه وحل مشكلاته، والتفنن في استنساخه والمبالغة في ضبطه، واستخراج فقهه ووجوه الهدايات منه، إلى يوم الناس هذا، ولعل ذلك ما كشفت عنه الأوراق البحثية المعتمدة في هذه المناسبة العلمية، شكر الله سعي أصحابها، وجزاهم عن الحديث وأهله أحسن الجزاء وأوفاه.

أيها المלא الكريم : إننا في اللجنة العلمية إذ نشكر كل الباحثين المشاركين بأوراق محكمة في هذا المؤتمر، لطيب لنا أن نعلن أن الإقبال على هذا الاستحقاق كان قويا، إذ تلقينا عشرات البحوث التي انتحت مناحي متعددة، وسلكت مسالك شتى في الكشف عن جوانب الفرادة ومآخذ التميز ومكامن القوة في صنيع البخاري، وقد سلكنا في الانتقاء والاعتماد مسلكا يتوخى الدقة العلمية والصرامة المنهجية وبراغي مقاصد المؤتمر ومخرجاته، وعليه فقد قسمت اللجنة العمل إلى مراحل، ووضعت معايير لتحقيق الأهداف التي وضعتها منظمة الإيسيسكو للمؤتمر.

أما المعايير فهي:

- أولاً:** جودة الأبحاث وفق الأسس والمقومات المعتمدة أكاديميا
- ثانياً:** الحرص على تكافؤ الفرص لتتسنى المشاركة من مختلف دول العالم الإسلامي.
- ثالثاً:** أن تكون البحوث محققة لأهداف المؤتمر من حيث موضوعاتها، ومن أهمها:

إبراز شخصية الإمام البخاري العلمية والتربوية.
التعريف ببلده أوزباكستان وما جاورها وإشعاعها العلمي.

كشف خصائص ومزايا صحيح الإمام البخاري الظاهرة والخفية.
تجلية مكانته ومميزات العمل النقدي لصاحبه.
عرض أنواع الخدمة التي حظي بها عبر التاريخ نقدا وشرحا ومعارضة
واختصارا وانتصارا.
كشف الشواهد المادية على ذلك.

أما المراحل فهي ثلاثة: استقبال الملخصات وتحكيمها ثم استقبال
البحوث وتقويمها، ثم البت في البرنامج النهائي بعد إدخال التصويبات
المطلوبة لعقد هذا المؤتمر الأغر الذي التأم فيه السادة العلماء
والباحثون وأصحاب المعالي والسعادة على مائدة شخصية جمعت
صحيح السنن، وكتاب التفت حوله القلوب والهمم.

إن الشكر موصول والثناء موفور والدعاء بأصدق لسان مبذول أن يتقبل
الله هذا العمل الجليل من جمهورية أوزباكستان رئيسا وشعبا، ومنظمة
الإيسيسكو بكل مكوناتها على هذه المبادرة الطيبة، وعلى هذا الاحتفاء
الكبير بشخصية عظيمة في تاريخ المسلمين، شخصية أبي عبد الله
محمد بن إسماعيل البخاري، الابن البار لهذا البلد المضيف، الذي خلد
اسمه واسم بلده بعلمه، وبراعته في صناعة النقد الحديث والاستنباط
الفقهي، وبهذا السفر الخالد الجامع الصحيح والموسوعة القيمة.

ونسأله جل في علاه أن يخلد ذكر القائمين على هذا المؤتمر في
الصالحين، نخص منهم فخامة رئيس جمهورية أوزباكستان، ومعالي
المدير العام للإيسيسكو ومساعديه، وكل من أسهم في تنظيمه وإنجازه
من قريب أو بعيد.

كما نجدد إزجاء عبارات الشكر والامتنان لكل المشاركين في هذا المؤتمر
المنيف من السادة العلماء والباحثين والضيوف الكرام كل باسمه وجميل
وسمه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الدكتورة زينب أبوعلي



الدكتور محمد نصيري



الدكتور بوشتي الزفروفي



المحور الأول

البيئة الجغرافية والاجتماعية والأسرية
التي نشأ فيها الإمام البخاري



مصادر التكوين العلمي للإمام البخاري

إعداد

الأستاذ الدكتور / مفرح بن سليمان القوسي
أستاذ الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأما بعد:

فإن التاريخ حفظ جهود وإنجازات رجال من أهل الإسلام، لا يمكن زوال ذكرهم إلا بزوال الإسلام، ولن يزول الإسلام إلى قيام الساعة، ويأتي في مقدمتهم حملة هذا الدين ونقلوه إلى الناس، عبر قرون الإسلام الطوال.

ولقد شعت المجتمعات الإنسانية منذ القدم إلى التطور والازدهار في شتى المجالات والميادين، من خلال ما قدّمه الإنسان من إبداعات لخدمة مجتمعه ونفعه. ولاشك أن للحضارة الإسلامية نصيب كبير من هذه الإبداعات، فقد عاشت المجتمعات الإسلامية فترات طويلة من الرقي والازدهار، بفضل ما قام به العلماء المسلمون من جهود بارزة في جميع مجالات العلوم والفنون.

ويُعَدُّ الإمام البخاري أبرز العلماء المسلمين المبدعين الذين خدموا أمة الإسلام في مجال خدمة السنة النبوية، فله مكانة كبيرة ومنزلة رفيعة جداً عند المسلمين قديماً وحديثاً.

- فما الجهود التي قدّمها هذا الإمام الجليل في خدمة السنة النبوية؟
- وما السمات الإبداعية عنده؟
- وما هي معالم شخصيته.
- وما العوامل التي أسهمت في تكوينه العلمي؟

فهذه التساؤلات ونحوها هو ما سوف أسعى إلى الإجابة عليها من خلال إعداد هذا البحث العلمي الموجز والمحدود بعدد الصفحات المسموح بها، ومدة إنجازه وتسليمه.

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

الإسهام في خدمة السنة النبوية.
إبراز الدور الحضاري للمحدثين في مجال خدمة السنة النبوية.
الانتصار للبخاري إمام المحدثين رحمه الله، من خلال تسليط الضوء على حياته وجهوده العلمية وشخصيته ومصادر تكوينه العلمي.

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.
المقدمة: تشتمل على: بيان أهمية موضوع البحث، وأهدافه، وخطته، ومنهجه.
التمهيد: وفيه لمحة موجزة عن عصر الإمام البخاري.
المبحث الأول: الأسرة .
المبحث الثاني: نبوغ البخاري وذكاؤه الفطري.
المبحث الثالث: الدراسة والتحصيل العلمي.
المبحث الرابع: الأسفار والتنقلات.
الخاتمة: وتشتمل على أبرز النتائج العلمية للبحث، والتوصيات والمقترحات.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث اتباع المنهجين التاليين في إعداده:
المنهج الوصفي، وذلك عند الحديث عن عصر الإمام البخاري.
والمنهج التحليلي، وذلك عند بيان مصادر التكوين العلمي للإمام البخاري.
مع العناية بالرجوع إلى المصادر الأصلية في مجال موضوع البحث، وتزويد البحث بفهرسٍ للمصادر والمراجع دَوَّنَتْ فيه جميع مصادر البحث ومراجعته مع بياناتها، مرتبة ترتيباً هجائياً بحسب مطالع عناوينها.

وأما بالنسبة للنقول والإحالات في الحواشي، فقد سرتُ فيها وفق المنهج التالي:
إذا تَصَرَّفْتُ في النص المنقول أَحَلْتُ بعد الفراغ منه إلى مصدره أو مرجعه في
الحاشية مسبقاً بكلمة (انظر).

وإذا لم أَتَصَرَّفْ فيه مطلقاً، بأن كان نقلاً حرفياً، أوردته في المتن بين علامتي
تنصيص، واكتفيتُ بالإشارة إلى المصدر أو المرجع في الحاشية بدون كلمة
(انظر).

إذا اقتبستُ من المصدر أو المرجع فكرة ما، أو أفدْتُ منه معلومة، أو أَحَلْتُ
إلى مصدرٍ أو مرجعٍ فأكثر تَوَسَّعَ في بحث المسألة التي كنتُ أَتَخَدُّ عنها،
ذكرتُ في الحاشية كلمة (راجع).

إذا كررتُ النقل من المصدر أو المرجع من دون أن يفصل بين النقلين نقلٌ من
مصدر أو مرجع آخر، ذكرتُ في الحاشية عبارة (المرجع السابق).

تمهيد: لمحة موجزة عن عصر الإمام البخاري⁽¹⁾

ولد الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري سنة 194هـ، وتوفي سنة 256هـ، وعاصر عشرة من خلفاء بني العباس، أولهم الأمين بن هارون الرشيد، وآخرهم المعتمد على الله بن المتوكل، وكانت الدولة العباسية مترامية الأطراف، تمتد رقعتها من أقصى خراسان وحدود السند شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن بحر العرب جنوباً إلى بحر قزوين والبحر الأسود وحدود القوقاز شمالاً، وقد امتاز العهد العباسي في عصره الأول بمضاء الحُكم وثباته واستقراره، وما لبث هذا العهد في عصره الثاني أن اعتور الحُكم فيه كثير من الضعف والوهن، بسبب كثرة الحروب والثورات الداخلية، وقيام طوائف عديدة وحركات مناهضة، ناوشت سلطان الدولة في مناطق متفرقة، وعلى فترات متلاحقة، أمثال: حركة الطالبيين، وحركة نَصْر ابن شَبَّث، وحركة الرُّزَّ، وحركة بَابَك الخُرَّمي، حيث أربكت هذه الحركات والثورات الخُلُفاء كثيراً وكلفتهم كثيراً، سالت على إثرها دماءً وأزهقت أرواح. وقابل ذلك قيام دول انفصالية مستقلة استقلالاً تاماً أو جزئياً مع الاعتراف بسلطان الخلافة الديني، أمثال: (الدولة الطاهرية)، التي عاش في ظلها الإمام البخاري، و(الدولة الصَّفَّارية)، و(الدولة الطولونية)، هذا بالإضافة إلى (دولة الأغالبة) في تونس، و(الأدارسة) في مراكش.

وأما الحالة الدينية والمذاهب العقدية، فقد كانت كثير من نواحي ومدن الدولة العباسية تمور بتيارات مختلفة من الأفكار والمعتقدات، لكونها تضم أجناساً مختلفة وأعراقاً متنوعة من عرب وفُرس وروم وترك وهنود وبربر ...، وكل جنس كان يحمل معه من أمته وتاريخه شيئاً كثيراً من موروثاته وعقائده وعاداته وطبائعه، وكثير من هؤلاء لم يستطع التخلص من تلك الموروثات، رغم انصهارهم جميعاً في بوتقة واحدة تحت هيمنة هذه الدولة الإسلامية. حيث انتشرت العديد من النحل والعقائد الباطلة الوافدة من العنصر الفارسي، كالزادشتية والمزدكية والمانوية والديسانية وغيرها. كذلك وُجِدَ مبتدعة خرجوا من جسم الدولة نفسها، نتيجة المغالاة في الفكر والاعوجاج في الفهم والوقوع في أحابيل ذوي الضلال، كالرافضة، والمُرَجَّنة، والمُجَسِّمة والمُعظلة، بالإضافة إلى بروز نجم فرقة المعتزلة، وظهور بدعة القول بخلق القرآن، التي سيطرت على عقول ثلاثة من الخلفاء العباسيين، هم: المأمون، والمعتصم، والواثق، الذين قزبوا إليهم أهل الاعتزال ودعموا مذهبهم الفاسد، وحملوا الناس عليه، ولاسيما فقهاء الأمة ومُحَدِّثي الأمصار الذين امتحنوا بفتنة القول بخلق القرآن⁽²⁾، إلى أن استُخِلَ المتوكل، الذي رفع هذه المحنة، وبَسَطَ السنة ونَصَرَ أهلها.

1- راجع في هذا: كتاب الإمام البخاري أستاذ الأستاذين وإمام المحدثين وحجة المجتهدين - لعبدالستار الشيخ، ص 25 - 36.

2- ولم يسلم الإمام البخاري من هذه الفتنة، بل ظاله شرُّها، واكتوى بنارها، وأتهم زوراً بأنه يقول بخلق القرآن، وهو من ذلك بريء.

وأما الحالة العلمية، فقد شهد القرن الثالث الهجري نهضة علمية جبارة متنوعة شاملة، كانت امتداداً للحركة العلمية في القرنين السابقين، وتوسعت دائرتها، وازدادت فروعها، وتعددت تخصصاتها، وعمّت أطراف الدولة العباسية، ودخلت المدن والقرى، وتشرف بحملها الخلفاء والأمراء والوزراء، ونذرت الأنفس لها جماعات كثيرة من العلماء، أولوها عناية عظيمة.

وانصبّ الاهتمام الأكبر على العلوم النقلية، فبرز جماهير من كبار أئمة الإسلام في التفسير، والقراءات، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والمغازي والسير، والتواريخ والفتوح، وعلوم العربية والشعر والأدب، وتكاملت في هذا العصر المذاهب الفقهية الأربعة، وامتدت دوحة الفقه، ووضعت فيه الكتب والمصنفات، وبرزت في سمائه أسماء ضخمة وفقهاء عظام.

وأما السنة النبوية المشرفة، فيعتبر هذا العصر أزهى عصور السنة وأسعدّها بوجود أكابر علماء الحديث، وأساطين الرواية ونقاد الأخبار، ومصنفي الآثار، ففي هذا العصر تم تصنيف كتب السنة التي عليها - مع القرآن - مدار الإسلام، وفي مقدمتها: الصحيحان، والسنن الأربعة، ومسند الإمام أحمد، وسنن الدارمي، ومصنف عبدالرزاق، ومصنف ابن أبي شيبة، وغيرها كثير من كتب السنن والمسانيد.

وصُنّفَت كتبُ العلل، والجرح والتعديل، وتراجم الثقات والضعفاء والمتروكين، وكتب الطبقات، والأسامي والكنى، والوفيات، ومُتَبَرِّثُ الأحاديث الصحيحة من الضعيفة والموضوعة.

وكذلك صُنّفَت كتب في التفسير، مثل: تفاسير عبدالرزاق الصنعاني، وإسحاق بن راهويه، وعثمان بن أبي شيبة، وأخيه أبي بكر، وابن ماجة، والنسائي، والطبري.

ونشط الاهتمام بالعلوم العقلية، وازدهرت حركة التعريب والترجمة، ولم يقتصر ذلك على الجهود الفردية، بل شجع الخلفاء عليها، وعلى رأسهم المأمون، الذي أنشأ سنة 215هـ (بيت الحكمة)، الذي كان يضم مكتبةً لنسخ الكتب الأجنبية، وداراً لتعريبها ودراستها، ومرصداً فلكياً، وأجرى المأمون الأرزاق على القائمين عليها من بيت المال، وتناولت هذه الكتب مختلف جوانب تراث الأمم من: مسائل الإلهيات، والآداب، والرياضيات، والطب، والفلك، والنظم، والعادات والتقاليد.

وقد أسهمت تلك العلوم العقلية بظهور فرق المعتزلة وأهل الكلام، وألقت بظلالها على الحياة العلمية والعقدية، وأثّرت تأثيراً سلبياً على كثير من المسلمين الذين اکتووا بنارها، وبقوا رذحاً من الزمن حتى تخلصوا من أوصارها.

هذه الماحة مقتضبة جداً عن العصر الذي عاش فيه الإمام البخاري، ولاشك أن الحديث عن هذا العصر يحتاج إلى بسط كبير لا يحتمله مثل هذا البحث الموجز، ولعل ماورد هنا فيه غنية تفي بالمراد والمقصود.

مصادر التكوين العلمي للإمام البخاري

توطئة :

بما أن كل إنسان يتأثر بمن حوله إيجاباً أو سلباً، وبما أن بيئة الإنسان والظروف التي يُمَرُّ بها لها تأثيرٌ كبيرٌ في مسار حياته، فإن كل عالم لابد أن يُمَرَّ في مراحل حياته بعدة عوامل ومُؤثرات تُؤثر في نفسه، وتُسهم في بناء شخصيته وتكوين فكره وعلمه.

والإمام البخاري مَرَّ بعدة عوامل ومُؤثرات أثرت فيه وأسهمت في تكوينه العلمي، وطبعته بالطابع الإسلامي المتميز بالعطاءات والإبداعات العلمية، ولاسيما في جانب السنة النبوية المطهرة، هذا بالإضافة إلى ما كان يملكه منذ خدَاثة سِنِّه من استعدادات فطرية أهَّلته لاكتساب أعلى الصفات العلمية .

وعند تَتَبَّعي لمصادر تكوينه العلمي منذ طفولته وحتى وصوله إلى مرحلة النضج والعطاء العلمي، تَبَيَّنَتْ لي أربعة مصادر رئيسة، هي: الأسرة، والنبوغ والذكاء الفطري، والدراسة والتحصيل العلمي، والأسفار والتنقلات.

وسأعرض كل مصدر من هذه المصادر، مُبَيِّناً مدى تأثير كل منها في تكوينه العلمي رحمه الله، وذلك في المباحث الأربعة التالية.

المبحث الأول: الأسرة

مما لا شك فيه أن الأسرة لها نصيبٌ وافٍ في تكوين شخصية الإنسان، ذلك أنه من المُسلّمات في علم النفس أن الأسرة تُؤثّر تأثيراً كبيراً في اتجاهات أفرادها .

ولقد تأثّر الإمام البخاري بأسرته التي ينتمي إليها، والتي كانت تتكوّن من أب وأم وابنين، هو أصغرهما.

فقد نشأ في بيت علمٍ وورعٍ وفضل، وترعرع في ظل أسرة تقية متدينة، فقد كان والده على درجة عالية من الصلاح والتقوى، ومن العلماء العاملين والنبلاء الورعين، رحل في طلب العلم، وشأفه العلماء، وذاكرهم، وتدارس الحديث معهم، واعتنى بجمع المصنفات الشائعة في زمنه، واهتم بالتاريخ، قال السبكي والذهبي في ترجمة الإمام البخاري: « كان والده أبو الحسن إسماعيل بن إبراهيم من العلماء الورعين »⁽³⁾، وقال الذهبي: « وطلب إسماعيل بن إبراهيم العلم »⁽⁴⁾، وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: « سمعت محمد بن خدّاش، يقول: سمعت أحمد بن حفص يقول: دخلت على أبي الحسن - يعني إسماعيل - والد أبي عبد الله عند موته، فقال: لا أعلم من مالي درهماً من حرام، ولا درهماً من شبهة، قال أحمد: فتصاغت إلي نفسي عند ذلك »⁽⁵⁾. وانتقل الوالد إلى الدار الآخرة، وهو مطمئن على أجسادٍ نبتت من الحلال أنّ الله لن يُضيّعها.

وذكر الذهبي ما يدل على صلاح والد الإمام البخاري، ومعرفته بتعبير الرؤيا، فقال في ترجمة العلامة أبي حفص أحمد بن حفص البخاري الحنفي فقيه المشرق: « قال الشيخ محمد بن أبي رجاء البخاري: سمعت أحمد بن حفص يقول: رأيْتُ النبي صلى الله عليه وسلم في النوم عليه قميصٌ، وامرأةٌ إلى جنبه تبكي، فقال لها: لا تبكي، فإذا مُت فابكي، فلم أجد من يُعبرها لي، حتى قال لي إسماعيلُ والد البخاري: إنّ الشنّة قائمةٌ بعدُ »⁽⁶⁾.

وقد ذكر الإمام البخاري والده في كتابه (التاريخ الكبير)، حيث قال عنه مانصه: «إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو الحسن، رأى حماد بن زيد، صافح ابن المبارك بكلتا يديه، وسمع مالكا»⁽⁷⁾، وترجم له ابن حبان في كتابه (الثقات).

3- طبقات الشافعية الكبرى - لتاج الدين السبكي، ج2/ص213. وتاريخ الإسلام - لشمس الدين الذهبي، ج19/ص166.

4- سير أعلام النبلاء - للذهبي، ج12/ص392.

5- المصدر السابق، ج12/ص447. وطبقات الشافعية - للسبكي، ج2/ص213. وانظر: الهدي الساري - لابن حجر، ص479.

6- سير أعلام النبلاء، ج10/ص157.

7- التاريخ الكبير، ج1/ص323.

فقال: «يروى عن مالك وحماد بن زيد، روى عنه العراقيون»⁽⁸⁾، وزاد الذهبي في تاريخه، فقال: «وَحَدَّثَ عَنْ أَبِي معاوية وجماعته، روى عنه أحمد بن حفص والحسن بن الحسين»⁽⁹⁾.

ومما يدل على عِلْمِ إسماعيل والد الإمام البخاري، وظَلْبُهُ الحديث والآثار واعتناؤه بمصنفاته وجوامعه، ما ذكره أبو بكر الخطيب البغدادي بإسناده إلى أبي سعيد بكر بن منير قال: «سمعت محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي يقول: كنت عند أبي حفص أحمد بن حفص أسمع كتاب الجامع - جامع سفيان - في كتاب والدي، فمر أبو حفص على حرف، ولم يكن عندي ما دُكر فراجعته، فقال كذلك، فراجعته الثانية فقال كذلك، فراجعته الثالثة، فسكت سوية، ثم قال: من هذا؟ قالوا: هذا ابن إسماعيل بن إبراهيم بن بَزْدَرَبَه، فقال أبو حفص: هو كما قال واحفظوا، فإن هذا يوماً يصير رجلاً»⁽¹⁰⁾.

وذكره الحافظ ابن حجر في (تغليق التعليق)، وفيه: «كنت عند أبي حفص أحمد بن حفص أسمع كتاب (الجامع) لسفيان الثوري، من كتاب والدي»⁽¹¹⁾، فقله: «من كتاب والدي»، أو «في كتاب والدي»، يدل على أن إسماعيل كان له اعتناءً كبيراً بتحصيل كُتُب العلم ومذاكرتها، حتى حَصَلَ له مثل هذا الكتاب الجليل، وهو جامع سفيان الثوري إمام أهل الكوفة في زمانه، بل أحد أئمة الإسلام في عصره.

وكانت والدته الإمام البخاري تقيّة صالحة وعابدة متدينة تُسابق زوجها فيما يُرجى فيه رضى الله سبحانه، رُزِقَتْ خطأً وافرأ من الابتهاال إلى الله والدعاء إليه، ومن ذلك أنه لما ذهب بصر ابنها محمد بن إسماعيل في صغره، اجتهدت في البكاء والتضرع والدعاء إلى الله سبحانه ليشفيه ويرد إليه بصره، ودامت على ذلك مدةً، وقد استطابت هذه الوقفة بين يدي الله تبثّه نجواها، وترفع إليه شكواها، وتطرق بآبِه الكريم، ولا بُدَّ لباب الكريم إذا طَرِقَ مِنْ أَنْ يَفْتَحَ، وقامت ذات ليلة فصلتْ، وألحَّت في الدعاء، ثم أدركتها سنة من النوم، فرأت إبراهيم الخليل عليه السلام في المنام يقول لها: يا هذه قد رَدَّ الله على ابنك بصره بكثرة دعائك، فأصبح وقد رَدَّ الله عليه بصره⁽¹²⁾.

وقد كان لأسرة الإمام البخاري أثرٌ واضحٌ في تنشئته النشأة الدينية، وفي تحديد اتجاهه العلمي وعنايته بالعلم الشرعي، ويظهر هذا التأثير فيه في جانبين اثنين:

8- الثقات - للحافظ محمد بن حبان البستي، ج8/ص98.

9- تاريخ الإسلام، ج19/ص166، في ترجمة الإمام البخاري.

10- تاريخ بغداد، ج2/ص11.

11- تغليق التعليق، ج5/ص387.

12- انظر: هدي الساري - لابن حجر، ص478. وسير أعلام النبلاء - للذهبي، ج12/ص393. وتاريخ بغداد - للخطيب البغدادي، ج2/ص11.

أحدهما: الجانب السلوكي:

فقد تَعَهَّدَتْهُ أسرته منذ نعومة أظفاره فَرَّبَتْهُ تربية دينية حسنة، وغرست في نفسه العقيدة الإسلامية الصحيحة، وعَوَّدَتْهُ التمسك بقواعد الدين الحنيف، ونَمَت في حُب الإسلام والتأدب بآداب القرآن، ولاسيما والدته التي كانت تَتَّبِعُ بالحكمة في التربية والتوجيه، فأَعَدَّتْهُ بعطفها وحنانها، وحرصت على توجيهه وجهة سليمة، كما أنه ورث من والده صلاحه وتقواه وورعه الذي اشتهر به. وفي ظل والديه شَبَّ على تعاليم الإسلام، وشَرِبَ من معين الإيمان حتى شَبَّ عن الطوق، فكان لهما أثر كبير في حياته رَسَم على عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ معالم إيمانية عميقة.

والثاني: جانب التوجيه العلمي:

فلقد كان لأسرة الإمام البخاري أثر كبير في توجيهه توجيهاً علمياً، وفي تنشئته نشأة علمية، فقد غَرَس أبواه في نفسه حُب العلم الشرعي وضرورة طلبه وتحصيله، أما والده فعن طريق اتخاذَه قدوةً حسنةً لابنه، حيث كان الوالد - كما تقدم - من العلماء العاملين بالعلم الشرعي والمشتغلين به ومن الراحلين في طلبه .

ولما توفي الوالد تولت الوالدة ابنها محمداً بالعناية والتوجيه، فهي التي وضعت اللبنة الأولى في تأسيس هذا الإمام الفذ الذي يُعَدُّ بحق إمام أهل الحديث في الأمة المسلمة، حيث وجَّهَتْهُ إلى الكُتُب ليدرس مع أقرانه الكتابة والقراءة والقرآن الكريم والحديث الشريف إلى أن كمل له عشر سنين، وعندما شب عن الطوق وبلغ ست عشرة سنة، خرجت هذه الوالدة الفاضلة مع ولديها محمد وأحمد إلى الديار المقدسة، وقطعوا جميعاً مسافة شاسعة، وأدوا مناسك الحج، ثم رجعت الأم مع ولدها أحمد، وتركت ابنها محمد هناك في الديار المقدسة يطلب الحديث على أيدي علمائها⁽¹³⁾.

وقد نقل الإمام القسطلاني كلاماً جامعاً رائعاً لأحد المحدثين عن هذه المرحلة من عمر الإمام البخاري، فقال: « فقد رُبِّي في جُور العلم حتى رُبَّا، وارتَضَعْتُ ثَدْيِي الْفَضْلُ فَكَانَ فِظَامُهُ عَلَى هَذَا اللَّبَّاءِ »⁽¹⁴⁾.

13- انظر: تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي، ج2/ص7.

14- مقدمة القسطلاني لإرشاد الساري، ج1/ص32. واللَّبَّاءُ: هو أَوَّلُ مَا يَنْزِلُ مِنَ اللَّبَنِ مِنَ الْأُمِّ يَغْدُ الْوَلَدَةَ .

المبحث الثاني: نبوغه وذكاؤه الفطري

تميّز الإمام البخاري رحمه الله بمزايا وخصائص عديدة قلّما اجتمعت لعالم واحد من علماء الإسلام، منها: النبوغ المبكّر، والذكاء الفطري، والفتنة والبصيرة النافذة، والنظر الثاقب، وقوة الحافظة، مع سرعة الحفظ والاستحضار، والدأب الشديد في طلب العلوم وتحصيل المعارف، ونحو ذلك من المزايا التي أدهشت أعيان أشياخه وأكابر معاصريه.

وكان قد ظهر نبوغ الإمام البخاري وهو طفلٌ في الكتّاب، وألهمه الله حفظ الحديث، فرزقه منه حظًا وإفرا قبل أن يبلغ العاشرة من عمره، ثم صار يختلف إلى علماء عصره وأئمة بلده، فيأخذ عنهم الحديث والعلم، ويُراجعهم في بعض ما يسمع منهم، وربما ردّ بعضهم إلى الصواب في أدبٍ ورفقٍ وهو ابن إحدى عشرة سنة، وما إن بلغ السادسة عشرة من عمره المبارك حتى حفظ كُتُب عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح، وعرف كل أصحاب الرأي وأصولهم ومذاهبهم، وبدأ تصنيف بعض كتبه وهو ابن ثماني عشرة سنة.

قال محمد بن يوسف الفَرَبْرِيُّ: «حدثنا أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق، قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟ قال: أُلهمْتُ حفظ الحديث وأنا في الكتّاب، قال: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ قال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجتُ من الكتّاب بعد العشر، فجعلت أختلفُ إلى الداخلي⁽¹⁵⁾ وغيره، وقال يوماً فيما كان يقرأ للناس سفيان، عن أبي الزبير، عن إبراهيم، فقلت له: يا أبا فلان، إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتَهَرَنِي، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل ونظر فيه، ثم خرج، فقال لي: كيف هو يا غلام؟، قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم، فأخذ القلم مني، وأحكم كتابه، فقال: صدقت. فقال له بعض أصحابه ابن كم كنت إذ رددت عليه؟، فقال: ابن إحدى عشرة»⁽¹⁶⁾.

وقال أبو بكر الكَلَوَاذَانِيُّ: «ما رأيتُ مثل محمد بن إسماعيل، كان يأخذُ الكتاب من العلماء، فيَطْلُعُ عليه اطلاعةً، فيحفظ عامة أطراف الأحاديث من مرة واحدة»⁽¹⁷⁾.

15- يبدو من سياق الخبر أن (الداخلي) كان من محدّثي بخاري آنذاك، وربما أن هذه الكلمة نسبة إلى المدينة الداخلية بنيسابور.

16- تاريخ بغداد، ج2/ص8. وسير أعلام النبلاء، ج12/ص393. وتعليق التعليق على صحيح البخاري - لابن حجر، ج5/ص386. والهدي الساري، ص478.

17- سير أعلام النبلاء، ج12/ص416. وتعليق التعليق، ج5/ص415. والهدي الساري، ص486.

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: «سمعتُ سُليم بن مجاهد، يقول: كنتُ عند محمد بن سَلام البيكُندي، فقال لي: لو جئتُ قبلُ لرأيتُ صبياً يحفظ سبعين ألف حديث»⁽¹⁸⁾، يقصد الإمام البخاري.

وقال الوراق: سمعت محمد بن قتيبة - قريب أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل - يقول: كنت عند أبي عاصم النبيل، فرأيت عنده غلاماً، فقلت له من أين أنت ؟ قال: من بخارى، قلت: ابن من ؟، فقال: ابن إسماعيل، فقلت له: أنت قرابتي، فعانقته. فقال لي رجلٌ في مجلس أبي عاصم: هذا الغلام يُنَاطِخُ الكِباش «⁽¹⁹⁾، قال الحافظ ابن حجر: «يعني: يقاوم الشيوخ»⁽²⁰⁾، أي: يناظرهم ويذاكرهم ويُضارِعهم في حلبة الحديث رواية ودراية.

وقال الوراق: «سمعت أبا عبد الله البخاري يقول: دخلت على الحُميدي وأنا ابن ثماني عشرة سنة، وبينه وبين آخر اختلاف في حديث، فلما بَصُر بي الحميدي قال: قد جاء من يَفْصِل بيننا، فَعَرَضَا عَلَيَّ، فَقَضَيْتُ لِلْحَمِيدِي، وكان الحق معه»⁽²¹⁾، والحميدي إمامٌ حافظٌ، من جِلة شيوخ البخاري، وأول حديث في الجامع الصحيح رواه البخاري عنه.

وكان رحمه الله يصاحب أقرانه إلى المشايخ لأخذ الحديث، وهم يكتبون وهو لا يكتب، ويأمرونه بالكتابة فلا يكتب، فلما أَلْحُوا عليه، قرأ عليهم ما كتبوه عن ظهر قلب، فزاد على خمسة عشر ألف حديثاً! ثم قال لهم: «أَتَرُونَ أَنِّي أَخْتَلِفُ هَذَا وَأُضَيِّعُ أَيَّامِي؟»⁽²²⁾.

ولقد كان أهلُ المعرفة من البصريين يَعدُّون خلفه في طلب الحديث وهو شابٌ، حتى يغلبوه على نفسه، ويُجْلِسُوهُ في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوفٌ، أكثرهم ممَّن يُكْتَبُ عنه، وكان شاباً لم يخرج شَعْرُ وجهه بعد!⁽²³⁾.

ومن الأدلة الكثيرة على قوة حفظه وتوقُّد ذهنه - إضافة إلى ما تقدّم - ما حدث له حينما قدم بغداد، فقد كان أئمة الحديث فيها يسمعون عن قوّة حفظه، فأرادوا امتحانه، فعمدوا إلى عشرة من حفاظهم، مع كلّ واحدٍ عشرة أحاديث قَلَّبُوا أسانيدَها وخَلَطُوهَا، فأخذوا يلقونها على البخاري حديثاً حديثاً، وهو يقول: لا أعرف هذا الحديث، حتى أنهوا المائة حديث، ثم أعاد عليهم المائة حديث بخطِّهم، ثم

18- تاريخ بغداد، ج2/ص24.

19- تاريخ بغداد، ج2/ص18. وتهذيب الكمال - للحافظ المزي، ج24/ص455-454. وتغليق التعليق، ج5/ص402. والهدي الساري، ص 482.

20- الهدى الساري، ص482.

21- تغليق التعليق، ج5/ص404. والهدي الساري، ص483.

22- تاريخ بغداد، ج2/ص15. وطبقات الحنابلة - للقاضي أبي يعلى الفراء، ج2/ص256.

23- انظر: تهذيب الأسماء واللغات - للحافظ محيي الدين بن شرف النووي، ج1/ص70. وطبقات الحنابلة، ج2/ص256.

أعادها مرة أخرى مصحّحة، فأقرّوا له بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل⁽²⁴⁾. قال الحافظ ابن حجر: «هنا يُخَصَّعُ للبخاري، فما العجب من ردّه الخطأ إلى الصواب، فإنه كان حافظاً، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرّة واحدة»⁽²⁵⁾.

ويُمثِّلُ نبوغ الإمام البخاري وذكاءهُ الفطري ونظره الثاقب وقوة حافظته، ونحو ذلك من مزايا وخصائص كثيرة من أهم مصادر تكوينه العلمي الفريد، ومن المعلوم أن للنبوغ أثرٌ كبيرٌ في تحصيل العلوم والمعارف، فعبقريّة الأئمة المجتهدين - مثلاً - ورثت لنا هذه الثروة العظيمة من أصول الشريعة وأحكامها العائدة إلى حفظ الدين والأنفس والأعراض والأموال، وعبقريّة علماء العقيدة بيّنت لنا أحكام أصول الدين وحفظتها من أن تزلزلها عواصف الشكوك وطروحات الشبهات والشهوات، وعبقريّة علماء العربية خدّمت لغة القرآن الكريم، وجعلت مقاييس اللغة ومحاسن بيانها في متناول الدّراسين، يجرّون عليها في خطبهم وأشعارهم، فيسترعون الأسماع، ويأخذون بالألباب.

وعبقريّة هذا الإمام كان لها أبلغ الأثر فيما وصل إليه من مكانة علمية كبيرة جداً، شهد له بها علماء عصره ومن جاء بعدهم، ولاسيما في مجال علم الحديث النبوي رواية ودراية، وعلوم الرجال والجرح والتعديل والعلل عند أهل السنة والجماعة، فهو إمام علم الحديث بلا منازع، كما أن هذه العبقريّة من أبرز العوامل التي مكنته من إنجاز كتابه (الجامع الصحيح)، «الذي وضع فيه ثمرة رحلاته، وخلص سماعاته، وصفوة مروياته، ومصاصة انتقائه من محفوظاته»⁽²⁶⁾، والذي يُعَدُّ أصح كتاب في الإسلام بعد القرآن الكريم، خدم به السنة النبوية، وتلقّته الأمة قديماً وحديثاً بالقبول والتسليم.

24- راجع: تهذيب الكمال، ج24/ص453. والهدي الساري، ص486.

25- الهدى الساري، ص486.

26- الإمام البخاري أستاذ الأستاذين وإمام المحدثين وحجة المجتهدين - لعبد الستار الشيخ، ص18.

المبحث الثالث: الدراسة والتحصيل

مما لا شك فيه أن العلم يكون بالتَّعَلُّم والأخذ من العلماء، وأن الوعي والتَّفَقُّه في الدين يكون بالدراسة والتحصيل.

والإمام البخاري أمضى جُلَّ عمره في طلب العلم وتحصيله، فقد تَلَقَّى العلم منذ صباه، وتلمذ على أيدي أساتذة أجلاء، وعلماء فضلاء كانوا على شهرة واسعة ودراية جيدة بالعلم:

فقد اختلف في صباه إلى كُتَّاب بلده بخارى، وأخذ في حفظ القرآن الكريم وأمّهات الكتب المعروفة في زمانه، وألهم حفظ الحديث النبوي وهو في الكُتَّاب وهو ابن عشر سنين أو أقل، ثم بدأ يختلف إلى مجالس العلماء وملازمة حلقات الدروس هناك، ولمّا بلغ ست عشرة سنة كان قد حفظ كُتُب عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح، وفي حوالي سنة 210 هـ خرج من بخارى راحلاً إلى الحج بصحبة والدته وأخيه أحمد، حتى إذا انتهت مناسك الحج رجعت أمه مع أخيه إلى بلدها، بينما بقي هو لطلب الحديث والأخذ عن الشيوخ⁽²⁷⁾، فلبث في مكة المكرمة مدّة، ثم رحل إلى المدينة النبوية، وهناك صَنَّف كتابه (التاريخ الكبير) وعمره ثماني عشرة سنة، يقول رحمه الله حاكياً عن نفسه في هذه المرحلة: «فلما طعنْتُ في ثماني عشرة صَنَّفْتُ كتاب قضايا الصحابة والتابعين، ثم صَنَّفْتُ (التاريخ) في المدينة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم»⁽²⁸⁾.

ثم انطلق في الترحال إلى أغلب الحواضر العلمية في وقته ليأخذ عن العلماء فيها، حيثُ أتيح له لقاء المحدثين من الشيوخ الأمناء الثقات الذين بلغوا من الكثرة خدّاً لم يتهيأ إلا لمثله، قال محمد بن أبي حاتم: «سمعتُ البخاري قبل موته بشهر يقول: كتبت عن ألف وثمانين رجلاً، ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص»⁽²⁹⁾.

وبلغ عدد مشايخه الذين خَرَجَ عنهم في الجامع الصحيح ثلاثمائة شيخ إلا قليلاً. وروي عنه رحمه الله أنه قال: «دخلت بَلَخَ، فسألوني أن أملي عليهم لكل من كتبْتُ عنه، فأملتُ ألف حديثٍ عن ألف شيخ»⁽³⁰⁾.

27- انظر: سير أعلام النبلاء - للذهبي، ج 12/ ص 393. وتاريخ بغداد - للخطيب البغدادي، ج 2/ ص 7.

28- هدي الساري - لابن حجر، ص 478. وتاريخ بغداد - للخطيب البغدادي، ج 2/ ص 7.

29- سير أعلام النبلاء، ج 12/ ص 395.

30- المدخل إلى صحيح البخاري - لمحمد أبو الهدي يعقوبي، ص 32.

ومن أبرز شيوخه الذين سمع منهم في مختلف البلدان ما يلي:

في مكة المكرمة: أبو الوليد أحمد بن محمد الأزرق، وعبد الله بن يزيد المقرئ، وأبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي.

وفي المدينة المنورة: إبراهيم بن المنذر الخزامي، ومطرف بن عبد الله بن الشخير، وإبراهيم بن حمزة، وأبو ثابت محمد ابن عبيد الله، وعبد العزيز بن عبد الله الأويسى.

وفي الشام: محمد بن يوسف الفريابي، وآدم بن أبي إياس، وأبو اليمان الحكم بن نافع، وحيوة بن شريح.

وفي بخارى: محمد بن سلام البيكندي، وعبد الله بن محمد المسندي، وهارون بن الأشعث.

وفي مرو: علي بن الحسن بن شقيق، وعبدان عبد الله بن عثمان بن جبلة، ومحمد بن مقاتل.

وفي بلخ: مكي بن إبراهيم، ويحيى بن بشر البلخي، والحسن بن شجاع، وقتيبة بن سعيد.

وفي نيسابور: يحيى بن يحيى التميمي، وبشر بن الحكم، وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن رافع، ومحمد بن يحيى الذهلي، وأقرانهم.

وفي الري: إبراهيم بن موسى الرازي.

وفي بغداد: محمد بن عيسى الطباع، وسريح بن النعمان، وأحمد بن حنبل.

وفي واسط: حسان بن عبد الله بن سهل، وسعيد بن عبد الله بن سليمان.

وفي البصرة: أبو عاصم النبيل، وصفوان بن عيسى الزهري، وعفان بن مسلم الصفار، وسليمان بن حرب، وأبو الوليد الطيالسي، ومحمد بن الفضل عارم.

وفي الكوفة: الفضل بن دكين، وإسماعيل بن أبان، والحسن بن الربيع، وطلق بن غنام، وقبيصة بن عقبة.

وفي مصر: سعيد بن أبي مريم، وأصبع بن الفرج، ويحيى بن عبد الله بن بكير⁽³¹⁾.

وأهمية هؤلاء الشيوخ تكون باعتبارات عدة: فقد تكون الأهمية بسبب مكانة الشيخ العلمية الرفيعة، وقد تكون بسبب إكثار البخاري عنه، وقد تكون بسبب علو سنده، وقد تكون بسبب تأثر الإمام البخاري به كثيراً، وقد يجتمع في الشيخ أكثر من اعتبار واحد.

ومن أهم شيوخه الذين بلغوا رتبة الإمامة في العلم والدين، وأثروا في تكوينه العلمي ومنهجه الحديثي: الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن صالح المصري، ويحيى بن معين، والفضل بن دكين.

ولعل أعظمهم تأثيراً في نفس الإمام البخاري وشخصيته، وأجلّهم مرتبةً عنده هو الإمام الحافظ الحجة في الحديث علي ابن المديني رحمه الله، حيث قال البخاري فيه: "ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني" ⁽³²⁾، ويقول: «ما سمعتُ الحديث من فيّ إنسانٍ أشهى عندي من أن أسمعهُ من فيّ علي» ⁽³³⁾، وروى عنه في الصحيح أكثر من مائتي حديث، وعن فتح ابن محمد النيسابوري قال: «أتيت علي بن المديني فرأيت محمد بن إسماعيل جالساً عن يمينه، وكان إذا حدّث التفت إليه كأنه يهاجبه» ⁽³⁴⁾.

ومما يُظهر تأثير ابن المديني في الإمام البخاري واختصاص البخاري به أن ابن كثير لمّا ذكّر في كتابه (البداية والنهاية) وفيات سنة 234هـ، قال: «وعلي بن عبد الله بن جعفر المديني شيخ البخاري في صناعة الحديث» ⁽³⁵⁾.

وقد اهتم العلماء بذكر شيوخ الإمام البخاري فسماهم بعض العلماء ورّبهم بحسب البلدان والأقطار، كالذهبي في (سير أعلام النبلاء) ⁽³⁶⁾، ورّبهم بعضهم بحسب الطبقة، كالخافظ ابن حجر في (هدي الساري)، حيث صتّفهم في خمس طبقات ⁽³⁷⁾، ورّبهم بعضهم بحسب عدد الروايات، ورّبهم بعضهم على حروف المعجم. قال الإمام النووي: « هذا الباب واسع جدًا لا يمكن استقصاؤه، فأنبه على جماعة من كل إقليم وبلد، ليستدل بذلك على اتساع رحلته، وكثرة روايته، وعظم عنايته» ⁽³⁸⁾.

32- هدي الساري، ص483.

33- المدخل إلى صحيح البخاري - لمحمد أبو الهدى اليعقوبي، ص32.

34- المصدر السابق.

35- المصدر السابق.

36- راجع: سير أعلام النبلاء، ج12/ص394 - 396.

37- راجع: هدي الساري، ص479.

38- تهذيب الأسماء واللغات، ج1/ص71.

المبحث الرابع: الأسفار والتنقلات

الرحلة في طلب العلم والفقه في الدين شعبة من شُعب الجهاد في سبيل الله، لا تقل شأنًا عن قتال العدو لإعلاء كلمة الله، وربما كانت مع صدق النية، وحُسن الطويّة، والعمل بالعلم، والدعوة إلى الخير أجل شأنًا وأرفع مكانًا.

ولقد كابد الإمام البخاري رحمه الله الصعاب، وترك الأهل والبلاد، وجاب مشارق الأرض ومغاربها لطلب العلم، حيث أكثر من الرحلات العلمية للأخذ عن الشيوخ والرواية عن المحدثين، فزار أكثر البلدان والأمصار الإسلامية في ذلك الزمان للسمع من علمائها.

وابتدأ طلبه للعلم في بلده بخارى بعد خروجه من الكتاب، فسمع من شيوخ بلده، ثم توسع ورحل إلى الأقاليم المجاورة ليسمع من شيوخها، فرحل إلى: بلخ، ومرو، والري، وهراة، ونيسابور، وكان عمره رحمه الله أول مرة دخل نيسابور خمس عشرة سنة.

قال الحاكم النيسابوري: «أول ما ورد البخاري نيسابور سنة تسع ومائتين، ووزدها في الأخير سنة خمسين ومائتين، فأقام بها خمس سنين يُحدّث على الدوام»⁽³⁹⁾، ثم ارتحل إلى الحجاز فدخل مكة ثم رحل إلى المدينة النبوية فاستقرّ بها مدة، ثم انطلق في الأمصار حتى شملت رحلاته أغلب الحواضر الإسلامية في وقته، فرحل إلى العراق فدخل بغداد وواسط والكوفة والبصرة، ورحل إلى الشام فدخل دم شق وحمص وقيسارية وعسقلان، كما رحل إلى مصر⁽⁴⁰⁾.

قال الخطيب البغدادي «رحل في طلب العلم إلى سائر مُحدّثي الأمصار، وكتب بخراسان، والجبّال، ومدن العراق كلها، وبالحجاز والشام ومصر»⁽⁴¹⁾.

وقال الإمام البخاري متحدثًا عن رحلاته: «دخلتُ بغداد آخر ثمان مرات، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل، فقال لي في آخر ما ودّعته: يا أبا عبد الله، تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان!»⁽⁴²⁾، وقال: «دخلتُ إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين، وإلى البصرة أربع مرات، وأقمتُ بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلتُ إلى الكوفة وبغداد مع المُحدّثين»⁽⁴³⁾.

39- سير أعلام النبلاء - للذهبي، ج12/ ص404.

40- انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح - لابن الملقن، ج1/ ص67.

41- تاريخ بغداد، ج2/ ص5.

42- سير أعلام النبلاء - للذهبي، ج12/ ص403. والمدخل إلى صحيح البخاري - لمحمد أبو الهدي يعقوبي، ص32.

43- هدي الساري - لابن حجر، ص478. وانظر: سير أعلام النبلاء، ج12/ ص407.

وَتُعَدُّ أسفاره وتنقلاته في أرجاء العالم الإسلامي تلك بِحَدِّ ذاتها مصدراً مهماً من مصادر علومه وتكوينه العلمي، ذلك أنه استفاد منها فوائد عديدة أسهمت في تكوينه العلمي، منها :

أنه أُتيحت له الفرصة للتواصل مع الشخصيات الإسلامية الشامخة من العلماء والمُخَدِّثين ومجالستهم ومحاورتهم، والأخذ عنهم والاستفادة من علومهم ومروياتهم وطرق تَلَقِّيهم.

أنه أُتيحت له الفرصة في هذه الرحلات لجمع الأحاديث وروايتها وإملائها، وعقد مجالس العلم والتعليم والكتابة والتأليف.

أنه استفاد من ناحية اكتساب الخبرة واتساع المدارك والأُفق، حيث انتقل من أُفق بلده بخارى المحدود إلى أُفقٍ عالمي يشمل جميع المسلمين في الوطن الإسلامي الكبير، كما أنه استفاد من ناحية الاطلاع - عن طريق المشاهدة والتجربة - على واقع العالم الإسلامي خارج حدود بلاده، والاتصال بشعوبه، ودراسة تاريخه وأحوال رجاله من جرحٍ وتعديل، ومعرفة رواة الأحاديث وأسانيدها.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وفي ختام هذا البحث أُبينُ - فيما يلي - أبرز نتائج العلمية، وأهم توصياته ومقترحاته.

أولاً: أبرز نتائج البحث العلمية:

- 1- إن الإمام البخاري إمامٌ عظيمٌ، طار اسمه في الآفاق، وانتشر ذِكْرُه في كل نادٍ، وعرفه الحاضر والباد، وعمَّ الثناء عليه في الشرق والغرب.
- 2- إنه رحمه الله مَرَّ بِعِدَّةِ عوامل ومؤثرات أثرت فيه، وأسهمت في تكوينه العلمي، وطبعته بالطابع الإسلامي المتميّز بالعطاءات والإبداعات العلمية.
- 3- إنه نشأ في بيت علمٍ وورعٍ وفضل، وترعرع في ظل أسرة تقيّة متدينة.
- 4- إن والده الشيخ إسماعيل بن إبراهيم كان على درجة عالية من الصلاح والتقوى، ومن العلماء العاملين والنبلاء الورعين، رحل في طلب العلم، وشافه العلماء، وذاكرهم، وتدارس الحديث معهم، واهتم بالتاريخ، واعتنى بجمع المصنفات الشائعة في زمنه.
- 5- إن والدته كانت امرأة تقيّة صالحة وعابدة متدينة تُسابق زوجها فيما يُرجى فيه رضى الله سبحانه.
- 6- إن لأسرته أثرٌ واضحٌ في تنشئته النشأة الدينية، وفي تحديد اتجاهه العلمي وعنايته بالعلم الشرعي، وإن هذا التأثير يظهر في جانبين، أحدهما: الجانب السلوكي، والثاني: جانب التوجيه العلمي.
- 7- إنه تميّز رحمه الله بمزايا وخصائص عديدة قلّما اجتمعت لعالمٍ واحد من علماء الإسلام، منها: النبوغ المبكّر، والذكاء الفطري، والفطنة والبصيرة النافذة، والنظر الثاقب، وقوة الحافظة، مع سرعة الحفظ والاستحضار، والدأب الشديد في طلب العلوم وتحصيل المعارف.
- 8- إن لهذه المزايا أبلغ الأثر فيما وصل إليه من مكانة علمية كبيرة جداً شهد له بها علماء عصره ومن جاء بعدهم، ولاسيما في مجال علم الحديث النبوي رواية ودراية، وعلوم الرجال والجرح والتعديل والعلل عند أهل السنة والجماعة.
- 9- إنه أمضى جُلَّ عمره في طلب العلم وتحصيله، وتلمذ على أيدي أساتذة أجلاء، وغُلَماء فضلاء كُثُر كانوا على شهرة واسعة ودراية جيدة بالعلم، كان لهم أبلغ الأثر في شخصيته وتكوينه العلمي، ولاسيما الإمام علي بن المديني رحمه الله.

10- إنه جاب مشارق الأرض ومغاربها لطلب العلم، والأخذ عن الشيوخ والرواية عن المحدثين، فزار أكثر البلدان والأمصار الإسلامية في زمانه للسماع من علمائها، وإن لهذه الأسفار والرحلات العلمية أثرٌ كبيرٌ في تكوينه العلمي.

ثانياً: أهم التوصيات والمقترحات:

1- الالتزام بالوحي الإلهي - كتاباً وسنةً - إطاراً مرجعياً لثقافة الأمة الإسلامية، ليحقق لها التحصين الكامل ويحول دون اختراقها، ويحفظ لها هويتها الإسلامية وثوابتها المميزة لها.

2- تكثيف الجهود للتصدّي للهجوم الشرس المنظم في وقتنا الحاضر للنيل من السنة النبوية المشرفة بصفة عامة، والإمام البخاري وكتابه (الجامع الصحيح) بصفة خاصة، وذلك من خلال ما يلي:

(أ) عناية المؤسسات التعليمية والمراكز البحثية بالسنة النبوية، والاضطلاع ببيان أهميتها القصوى لكل مسلم، ووجوب الأخذ، بوصفها المصدر الثاني لدين الإسلام بعد القرآن الكريم.

(ب) عنايتها بإبراز الجهود المضنية التي بذلها علماء الأمة في خدمة السنة النبوية درايةً وروايةً.

(ج) عنايتها بمصنفات الإمام البخاري، ولاسيما كتابه الجامع الصحيح، دراسة، وفهماً، وتعليماً للناشئة والشباب من الجنسين.

(د) عنايتها بتنفيذ جميع الشكوك والشبهات المثارة حول الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح، والرد على دعاوي المطروحة ضدهما، بأسلوب علمي سليم ومنهج دقيق، إحفاقاً للحق ودحضاً للباطل، وكشفاً للأهداف الخفية لأصحاب هذه دعاوي ومثيري تلك الشكوك والشبهات.

3- تسخير وسائل الإعلام المختلفة في البلاد الإسلامية لخدمة السنة النبوية والذب عنها وعن رجالها وأئمتها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،

المصادر والمراجع

- الإمام البخاري أستاذ الأستاذين وإمام المحدثين وحجة المجتهدين - لعبدالستار الشيخ، ط الأولى عام 1428هـ - 2007م، دار القلم - دمشق.
- تاريخ الإسلام - لشمس الدين الذهبي، تحقيق: سعد يوسف أبو عزيز وآخرين، ط عام 1427هـ - 2006م، المكتبة التوفيقية - القاهرة.
- تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط الثانية عام 1425هـ - 2004م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- التاريخ الكبير - للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط الأولى عام 1422هـ - 2001م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- تغليق التعليق على صحيح البخاري - للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: سعيد القرني، ط الأولى، عام 1405هـ - 1985م، المكتب الإسلامي - بيروت.
- تهذيب الأسماء واللغات - للحافظ محيي الدين بن شرف النووي، ط دار الكتب العلمية - بيروت.
- تهذيب الكمال - للحافظ المزي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، ط الثانية، عام 1403هـ - 1983م، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح - لابن الملقن، تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.
- الثقات - للحافظ محمد بن حبان البستي، ط الأولى عام 1393هـ - 1973م، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند.
- سير أعلام النبلاء - لشمس الدين الذهبي، ط الحادية عشرة، عام 1417هـ - 1996م، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- شرح القسطلاني لإرشاد الساري - لشهاب الدين القسطلاني، ط السابعة عام 1323هـ، المطبعة الكبرى الأميرية بمصر.
- طبقات الحنابلة - للقاضي أبي يعلى الفراء، تحقيق: الدكتور عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، ط عام 1419هـ - الرياض.
- طبقات الشافعية الكبرى - لتاج الدين السبكي، تحقيق: عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي، ط دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.
- المدخل إلى صحيح البخاري - لمحمد أبو الهدى يعقوبي، ط الأولى عام 1440هـ - 2019م، دار توقيعات، المملكة المتحدة - لندن.
- الهدى الساري - للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، ط رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

تجليات تأثير صحيح البخاري في ثقافة المسلمين في كيرالا بالهند

إعداد

سعيد محمد

باحث الدكتوراه في قسم اللغة العربية،
كلية مدينة العلوم العربية التابعة لجامعة كالکوت



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد

مقدمة

يرصد هذا البحث نفوذ كتاب الجامع المسند الصحيح ومؤلفه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري في تكوين ثقافة إسلامية في كيرالا. إن الثقافة، كما عرفها المفكر الأوربي إدفارد تايلور في كتابه «الثقافات الأولى»: بحوث في تطور الميثولوجيا، والفلسفة، والديانة والفنون والعادات»، مجموعة معقدة تتضمن المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقوانين والعادات وأي القدرات والسلوكيات التي اكتسبها فرد بصفته عضواً في مجتمع. العنصر الذي يُكوّن هوية الإنسان هو العنصر الثقافي للمجتمع الذي ينتمي إليه ويستمد منه نمط حياته، وهذا العنصر الثقافي هو عبارة عن عدة مكونات، منها الفلسفة والدين والمعرفة والفنون والتقاليد والمعتقدات كما يتبين من تعريف تايلور للثقافة. والمسلمون هم الذين يتبعون ديانة الإسلام عملاً واعتقاداً حيث يتسمون بالأفكار والفلسفات والمعتقدات والعادات التي يشجعها الإسلام. والمسلمون على المستوى العالمي يتفوقون في أصول الإسلام الأساسية الكلية، فيكونون كبنان واحد يشد بعضه بعضاً ويصبغون بصبغة واحدة، ويختلفون في الأمور الجزئية أو الفرعية ما سوى الأمور التي فيها موقف واضح للنصوص الدينية القطعية. هكذا يختلف المسلمون باختلاف البيئات التي يعيشون فيها في مختلف أنحاء العالم. فالمسلمون في كيرالا مُتَعَمِّون بثقافة إسلامية عريقة مصبغة بصبغة ثقافة هندية جنوبية. وهذه الثقافة نتيجة حياة المسلمين في كيرالا لعدة قرون الماضية على السنة النبوية الثابتة في كتب الأحاديث الشريفة، والمستلهمة من حياة العلماء الدعاة إلى الإسلام. وكانت

ثقافتها متأثرة بثقافة العرب منذ ظهور الإسلام في جزيرة العرب، ثم تعززت ثقافتهم بتنقلات تجار العرب وعلمائهم ودعاتهم، وكان لثقافة اليمن الإسلامية أثرٌ بالغٌ في تكوين ثقافة المسلمين في كيرلا بسبب هجرة بعض دعاة الإسلام من اليمن إلى أرض الحكمة والإيمان، كما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم «**أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة وألين قلوباً، الإيمان يمان والحكمة يمانية، والفخر والخياء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم**». لا ينكر ما للفقهاء الشافعي الحجازي والمصري من أثر عميق في تصوير الثقافة الإسلامية في كيرلا، حيث تَلَمَّذ كبار علماء كيرلا في المدرسة القنَّانِيَّة المتجذرة في الفقه الشافعي الحجازي، ولم يكن لعلم الحديث ما كان للفقه الإسلامي من الحظ في الشيوع في أوساط أبناء كيرلا لعدة أسباب. ومن أهم تلك الأسباب نفوذُ علم الفقه في ربوع مليبار في قرون ما قبل القرن التاسع وعشرين. ووصل علم الحديث إلى كيرلا وسيطر على أفاقه العلمي بعد تحقق التبادل العلمي والتربوي بين جنوب الهند وشماله حيث ارتحل علماء كيرلا إلى مراكز العلم الديني في خارج كيرلا سيما في شمال الهند، وكانت تلك المراكز الدينية متأثرة بعلم الحديث أكثر من أي فن من فنون العلوم الدينية. تحت ظل هذا التبادل العلمي شرعَ أثرُ الحديث في الظهور على متن ربوع كيرلا، حتى كان نقطة تحولٍ في ساحة العلم الديني في كيرلا، وبدأ فن الحديث الشريف خصوصاً تعلم الصحاح الست وتعليمها أن يزدهر في المدارس الدينية، وكان لصحيح البخاري أثرٌ فريدٌ في هذا التغيير. ومن تجليات هذا التأثير، عقد دورات صحيح البخاري وتدرسه في أكثر المعاهد العلمية الدينية، وتأسيس الكليات والمدارس والمساجد في تذكّار الإمام البخاري، ونشر شروح لصحيح البخاري وترجمته إلى لغة كيرلا المحلية وهي المليالية، وقبوليته لدى أبناء مسلمي كيرلا كمرجع رئيسي في المسائل الدينية عند العامة والخاصة على السواء.

منهج البحث وجمع المواد

استخدم هذا البحث المنهج الوصفي والتحليلي في معالجة هذا الموضوع بحثياً، وتم جمع المواد من الكتب التاريخية والمجلات المحلية ورسائل الدكتوراة المتوفرة في مكتبة كلية مدينة العلوم العربية ومكتبة جامعة كالكوت وغيرها من المكتبات المتواجدة على الشابكة، كما جمعت المواد من المقابلات الشخصية مع العلماء والمهتمين بهذا الموضوع، بالإضافة إلى المقبلات الهاتفية مع عدد من الدكاترة والباحثين. وهذا البحث يشتمل على أربعة مباحث مقسمة إلى نقاط مهمة حسب الاحتياج، بالإضافة إلى ذلك، يضم البحث مقدمة وخاتمة مشتملة على النتائج والتوصيات، ويلحقها المصادر والمراجع والملاحق ذات الصلة.

المبحث الأول: ثقافة المسلمين في كيرلا

كيرلا من الولايات الهندية الواقعة في جنوب الهندي، وهي واحدة تتناغم فيها ثقافات متعددة تتعايش مع السلم والتصالح، حسب الإحصائيات¹ الجديدة، تبلغ نسمتها إلى خمسة وثلاثين مليوناً، مشكلة ٣٪ من السكان الهندي، وسكان كيرلا عبارة عن ثلاث ثقافات عظيمة: الهندوكية، والمسيحية، المسلمة. الهندوكيون يبلغ نسبتهم إلى ٥٤.٧٣٪، والمسيحيون إلى ١٨.٣٨٪، وتبلغ نسبة المسلمين إلى ٢٦.٥٦٪، فحسب هذه الإحصائية، ينزل المسلمون في الرتبة الثانية بعد الهندوكية من حيث العدد. وحالة المسلمين المالية والسياسية والاجتماعية والعلمية تقع فوق المعدل الوطني الهندي وأطيب وأحسن بالنسبة إلى أحوال المسلمين في باقي الولايات الهندية.

إن ثقافة مسلمي كيرلا تولدت ونشأت وتطورت نتيجة وصول الإسلام إلى كيرلا على أيدي تجار العرب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام رضي الله عنهم في عهد الخلافة الراشدة. المراد بثقافة المسلمين في كيرلا هو كل ما يتعلق بالمسلمين في كيرلا من العادات والأفكار والعلوم والمعتقدات وما إليها. لقد صل الإسلام إلى الهند عن أسلوبين: أسلوب السياسة والحكم، وأسلوب الدعوة والعلم. لما عرف شمال الهند الإسلام بواسطة الجيش الإسلامي تحت راية محمد بن القاسم الثقفي في عصر الحكم الأموي، عرف جنوب الهند الإسلام عن طريق التجار العرب وكان جنوب الهند أسبق إلى التعرف عن الإسلام من شمال الهند، وقصة الملك تشيرمان بيرمال غني عن الذكر في هذا المجال. كان لهذا الأسلوب دوره في تشكيل ثقافة المسلمين في الهند، حيث نمت هذه الثقافة على طراز الثقافة العربية تأثر من نمط ثقافة الصحابة الكرام رضي الله عنهم عامة والثقافة اليمينية منهم خاصة حيث قصد عدد غير يسير من شتى القبائل اليمينية لا سيما القبائل المنتمية إلى أهل البيت أرض مليبار تلبية لحاجة الدعوة الإسلامية في شتى أنحاء العالم. ولانتشار الإسلام في الهند على أيدي الصوفييين من أمثال خاجه معين الدين الجستي وتلاميذه شأن عظيم.

وكانت ثقافة المسلمين في كيرلا مصبوعة بصبغة الثقافة الإسلامية الحقيقية لما أخذوها من العرب المسلمين مباشرة. فنجد فيها روحاً إسلامياً وخلقاً دينياً ونشاطاً أدبياً وفكراً عالمياً ونزعة إيمانية وأخوة مسلمة كما يشهد عليها العلماء. وهذه الثقافة نتيجة مباشرة للتعليم الديني المنظم في ولاية كيرلا، حيث يوجد فيها عدة مناهج دراسية تدرس في مختلف المدارس التي تشرف عليها عدة مؤسسات دينية في مقدمتها سمستا جمعية العلماء في عموم كيرلا.

١- <https://worldpopulationreview.com/regions/kerala>ionreview.com/regions/kerala رضي الله عنه

المبحث الثاني: عناصر ثقافة المسلمين في كيرلا

إن ثقافة مسلمي كيرلا تتشكل من عدة عناصر، وتضم هذه العناصر المكونات العامة من حيث إنها حضارة إنسانية والمكونات الخاصة من حيث إنها ثقافة مسلمة. فأما المكونات العامة مثل اللغة فهي أمور مشتركة بين جميع الثقافات من حيث إنها ثقافة، فلا داعي لبسط المناقشة حولها، فأما المكونات الخاصة هي التي تميز ثقافة المسلمين في كيرلا عن غيرها من الثقافات. فأما العناصر الخاصة التي تخلص بها ثقافة مسلمي كيرلا هي خاصية التربية الدينية، وخاصية التفاعل السياسي، وخاصية التعايش السلمي مع الغير، وخاصية الاستقرار المالي للمجتمع المسلم.

العنصر الأول: خاصية التربية الدينية

إن مسلمي كيرلا مثقفون دينياً، حيث يتلمذ أبناء المسلمين في مدارس ابتدائية يدرس فيها العلوم الدينية، ويكتسبون منها مهارة القراءة والكتابة بالعربية في سن مبكر في سن العاشر بالتحديد، وينتهي من دراسة العلوم الدينية في عمره السابع عشر، ويكون الطالب قد انتهى من المستوى الثانوي في المدرسة العلمانية جنباً إلى جنب، إن وقت الدراسة الدينية يكون في الصباح عقب صلاة الصبح ويمتد ثلاث ساعات، ويواصل الدراسة المادية في الساعة العاشرة في أغلب المدارس العلمانية، وهناك معاهد وجامعات إسلامية مختصة بتواصل التعلم الديني وتلك المعاهد تابعة لمؤسسات الدعوة الإسلامية من أمثال سمستا جمعية العلماء لعموم كيرلا. وتشتمل المقررات الدينية في هذه المدارس أنواعاً من العلوم الدينية بما فيها القرآن وأحكام تجويده، والحديث الشريف، والعقائد والنحو والصرف والتاريخ الإسلامي. وهذا النظام التربوي غير موجود في باقي أصحاب الأديان الأخرى في كيرلا. وأن المجتمع الإسلامي غني وثري من ناحية المقومات الثقافية، وقد ساهموا مساهمة ملحوظة في بناء الوطن الهندي وتعزيزه وتنقيفه، ومن إنجازاتهم مدارس وجامعات إسلامية مثل جامعة دار الهدى الإسلامية، وجامعة نورية، وجامعة النور، وجامعة مركز الثقافة السنوية الإسلامية، وتنسيق الكليات الإسلامية، وهذا النظام من تجليات تأثير الواضحة للتراث الإسلامي المليباري المتجذر في مساهمات الدعوة العرب القدماء.

العنصر الثاني: خاصية التفاعل السياسي

إن ثقافة مسلمي كيرلا معززة بفضل قدراتهم السياسية. وهم يتمتعون بحالة محمودة نتيجة حضورهم التفاعلي في مجال السياسة، إن حزب التنمية المتحد UDF قوية في كيرلا، وهذا الحزب يستمد قدرتها من دعم الأمة المسلمة خصوصاً من قبل رابطة المسلمين في الهند المتحد Indian Union Muslim League، قد استطاع المسلمون

من خلال هذه المنصة السياسية أن يحققوا أغراضهم السياسية والاجتماعية حيث تمكنوا من تأسيس عدد كبير من المدارس والمعاهد والمستشفيات ومراكز الأنشطة الاجتماعية والتفاعلات التعاونية، وكانت قوة مسلمي كيرلا سياسيا السبب الرئيسي وراء تمتعهم بحالتهم الحاضرة. مما لا يختلف فيه اثنان أن هذا الوعي الثقافي نتيجة التربية والثقافة الإسلامي الذي قام به علمائهم ومفكروهم.

العنصر الثالث: خاصية التعايش السلمي مع الغير

من أهم ميزات ثقافة مسلمي كيرلا قدرتهم على التعايش السلمي في بيئة متعددة الثقافات المتباينة، وهذه القدرة تكمنوا منها لإدراكهم الصحيح لتعاليم الدين الإسلامي، ومعرفتهم بطريقة الصحابة الكرام وسنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وهذا التعايش من تأثير حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مباشرة على ثقافة المسمين، ومصدر هذا التأثير هو كتب الأحاديث الشريفة المدرسة في المدارس الدينية، وفي مقدمتها صحيح البخاري. يمكن لأي باحث أن يرى تأثير صحيح البخاري من خلال الأحاديث المأخوذة منه في كتب مختلفة منشورة لأجل الدعوة الإسلامية والتدريس في الجوامع والمعاهد.

المبحث الثالث: علاقة علم الحديث مع مسلمي كيرلا.

لما أن كيرلا كان مؤثرا بالطريقة المخدومية العلمية، كان علم الحديث من الفنون التي لم تكن مركزية ومنظمة مثل علم الفقه والتصوف، والنحو والصرف. وبالعكس كان الهند الشمالي أرضا خصبا لعلم الحديث منذ زمن قديم. وكان علم الحديث مشهورا لدى مسلمي كيرلا منذ مجيء الإسلام، إلا أنه لم يدرس كفن مستقل قبل القرن العشرين، وكانت الأحاديث منتشرة في بطون الكتب الفقهية والصوفية وغيرهما من العلوم، عن طريق الاستدلال وعرض الفضائل.

وإن كان علم الحديث معروف لدى علماء مسلمي كيرلا حق المعرفة، فإنه لم تتهيأ الظروف لتدريسه علم على شكل مخصص، إلا أن في بعض مجالس العلماء كان علم الحديث يدرس على وجه عام. يرجع سبب هذا التخلف وعدم العناية المركزة بهذا الفن المهم إلى المناهج الدراسية المطبقة في كيرلا في العصر الذي بدأ فيه التدريس الديني. إن التدريس الديني بدأ بشكل منظم في عهد العلماء المخدوميين. كانت المساجد مدارس أولى للتعليم الديني في كيرلا، وأول مدرسة عرفت من هذا القبيل هو حلقة الدرس في مسجد فالياكولانغارا في مدينة تانور بمقاطعة مالابرم، ولا يثبت حتى الآن ما يدل على وجود حلقة الدرس في المساجد

قبل القرن السادس الهجري²، وقد عرف عن بعض الحلقات بعد حلقة الدرس التي كانت موجودة في تانور، منها حلقة الدرس في مسجد مادايي، وقد حكى ابن بطوطة عن هذه الحلقة التي كان يدرس فيها ما يقارب مائة من الطلاب.³

إنه لم يثبت وقت ابتداء تدريس صحيح البخاري في كيرلا في المدارس بالتحديد، ونظرا لطبيعة المنهج المعبري⁴ أو المنهج المخدومي الذي ركز عنايته على الفقه وأصوله، ويعتقد أن ابتداء تدريس صحيح البخاري في كيرلا منوط بالمنهج الدراسي المطبق في باقيات الصالحات وكان هذا المنهج الدراسي يتبع المنهج الدراسي النظامي في شمال الهند الذي عني بتدريس الحديث الشريف لا سيما صحيح البخاري. وكان الشيخ تشاليلكات كنج أحمد الحاجي مسليار أول من تخرج من كلية باقيات الصالحات المؤسسة سنة ١٨٧٥م في ولاية تاملنادو، وكان من تلاميذ الحاجي، تشروشيري أحمد كوتي مسليار، وقطبي محمد مسليار، وآيانجيربي عبد

2- الدكتور الأستاذ سي كيه عبد الرحمن الفيضي آريررا، بالي درس (حلقة الدرس في المساجد): التاريخ والحاضر، الطبعة الأولى، بوك بلاس، تشماد، كيرلا، ٢٠٢٤م، ص: ٢١

3- نفس المرجع، ص: ٢١

4- كان للمناهج الدراسية الدينية المتبعة في حلقات الدرس في المساجد على منهاج أهل الصفة في المسجد النبوي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم شأن عظيم في بناء أمة مسلمة مثقفة في ولاية كيرلا، وقد قسم الدكتور عبد الرحمن الفيضي تطور نظام حلقات الدرس في المساجد في كيرلا إلى ست مراحل: المرحلة الأولى: عهد قدوم مالك بن دينار رضي الله عنه حتى سنة ٦٧٥ هـ بني في هذه الفترة عدة مساجد في مناطق سواحليه في غرب كيرلا، منها اثنا عشر مسجدا بناها مالك بن دينار ومن معه، وكانوا يقومون بالدعوة الدينية والتعليم الديني في هذه المساجد، ولم يكن لهم منهج الدراسة المنظمة، والمرحلة الثانية: من سنة ٦٧٥ هـ إلى ٨٥٠ هـ بنيت في هذه الفترة حلقات الدرس على شكل منظم، منها حلقة عبد الله الحضرمي في مسجد فالياكولنغارا بتانور، وحلقة درس في مسجد أبيمالا التي تم ذكرها في كتاب الرحلة لابن بطوطة، والمرحلة الثالثة: من ٨٥٠ هـ إلى ٩٠٠ هـ، ويعرف هذه الفترة بالنهضة الدينية الأولى في كيرلا، حيث قام الشيخ بإنشاء منهج دراسي أول على شكل منظم على يد الشيخ فخر الدين الشاليتي رحمه الله في سنة ٨٥٠ هـ واشتهر هذا المنهج الدراسي باسم المنهج الدراسي الفخري، وطبق هذا المنهج في حلقات الدرس في المساجد في ذلك الزمن، وكان يغطي هذا المنهج الدراسي: الفقه وأصوله، وعلم التصوف، ولم يعط الحظ الوافر لعلم الحديث في هذا المنهج الدراسي. والمرحلة الرابعة: من ٩٠٠ هـ حتى ١٣٠٠ هـ ويعرف بالعهد الذهبي حيث حدث تطور هائل في مجال العلم والتعليم، وذلك بعد رجوع الشيخ زين الدين المخدوم الأول من جامعة الأزهر الشريف في القاهرة بعد دراسته في مكة المكرمة والمدينة المنورة. بنى الشيخ مسجدا جامعاً في مدينة فنان، وأسس فيه حلقة درس التي صارت منارة علم ودين قصده الطلاب من مصر، والحجاز، وماليزيا، واندونيسيا، وقام بتطبيق منهج دراسي جديد عرف باسم منهج الفنان الدراسي، ولقي قبولا حسنا وطبق في جميع حلقات الدرس في كيرلا، تم إضافة كتب جديدة إلى هذا المنهج، وكان التركيز على علم الفقه وأصوله وعلم التصوف، وعلم النحو والصرف، لم يكن لعلم الحديث مكانة مهمة، والمرحلة الخامسة: من ١٣٠٠ هـ حتى ١٤٠٠ هـ ويعرف هذه المرحلة بعهد النهضة الثانية، حيث قام الشيخ تشاليلكات كنج أحمد الحاجي بدمج المنهجين المشهورين: المنهج النظامي الذي طوره الشيخ نظام الدين بن قطب الدين بن عبد الحلیم الأنصاري السهالوي اللكنوي، ولا علاقة لهذا المنهج بمنهج نظام الملك المشهور في تاريخ الإسلام كما حققه أكرم الندوي، وكان هذا المنهج مشهور ومدرس خارج ولاية كيرلا، وكان منهجا أوسع من حيث الفنون والعلوم، وكان فيه لعلم الحديث مكانة رئيسية، وكان الشيخ تشاليتي أول من درس في كلية باقيات الصالحات بفيلور في ولاية تاملنادو التي كانت يدرس فيها على حسب المنهج النظامي. من هنا بدأ أن يدرس علم الحديث بالعناية وكان الكتاب المقرر لعلم الحديث مشكاة المصابيح، والمرحلة الأخيرة هي المرحلة المعاصرة: من ١٤٠٠ هـ إلى يومنا هذا، وأكبر ملامح هذه المرحلة هو دمج بين العلوم المادية والعلوم الدينية، وبنيت كليات وجامعات عديدة مثل جامعة دار الهدى الإسلامية.

الرحمن مسليار، وأحمد كويا تشالياتي، وكورياد تينو مسليار، وغيرهم، وكان لهؤلاء العلماء نوع من الدور في نشر تدريس صحيح البخاري في كيرلا. وتبع تشاليلكات الحاجي، جيل من العلماء الذين قصدوا باقيات الصالحات للدراسة العليا، وحتى صار قصد الباقيات عادة وعرفا لدى الطلاب ان يخرجوا في كلية باقيات الصالحات، وكان لشمس العلماء أبي بكر مسليار دور مهم في جعل صحيح البخاري مادة تعليم في حلقات الدرس والمدارس والكليات في كيرلا. وبعد الخمسينيات من القرن العشرين، تم تأسيس الجامعات الإسلامية في كيرلا نسجا على منوال الجامعات الإسلامية خارج كيرلا، وطبق منهج دراسي مدمج بين منهجي المخدم والنظامي، حتى تأسس قسم خاص لعلم الحديث في بعض الجامعات مثل جامعة دار الهدى الإسلامية بتشماد، وتنسيق الكليات الإسلامية.

المبحث الرابع: تجليات تأثير الجامع المسند الصحيح للإمام البخاري في ثقافة مسلمي كيرلا

إن القيمة التي ضمنها الكتاب هي التي تعطيه الروح والحياة، بقوة مضمون الكتاب تزداد قوة الكتاب وضعفه؛ إذا كان الكتاب خالياً من القيم يرمى به في حاوية النفايات على مر الأيام. بعض الكتب تؤثر القراء في أفكارهم وقيمهم وأخلاقهم، حتى تشكل تلك الكتب ثقافة جديدة مبنية على القيم التي ضمنها، ولا تتوقف تلك الكتب عند بناء ثقافة عالية الجودة فحسب، بل تكفل مهمة نقل التراث المحفوظ إلى الجيل المستقبل، كما تنشر وتروج ما ضم بين دفتيها بين الذين وصلت إلى أيديهم تلك الكتب، فتنتشر الثقافة التي تمثلها وتمحو الحدود الوطنية المحمية، وتكون ثقافة عالمية أبدية. هذا ما يصل إليه من يدرس عن تأثير صحيح البخاري في المجتمعات. إن هذا الكتاب قد أثر في ثقافة مسلمي كيرلا بأبعاد متنوعة. هذا الكتاب هو في مقدمة الكتب التي تحفظ قيم الثقافة الإسلامية المبنية على السنة النبوية الشريفة، كما أنه يلهم الإصلاح والتحرك نحو الهداية المنورة في وقت الانحطاط الأخلاقي، ويبقى منارة في درب الحياة.

النقطة الأولى: مظاهر تأثير الصحيح في مجال التعليم والتدريس

من الحقائق المسلم بها إن مجال التعليم والتربية لها ارتباط عميق في بناء ثقافة المجتمع، وتتوقف قوة الحضارة وضعفها على حالة التعليم والتربية، إن سوء الثقافة ناجم من سوء التربية، فالتربية والتعليم أساس الثقافة والحضارة، والإسلام ثقافة دينية وحضارة ربانية أساسها الوحي الإلهي المتمثل في القرآن والحديث الشريف الذي هو خير بيان للقرآن، والتعليمات الإسلامية والفلسفة المحمدية توارثت عبر القرون من جيل إلى جيل عن طريق التعلم والتعليم، ولعلم الحديث كما لعلم القرآن شأن عظيم بهذا الصدد. انطلاقاً من هذه الحقيقة يجدر بنا أن نرصد كيف تأثرت ثقافة المسلمين في كيرلا بعلم الحديث لا سيما كيف تأثرت بصحيح البخاري الذي يعد ثاني المصادر للتعليمات الإسلامية بعد القرآن.

كان صحيح البخاري موضوع تفاعل دراسي في مجال العلم في مدارس كيرلا وجامعاتها. ولهذه الجامعات والمدارس وما يحدث فيها من الدراسات والتفاعلات العلمية أثر لا ينكر في تشكيل الثقافة الإسلامية. قد اشتملت المناهج الدراسية المقررة لمختلف الدورات العربية والإسلامية في جامعات كيرلا على نبذة تعريفية للإمام البخاري وما قام به من الإسهامات في مجال علم الحديث، وكما تركز بعض الدورات على مواضيع معينة مرتبطة بالإمام البخاري وصحيحه.

يقوم علم الحديث في مجال التعليم الديني في ربوع كيرلا في الصف الأول، ولصحيح البخاري مكانة رفيعة من بين باقي كتب الحديث الشريف، ولا يبعد عن الحق قول قائل إن من عكف على العلم الديني سنين، ولم يدرس صحيح البخاري

لا يعد من العلماء المعتمدين. يتمتع صحيح البخاري بهذا القدر من الاحترام والعناية من قبل مسلمي كيرلا. يدرس صحيح البخاري في برنامج المطول في جميع الكليات الإسلامية في كيرلا، بجانب الصحاح الباقية، كما يدرس نبذة قصيرة تمهيدية عن صحيح البخاري في المدارس الدينية وفي حلقات الدرس المشهورة ببالي درس المنعقد في المساجد الجامعة في أنحاء مليبار المختلفة. يكمل الطلاب من هذه المدارس قراءة كتاب صحيح البخاري بعد تخرجهم منها في الجامعات الإسلامية والكليات الإسلامية التي يذهبون إليها للتخرج الرسمي. كما يظهر من البحث والتفتيش، أغلب المناهج الدراسية المطبقة في كيرلا قد شملت عن أبواب من صحيح البخاري على الأقل. ومن أشهر هذه الجامعات الإسلامية، كلية دار الهدى الإسلامية بتشماماد في مقاطعة مالا بريم، وجامعة مركز الثقافة السنية الإسلامية بكارندور في مقاطعة كاليكوت، وجامعة النور في كاليكوت، وجامعة النورية في باتكاد، في مقاطعة مالا بريم، وجامعة المنانية الإسلامية بوركلا في مقاطعة ترفاندربرم

النقطة الثانية: تجليات تأثير الصحيح في مجال كتابة الشرح لصحيح البخاري في كيرلا

فأما في مجال كتابة الشرح، قد حظي الإمام البخاري وصحيحه بمكانة مرموقة في شمال الهند حيث أنتج عدد كثير من الشروح والتعليقات لصحيح البخاري، ولكن لم يكن مثل هذا الحظ موجودا في كيرلا. إنما توجه علماء كيرلا إلى شرح البخاري في القرن العشرين بعد تأثير رحلة علماء كيرلا للدراسات العليا في كلية باقيات الصالحات. وكان الشيخ سماحة العلامة المحدث أبو الحق محمد عبد البارئ الوالكولمي المليباري أول من كتب شرحا لصحيح البخاري⁵، وكان من خريجي باقيات الصالحات، وعنوان هذا الشرح هو «**كتاب صحاح الشيخين**»، وكان أبو الحق محمد عبد الباري من كبار علماء أهل كيرلا، كان مولعا بالعلوم الإسلامية، لا سيما بعلم الحديث، زين منصب رئيس جمعية العلماء لعموم كيرلا لأربعين سنة، إكراما لمساهمته للجمعية وللعلم الديني، لقبه علماء عصره بأبي الحق. وقد لقي هذا الكتاب قبولا حسنا من قبل علماء كيرلا، وازداد أثره لدى عامة الناس بعد إصدار شرح لهذا الكتاب على يد الأستاذ الدكتور بهاد الدين محمد الندوي الذي يعد رائد الثورة العلمية الجامعة بين التراث والعلوم في ربوع كيرلا⁶ وسماه بـ **قطاف ثمار الملخين في شرح صحاح الشيخين** ونشره جامعة دار الهدى الإسلامية، كيرلا، الهند، سنة ٢٠١٦م، يحلل الأستاذ الدكتور عبد السميع الأنيس عنوان هذا الشرح

5- وأول من توجه إلى التأليف حول صحيح البخاري في القرن السابع الهجري فهو محدث وفقه زمانه الحسن بن محمد الضَّغاني اللاهوري (ت 650/1252)، وتبعه المحدثون الآخرون في القرون التي تليه

6- رضي الله عنه 6yurl.com/yc4u رضي الله عنه 6h- رضي الله عنه

القيم للصاحين لغويا، وهو يقول: معنى قطاف ثمار الملخين، أي الثمار المنتزعة بلطف، يقال امتلخت الشيء إذا سللته رويدا، وفي حديث أبي رافع: ناولني الذراع فاملخت الذراع، أي استخرجتها⁷.

ومن أحدث تجليات لتأثير الجامع المسند صحيح البخاري في تشكيل ثقافة المسلمين في كيرلا وتطويرها إصدار كتاب «تذكير القارئ بشرح صحيح البخاري»، الذي ألفه الأستاذ الشيخ أبو بكر أحمد، تم تدشين هذا الشرح لصحيح البخاري في مؤتمر ختم دورة صحيح البخاري السنوية بجامعة مركز الثقافة السنوية الإسلامية بمدينة كالكوت، وذلك كان في التاريخ ١٧ فبراير ٢٠٢٥م⁸، وكان هذا المؤتمر مشهودا من قبل كبار العلماء من شتى أنحاء العالم مثل العلامة الحبيب عمر بن حفيظ، وقدمت النسخة الأولى من هذا الشرح إلى الدكتور بلال الحلاق، الأمين العام لدار الفتوى في كاليفورنيا. وهذا شرح ثاني للجامع المسند صحيح البخاري باللغة العربية على يد عالم عجمي من كيرلا بعد الشرح الأول «قطاف ثمار الملخين» للعلامة أبي الحق محمد عبد البارئ الوالكلمي المليباري رحمه الله. والشيخ أبو بكر أحمد من أبرز العلماء في بلاد الهند، وله فضل كبير في ترويج قراءة صحيح البخاري وجعلها جزء لا يتجزأ من الثقافة الإسلامية في كيرلا، وله خبرة سبعين سنة في القيام بختم قراءة صحيح البخاري، ويكون ذلك احتفالا سنويا، وهذا الشرح في الحقيقة ثمرة محاضراته عن الجامع المسند في غضون سبعين عاما. وكان لمحاضراته دور ملحوظ في تثقيف الأمة المسلمة في ولاية كيرلا حيث يشهد برنامجه جم غفير من العلماء والعامّة من الناس.

النقطة الثالثة: ترجمة صحيح البخاري إلى اللغة المليالية

فأما في مجال الترجمة، فقد كان صحيح البخاري من أهم الكتب الدينية قصدها العلماء أن ينشروها لعمامة الناس الذين لا يفقهون اللغة العربية، فترجموا صحيح البخاري وأبدعوا فيه. ومن هذه المبادرات «ترجمة صحيح البخاري والتعليق عليه»، في اللغة المليالية، وقام بهذه الترجمة الأستاذ صادق الأنوري، وقام بالطباعة والنشر إسلامك بابليشينغ بيورو، كالكوت، الهند، ورقم الكتاب المعياري الدولي الخاص بهذا الكتاب، هو: ٩٧٨٠٠٠٠١٠٤٢٢٩.

ومن ترجمة صحيح البخاري إلى اللغة المليالية «ترجمة صحيح البخاري» التي نبعث من يد الأستاذ شهاب الدين أحمد أزابيدي، ونشرها إسلامك بابليشينغ هاوس (أي بي أتش)، وطبع ست مرات حتى ٢٠١٦م، وهذا ترجمة مفصلة لصحيح البخاري.

7- فاطمة، همسة سماء لتنمية المرأة والطفل، عضو بالاتحاد الأوروبي (حقوق الإنسان)

رضي الله عنهY9ZHW1g?mibexرضي الله عنه14ps://www.facebook.com/share/p/رضي الله عنههه8-
id=oFDknk

وقد قام بترجمة صحيح البخاري السيد كيه علوي المولوي تحت عنوان: swaheehul Bukhari Paribashayum Vyakhyanavum، ونشر الجزء الأول من هذه الترجمة من قبل منكادا كيه محمد، سنة ١٩٦٧ م، والجزء الثاني سنة ١٩٦٨م، والجزء الثالث سنة ١٩٦٩م. كما قام بترجمة الصحيح السيد سي ان أحمد المولوي، والسيد عبد السلام السلمي وطبعت ترجمته سنة ١٩٩٦م في مطبعة أبوبي بوك هاوس. وكذا ترجمة أخرى لصحيح البخاري، في مجلدين، على يد عبد الحق السلمي آمايور، وقام بتوزيعها ونشرها مكتبة أهل السنة بوكس، في كاليكوت. وترجمة أخرى على يد السيد سي بي صلاح الدين الصلاحي، نشرها مكتبة أهل السنة بوكس، في كاليكوت

قد ألف كتاب حول حياة مصنف هذا الكتاب المهم لكي يتعرف الناس عنه كيف كانت حياته المتواضعة المخصصة لطلب العلم ونشر سنة الرسول صلى الله عليه وسلم. إن كتاب «الإمام البخاري» باللغة المليالمية تعد أوسع كتب تعرف على حياة الإمام البخاري، كان هذا الكتاب من فضيلة الشيخ كيه إيه كيه الفيضي كوتابورم الذي كان عالما وفقهيا وكاتبا مشهورا في كيرلا. وقد وردت مقالة مفصلة طويلة عن أهمية صحيح البخاري في مجلة المنار في عددها للشهر فبراير من سنة ١٩٧٢م من قبل الشيخ محمد المولوي^٩

وأثر الجامع المسند الصحيح للإمام البخاري في تجاذب المسلمين في كيرلا إلى ثقافة مسلمة صادقة لا يتوقف في حد ذاته، بل يتجاوز عنه وينتشر إلى باقي الكتب التي وردت من يد الإمام البخاري رحمه الله. ومن هذا الاتجاه، كتابه الأدب المفرد، ترجمه الأستاذ الدكتور بهاء الدين الندوي أحد كبار مفكري كيرلا وعلمائها، وهو الذي شارك في تأسيس جامعة دار الهدى الإسلامية، التي تأثرت بنمط ثقافة العلم الذي قدمه الإمام البخاري: ثقافة علم مبنية على طلبه بالرحلات والتفكير والمصاهرة.

النقطة الرابعة: تجليات تأثير صحيح البخاري في البحوث الجامعية في كيرلا

ويظهر تأثير صحيح البخاري في ثقافة مسلمي كيرلا في نفوذه بين الطلاب، حيث اختار بعضهم هذا الكتاب لدراسة عميقة في المستوى الجامعي للحصول على درجة الدكتوراه، ومنها دراسة أجريت بعنوان: «دراسة تحليلية في الجوانب الدينية واللغوية لأحاديث صحيح البخاري المشتملة على الآيات القرآنية»، من قبل السيد نياف أ.ت تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمود في أن، وذلك كان في سنة ٢٠٢٠م في جامعة كائور في مقاطعة كائور بولاية كيرلا.

٩- مجلة نيربادم، عبد الملك السلفي، ١٥ يونيو ٢٠١٩ الموافق ١٢ شوال ١٤٤٠هـ.

ومنها دراسة ثانية قام بها الدكتور إسماعيل الهدوي، عميد كلية إصلاح العلوم في تانور، وكان عنوان دراسته للحصول على درجة الدكتوراة: «الإمام بدر الدين العيني ومساهماته في الاستدلال النحوي من الحديث النبوي بالتركيز الخاص على عمدة القارئ دراسة نقدية»، وهذه الدراسة تركز على شرح صحيح البخاري وشارحه الإمام بدر الدين العيني. وكانت هذه الدراسة أجريت بعد ٢٠١٥م في جامعة كاليفورنيا.

وكان آخر بحث في موضوع يتعلق بصحيح البخاري على المستوى الجامعي ما قام به باحث الدكتوراه في اللغة العربية في قسم اللغة العربية في كلية فاروق التابعة لجامعة كاليفورنيا، وكان ذلك في سنة ٢٠٢٣م، وعنوان البحث¹⁰ هو: «البلاغة العربية كما تنعكس في أدب الحديث النبوي بإشارة خاصة إلى صحيح البخاري»، قام بهذا البحث كيه تي حسيب تحت إشراف الدكتور كيه جمال الدين.

النقطة الخامسة: تجليات في مجال تسمية المدارس والكليات بالإمام البخاري **كلية البخاري للدعوة الإسلامية، كوندوتي**

بعض الكليات الإسلامية تأسست على تذكار الإمام البخاري، منها مجموعة معاهد البخاري الواقعة في كوندوتي بمقاطعة مالابرم. يندرج تحت هذه المجموعة عدد من المدارس والكليات كلها تحمل اسم البخاري رحمه الله تذكارا له وإكراما له، تأسست هذا المعهد سنة ١٩٨٨م، وهذه المجموعة عبارة عن خمس مؤسسات تربوية، وهي: كلية البخاري للدعوة، وكلية البخاري لتحفيظ القرآن، ومدرسة البخاري الإنجليزية، وكلية بخاري للبنات، ومدرسة بي كاير اكس المقيمة. كما أن عددا من الكليات الأخرى تابعة لهذه المجموعة، ومن الكليات التابعة لها: أكاديمية غريب نواز في كوزينامبارا، ومركز قرة العين للدراسات المتكاملة في مدينة أبارامبا، وحلقة مصباح السنة للتدريس في مدينة كوتشن، ومعهد الإمام الغزالي للعلوم والدراسات الإسلامية في تشافاكاد. وكلية البخاري للدعوة وهي الأشهر والأهم في هذه المجموعة من الكليات، حيث تركز على الدراسات الإسلامية والأنشطة الدعوية، والطلاب المتخرجون منها يكرمون بلقب «البخاري»، ويعدون من الدعاة الإسلامية في كيرلا، لهم شأن عظيم في إحياء تذكار البخاري في المجتمع الإسلامي في كيرلا.

وتعد حلقة الدرس في المساجد أهم العناصر التي تشكل ثقافة المسلمين في كيرلا، والمسلمين هناك يقومون بكل ما هو واجب لتحسين أحوالهم الاجتماعية والثقافية عن طريق نظام المحل المرتكز على المسجد الجامع في القرية أو

10- <https://www.inyurl.com/d376zere> ينرضي الله عنه// ينرضي الله عنه ينرضي الله عنه

المدينة. والقرى التي يسكنها المسلمون مقسمة إلى عدة محال، والمحال معناه مكان حل المشاكل، ويندرج تحت المشاكل جميع القضايا المتعلقة بالأسرة والمجتمع والتربية والتعليم وما إلى ذلك. وكل محل يعمل تحت إشراف لجنة المحل التي تضم أهل الحل والعقد من تلك القرى. ويعمل في كل مسجد عالم ديني تخرج من الجامعات الإسلامية بعد اكتمال ثمانية أعوام أو بعد الانتهاء من فترة التعلم التي تطول إلى ثمانية إلى عشرة أعوام، ولهذا العالم دور مهم في إرشاد المسلمين الذين يسكنون في دائرة المحل. ويستمد المحل قوته من نظام حلقة الدرس الذي بدأ من قديم الزمن، ومن الجدير بالذكر ما رواه أمير الرحالين المسلمين ابن بطوطة حينما زار كيرلا عن حلقة الدرس في مسجد ماداي، وحلقة الدرس نظام قوي ينتج العلماء ويصنع بيئة يسهل فيها الاشتراك والتعاون بين العلماء والأمراء صنفين من الأمة المسلمة. ولكن حلقة الدرس في المساجد في اضمحلال بعد تقوية أسباب الحضارة المادية المحضة، كما أثر فيه بروز الكليات الدينية التي لا تعتمد على المساجد، بل تستقل بمرافقها ومبانيها وحرمتها استقلالاً يقل الترابط بين الطلاب وعامة الناس. ورغم الاضمحلال، يلمع بعض حلقات الدرس في المساجد لمعانا واضحا، منها حلقة الدرس في جامع المسجد كودانغاد في كوندوتي، وحلقة الدرس في جامع آلتورفادي. وبعض تلك الحلقات تم تسميتها باسم الإمام البخاري، منها حلقة الدرس في المساجد (بالي درس) في بوكايور. يظهر من هنا ما للإمام البخاري وأعماله لا سيما الجامع المسند الصحيح من تأثير على ثقافة المسلمين في كيرلا.

المساجد جبين ثقافة المسلمين، تعلقت قلوبهم بها علاقة وطيدة، هناك في كيرلا عدة مساجد سميت باسم الإمام البخاري، تذكارا لمساهماته القيمة في علم الحديث ونشر العلم عن طريق ترويح الحديث الشريف، ومن تلك المساجد، مسجد مشهور في قرية أودوبارا بقرب قرية فايلاتور في مقاطعة مالابرم، ويعرف بـ «إمام بخاري مسجد». ومنها مسجد مركز الإمام البخاري للإصلاح الواقع بقرب من مدينة تاليشيري في مقاطعة كائور، بولاية كيرلا. ومسجد الإمام البخاري بقرية كائود في مقاطعة مالابرم آخر مثال لتأثير الإمام البخاري. ويظهر من هنا مدى الأثر الذي نفذه هذا الإمام العظيم في تشكيل ثقافة مسلمي كيرلا. وهذا التأثير إنما يتسنى له عن طريق كتبه وفي مقدمتها الجامع المسند الصحيح.

النقطة السادسة: تجليات في احتفال بختم دورة صحيح البخاري

يتجلى تأثير صحيح البخاري في ثقافة مسلمي كيرلا من خلال مؤتمر ختم صحيح البخاري في جامعة مركز الثقافة السنوية الإسلامية في مدينة كاليكوت، وهو مؤتمر سنوي يشهده كثير من العلماء وعامة المسلمين تحت إشراف الأستاذ الشيخ أبو بكر أحمد. وقد عرف هذا المؤتمر لصحيح البخاري خارج كيرلا. من هذا الانطلاق،

تم دعوة حكومة ماليزيا للشيخ أبو بكر أحمد للمشاركة في احتفال ختم صحيح البخاري في ٢١ نوفمبر من سنة ٢٠٢٤م، الذي انعقد في مسجد بوترا، في مدينة بوتراجايا.

النقطة السابعة: تجليات تأثير صحيح البخاري في المناقشات العلمية والمحاضرات الدينية في ولاية كيرلا

يحتل صحيح البخاري في الرتبة الأولى في الاستدلال الديني في كيرلا، يظهر هذا الاتجاه في المناقشات العلمية والمحاضرات الدينية، كما يتضح تأثير صحيح البخاري في المناظرات الواقعة بين طوائف دينية في كيرلا ليؤيد مذاهبهم وينفذ مخالفاتهم. والمرجع الديني المتفق عليه والمعتمد عليه بين جميع الطوائف الإسلامية هو صحيح البخاري بعد القرن الشريف. وذلك لمكانة هذا المصنّف لدى الأمة المسلمة من زمن قديم. يستند العلماء إلى الصحيح للاستدلال على السنة النبوية وتعليم ما أحله الشرع وما حرّمه الشرع.

النقطة الثامنة: مكانة صحيح البخاري في المناهج الدراسية في الجامعات الإسلامية في كيرلا

منهج سمستا الدراسي: المنهج الدراسي الذي اقترحه جمعية العلماء لعموم كيرلا (سمستا) لبرنامج الفاضل يشتمل على تدريس الثلث الأول من صحيح البخاري في الصف الثامن، والثلث الثاني في الصف التاسع الذي هو السنة الأولى لدرجة المطول، والثلث الأخير في الصف العاشر وهو السنة الأخير لدرجة المطول.

منهج حلقة الصفة الدراسي: منهج حلقة الصفة الدراسي وهي مجموعة ٣٦ حلقة الدرس في المساجد المنتشرة في مختلف أنحاء مليبار مشتمل على تدريس صحيح البخاري في السنة السابعة من الجزء الأول إلى آخر الجزء العاشر.

جامعة دار الهدى الإسلامية: يعمل قسم الحديث تحت كلية القرآن والسنة، تدرس أبواب معينة من صحيح البخاري في السنة الأخيرة في الماجستير. وطبيعة التدريس تكون مرة قراءة نصية في الفصل الأول، وقراءة تحليلية في الفصل الثاني.

جامعة مركز الثقافة السنية الإسلامية: يدرس في السنتين الأخيرتين في الكلية أو برنامج المطول، في كل سنتين يختتم قراءة صحيح البخاري يكون هناك حفل خاص للختم .

خاتمة البحث

إن أثر صحيح البخاري واضح في ثقافة المسلمين في كيرلا، لم يكن في كيرلا نظام تدريس علم الحديث كفن مستقل حتى القرن العشرين، وذلك يرجع إلى أن كيرلا كانت متأثرة بمناهج الدراسة المخدومية التي كانت متركزة شديد التركيز على علم الفقه والتفسير واللغة، وفي بداية القرن العشرين أثرت مناهج الدراسة النظامية المركزة على علم الحديث كما كانت مركزة على الفقه الحنفي والتفسير، وبعد الأربعينات في القرن الماضي، بدأ تدريس الصحاح الست خصوصا صحيح البخاري في المعاهد الدينية وحلقات الدرس في المساجد، وبعد الخمسينات قبل هذا الاتجاه روجا قويا حتى ظهرت دورات قراءة صحيح البخاري والاحتفال بختمه، وظهرت عملية ترجمته إلى اللغة المليالمية، وأنشئت بعض المعاهد الدينية والمساجد في تذكارات الإمام البخاري.

نتائج البحث

قد سلط هذا البحث ضوء على تأثير الجامع المسند الصحيح للإمام البخاري في تشكيل ثقافة المسلمين في كيرلا. وأهم النتائج ما يلي:

وإن كان صحيح البخاري معروفا لدى مسلمي كيرلا عامة منذ زمن قديم، فإنه لم يكن مطبقا في المناهج الدراسية المتبعة في كيرلا إلا في القرن العشرين الميلادي. وكانت الأحاديث الشريفة الواردة في الصحيح مذكورة في الكتب المصنفة في مختلف الفنون كمرجع الاستدلال.

رحلة العلماء المليباريين إلى كلية باقيات الصالحات كانت نقطة تحول في التعليم الديني حيث تم تطبيق صحيح البخاري في المناهج الدراسية في المعاهد والمدارس الدينية في كيرلا على غرار كلية باقيات الصالحات في ولاية تاملنادر في جنوب الهند.

ازداد تأثير صحيح البخاري في كيرلا بعد الخمسينات من القرن العشرين، حيث بدأ شرح الصحيح وترجمته وتعليقات عليه في الظهور.

وبعد الثمانينات ظهر عدد من المدارس والكليات والمساجد التي تحمل اسم البخاري رحمه الله تذكارا له، وكان هذا النفوذ بسبب تأثير صحيحه بعد تطبيقه في المنهاج الدراسية في الكليات والمدارس الدينية.

وبعد حلول القرن الحادي والعشرين، ازداد تأثير صحيح البخاري، من خلال الاهتمام به لدى علماء كيرلا قراءة وشرحا وترجمة وتحليلا في الجامعات الإسلامية في كيرلا، كما ازداد وعي الشعب المليباري بالتحقيق بصحيح البخاري من خلال جعله موضوع البحث الجامعي على مستوى الدكتوراه في الجامعات الهندية مثل جامعة كالكوت.

التوصيات

يستحسن رصد تأثير صحيح البخاري في ترسيخ الدين الإسلامي والوعي عنه في أذهان المجتمعات غير المسلمة، لأن البيئة التي نشأت فيها الثقافة المسلمة في كيرلا تختلف عما في البلاد الإسلامية والعربية، حيث إن كيرلا واحدة تعدد الثقافات، كل ثقافة تتأثر فيما بينهم بأدنى القدر.

المراجع والمصادر

الجامع الصحيح، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٧٩م

تحفة المجاهدين في أخبار بعض البرتغاليين، الشيخ زين الدين المخدم المعبري، مكتبة الهدى، كالكوت، ٢٠١٥م

تطور علم الحديث في الهند في القرنين العاشر والحادي عشر من الهجرة، دراسة تحليلية مع العناية الخاصة بـ لمعات التنقيح للإمام المحدث عبد الحق الدهلوي، رسالة الدكتوراة، قسم اللغة العربية، مدينة العلوم العربية، جامعة كالكوت، ٢٠١٧م

مقاومة كتاب كيرلا باللغة العربية ضد الاستعمار الغربي، رسالة الدكتوراة، مجيب أيه كيه، قسم اللغة العربية، جامعة ملية إسلامية، نيو دلهي

قطاف ثمار الملخين في شرح صحاح الشيخين، الدكتور بهاء الدين محمد جمال الدين الندوي، الطبعة الأولى، جامعة دار الهدى الإسلامية، ٢٠١٦م

الثقافة الإسلامية في الهند، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٥م

المسلمون في كيرلا، عبد الغفور عبد الله القاسمي، مكتبة أكمل، مالابرم، ٢٠٠٠م

تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، مسعود الندوي، دار العربية، بيروت

تاريخ الأبرار ممن تدرس كتبهم في ديار مليبار، لمحمد بخاري. الفيضي، الطبعة الثانية، الجامعة الحسنية الإسلامية، ٢٠١٠م

رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق الشيخ محمد عبد المنعم العريان، مراجعة الأستاذ مصطفى القصاص، الطبعة الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧م

علم الحديث في بلاد شبه القارة الهندية، مقدمة أوجز المسالك، السيد أبو الحسن الندوي، دار ابن كثير، بيروت

اللغة العربية في كيرلا، الدكتور الشيخ محمد، أيدومارت، كالكوت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م

Imam bukhari, K.A.K Faizy Ko الله عنهرضي الله عنه appuram, Al Arab Book, House

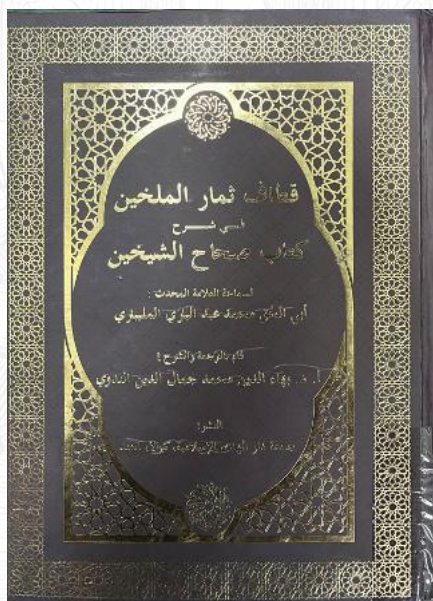
نشأة علم الحديث وتطوره في شبه القارة الهندية، الدكتور محمد أنور بن محمد غني، مجلة تهذيب الأفكار، المجلد ٥، العدد: ٢، يوليو - ديسمبر ٢٠١٨م

عناية المحدثين بالجامع الصحيح للبخاري في شبه القارة الهندية، السيد عالم خان، مؤشر البحوث في آسيا، المجلد: ٣٧، عدد ٥٧، ٢٠٢٢م

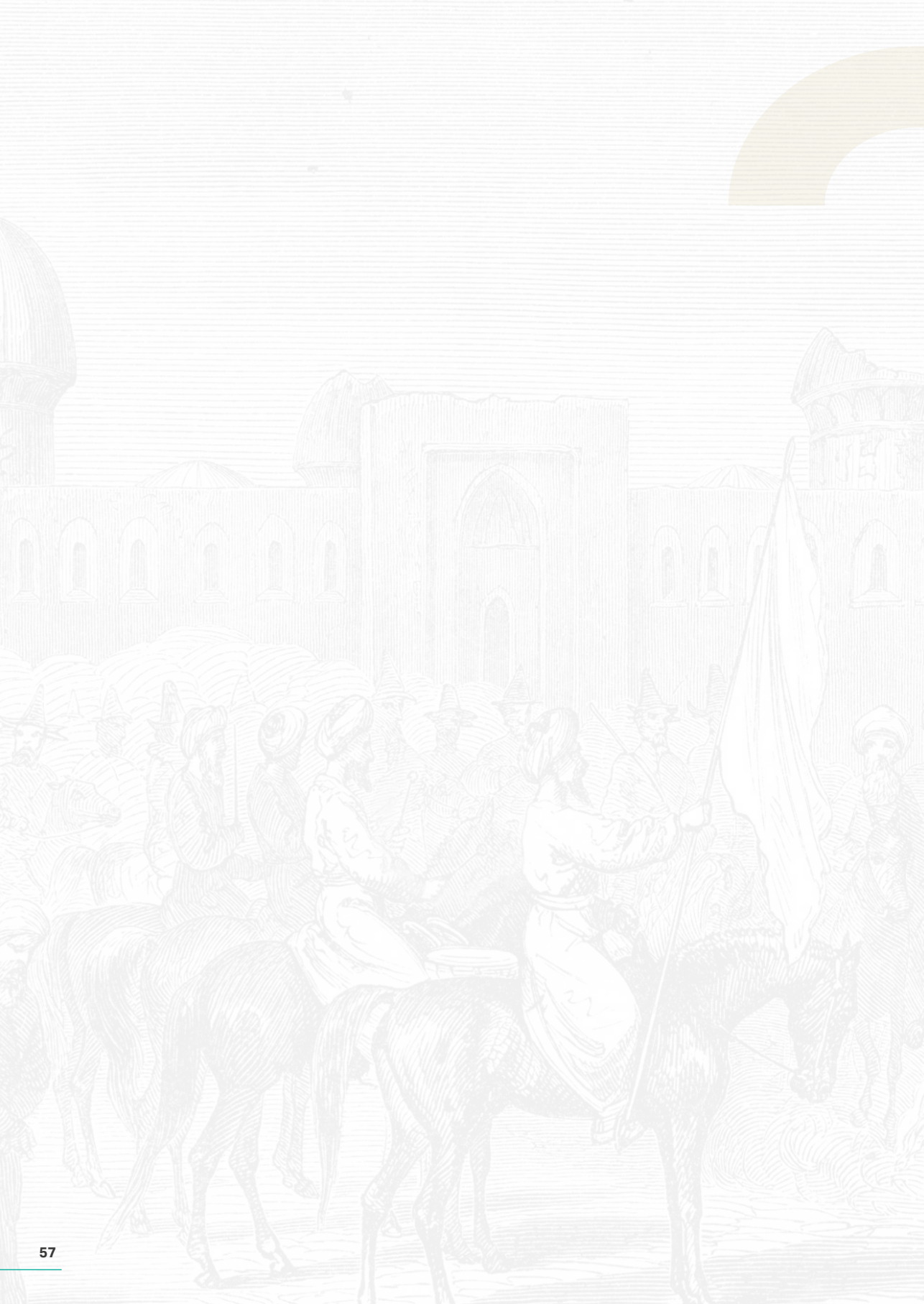
رضي الله عنه رضي الله عنه
 ac.in/han-رضي الله عنهps://shodhganga.inflibne
 dle/10603/110811?mode=full

pradhana-grandhangaal-swahihul-bukhari

الملحق 1



قطاف ثمار الملخين في شرح كتاب
صاح الشيخين لبهاء الدين محمد
جمال الدين الندوي



علم اجتماع الأسانيد من خلال صحيح البخاري: أثر التفاعلات الاجتماعية في توثيق نظام الرواية الحديثة: دراسة في حديث المنزلة

إعداد

د. أحمد صنوبر
جامعة إسطنبول



مقدمة:

تدرس هذه الورقة فكرة استخراج علم يمكن تسميته بـ«علم اجتماع الأسانيد» في القرون الثلاثة الأولى من خلال نظام الأسانيد في صحيح البخاري، ويكون هدف هذا العلم دراسة أصلية نظام الأسانيد وموثوقيته عبر استخراج عدة معطيات علمية واجتماعية وتاريخية وجغرافية من الأسانيد في صحيح البخاري ودراسة الانسجام والتماسك فيها داخليا وخارجيا.

ولكون دراسة نظام الأسانيد كله في الصحيح متعذرا فقد آثرت الورقة دراسة إسناد حديث واحد من جهة الكشف عن التفاعلات العلمية والاجتماعية منذ زمن الصحابة إلى زمان البخاري، واختارت حديثا هاما له وقعه في المجتمع العلمي والاجتماعي والسياسي آنذاك، وهو حديث المنزلة في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

ويكون سؤال الورقة: هل كانت الروايات في صحيح البخاري ثمرة للتفاعلات الاجتماعية والعلمية والسياسية التي كانت قائمة في الواقع؟ أم أن هذه الأسانيد نفسها هي التي شكّلت تصورنا عن تلك العلاقات، بحيث إذا سقط الإسناد، سقطت معه معرفتنا بتلك التفاعلات؟ أو يقال: هل كان الإسناد الحديثي «مرآة» تعكس الواقع الاجتماعي، أم هو «بناء مفهومي» يحكم تصورنا لذلك الواقع؟ أي: هل يمكن أن تنفصل المعرفة بالسياق الاجتماعي عن وجود الأسانيد؟ أم أن سقوط الإسناد يفضي بالضرورة إلى سقوط قدرتنا على تصور تلك التفاعلات الاجتماعية في انتقال الرواية؟

إن ادعاء الورقة أن دراسة أصلية أي نظام رواية يعتمد على الأسانيد أو دراسة موثوقيته يمكن أن تمر بطريق دراسة «علم اجتماع الأسانيد» الذي يبحث في التفاعلات الاجتماعية والعلمية والسياسية والتاريخية والجغرافية خلفه ويكون نظام الرواية قويا بقدر ما يعبر تعبيرا حقيقيا عن تلك التفاعلات، بحيث تبدو منسجمة،

متماسكة، خالية من الفجوات أو مظاهر الغموض التي قد تستدعي شكًا وريبة في انسجام تلك المعطيات عن العلاقات فيما بينها أو فيما بينها وبين نظام الأسانيد المقصود بالدراسة، سواء أكان نظام الأسانيد السني - في الصحيحين والسنن الأربعة على سبيل المثال- أو نظام الأسانيد الشيعي - في الكافي للكليني وكتب ابن بابويه والطوسي على سبيل المثال- أو نظام الأسانيد في كتب الأدب - مثل كتاب الأغاني للأصفهاني وغيره- أو نظام الأسانيد في كتب التصوف مثل كتب السلمي والتواريخ مثل الطبري وغيره.

فإن ظهر انسجام قوي من تلك التفاعلات كان ذلك مؤشرًا على قوة نظام الأسانيد، وإن لم تظهر تفاعلات خلف نظام الأسانيد فإن ذلك مؤشر على إشكالية فيه، لا سيما إن كان العلاقات الاجتماعية والعلمية والسياسية تؤخذ من الأسانيد نفسها، ولا شيء من الخارج يدل على موثوقيتها وأصليتها، وإن لم تظهر التفاعلات تلك وظهرت فجوات واسعة تستدعي تبريرا وشرحًا متكلفًا، فإن ذلك يعني أن موثوقية نظام الأسانيد محل شك وإشكال.

ومن هنا تكمن أهمية هذه الورقة، فإنها إن استطاعت أن تؤسس لفكرة «علم اجتماع الأسانيد» خلف روايات صحيح البخاري واستطاعت إثبات أن تفاعلات كثيرة حقيقة كانت خلف تلك الأسانيد، وأنها متماسكة منسجمة فيما بينها ومع نظام الأسانيد، وأن الأسانيد عموماً كانت ثمرة لتلك التفاعلات، ولم تكن مؤسسة لها، فإن كثيراً من الإشكالات التي تحوم حول صحيح البخاري تسقط لا سيما الفكرة الاستشراقية القائلة بأن كبار المحدثين قد زوروا أسانيد في القرن الأول ليكتمل بها نظام الرواية السني، وأن تلك الأسانيد أسقطت إسقاطاً على القرن الأول ولم توجد فيه أساساً، وهو ما يكمل جانباً هاماً من جوانب دراستي حول نظرية المستشرقين في النمو العكسي للأسانيد¹.

وتظهر أهمية تأسيس فكرة «علم اجتماع الأسانيد» كذلك في القدرة على التمييز بين مراتب أنظمة الرواية المختلفة، والمقارنة بين نظام الأسانيد السني ونظام الأسانيد الشيعي على سبيل المثال، أو بين البخاري والكليني، فإن كثيراً من الباحثين يرون أن مجرد وجود إسناد في أي نظام ووجود شيء من الجرح والتعديل حول الرواة فإن ذلك دال على قوة نظام الأسانيد في تلك المنظومة، لكنه يغفل عن الفكرة السابقة في دراسة ما خلف تلك الروايات وهل كانت الأسانيد ثمرة لما خلفها من تفاعلات أو كانت مؤسسة لها، وهو ما تطرقت له في بحث آخر متعلق ببنية الرواية الشيعية ودرست فيه أحد أهم الرواة في القرن الثالث وهو

1- انظر: نظرية النمو العكسي للأسانيد عند المستشرقين، دراسا حديثة نقدية، تحرير أحمد صنوبر، دار أروقة 2020.

أبو هاشم الجعفري²، وكانت نتيجة الدراسة أن نظام الأسانيد الشيعي من خلال حالة أبي هاشم لا يعبر عن أي تفاعلات خلفه، فكأن الإسناد هو الذي يؤسس لنا معرفة العلاقات، وفي تلك المعرفة تظهر فجوات واسعة تحتاج كثيرًا من التبرير والشرح، يصعب معها الثقة بذلك النظام.

فكأن أهمية الورقة هذه تأتي من مقارنتها النتائج المستخلصة من نظام الرواية السني بما يمكن أن يستخلص من النظام الشيعي، رغم أن هذه المقارنة لن تكون جزءًا من الورقة الحالية، وإنما تُترك لبحوث أخرى درست الزاوية ذاتها، وكذلك قضية فهم إشكالية المقولات الاستشراقية.

وقد جاءت مباحث الورقة في مبحثين:

المبحث الأول: مدخل إلى علم اجتماع الأسانيد: البنى الاجتماعية لنقل الحديث النبوي وتوثيق نظام الرواية، وفيه مطالب:

أولاً: من علم الاجتماع إلى علم اجتماع الأسانيد: المصطلح والمفهوم.

ثانياً: أهمية علم اجتماع الأسانيد في التوثيق العام لنظام الإسناد.

ثالثاً: النظر في الأسانيد الجزئية بعد تثبيت صدقية النظام الكلي.

المبحث الثاني: علم اجتماع الأسانيد في صحيح البخاري من خلال حديث المنزلة، وفيه مطالب:

أولاً: التفاعلات العلمية والاجتماعية والسياسية بين الصحابة وأثرها في ظهور الحديث والإسناد.

ثانياً: التفاعلات العلمية والاجتماعية والسياسية بين التابعين والصحابة وأثرها في ظهور الحديث والإسناد.

ثالثاً: من التثبيت المحلي إلى الانتشار الجغرافي: التفاعلات في رواية التابعين.

رابعاً: من المدينة إلى البصرة: التفاعلات في رواية أتباع التابعين وانتشار الحديث انتشارًا واسعًا.

2- تنشر الدراسة في مجلة مركز الدراسات الإسلامية التابع لجامعة إسطنبول في ربيع عام 2025.

المبحث الأول: مدخل إلى علم اجتماع الأسانيد: البنى الاجتماعية لنقل الحديث النبوي وتوثيق نظام الرواية:

أولاً: من علم الاجتماع إلى علم اجتماع الأسانيد: المصطلح والمفهوم:

يُعدُّ علم الاجتماع من العلوم الإنسانية التي تُعنى بدراسة المجتمع الإنساني في مختلف تجلياته، وتحليل العلاقات التي تنشأ بين الأفراد والجماعات، وفهم البنى التي تنظم هذه العلاقات، وتضبط سلوك الإنسان ضمن إطار اجتماعي وثقافي معيّن، ويتناول علم الاجتماع مظاهر الحياة الاجتماعية كافة، من الدين والعلم إلى الاقتصاد والسياسة، ويرصد كيف تتفاعل القيم، والأعراف، والمؤسسات، في بناء المجتمعات وتطورها. وقد تطوّر هذا العلم منذ القرن التاسع عشر الميلادي، حيث وضع أوغست كونت أسسه الأولى، ثم توسّع مع إميل دوركايم وماكس فيبر وغيرهم، ليصبح علماً مستقلاً، له مجالات متعددة، وفروع متخصصة³.

ويُعدُّ علم الاجتماع الكلاسيكي أساساً مهمّاً في فهم البنى العلمية والاجتماعية لنظام الأسانيد؛ مع التأكيد على أن نظام الأسانيد بوصفه ظاهرة إسلامية خالصة، وإن استُعيرت أدوات التحليل السوسيولوجي لفهمه، فإنه يمتلك خصائصه الذاتية التي تميزها عن الأنظمة السردية أو التوثيقية في المجتمعات الأخرى.

ومن بين فروع هذا العلم، برز مجال سوسيولوجيا المعرفة، وهو العلم الذي يبحث في العلاقة بين الوعي الاجتماعي وإنتاج المعرفة، ويحلّل كيف تتأثر الأفكار، والمذاهب، والعقائد، والعلوم، بالسياقات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تنشأ فيها. وهو علم يطرح تساؤلات جوهرية حول حيادية المعرفة، وهل هي نتاج عقل خالص منفصل عن الواقع، أم أنها انعكاس للظروف الاجتماعية، وتحقيق لمصالح وصراعات محدّدة⁴؟

إن فهم نظام أسانيد الرواية الحديثية على حقيقته يكاد يكون متعذراً إلا بدراسة البيئة الاجتماعية والعلمية والجغرافية التي نشأت فيها، وبالتحقيق في العلاقات التي جمعت الرواة بعضهم ببعض، والتي كانت وراء انتقال النصوص، وظهور المدارس، وتبلور سلطة الرواية.

ومن هنا، يتأسس علم اجتماع الأسانيد، وأعني به: الدراسة المنهجية للعلاقات الاجتماعية والعلمية والسياسية والجغرافية التي أنتجت شبكة الرواة، وأثرت في انتقال الرواية الحديثية وتوثيقها، بوصفها بنية اجتماعية تفاعلية لا مجرد سلسلة نقلية نصية.

3- ينظر: أحمد عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع ص23.

4- انظر تفصيلاً لذلك عند: كارل مانهايم، أيديولوجيا ويوتوبيا: مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ترجمة د محمد رجا الديريني ص309 وما بعدها.

ثانياً: أهمية علم اجتماع الأسانيد في التوثيق العام لنظام الإسناد:

إن النظر العميق إلى نظام الأسانيد كما تشكّل عند المحدثين يكشف عن بُعد هام في فهم هذا النظام، بعدّ يتجاوز الرؤية السطحية التي تقتصر على دراسة السلاسل والمتون بمعزل عن سياقها الاجتماعي والعلم، والفرضية التي نطلق منها في هذه الورقة ترى أن نظام الأسانيد لا يمكن أن يكون نظاماً قوياً وفعّالاً إلا إذا كان معبّراً عن شبكة معقدة من التفاعلات الاجتماعية والعلمية والفكرية التي أحاطت به وتغذّيه. إن الإسناد لا يقدّم دليلاً على ذاته بمجرد كونه سلسلة أسماء؛ بل يستمد معناه وصدقته من كونه ناتجاً عن علاقات اجتماعية حقيقية، عن تواصل علمي، وعن بيئة ثقافية تفاعلية. تكوّنت عبر طبقات الرواة ودوائرهم الاجتماعية المختلفة.

ويُعَدُّ تحليل شبكة الرواة، وفقاً لنظرية الشبكات الاجتماعية، مدخلاً ضرورياً لفهم كيفية بناء الثقة وسلطة النقل في مجتمع المحدثين، إذ ينظر إلى كل راوي كـ «**عقدة**» في شبكة معقدة من العلاقات التي تشمل القرابة والولاء والمصاهرة والعلم والسياسة.

وحين يُفترض أن هذا النظام قد جرى اختلاقه أو تزويره في مرحلة لاحقة، فإن هذا القول لا يقتصر على التشكيك في سلسلة من الرواة، بل يستلزم بالضرورة التشكيك في كل تلك التفاعلات والعلاقات التي تشكّلت حول هذا النظام: من صاحب من، من تزوّج من، من اجتمع بمن، من وافق ومن خالف، من ترخّل للقاء العلماء ومن امتنع، من شهد حلقات العلم ومن وُصف بالتخلف عنها، وهكذا. إن شبكة العلاقات التي تحيط بنظام الأسانيد، وتمثّل علم اجتماع الرواية، لا يمكن افتراض أنها كانت محل تزوير كامل ومنهجي دون أن يترك ذلك أثراً واضحاً في المصادر أو في البناء الاجتماعي ذاته.

ولذلك، فإن أي محاولة لنفي صحة نظام الأسانيد لا بد أن تكون محاولة لنفي تلك التفاعلات التي خلفه، وهذه التفاعلات ليست جزءاً من النظام نفسه، بل هي جزء من البيئة الاجتماعية والثقافية الواسعة التي أنتجته. وهذا ما يجعل فرضية التزوير الكلي، أو الصناعة المتأخرة للأسانيد، فرضية ضعيفة للغاية، بل شبه مستحيلة؛ إذ لا يمكن تصوّر أن شبكة العلاقات التي كانت تربط بين الرواة، والتي توثقها الروايات التاريخية، وكتب الجرح والتعديل، وكتب الرجال، وغيرها من الكتب، قد صُنعت بشكل محكم دون أن يُكشف هذا التزوير أو يُثار حوله جدل في زمنه.

والأمر الأهم أن النظر إلى الرواية الحديثة في ضوء علم الاجتماع يبرز أن شبكة التفاعلات التي أحاطت بنظام الأسانيد ليست مجرد تفاصيل عرضية، بل هي جوهر النظام الحديث ذاته، وهي التي منحت الإسناد قيمته العلمية وشرعيته النقدية.

وحين ندرس الروايات ونسبر أحوال رواتها، نجد أن كثيرًا من الحكم على الرواية لم يكن محض نظر في الإسناد مجردًا، بل كان نتاجًا لفهم واسع لعلاقات الرواة ببعضهم، ولحركتهم في الحقول العلمية، ولما دار بينهم من اتفاق واختلاف، مما يدل على أن المجتمع العلمي في عصر الرواية لم يكن مجتمعًا ساكنًا يكتفي بالتلقي، بل كان مجتمعًا تفاعليًا نقديًا يمارس آليات نقد الرواية بوصفها جزءًا من دينامية المعرفة الدينية.

إذن، نستطيع القول إن نظام الأسانيد ليس مجرد بناء نظري فُرض على التاريخ الإسلامي، بل هو نتيجة طبيعية وضرورية لمجتمع علمي نشط، احتكم إلى معايير نقدية دقيقة، وكانت له شبكة تفاعلات علمية واجتماعية معقدة لا يمكن تصور إمكان صناعتها بشكل مصطنع في مرحلة لاحقة دون أن تترك آثارًا تدعو إلى الشك. ومن هنا، فإن الفرضية التي ترى أن هذا النظام قد صُنع في القرن الثالث وزُور به التاريخ إلى القرن الأول لا تصمد أمام تحليل علم الاجتماع المعرفي (سوسيولوجيا المعرفة) لنظام الأسانيد.

وهنا يلزم التمييز بين «نظام الأسانيد» بوصفه بناءً معرفيًا وتقنيًا ظهر في كتب المحدثين، وبين «الظاهرة الاجتماعية للرواية» التي أفرزت هذا النظام وأعطته مشروعيتها. فالنظام - باعتباره آليات ومناهج وشروطًا في قبول الرواية وردها - إنما كان تعبيرًا عن الظاهرة الاجتماعية التي نشأت منذ عصر الصحابة، حيث ارتبطت الرواية بالرحلة، واللقاء، والقراءة، وغير ذلك من أطر التفاعل البشري. فالنظام هو التقنين المنهجي لما كان يمارس فعليًا داخل مجتمع محدّد تحكمه شروط اجتماعية وثقافية وعلمية. ومن دون إدراك هذه الظاهرة الاجتماعية، يصبح النظام مجرد بنية تقنية معلقة، تفقد دلالتها وسياقها وفعاليتها.

وهذا البحث يحاول، من خلال استقراء التفاعلات الاجتماعية والعلمية التي تحيط بنظام الرواية، أن يُعيد الاعتبار لهذا النظام بوصفه إفرازًا طبيعيًا لمنظومة علمية واجتماعية متكاملة، لا كيانًا مصطنعًا أو مختلفًا كما تزعم بعض الدراسات الاستشراقية.

ثالثًا: النظر في الأسانيد الجزئية بعد تثبيت صدقية النظام الكلي

غير أن هذا المنظور الذي يؤكد على مصداقية النظام الكلي للأسانيد بوصفه انعكاسًا لمنظومة اجتماعية وفكرية معقدة، لا يعفي الباحث من النظر النقدي إلى بعض الأسانيد الجزئية التي قد تخلو من المؤشرات الاجتماعية والعلمية الداعمة لمصداقيتها. فإن كنا قد أثبتنا أن النظام برمّته يستمد قوته من هذه الشبكة التفاعلية، فإن هذا لا يعني أن كل إسناد جزئي يندرج تحت هذا النظام هو بالضرورة موثوق؛ بل قد نجد في بعض الأسانيد رواة لا تتضح علاقاتهم العلمية والاجتماعية ضمن السياق الكلي، وقد نجد رواية لا نجد خلفها تلك التفاعلات التي اعتدنا كشفها في الأسانيد الأخرى.

وهنا يبدأ البحث التفصيلي في موثوقية هذا الإسناد بعينه، عبر استقصاء دقيق لحركة رواته، وعلائقهم، ومدى اندماجهم في الشبكات العلمية، ومدى توثيق الرحلة وطلب العلم بينهم. فالحكم على النظام الكلي لا يعني المصادقة المطلقة على كل جزء منه، بل يستلزم منهجاً نقدياً يميز بين الإسناد الحي الذي يظهر خلفه تفاعل علمي واجتماعي، وبين الإسناد الذي تبدو فيه تلك العلاقات غائبة أو مضطربة، مما يستدعي التوقف وإعادة النظر. ومن هنا تتجلى أهمية الجمع بين الرؤية الكلية لنظام الأسانيد من جهة، والتحقيق التفصيلي النقدي في كل رواية وإسناد على حدة من جهة أخرى، وهو ما أظهر علماء الحديث فيه تميزاً عالياً من خلال علوم الجرح والتعديل، والعلل، والاختلاف، وغير ذلك من أدوات النقد الصارم.

بل يمكنني الادعاء بأن عملية التصحيح والتضعيف في علم الحديث لم تنفك يوماً عن هذه الحثية الجوهرية: حثية البحث في العلاقات الاجتماعية والعلمية الكامنة خلف الأسانيد. فقد كان هذا الفهم حاضراً عند النقاد، إذ استقر في أذهانهم تصوّر واضح للمنظومة الإسنادية بوصفها بناءً متكاملًا، له معايير الدقيقة ومظاهره المعروفة، التي نشأت وترسّخت من خلال تلك التفاعلات المتشابكة بين الرواة وبيئاتهم العلمية والاجتماعية.

فإذا ثبت في وعي الناقد صحة هذه المنظومة بوصفها نظامًا متماسكًا، صار ينظر بعد ذلك إلى كل إسناد جزئي على حدة، ليفحص مدى انسجامه مع الرؤية الكلية التي يعرفها عن هذا النظام. فيسأل نفسه: هل يعكس هذا الإسناد نوع التفاعل والعلاقات التي اعتدنا رؤيتها خلف الرواية الصحيحة؟ هل يمكن أن يُدمج هذا الإسناد ضمن هذه المنظومة المحكمة دون أن يظهر فيه اضطراب أو شذوذ؟

ومن أبرز مظاهر هذا الفحص: قضية الاتصال والانقطاع، إذ لا يكفي النقد بمجرد إثبات اللقاء أو عدمه، بل يبحثون بعمق في طبيعة العلاقة بين الراوي وشيخه؛ فيدرسون تفاصيل اللقاءات، تواريخ الميلاد والوفاة، مسارات الرحلة، إمكان اللقاء أو استحالة، ثم يمعنون النظر في كيفية تحمّل الرواية (إجازة، سماع، مناوله... إلخ)، وفي صيغ الأداء التي يستخدمها الراوي للتعبير عن تحمّله، وبذلك صار تحليل العلاقة العلمية بين الراوي وشيخه مرآة دقيقة لتحليل صدق الرواية، لا مجرد إجراء شكلي.

فأرفع درجات الاتصال عندهم أن يكون الراوي قد لازم شيخه ملازمة تامة لسنوات، حتى يتحقق لهم أنه سمع حديثه وعرفه معرفة قوية، وبهذا يكون عندهم ثقة تامة باتصال الرواية. وأدنى مراتب القبول أن تظهر إمكانية اللقاء، مقرونة بصيغة تدل على السماع المباشر. أما إذا لم يظهر شيء من ذلك، فإنهم يتوقفون عن قبول الإسناد، بل وينزلونه في درجات الضعف، حتى يصل بهم الأمر إلى الحكم بالكذب على من يدّعي اللقاء والسماع، ولم يُعرف عنه لقاء ذلك الشيخ أصلاً.

وقد صارت العلاقات الاجتماعية والعلمية بين الرواة، من الملازمة التامة، إلى اللقاء العابر، إلى ادعاء السماع، مراتب معتبرة عند النقاد في تصحيح الحديث أو تضعيفه، وهي وقائع اجتماعية هامة صارت أدلة موضوعية على صدق النقل أو بطلانه.

ثم إذا تأكدوا من اتصال الرواة ببعضهم بحثوا في قضيتين هامتين في الراوي نفسه وهما العدالة والضبط، وهما أساسان لقبول الرواية عند المحدثين، لا ينفصلان عن النظر في الحركة الاجتماعية والعلمية للراوي. فالعدالة، كما يفهمها النقاد، ليست مجرد حُكم شخصي أو تقييم ذاتي، بل هي انعكاس لموقع الراوي في المجتمع العلمي، وشهرته بين الناس، وظهور حاله في الأوساط الحديثية والاجتماعية.

فحين يعبر النقاد عن راوٍ ما: «لا يُسأل عن عدالته»، كما قالوا عن أمثال الإمام مالك أو سفيان الثوري، فإنهم بذلك يشيرون إلى أن عدالته معلومة بين أهل العلم والعامّة، وقد ظهرت في سلوكه وحركته في المجتمع، حتى صار لا يحتاج إلى مزيد من التعريف أو السؤال. فهذا النوع من الرواة كان حضوره في الحياة العلمية والاجتماعية كافيًا لإثبات عدالته.

وفي المقابل، حين نجد راويًا يوصف بالجهالة، فإن ذلك لا يعود إلى نقص في علمه فقط، بل إلى غياب حركته في المجتمع العلمي. إن المجهول عندهم هو من لم يرو عنه إلا راوٍ واحد، أو لم يُعرف له أثر في الحلقات العلمية أو مجالس الحديث. وهذا الحكم ينبني على تصور اجتماعي واضح؛ إذ كيف يُعقل أن يكون في المجتمع رجل صالح الرواية، معروف العدالة، ثم لا يعرفه أحد إلا راوٍ واحد؟ هذا ما يجعلهم يتوقفون عنده، ويرفضون روايته أو يحتاطون منها.

بل إن الأمر قد يتغير إذا وُجد للراوي امتداد اجتماعي آخر؛ فإذا كان معروف النسب إلى قبيلة مشهورة، أو كان ابن فلان المعروف، فإن هذه المعرفة الاجتماعية ترفع من حاله عند النقاد، أو تكون مدخلًا لفحص حاله على نحو أدق. وهذا يوضح أن العدالة لم تكن صفة فردية، بل حالة اجتماعية يتم تحصيلها من خلال معرفة الناس بالرجل، ورؤيتهم لحاله، وظهور سيرته فيهم.

والضبط كذلك، كما هو الحال في العدالة، لا يُعرف إلا من خلال حركة الراوي في المجتمع العلمي، ومن خلال مدى تفاعله مع الوسط الحديثي الذي ينتمي إليه. فالنقاد لم يحكموا على الرواة بالضبط بمجرد الدعوى أو الادعاء الذاتي، بل نظروا إلى واقعهم في المجتمع العلمي، وكيف كانت رواياتهم تتفاعل مع الواقع العلمي المستقر المعروف في زمانهم، فظهرت اختبار الرواة، والمقارنة بينهم وبين أقرانهم، والنظر في تفرداتهم عنهم، وهذا يعني أن الضبط لم يكن صفة ذاتية فحسب، بل كان وصفًا اجتماعيًا يُكتسب داخل مجتمع من الرواة، حيث تُختبر الروايات

بالمقارنة، وتُوزن بالعرض على المشهور والمتداول، ويُنظر في مدى توافقها مع ما استقر عند أهل العلم. ولهذا نجد أن النقاد كانوا يحكمون على الراوي بأنه «ضابط» إذا كانت مروياته توافق روايات الثقات، أو إذا لم يعرف عنه الغلط أو التفرد المريب، وكل ذلك لم يكن ليتحقق إلا عبر تفاعل الراوي الدائم مع بيئته العلمية.

وبهذا يظهر أن علم الحديث، كما مارسه الأئمة، لم يكن علماً نصوياً فحسب، بل هو علم اجتماعي قائم على تحليل البنى الاجتماعية، وفهم شبكة التفاعلات العلمية والثقافية التي أنتجت الرواية وحكمت انتقالها، ومن ثم، فإن التصور السوسيولوجي لعلم الحديث يفتح لنا أفقاً جديداً في قراءة التراث النقدي، ويفسح المجال لفهم نقدي أعمق يتجاوز الشكل الظاهري للأسانيد إلى النظر في العالم الاجتماعي الذي أفرزها.

المبحث الثاني: علم اجتماع الأسانيد في صحيح البخاري من خلال حديث المنزلة.

إذا كان المدخل النظري لعلم اجتماع المحدثين قد كشف لنا عن أن نظام الأسانيد هو إفراز طبيعي لمنظومة اجتماعية وثقافية وسياسية معقدة، فإن دراسة النماذج التطبيقية لرواية الحديث النبوي تُعَدُّ من أهم الأدوات التي توضح تجلّي هذا التصور بصورة عملية. إن ادعاءنا أن الرواية الحديثية ليست مجرد نقل نصوص جامدة، بل هي انعكاس لشبكات تفاعلية بشرية، يتم فيها توارث الرواية عبر طبقات المجتمع العلمي، في سياقات تحكمها علاقات القرابة، والمكانة العلمية، والانتماءات السياسية، والأعراف الاجتماعية. ويُعَدُّ حديث «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى» واحدًا من أبرز الأمثلة التي يتجلّى فيها هذا التعقيد السوسيولوجي لنظام الإسناد، وهو الحديث الذي يرويه البخاري في صحيحه بقوله: حدثني محمد بن بشار: حدثنا غندر: حدثنا شعبة، عن سعد قال: سمعت إبراهيم بن سعد، عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: لعلي: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى⁵.

ويرويه في موضع آخر بقوله: جزء: 6 صفحة: 3

حدثنا مسدد: حدثنا يحيى، عن شعبة، عن الحكم، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج إلى تبوك واستخلف عليا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبي بعدي، وقال أبو داود: حدثنا شعبة، عن الحكم: سمعت مصعباً⁶.

إن نظراً أولياً سطحياً إلى هاتين الروایتين قد يفضي إلى اعتقاد بأن هؤلاء مجرد أسماء في سلسلة إسناد، لا نعرف ثقتهم وضبطهم وعدالتهم وقوتهم ولا نعرف أغراضهم ولا مطامعهم ولا مذاهبهم ولا تحيزاتهم، هم مجرد أسماء تدل على هذه الرواية وقد تكون أسماء مخترعة أو قد تكون الرواية نسبت إليهم دون أدنى معرفة لهم بها، قد يقال ذلك، وقد قيل، ويكون السؤال: هل هم فعلاً مجرد أسماء في هذا الإسناد، هل يمكن لنا أن نتحقق من سلسلة التفاعلات العلمية والاجتماعية في هؤلاء الرواة، وهل لهم وجود حقيقي وتفاعلات بحيث لو تكون هذه التفاعلات ثابتة معروفة مشهورة ولو لم تكن هذه الرواية أصلاً؟ وهل هناك ما يدعو إلى الثقة بهذه الرواية تاريخياً بقطع النظر عن أي فكرة أيديولوجية؟

5- البخاري، الصحيح 3706.

6- البخاري، الصحيح 4416.

وعليه فإن السؤال يكون عنه سؤال الورقة: هل كانت هذه الرواية بخصوصها في صحيح البخاري ثمرةً للتفاعلات الاجتماعية والعلمية والسياسية التي كانت قائمة في الواقع؟ أم أن هذه الأسانيد نفسها هي التي شكّلت تصورنا عن تلك العلاقات، بحيث إذا سقط الإسناد، سقطت معه معرفتنا بتلك التفاعلات؟

وفي سبيل الإجابة عن هذا السؤال أدرس هذا السند من بداية رواية الصحابي سعد بن أبي وقاص له إلى أن تشعب في الأمصار وانتشر إلى أن أنتقى البخاري واحداً من أسانيده، ويكون إسناد البخاري الذي انتقاه محورا لهذه الدراسة لكنه يتعرض لجميع أسانيد الحديث المتشعبة ليفهم انتشار الحديث وانتقاله وعلاقاته، وجمع طرق أي حديث وروايته أساس في فهم سياقه وصحته.

أولاً: التفاعلات العلمية والاجتماعية والسياسية بين الصحابة وأثرها في ظهور الحديث والإسناد

يمكن استظهار عدد من التفاعلات العلمية والاجتماعية والسياسية بين الصحابة إذا طرحت الأسئلة التالية في تحليل هذه الرواية: متى وأين روى سعد بن أبي وقاص هذا الحديث؟ هل رواه أثناء فتنة علي ومعاوية؟ أم تأخر عن روايته حتى زمان لاحق؟

إن البحث في هذا السؤال يوضح أهمية النظر إلى السياق التاريخي والاجتماعي الذي أحاط بنقل الرواية، بوصفه جزءاً من تحليل صدقية الرواية نفسها، لا مجرد خلفية معرفية.

إن مراجعة طرق الحديث تُبرز سياقاً زمانياً ومكانياً دقيقاً، تجلّى في لقاء معاوية بسعد خلال حجته إلى مكة، كما جاءت الرواية عند ابن ماجه، وابن أبي شيبة⁷، بأن معاوية قدم «في بعض حجّاته» وجاء التفصيل لذلك في رواية ابن أبي عاصم بأن «مُعَاوِيَةَ لَمَّا قَدِمَ نَزَلَ بِذِي طَوًى، فَجَاءَ سَعْدٌ، فَأَقْعَدَهُ عَلَى سَرِيرِهِ»⁸، وذو طوى، وادٍ قريب من مكة، فصار المكان واضحاً، وكذلك الزمان، فهو وقت الحج ووقت خلافة معاوية، فكانه بين عامي 41هـ وهي سنة خلافة معاوية إلى سنة 55هـ وفي سنة وفاة سعد بن أبي وقاص.

أما الدافع فهو سؤال معاوية -كما في رواية مسلم- بعد أن جلس سعد معه على سريره، «ما منعك أن تسب أبا تراب؟» وهنا رد سعد ذلك واحتج على معاوية ذاكرة ثلاث فضائل لعلي، على رأسها هذا الحديث: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»⁹.

7- ابن ماجه (121)، وابن أبي شيبة (12/85).

8- ابن أبي عاصم (1341).

9- مسلم، الصحيح 2404.

فالدافع في الحقيقة لرواية هذا الحديث دافع سياسي، ويلحظ أن النتيجة لم تكن في مصلحة الدولة الأموية، بل كانت في طرف معارضيتها من أبناء علي، ومع ذلك أصر سعد على رواية هذا الحديث وفي مجلس الخلافة وأمام الخليفة وانتشر الحديث عنه بعد ذلك انتشارا واسعا كما سيظهر، وهو ما يعارض فكرة أثر السياسة في رواية الحديث، وقد فصلت في نقاشها في كتابي **«السلطة السياسية وحركة رواية الحديث ونقده»**.

وسعد لا يمكن أن يكون متهما في مثل هذه الرواية، إذ إنه موقفه السياسي قبل ذلك من اعتزال الفتنة يظهر أنه يرفض أي توظيف سياسي لشخصه، لكنه لما رأى الحاجة ماسة إلى إذاعة حديث بعد أن سئل سؤالا مباشرا عن موقفه أذاعه للحاجة، ويظهر هذا في تفاعل معاوية مع هذا الموقف، إذ لم يستطع قول شيء أمام هيبة سعد وجلالته، كما يروي ذلك ابن سعد: عامر بن سعد إذ يقول: **«والله ما ذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة»**¹⁰، وفوق ذلك فإن تاريخ سعد العلمي والاجتماعي والسياسي ينفي عنه أي تهمة قد تتوهم في هذه الرواية.

لكن قد يظهر شيء من الإشكال في الزمن المتأخر لرواية هذا الحديث، إذ إن سعدا احتفظ بهذا الحديث أكثر من ثلاثين سنة قبل أن يذيعه، إذ إن الروايات تظهر أنه إنما حدث به في ذلك الوقت، ولا شيء يشير -ولو إشارة- إلى أنه نشر الحديث قبل ذلك، بل إن تلهف سماع سعيد بن المسيب -كما سيأتي- له يظهر ذلك التأخر في التحديث به.

إن هذه الفجوة المحتملة تندفع بمعرفة شخصية سعد وتفاعلاته، فقد كان سعد قليل التحديث حتى مع أقرب الناس إليه، فقد جاء عن السائب بن يزيد قوله إنه صحب سعدا في رحلة طويلة من المدينة إلى مكة فلم يسمعه يحدث حديثا واحدا¹¹ وفي رواية إنه صلبه كذا وكذا سنة فلم يسمعه يحدث حديثا واحدا¹²، وهو ما يعني أن سعدا لم يكن يرغب في التصدي للتحديث أصلا على عادة كبار الصحابة، فمن الطبيعي أن لا يروي هذا الحديث إلا لحاجة، وقد كانت الحاجة هنا ملحة.

وقد يحتمل أن يكون السبب في تأخر سعد سببا اجتماعيا آخر، إذ إن بعض الروايات تظهر أن طلبه سعد كانوا يخشون منه بعض الحدة في التعامل، فقد قال سعيد بن المسيب له: **«إنك إنسان فيك حدة، وأنا أريد أن أسألك...»**¹³، وسأله سعيد

10- النسائي، السنن الكبرى 4575.

11- ابن ماجه، السنن، 29، وقال الشيخ شعيب: أثر صحيح ورجاله ثقات.

12- روهها آدم بن أبي إياس في العلم كما في فتح الباري 6/36. وأصل الرواية في البخاري 2824.

13- أحمد، المسند (1516).

مرة أخرى عن مسألة فانتهره وقال: من حدثك...؟¹⁴ وتظهر شدته في بعض الأجوبة بقوله لمن سأله عن الموضوع من مس الذكر: إن كان منك شيء نجس فاقطعه!¹⁵ فلعل ذلك كان سببا في أن الطلبة لم يكونوا يقبلون على سعد لطبعه في شخصيته، وهو ما جعل رواياته تتأخر في التداول، خاصة الروايات ذات الطابع السياسي، كحديث المنزلة، مما يوضح كيف أن انتشار الرواية كان نتاجا لتحولات اجتماعية وسياسية، لا مجرد عملية نقل ميكانيكية.

لكن يبقى جزء من الفجوة لم ينسد بذلك، وهو أن بعض المواضع كانت أهم في نشر هذا الحديث، أيام فتنة علي وعائشة، أو فتنة علي ومعاوية، فلماذا لم يعلن الحديث آنذاك وأعلنه متأخرا؟

قد يكون الجواب بأن سعدا هنا واجه موقفا دافعا خاصا به، إذ قد سئل: ما يمنعك أن تسب أنا تراب، فكان لا بد له من إظهار ذلك الحديث نصرة لمقام رجل يعرفه حق المعرفة، وأداء للأمانة التي حملها، لكنه لم يواجه قبل ذلك موقفا يخصه مباشرة، إذ كان قد اعتزل الفتنة كلها أيام نشبت، فلم يذكر فيها شيئا إلا العزلة، وقد كان حريصا كل الحرص عليها، فقد أجاب لما قيل: ألا تقاتل؟ بقوله: «لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عيان ولسان يعرف الكافر من المؤمن»¹⁶، ولما خرج بإبله معتزلا الناس أيام الفتنة جاءه ابنه عمر، فقال له: «أنزلت في إبلك وغنمك، وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرِب سعد في صدره، فقال: اسكت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي»¹⁷، وكان لهذا الموقف تقدير خاص عند علي رضي الله عنه، إذ إنه ذكره وأثنى عليه بقوله: «لله منزل نزله سعد بن مالك وعبد الله بن عمر والله لئن كان ذنبا - يعني اعتزالهما - إنه لصغير مغفور، ولئن كان حسنا، إنه لعظيم مشكور»¹⁸.

لكنه كان مع ذلك الاعتزال كله إن احتاج أن ييث حديثا في فضل علي بثه، فالأمر كان منوطا بالحاجة، فقد جاء عن أبي بكر بن خالد بن عرفة قال: أتيت سعد بن مالك بالمدينة فقال: ذكر لي أنكم تسبون عليا؟ قال: قد فعلنا، قال: فلعلك قد سببته؟ قال: قلت: معاذ الله، قال: فلا تسبه، فلو وضع المنشار على مفرقي على أن أسب عليا ما سببته أبدا بعدما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت¹⁹. بل إنه دعا في موقف آخر على من سب عليا، فمات الرجل²⁰.

14- أحمد، المسند 1561.

15- عبد الرزاق، المصنف 437.

16- عبد الرزاق، المصنف 20736.

17- مسلم، الصحيح 2956.

18- الطبراني، المعجم الكبير 319.

19- ابن أبي شيبة، المصنف 32785.

20- ابن أبي شيبة، المصنف، 32812.

فالأمر كله عند سعد بن أبي وقاص منوط بالحاجة، وبثه للأحاديث مرتبط بها، وهذا كله يبين أن التفاعل الاجتماعي والسياسي كان عاملاً حاسماً في تحديد زمن الرواية ومجال تداولها

وصار من الواضح بعد ذلك كله موقف سعد من علي رضي الله عنهما، لكن يبقى موقفه من معاوية غير واضح حتى الآن، وعند النظر في جميع الروايات المتعلقة بذلك يمكن القول: إن موقفه كانت تُعبر عن استقلال سياسي واضح، ونوع من الإنكار على معاوية، فقد جاء أنه دخل على معاوية «فلم يسلم عليه بالإمارة، فقال معاوية: لو شئت أن تقول غيرها لقلت، قال: فنحن المؤمنون ولم نؤمرك، فإنك معجب بما أنت فيه، والله ما يسرني أني على الذي أنت عليه، وإنني هزقت محجمة دم»²¹، وهذه الاستقلالية جعلت موقفه من سب علي موقفاً أخلاقياً أصيلاً، لا مجرد مناورة سياسية، مما زاد من قيمة حديثه وروايته في ذلك السياق.

إن ما سبق يكشف عن شيء مما كان مستورا خلف الإسناد من التفاعلات الاجتماعية والسياسية والجغرافية، وهو ما يشير إلى الإسناد الحديثي كان نتاجاً لتفاعلات اجتماعية وثقافية معقدة، لا مجرد ترتيب أسماء في سلسلة، والإسناد في هذا السياق لم يكن أداة مصطنعة لتزوير الرواية، بل مظهرًا موضوعيًا لشبكة التفاعلات الاجتماعية التي أنتجت الحديث، وحددت زمان نقله ومكان تداوله.

وهكذا، نكتشف بالدليل التطبيقي أن الإسناد هو ثمرة دينامية معقدة بين المعرفة والعلاقات الاجتماعية والسياسية، وأن الرواية الحديثية بوصفها نصًا وسندًا، إنما كانت تعبيرًا عن مجتمع علمي نشط، له قوانينه ومعاييره، لا افتراضًا مصطنعًا كما تزعم بعض النظريات الاستشراقية.

ثانياً: التفاعلات العلمية والاجتماعية والسياسية بين التابعين والصحابة وأثرها في ظهور الحديث والإسناد:

إذا كانت التفاعلات الاجتماعية والسياسية قد أثرت بشكل واضح في طبقة الصحابة، كما تجلّى في موقف سعد بن أبي وقاص من معاوية، فإن هذا التأثير لم يتوقف عندهم، بل امتد ليشمل طبقة التابعين، الذين تولّوا نقل الحديث إلى الطبقات التالية، ضمن سياق من التفاعلات العلمية والاجتماعية المعقدة. ويُعدّ حديث «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى» نموذجاً واضحاً لهذا الامتداد، حيث نلاحظ خلف إسناده شبكة متداخلة من العلاقات العائلية والعلمية والاجتماعية، أسهمت في حفظ الحديث ونقله، بما يعزز من فرضية أن الإسناد ليس مجرد سلسلة أسماء، بل هو تجسيد حيّ لشبكة اجتماعية متفاعلة.

21- انظر: الذهبي السير 1/122، وأصله عند عبر الرزاق في المصنف 19455

1. تفاعل الأسانيد داخل العائلة:

يلفت النظر أن أول من روى هذا الحديث عن سعد بن أبي وقاص هم أبناءه، وهو نمط شائع في طبقات التابعين، حيث كان الأبناء يحملون الرواية عن آبائهم، لا سيما إذا كان في الآباء قلة التحديث، أو لم يُعرف عنهم كثرة الطلبة من غير ذويهم، وهذه العلاقة تعزز فرضية أن القرابة والرحم والصحة العائلية كانت من أبرز دوافع انتقال الرواية، إذ تشكل جزءًا من الشبكة الاجتماعية التي حكمت نظام نقل الحديث في العصر الأول.

وقد روى الحديث عدد من أبناء سعد بن أبي وقاص: عامر بن سعد (ت 104هـ): وهو ثقة شريف، أكثر من الحديث، وقد بقي في المدينة، ومصعب بن سعد (ت 103هـ)، وإبراهيم بن سعد (ت بعد 100هـ): وهو ثقة كثير الحديث، وعائشة بنت سعد (ت 117هـ): وهي ثقة، وقد اشتهرت بالرواية أيضًا، مع الاستقرار في المدينة، ويعني هذا وجود تناسق مكاني؛ إذ أن المدينة كانت موطنًا لسعد وأبنائه، مما يبرز ثبات البيئة الاجتماعية للرواية.

وقد يبدو هذا الانتشار العائلي منسجمًا مع شخصية سعد، التي لم تكن تتصدى للتحديث كما كان يفعل أبو هريرة، مما يجعل أبنائه الورثة الطبيعيين لحديثه، وهم الذين سمعوا الحديث في مناسبات متعددة، بوصفهم أهل بيته، ثم طال بهم الزمن واحتاج الناس إلى هذا الحديث، فطلبوه منهم وسمعوه.

لكن نشر هذا الحديث في مكة رجلاً، لا تظهر لهما علاقة اجتماعية بسعد، وهو ما جعل نقاد الحديث يتشككون من سماعهما هذا الحديث منه، وهو ما يظهر أهمية العلاقات الاجتماعية في نقد الروايات المنتشرة، وقريب من ذلك نشر بعض التابعين هذا الحديث في الكوفة²².

لكن سمعه من عامر بن سعد أحد أهم التابعين الذين رووه، ولم يقنع بعد ذلك إلا بسماعه من سعد بن أبي وقاص نفسه، في علاقة اجتماعية مهمة وهذا تفصيلها:

22- ممن روى هذا الحديث عن سعد كذلك: عبد الرحمن بن سابط الجمحي (ت 118هـ) وأبو نجيع يسار الثقفي (ت 109هـ)، وكلاهما في مكة، وكلاهما لم يسمع من سعد، وقد نص النقاد على ذلك، وفي الكوفة: أبو عبد الله الجدلي (ت 91-100هـ) وهم متهم بالتشيع، وعبد الله بن الرقيم الكناني وهو مجهول إذ لم يرو عنه إلا عبد الله بن شريك العامري (ت 121-130هـ)، وجهالته اجتماعية، إذ كيف لا يروي عنه إلا هذا الرجل.

2. سعيد بن المسيب الراوي المركزي لهذا الحديث:

كان أبرز من نقل هذا الحديث عن سعد التابعي الجليل سعيد بن المسيب، وهو واحد من أهم وأجل التابعين علمًا ومكانة. وقد قال فيه علي بن المديني: **«لا أعلم في التابعين أحدًا أوسع علمًا من ابن المسيب، هو عندي أجل التابعين»**²³، وقال قتادة ومكحول والزهري وغيرهم: **«ما رأينا أعلم من سعيد بن المسيب»**²⁴.

لقد روى سعيد هذا الحديث ونشره بين ثمانية من الرواة، ستة منهم من الأئمة الكبار المعروفين، مما جعله راويًا مركزيًا لهذا الحديث، بل أهم رواة الحديث بعد سعد نفسه.

ويليه في هذا الدور عامر بن سعد، الذي روى عنه أربعة من الرواة، أحدهم سعيد بن المسيب نفسه، مما يدل على الطبيعة المركزية لشبكة النقل التي كان سعيد بن المسيب محورًا فيها.

ومن الظاهر أن سعيد بن المسيب كان مهتمًا اهتمامًا خاصًا بسماع هذا الحديث مشافهة من سعد بن أبي وقاص، رغم أنه سمعه أولًا من عامر بن سعد، كما ورد في صحيح مسلم، فقد قال سعيد: فأحببت أن أشافه بها سعدًا، فلقيت سعدًا فحدثته بما حدثني عامر، فقال: أنا سمعته، فقلت: أنت سمعته؟ فوضع إصبعيه على أذنيه وقال: نعم، وإلا فاستكتا²⁵.

إن إصرار سعيد على سماع الحديث من سعد مباشرة، وتوثيق سماعه منه، يظهر اهتمامًا بعلو الإسناد، ويشير في الوقت ذاته إلى وجود دافع اجتماعي وسياسي وراء هذا الاهتمام. إذ قد كان سعيد بن المسيب معروفًا بموقفه المعارض لبني أمية، وقد قال الذهبي: كان عند سعيد بن المسيب أمر عظيم من بني أمية وسوء سيرتهم، وكان لا يقبل عطاءهم²⁶.

ويظهر في هذا التحليل في هذه الطبقة ما ظهر في عصر الصحابة، إذ إن الإسناد الحديثي في هذا المثال كان تعبيرًا عن شبكة تفاعلات علمية واجتماعية معقدة، شارك فيها الرواة من الصحابة وأبناءؤهم والتابعون الكبار، حيث تداخلت علاقات القرابة، والعلم، والولاء السياسي، والمواقف الأخلاقية، لتشكل النظام الإسنادي لهذا الحديث.

23- انظر: الذهبي، السير 4/222.

24- انظر: الذهبي، السير 4/222.

25- مسلم، الصحيح 2404.

26- انظر: الذهبي، السير 4/228.

ثالثاً: من التثبيت المحلي إلى الانتشار الجغرافي: التفاعلات العلمية والاجتماعية في رواية التابعين:

بعد أن استقرت الرواية في طبقة الصحابة، وظهرت دوافع روايتها ومحددات تداولها بينهم، تدخل الرواية في مرحلة جديدة من التفاعلات الاجتماعية والعلمية والسياسية، تمثلت في نقل الحديث إلى التابعين وصغار التابعين، ثم انتشارها في الأمصار الإسلامية الكبرى، وتشعب الأسانيد التي تنقل الرواية عبر الأجيال.

نلاحظ في سند البخاري الأول أن الذي يرويه عن مصعب بن سعد هو الحكم بن عتيبة، والحكم كوفي، مما يعني بدء انتشار الحديث في الأمصار الإسلامية، وتظهر لنا التفاعلات الاجتماعية والعلمية وحركة وصوله إلى الكوفة، إذ إن مصعباً مدني ولد في المدينة ونشأ فيها، لكنه الوحيد من أبناء سعد بن أبي وقاص الذي نزل الكوفة وروى فيها كما يظهر من ترجمته ومن الرواة عنه، إذ إن جل الرواة عنه كوفيون كما يظهر من أسمائهم في التهذيب²⁷، وصرح الذهبي بقوله: ثقة نزل الكوفة²⁸.

وانتشر الحديث انتشاراً واسعاً أوسع من الكوفة في البصرة، حيث رواه بصريون كبار عن سعيد بن المسيب، مثل: قتادة بن دعامة السدوسي، إمام أهل البصرة في الحديث والتفسير، وعلي بن زيد بن جدعان، من المكثرين في الرواية بالبصرة، وإن تكلم في ضبطه، ومن الواضح حركة التفاعلات هنا ليصل الحديث إلى البصرة، فقد رحل كلاهما إلى المدينة ليسمعوا من سعيد بن المسيب، ورحلة قتادة إلى سعيد رحلة مشهورة معروفة فيها مواقف هامة تظهر شدة حرص قتادة على التلقي عن سعيد، وإعجاب سعيد به، فمن ذلك: قول عمران: لما قدم قتادة على سعيد بن المسيب جعل يسأله أياماً وأكثر قال: فقال له سعيد: «أكل ما سألتني عنه تحفظه؟ قال: نعم، سألتك عن كذا فقلت فيه كذا، وسألتك عن كذا فقلت فيه كذا، وقال فيه الحسن كذا قال: حتى رد عليه حديثاً كثيراً قال: يقول سعيد: ما كنت أظن أن الله خلق مثلك²⁹. وقول سعيد لقتادة بعد أن لازمه: ارتحل عني فقد أنزفتني³⁰. وعن قتادة، قال: أتيت سعيد بن المسيب، وقد ألبس تبان شعر، وأقيم في الشمس، فقلت لقائدي: أدني مني. فأدناني، فجعلت أسأله خوفاً من أن يفوتني، وهو يجيبني حسبة، والناس يتعجبون³¹.

27- ابن حجر، التهذيب 10/160.

28- الذهبي، الكاشف 5462.

29- ابن سعد، الطبقات 7/230.

30- البخاري، التاريخ الكبير 7/186.

31- الذهبي، السير 4/232.

وأما علي بن زيد بن جدعان، فقد ثبت عنه رحلته إلى سعيد كذلك ولقاؤه به، وقد ذكر لبعض طلابه قوله إنه أتى سعيد بن المسيب فأكرمه³².

لكن مع هذا كله، فقد بقيت الرواية قوية في المدينة، وكان سعيد بن المسيب مركز هذه الرواية، فقد رواها عنه في المدينة الكبار: علي بن الحسين زين العابدين، الإمام العابد المعروف، ومحمد بن المنكدر، وهو من كبار محدثي المدينة، ومحمد بن شهاب الزهري، إمام أهل المغازي والسير والحديث، ويحيى بن سعيد الأنصاري، أحد أوعية العلم المدينة، وعلاقة كل هؤلاء بسعيد بن المسيب معروفة مشهورة، لا مدخل لوجود هذه الأسانيد في تأسيس تلك العلاقة.

ويأتي عامر بن سعد بن أبي وقاص، تاليا لسعيد في نشر هذه الرواية في المدينة، فقد أخذها عنه سعيد نفسه، ومحمد بن شهاب الزهري وبكير بن مسمار الزهري، وهو من أهل المدينة، ويؤكد استمرارية العلاقة المدنية بالرواية، وأخذها من خارج المدينة: والمنهال بن عمرو الأسدي، أحد كبار رواة الكوفة، وهنا نلاحظ أن عامر بن سعد لم يرحل إلى الأمصار، بل بقي في المدينة، وهو ما جعل الرواة المدنيين فقط هم من رواوا عنه.

إن تتبع معطيات هذه الروايات يبين بوضوح أن الرحلة والسماع والعلاقات الاجتماعية العلمية المترابطة كانت قائمة بالفعل، ولم يكن الإسناد صانعاً لها، بل مظهرًا من مظاهرها. فالعلاقات بين قتادة وسعيد، أو الحكم ومصعب، أو ابن جدعان وسعيد، هي علاقات سبق وجودها السند الحديثي نفسه، وما الأسانيد إلا تعبير عن شبكة العلاقات العلمية والاجتماعية المعقدة، التي أحاطت بنقل الحديث وحكمت طرائق أدائه ووسائل توثيقه.

رابعًا: من المدينة إلى البصرة: التفاعلات العلمية والاجتماعية في رواية أتباع التابعين وانتشار الحديث انتشارًا واسعًا:

بعد أن استقرت رواية حديث المنزلة في طبقات الصحابة والتابعين بالمدينة والكوفة، انتقلت الرواية إلى مرحلة جديدة تمثلت في اتساع انتشارها في الأمصار الإسلامية، وظهور شخصيات علمية مركزية كان لها دور جوهري في توسيع دائرة تلقي هذا الحديث ونقله إلى أجيال أتباع التابعين، خصوصًا في البصرة. وفي هذا الانتقال، تتجلى أهمية النظر في التفاعلات العلمية والاجتماعية التي صاحبت انتشار الرواية، إذ لم يكن انتقال الحديث مجرد حركة نصية تنتقل عبر سلسلة من الأسماء، بل كان تعبيرًا عن شبكة علاقات علمية وإنسانية واسعة، تحكمت في مسارات الرواية، وأسهمت في توثيقها وانتشارها.

32- الفسوي، المعرفة والتاريخ 2/741، وابن عساكر، تاريخ دمشق 41/492.

تُظهر رواية البخاري أن الحديث قد انتقل من الكوفة إلى البصرة بواسطة شخصية محورية هي الإمام شعبة بن الحجاج، أحد أعلام نقد الحديث بالبصرة وأحد أجل رواة طبقته. فقد روى شعبة هذا الحديث عن الحكم بن عتيبة الكوفي، وهو ما يشير إلى أن الرواية بعد أن استقرت في الكوفة على يد الحكم، انطلقت من جديد إلى البصرة عبر قناة شعبة، الذي عني بهذا الحديث عناية خاصة، فتتبع طرقه وحرص على روايته ونشره نشرًا واسعًا بين المحدثين في البصرة. وكان رواية الحديث في الكوفة لم تشهد ذات الحضور والانتشار الذي بلغته في البصرة بفضل شعبة، حيث يبدو أن شعبة قام بدور فاعل في إحياء هذا الحديث، ونقله من التداول المحدود إلى الانتشار الواسع.

ويُفسر هذا الدور بما كان لشعبة من علاقة علمية متينة بالحكم بن عتيبة؛ فقد لازم شعبة الحكم، وأكثر من التلقي عنه، ولم يكتفِ بذلك، بل كان يراجع في روايات طلابه، ويختبر رواياتهم بميزان علمي دقيق، مما يدل على وعي شعبة بمسؤوليته النقدية، ودوره في تمحيص الروايات وتنقيحها. وقد أسهم هذا التثبت العلمي في ترسيخ مكانة شعبة بوصفه ناقدًا حديثيًا، وكانت روايته عن الحكم محل ثقة واعتبار عند كبار النقاد، ممن اعتمدوا على نقل شعبة في مروياته عن الحكم وغيره.

وفي سياق متوازٍ، كان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، المدني الأصل، أحد رواة هذا الحديث، حيث رواه عن ابنه إبراهيم بن سعد، وعن طريقه أيضًا بلغ الحديث إلى شعبة. وقد انتقلت روايات سعد إلى العراق، لا بسبب إقبال أهل العراق على المدينة، بل بسبب رحلة سعد نفسه إلى العراق، حيث ولي القضاء بواسط، وهناك حدّث بروايته. وهو ما يفسر غياب رواياته عن المدينة، حتى قال علي بن المدني: «كان سعد بن إبراهيم لا يحدث بالمدينة، فلذلك لم يكتب عنه أهل المدينة، ومالك لم يكتب عنه، وإنما سمع شعبة وسفيان عنه بواسط، وسمع منه ابن عيينة بمكة شيئًا يسيرًا»³³. ويُظهر هذا النقل أهمية الرحلة والتنقل الجغرافي في نشر الرواية الحديثية، حيث كان انتقال سعد إلى العراق هو السبب المباشر في تداول حديثه هناك.

وكانت علاقة شعبة بسعد بن إبراهيم علاقة خاصة، جمعت بين التقدير العلمي والمودة الشخصية، فقد كان شعبة إذا ذكر سعدًا قال: «حدثني حبيبي سعد بن إبراهيم، يصوم الدهر، ويختم القرآن في كل يوم وليلة». وهذا الوصف الصادر عن شعبة يُبرز عمق العلاقة التي جمعتها بسعد، ويوضح أن هذه الرابطة لم تكن مجرد علاقة تلميذ بشيخه، بل كانت علاقة يميزها الإعجاب والتقدير الشديد، مما أضفى على روايات شعبة عن سعد مزيدًا من التوثيق والاحترام.

ولم يقتصر دور شعبة على كونه ناقلاً عن الحكم بن عتيبة وسعد بن إبراهيم، بل كان هو المركز الرئيسي لنشر حديث المنزلة في البصرة. فقد رواه عنه أعلام المحدثين البصريين، مثل: أبو داود الطيالسي، ويحيى بن سعيد القطان، ومعاذ بن معاذ، ومحمد بن جعفر غندر، وغيرهم. وقد اضطلع هؤلاء بدور مهم في نشر الحديث، وامتد تأثيرهم إلى الأمصار الأخرى، حيث وفد طلاب العلم إلى البصرة لسماع هذا الحديث منهم، لا سيما من غندر، الذي كانت له مكانة علمية واجتماعية بارزة في البصرة.

وكان محمد بن جعفر غندر من أبرز تلاميذ شعبة وأكثرهم ملازمة له، حتى قال: **«لزمنا شعبة عشرين سنة، لم أكتب من أحد غيره شيئاً، وكنت إذا كتبت عنه عرضته عليه»**، ومع هذا الضبط العالي فإن نقدا توجه من المحدثين إلى غندر لا يتعلق بضبطه وإتقانه، وإنما بنوع تغفل في تعاملاته الاجتماعية الأخرى، مما يظهر صورة حقيقة واضحة عن كل راوٍ، لا يمكن أن تكون مزورة مصنوعة، فمن قصصه في ذلك ما ذكر عن يحيى بن معين، أنه قال: **«دخلنا على غندر، فقال: لا أحدثكم بشيء حتى تجيئوا معي إلى السوق، فتمشون، فيراكم الناس، فيكرموني»**، قال: **«فمشينا خلفه إلى السوق، فجعل الناس يقولون له: من هؤلاء يا أبا عبد الله؟، فيقول: هؤلاء أصحاب الحديث جاءوني من بغداد يكتبون عني»**³⁴. وهذه الرواية، وإن حملت طرافة في ظاهرها، إلا أنها تكشف عن بعد اجتماعي يصاحب رواة الحديث آنذاك من رغبتهم في أن يكونوا في مصاف من يرسلهم ويفتخرون بذلك.

وقد كانت علاقة غندر بشعبة علاقة مركزية في نقل الحديث، كما يدل عليه قول عبد الرحمن بن مهدي: **«كنا نستفيد من كتب غندر في حياة شعبة»**. فغندر كان ناقلاً رئيساً لتراث شعبة، وكتبه كانت مورداً علمياً مهماً للمحدثين، بل إن رواية البخاري عن غندر في حديث المنزلة تعزز من قيمة هذه السلسلة الإسنادية، وتُظهر عمق العلاقات العلمية والاجتماعية التي تداخلت في مسار نقل الحديث، وأسهمت في تماسك شبكة الإسناد.

وهكذا، فإن تتبع انتقال رواية حديث المنزلة من المدينة إلى الكوفة، ثم إلى البصرة، يبين بوضوح أن انتشار الحديث لم يكن مجرد حركة سردية لنقل الأخبار، بل كان نتاجاً لشبكة معقدة من التفاعلات العلمية والاجتماعية، سبق وجودها وجود الإسناد نفسه، وكان الإسناد الحديثي انعكاساً صادقاً لحياة علمية واجتماعية حقيقية. وقد أظهرت الدراسة أن هذه الشبكة لم تكن وحدها الضامن لصحة الرواية، بل كانت تتعاضد مع النظام النقدي الحديثي، القائم على شروط العدالة والضبط، ومعايير النقد الدقيقة التي رسخها المحدثون الأوائل، مما يجعل نظام الأسانيد الحديثية في الإسلام نموذجاً فريداً في تاريخ توثيق المعرفة الإنسانية.

خاتمة:

تُظهر هذه الدراسة أن نظام الأسانيد في الرواية الحديثة، كما تجلّى في صحيح البخاري، لم يكن مجرد بناء تقني أو سلسلة أسماء تحفظ الرواية، بل هو انعكاس دقيق لمنظومة اجتماعية وعلمية وثقافية نشأت في بيئة تفاعلية معقدة. فالإسناد في حقيقته ثمرة طبيعية لشبكة العلاقات بين الرواة، التي تحكمها اعتبارات العلم، والعدالة، والضبط، ويمثل بنية علمية واجتماعية متكاملة، نشأت وتطورت في سياق ثقافي ومعرفي خاص.

وقد أظهرت الدراسة من خلال تتبع رواية حديث «المنزلة» أن حركة الرواية الحديثة لم تكن منفصلة عن هذا الواقع الاجتماعي والعلمي والسياسي؛ إذ يتفاعل فيه الرواة بوصفهم أفرادًا فاعلين في مجتمع علمي له تقاليده ومعاييره، وموازينه الدقيقة في قبول الأخبار وردّها. ومن خلال هذا التتبع، بدا واضحًا أن الأسانيد التي نقلت هذا الحديث لم تكن مصنوعة أو مختلقة، بل كانت ثمرة حقيقية لبيئة علمية واجتماعية نشطة، حيث ظهرت روابط القرابة، ومجالس العلم، ورحلات الطلب، والعلاقات الشخصية، بوصفها عوامل واقعية أثّرت في بناء شبكة الإسناد، وأسهمت في حفظ الحديث وانتقاله، ضمن نظام شديد الدقة والانضباط.

وتتجلّى خصوصية هذا النظام الإسنادي في كونه لم يكن مجرد انعكاس لهذه التفاعلات الاجتماعية، بل كان محكومًا بمعايير نقدية صارمة، وضعها المحدثون لضمان صحة النقل، وصيانة الرواية من الآفات، وهو ما يجعل النظام الحديثي الإسلامي حالة فريدة في تاريخ العلوم الإنسانية. فقد جمع بين صرامة النقد الداخلي للأحاديث، وفحص السند والمتن، وبين إدراك دقيق للبيئة الاجتماعية للرواة، وللعلاقات التي تنظمهم، مما جعل أحكامهم النقدية تتجاوز الظواهر الشكلية، إلى تحليل معمق لحال الرواية والرواة على السواء.

ومن هنا، فإن الدعوى الاستشراقية القائلة بأن كبار المحدثين، خاصة في القرن الثالث الهجري، صنعوا أسانيد ملفقة ونسبوها إلى القرون الأولى، لا تصمد أمام هذا التحليل، لأن وجود شبكة العلاقات العلمية والاجتماعية خلف هذه الأسانيد، التي سبق وجودها تدوين الحديث بزمان طويل، يجعل من فرضية الصناعة اللاحقة أمرًا صعبًا بل متعذرًا. إذ كيف يمكن لمجموعة من العلماء من بلاد شتى وأفكار متباينة وشخصيات مختلفة أن ينسجوا شبكة اجتماعية كاملة من العلاقات، والرحلات، والأخبار عن الرجال، بحيث تبدو واقعية متماسكة، دون أن يُكشف ذلك أو يُثار حوله شك، لا سيما مع وجود مجتمع نقدي له حضور قوي في تقييم كل راو وكل رواية..

إن ما توصل إليه هذا البحث يؤكد أن علم اجتماع الأسانيد يمكن أن يكون مدخلًا لفهم النظام النقدي الحديثي فهمًا أكثر عمقًا وشمولًا، من خلال تحليل العلاقات الإنسانية التي كانت وراء الرواية، بما يعزز من قوة هذا النظام، ويظهر تماسكه، بوصفه منظومة علمية متكاملة، لا مجرد ظاهرة سردية أو ثقافة تناقل شفهي. وهذا التصور يعيد الاعتبار لنظام الإسناد السني، ويبرز تميزه مقارنة بأنظمة الرواية الأخرى، كما يفتح الباب لمراجعة كثير من التصورات النقدية التي تعاملت مع الرواية الحديثة بمنهجية اختزالية أو شكوكية، غفلت عن طبيعة النظام النقدي الخاص الذي طوره المحدثون المسلمون.

وقد اتضح من خلال هذا البحث أن المحدثين المسلمين قد سبقوا غيرهم إلى ممارسة شكل من أشكال التحليل السوسيولوجي للمعرفة، إذ جمعوا بين النقد الداخلي للرواية وفحص رجالها، وبين النظر في حركة الرواة ضمن بيئتهم الاجتماعية، والعلاقات التي تحكمهم، والوقائع التي تؤثر في نقلهم.

وتظهر ميزة هذا النظام الحديثي واضحة إذا قورن بنظام الأسانيد الشيعي، حيث ظهر من دراسات أخرى - قمت بها في سياق مختلف - أن الرواية في النظام الشيعي لا تتجلى خلفها تفاعلات اجتماعية حقيقية، كما هي الحال في الرواية السنية. فقد أظهرت دراسة حالة أبي هاشم الجعفري - وهو من أهم رواة القرن الثالث الهجري عند الشيعة - أن فجوات واسعة تعتري بناء نظام الأسانيد في الرواية الشيعية، مما يشير إلى ضعف في بنيته المعرفية والاجتماعية على حد سواء. إذ بدت تلك الأسانيد وكأنها تؤسس علاقاتها من داخلها، دون أن يكون ثمة بيئة اجتماعية وعلمية حقيقية وراءها، وهو ما يضعف من موثوقيتها ويجعل الثقة بها محل نظر.

وبذلك، فإن علم الحديث، كما تكشف هذه الدراسة، لم يكن علمًا نظريًا مفرغًا من سياقه الاجتماعي، ولا مجرد ممارسة شكلية لعملية النقل، بل كان علمًا يرتكز على بيئة علمية واجتماعية متفاعلة، يتحرك فيها الرواة ضمن شبكة معقدة من العلاقات العلمية والاجتماعية، ويحكمها نظام نقدي صارم، وهو ما يجعل نظام الأسانيد الحديثية أحد أعقد وأدق أنظمة التوثيق في تاريخ المعرفة الإنسانية.

قائمة المصادر والمراجع

- أحمد، عبد الجواد. مبادئ علم الاجتماع. القاهرة: دار المعرفة الجامعية، بدون تاريخ.
- أحمد بن حنبل، المسند. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1995.
- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد. المصنف في الأحاديث والآثار. تحقيق: محمد عوامة. ط2. بيروت: دار القبلة، 1409هـ.
- ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو. الآحاد والمثاني. تحقيق: باسم فيصل الجوابرة. ط1. الرياض: دار الراية، 1411هـ.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. تهذيب التهذيب. ط1. بيروت: دار الفكر، 1404هـ.
- ابن سعد، محمد بن سعد. الطبقات الكبرى. تحقيق: إحسان عباس. ط1. بيروت: دار صادر، 1957.
- ابن عساكر، علي بن الحسن. تاريخ دمشق. تحقيق: سهيل زكار. ط1. بيروت: دار الفكر، 1995.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط1. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح. طبع مع فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز. ط3. الرياض: دار السلام، 1998.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. التاريخ الكبير. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 2001.
- الذهبي، محمد بن أحمد. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة. تحقيق: محمد عوامة. ط1. بيروت: دار القبلة ودار الرشد، 1992.
- الذهبي، محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985.
- الذهبي، محمد بن أحمد. تذكرة الحفاظ. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1974.
- الطبراني، سليمان بن أحمد. المعجم الكبير. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. ط2. بغداد: مكتبة العلوم والحكم، 1983.
- الفسوي، أحمد بن علي. المعرفة والتاريخ. تحقيق: أكرم ضياء العمري. ط1. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1981.

صنوبر، أحمد، نظرية النمو العكسي للأسانيد عند المستشرقين، دراسات حديثة نقدية. ط1. عمان: دار أروقة للدراسات والنشر، 2020.

صنوبر، أحمد، ما وراء الأسانيد: تحليل بنية الرواية الشيعية من خلال تفاعلات أبي هاشم الجعفري العلمية والاجتماعية، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة إسطنبول عدد 15/1، آذار 2025.

كارل مانهايم، أيديولوجيا ويوتوبيا: مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة. ترجمة: محمد رجا الديريني. ط1. القاهرة: دار التنوير، 1980.

مالك بن أنس. الموطأ. برواية يحيى بن يحيى الليثي، تحقيق: بشار عواد معروف. ط1. عمان: دار الغرب الإسلامي، 1997.

مسلم بن الحجاج. الجامع الصحيح. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

صنوبر، أحمد، ما وراء الأسانيد: تحليل بنية الرواية الشيعية من خلال تفاعلات أبي هاشم الجعفري العلمية والاجتماعية، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة إسطنبول عدد 15/1، آذار 2025.

النسائي، أحمد بن شعيب. السنن الكبرى. تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1991.

عبد الرزاق الصنعاني. المصنف. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي، 1983.

صحيح البخاري بمدينة قزوين.. رواياته والاعتناء به

ان:

أ. د. قاسم علي سعد
جامعة الشارقة



الباحث

أ. عبد الله محمد جربكو
جامعة الشارقة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد، فإن تداول أمّات الكتب الحديثية في إقليم أو بلد أو مدينة من أدلّ الدليل على النشاط الحديثي فيه وتوافر المحدثين في البلد، وعند الكلام على الكتب الحديثية يأتي صحيح البخاري على رأس القائمة، ولا شك أنه أعظم أصول الإسلام وأصحها بعد كتاب الله، قال فيه أبو القاسم الرافعي القزويني: «**وجامعه الصحيح أعظم مرجوع إليه في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم**»¹. وكان لأهل قزوين اهتمام بالغ برواية صحيح البخاري، وقد كانت مجالس سماعه والتحديث به من أهم المجالس الحديثية في قزوين، وتصدّى لها كبار المحدثين، بل كان محل اعتناء الولاة والأمراء بقزوين، ومن هذا المنطلق وإبرازاً لهذه الجهود جاء هذا البحث المعنون بـ(صحيح البخاري بمدينة قزوين.. رواياته والاعتناء به).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره: تأتي أهمية الموضوع من حيث أنّ اثنين من أهل قزوين سمعا صحيح البخاري من الكُشميهني مباشرة، وهما المحدث الأكثر الحافظ أبو الفتح المُخسّن بن الحسين الرّاشدي (ت: بعد 422هـ)، وأبو إسحاق إبراهيم بن جُمَيْر العَجَلِي الخِيارَجِي (ت بعد 443هـ)، ولا يخفى أنّ مثل هذا الأمر يُعَلِّي نفاسة الكتاب وسماعه، ويجعل طلبة العلم يقبلون عليه.

ومن أهمّ ما دفعنا لكتابة هذا البحث إبراز جهود محدّثي قزوين في روايتهم لصحيح البخاري، ودراسة سير الحركة العلمية لصحيح البخاري في هذه المدينة، إضافة إلى أنّنا لم نر من تعرّض لهذا الموضوع بالبحث.

حدود البحث وأهدافه: يركّز البحث على ما يتعلّق بصحيح البخاري في قزوين، والمدة الزمنية التي يتناولها هذا إلى غزو التتار سنة سبع عشرة وستّ مئة.

1- الأمالي الشارقة 175.

ويهدف البحث الإجابة على الأسئلة الآتية: ما هو تاريخ ورود صحيح البخاري إلى قزوین؟ ومن هم العلماء الذين ساهموا في إدخال الصحيح إلى قزوین، ومن ثمّ من هم المشاركون في نقل الصحيح طبقة بعد طبقة؟ وما الكتب التي صنّفت أو تدوولت في قزوین ممّا له علاقة بصحيح البخاري؟

منهج البحث: اتبعنا في البحث المنهج الآتي:

المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، وذلك بجمع المادة العلمية من المصادر المعتمدة، وكان أهمّ مصدر كتاب التدوين في أخبار أهل العلم بقزوین لأبي القاسم الرافعي (ت: 623هـ)، ومن بعد سائر كتب التواريخ والرجال، ثمّ بُني على ذلك التوصيف والتحليل.

أثبتنا في أغلب المواضع وفيات أعلام المحدثين الواردة أسماؤهم في البحث. ضبطنا الأعلام من الرجال والأماكن ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، لاسيّما الأعلام التي لم تُضبط في مطائنها، وذلك بالاعتماد على المصادر الخطيّة المعتمدة أو بالرجوع إلى الخرائط الحديثة للمدن التي نُسب إليها بعض الأعلام. وثّقنا نصوص كتاب التدوين من المطبوع ومن نسخة خطيّة -هي أصحّ النسخ فيما نرى-، واضعين رقم المجلّد والصفحة من المطبوع، ثمّ ورقة المخطوط بين قوسين.

خطة البحث: اقتضت طبيعة البحث أن نجعله في افتتاحية وتمهيد وأربعة مطالب وخاتمة.

أمّا المقدّمة ففيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وحدود البحث وأهدافه، والمنهج المتّبع فيه، وخطّته.

وأمّا التمهيد ففيه تعريف بمدينة قزوین وموقعها الحالي، وأمّا المطلب الأوّل: ففي مكانة صحيح البخاري عند علماء قزوین، والمطلب الثاني: المراكز الحديثة التي كان يقرأ فيها صحيح البخاري بقزوین، والمطلب الثالث: روايات صحيح البخاري المنتشرة في قزوین أو التي تلقّاها علماؤها، والمطلب الرابع: دخول صحيح البخاري إلى قزوین والعلماء الذين تصدّوا لروايته ونقله فيها، والمطلب الخامس: الكتب المصنّفة أو المتداولة حول صحيح البخاري في قزوین.

ثمّ الخاتمة وفيها أهمّ نتائج البحث.

هذا ونشكر جزيل الشكر القائمين على المؤتمر العلمي الدولي (الجامع المسند الصحيح للإمام البخاري ..كتاب أمة)، ونسأل الله أن يجعل ما يقدمونه للعلم والحديث في موازين حسناتهم، وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

التمهيد: التعريف بمدينة قزوين

قَزْوِين: بفتح القاف، وسكون الزاي، وكسر الواو، وسكون الباء²، مدينة في إقليم الجبال، تقع بين الرّي شرقاً وزَنْجَان غرباً، وتقع هَمَذَان في الجنوب الغربي منها، وسَاوَة في الجنوب الشرقي، ويقع في شماليتها بحر قزوين، ويفصلها عن هذا البحر جبال، وبالمقاييس الحديثة فإنّ المسافة بينها وبين أهمّ المدن من حولها على النحو الآتي: تبعد عن طهران (الرّي) 147 كيل، وبينها وبين زَنْجَان 182 كيل، وبينها وبين هَمَذَان 239 كيل، وبينها وبين سَاوَة 155 كيل.

ومدينة قزوين من المدن العريقة القديمة، دخلها الإسلام مبكراً، وافتتحها البراء بن عازب رضي الله عنه سنة اثنتين وعشرين صلحاً، وقيل: إنّ أهلها أظهروا الإسلام، ثمّ لمّا انصرف الجيش تركوا الإسلام وعادوا إلى ما كانوا عليه، فغزاها للمرّة الثانية كثير بن شهاب الحارثي واستولى عليها عنوة.

ومدينة قزوين ترعرع فيها كبار المحدثين، وطرّقها جموعٌ غفيرة من الغرباء، وكفاها فخراً أنّها أنجبت أمثال أبي عبد الله ابن ماجه (ت:273هـ) سادس ستة هم أصحاب أصول الإسلام، وكذلك شيوخه، وتلميذه أبو الحسن القطان (ت:345هـ)، وتلميذ تلامذته أبو يعلى الخليلي (ت:446هـ)، وكذلك أبو القاسم الرّافعي (ت:623هـ)، وغيرهم الكثير.

وقزوين من المدن التي حظيت بقسطٍ وافٍ من الأحاديث والآثار في فضلها ومكائنها، بغضّ النظر عن درجة تلك الأحاديث والآثار، ومن أهمّ أسباب ورود تلك الفضائل فيها كون قزوين من ثغور الإسلام، فأرض الدّيلم قبل أن تسلم كانت ناحية عداء، ولهذا كانت قزوين محطّ نظر الخلفاء والأمراء، وإلى جانب كونها هدفاً لكثير من الغزاة كانت أيضاً مقصداً لكثير من العلماء، ولهذا تجد في تراجم كثيرٍ من العلماء أنّهم وردوا قزوين للرّباط والرّواية.

المطلب الأول: مكانة صحيح البخاري عند علماء قزوين

كان لصحيح البخاري مكانة عالية عند علماء قزوين، ولهذا اعتنوا بالغاً بالغاً في روايته وتداوله، ومن جملة ما تضمّنه كتاب أبي يعلى الخليلي القزويني (ت:446هـ) في بيان مكانة صحيح البخاري، نقله لكلام أبي أحمد الحاكم في علوّ مكانة هذا الكتاب: «رحم الله الإمام محمد بن إسماعيل، فإنّه الذي ألف الأصول وبَيّن للناس، وكل من عمِل بعده فإنّما أخذ من كتابه، كمسلم بن الحجاج، قرّق كتابه

²- ينظر: الأنساب 10/136، ومعجم البلدان 4/342.

في كتبه، وتجلّد فيه حقّ الجلادة، حيث لم ينسبه إلى قائله، ولعلّ من ينظر في تصانيفه لا يقع فيها ما يزيد إلا ما يسهل على من يعدّه عدّاً، ومنهم من أخذ كتابه فنقله بعينه إلى نفسه، كأبي زرعة وأبي حاتم، فإن عاند الحقّ معانداً فيما ذكرت فليس يخفى صورة ذلك على ذوي الألباب»³، وهذا الكلام وإن كان لا يُسلم له كاملاً إلا أنّه يدلّ على المحلّ العالي الذي بلغه الجامع الصحيح عند الأئمة. وقال أبو القاسم الزافعي: «وجامعه الصحيح أعظم مرجوع إليه في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم»⁴.

وأنشد الحافظ المحدّث الأديب هبة الله بن زاذان القزويني (ت: 464هـ) - وهو تلميذ أبي يعلى الخليلي- في وصف صحيح البخاري⁵:

جَمْعُ الإِمَامِ مُحَمَّدٍ لِلْمَسْنَدِ
مُبْقِي مَائِثَةِ طَوَالَ الْمَسْنَدِ
خَلَصَ الصَّحِيحَ مِنَ الصَّحَاحِ لَشَرْطِهِ
شَرْطاً تَبَيَّنَ فِيهِ عَجْزُ الْمُقْتَدِي
وَالِاقْتِدَاءِ يَكُونُ أَيْسَرَ مَحْمِلاً
مَمَّنْ تَحْمِلُ فِيهِ عِبَاءَ الْمُبْتَدِي
هَذَاكَ مَسْلُومٌ رَامَ فِي مَنَوَالِهِ
نَسْجاً يَكُونُ وَسِيلَةً فِي الْمَقْصَدِ
فَأَفَادَ غَيْرَ مَقْصَرٍ لَكِنْ شَأَى
عَبْدُ الْإِلَهِ جَوَادَهُ فِي الْمَحْشَدِ
فَجَزَيْتَ يَا عَبْدَ الْإِلَهِ عَنِ الَّذِي
أَلْفَتَهُ وَبَذَلَتْ وَشَعَكَ لِلْغَدِ
خَيْرَ الْجِزَاءِ وَفَوْقَ مَا أَمْلَتْهُ
مِنْ ذِي الْجَلَالِ مُكْرَماً وَكَأَنَّ قَدِ

3- الإرشاد 964-962/3.

4- الأمالي الشارحة 175.

5- التدوين 3/457 (أ270).

المطلب الثاني: المراكز الحديثية التي كان يقرأ فيها صحيح البخاري بقزوين

تعددت المراكز العلمية في مدينة قزوين التي كانت تعقد فيها المجالس الحديثية، وقد وقفنا على خمسة منها كان يقرأ فيها صحيح البخاري وتعدّد فيها مجالس روايته، وهي:

(1) المسجد الجامع بقزوين: بناه الخليفة هارون الرشيد سنة تسع وثمانين ومئة من الهجرة، في المدينة العتيقة بقزوين، ويُسمّى بالجامع العتيق⁶، كما أنّه سُمّي بجامع الشافعية، لأنّه كان في أيدي الشافعية. وما زال هذا المسجد موجوداً إلى يومنا هذا ويُعدّ من أقدم المساجد في إيران اليوم، وقد صار إلى ما صار إليه.

وكان هذا المسجد الجامع من أهمّ المراكز العلمية لعقد مجالس العلم، وعقدت فيه فيها مجالس لصحيح البخاري، وممّن حدّث به فيه: المحدث المكثر الحافظ أبو الفتح المُحسّن بن الحسين الرّاشدي (ت: بعد 422هـ)، وقد وقفنا على تاريخين لقراءة صحيح البخاري في الجامع عرضاً عليه.

أحدهما: سنة أربع عشرة وأربع مئة، وكان المجلس بقراءة هبة الله بن زاذان أحد المحدثين وتلميذ أبي يعلى الخليلي، وممّن سمع أبو عنان محمد بن أحمد القوّاس، ومحمّد بن عبد الرّحمن بن جميل، وأبو الوفاء محمد بن القاسم بن إبراهيم القَهْرمانِي.

وثانيهما: سنة ثمان عشرة وأربع مئة، وممّن سمع ربيعة بن باجعفر البَرّاز، والحسن بن محمّد الختّازي المؤدّب، وخُذادُوشت بن باموسى الدّيلمِي، وكان المجلس بقراءة هذا الأخير على أبي الفتح⁷.

(2) مسجد مُرّاد: وهو المسجد من المساجد القديمة في قزوين، بمحلّة بني مراد في المدينة العتيقة بقزوين، وذكر حمد الله المستوفي أنّ الذي بناه اسمه مراد⁸، وممّن أمّ في هذا المسجد محمّد بن سعيد بن سابق (ت: 216هـ)⁹.

وعقدت في هذا المسجد مجالس كثيرة، منها ما كان لصحيح البخاري، وقد حدّث به فيه: أبو الحسن محمّد بن أبي بكر الإسفَرائيني الأندُقاني¹⁰، وذلك سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة، وممّن سمع منه عبد القاهر بن عبد الجبار بن هبة الله الفايزي¹¹.

6- التدوين، 1/54 (11ب).

7- التدوين، 1/212 (190أ)، 314 (63)، 499 (97)، 2/436 (175ب)، 3/17 (190ب).

8- تاريخ كُريده، 783.

9- التدوين، 1/54 (12أ).

10- الأندُقاني: يغلب على الظنّ أنّها نسبة إلى أندقان قرية من قرى إسفرائين، وتوجد اليوم قرية بهذا الاسم تقع غربيّ إسفرائين، تبعد عنها نحو 66 كيلاً، فلعلّها هي، والله أعلم.

11- التدوين، 3/199 (223ب).

(3) خانقاه شهرهيزه: وهو من الخانقاهات المهمة بقزوين، وكان محلًّا لالتقاء العلماء لا سيما الغرباء منهم، وممّن حدّث في هذا الخانقاه أبو الحسن محمد بن أبي بكر الإسفرائيني الأندقاني سنة اثنتين وأربعين وخمسة مائة، وسمع منه خادم الخانقاه: أبو المحاسن أسعد بن عمر بن محمد الأصبهاني، سمع أوائل صحيح البخاري¹².

وممّن حدّث في هذا الخانقاه: محمود بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن أبو البدائع المروزي الكشميهني الخطيب (ت: 566هـ): وقيل: كنيته أبو المحامد، ونسب بيته بالخطيب لتولّي أجدادهم الخطابة¹³، حدّث في الخانقاه ب(عوالي البخاري) سنة تسع وأربعين وخمسة مئة¹⁴، بروايته عن جدّه أبي الفتح محمد بن عبد الرحمن الكشميهني الخطيب، عن أبي الخير الصّفار، عن أبي الهيثم الكشميهني، عن الفزّري.

وهذه الأسرة مروزية كشميهنية علمية حديثة مباركة، ستّة منهم على عمود نسب أسرتهم حدّثوا كلّهم، وهم: محمد بن محمود بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني¹⁵، والجّد الزّابع أبو بكر محمد بن عبد الله (ت: 471هـ) هو من شيوخ محيي السنة البغوي، وابنه أبو محمد عبد الرحمن، سمع من أبيه، وابنه أبو الفتح محمد (ت: 548هـ)، هو تلميذ أبي الهيثم الكشميهني، وابنه ضياء الدين أبو عبد الرحمن محمد (ت: 578هـ)، وهو صاحب المسلسل بالمحمّدين المخرّج من صحيح البخاري¹⁶، وقد حدّث بصحيح مسلم ببغداد في مجلس الوزير ابن هُبيرة، وهو من شيوخ ابن الجوزي الذي وصفه بقوله: «كان له سمّت المشايخ»¹⁷، وابنه أبو المحامد محمود (ت: 566هـ)، هو صاحب عوالي البخاري، وابنه أبو سعيد محمد (ت: 616هـ)، كان له اعتناء برواية الحديث¹⁸.

(4) خانقاه خُمارتاش العِمادي (ت: 530هـ): بناه الأمير الزّاهد خُمارتاش في مدّة ولايته على قزوين، وكان خُمارتاش نائباً عن أميرها عماد الدولة الفقشت بن بُوزان التركي الذي كان من أمراء السلطان محمد بن مَلِكشاه السَلجُوقي¹⁹.

12- التدوين، 2/283 (148أ).

13- أسد الغابة 3/371، وبغية الطلب في تاريخ حلب، 6/2795، وذيل تاريخ بغداد لابن الدَّبَّيْثي، 5/40.

14- التدوين، 4/79 (289ب).

15- التكملة لوفيات النقلة للمنذري 2/475.

16- منه نسخة في مكتبة شهيد علي باشا بإستانبول، برقم 539.

17- مشيخة ابن الجوزي 191.

18- التكملة لوفيات النقلة للمنذري 2/475-476، والمختصر المحتاج إليه لابن الدبّي 2/43.

19- ينظر: مجمع الآداب لابن الفوطي، 2/193، وتاريخ كُرَيْدِه، 796.

وممن حدّث في هذا الخانقاه: أبو العبّاس أحمد بن أبي سعد الإسفرائيني: حدّث في الخانقاه سنة سبع عشرة وخمس مئة ب(صحيح البخاري)، وسمع منه عثمان بن عُبيد الله السّجستاني²⁰، وروى أبو العبّاس الصحيح عن أبي الفتيان الدّهستاني (ت:503هـ)، وأبو الفتيان هو عمر بن عبد الكريم بن شَعْدويه الرّوَاسيّ، أحد حَفَاز عصره²¹.

(5) دار أبي طاهر محمّد بن أحمد الجعفري (ت: بعد 446هـ): كان أبو طاهر من رؤساء قزوین، وهذا البيت من ذريّة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان سيّدًا شريفًا ذا جاه وحشمة وثروة، وكان له اعتناء بالحديث، ومن مسموعاته صحيح البخاري وغيره، وكان يعقد في داره مجالس التحديث، وقد سمّى أبو القاسم الرّافعي داره ب(دار السّيادة)، وحدّث بداره سنة ست وأربعين وأربع مئة.

ونظرًا لمكانة هذا الرجل فإنّه كان ينزل بيته الكبار، وممن نزل داره القاضي عبد الجبار بن أحمد الهَمْدَانِي المَعْتَزَلِي (ت:415هـ)، عند حلوله بقزوین سنة ثمان وأربع مئة، وحدّث في هذه الدّار وسمع منه أبو طاهر.

20- التدوين، 3/303 (أ242).

21- ينظر: الأنساب 6/179، وتذكرة الحفاظ للذهبي 4/25. والرّوَاسي نسبة إلى بيع الرّؤوس، وكان والده يبيع الرّؤوس.

المطلب الثالث: روايات صحيح البخاري المنتشرة في قزوين أو التي تلقاها علماءؤها

أما روايات صحيح البخاري المنتشرة في قزوين أو التي تلقاها علماءؤها فخمسة، وهي:

الأولى: رواية أبي الهيثم الكُشميَّهني (ت:389هـ)، عن القُزَينِي (ت:320هـ)، وهي أكثر تلك الروايات تداولاً في قزوين، ودخلت قزوين من طريق القَزَاوِنَة، منهم من سمع منه مباشرة، ومنهم من سمع من الرواة عنه.

فأما الذين سمعوا صحيح البخاري من الكُشميَّهني مباشرة، فهما اثنان: المحدث المُكثِر الحافظ أبو الفتح المُحَسِّن بن الحسين الرَّاشِدي القزويني (ت بعد 422هـ)، وأبو إسحاق إبراهيم بن جَمَير العِجَلِي الخِزَازِي القزويني (ت بعد 443هـ)⁽²²⁾.

وأما الذين سمعوه من الرواة عنه، فجملة ما وقفنا عليه ثلاث روايات:

رواية كريمة بنت أحمد المَرْوَزِيَّة (ت:463هـ)، سمع منها عبدُ الملك بنُ أحمد بن محمد بن عبد الملك القزويني بمكة سنة تسع وخمسين وأربع مئة⁽²³⁾.

ورواية أبي العباس أحمد بن محمد بن زكريا النَّسَوِي (ت:396هـ) سمع منه عليُّ بن بُنْدَار القزويني⁽²⁴⁾.

ورواية أبي سهل محمد بن أحمد الخَفْصِي المَرْوَزِي (ت:466هـ)⁽²⁵⁾، دخلت قزوين من عدة طرق عنه:

من طريق أبي الأسعد القُشَيْرِي (ت:546هـ) حفيد صاحب الرسالة، وسمعها منه أبو الفضل الزافعي (ت:581هـ).

ومن طريق أبي الحسن علي بن الحسن بن محمد الصَّفَّار (ت:522هـ)، رواها بقزوين أحمد بن عبد الصمد بن حَمْوِيَّة.

ومن طريق الفَرَاوِي (ت:530هـ)، سمعها منه أبو الخير الطالقاني (ت:590هـ)، ومن طريق أبي الخير انتشر الصحيح كثيراً في قزوين²⁶.

22- وهما ممّن يُذِيل بهما على التقييد لابن نقطة وذيله للفاقي، فإنّه من طريقهما بقي الصحيح في قزوين نحو قرنين من الزّمن.

23- التدوين، 260/3 (234).⁽¹⁾

24- التدوين، 399/3 (259)، وهذه من الروايات الغير منتشرة عن الكُشميَّهني.

25- والحفصي هذا كان من العوامّ إلا أنّه كان صحيح السّماع، وظهر له بمزو سماع لصحيح البخاري من الكُشميَّهني، فحمله نظام الملك إلى نيسابور وحّدث بها فسمع منه أكثر علماء الوقت بنيسابور، وقرئ عليه الصحيح بالمدرسة النظامية سنة خمس وستين وأربع مئة فسمع منه الكبار والصغار وأولاد القضاة والأمراء، فأكرمه نظام الملك. ينظر: المنتخب من السياق 62، والأنساب 4/197.

26- التدوين، 225/1 (46)، 350/3 (69)، 466/4 (90)، 190/2 (131)، 440/2 (176).⁽¹⁾

ومن محدّثي قزوين في القرن الخامس من سمع صحيح البخاري من أربعة ممّن روى عن الكُشميّهني، وهو المحدث: علي بن الحسن بن محمد بن جَعْدُوِيّة القزويني (ت بعد 468هـ) وهو تلميذ أبي يعلى الخليلي، سمع الصحيح من أبي سعد عبدالرحمن بن الحسن النيسابوري المعروف بابن غَلِيك (ت: 431هـ)²⁷، وأبي طاهر ابن حمدان الأموي الخراساني، وإبراهيم بن جَمِير الخارجي القزويني، وكريمة بنت أحمد المَرْوُزِيّة، بروايتهم جميعاً عن الكُشميّهني²⁸.

الثانية: رواية أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد المُستَملي البُخّي (ت: 376هـ)، وقد سمع صحيح البخاري من القُرْبَري أيضاً سنة أربع عشرة وثلاث مئة.

وروى الصحيح في قزوين من طريق المستملي: علي بن المختار الغَزَنَوِي في منتصف القرن السادس تقريباً، رواه عن أبي الفتح ناصر بن نصر ابن أبي القوّارس، عن أبي نصر محمد بن أحمد المقرئ، عن المُستَملي²⁹، وهذا السند غير مشهور في رواية المستملي، وإنّما العمدة كما هو المعروف رواية أبي ذر عنه، فإنّه جمع في روايته بين شيوخ ثلاثة، منهم المُستَملي.

الثالثة: رواية ابن خَمُوِيّة الشَّرْخُسي (ت: 381هـ)، تحمّلها علماء قزوين من طريق أبي الوقت عبد الأول بن عيسى الشَّجْزي (ت: 553هـ)، بروايته عن أبي الحسن الدّاودي (ت: 467هـ)، عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن خَمُوِيّة الشَّرْخُسي (ت: 381هـ)، عن القُرْبَري، وكان سماع أبي الوقت لصحيح البخاري في السابعة من عمره، وسمع ابن خَمُوِيّة من القُرْبَري سنة ست عشرة وثلاث مئة.

ورحل أبو الوقت سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة إلى أصبهان، وهَمْدَان، وبغداد، وفي هَمْدَان سمع منه بعضُ القزاونة صحيحَ البخاري وغيره من مروياته، منهم علي بن حيدر الزَّزَّري (ت: 566هـ) وابنه عمر وغيرهما، واستجاز بعض أهل العلم بقزوين أبا الوقت في رواية البخاري فأجازهم بها³⁰، لكن لم نقف على من تصدّى لنقل الصحيح برواية أبي الوقت في قزوين.

27- لم نجد في المصادر التي ترجمت له أنّه روى الصحيح عن الكُشميّهني، وعلى هذا فإنّها معلومة تضيفها المصادر القزوينية، لاسيّما وقد رأينا أبا طاهر السَّلَفي في معجم الشُّفَر 117 روى حديثاً في صحيح البخاري من طريقه.

28- التدوين، 352-351/3(250ب).

29- التدوين، 156/1(263ب).

30- التدوين، 309/1(62ب)، 442/2(176ب)، 499(186ب)، 453/3(269أ).

الزابعة: رواية إسماعيل بن محمد بن أحمد بن حاجب الكشاني السمرقندي (ت:391هـ)، وهو آخر من روى صحيح البخاري عن القُرْبَري (ت:320هـ) عاليًا، وكان سماعه من القُرْبَري سنة عشرين وثلاث مئة³¹، قال أبو سعد السَّمْعاني: «سمعه مع أبيه بقرْبَر سنة ست عشرة وثلاثمائة، وفي الوقت الذي رواه لم يكن بقي أحد في الدنيا يروي الصحيح عن القُرْبَري»³². ومن الفوائد المتعلقة برواية الكشاني ما ذكره أبو نصر الداودي قال: «دخلت على ابن مَتَّ يَأْشْتِيخُنْ، فقال لي: أَسْمَعْتَ جَامِعَ الْبَخَارِيِّ؟ قلت: نعم. قال: مَمَّنْ؟ قلت: من إسماعيل الحاجبي -يعني صاحب الترجمة-، فقال: اسْمَعْهُ مِنِّي؛ فَإِنِّي أَتَبْتُ فِيهِ، فَإِنِّي كُنْتُ أَذْرُسُ الْفَقْهَ وَكُنْتُ كَبِيرًا حِينَ سَمَعْتُهُ، وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ صَغِيرًا يُحْمَلُ عَلَى الْعَاتِقِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْمَشْيِ، أَفَسْمَاعِي وَسَمَاعُهُ يَسْتَوِيَانِ؟ قال: فَسَمَعْتُهُ مِنْ ابْنِ مَتَّ»³³.

وممن سمع صحيح البخاري منه مباشرة من أهل قزوین: أبو الفتح الزَّاشدي (ت بعد 422هـ)³⁴.

الخامسة: رواية أبي علي محمد بن عمر بن شَبُوتَةَ الشَّيْبُوي³⁵ المَرْوُزي (ت:380هـ)، سمع صحيح البخاري من القُرْبَري سنة ست عشرة وثلاث مئة. وممَّنْ سمع هذه الرواية من القزوينيين: عمر بن عبد الله بن هبة الله بن عبد الله بن أحمد الكُمُوني وأبو الحسن علي بن عيسى الدَّيْلَمي القزويني، سمعاه من أبي الوفاء غانم بن أحمد بن الحسن الجُلُودي الأَصْبَهَانِي (ت:538هـ)، بروايته عن أبي عثمان سعيد بن أبي سعيد التَّيْسَابُوري الصَّيْرَفِي المعروف بِالْعِيَّار (ت:457هـ)، عن أبي علي الشَّيْبُوي، عن القُرْبَري³⁶، وكان سماعهما من أبي الوفاء سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة بأصبهان.

ومن الفوائد المتعلقة بهذا السند أن العِيَّار هو الذي كان يرحل إلى البلاد لرواية الصحيح، ومن جملة البلاد التي دخلها أصبهان، فسمع منه جمع من أهل أصبهان، منهم أبو الوفاء هذا الذي روى القزوانة عنه، وكذا والد أبي القاسم التَّيْمِي، فإنه روى في كتبه أحاديث البخاري من طريق أبيه أبي جعفر، عن العِيَّار عن الشَّيْبُوي³⁷.

31- ينظر: التقييد لابن نقطة، 203، وتذكرة الحفاظ 3/192، وسير أعلام النبلاء 16/481.

32- الأنساب، 4/6. وهذا فيه نظر -والله أعلم-، فإنَّ أبا بكر ابن مَتَّ سمعه سنة تسع عشرة وثلاث مئة من القُرْبَري.

33- سير أعلام النبلاء 16/521.

34- التدوين، 4/64 (أ287).

35- في ضبطه وجهان: الشَّيْبُوي: بضم الباء المشددة وكسر الواو ويليها ياء النسب. هذا عند الجمهور، وضبطه بعضهم: الشَّيْبُوي، بضم الباء وسكون الواو، وكسر الباء الأولى، وآخرها ياء النسب. ينظر: الأنساب 8/55، وتوضيح المشتبه 5/291. وقد ضبط في مخطوطة التدوين (أ258) بفتح الباء المشددة، فلعلة وجه ثالث، والله أعلم.

36- التدوين، 3/391 (أ258)، 452 (أ269).

37- شرح صحيح البخاري لأبي الفضل التَّيْمِي 3/326.

المطلب الرابع: دخول صحيح البخاري إلى قزوین والعلماء الذين تصدّوا لروايته ونقله فيها

إنّ بداية انتشار صحيح البخاري في قزوین والمحدّثون الذين تصدّوا لروايته في قزوین كان من أواخر القرن الرابع الهجري وبدايات الخامس، ونذكر فيما يأتي أبرز المعتمدين به:

المحدّث أبو الفتح المُحَسَّن بن الحسين الرَّاشدي (ت: بعد 422هـ)، وسبق أنّه روى البخاري عن الكُشْمِيهني والكُشّاني. وقد تولّى أبو الفتح رواية صحيح البخاري في قزوین، وكانت له مجالس الرواية في جامعها في بدايات القرن الخامس الهجري، وقد سمع منه جمع كبير من أهل قزوین ومن الغرباء في مجالس متعددة، وقال أبو القاسم الرَّافعي في بعض مجالس أبي الفتح: «وسمع في الصحيح أبا الفتح الراشدي بقزوین في جماعة جمّة»³⁸، وقد تتبعنا تراجم الذين سمعوا صحيح البخاري من أبي الفتح فكان سماع بعضهم في سنتي ست وسبع وأربع مئة، وبعضهم سنة أربع عشرة إلى سنة ثمان عشرة وأربع مئة، وكان القارئ عليه في بعض تلك المجالس خُداوشت الدّيلمی³⁹.

وهذا يدلّ على استمرار رواية صحيح البخاري في قزوین في هذه السنوات.

أبو إسحاق إبراهيم بن جَمَير العجّلي الخِيارجي (ت بعد 443هـ)، سبق أنّه روى الصحيح عن الكُشْمِيهني، ومن تواريخ مجالسه التي وقفنا عليها سنة اثنتين وثلاث وثلاثين وأربع مئة، وكان القارئ عليه هبة الله بن زاذان (ت: 464هـ)، وسمع بقرائه جمع من أهل قزوین والغرباء. وجاء أيضاً أنّه سمع منه الصحيح سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة الشافعي بن داود المقرئ (ت: 518هـ)⁴⁰.

ثمّ في طبقة تلاميذهما برز ثلاثة في رواية الصحيح، وهم:

أبو بكر محمد بن حامد بن الحسن الكثيري القزويني (ت بعد 490هـ): سمع صحيح البخاري من الخِيارجي وأبي الفتح الراشدي، وتاريخ سماعه من الثاني سنة خمس عشرة وأربع مئة.

وكان له مجالس لرواية صحيح البخاري، ومن السنوات التي وقفنا على روايته للصحيح في قزوین في أواخر القرن الخامس الهجري، سنتا سبع وتسع وثمانين وأربع مئة، وسنة تسعين، سمع منه أهل قزوین والغرباء، وكان يعقد مجالسه في المسجد الجامع بقزوین، ووُصف بعض مجالسه بحضور الجمع الغفير⁴¹.

38- التدوين 3/466 (أ271).

39- ينظر: التدوين 1/170 (ب35)، 1/198 (أ41)، 1/210 (ب43)، 1/212 (أ44)، 1/243 (أ50)، 2/304 (أ152).

40- الأمالي الشارحة 171، والتدوين 1/298 (أ60).

41- التدوين 1/257 (أ50)، 1/306 (أ62)، 4/90 (أ291).

أبو الفتح إسماعيل بن عبد الجبار الماكي (ت: 503هـ)، روى صحيح البخاري عن إبراهيم بن جُمَيْر، ولم نجد تفاصيل عن مجالسه، إلا أنَّ بعض العلماء والفقهاء سمعوا عليه صحيح البخاري، منهم أبو منصور عبد الله بن هبة الله الخليلي، سمع منه سنة أربع وتسعين وأربع مئة، وأبو التَّجِيب عبد الوهاب بن الحجازي، سمع منه سنة تسع وتسعين وأربع مئة⁴².

أبو عمرو الشافعي بن داود بن المختار التميمي المقرئ (ت: 518هـ)، سمع الصحيح من إبراهيم بن جُمَيْر الخِثَارِجِي.

وحدَّث بالصحيح، ومما وقفنا عليه من وقت روايته الكتاب به نهاية القرن الخامس وبدايات القرن السادس، فمن المجالس التي سُمع منه صحيح البخاري ما كان سنتي ثمان وتسع وتسعين وأربع مئة، وكذا سنة إحدى عشرة وخمس مئة.

والشافعي هذا من شيوخ أبي طاهر السَّلَفي، وروى أبو طاهر بعض أحاديث البخاري من طريقه، ولا ندري هل روى عنه الصحيح كاملاً أم بعضه⁴³.

ثم في طبقة تلاميذهم برز جماعة، منهم:

أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الملك الشَّخَاذِي (ت: 531هـ)، سمع صحيح البخاري من أبي بكر الكثيري سنة تسع وثمانين، وسنة تسعين وأربع مئة.

ومن السنوات التي وقفنا على روايته للكتاب فيها سنة تسع وعشرين وخمس مئة، وممن سمع منه أحمد بن شعوبية بن عبد الكافي بن شعوبية القزويني⁴⁴.

علي بن الشافعي بن داود المقرئ القزويني (ت: 533هـ)، تحمَّل صحيح البخاري من والده، ومن الكثيري، والماكي⁴⁵، إلا أننا لم نقف على روايته لصحيح البخاري، وإن حدَّث بكتب أخرى، وممن روى عنه بصورة عامة أبو الفضل الزَّافعي وأبو الخير أحمد بن إسماعيل⁴⁶.

وأخوه: محمد بن الشافعي بن داود المقرئ (ت بعد 537هـ)، سمع صحيح البخاري من أبيه ومن أبي بكر الكثيري، وسمع منه الخليل بن الواقد بن الخليل بن أحمد الخليلي القزويني، ومن السنوات التي سُمع منه صحيح البخاري سنة سبع وثلاثين وخمس مئة⁴⁷.

42- التدوين 3/280 (ب)، 3/364 (ب252).

43- معجم السفر 117، والتدوين 1/326 (أ65)، وتوضيح المشتبه 2/440.

44- التدوين 2/114 (ب118)، 2/182 (أ130).

45- التدوين 3/364 (ب252).

46- التقييد 407، والمختصر المحتاج إليه 174.

47- التدوين 1/290 (ب58)، 2/505 (ب187).

أبو بكر عبد العزيز بن الخليل بن أحمد بن الواقد بن الخليل بن عبد الله الخليلي، من أحفاد الحافظ أبي يعلى، يروي الصحيح عن الشافعي بن داود، وسمع منه وقرأ عليه الصحيح أبو القاسم الزّافعي، وقال في وصفه: «**شَيْخٌ كَانَ لَهُ هَيْئَةٌ وَّوَقَارٌ وَعِبَادَةٌ**»⁴⁸.

ثم في الطبقة التي تليها:

أبو سليمان أحمد بن حَسْنُوَيْهِ الزُّبَيْرِي (ت:564هـ)، روى صحيح البخاري عن الشافعي بن داود، وممن سمع منه صحيح البخاري أبو الفضل الزّافعي (ت:580هـ) ومحمد بن بُندار الكَلَامِي⁴⁹.

أبو الخير أحمد بن إسماعيل الطالقاني القزويني (ت:590هـ)، روى الصحيح عن الفُراوي، عن أبي سهل محمد بن أحمد الحَفْصِي (ت:465هـ) عن الكُشْمِيهْنِي⁵⁰. وأملى الصحيح في جامع قزوين، وسمع منه جماعة⁵¹.

وفي القرن السادس حدّث بعض الغرباء بقزوين بصحيح البخاري، نذكرهم فيما يأتي:

أبو الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم القُشَيْرِي النيسابوري (ت:546هـ)، روى البخاري عن أبي سهل الحَفْصِي، عن الكُشْمِيهْنِي⁵²، وسمع منه أبو الفضل الزّافعي، وسبق ذكره.

وقد شارك أبا الفضل في الرواية عن أبي الأسعد القشيري الكبار في حينه، منهم أبو سعد السمعاني وأبو القاسم ابن عساكر⁵³، قال أبو سعد السمعاني: «**آخر من حدّثنا عنه -أي الحفصي- أبو الأسعد القشيري**»⁵⁴.

أبو الحسن محمد بن أبي بكر الإشفَرَائِينِي الأندَلَقَانِي ثم القزويني، روى صحيح البخاري عن الشريف الزَّيْتِينِي (ت:512هـ)، عن كريمة (ت:453هـ)، وكان يحدّث بصحيح البخاري في قزوين، وقد حدّث في مسجد مراد بقزوين سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة⁵⁵.

48- الأُمالي الشارحة 179، والتدوين 3/190 (221ب).

49- التدوين 1/237 (أ49)، 1/340 (أ58).

50- التقييد لابن نقطة 102.

51- التدوين 3/303 (242أ).

52- التدوين 1/350 (69ب).

53- معجم ابن عساكر 2/1228، والمنتخب من معجم شيوخ السمعاني 3/1827.

54- الأنساب 4/197.

55- التدوين، 1/231 (أ48)، 2/283 (أ148)، 3/199 (223ب).

والشريف الزَّيْتِي هو نور الهدى أبو طالب الحسين بن محمد الهاشمي، عُمِّر اثنتين وتسعين سنة، وهو أصغر الزَّيْتِيِّين، وأخواه أبو نصر محمد بن محمد (ت:479هـ) وطراد بن محمد (ت:491هـ) كانا من المعمرين أيضاً، وكلهم توفوا في عشر التسعين، ولهذا تفرّدوا وكانوا أسند من بقي في زمانهم، ولهم أخ رابع أكبر منهم هو أبو منصور محمد بن محمد، إلا أنه دونهم في الإسناد والشهرة⁵⁶.

علي بن المختار بن عبد الواحد الغَزَنَوِي (ت:572هـ)، وكان يحدث برواية المُسْتَمْلِي، روى الصحيح عن أبي الفتح ناصر بن نصر بن أبي الفوارس، عن أبي نصر محمد بن أحمد المقرئ، عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد المُسْتَمْلِي، عن القَزْبَرِي⁵⁷، وحَدَّث بقزوين بهذه الرواية.

أبو العباس أحمد بن أبي سعد الإِسْفَرَائِينِي (ت:575هـ)⁵⁸، روى الصحيح عن الحافظ أبي الفتيان عمر بن عبد الكريم الدَّهْشْتَانِي (ت:503هـ). وحَدَّث بصحيح البخاري بخانقاه الأمير الزَّاهد خَمَازْشَاش العِمَادِي بقزوين سنة سبع عشرة وخمس مئة. ولم نقف على سند أبي الفتيان لصحيح البخاري، لكن يغلب على الظن أنه رواه عن أبي الحسن الدَّاوْدِي عن الخُمُوي، فإنه رحل إلى بوشنج وسمع منه الحديث، فلا يبعد أنه أخذ منه الصحيح، والله أعلم⁵⁹.

56- الإكمال 4/202، والأنساب 6/372، وتاريخ الإسلام 10/448، 705.

57- التدوين، 1/156 (263ب).

58- ترجم ابن الفوطي في مجمع الآداب 2/535 لفخر الدين أحمد بن أبي سعد بن أحمد بن محمد الإسفرائيني، لكن كتبه أبا بكر، والظاهر أنه هو، وتاريخ الوفاة منقولة من كتاب ابن الفوطي، والله أعلم.

59- التدوين 1/466 (90ب)، 2/440 (176أ)، 3/450 (268ب)، والتقييد لابن نقطة 102.

المطلب الخامس: الكتب المصنفة أو المتداولة حول صحيح البخاري في قزوين

انتشرت في قزوين كتبٌ ألّفت حول صحيح البخاري، نذكرها هنا مراعين الأقدم فالأقدم:

(1) المتفق للإمام أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد الجوّزقي (ت:388هـ)، مسند نيسابور في وقته، وصاحب المستخرج على صحيح مسلم، وصاحب الجمع بين الصحيحين.

وذكر من ترجم له ضمن مؤلفاته كتابين: المتفق والمتفق الكبير. أمّا (المتفق الكبير) فهو كتاب حديثي كبير، ذكر ابن الصلاح أنّه في ثلاث مئة جزء يرويه أبو عثمان الصّابوني (ت:449هـ) عنه⁶⁰.

أمّا المتفق فكنا نظنّ أنّه الجمع بين الصحيحين، والذي طبع باسم: «الصحيح من الأخبار المجتمع على صحتها البخاري ومسلم»⁶¹، لكن ما حملنا على التوقف في ذلك أمران: الأول: الأحاديث المستندة المنقولة من المتفق، والثاني: نقول العلماء لاسيما ابن حجر من الجمع بين الصحيحين للجوّزقي في كلامه على عدد أحاديث الصحيحين، ولا أثر لكلّ من هذين الأمرين في المطبوع، فهذا الكتاب المطبوع في الأعم الأغلب دُكر الحديث فيه محذوف السند، إضافة إلى أنّه ليس فيه ما نقل ابن حجر من عدد أحاديث الصحيحين⁶²، والله أعلم.

والظاهر -والله أعلم- أنّ المتفق المروي في قزوين هو المستخرج على الصحيحين، والدليل ما نقله ابن حجر: «إنّ الحافظ أبا بكر محمد بن عبد الله الشيباني المعروف بالجوّزقي ذكر في كتابه المسمّى بـ(المتفق) أنّه استخرج على جميع ما في الصحيحين حديثاً حديثاً، فكان مجموع ذلك خمسة وعشرين ألف طريق وأربع مئة وثمانين طريقاً»⁶³. وتتبعنا أربعة أحاديث من الأحاديث التي ذكرها الرافعي في ترجمة من سمع المتفق في قزوين، فتبيّن لنا أنّها كلها في الصحيحين إلا أنّها بسند الجوّزقي نفسه الذي يلتقي مع شيخ مسلم أو شيخ شيخه أو من فوقه، وهذا هو المستخرج، والله أعلم.

60- طبقات الفقهاء الشافعية، 1/204.

61- طبع في مكتبة الرشد بتحقيق الدكتور علي حسين البوّاب، سنة 1428 الموافق 2007م، وبحسب المطبوع فيه 1972 حديثاً. وينظر مقدمة المحقق فقد ذكر تحقيقات نافعة بخصوص اسم الكتاب.

62- ينظر: النكت على ابن الصلاح 1/289، وينظر مقدمة المحقق الدكتور علي البوّاب فقد ذكر تحقيقات مهمة عن مضمون الكتاب.

63- النكت 1/297.

وهذا الكتاب انتشر في قزوین في منتصف القرن الخامس وحدث به الإمام أبو الخیر أحمد بن إسماعیل الطالقانی (ت: 590هـ)، ولم نقف على سنده للكتاب إلا أن الغالب على الظن أنه رواه من طریق الفُراوی، لأن رفيقي رحلته إلى نيسابور وسائر خراسان وهما: أبو سعد السمعاني وأبو القاسم ابن عساكر روياه عن الفُراوی، عن أبي بكر أحمد بن منصور بن خلف المغربي النيسابوري (ت: 460هـ)، عن الجوزقي⁶⁴.

وسمعه من أحمد بن إسماعيل جمع، منهم: محمد بن أبي بكر بن رؤشنائي الزنجاني، ومحمد بن الوفاء النجاد، وأحمد بن سليمان بن الحسين المؤدني، وأبو الفضل العميد بن عبد العزيز، ونصر بن محمد بن قهتار القهتاري القزويني، وهبة الله بن الحجازي القصاب، وغيرهم⁶⁵.

(2) الأحاديث الخمسة والخمسون المستخرجة من المصافحة للبرقاني (ت: 425هـ)، هذه الأحاديث مستخرجة من كتاب المصافحة للبرقاني، وهو في مجلد، مشتمل على الأحاديث التي صافح فيها البخاري أو مسلماً في صحيحيهما⁶⁶، أي استوى عدد الوسائط في إسناده مع عدد الوسائط في إسناد تلاميذ الشيوخ، هذه هي المصافحة. ولم نقف على من انتقى هذه الأحاديث الخمسة والخمسين من كتاب المصافحة، لكن لا يبعد أن يكون البرقاني نفسه، والله أعلم.

وانتشر هذا الكتاب في قزوین من طریق أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الملك الشَّخاذي (ت: 531هـ)، بروايته عن أبي إسحاق الشَّيرازي (ت: 476هـ)، عن أبي بكر البرقاني (ت: 425هـ).

وروى الشَّخاذي الكتاب في قزوین، ومن جملة ما وقفنا عليه من تواريخ في ذلك:

الأول: سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة، وكان بقراءة محمد بن أبي الربيع الغزنائي، وقد سمع في هذا المجلس: أحمد بن محمد الشهرجي⁶⁷، وعبد السلام بن بختيار الخزني، وأبو شجاع محمد بن الحسن الديالآبادي⁶⁸ الصوفي.

وكان أبو إسحاق الشَّخاذي يحدث قبل هذه السنة أيضاً لكننا لم نقف على تاريخ لذلك، إذ سمع أبو المحاسن محمد بن الحجازي بن شُعْبُوَيْه بن غازي، سمَّعه أبوه من الشَّخاذي، وأبوه توفي سنة 523، فحضره مع ولده كان قبل ذلك⁶⁹.

64- تاريخ مدينة دمشق 3/378، وسند السمعي هو المذكور في مقدمة كتاب الصحيح من الأخبار، فإن صاحب النسخة رواه عن أبي سعد عن الفُراوي.

65- التدوين، 1/232 (48)، 2/35 (104)، 45 (105)، 3/438 (266)، 4/165 (304)، 179 (307).

66- إثارة الفوائد المجموعة في الإشارة إلى الفرائد المسموعة للعلائي 1/201.

67- نسبة إلى شهرج، بكسر الزاء وفتحها، من قرى بسطام. الأنساب 7/306.

68- الديالآبادي نسبة إلى الديال آباد قرية من قرى قزوین، وتقع جنوبها، وتبعد عنها 36 كيلومتراً.

69- التدوين، 1/244 (50).

الثاني: سنة أربع وعشرين وخمس مئة، وحضره جمع كثير، منهم: أبو الحسن محمد بن أبي بكر الإسفرائيني الأندقاني.

وهناك كثير من الزّواة لم أقف على تاريخ سماعهم للكتاب من الشّحاذي، منهم: أبو العباس أحمد بن سعيد بن أبي بكر الفارسي الصوفي، وإسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن محمد الصوفي المقرئ، وأبو الفضل الرّافعي (ت: 580هـ)⁷⁰.

ثمّ في الطبقة التالية: حدّث بالكتاب عطاء الله بن علي بن بَلْغُويّة (ت: 578هـ)، ومن السنوات التي حدّث فيها بالكتاب سنة تسع وستين وخمس مئة، وسمع منه محمد بن إبراهيم بن منصور الخرقاني⁷¹.

وقد روى ابن حجر المنتقى من المصافحة وهو أربعون حديثاً، وسماه الحافظ: (مسند الأحاديث في المصافحة للبرقاني)⁷².

(3) الجمع بين الصحيحين لأبي عبد الله الخُمَيْدي (ت: 488هـ)، حدّث بهذا الكتاب في قزوین أبو العباس أحمد بن أبي سعد الإسفرائيني سنة ست وخمس مئة، وقرئ عليه في المسجد الجامع، وكان القارئ الإمام مَلِكْدَاد بن علي (ت: 535هـ)، وممّن سمع بقراءته بُنْدَار بن ناصر بن بينمان⁷³.

(4) تجريد الصحاح السّنة لزيين بن معاوية العبّدي الشّرقُسطي ثمّ المكي (ت: 535هـ)، وصفه أبو القاسم الرّافعي بقوله: «كتاب مفيد جمع فيه أحاديث الموطأ، والصحيحين، وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، وسنن النسائي»⁷⁴، ولا يخفى أنّ هذا الكتاب هو أساس كتاب مجد الدّين ابن الأثير (ت: 606هـ) الجليل (جامع الأصول).

وأدخل هذا الكتاب إلى قزوین أبو موسى عيسى بن يوسف بن عبد الرّحمن المغربي الفاسي حين قدّم قزوین سنة اثنتي عشرة وخمس مئة، وقد سمع الكتاب من مصنّفه ززين بمكة، وكان رزين مجاوراً بمكة، وبها توفي، وكان إمام المالكية بالحرم⁷⁵.

ولم أقف على تحديثه بالكتاب إلاّ أنّه أجاز روايته لبعض أهل قزوین، منهم: أبو المحاسن إبراهيم بن عبد الكريم الكرجي (ت: 558هـ)، وأبو غياث محمّد بن عبد القديم المرّزي، وأخواه أبو سعيد عبد الحميد، وأبو يعلى مسعود⁷⁶.

70- التدوين، 1/232 (أ)، 261 (ب)، 288 (أ)، 340 (أ)، 2/261 (أ)، 180 (ب)، 3/176 (أ).

71- التدوين، 2/75 (أ).

72- المعجم المفهرس 141.

73- التدوين 2/179 (ب)، 367 (أ).

74- التدوين، 1/324 (أ)، وكتاب تجريد الصحاح حقّق في رسائل جامعية في جامعة الملك خالد بالمملكة العربية السعودية.

75- التحبير 1/286، والسير 20/204.

76- التدوين 1/324 (أ)، 345 (ب)، 2/113 (أ)، 3/138 (ب)، 3/475 (ب)، 4/86 (ب).

(5) عوالي البخاري، الظاهر أنّ المراد بالعوالي هنا ثلاثيات البخاري، حدّث به في قزوين في خانقاه شهرهيزه سنة تسع وأربع وخمسة مئة: أبو البدائع محمود بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطيب الكشميهني الخطيب (ت: 566هـ)، بروايته عن جدّه أبي الفتح محمد بن عبد الرحمن (ت: 548هـ)، عن أبي الخير الصّغار (ت: 471هـ)، عن الكشميهني (ت: 389هـ)، عن القزيري (ت: 320هـ)⁸¹. ولم نقف على نسخة لرواية أبي البدائع عن جدّه، إلّا أنّ هناك نسخة من ثلاثيات البخاري برواية أبي علي الحسن بن محمد المعروف بالروناج بسماعه من أبي الفتح الكشميهني أي جدّ أبي البدائع⁸²، فقد يكون أبو الفتح هو الذي انتخب هذه العوالي، والله أعلم.

(5) الحاوي للأصول من أخبار الرسول، لأبي الفضل الرافعي القزويني (ت: 580هـ)، وهو كما يقول فيه ابنه: «ضمّنه معظم الأحاديث التي يشتمل عليها ثمانية من الأصول: موطأ مالك ومسند الشافعي والصحاح وجامع أبي عيسى الترمذي وسنن أبي داود وسنن أبي عبد الرحمن النسائي وسنن أبي عبد الله ابن ماجه»⁸³.

وهذا المؤلف له نفاسته لأسبقيته، فهو أقدم طبقة من المجد ابن الأثير (-544 606هـ) إذ ولد أبو الفضل سنة 513 أو 514، فهو أقدم من المجد بنحو ثلاثين سنة. ولا شك أنّ المصنّف اطلع على كتاب رزين، لأنّه دخل قزوين في عهده وقبله، ولا يبعد أن فكرة تصنيف الحاوي جاءت منه، والله أعلم.

81- التدوين، 4/79 (289ب).

82- والنسخة ضمن مجموع في المكتبة العمريّة في دار الكتب الظاهريّة: 113 (98 - 104)، حقّقها عبد الرحيم محمد يوسفان.

83- التدوين، 1/377 (75أ).

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث نسجل أهم ما توصلنا إليه من نتائج في النقاط الآتية:

كانت مجالس سماع صحيح البخاري وإسماعه به من أهم المجالس الحديثية في قزوين، وتصدّى لها كبار المحدثين، واستمرّ تداول صحيح البخاري في قزوين لطبقات عدّة بدءاً من أواخر القرن الرابع.

من أهم المراكز الحديثية التي تدوّل فيها صحيح البخاري بمدينة قزوين: مسجدها الجامع، ومسجد مراد، وخانقاه شهرهيزّه، وخانقاه حُمّا زّاش العِمادي (ت: 530هـ)، ودار أبي طاهر محمّد بن أحمد الجعْفري (ت: بعد 446هـ).

انتشر صحيح البخاري في قزوين من رواية: أبي الهيثم الكُشميّهني (ت: 389هـ)، ورواية أبي إسحاق المُستَملي التلّخي (ت: 376هـ)، ورواية ابن حُمّوية السرخسي (ت: 381هـ)، ورواية إسماعيل بن محمّد بن أحمد بن حاجب الكُشاني السمرقندي (ت: 391هـ)، ورواية أبي علي محمّد بن عمر بن شُبّوية السبّوي المروزي (ت: 380هـ)، جميعهم عن القُرْبري (ت: 320هـ).

بداية ظهور انتشار صحيح البخاري بقزوين كان من أواخر القرن الرابع الهجري على يد اثنين من الرّواة، وهما: الأوّل: المحدث أبو الفتح المُحسّن بن الحسين الزّاشدي القزويني (ت: بعد 422هـ)، بروايته صحيح البخاري عن الكُشميّهني والكُشاني. والثاني: المحدث أبو إسحاق إبراهيم بن جَمير العجّلي الخيّازي القزويني (ت بعد 443هـ)، بروايته عن الكُشميّهني.

من الكتب المتداولة في قزوين المتعلّقة بصحيح البخاري: المتفق للإمام أبي بكر محمّد بن عبد الله بن محمّد الجوّزقي (ت: 388هـ)، والأحاديث الخمسة والخمسون المستخرجة من المصافحة للترّقاني (ت: 425هـ)، وهو مشتمل على الأحاديث التي صافح فيها البخاريّ أو مسلماً في صحيحيهما، والجمع بين الصحيحين لأبي عبد الله الخُمّيدي (ت: 488هـ)، وعوالي البخاري برواية أبي البدائع محمود بن محمّد بن محمّد بن عبد الرحمن الخطيب الكُشميّهني الخطيبي (ت: 566هـ)، بروايته عن جدّه أبي الفتح محمد بن عبد الرحمن (ت: 548هـ)، عن أبي الخير الضّفّار (ت: 471هـ)، عن الكُشميّهني (ت: 389هـ)، عن القُرْبري (ت: 320هـ)، وتجريد الصحاح السّنة لزيّن بن معاوية العبّدي السّرخسّي ثمّ المكي (ت: 535هـ)، والأربعون من رواية المحمّدين للفراوي (ت: 530هـ) بتخريج أبي المحاسن الطّبيسي (ت: 537هـ)، وهي أربعون حديثاً من صحيح البخاري، والمراد الأحاديث المسلسلة بالمحمّدين من الإمام الفّراوي إلى شيخ شيخ البخاري.

من تصانيف القزّاونة الحاوي للأصول من أخبار الرسول، لأبي الفضل الرّافعي القزويني (ت: 580هـ)، وهو من المحاولات الأولى في الجمع بين الكتب الستة.

هذا وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

إثارة الفوائد المجموعة في الإشارة إلى الفرائد المسموعة لصالح الدين العلّائي: (ت: 761هـ)، تح: مرزق بن هياس الزهراني، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م.

الأذكار، للنووي (ت: 676هـ)، تح: عبد القادر الأرنبوط، دار الملاح بدمشق، 1391هـ/1971م.

أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين ابن الأثير (ت: 630هـ)، تح: علي معوض، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ/1996م. الأُمالي الشارحة لمفردات الفاتحة لأبي القاسم الرافعي (ت: 623هـ)، تح: محمد بكر زهران، دار الفاروق الحديثة بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1432هـ/2011م.

الأنساب لأبي سعد السمعاني (ت: 562هـ)، تح: عبد الرحمن المعلمي وغيره، مطبعة الكتبي بدمشق، الطبعة الأولى 1396 و1401هـ.

بُغْيَةُ الطَّلَب في تاريخ حلب لابن العديم (ت: 660هـ)، تح: المهدي عيد الرواضية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ومركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن، الطبعة الأولى، 1438هـ/2016م.

تاريخ الإسلام للذهبي (ت: 748هـ)، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب ببيروت، الطبعة الأولى، 2003م.

تاريخ كُزَيْدِه -باللغة الفارسية- لحمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر المستوفي القزويني (ت: 730هـ)، تح: عبد الحسين نوائي، مؤسسة انتشارات أمير كبير، طهران، 1960م.

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (ت: 571هـ)، تح: علي شيري، دار الفكر ببيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.

التدوين في أخبار قزوين لأبي القاسم الرافعي (ت: 623هـ)، تح: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية ببيروت، 1408هـ/1987م.

تذكرة الحفاظ للذهبي (ت: 748هـ)، دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الثانية، 1333هـ.

التكملة لوفيات النقلة للمنذري (ت: 656هـ)، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الثانية، 1401هـ.

التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة (ت: 629هـ)، تح: كمال الحوت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م.

توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، لابن ناصر الدين الدمشقي (ت:842هـ)، تح:محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى، 1993م.

ذيل تاريخ بغداد لابن النجار، دار الكتاب العربي ببيروت.

سير أعلام النبلاء للذهبي (ت:748هـ)، تح:شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ/1996م.

شرح صحيح البخاري لأبي القاسم التميمي المعروف بـقوام السنة الأصبهاني (ت:535هـ)، تح:عبد الرحيم العزاوي، دار أسفار الكويت، الطبعة الأولى، 1442هـ/2021م.

شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (ت:676هـ)، المطبعة المصرية بمصر، الطبعة الأولى، 1347هـ/1929م.

طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح (ت:643هـ)، تح:محيي الدين علي، دار البشائر ببيروت، الطبعة الأولى، 1992م.

مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي (ت:723هـ)، تح:محمد الكاظم، وزارة الثقافة، إيران، الطبعة الأولى 1416هـ.

المسالك والممالك لابن خُزْدَادْه (ت: نحو280هـ)، مصورة دار صادر بيروت عن طبعة ليدن، 1889م.

المشيخة لابن الجوزي (ت:597هـ)، تح:محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثالثة، 2006م.

معجم البلدان لياقوت الحموي (ت:626هـ)، دار صادر بيروت، 1397هـ/1977م.

معجم السفر لأبي طاهر السلفي (ت:576هـ)، تح:عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية بمكة المكرمة.

معجم الشيوخ لابن عساكر (ت:571هـ)، تح:وفاء تقي الدين، دار البشائر ببيروت، الطبعة الأولى 1421هـ/2000م.

المعجم المفهرس لابن حجر العسقلاني (ت:852هـ)، تح:محمد شكور الميادين، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م.

المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور للـصُرَيْفِينِي (ت:641هـ)، تح:خالد حيدر، دار الفكر ببيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ/1992م.

المنتخب من معجم شيوخ السمعاني (ت:562هـ)، تحقيق:موفق عبد القادر، دار عالم الكتب بالرياض، الطبعة الأولى، 1417هـ/1996م.

النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر العسقلاني (ت:852هـ)، تحقيق:ربيع المدخلي، دار الراية بالرياض، الطبعة الثانية 1415هـ/1994م.



Sahih al-Bukhari in the City of Qazvin: Its Narrations and Preservation

Researchers: **Abdullah Muhammad charbgoo and Prof. Dr. Qasim Ali Saad**

This research sheds light on the narration and spread of «Sahih al-Bukhari» in the city of Qazvin, one of the most significant cities in the Jibal region. Qazvin was home to renowned scholars such as Ibn Majah (d. 273 AH), Abu Ya'la al-Khalili (d. 446 AH), Abu al-Khayr Ahmad bin Ismail al-Talqani (d. 590 AH), and Abu al-Qasim al-Rafi'i (d. 623 AH), among others.

The study begins with an introduction providing a brief overview of Qazvin, followed by five main topics:

- The importance of «Sahih al-Bukhari» to the scholars of Qazvin.
- The centers of hadith study where «Sahih al-Bukhari» was taught.
- The various narrations of «Sahih al-Bukhari» that were prevalent in Qazvin.
- The historical trajectory of «Sahih al-Bukhari» in Qazvin, including its arrival and continuity.
- The books that served «Sahih al-Bukhari,» such as compilations, extracts, and explanations.

The conclusion outlines the main findings of the research, including the fact that «Sahih al-Bukhari» spread in Qazvin through five chains of transmission from al-Firabri: the narrations of al-Kushmihani (d. 389 AH), al-Mustamli (d. 376 AH), Ibn Hammuya al-Sarkhasi (d. 381 AH), al-Kushani al-Samarqandi (d. 391 AH), and Abu Ali Muhammad bin Umar bin Shabbuya al-Marwazi (d. 380 AH).

Books related to «Sahih al-Bukhari» that were circulated in Qazvin include:

- «Al-Muttafaq» by al-Jawzqi.
- «The Fifty-Five Hadith Extracted from Al-Musafaha» by al-Burqani (d. 425 AH).
- «The Compilation Between the Two Sahihs» by Abu Abdullah al-Humaydi (d. 488 AH).
- «Tajrid al-Sihah al-Sitta» by Razi bin Mu'awiya al-Abdari al-Sarqasti (d. 535 AH).
- «A'wali al-Bukhari» narrated by Abu al-Badai al-Kushmihani (d. 566 AH).
- «The Forty Extracted from the Sahihs Narrated by the Muhammads» by al-Farawi (d. 530 AH), edited by Abu al-Mahasim Abdul-Razzaq bin Muhammad al-Tabasi (d. 537 AH), derived from «Sahih al-Bukhari.»

If you'd like further refinement or additional insights, just let me know!

Keywords Translation into English: Qazvin, Sahih al-Bukhari, Narrations of al-Bukhari.

الحواضر العلمية في أوزبكستان وأثرها في ازدهار الحياة الفكرية (علم الحديث أنموذجا) (ق4 هـ - 6هـ)

إعداد

الأستاذ الدكتور مسعود مزهودي
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية - جامعة باتنة
الجزائر



مقدمة:

إن المتتبع لتاريخ الحركة العلمية والثقافية والحواضر العلمية يلمس مدى اهتمام علماء الأمة الإسلامية ، ودورهم في التقدم العلمي وأثره الإيجابي في الحياة الإنسانية بشكل عام في أي بلد من بلدان العالم الإسلامي. ولا شك أن العديد من حواضر الدولة الإسلامية قد نالت حظا وافرا واهتماما كبيرا من الباحثين مثل دمشق، بغداد، الكوفة، البصرة، القاهرة، قرطبة، القيروان، وفاس، وغيرها. ومع ذلك فإن العديد من المدن الإسلامية كان لها دور حضاري وتقدم علمي مميز وملفت للنظر إلا أنها لم تحظ بعناية الدارسين كما يجب. ومن بينها مدينة بخارى وضواحيها التي تخرج منها علماء سطوروا للإسلام تاريخا عظيما أبقى لبلدانهم وأسمائهم ذكرا عطرا وثناء حسنا على مر العصور.

إن بلاد ما وراء النهر تحتل مكانة خاصة في تاريخ الحضارة الإسلامية خاصة والحضارة الإنسانية عامة. إذ ساهم العلماء المنحدرون منها في تطوير العلوم الطبيعية والإنسانية. وقد ساهمت بصورة خاصة في إثراء الفكر العلمي على مستوى العالم، أنجبت علماء انحدروا من هذا الإقليم مثل: محمد بن موسى الخوارزمي، أحمد الفرغاني، أبو ريجان البيروني، أبو علي ابن سينا، محمود الزمخشري، محمود التشاغميني، مير ضياء أولوغ بك ، علي القوشتشي، والعديد من الآخرين الذين خلفوا تراثا غنيا في مجالات الرياضيات والهندسة والجبر والكيمياء. ولا ننسى فضل بلاد ما وراء النهر وجهودها العظيمة في علم الحديث. ولم تأت هذه الجهود من فراغ بل هناك عوامل كثيرة ساهمت في ازدهار الحركة العلمية في مدن بلاد ما وراء النهر. وسنحاول من خلال هذه المداخلة أن نسلط الضوء على دور الحواضر العلمية في ازدهار الحركة الثقافية والفكرية ، والعوامل المساعدة التي هيأت الظروف لنمو وإبداع علماء بلاد ما وراء النهر.

1. العوامل المساعدة في ازدهار الحركة الفكرية في بلاد ما وراء النهر:

أ. اهتمام السلاطين والوزراء بالعلم والعلماء: مرت بلاد ما وراء النهر بمراحل تاريخية مهمة تداولت حكمها أسرا كان لها اليد الطولي في التقدم والازدهار. إذ عرف حكامها برغبتهم الجارفة في التطور والتحضر ونشر المعرفة والاهتمام بترقية العلوم النقلية والعلوم الشرعية. فكان للطاهريين و السامانيين دور مهم في تشجيع الحركة العلمية، رافقه تقدير واحترام للعلم وللعلماء مما أدى إلى ازدهار ونشاط علمي ملفت للنظر تجلت صورته بتطور المؤسسات العلمية، وتعدد مراكزها. فأضحت مدن بخارى وسمرقند ونسف حواضر علمية يقصدها المتعطشون للعلم من البلاد الإسلامية. وتتفق المصادر على أن الدولة الطاهرية (259-205 هـ) رفعت من شأن العلماء خاصة المحدثين ، مما أدى إلى ظهور عدد كبير من المحدثين. يذكر الذهبي أن الأمير إسماعيل بن أحمد كان معظما للعلماء. ولتأكيد ذلك التقدير نذكر مثلا خروج الأمير نصر بن أحمد بن أسد من عاصمته سمرقند ليستقبل الأمير العالم أبا الهيثم خالد بن أحمد بن خالد الذهلي سنة (264 هـ).¹ كما كان يقوم لأبي عبد الله محمد بن نصر المروزي (294 هـ) مبلغا من المال قدره أربعة آلاف درهم سنويا. ولما أراد الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد بن عيسى المروزي المعروف بعبدان (293 هـ) أن يحج أرسل له مبلغا من المال. وتشير الروايات أنه كانت له أوقاف كثيرة في المدارس والمعلمين والطلبة.²

وعرف عن الأمير منصور بن نوح الساماني (365-350 هـ) تقديره للعلماء وتشجيعه لهم. فهو الذي احتضن الفيلسوف محمد بن طرخان الفارابي (339 هـ) فألف للأمير بعض كتبه ومنها « مبادئ آراء أهل المدينة الفاضلة » و « إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها »³ ويقول الثعالبي عن أبي جعفر محمد بن العباس بن الحسن الأديب حين قدم إلى بخارى أكرم مثواه كعادة الملوك السامانية في معرفة حقوق الناس وأبناء التعمية لا سيما الجامعين إلى كرم النسب شرف الأدب.⁴

إن رعاية السامانيين للنشاط العلمي بمختلف أشكاله جعلهم يعقدون مجالس العلم في قصورهم وبأوقات محددة ومعينة. ولم يقتصر تقدير العلماء والأدباء ورعايتهم والاهتمام بهم على الجهات الرسمية بل ظهر لدى عامة الناس أيضا. يؤكد ذلك ما قاله الباكوي عن بخارى «لم يرى مدينة أهلها أشد احتراماً لأهل العلم

1- إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري: الحياة العلمية زمن السامانيين (261 389-هـ) (999 874 م) رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2000، ص 44-46

2- إحسان ذنون: المرجع نفسه، ص 36

3- شكران خربوطلي: الحياة الفكرية في إقليم خراسان في ظل سلاطين ووزراء العصر السلجوقي، مجلة دراسات تاريخية، عدد 1117 118 - سوري 2012، ص 186

4- الثامري: المرجع السابق، ص 46

من بخارى»، وقال عن ما وراء النهر «الغالب على أهلها الوقف على أهل العلم» وقال القزويني في وصف بخارى «مدينة عظيمة مشهورة بما وراء النهر، قديمة طيبة... لم تزل بخارى مجمع الفقهاء ومعدن الفضلاء، ومنشأ علوم النظر... وتوارثوا تربية العلم والعلماء كابر عن كابر، يرتبون وظيفة أربعة آلاف فقيه، ولم تر مدينة كان أهلها أشد احتراماً لأهل العلم من بخارى»⁵. وكان الناس يحتفلون بالعلماء، فيخرجون لاستقبالهم كما فعلوا مع أبي بكر محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه الفارسي حين قدم إلى بخارى.⁶

ولا يختلف عصر السامانيين عن العصر السلجوقي من حيث الاهتمام بالحياة الفكرية والعلمية والدينية. وعلى الرغم مما يعرف عن السلاجقة أنهم من الشعوب البدوية، ولكن كانوا تواقين للتطور والرقى الحضاري. ولتحقيق ذلك استعانوا برجال أكفاء لخدمة الدولة في مختلف الشؤون الإدارية والسياسية من وزراء وحجاب وكتاب ممن كانت لهم خبرات سابقة في هذه المجالات لدى الدويلات الإسلامية الأخرى في المشرق الإسلامي كالدولة الغزنوية وغيرها. ولهذا استعان السلاجقة بكتاب من الفرس لإدارة شؤون البلاد. وقد تمكن هؤلاء من القيام بدور مهم في إدارة شؤون البلاد خاصة الشؤون العلمية والفكرية. ولتحقيق ذلك شجع سلاطين ووزراء السلاجقة العلماء والأدباء في كل صنف من أصناف المعرفة على الإنتاج والإبداع. وتقدم لهم نظير ذلك المكافآت والجوائز السخية حتى يشيدوا بذكرهم في مقدمات مؤلفاتهم، مما أدى إلى غزارة الإنتاج العلمي في العصر السلجوقي.⁷ وبفضل تشجيع سلاطين السلاجقة ووزرائهم ومحبتهم للعلم وتكريمهم لرجالهم، قام العلماء في بلاد ما وراء النهر بتصنيف كتب التفسير والفقه والحديث. وأصبح كل واحد من هؤلاء العلماء بفضل هذا التشجيع محط أنظار المسلمين في مختلف الأمصار. وكان المسجد هو مركز الإشعاع العلمي الأول. لذلك شجع السلاطين والوزراء بناء المساجد وتعميمها في كل أرجاء الدولة. ففي عهد السلطان طغرل بك (429-455 هـ) انتشر بناء المساجد وكان يقول: «أستحي من الله أن أبني داراً ولا أبني بجوارها مسجداً»⁸ كما كان وزيره عميد الملك الكندري (456 هـ) يحترم الفقهاء ويجلهم في حياتهم ومماتهم.

5- زكريا بن محمد القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت (د.ت)، ص 509

6- نفسه، 50 - 51

7- عبد المنعم حسانين: إيران والعراق في العصر السلجوقي، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، مكتبة النهضة المصرية، 1959، ص 185، عبد الرزاق قنيقي: مدارس التعليم بالمشرق الإسلامي في عهد السلاجقة والزنگيين (459 - 594 هـ) (1066 - 1197 م) رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2016، ص 85

8- البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان 1980، ص 28؛ سالم جمعة العمامي: الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخوارزمي (460 - 622 هـ) (1067 - 1221 م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة بنغازي، ليبيا 2017، ص 128

وفي عهد السلطان ألب أرسلان (455- 465هـ) وابنه السلطان ملك شاه (465- 485هـ) نشطت الحركة الفكرية في إقليم خراسان وما وراء النهر بفضل الوزير العالم نظام الملك الطوسي الذي لم يتفق لغيره ما أتفق له من ازدهار العلماء عليه، وترددهم على بابته، وثنائهم على عدله. وليس غريبا على هذا الوزير اهتمامه بالعلم والعلماء، فهو من أولاد الدهاقين. كانت مجالسه عامرة بالعلماء، مأهولة بالأئمة والزهاد والقراء والفقهاء والصوفية. وكان يجزل عليهم العطاء ويكرمهم أيما إكرام. وتذكر المصادر أن نظام الملك نظم في داره ندوة يوم الاثنين من كل أسبوع، يفد إليها العلماء والأدباء دون التقيد بسنن أو مذهب. ورغب الطلبة في العلم وأغدق عليهم الأموال. كما ظهر في عهده أكابر العلماء الذين ألفوا كتباً كثيرة في مختلف أصناف العلوم. وأصبح لهؤلاء العلماء مدارس يقصدها الطلاب والتي اكتظت بالمدرسين. ومما يؤكد شغف نظام الملك بالعلم والعلماء فإنه كان يقضي مع العلماء أغلب النهار فليل له إن هؤلاء شغلوك عن كثير من المصالح فقال: **«هؤلاء حبال الدنيا والدين والآخرة، ولو جالستهم على رأسي لما استكثرت ذلك»**⁹ وكان عبد الله بن أحمد السمرقندي (ت 516هـ) من كبار المحدثين وأفاضل المتقين. كان يقرأ للوزير نظام الملك على الشيوخ ويعيد عنهم.¹⁰ ومثل العصر الخوارزمي (551- 629هـ) الذي سبق الغزو المغولي لإقليم ما وراء النهر هو الآخر عصر تشجيع العلم وطلابه والعلماء والفقهاء والأدباء، وزخر العصر بالعديد من العلماء.

ب. الرحلة في طلب العلم: تعد الرحلة في طلب العلم من أهم مميزات جهود المسلمين. فقد ارتحل علماء بلاد ما وراء النهر إلى مناطق بعيدة سعياً وراء العلم واكتساب معارف جديدة. وقد ساعد ذلك الدارسين الأخذ بحظ وافر من العلوم المختلفة مما أدى إلى تطور علمي في أغلب العلوم في ذلك العصر. كانت الرحلة في طلب العلم من سمات الحياة العامة في إقليم ما وراء النهر في العصر السلجوقي والخوارزمي. فقد استقبلت مدن ما وراء النهر علماء وطلبة من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، وارتحل العديد من طلبة وعلماء ما وراء النهر إلى كثير من مدن العالم الإسلامي رغبة في التحصيل العلمي، والالتقاء بالعلماء. وكانت الوجهة الأكثر استقطاباً مدن العراق حيث ارتحل الكثير منهم إلى بغداد للاستفادة من علمائها والتفقه عليهم، ثم العودة لتعليم ما تعلموه في مدنهم، ولكن منهم من يستقر لمدة طويلة، ومنهم من زارها وهو عالم كبير كأبي بكر بن محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي (ت 365هـ) الذي كان إماماً أصولياً، لغوياً ومحدثاً وشاعراً، وأبي الفضل أحمد بن علي بن عمر السليماني البيكندي (ت 412هـ) الذي ألف أكثر من أربع مائة كتاب، وأبي محمد عبد الله بن محمد البافى البخاري (ت 398هـ)¹¹ وفي

9- الذهبي: سير أعلام النبلاء تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 11، بيروت 1996، ج 2، ص 449.

10- العمامي: المرجع السابق، ص 133

11- الثامري: المرجع السابق، ص 96

تاريخ بغداد للخطيب كثير من أهل بخارى وسمرقند وترمز والصغانيان وخوارزم وفرغانة والختل والشاش وأشروسنة، قدموا إلى بغداد فحدثوا ودرسوا. ويمكن بعضهم أن يصل إلى أعلى المراتب العلمية بحيث أصبح يدرس أو يملئ في جامع أبي جعفر المنصور، وهو المسجد الذي لا يحدث فيه إلا كبار العلماء.¹²

وكان أهل الحديث من أنشط الطلاب على الرحيل في طلب العلم. فمن علماء سمرقند الذين وصلوا إلى بلدان العالم الإسلامي الإمام الحافظ الرحال أبو محمد الحسن بن أحمد بن قاسم بن جعفر السمرقندي (ت 491 هـ) صاحب الحافظ جعفر بن محمد المستفغري وسمع ببخارى وبلخ وسمرقند.¹³ ويذكر النرخي أن أبا ذر محمد بن يوسف البخاري وهو أحد أصحاب الإمام الشافعي، كان ذا علم وزهد، ومقدما على علماء بخارى، عمل قاضيا ثم طلب الإعفاء وارتحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وفي عودته أقام في العراق مدة ليست قصيرة يطلب علم الحديث، ثم عاد إلى بخارى.¹⁴

ج. الأوقاف وأثرها في ازدهار الحياة العلمية: تعددت أشكال الوقف في بلاد ما وراء النهر والتي تمثلت في المساجد والكتاتيب والمدارس والأربطة وخزائن الكتب الشخصية، ودور العلم العامة، والكتب الموقوفة في المدارس، وحوانيت العلماء والوراقين. والغالب على إقليم ما وراء النهر هو كثرة الأوقاف الأهلية والخيرية والرسمية التي أوقفت فيه. ويؤيد ذلك قول ابن حوقل: «وترى الغالب على أهل الأموال بما وراء النهر صرف نفقاتهم إلى الرباطات وعمارة الطرق والوقوف على سبل الجهاد ووجوه الخير وعقد القناطر إلا القليل من ذوى البطالة، وليس من بلد ولا منهل مطروق ولا قرية أهلة إلا وفيها من الرباطات ما يفضل عمن ينزل به ممن يطرقة. وبلغني أن بما وراء النهر زيادة على عشرة آلاف رباط. وفي كثير منها إذا نزل النازل أقيم علف دابته وطعامه إن احتاج إلى ذلك...»¹⁵ وتدعيما لرواية ابن حوقل يمدنا النرخي بمثال عن الأمير إسماعيل الساماني الذي اشترى قري (شرغ) وجميع ضياعها وعقاراتها وأوقفها كلها على رباط كان قد بناه بباب سمرقند داخل مدينة بخارى.¹⁶ وتضيف المصادر إن قلعة أفشنة بها ضياع، وفلوات هذه القرية وقف على طلاب العلم. كما أوقف الأوقاف على المدارس التي بنيت في كل مدن الإقليم، فكانت توفر الدفاتر والأقلام والورق والطعام والكساء والأموال إلى طلاب العلم كما خصصت بعض الأوقاف للصرف على الفقهاء الذين يؤمون

12- الثامري: المرجع نفسه، ص 103-100

13- العمامي: المرجع السابق، ص 133

14- أبو بكر النرخي: تاريخ بخارى ترجمة وتحقيق أمين عبد المجيد بدوي، نصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، ط 3 (د.ت) ص 18

15- أنظر صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992 ص 386-387

16- النرخي: المصدر السابق، ص 31

المساجين ويعلمونهم ويصلحونهم ليخرجوا من السجن متقنين لعلم من العلوم. وكان لكل مدرسة وقف ثابت. وامتدت الأوقاف لتطول المترجمين الذين كان لهم الفضل في نقل المعارف من لغات أخرى خاصة لغات الحضارات القديمة.¹⁷ وأمام هذه الإمكانيات المادية التي تضمن السير الحسن للمساجد والمدارس والأربطة، وتشجع العلماء على الإبداع، والطلاب على الإقبال على المعرفة، فإنه من الطبيعي جداً أن تولد نهضة فكرية شاملة في بلاد ما وراء النهر. فلا غرابة إذن أن يقول الثعالبي في وصفه لهذه البلاد: «إنها كعبة العلماء، ومجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أنبياء الأرض، وموسم فضلاء الدهر».¹⁸

د. مجالس المناظرة: عرف عن مجالس السلاطين والوزراء وعلية القوم أنها كانت ملتقى لأهل العلم والفقهاء والأدباء. هذه المجالس كانت حافزا في إثراء الحياة الفكرية خاصة مجالس المناظرات والتي كان يشترط أن يكون المتناظرون فيها على قدر كبير من المعرفة والتمكن في شتى العلوم.¹⁹ بل أن بعض تلك المجالس تعقد خصيصا للمناظرات. فكان المتناظران يختاران مكان وزمان وموضوع المناظرة. ويبدو أن أغلب المناظرات كانت تدور حول الأديان والمذاهب، خاصة وأن بلاد ما وراء النهر معروفة بتعدد الأديان. وكان لبعض العلماء مناظرات مع علماء بغداد كأبي الحسن العامري النيسابوري الذي ناظر الحسن بن عبد الله المزرباني السيرافي، وأبي علي الحسين ابن الخضر بن محمد الفشيديزجي البخاري الذي ناظر الشريف المرتضى، وأبي بكر محمد بن أحمد بن منصور الخياط السمرقندي الذي ناظر إبراهيم بن السري الزجاج النحوي.²⁰ ولا شك أن هذه المناظرات وما ينجم عنها من تنافس كبير في الإقبال على العلوم قد تسبب في ظهور نهضة علمية نافست فيها بخارى وسمرقند وخوارزم بغداد والبصرة ودمشق والقاهرة وقرطبة.

17- العمامي: المرجع السابق، ص 174-175.

18- أنظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1983 ج 4، ص 115.

19- عبد الرزاق قنيفي: المرجع السابق، ص 97.

20- الثامري: المرجع السابق، ص 99.

2. المؤسسات التعليمية والتربوية فى بخارى وضواحيها:

أ. **المساجد:** فضلا عن كون المسجد مكانا للعبادة ، فهو المكان الرئيسي الذي كان مقصدا للعلماء وطلبة العلم على حد سواء. وكانت معظم العلوم تدرس في المساجد كدروس الفقه وعلم الكلام واللغة والأدب وغيرها. كانت تدرس على شكل حلقات ومجالس إملاء. وغالبا ما تتعدد هذه الحلقات فى الجامع الواحد بحيث يأخذ الشيخ مكانه فى أول الحلقة ويتحلق ويلتف حوله المستمعون.²¹

وكان لكبار العلماء مساجدهم الخاصة، يقومون بتأسيسها والتدريس بها، ويؤمها من يرغب فى التتلمذ على أيديهم. وكانت تلك المجالس تنظم بحيث يعقد مجلس لكل مدرس فى وقت محدد ثم يتبعه درس لأستاذ آخر. وكان لهؤلاء الأساتذة والعلماء هبة كبيرة. ذكر أن أحد وزراء بخارى كان يتهيب من الكلام فى حضرة الإمام أبي حفص الكبير.²²

ومن بين المساجد المشهورة ببلاذ ما وراء النهر المسجد الجامع الذي أقامه قتيبة بن مسلم الباهلي عند فتح بخارى ، ومسجد فاه، ماخ، والعارض، ومسجد مازكاه وغيرها. وكانت لمساجد بخارى الريادة فى المجال العقائدي مما ساهم فى ازدياد ملموس فى الإقبال على الإسلام من ساكنة حاضرة بخارى خاصة وأنهم اقتدوا بالعرب فى بناء المساجد والتي بلغ عددها حوالي ثلاثمائة وستين مسجدا.²³

وبما أن المسجد كان أهم مؤسسة تعليمية إسلامية فى بلاد ما وراء النهر فقد اهتم الدهاقنة أو الدهاقون²⁴ وغيرهم من ميسوري الحال ببناء المساجد فى أقاليم وراء النهر فى بخارى وسمرقند، وأشروسنة والشاش وكل مدن إقليم ما وراء النهر منذ فتحها سنة (86 هـ) على يد قتيبة بن مسلم الباهلي.²⁵ فعندما تم الصلح مع دهاقين سمرقند ، و كان من شروط الصلح بناء مسجد قبل مغادرة المدينة. فقام الدهاقون ببنائه. وبعد إتمام البناء تم إخلاء المدينة وتسليمها لقتيبة بن مسلم.²⁶

21- علي حسن الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية ، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة 1994 ، ص 148 ، سالم جمعة العمامي: المرجع السابق، ص129

22- الترشيحي: تاريخ بخارى، ص-77، 78، الثامري: المرجع السابق، ص62

23- خالد عزب: بخارى الشريفة تاريخها وتراثها الحضاري، مكتبة مدبولي، ص24، فاميري ارمينوس: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة أحمد الساداتي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1958 ص230، وليد بودانة: المراكز العلمية بمدينة بخارى من الفتح الإسلامي إلى القرن الرابع الهجري، مجلة دراسات وأبحاث، مج12 عدد1 جانفي 2020، ص584

24- دهقان بكسر الدال أو بضمها وجمعها دهاقنة أو دهاقين، وتجمع فى الفارسية دهاقون وهو دخيل فارسي أى لفظ معرب من اللغة الفارسية. والدهقان هو التاجر أو زعيم المدينة ويقال دهقن فلان وتدقن أى كثر ماله. والدهاقين هم تجار المدينة وأهل الحظوة فيها. أو كما يسمى فى الوقت الحالي رجال الأعمال. أنظر ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت (د.ت)، ج5، ص317

25- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر 1964، ج6 ص424

26- الطبري المصدر نفسه، ج6 ص475

يقول ابن الأثير: «فلما تم الصلح وأخلو المدينة وبنو المسجد دخلها قتيبة»²⁷

كما شيد قتيبة داخل قلعة بخارى مسجدا. وعندما تضاعف عدد المصلين، وأصبح المسجد لا يتسع لداخله في ولاية خالد البرمكي على خراسان في زمن الخليفة هارون الرشيد تجمع الدهاقون واتفقوا فيما بينهم على تشييد مسجد جامع بين القلعة والشهرستان وصلوا فيه صلاة الجمعة.²⁸

كما قام الدهاقون ببناء جامع بيكند في بخارى وهو من أجمل الجوامع في بلاد ما وراء النهر، ورد ذكره عند المقدسي عندما وصف مدينة بيكند بأن يحيط بها حصن بباب واحد فيه سوق عامر وجامع في محرابه جواهر. ووصفه أيضا بقوله: «ولها فضائل ولجامعها نور»²⁹. كما وصفه ياقوت الحموي بقوله: «أن مسجد جامع بيكند قد تفوق في بنائه وزخرف محرابه، وليس بما وراء النهر مثله».³⁰ كما قام الدهاقون ببناء مسجد في فرغانة قريب من الإمارة وخارج القلعة. ويتضح جليا من قول ياقوت الحموي «كان بها أربعون منبرا»³¹ يقصد بذلك أربعون جامعاً.

كانت أغلب المساجد الجامعة ذات منبر في بلاد ما وراء النهر مبنية في الأسواق ومربطة بها مثل جامع مدينة بنكث قصبة إقليم الشاش الذي يقع في السوق.³² وكذلك مسجد بلدة نور. يقول النرشخي: «ونور مكان عظيم، وفيها مسجد جامع، وأربطة كثيرة، ويذهب إليها كل عام أهل بخارى والأماكن الأخرى للزيارة. ويغالي أهل بخارى في هذا الأمر فيرون أن من يذهب لزيارة نور تكون له فضيلة الحج وتسمى نور هذه في الولايات الأخرى بنور بخارى. وقد دفن فيها كثير من التابعين»³³ ولا شك أن هذه المساجد تم بناؤها بتكفل تام من الدهاقين باعتبارهم من الطبقات الميسورة ونظير اهتمامهم بالأسواق وتوفير الخدمات فيها حيث كان المسجد مركزا للمدينة والذي يبني بالقرب منه غالبا دار الإمارة والسوق. ففي حديث النرشخي عن قرية ذات الطوايس (الطواويس) ذكر مسجدها الجامع وسوقها الذي يتميز عن بقية الأسواق. بأنه تباع بها سنويا لمدة عشرة أيام من فصل الخريف بقايا السلع المعيبة، وكان يحضر هذه السوق أكثر من عشرة آلاف من التجار.³⁴

27- أنظر: الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت 1997، ج4 ص48

28- بار تولد فأسيلي فلاديميروخيشي: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1996، ص204

29- أبو عبد الله المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة 1991، ص282

30- أنظر: معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت 1995، ج1 ص533

31- المصدر نفسه، ج4 ص253

32- المقدسي: المصدر السابق، ج4، ص276-278

33- النرشخي: المصدر السابق، ص27

34- نفسه، ص28

ويبدو أن أهل بخارى تفننوا في بناء المساجد فقد أشاد النرشخي بالمسجد الجامع الذي بناه (خوان سالار) في بلدة (أسكجكت) من ماله الخاص قائلاً: «كان رجلاً محتشماً كثير العشيرة... بني مسجداً جامعاً في غاية الرواء من خالص ماله، وأنفق عليه مالا طائلاً وأقام به صلاة الجمعة»³⁵ وقد قيل عن المسجد الجامع لمدينة بخارى بأنه «عديم المثال كثير الاحتفال»³⁶ وعلى العموم فقد كانت هذه المساجد مراكز إشعاع فكري، وفي أشهرها كان العلماء يعقدون فيها مجالسهم كالمسجد الجامع، ومسجد غنجار، ومسجد ماخ، ومسجد الشام، وكان إقبال الناس على هذه المجالس بكثرة والدليل أن الناس الذين كانوا يتلقون عن الإمام البخاري الحديث في الجامع الكبير من الكثرة بحيث لا يستطيع صوته أن يبلغهم فكان له ثلاثة من المبلغين، وهم الذين يتلقفون ما يقوله ويعيدونه ليسمعه الناس الذين لا يجدون مكاناً بالقرب من الإمام البخاري.³⁷

ب. المدارس: بلغت الحضارة الإسلامية أوج تطورها ومجدها في العلوم والمعارف وفي مختلف الحواضر الإسلامية الكبرى يوم أولت العناية والاهتمام بإنشاء المدارس والتي ساهمت في نشر العلم والمعرفة. ويعود السبب في إنشائها إلى كثرة الحلقات العلمية في المساجد والتي أصبحت في بعض الأحيان تسبب إزعاجاً للمصلين بالإضافة إلى المناقشات والمناظرات التي تكون في بعض الأحيان حامية الوطيس والتي قد تخرج بأصحابها عن الآداب العامة التي يجب مراعاتها في بيوت الله.³⁸

وقد اختلفت طرائق ومناهج التدريس من عصر إلى عصر. أما الدرس في المدارس فكان على شكل مقرر يومي ينقسم إلى قسمين: فيه جزء إجباري وهو القرآن الكريم والقراءة، واختياري وهو الحساب والتاريخ والشعر والقواعد والبلاغة. وقد اختلف المؤرخون حول بداية نشأة المدارس الإسلامية فمنهم من أرجعها إلى عهد نظام الملك الذي أنشأ المدرسة النظامية سنة (459هـ)، ومنهم من أرجعها قبل ذلك التاريخ بكثير.³⁹ لكن الظهور الفعلي لها كان أول الأمر في شرق العالم الإسلامي. فكانت أولى المدارس من حيث التأسيس والنشأة يعود إلى مدينة بخارى. ومن بين هذه المدارس نجد مدرسة «فارجك» التي احترقت سنة (313هـ). وكذلك مدرسة (كولارتكين) والتي بناها طغرل بك وسميت باسمه بقرب سوق البقالين (جوبة بقالان) ببخارى قبل سنة (348هـ) ومدرسة الإمام أبي بكر بن الفضل في بلدة على

35- نفسه، ص29

36- غزوة شهاب أحمد المصطفى: بلاد ما وراء النهر في كتب الرحالة والجغرافيين، دراسة في أوضاعها العامة، مجلة

التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، عدد 40 سنة 2020، ص188

37- محمد بن ناصر العبودي: في بلاد المسلمين المنسيين بخارى وما وراء النهر، ط1، 1991، ص213

38- آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار المعارف، القاهرة 1968، ص336

39- وليد بودانة: المراكز العلمية في بخارى ص585

رأس سكة درب الحديد في قرية جاجن ببخارى. درس وانتسب إليها الفقيه أبو نصر أحمد بن محمد بن الحارث الجاجني، ومدرسة جوبار والتي شيدها السامانيون في بخارى، ومدرسة بناها أرسلان خان القرخاني في بخارى في حي دروازجة.⁴⁰

ولعل أشهر مدرسة هي مدرسة أبي حفص ببخارى والتي بنيت قبل (361هـ)، أحد فضلاء ومشايخ المدينة. ويعود إليه الفضل في تسمية بخارى ب:قبة الإسلام.⁴¹ وتذكر المصادر أن عدد المدارس في بخارى بلغ في عهد السامانيين ما يزيد عن نظرائها في كل مدن ما وراء النهر، وذلك يعود لحبهم للعلم وللعلماء وتشجيعهم الناس على طلبه.⁴² ومن الأمثلة عن ذلك أن الأمير سعيد بن نصر بن أحمد الذي كان عالماً ذا حلم وكرم وعقل⁴³ وكذلك الأمير إسماعيل الذي عرف برعايته للعلماء وهذا ما جعل الكثير منهم يفدون من أماكن بعيدة ليستكملوا دراساتهم في مدرسته. كما ساهمت مدارس سمرقند كمدرسة قثم بن العباس التي أنشئت قبل سنة (491هـ) بالإضافة إلى مدرسة (سكة حيان) ومدرسة (سكة عمور) التي شيدت قبل سنة (502هـ).⁴⁴

ج. الكتابات: تعد الكتابات من أهم مراكز التعليم في العصور الإسلامية، والتي انتشرت في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية. ويعد هذا الانتشار انعكاساً لوعي المسلمين بشكل عام، وساكنة بخارى وسمرقند بشكل خاص بمدى أهمية تعليم أولادهم استجابة للأوامر الدينية من جهة، وللضرورات الحياتية من جهة أخرى.⁴⁵ وكانت تلك الكتابات هي البداية الأولى لتعليم الصبيان المنهج الأقوم والطريق السديد. كما كانت تؤدي دوراً بارزاً في تعليم الناشئة وتثقيفهم ثقافاً دينية. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الكتابات كانت تتخذ أحياناً المساجد كمقر لها أو قرية منها أو ملحقة بها ثم أبعدت عن المساجد حرصاً على نظافتها.⁴⁶ ومن بين علماء بلاد ما وراء النهر الذين تتلمذوا في الكتاب في أول مشوارهم التعليمي الإمام عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح، والطبيب ابن سينا.⁴⁷

40- انتصار نصيف شاكر: المظاهر الحضارية لمدينة بخارى خلال العصور الإسلامية، رضي الله عنه، 2019، v11 udies

and cul and رضي الله عنه، journal of his رضي الله عنه، 220 orical رضي الله عنه، 220
41- ناجي معروف: مدارس ما قبل النظامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد 1973، مج 22، ص 119، وليد بودانة:

المراكز العلمية بمدينة بخارى، ص 585، انتصار نصيف شاكر: المرجع نفسه، ص 220

42- ارمنيوس فامبري: تاريخ بخارى، ص 109

43- النويري: نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت ج 25، ص 212

44- ميرفت رضا أحمد حسنين: الحياة الثقافية في إقليم الصغد منذ قيام الدولة السلجوقية حتى الغزو المغولي، مكتبة الكتب (د.ت)، ص 154-155

45- مفتاح يونس الرباضي: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول (132-232 هـ)، دار الكتب الوطنية،

بنغازي 2010، ص 59-60

46- عبد الحسين مهدي الرحيم: الحضارة العربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة، طرابلس، 1995، ص 224، إحسان

ذنون: المرجع السابق، ص 55

47- إحسان ذي النون الثامري: المرجع السابق، ص 43

أما عن سن التحاق الصبيان بالكتاب فلم تكن محددة، وإنما شملت المرحلة ما بين الخامسة والسابعة تبعاً لاختلاف نضجهم وتقدمهم في الفهم والتميز. كان الصبية من عامة الناس يتعلمون في الكتاتيب في حين أن أبناء الأمراء والخاصة كان يحضر لهم المؤدبون. من الأمثلة عن ذلك أن الأمير إسماعيل الساماني اتخذ مؤدباً لابنه أحمد.⁴⁸ كما أن والد ابن سينا خصص مؤدباً لابنه يعلمه القرآن، وآخر يعلمه الأدب، وثالث يعلمه الفلسفة. وقد درس هؤلاء ابن سينا وفق منهج تدرجوا فيه بقراءة بعض الكتب ودواوين الشعر والشروح.⁴⁹

وكان مقرر الدراسة يشمل تعليم القرآن الكريم، وعقائد أهل السنة والجماعة وغيرها من العلوم. وكان الاختلاف مقصوراً على المنهج المتبع في طريقة التلقين. ومن بين الذين اشتهروا بتعليم الصبية، وذاع صيتهم في الأفاق محمد بن أبي عدي أبو صالح الأزدي السمرقندي المؤدب (ت 444 هـ) والأديب أبو الفضل محمد بن عمر بن محمد الجنيدي الذي كان هو الآخر مؤدباً في سمرقند.⁵⁰ وكما ساهم الدهاقون في بناء المساجد كان لهم الفضل كذلك في بناء الكتاتيب ملحقة بها بحيث انتشرت في كل أقاليم ما وراء النهر بدءاً من إقليم خوارزم والصغد وأشروسنة والشاش وفرغانة والصغانيان والختل. فما من بلدة صغيرة أو كبيرة إلا وضمت العديد من الكتاتيب التي تعلم القراءة والكتابة والقرآن الكريم والسنة، وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار.⁵¹

د. الأربطة: أطلق الرباط في أول الأمر على المكان أو الثغر الذي يربط فيه الجنود للدفاع عن بلادهم و للجهاد في سبيل الله ضد الغزاة من أهل الشرك، ثم صار يطلق على المكان الذي يربط فيه الصوفية للعبادة. كما صار مأوى وملجأ للعاجزين. وما لبث أن أصبح بمثابة مدرسة يقصدها كبار العلماء والطلبة على حد سواء. خاصة وأنها تؤدي خدمات ثقافية وعلمية ودينية كالوعظ والإقراء والحديث، ومنح الإجازات العلمية، ودراسة الكتب المتداولة في ذلك الزمان. وقد اتخذ العلماء الربط أماكن للدراسة والمطالعة والكتابة والتأليف. وساعدهم في ذلك أهل البر والإحسان الذين أنشأوا فيها الخزائن ووفروا فيها الكتب وعينوا عليها من يقوم بصيانتها وعرضها ليطلع عليها العلماء والفقهاء.⁵²

ومن الأربطة التي أشادت بها المصادر كنموذج لدورها التربوي والتعليمي نذكر رباط كاخشتوان وهي إحدى قرى بخارى حدث به محمد بن سليمان الكاخشتواني

48- النويري: المصدر السابق، ج 25 ص 204

49- الثامري: المرجع السابق، ص 56

50- ميرفت رضا: المرجع السابق، ص 138

51- أمينة سالم جمعة العمامي: الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر، ص 34

52- ميرفت رضا: المرجع السابق، ص 166

البخاري(ت449هـ)، أربطة الأمير الساساني إسماعيل بن أحمد فى بخارى عند باب سمرقند، رباط خدایسر فى اشروسنة بمدينة ديزك، رباط صاحب الصوف حدث به الإمام الحسن بن يوسف البخاري الساماني، ورباط ملك أو الملك وهو رباط شيده الملك قرب قرية خرتنك أو خرچنك.⁵³

وقد عرفت هذه الأربطة انتشارا واسعا فى بلاد ما وراء النهر ليلغ عددها أكثر من عشرة آلاف رباط.⁵⁴ كما بلغت رباطات مدينة بيكند لوحدها ألف رباط.⁵⁵

وتشير المصادر أن جل هذه الأربطة اعتمدت على الوقف، ومن الأمثلة على ذلك أن الأمير إسماعيل الساماني اشترى بلدة(شرغ) وأوقفها بجميع عقاراتها على رباط بناه بباب سمرقند عند مدخل مدينة بخارى.⁵⁶ وقد ظلت الأربطة مكانا لإلقاء الدروس مثل رباط نصر بن جابر بمحلة باب داستان الذي حدث فيه عتيق بن موسى بن شجاع بن يحيى بن موسى بن علي بن الحسين بن علي، ورباط المربع الذي حدث فيه عبد الله بن بشر بن عميرة البكري. بالإضافة إلى رباط الجوبق الذي نظم به أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود ألكعبي البلخي المعتزلي مجلسا للإملاء.⁵⁷

وللحفاظ على ديمومة الرسالة النبيلة التي تؤديها الأربطة كان دهاقو بلاد ما وراء النهر ينفقون الأموال الكثيرة على الرباطات. وفى ذلك قال الإصطخري «وبما وراء النهر صرف نفقاتهم إلى الرباطات ، وعمارة الطرق، ووقف الأوقاف على سبيل الجهاد».⁵⁸ لقد تعددت الرباطات فى المدن التابعة لبخارى، حيث ضمت مدينة نور أربطة كثيرة، ومدينة بيكند عرفت بكثرة رباطاتها. يقول النرشخي: «كان على بابها أربطة كثيرة حتى سنة (240هـ) وقد روى محمد بن جعفر فى كتابه أنه كان لبيكند أكثر من ألف رباط بتعداد قرى بخارى. وكان سبب ذلك أن بيكند مكان عظيم جميل. وقد بني أهل كل قرية هناك رباطا وأقاموا به جماعة وبعثوا بنفقاتهم من القرية».⁵⁹ يقول الإصطخري: «لا يخلو بلد ولا منهل ومفازة مطروقة ولا قرية أهلة إلا بها من الرباطات ما يفضل عمن نزله».⁶⁰ وامتازت مناطق الرباط فى بلاد ما وراء النهر بتعدد خانقاهاتها، والخانقاوات أو الخانات مكان يسكنه أهل الخير والفضل والصوفية. وهناك عدة خانقاهات فى فرغانة والختل وسمرقند وبخارى والشاش وكش.⁶¹

53- انتصار نصيف شاكر: المرجع السابق، ص 222

54- ابن حوقل: صورة الأرض، ص 386

55- الإصطخري: المصدر السابق، ص 290

56- أبو بكر النرشخي: المصدر السابق، ص 31

57- نجم الدين النسفي: القند فى ذكر علماء سمرقند تحقيق يوسف الهادي ، مرآة التراث، طهران 1999 ، ص 303

58- أنظر: المصدر السابق، ص 163

59- النرشخي: المصدر السابق، ص 36

60- أنظر: المصدر السابق، ص 290، غزوة شهاب أحمد المصطاف: بلاد ما وراء النهر فى كتب الرحالة والجغرافيين، (دراسة فى أوضاعها العامة)، مجلة التراث العلمى العربى ، جامعة بغداد، عدد 44 سنة 2020، ص 189

61- الإصطخري: المصدر نفسه، ص 163 ، أحمد عبد العزيز محمود السورجى: الدولة السامانية تاريخها وحضارتها، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان 2020، 257

هـ. المكتبات: يعد الشغف باقتناء الكتب وقراءتها من أبرز الظواهر الثقافية التي ميزت الحضارة الإسلامية ليتعدى ذلك الشغف الى درجة التفاخر بجمعها. وقد عنى أمراء بخارى فى مختلف المراحل التاريخية خاصة فى العهد الساماني بإنشاء المكتبات، واقتناء الكتب القيمة للإفادة منها. ومن بين هؤلاء الأمراء يذكر اسم نوح بن منصور الذي كان مولعا باقتناء الكتب.⁶² حيث كانت له مكتبة ضخمة حوت من الكتب ما يحمل على أربعمئة جمل أو أكثر. ويقال أنها ضمت مائتين وستة آلاف مجلد.⁶³

ومما يدل على ضخامة هذه المكتبة ودقة تنظيمها أنها كانت عبارة عن دار ذات بيوت كثيرة، فى كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها فوق بعض. ففي بيت كتب العربية والشعر، وفى الآخر الفقه بحيث فى كل بيت كتب علم مفردة.⁶⁴ بالإضافة إلى احتوائها على فهرست لتسهيل الإطلاع على محتوياتها من الكتب، لكن لم تكن متاحة لعامة الناس ولا يلج إليها إلا بإذن من السلطان. وقد أعجب الطبيب ابن سينا بهذه المكتبة فقال عنها: «فسألته - يقصد الأمير نوح بن منصور - يوما الإذن لي فى دخول دار كتبهم ومطالعتها، وقراءة ما فيها من كتب الطب. فأذن لي فدخلت دارا ذات بيوت كثيرة، فى كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض..... ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط، وما كنت رأيته من قبل ولا رأيته أيضا من بعد».⁶⁵ ونشير إلى أن الجغرافي المقدسي قد استفاد فى رسم خرائطه من هذه المكتبة أيضا. ولا يفوتنا الإشارة الى أن الإمام البخاري استفاد من مكتبة والده، وأقبل عليها دراسة وتمحيصا ومراجعة.⁶⁶

كما ضم مسجد بخارى مكتبة كبيرة ملحقة به، ظل طلاب العلم والعلماء يستفيدون منها إلى أن أحرقتها المغول حين غزو المدينة سنة (617هـ). وكان لابن سينا هو الآخر خزانة كتب مشهورة ببخارى، وكان الإنفاق عليها يتم من خلال بعض الأوقاف ومع اهتمام ساكنة بخارى بالمكتبات فمن الطبيعي أن يهتموا كذلك بنسخ الكتب وتوفير المواد الضرورية. لذلك شهدت بخارى سوق كبيرة للوراقين وهو السوق الذي اشترى منه ابن سينا كتاب ما بعد الطبيعة للفارابي.⁶⁷

ولم تقتصر المكتبات على بخارى فحسب وإنما عرفت انتشارا كبيرا في سمرقند بفعل تطور صناعة الورق الذي اختصت به دون غيرها من أقاليم بلاد ما وراء النهر.

62- أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة 2012، ص 299

63- سعيد أحمد حسن: أنواع المكتبات فى العالمين العربي والإسلامي، دار الفرقان، عمان 1987، ص 30

64- جمال الدين: القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت 2005، ص 305-306

65- وليد بودانة: المرجع السابق، ص 585

66- الحسيني عبد المجيد هاشم: الإمام البخاري محدثا وفقهيا، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة (د.ت)، ص 26

67- نفسه

وبذلك صارت أكبر مركز لصناعة الكاغد أو الورق. وانتشرت حوانيت الوراقين بفرغانة التي لم تكن مجرد محلات أو أسواق لبيع الورق والكتب ولوازمها فقط بل كانت ملتقى للعلماء والفقهاء وطلاب العلم. وكانت أيضا حلبة للمناقشات والمناظرات والجدل بين العلماء.⁶⁸

3. علم الحديث في بخارى:

إن الحديث عن موضوع نشأة وتطور علم الحديث في بخارى وارباضها كنتيجة للنهضة الفكرية التي شهدتها بلاد ما وراء النهر لا يمكن الإلمام به في هذه المداخلة ولكن سنحاول الحديث إجمالاً عن رجال الحديث ومؤلفاتهم ودورهم في إثراء العلوم الشرعية، ومساهماتهم في تطور علم الحديث في العالم الإسلامي.

لقد اهتم علماء بلاد ما وراء النهر بشكل ملفت للنظر بعلم الحديث. فلم تخل مدينة ولا بلدة صغيرة من مدن وبلدات الإقليم من ذكر محدث أو أكثر، والذين كرسوا حياتهم في جمعه وتصنيفه وضبطه وتنقيحه. وقد اهتم أمراء الدولة السامانية بالمحدثين، وعدت فترة حكمهم للبلاد هي فترة التدوين والبحث في ثقافة ورواية الحديث وضعفائهم. وبرز العديد من المحدثين أيام السامانيين أمثال عبد الله بن سريج بن حجر البخاري الذي قال: «حفظت عشرة آلاف حديث من غير تكرير». ووصفه أبو طالب النسفي بأنه «كان عارفا باختلاف العلماء، بصيرا بالحديث، عارفا بصحيحه من سقيمه».⁶⁹

كم اشتهر الإمام أبو حفص الكبير (150 - 227هـ)، فهو من كبار فقهاء بخارى، ومن تلاميذ محمد الشيباني. كان معاصرا للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، وابنه أيضا من المشاهير ويعرف بأبي حفص الصغير. وقد صارت بخارى بسببه قبة الإسلام. والسبب هو أن أهل بخارى تعلموا وانتشر فيها العلم، وصاروا أئمة وعلماء محترمين بفضل علمه. وبلغ ابنه أبو عبد الله من العلم بحيث أنه حين كانت تعود القافلة من الحج كان علماؤها يأتون إلى الإمام أبي حفص ويسألونه، فكان يقول لهم: إنكم آتون من العراق فلم لم تسألوا علماء العراق؟ فكان أحدهم يقول: «لقد ناظرت علماء العراق في هذه المسألة فلم يستطيعوا الجواب، وقالوا لي: «حين تصل إلى بخارى سل السيد الإمام أبا حفص البخاري أو أحد أبنائه».⁷⁰ وهذه الرواية تؤكد أن بخاري تفوقت على بغداد في بعض فروع العلوم الشرعية. ومن

68- العمامي: المرجع السابق، ص 127، 125، إيهاب نبيل رفاعي: الدور الثقافي والسياسي للمؤسسات العلمية الرسمية في خراسان خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، دورية كان التاريخية، عدد 58 سنة 2022، ص 75

69- فاطمة أحمد محمد حسن: الحياة الثقافية والفكرية في مدينة نسف منذ الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة العباسية، مجلة كلية الآداب بققنا، جامعة جنوب الوادي، مصر، عدد 54 سنة 2022، ص 69

70- الترشيحي: المصدر السابق، ص 86- 87

محدثي بخارى - التي لم يقتصر علماء الحديث على مدنها بل تعداها إلى القرى - أبو المظفر عبد الكريم بن أبي حنيفة بن العباس الأندقي المحدث، نسبة إلى قرية أندق القريبة من بخارى. ومن الأسر التي اشتهرت كلها بالحديث فى بخارى أسرة البرقي، وأصل الأسرة ورئيسها المحدث أبو عبد الله بن أحمد بن محمد بن شاه الخوارزمي البرقي. كان إماما فى الفقه على مذهب أبي حنيفة. حدث بمساجد بخارى ونسف وخوارزم. ومنهم أبو علي محمد بن علي بن إسماعيل الخجادي، كان ثقة حافظا راويا، ولد بقرية خجاد التابعة لبخارى.⁷¹

كما أولى علماء مدينة نسف اهتماما كبيرا بدراسة علم الحديث ، وألفوا فيه العديد من المصنفات. ومن العلماء الذين بلغت شهرتهم الآفاق فى مدينة نسف وضواحيها أبو زيد طفيل بن زيد التميمي النسفي (ت279هـ) الذي روى الحديث عن العديد من العلماء كما تولى منصب القضاء لأكثر من خمسين سنة.⁷²

إن القرن الثالث الهجري يمثل العصر الذهبي لعلم الحديث فى بلاد ما وراء النهر عامة وبخارى خاصة. فقد ظهر فيه كبار أئمة الحديث، وتم فى هذا العصر تدوين السنة النبوية. ويعد محمد بن سلام بن فرج البخاري أبو عبد الله البيكندي من أقدم المحدثين وأشهرهم ببلاد ما وراء النهر. فقد ولد سنة (162هـ) فى مدينة بيكند، إحدى قرى إقليم بخارى الواقعة على أطراف نهر جيحون فنسب إليها. ولحرصه على علم الحديث ارتحل إلى مختلف الحواضر. فبدأ بإقليم خوارزم المتاخم لإقليم بخارى، فسمع بها عبد الكريم بن الأسود البصري، ومغيرة بن موسى. أما الوجهة الثانية فكانت إلى بغداد فسمع بها من أبي الأحوص سلام بن سليم، وأبي إسحاق الفزاري وسفيان بن عينية، وغيرهم.⁷³

لقد شغل حب طلب العلم ابن سلام عن الدنيا كلها. لم يكن له هم سواه. قال: «لم أجلس فى سوق بيكند منذ أربعين سنة». ويتضح من خلال المصادر وكتب الطبقات والسير والتراجم أن ابن سلام قد طاف معظم أنحاء العالم الإسلامي، وسمع عن العديد من مشايخ زمانه حتى وصل عدد شيوخه إلى الأربعمائة. واستطاع من خلال رحلاته العلمية الطويلة أن يجمع كثيرا من علم الحديث، فكان يحفظ نحو من خمسة آلاف حديث.⁷⁴

وتجدر الإشارة إلى أن علاقة ابن سلام بعلماء عصره كانت طيبة للغاية على الرغم من اختلاف المذاهب الفقهية ومنها - على سبيل المثال - علاقته بشيخ الأحناف

71- العمامي: الحياة الفكرية، ص 297

72- فاطمة أحمد: المرجع السابق، ص 211-212

73- محمود محمد السيد خلف: جهود المحدثين فى بلاد ما وراء النهر خلال القرن الثالث الهجري (البخاري نموذجاً)، مجلة مدارات تاريخية، مج 3 عدد 3 سنة 2019، ص 38

74- محمود محمد: المرجع نفسه، ص 40

ببخارى الإمام أحمد بن حفص. قال الذهبي: «كان بينه وبين أحمد بن حفص مودة وأخوة، وكل واحد منهما مخالف للآخر في المذهب».⁷⁵

ذاعت شهرة ابن سلام البيكندي في العالم الإسلامي بصفته محدث ثقة. فاقبل عليه طلاب العلم ينهلون من علمه، ويتعلمون من خلقه. ويمكن القول أن ابن سلام قد نجح في تكوين حركة علمية في مدينة بخارى، رغبت الطلبة في دراسة علم الحديث وعلموه، فأنجبت لنا هذه الحركة كثير من أئمة علم الحديث يأتي في مقدمتهم الإمام محمد بن إسماعيل البخاري الذي روى عن شيخه ابن سلام في كتابه الجامع الصحيح، ومحمد بن إبراهيم البكري، وطفيل بن زيد النسفي، وعبد الله بن واصل، وأبو عمر محمد بن بجير السمرقندي وعبد الله بن عبد الرحمان الدارمي.⁷⁶ ومن نافلة القول أن جمع الحديث خطأ خطوة جديدة في بخارى وما جاورها. فقد كان العديد من المحدثين الأوائل يقتصرون في حديثهم على ما يجمعون من أحاديث بلدانهم، فمالك بن أنس يجمع أحاديث الحجاز وخاصة أهل المدينة، وابن جريج أحاديث الحجازيين وخاصة أهل مكة. صحيح وجد من المحدثين الأولين من رحل إلى غير بلده، ولكن البخاري وسع هذه الدائرة وسن سنة لمن بعده من المحدثين في الإمعان في الرحلة لطلب الحديث. فالبخاري زار كلا من: بلخ، مرو، نيسابور، الري، بغداد، البصرة، الكوفة، مكة، المدينة، مصر، دمشق، قيسارية، عسقلان، وحمص.

وأقام في هذه الرحلات نحو ستة عشر عاما.⁷⁷

وقد ذكر بعض المؤرخين أن ابن سلام البيكندي صنف في كل باب من أبواب العلم غير أنه لم يذكروا لنا أسماء مصنفاته. وعلى العموم يعد ابن سلام البيكندي أقدم من رحل في طلب علم الحديث من بلاد ما وراء النهر، وأول من نجح في تكوين حلقة علمية كبرى في مسجد بخارى. هذه الحلقة التي أنجبت أئمة الحديث العظام. وكانت في نفس الوقت تمهيدا لظهور المصنفات الكبار في السنة النبوية من أمثال سنن الدارمي، وصحيح البخاري.⁷⁸

ويبدو أن مدينة بيكند قد حازت قصب السبق في علم الحديث، فإليها ينسب كذلك إسماعيل بن حمدويه البيكندي البخاري، وغريير بن الأحنف بن الفضل المكنى بأبي عصمة البخاري الذي سمع ببلدة بخارى، وارتحل إلى بلخ ونيسابور وبغداد ودمشق ومصر.⁷⁹

75- الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت 1991، ج16 ص 359 وما بعدها

76- محمود محمد: جهود المحدثين، ص40

77- أحمد أمين: ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ج2، ص110،

78- نفسه

79- نفسه، ص56

خاتمة:

ومما سبق يتضح أن عملية جمع وتدوين الحديث في بخارى وغيرها من مدن ما وراء النهر كانت تتماشى وتسائر حركة الجمع والتدوين التي عرفت بها باقي العلوم الأخرى في جل الحواضر الإسلامية، فكانت البداية المتواضعة على يد المحدث ابن سلام البيكندي(ت225هـ) ثم انتقلت إلى مرحلة الانطلاق على يد الإمام الدارمي السمرقندي(ت255هـ) ثم وصلت إلى مرحلة النضج والازدهار على يد الإمام محمد بن إسماعيل البخاري(ت256هـ)، ثم كانت مرحلة التقليد على يد مجموعة من المحدثين المغمورين الذين لم تحفظ لنا المصادر سوى أسمائهم وتاريخ وفاتهم.⁸⁰

والملاحظة الأخرى أن أهل الحديث في بلاد ما وراء النهر لم يكونوا من مدينة واحدة بل كانوا من معظم مدن الإقليم: بخارى، نيسابور، فرغانة، الشاش، سمرقند، خوارزم، وبيكند، وإن حصلت الأخيرة على المركز الأول من بين تلك المدن. فقد ظهر فيها ستة من المحدثين أولهم من المشهورين وخامستهم من المغمورين. وتجدر الإشارة كذلك إلى أن علم الحديث قد وصل إلى أقصى درجات النضج العلمي خلال القرن الثالث الهجري وذلك بظهور كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري. والملاحظ كذلك أن بلاد ما وراء النهر لم تشهد الاستمرارية في التأليف في علم الحديث بعد الإمام البخاري.⁸¹

ونشير كذلك إلى أن إسهامات علماء بلاد ما وراء النهر في الحياة العلمية كانت في الغالب في مجال علم الحديث والفقه أكثر من العلوم الأخرى وبشكل كبير. إذ انتشر فيها الفقه الشافعي والحنفي على الرغم من نبوغ بعضهم في مجالات أخرى مثل البيروني، ابن سينا، الخوارزمي، الفارابي، الجرجاني، والسجستاني.

ومن نافلة القول أنه خلال الحكم الساماني لبلاد ما وراء النهر اكتسب الفكر الإسلامي مكانة مهمة في هذا الإقليم وبخاصة في سمرقند حيث كتبت معظم الأعمال التي تم إنتاجها باسم الفكر الإسلامي في بلاد ما وراء النهر وعلى وجه الخصوص في سمرقند. وقد برز علماء سمرقند على أنهم هم العلماء في آسيا الوسطى الذين يمثلون الفكر السني للمذهب الحنفي.⁸²

80- محمود محمد: المرجع السابق، ص 58

81- ت محمود محمد: المرجع السابق، ص 60-59

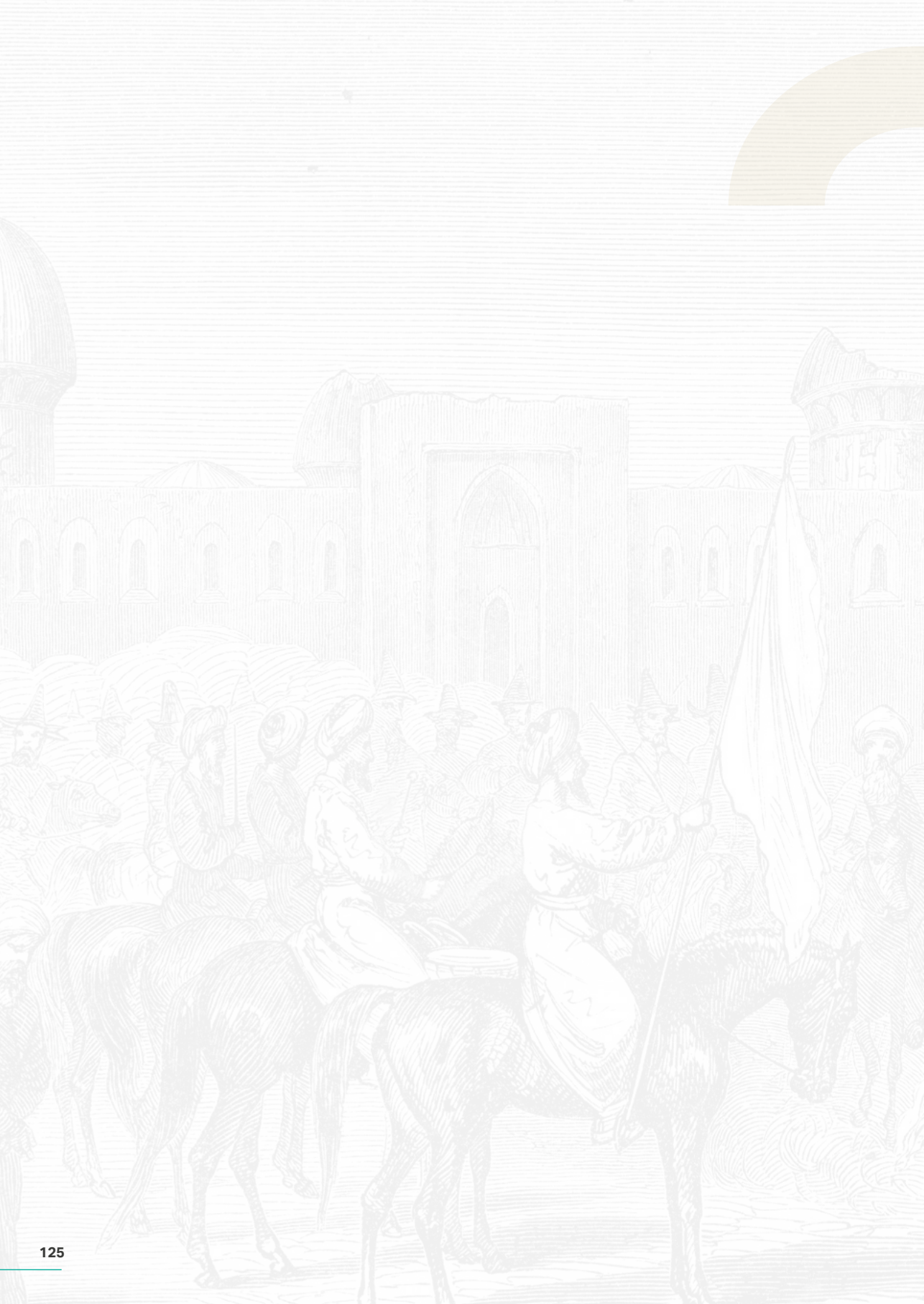
82- عثمان آيدنلي: البيئة العلمية التي نشأ فيها الإمام الماتريدي ومراكز العلوم في سمرقند، المجلة العلمية لرئاسة الشؤون الدينية التركية، عدد4 سنة 2022، ص 305

مشاهير علماء الحديث في بخارى في القرن الثالث والرابع والخامس الهجري⁸³

إسم ولقب العالم	تاريخ الميلاد والوفاة	التخصص	المدينة	المؤلفات
أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بردزية البخاري	(194هـ) (256هـ)	علم الحديث	بخارى	- الجامع الصحيح - قضايا الصحابة والتابعين - التاريخ الكبير - التاريخ الأوسط - التاريخ الصغير - الأدب المفرد - القراءة خلف الإمام - بر الوالدين - خلق أفعال العباد - كتاب الضعفاء - الجامع الكبير - المسند الكبير - التفسير الكبير - كتاب الأشربة - كتاب الهبة - كتاب الوحدان - كتاب المبسوط - كتاب العلل - كتاب الكنى - كتاب الفرائد - أسامي الصحابة
عبد الله بن عبدويه بن النضر بن خشتيار	(ت280هـ)	علم الحديث	بخارى	
أبو صالح خلف بن عامر بن سعيد الهمذاني البخاري الحافظ	(282هـ)		بخارى	
أبو سعيد أحمد بن عمر البخاري	(ت293هـ)	الحديث والفقه	بخارى	
أبو إبراهيم إسماعيل بن محمد بن صاحب الجويباري	(ت320هـ)	فقه وحديث		
أبو سعيد الهيثم بن كليب بن شريح بن معقل الشاشي	(ت335هـ)	الحديث		

⁸³- النرشخي: تاريخ بخارى، النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند، الثامري: الحياة العلمية زمن السامانيين، العمامي: الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر

إسم ولقب العالم	تاريخ الميلاد والوفاة	التخصص	المدينة	المؤلفات
أبو موسى هارون بن أحمد بن هارون الخراذيني	(ت343هـ)	الحديث	من قرية خرادين	
أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي	(ت348هـ)	الحديث والتاريخ		تاريخ بخارى
أبو الحسن السردري البخاري	297هـ - 370هـ	الحديث	كان على قضاء نسف وسمرقند	
أبو الحسن الزندني البخاري	(ت395هـ)	الحديث		
أبو الحسن الاسماعيلي البخاري	(ت401هـ)	الحديث		
أبو عبد الله طاهر بن محمد الصوفي البخاري المعروف بالحدادي الواعظ	(ت406هـ)	الحديث	صاحب تصانيف في الزهد والتذكير منها كتاب عيون المجالس وسرور الدارس	
عبد الله بن خالد البخاري	(ت241هـ)	الفقه والحديث		
الإمام أبو الليث الضريري البخاري	(ت258هـ)	الحديث		
أبو عبد الله البزدوي البخاري	(ت261هـ)	الحديث		
أبو صالح شعيب بن الليث الكاغدي	(ت272هـ)	علم الأنساب		
الإمام إبراهيم التركاتي البخاري	(ت409هـ)	الحديث		
أبو رافع العلاء الخطاب البخاري	(ت415هـ)	الفقه والحديث		
عبد الرحمن المطوعي البخاري	(ت423هـ)			
أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسين الخثروان	(ت480هـ)	الحديث		
أبو حامد بن عيسى المؤدب الترنواذي البخاري		الفقه والحديث	من قرية ترناوذ	
القاضي الإمام القديدي البخاري	(ت483هـ)			المختصر والتجنيس والميسوط مشاهير الفتاوى



دور أوزبكستان و بلاد ما وراء النهر في ازدهار علم الحديث

إعداد

الباحث/ كيمو بن محمد كوندي

باحث في مرحلة ماجستير بكلية دار العلوم-جامعة القاهرة/ قسم الشريعة الإسلامية



مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيّد الأولين والآخرين محمد الأمين، وعلى آله الطيّبين الطاهرين، ورضي الله عن أصحابه المجاهدين، ورحم التّابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يقوم فيه الناس لرب العالمين.

وبعد: فإنه غير خافي على أحد من أهل العلم والمعرفة وأولي الألباب والنهى أن السنة النبوية المطهرة المتمثلة في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته، تمثّل بجملتها: النموذج الأمثل الذي يجب أن يحرص المسلم على الوصول إلى معرفته والاهتداء بنوره.

ولذلك أمرنا الله عز وجل بالاعتداء برسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في كافة مجالات الحياة فقال: **((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا))** الأحزاب: آية [21].

وفضلا عن هذا، فقد أدرك أعداء الإسلام قديما وحديثا أهمية السنة النبوية المطهرة ومكانتها من الإسلام، ودورها في بناء الأمة وتثبيت أركانها وبناء أفرادها، وحاولوا منذ القدم إيقاف هذا السبيل النوراني، والفيض الرباني، فوضعوا في طريقها الشبهات لنفي حقيتها، واجتثاث قدسيّتها من القلوب، وقطع صلة المسلم بها! فإن الله تبارك وتعالى قيض لهذه الأمة أئمة من أعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين حموا السنة النبوية الشريفة من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين مصداقا لقول سيّد المرسلين، وإمام العارفين، محمد الأمين في حديث الذي أخرجه الإمام البيهقي في سننه عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين))**¹.

1- صححه الشيخ الألباني وقال في مشكاة المصابيح صحيح، ينظر ص 53/1.

وقوله أيضا في حديث الصحابي الجليل أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجدد لها دينها))**، وفي رواية أخرى: **((من يجدد لها أمر دينها))**².

وبناء على هذا، تأتي هذه الوريقات القصار المتواضعة لتسلط الضوء على دور علماء أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في تطوير علم الحديث وازدهاره، وذلك نظرا لما قدمته علماء هذه المنطقة من جهود علمية جبارة، وإسهامات فكرية عظيمة في شتى مجالات العلوم الإسلامية والإنسانية، وبالأخص في مجال علم الحديث، ذلك المجال الذي يعرف اليوم في لغة العصر بالدراسات السنة النبوية، سائلا المولى في علاه أن يحقق الآمال، ويمد في الآجال، ويكتب السداد والرشاد في الحال والمآل، **((إن أريد إلا الإصلاح ماستطعت وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب))** هود- آية [88].

أهمية الموضوع:

تتمثل أهمية هذا الموضوع في الأمور التالية:

إن الاطلاع على جهود جمهورية أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في ازدهار علم الحديث أمرٌ في غاية من الأهمية، من شأنه استنهاض همم الأجيال من العلماء والباحثين والمفكرين لاستحضار تلك الروح التي قاد بها علماء أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في عصر نهضة الحضارة الإسلامية العالمية. معرفة مظاهر جهود أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في تطوير علم الحديث الشريف. معرفة الجو العلمي الذي نشأ فيه المحدثون في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر.

سبب اختيار الموضوع:

يكمن السبب الرئيس في اختيار هذا العنوان في التالي:

الرغبة العارمة في إشادة وتقييم جهود علماء أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في خدمة السنة النبوية الشريفة، والذب عن حياضها من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

قلة وجود مراجع علمية رصينة جامعة وشاملة ومستقلة تبرز مظاهر جهود علماء أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في تطوير علم الحديث وازدهاره حسب وجهة نظر الباحث، مما جعل الباحث يتحمس لاختيار هذا الموضوع أملا ليكون هذا العمل بداية النهوض لهذا الهم الإصلاحية المتمثل في إبراز جهود علماء أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في ازدهار علم الحديث النبوي الشريف.

²- أخرجه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه.. عن شراحيل بين يزيد المعافري عن أبي علقمة بن أبي هريرة فيما أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى:

تقييم جهود جمهورية أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في تطوير حضاري لعلم الحديث النبوي الشريف.
إمالة اللثام عن مظاهر ازدهار علم الحديث النبوي الشريف في جمهورية أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر.
تسليط الضوء على البيئة العلمية التي نشأ فيها المحدثون في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر.

إشكالية البحث :

يقوم البحث على دراسة وإبراز إسهامات علماء أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في ازدهار علم الحديث النبوي الشريف والتي أثرت الحضارة الإسلامية والإنسانية في شتى أنحاء العالم.

كما تكمن إشكالية هذه الدراسة أيضا من وجهة نظر الباحث في قلة وجود مراجع ومؤلفات علمية دقيقة مستقلة جامعة مؤصلة وشاملة تبرز جهود علماء أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في ازدهار علم الحديث في كثير من المكتبات الإسلامية في العصر الراهن، رغم كثرة المؤلفات والمتخصصين في الدراسات السنة النبوية في العصر الحاضر.

تساؤلات البحث:

يسعى هذا البحث للإجابة عن التساؤلات التالية:

ماهي أبرز جهود علماء أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في تطوير علم الحديث النبوي الشريف؟
ماهي مظاهر ازدهار علم الحديث في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر ؟
ماهي البيئة العلمية التي نشأ فيها المحدثون في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر؟

وللإجابة على هذه التساؤلات العلمية المنهجية الموضوعية المهمة تأتي هذه الصفحات القصار لتسلط الضوء على هذا الموضوع الإصلاحي المهم في حق علماء أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر، أعني أولئك العلماء الذين بذلوا الغالي والرخيص والمهج والأرواء في تطوير وازدهار علم الحديث النبوي الشريف.

منهج الدراسة:

سار الباحث على المنهج الوصفي التحليلي في إجراء هذا البحث، وذلك من خلال استقراء جهود علماء أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في مختلف المدونات الحديثية والسير والتراجم وجمعها ومن ثم تحليلها وتقييمها كما سيتضح في البحث بمشيئة الله تعالى.

الدراسات السابقة:

بعد اطلاع متواضع على كثير من كتب وبحوث المكتبات الإسلامية وكثير من كتب مواقع الالكترونية لم يقف الباحث حتى هذه اللحظة على مراجع ومؤلفات علمية مستقلة ومعتمدة في هذا العنوان، مما جعل هذا البحث على قلة صفحاته بحثاً معقداً للغاية؛ ذلك لأن الباحث اعتمد فيه كثيراً على المعلومات المتناثرة في مختلف كتب السنة النبوية المطهرة، الأمر الذي كلفه بعضاً من الوقت والجهد في جمع معلومات هذا البحث وإعداده.

على أن الباحث لا ينفي وجود بعض الكتب وبعض الدراسات السابقة التي تتناول هذا الموضوع، ولكن الصعوبات والتحديات تكمن في تعذر العثور على تلكم الدراسات السابقة.

وذلك لأن الباحث قد تواصل مع عدد كبير من أصحاب المكتبات الإلكترونية، ومع بعض المكتبات في أوزبكستان بغية الحصول على بعض هذه الدراسات السابقة ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل.

ومن هذه الكتب والدراسات السابقة التي حاول الباحث الاطلاع عليها ولم يحصل عليها مايلي:

دور المدارس الدينية في أوزبكستان في حفظ علم الحديث/ للدكتور: محمد سليم محدوف

الحديث النبوي في بلاد ما وراء النهر من الإمام البخاري إلى العصر الحديث / للدكتور عبدالله سعيد بن عبدالله.

علم الحديث في بلاد ما وراء النهر: تطور وانتشار/ تأليف مجموعة من العلماء المتخصصين في تاريخ العلوم الإسلامية.

وغيرها من الكتب والبحوث والدراسات السابقة المتعلقة بهذا العنوان.

خطة البحث:

تتكون الخطة من مقدمة وتمهيد ومبحثين رئيسيين ثم ذكر الخاتمة وتحتها أهم النتائج والتوصيات، ثم ذكر قائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات. وفيما يلي بيان تفصيلي لخطة الدراسة وهي كالتالية:

أما المقدمة: فتنال أهمية الموضوع وسبب اختياره، وهدف البحث وإشكاليته وتساؤلاته، والمنهج المتبع فيه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

أما التمهيد: فيختص بالعرض الجغرافي والتاريخي لجمهورية أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر

وتحت عدة فقرات التالية:

الفقرة الأولى: نظرة تاريخية عامة عن بلاد ما وراء النهر قديما

الفقرة الثانية: الإطار الجغرافي لجمهورية أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر .

الفقرة الثالثة: في أقاليم بلاد ما وراء النهر

الفقرة الرابعة: الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر.

وأما المبحث الأول: يتناول مظاهر ازدهار علم الحديث في جمهورية أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر

وتحت عدة مظاهر:

المظهر الأول: رحلة علماء الحديث في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في طلب علم

المظهر الثاني: التأليف في مختلف فنون علم الحديث

المظهر الثالث: انتشار المجالس والحلقات العلمية الحديثية في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر

وأما المبحث الثاني: ففي البيئة العلمية التي نشأ فيها المحدثون في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر.

وأما الخاتمة: فتتصدى لبيان أهم النتائج والتوصيات، وذكر قائمة المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

تمهيد

المطلب الأول: العرض الجغرافي والتاريخي لجمهورية أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر

الفقرة الأولى: نظرة عامة إلى بلاد ما وراء النهر

أطلق المسلمون اسم بلاد ما وراء النهر على البلاد التي يفصلها نهر "جيحون" عن خراسان وهي التي تقع وراءه من جهة الشرق والشمال. وتعرف الآن باسم آسيا الوسطى الإسلامية، وتضم خمس جمهوريات إسلامية كانت خاضعة للاتحاد السوفيتي، ثم من الله عليهم فاستقلوا بعد انهياره. وهذه الجمهوريات هي الآن أوزبكستان، وطاجكستان، وقازخستان، وتركمانستان، وقرغيزيا.

الفقرة الثانية: الإطار الجغرافي لبلاد ما وراء النهر

وتقع بلاد ما وراء النهر بين النهر جيحون "أموداريا" جنوبا، ونهر "سيحون" سرداريا- يقع الآن في كازاخستان" شمالا. ويطلق عليها أحيانا - بلاد الهياطلة- وكان أهلها وثنيين من أصول تركية، حلوا بها منذ القرن السادس الميلادي³.

الفقرة الثالثة: في أقاليم بلاد ما وراء النهر

ويمكن تقسيم بلاد ما وراء النهر - عند الفتح الإسلامي- إلى عدة أقاليم أو ممالك مستقلة، هي⁴:

إقليم "طخارستان"، ويقع على ضفتي نهر "جيحون". وعاصمته: "بلخ"
إقليم "الصغد" ومن أشهر مدنه: "بخارى" و"سمرقند".
إقليم "خوارزم" ويشمل على دلتا نهر "جيحون". وعاصمته: مدينة "الجرجانية".
إقليم "الختل"، في أعالي نهر "جيحون" وعاصمته: مدينة "هلبك". وكانت هذه الممالك الأربعة تسمى بالممالك "الجيحونية".
إقليم "فرغانة"، على نهر "سيحون"، وتُعرف اليوم باسم "خوقند".
إقليم "الشاش"، على نهر سيجون أيضا وتُعرف اليوم باسم "طشقند" عامة كازاخستان الآن.

3- ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان- مادة "هبطل".

4- ينظر: اصطخري، مسالك الممالك، ص295، ج2

الفقرة الرابعة: الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء

وقد طرق المسلمون هذه البلاد عدّة مرات منذ خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه 22 - 35 هجرية" وغزاها في خلافة بني أمية - عدد من القادة المسلمين إلى سنة 86 هجرية"، منهم عبيد الله بن زياد، وسعيد بن عثمان بن عفان، والملهب بن أبي صفرة، وولديه يزيد والمفضل، ولم تسفر حملات هؤلاء القادة عن فتح وقد انعكست الخلافات والانقسامات التي أعقبت موت معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من سنة 60" إلى سنة 72" هجرية على الفتوح في هذه المنطقة، وأصبح المسلمون في موقف دفاعي، حيث اغتنم الترك انشغال المسلمين بهذا الخلاف، فكانوا يغيرون على ديار الإسلام، ويحرّضون أهل الصلح من البلاد على الثورة، وبلغوا في بعض هجوماتهم إلى قرب "نيسابور" في خراسان، وفقد المسلمون كثيرا من المناطق التي كانوا يسيطرون عليها⁵.

5- ينظر: د/ حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، ص-130 131.

المبحث الأول: في مظاهر ازدهار علم الحديث في جمهورية أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر

إنه جدير بالذكر أن القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، حتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، بلغ البحث العلمي قمته في الحضارة الإسلامية، وقد صاحبت تلك الطفرة العلمية نهضة ثقافية وحضارية شملت العلوم الإنسانية والدينية، حيث أضحى المدن الإسلامية مثل بخارى وسمرقند وترمذ وطقشند حواضر يقصدها طلاب العلوم من مختلف أرجاء الأرض، حيث موطن العلماء الذين أثروا الحضارة الإسلامية بعلمهم الواسع الغزير، في مختلف فروع العلوم والمعرفة.

لقد بلغت الحضارة الإسلامية في عواصم "بخارى وسمرقند، وطقشند وشاش، وخيوه، ومرة، في العصر العباسي مكانة رفيعة، أنشئت معاهد علمية ومدارس للتعليم، في كل مدينة من المدن السابقة، فانتشرت اللغة العربية والعلوم الإسلامية انتشارا سريعا بين السكان حتى كادت تصبح هي اللغة السائدة.

وقد بلغت المعاهد والمدارس في آسيا الوسطى، خاصة في بخارى وسمرقند وطقشند وخيوه آنذاك درجة سامية تضاهي بغداد والأندلس ومصر، فكان يفتد إليها الطلاب من الشرق والغرب، وهكذا خرّجت تلك المعاهد والمدارس كثيرا من كبار العلماء الذين تركوا لمن بعدهم مؤلفاتهم الزاخرة، وثورات أفكارهم التي يستضيئ بها العلماء والباحثون إلى يومنا هذا.

ومما لا شك فيه أن أوزبكستان وتاريخها المرتبط بالدين الإسلامي ارتباطا وثيقا لهما عظيم الأثر في ازدهار علم الحديث، مع الأخذ بالاعتبار أن القيم والتقاليد القديمة الموجودة والمرتبطة بحياة هذا الشعب جعلته مساهما في إثراء الحضارة الإسلامية على مر العصور.

وفضلا عن ذلك، فإن علماء الكبار الذين عاشوا فيه وماتركوه من تراث عظيم وثرمين كالإمام البخاري، والترمذي، والبيكندي، والبيهقي، والدارمي، وغيرهم من أئمة الحديث بشكل عام، فهؤلاء العلماء تركوا تراثا عظيما تعج به مكتبات أوزبكستان، من كتب ومخطوطات تقارب من مئة وخمسين ألف كتاب ومخطوط باللغة العربية في كافة العلوم والمجالات المختلفة.

وتأسيسا على ماسبق، فتتجلى مظاهر ازدهار علم الحديث في جمهورية أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في هذه المطالب الآتية:

المظهر الأول: رحلة علماء أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في طلب الحديث

إن مما يميز طلاب العلم في الإسلام، رحلتهم العلمية في طلب العلم من بلد إلى بلد، ومن قطر إلى قطر في سبيل طلب العلم، غير مبالين ما يعترضهم من مشقة وعناء وفقر، مع ما في السفر آنذاك من صعاب.

وكان المحدثون- وبالأخص علماء الحديث في أوزبكستان- من أنشط الناس للرحيل، وأصبرهم على العناء، ذلك أن الصحابة عند الفتح الإسلامي تفرقوا في الأمصار، فمَنهم من سكن بلاد فارس، ومنهم من سكن بلاد العراق، ومنهم من سكن في مصر ومنهم من سكن بلاد الشام؛ وكان هؤلاء يحملون حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذهم عنهم التابعون ومن بعدهم، فكان في كل مصر طائفة من الحديث لا تُعرف في الأمصار الأخرى، مما جعل العلماء يسافرون مسيرة شهر أو أكثر لأخذ الأحاديث عن أهلها، لجمع ما تفرق منها، وكان باعثهم الديني يذل كل عقبة ويسهل كل مشقة.

ولذا فلا تكاد تقرأ ترجمة أحد المحدثين وبالأخص علماء الحديث في أوزبكستان إلا وتجد فيها جزءاً كبيراً من حياته يتضمن رحلته العلمية. ولا غرابة في ذلك فلم يكن الرواة في تاريخ الثقافة الإسلامية بالعدد القليل، فإنهم يزيدون على ستين بالمئة من رجال العلم والفكر.

بل إن نظرة متفحصة في حال أهل العلم بالحديث عامة وعلماء الحديث في أوزبكستان خاصة في قديم الزمان لا تكاد تجد عالماً لم يشارك من قريب أو بعيد في حمل الحديث وروايته، فقد كان ذلك فخراً علمياً لايهمله إلا الأقلون، وكان لقب "الحافظ" من أجل الألقاب التي يحملها عالم، وعلى ذلك فقد كان الحديث أوسع مادة للعلم والثقافة والتشريع عند المسلمين.

والواقع كما شابت الإشارة إليها أن جمهورية أوزبكستان قد شهدت نشاطاً علمياً بارزاً، نهض به علماء أوزبكيون، وصارت أوزبكستان مركزاً لاجتذاب العلماء والطلاب من كافة الأقطار الإسلامية.

ومن الجدير بالذكر أن جمهورية أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر كما سبقت الإشارة سابقاً قد فتحها القائد المظفر قتيبة بن مسلم الباهلي (46- 96 هجري / 669- 715م) في خلافة الوليد بن عبد الملك (86- 96 هجري 75- 715م)، ونجحت الدولة الأموية في نشر الإسلام بين سكانها .

كما نجحت الدولة العباسية في تعميق انتشار الإسلام في هذه البلاد حتى أخذت طابعا إسلاميا واضحا خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وأصبحت بلاد ماوراء النهر جزءاً من كيان الدولة الإسلامية⁶.

6- ينظر دكتور محمود محمد خلف، بلاد ماوراء النهر في العصر العباسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2014، ص 15

وبناء عليه، فإن رحلة علماء أوزبكستان في طلب علم الحديث تعد مظهراً مهماً من مظاهر ازدهار علم الحديث في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر، كيف لا وهذا شيخ عموم المحدثين في بلاد ما وراء النهر أعني الشيخ/ محمد بن سلام بن فرج البخاري، المكنى بأبي عبدالله البيكندي الذي تعددت رحلاته العلمية الحديثية، فبدأ بإقليم خوارزم المتاخم لإقليم بخارى، ثم ولى وجهه إلى حاضرة العالم الإسلامي آنذاك "بغداد"، ثم رحل بعد ذلك إلى المدينة المنورة، واختلف العلماء في كونه سمع عن الإمام مالك بن أنس في المدينة أم لا؟ وفي ذلك يقول عن نفسه: «أدركتُ مالك بن أنس، فإذا الناس يقرءون عليه، فلم أسمع منه لذلك»⁷.

كما رحل أيضاً إلى الحجاز ومصر فسمع بها علي بن الجعد، والحسن بن سوار⁸.

هذا، وقد شغل حب طلب علم الحديث ابن سلام عن الدنيا كلها، فلم يكن له هم سواه، قال: (لم أجلس في سوق بيكند) (4) منذ أربعين سنة⁹.

ومع ذلك كما يقول الذهبي: (كان محتشماً ذا أموال)¹⁰.

فقد ذاع شهرة ابن سلام البيكندي في العالم الإسلامي بصفته محدثاً ثقةً، فأقبل الطلاب العلم عليه، يجهلون من علمه، ويتعلّدون من خلقه، بل يمكن القول بأن ابن سلام قد نجح في تكوين حركة علمية في مدينة بخارى، حبيت إلى الطلاب دراسة علم الحديث.

وهذا تلميذه الذي تربع بعده عرش الإمامة في الحديث أعني: الإمام البخاري الأوزبكي، أمير المؤمنين في الحديث، الذي تعددت رحلاته العلمية في سبيل حفظ الحديث وضبطه، وتكبّد مشاق السفر وعناء الانتقال بين البلدان القاصية ستة عشر عاماً زار خلالها أكثر البلدان والأمصار الإسلامية في ذلك الزمان، ينهل من الشيوخ ويجالس العلماء ويحاور المحدثين ويجمع الحديث ويعقد مجالس العلم، فقد ارتحل إلى مكة والمدينة وبغداد والكوفة والبصرة ودمشق وقيساريا وعسقلان ومصر وغيرها.

خلاصة القول: تعتبر رحلة علماء الحديث في أوزبكستان في طلب علم الحديث النبوي الشريف في شتى أنحاء العالم الإسلامي مظهراً من أهم مظاهر ازدهار علم الحديث، مما يجعل الباحث يؤكد هنا أنه لولا جهود علماء الحديث في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في نشر علم الحديث وتطويره، وجمع ما صح عن النبي صلى

7- الذهبي تاريخ الإسلام، ج16، ص361.

8- ينظر: المقرئ، المقفى الكبير ج5، ص714.

9- عن النشاط في هذا السوق ينظر: يعقوبي، البلدان، ص292، والنرخي: تاريخ بخارى، ص36.

10- ينظر: سير أعلام النبلاء، ج10، ص629.

الله عليه وسلم لمعرفة صحيحه من سقيمه، لما وصلت الأمة الإسلامية إلى ما وصلت إليه من نتائج علمي فكري متميز، وتراث حضاري معرفي متفرد، ولا اختلط كلام الرسول صلى الله عليه وسلم بكلام غيره، بل لضاعث الكثير والكثير من حضارة الأمة الإسلامية المتمثلة في حضارة السند والتوثيق، كما قال عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء¹¹.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الإسناد من خصائص هذه الأمة"¹².

المظهر الثاني: التأليف في مختلف فنون علم الحديث

بعد تأصيل القول في المظهر الأول من مظاهر دور علماء أوزبكستان في ازدهار علم الحديث، وتوصل الباحث إلى أن رحلة علماء أوزبكستان في طلب علم الحديث في مختلف الأقطار الإسلامية قد شكّلت مظهراً مهماً من مظاهر ازدهار علم الحديث، وبناء على ذلك، فهلموا إلى الباحث ليسلط الضوء على المظهر الثاني من مظاهر ازدهار علم الحديث في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر وهو كالتالي:

بداية .. إن إمعان النظر الدقيق إلى التراث العلمي الحديثي التي خلفها علماء أوزبكستان يجد الناظر أن اهتمام علماء أوزبكستان في تطوير وازدهار علم الحديث النبوي الشريف لم يقتصر على التأليف في مجال واحد فحسب، بل استوعب جميع مجالات فنون علم الحديث النبوي الشريف، ففي مجال تدوين الأحاديث: ألف العالم الأوزبكستاني الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (194-256 هـ) كتابه الجامع الصحيح الذي اعتبر خطوة جديدة ورائعة في التصنيف في الحديث؛ لأنه اشترط أن لا يدخل في صحيحه إلا ما اتصل إسناداه بالثقات المتقين الملازمين لمن أخذوا عنه ملازمة طويلة سفراً وحضراً، وثبت سماعهم منه.

كما ألف الإمام أبو داود السجستاني (202-275 هـ)، كتابه السنن، وهو كتاب استقصى فيه أحاديث الأحكام، وجعله خاصاً بها بعد أن كانت الجوامع والمسانيد يذكر غيرها إلى-جانب الأحكام- أحاديث الفضائل والقصص والمواعظ والآداب والتفسير، وكان شرطه فيه كما يقول: ألا يذكر حديثاً أجمع الناس على تركه، وأن يبين ما فيه وهنٌ شديد وما سكت عنه فهو صالح.

وألف الإمام الترمذي (209-179 هـ) كتابه الجامع، وقد التزم ألا يخرج فيه إلا حديثاً عمل به فقيه أو احتج به محتج، وهذا الكتاب من الكتب الستة المبين فيها الصحيح، لأنه وإن لم يلتزم إخراج الصحيح فيه إلا أن يبين درجة الحديث من حيث الصحة والضعف، مما يسهل على القارئ معرفة درجة معظم الأحاديث فيه.

11- ينظر: مقدمة صحيح مسلم، 15/1، وينظر: أبي حاتم، الجرح والتعديل 2/12.

12- ينظر: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، منهاج السنة النبوية/37/7، الأميرية بولاق، 1321 هـ.

كما ألف الإمام النسائي (215-303هـ) كتابه السنن الكبرى، والتزم فيه إخراج الصحيح والحسن، وما يقاربهما، كما أتبعه بكتاب السنن الصغرى، وسماه المجتبى من السنن، مقتصرًا فيه على الصحيح الذي ورد في السنن الكبرى.

وألف الإمام ابن ماجة (275-207هـ) كتابه السنن وقليل منه ضعيف الإسناد لا يتقوى بالمتابعات والشواهد.

وفي مجال علوم الحديث غير الرواية: لقد شهد هذا المجال بصمات راسخة لعلماء أوزبكستان ومن هؤلاء الأئمة: محمد بن إسماعيل البخاري.

وفي تواريخ الرجال وأحوالهم: ألف الإمام البخاري كتابه التاريخ الكبير، وقد حاول فيه استيعاب الرواة من الصحابة فمن بعدهم إلى طبقة شيوخه ما بين رجل وامرأة، وضعيف وثقة¹³.

وألف أيضا التاريخ الأوسط¹⁴ والصغير.

وفي الكنى ألف الأئمة البخاري¹⁵ والنسائي، والترمذي.

وفي الجرح والتعديل: أي الكتب التي تبين حال الرواة من تعديل يزينهم، أو تجريح يشينهم، وممن ألف في ذلك من علماء أوزبكستان: الإمام البخاري في كتابه الضعفاء، والنسائي أيضا في كتابه الضعفاء.

وفي علل الحديث: وممن ألف في ذلك من علماء الحديث في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر: الإمام الترمذي في كتابه العلل الصغير وهو الذي في آخر الجامع.

وأما بالنسبة للتأليف في علم أصول الحديث: فقد كانت مؤلفات علماء الحديث في هذا الفن في القرن الثالث غير جامعة لكل أنواعه في كتب خاصة قائمة بذاتها، فمنهم من جعلها مقدمة لمؤلفه، ومنهم جعلها خاتمة، وممن ألف في ذلك في خاتمة كتابه من علماء الحديث في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر: الإمام الترمذي في آخر جامعه¹⁶.

وبهذا يتضح جليا مظاهر جهود علماء الحديث في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في التأليف في شتى مجالات علم الحديث، مما يؤكد أن جهود علماء أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر لم تقتصر فقط على التأليف في مجال معين أو في فن واحد

13- طبع بالهند في ثمانين مجلدات.

14- طبع في مكتبة الرشد في خمس مجلدات، بتحقيق د/ تيسير بن سعد أبو حميد (-1426هـ/ 2005م). وقد طبع هذا الكتاب قبل ذلك باسم التاريخ الصغير، ثم تبين أنه الأوسط.

15- هذا الكتاب طبع (ينظر فهرس المصادر)

16- ينظر: أ.د. مريم هندي، في الحديث وعلمه، ص81، وما بعدها ص84، بتصرف.

من فنون علم الحديث، بل امتدّت لتشمل جميع نواحي هذا العلم الجليل، الأمر الذي يؤكد أستاذية علماء الحديث في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في هذه الصناعة أعني صناعة علم الحديث النبوي الشريف.

المظهر الثالث: انتشار المجالس والحلقات العلمية الحديثية في ربوع أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر

بعد عرض موجز عن المظهر الثاني من مظاهر ازدهار علم الحديث في أوزبكستان والتي تمثلت في بيان جهود علماء أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في التأليف في مختلف فنون علم الحديث، وقام الباحث ما وسعه من جهد بإبراز هذه الجهود وهذه المؤلفات العلمية الحديثية العظيمة، وذلك اعتباراً بكونها تعد مظهراً من مظاهر ازدهار علم الحديث في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر.

وإذ الأمر كذلك، فلقد حان دور المظهر الثالث من مظاهر ازدهار علم الحديث في أوزبكستان المتمثل في انتشار المجالس والحلقات العلمية الحديثية في شتى مساجد ومدارس أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر، وفيما يأتي عرض تفصيلي لبيان مظهر ذلك وهو كالآتي:

ومن أشهر الحلقات التي نشأت في هذه المناطق كالتالي:

أولاً: حلقة بخارى:

لقد سبق معنا تقرير القول في المبحث الثاني بأن مدينة بخارى تعتبر إحدى أهم مراكز علم الحديث في العالم الإسلامي، وقد نشأت فيها العديد من الحلقات العلمية التي كان يشرف عليها كبار العلماء مثل الإمام البخاري "ومؤلف صحيح البخاري"، والذي يعتبر من أشهر كاب الحديث، بل وأصح الكتاب بعد القرآن الكريم بشهادة العلماء.

كانت بخارى مركزاً علمياً هاماً في فترة الخلافة العباسية وما بعدها، وما زالت تحظى بشهرة في عالم الحديث.

ثانياً: حلقة سمرقند:

سمرقند التاريخية التي اتخذته "تيمورلنك" عاصمة امبراطوريته، كانت لها دور كبير في نشر العلوم الإسلامية، بما في ذلك علم الحديث، العلماء الذين أنشأوا في هذه المنطقة أسهموا بشكل كبير في دراسة علم الحديث وتدوينه.

ثالثاً: حلقة ترمذ:

سبق أن أشار الباحث أن مدينة ترمذ تعد من إحدى أبرز مدن أوزبكستان، كانت أيضاً مركزاً علمياً في مجال الحديث.

بالإمام الترمذي صاحب " السنن " يعتبر أحد الأئمة الأربعة كان من مدينة ترمذ، وأسهم بشكل كبير في علوم الحديث خاصة والفكر الإسلامي عامة.

رابعا: حلقة مرو:

من نافلة القول أن "مدينة مرو" أيامئذ كانت في خراسان، وهي إحدى مدن بلاد ما وراء النهر، مركزا علميا كبيرا في العصور الإسلامية الوسطى. احتضنت العديد من العلماء الذين اشتهروا في علوم الحديث بشكل خاص والفكر الإسلامي بشكل عام. على أنه حري بالتأكيد أن مساجد أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر كانت لها دور محوري في نشر علم الحديث وتطوير ازدهاره بحيث كانت تتم تنظيم حلقات دراسة علوم الحديث في غالب الأحيان في المساجد الكبرى والمراكز المخصصة لهذا الخصوص.

هذا، وتجدر الإشارة هنا أيضا إلى ما تقوم به جمهورية أوزبكستان الحديثة في العصر الراهن من جهود جبارة في تطوير علم الحديث، ودعم دراسته عبر الجامعات الإسلامية والمدارس الدينية، حيث تدرس الأحاديث النبوية عبر مناهج علمية متطورة، بغية الحفاظ على تراثها العلمي في مجال الحديث، وفيما يلي عرض تفصيلي لأسماء بعض المدارس والجامعات التي تُعنى بدراسة علم الحديث ونشره وازدهاره:

1. جامعة طقشند الإسلامية: تعد واحدة من المراكز المعروفة في أوزبكستان التي تركز على دراسة الحديث والعلوم الإسلامية، تأسست في عام (9991). وتتعاون الجامعة منذ تاريخها المجيد في هذا المجال مع عدد من الجامعات الإسلامية الكبرى مثل جامعة الأزهر في مصر، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
2. جامعة بخارى الإسلامية "أوزبكستان": وتعتبر واحدة من أقدم الجامعات في أوزبكستان، وتقع في مدينة بخارى، أسست في عام () وتقدم الجامعة برامج أكاديمية في العلوم الإسلامية بشكل عام، مع تركيز على الحديث النبوي الشريف والفروع المرتبطة به.
3. جامعة الإمام أبي حنيفة " طاجكستان ": وتعتبر الجامعة هي الأخرى من إحدى الجامعات العريقة التي تُعنى بدراسة الشريعة الإسلامية بما في ذلك علم الحديث، والفقه والسيرة النبوية، والتفسير وسواها من العلوم الشرعية، أسست في عام (7991) في مدينة دوشنبه بطاجيكستان.
4. الجامعة الإسلامية في قازان " كازخستان ": وتعد الجامعة الإسلامية في قازان بكازخستان من إحدى الجامعات الإسلامية الرائدة في كازخستان، وتُعنى هي الأخرى بدراسة العلوم الإسلامية بما في ذلك الحديث والفقه والسيرة النبوية والتفسير وغيرها.

هذا فيما يتعلق بالجامعات الإسلامية في أوزبكستان التي تُعنى بدراسة العلوم الإسلامية بشكل عام وعلوم الحديث بشكل خاص. لقد حاول الباحث أن يذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

وأما بالنسبة للمعاهد التي تعنى بدراسة علم الحديث منها مايلي على سبيل المثال لا الحصر:

1. معهد الإمام البخاري، أو المعهد الإسلامي العالي: ويقع المعهد في عاصمة طشقند، وهو أحد المعاهد الإسلامية الرائدة في أوزبكستان في مجال دراسات السنة النبوية، أسس في عام (1391).

2. معهد الإمام الترمذي: هو معهد تعليمي متخصص في علوم الحديث، ويقع في ترمذ، المدينة التي تحمل اسم الإمام الترمذي، ويقدم المعهد دورات في دورات متخصصة في علوم الحديث، مع التركيز على أعمال الإمام الترمذي وأثره في علم الحديث.

وغيرها من المعاهد الإسلامية في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر والتي لا يسع المقام بذكرها هنا في هذه الصفحات المحدودات.

هذا، كما لا يفوت الباحث إلا أن يشير إلى جهود جمهورية أوزبكستان الحديثة في هذا المجال، تحت قيادة موفقة رشيد، قيادة فخامة الرئيس / شوكت ميرزيايف.

الذي مافتئ يوصل ليله بنهاره ونهاره بليله من أجل الإسهام في تطوير وارتقاء وازدهار علوم السنة النبوية من خلال الإشراف على الندوات العلمية الحديثة الرصينة، والمؤتمرات العلمية الدولية الجادة الرزينة.

حفظ الله فخامة رئيس جمهورية أوزبكستان وشعبه الأبى الكريم، وأيده بنصره، وأمد في عمره، ومتعه بموفور الصحة والعافية، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الثاني: البيئة العلمية التي نشأ فيها المحدثون في أوزبكستان

بعد تحرير القول في مظاهر ازدهار علم الحديث في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر وتوصل الباحث إلى تقرير القول بأن أهم مظاهر ازدهار علم الحديث في أوزبكستان من وجهة نظره تكمن في الأمور الآتية:

المظهر الأول: رحلة علماء أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في طلب الحديث

المظهر الثاني: التأليف في مختلف فنون علم الحديث

المظهر الثالث: انتشار المجالس والحلقات العلمية الحديثية في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر.

وبناء على هذا، فلقد آن الأوان لتسليط الضوء على المبحث الثاني من هذا البحث، وهو المبحث المتمثل في البيئة العلمية التي نشأ فيها المحدثون في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر، فأقول مستعينا بالله إن الحديث عن البيئة العلمية التي نشأ فيها المحدثون في أوزبكستان يتطلب من الباحث ضرورة إلقاء الضوء على أهم المدن التي كانت مركزا إسلاميا لنشر العلوم الإسلامية آنذاك، حيث ازدهرت في أوزبكستان الحركة العلمية خاصة في عهد الإمارات الإسلامية المستقلة كما في عهد "الطاهريين" "والسامانيين"، وتأتي أهمية أوزبكستان بأهمية معظم مدنها الإسلامية ذات التاريخ المجيد، وتتمثل هذه المدن في أوزبكستان في المدن الآتية:

"طقشند"، "وبخارى"، "وترمز"، "وسمرقند"، "وخوارزم"، "وخوجندا"، كلها تقع الآن في أوزبكستان¹⁷.

ويقع إقليم الصغانيات والصغد وخوارزم وجزء من إقليم فرغانة (خوجند وكيشان) في جمهورية "أوزبكستان" الحالية، وكانت هذه الحواضر ذات أهمية إدارية وسياسية كبيرة في التاريخ القديم، إلى جانب أنها كانت توصف بأنها أجمل مناطق الدنيا وأكثرها خُصْرَةً، وكانت من روافد حركة علمية سادت رجالاتها وعلمائها، وأخذوا قصب السبق في شتى مجالات العلوم الإسلامية وبالأخص علم الحديث.

وثمة حقيقة أخرى بدأت في عهد الطاهريين وساعدت على التمكين للحركة الإسلامية، وهي احتشد المرابطين والمطوعة والغزاة في إقليم "خراسان" عامة، وفيما وراء النهر خاصة، وقد أصبح وراء النهر في عهد "الطاهريين" بلدا إسلاميا، وكان المجاهدون يَفدون إليه للمشاركة في جهاد الأتراك الشرقيين وحماية دار الإسلام¹⁸.

17- ينظر: محمد شاكر الحرساني، تركستان، ص 85، دار الإرشاد للنشر والتوزيع، بيروت: 1390 هجري، 1970م.

18- ينظر: د حسن أحمد محمود، الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص 166، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1972م.

وفيما يلي عرض موجز عن البيئة العلمية التي نشأ فيها المحدثون في أوزبكستان:

أولا : مدينة بخارى

بلد الإمام البخاري رحمه الله - صاحب الصحيح، وموطن العلماء ومجمع الفقهاء، وكانت مدينة عظيمة من حواضر " أوزبكستان " ذكرها قدماء المؤرخون وأثنوا عليها، فمن هؤلاء " القزويني " حيث قال: " بخارى مدينة عظيمة مشهورة بما وراء النهر، قديمة طيبة... وبخارى مجمع الفقهاء وما من الفضلاء، ونشأ علوم النظر، وكانت الرئاسة في بيت مبارك، ونسبهم ينتهي إلى عمر بن عبد العزيز، وتوارثوا تربية العلم والعلماء كبارا عن كابر، ولم تُر مدينة كانت أهلها أشدَّ احتراماً لأهل العلم من بخارى"¹⁹.

وقال ياقوت الحموي: " بخارى من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها مدينة قديمة، زهرة، كثيرة البساتين، واسعة الفواكه جيدتها"²⁰.

ويصفها الثعالبي: " بأنها بمثابة المجد، وكالة الملك، ومجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض ومن ثم فضلاء الدهر"²¹.

وهكذا كان للمدينة أهميتها الدينية والفكرية والثقافية والاقتصادية في التاريخ، وقد ظلت بخارى لمئات السنين مركزا إسلاميا هاما في اجتذاب الراغبين في التزود من علوم الإسلام، ومضى على المدينة حيناً من الدهر كانت تذكر فيه بنحو (197) مسجدا و(167) مدرسة، غير أن مدينة " بخارى " تعرضت للتخريب في عام (616) هجري. على يد " جنكيزخان "، وفتحها الأوزبك عام 905 هجري.

فلم يبق من هذه المساجد والمدارس بعد استيلاء الشيوعيين غير مسجد واحد مفتوح للعبادة ومدرسة دينية واحدة.

وكان أول مسجد ببخارى هو المسجد الجامع الذي شيّده الفاتح سنة " قتيبة بن مسلم " عام 94 هجري، -136م.

ومن أشهر علمائها: الإمام البخاري، (ت256 هج)، وابن سينا (ت428 هج)، وصدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبي البخاري (ت747 هج)، والمحدث الكبير " يزيد بن هارون " شيخ الإمام أحمد " (ت206 هج)، وشمس الأئمة عبد العزيز بن أحمد الحلواني البخاري (ت427 هج)، وطاهر بن أحمد بن عبد الرشيد البخاري " الفقيه الحنفي (ت542 هج)، وأبو حفص البخاري " أستاذ الإمام البخاري (ت217 هج).

19- ينظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص-509 511، دار صادر بيروت 1998م.

20- ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد. (1) ص-353 356، دار صادر بيروت، 1397 هجري، 1977م.

21- ينظر: الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، 4/94، دار الكتب العلمية بيروت، 1403 هجري، 1983م.

ومن مدارسها الباقية "مدرسة" أولوغ بك" أسست سنة (1417م)، ومدرسة "ميرعرب" وأسست سنة (1535م).

وقد ازدهرت الصناعات والفنون ببخارى وكانت تصدّر إلى الأسواق الخارجية، فمن "بخارى" كانت تُجلبُ الأقمشة الناعمة، والسجاجيد، والبُسُط، الأقمشة لتغطية أراضي الأنزال (جمع نزل) والمصاييح النحاسية، وأحزمة الشروج، الأقمشة الأشمونية، والشحوم، وأصواف الغنم، وزيوف الشعر وغيرها²².

واليوم "بخارى" بها مراعات متعددة، ومصانع، وقد اكتشف فيها الغاز الطبيعي، وفيها صناعات بتركيمائية، وفيها ثروات معدنية، تستثمر حول المدينة، وهذا أمر إلى توافد الآلاف من المهندسين الرّوش وأسرهم السكنى فيها بجوار الأوزبك والطاجيك²³.

ثانيا مدينة بيكند الرباط

تقع مدينة بيكند على بعد خمسة فراسك من "بخارى"، والتي اشتهرت كمركز تجاري كبير و"بيكند" أقدم من "بخارى"، وكانت تسمى "مدينة التجار"، وكان تجّارها يذهبون الى الضين قبل الإسلام، وبعده كانوا يذهبون إلى ماوراء بحر قزوين.

وكان لكل قرية من قرى "بخارى" رباط عند باب "بيكند" حتى بلغ عددها نحو ألف رباط، وكان ينزل بهذه الأربطة وحدات من الجند لدفع غارات الأعداء، ولكن لم تعد لها حاجة بعد استتباب الأمن في عهود السامانيين في القرن الثالث الهجري²⁴.

قال الإدريسي في وصفها: وهي متوسط الطريق إلى بخارى، وهي مدينة متوسطة، لها عمارات وسوق قائمة ومزارع وغلّات، ولها سور حصين، ومسجد جامع مزخرف بناية، وقبلته في تزخرفها وحسنها لا يُعلم بناء مثلها، وهي مدينة منفردة بذاتها²⁵.

وينسب لبيكند عدد من العلماء والمحدثين منهم: أبو عبد الله محمد بن سلام بن فرج السلمي البخاري البيكندي (160 هجري - 225 هجري) كان من كبار المحدثين؛ حيث كان محدّث ماوراء النهر، ويحفظ حوالي خمسة آلاف حديث، وكان صاحب رحلة، وله مصنّفات في كل باب من العلم، قال الذهبي: "كان من أوعية العلم، وأئمة الأثر، وروى عنه "البخاري" والدارمي".

22- ينظر: د علي البار، المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ص413، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1983 م.

23- ينظر: محمد بن موسى الشريف، علماء آسيا الوسطى (التركستان) بين الماضي والحاضر، ص 46، بدون دار نشر.

24- ينظر: د خالد المطيري، المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ص-249 250، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1421 هجري-2001 م.

25- ينظر المصدر السابق، المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ص414.

وكذلك أبو أحمد محمد بن يوسف البيكندي، وكان من الحفاظ المكثرين، رحل إلى العراق، والشام، ومصر، وله أكثر من أربعمئة مصنف صغار، (كان سنة 412 هجري).

وإسماعيل بن حمدويه أبو سعيد البيكندي مات في سنة (273 هجري) من كبار المحدثين، من تلاميذه: أبو الحسن بن جوصا، وأبو الميمون بن راشد البجلي، وأبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي الجرجاني، وأحمد بن زكريا بن يحيى بن يعقوب المقدسي.

وأبو الفضل أحمد بن علي بن عمرو بن علي السليمانبي البيكندي "الذي عُده محدث عصره، وله أكثر من أربعمئة مصنف، توفي (412 هجري)، وغير هؤلاء كثير²⁶.

ثالثاً: مدينة طقشند "الشاش".

عاصمة أوزبكستان اليوم، واهتم الرّزي بها منذ أن استولوا على "حانية بخارى" عام 1922م، وكانت طقشند تتبعها، وكانت من أكبر أقاليم بلاد ما وراء النهر ثراءً ورخاءً، ولها أهميتها التاريخية كمركز للثقافة الإسلامية.

قال القزويني: "من أنزه بلاد الله وأكثرها خيراً، وكانت عامة دورهم يجري فيها الماء، وكلها مستترة بالخضر²⁷.

وقال الحميري: الشاش مدينة جليلة من عمل سمرقند، وليس بخراسان وما وراء النهر كورة ولا إقليم على مقدارها في المساحة أكثر منابر وقرى عامرة من هذه الناحية... والشاش في الأرض مستترة لا جبل فيها ولا أرض مرتفعة، وبساتينها ومتنزهاتها كثيرة، وهي من الثغور التي في ناحية الترك، ولأهلها سطوة ومنعة²⁸.

وقال ياقوت الحموي: خرج منها العلماء ونسب إليها خلقٌ من الرّواو والفصحاء.. وأهلها شافعي المذهب؛ وإنما أشاع هذا المذهب مع غلبة المذهب أبي حنيفة في تلك البلاد "أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشّاشي" فإنه فارقه وتفقه، ثم عاد إليها فصار أهل تلك البلاد على مذهبه، وكان سنة (366 هجري)، وكان أوحد أهل الدنيا في الفقه والتفسير واللغة²⁹.

وينسب لشاش عدد من العلماء البارزين في الفقه وأصول الفقه والحديث،

اشتهر إقليم "الشاش" وإقليم "إيلاق" القريب منه بمعادنه الكثيرة وخاصة معدن الفضة، وكانت فضة الشاش تستخدم في السكة (النقود) طوال العصر العباسي³⁰.

26- ينظر الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 1/ 493، عالم الكتب بيروت، 1419 هجري.

27- ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد، المصدر السابق ص 538.

28- ينظر: الحميري، الروض المعطاء في خبر الأقطار، ص 315، مؤسسة ناصر للثقافة بيروت، 1980م.

29- ينظر: معجم البلدان، المصدر السابق (3/ 308).

30- ينظر: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، المصدر السابق، ص 414.

وكانت تنتشر بهاجبال الفحم، ويخرج منها النفط والفيروز، والحديد والذهب والآل.

وينسب لمدينة "الشاش" عدد من العلماء البارزين الراسخين في الفقه وأصول الفقه والحديث كالإمام أبي بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال "الكبير" الشاشي من أعلام الشافعية وغيره، ولكن لايسع الباحث في هذه العجالة إلا أن يركز على سرد أسماء العلماء الذين برزوا واشتهروا في علم الحديث دون غيرهم في هذه المدن، وذلك نظرا لطبيعة عنوان الموضوع.

وبناء على هذا، فمن أعلام الشاش المحدثين:

أبو الحسن بن علي الحاجب الشاشي "أحد العلماء الأعلام في الحديث والفقه طلب العلم في خراسان والعراق والشام والحجاز، ثم عاد إلى بلاده الشاش يعلم الناس، وكانت وفاته بها.

ومنهم: أبو الليث نصر بن حاتم بن بكر الشاشي من أوائل أصحاب ابن شريح.

رابعا: مدينة ترمذ

مدينة ترمذ تقع في بلاد ماوراء النهر كانت هي الأخرى لها دور كبير في مجال علم الحديث النبوي الشريف - وكان العديد من العلماء والمحدثين يزورون ترمذ لتعلم الحديث من العلماء المحليين، حتى أصبحت المدينة مع مرور الوقت مركزا هاما لدراسة وتدوين الحديث رواية ودراية.

ويعتبر الإمام الترمذي (209هـ - 279هـ) أحد أعلام هذه المدينة، وهو صاحب كتاب "سنن الترمذي" الذي يعد من أبرز الكتب التي ألفت في علم الحديث.

خامسا: مدينة سمرقند

تقع مدينة سمرقند التاريخية في إحدى الواحات الكبرى بوادي نهر زرافشان، شمال شرق أوزبكستان، ويعني اسمها بالأوزبكية "قلعة الأرض"، ويمتد تاريخها إلى 1500 سنة قبل الميلاد، وكانت مقصد الشعراء والأدباء والرحالة والعلماء، فقالوا إنها جنة الدنيا وفيروزة الأرض.

وتعد سمرقند لؤلؤة آسيا الوسطى، أو بلاد ما وراء النهر اتخذها الملوك والعلماء عاصمة لهم، وتعاقب عليها عشرات الحضارات والممالك، الفرس واليونان والصينيون والعرب والمغول، والأتراك والروس السوفيات، كما كانت مقصد العلماء وطلبة العلم، فاستحقت أن تكون شمس العلم التي لا تغيب.

قال عنها الرحالة ابن بطوطة: "إنها من أكبر المدن وأحسنها وأتمها جمالا مبنية على شاطئ وادي يعرف بوادي القصارين، وكانت على شاطئة قصور عظيمة، وعمارة تُنبئ عن همم أهلها".

ووصفها "البستي" يوما بقوله: للناس في أخبرتهم جنة، ... وجنة الدنيا سمرقند".

والجدير بالذكر أن مدينة سمرقند ظلت لأكثر من مئتي عام قبلة العلماء الأولى ، وقد أحصى الإمام نجم الدين النسفي أكثر من " (1010)" علماء من علماء المدينة كانوا على رأس الحركة العلمية بها، تلك الحركة التي أنارت العالم في وقت كان يعاني فيه من الجهل والاضمحلال.

يأتي في مقدمة هؤلاء العلماء الإمام الزاهد الورع أبو الليث السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب السمرقندي الفقيه الحنفي (333 هـ- 373 هـ) الملقب بإمام الهدى صاحب كتاب "تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين"، كذلك العلامة الإمام أبو عمران عيسى بن عمر ابن العباس بن حمزة السمرقندي صاحب الإمام الدارمي، وراوي مسنده عنه.

إضافة إلى العلامة الإمام الحافظ عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التميمي الدارمي، أبو محمد السمرقندي (797-869م)، صاحب تفسير القرآن الكريم ، وسنن الدارمي، والمسند " والجامع الصحيح".

والفقيه أبو منصور الماتريدي، الذي كان له أثر بالغ في تطور الفقه السني بالشرق.

هذا، فيما يتعلق بأبرز علماء الشريعة الإسلامية في سمرقند، وأما بالنسبة لعلماء علوم الدنيا في سمرقند فكثيرة جدا، لكن صفحات هذه الوريقة لا تتسع لسرد كلها هنا .

وهكذا كانت سمرقند بفضل تلك النخبة من العلماء الأفذاذ واحة العلم ومدينة العلوم وقلعة التنوير في خراسان ومنطقة آسيا الوسطى، ومنا انتقل العلم إلى شتى بقاع الأرض، ورغم عوامل التعرية الجغرافية والسياسية والاقتصادية اعترت المدينة مؤخرا، لاتزال تحتفظ بمكانة و قدسية كبرى بفضل إسهامات هؤلاء الكبار الذين سجلوا اسمها في صفحات التاريخ الخالدة³¹.

على أنه جدير بالإشارة أن هناك علماء آخرون نشأوا وترعرعوا في هذه المناطق، وتعلموا فيها ،حتى أصبحوا من العلماء الذين أسهموا بشكل كبير في تفسير القرآن الكريم وعلوم الحديث مثل الإمام الطبري (222هـ-310هـ).

وهو من العلماء الذين أسهموا بشكل كبير في تفسير القرآن الكريم وعلوم الحديث.

31- ينظر: سمرقند: مقصد العلماء وملتقى الثقافات، رنده عطية، نشر في 30 أبريل، 2023.

والإمام القاضي عياض (476هـ-544هـ) كان من علماء الحديث ومن أبرز المتخصصين في علم السيرة النبوية، وله العديد من المؤلفات التي تتعلق بالحديث النبوي.

وخلاصة القول: كفى لهذه البلاد فخرا أنها أنجبت أنقى وأنقى علماء هذا الزمان الذين برعوا في الفقه والحديث وغيرهما، وازدهر وتقدم العلم والفكر الإسلامي على أيديهم، هؤلاء العلماء يعود لهم الفضل الأكبر في نهضة الأمة الإسلامية وقيام حضارتها التي انبهرت العالم بإنجازاتها العلمية والثقافية، عز تاريخ الإنسانية القديم والحديث أن يوجد بمثلهم، فهم رواد الحضارة وأعلامها، فذكرهم صار مرآة تعكس الجانب المضيئ المشرق لهذه الحضارة.

خاتمة البحث

بعد هذه الجولة العلمية الحديثية والفكرية المعرفية في جنبات هذا الموضوع المهم المتمثل في دور أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في ازدهار علم الحديث، وبعد تحرير القول المبين في كافة عناصر موضوعاته، حقيق على الباحث أن يودّع خاتمة هذه الدراسة المباركة بجملة حسنة من النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث في هذه الدراسة المتواضعة وهي كالتالية:

1. تعتبر جمهورية أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر من إحدى مراكز العلوم الإسلامية عامة، وعلم الحديث النبوي خاصة في العالم الإسلامي، حيث أنجبت أنقى وأتقى علماء هذا الزمان الذين برعوا في العلوم الإسلامية بشكل عام، وعلم الحديث بشكل خاص، وقاموا بتطويره وازدهاره وتدريسه رواية ودراية، تأليفاً وتحقيقاً وتمحيصاً، مما يجعل الفضل الأكبر يعود إلى الله سبحانه وتعالى ثم إلى جمهورية أوزبكستان في نهضة الأمة الإسلامية وقيام حضارتها التي انبهرت العالم بإنجازاتها العلمية والفكرية المعرفية والثقافية.

2. تتلخص مظاهر ازدهار علم الحديث في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر من وجهة نظر الباحث في هذا البحث في ثلاثة مظاهر رئيسية وهي كالتالية:

المظهر الأول: رحلة علماء أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في طلب علم الحديث مما كان له أثر بالغ فيما بعد في تطور وازدهار علم الحديث، فقد كان أئمة الحديث في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر يرحلون إلى الأمصار لطلب علم الحديث، ويكفي هذا دليلاً أن أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري الأوزبكي قضى ستة عشر عاماً يتجول بين الأمصار الإسلامية لجمع ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يضع كتابه الحضاري الموسوم بصحيح الجامع المسند

المظهر الثاني: التأليف في مختلف فنون علم الحديث:

وهذا المظهر هو الآخر يعد مظهراً مهماً من مظاهر ازدهار علم الحديث في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر، فلولا جهود هؤلاء الجهابذة العظماء من علماء جمهورية أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في التأليف في مختلف فنون علم الحديث رواية ودراية لما وصل علم الحديث إلى ما وصل إليه من تطور باهر، وتقدم لافت، بل ولضاعت الكثير والكثير من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المظهر الثالث: انتشار الحلقات العلمية الحديثية في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر:

فهذا المظهر هو الآخر لا يقل أهمية عن ما سبق ذكرها من مظاهر ازدهار علم الحديث في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر، فلولا اهتمام جمهورية أوزبكستان قديما وحديثا في نشر علم الحديث عبر المعاهد والمراكز الحلقات العلمية والجامعات الإسلامية المتخصصة في مجال الدراسات السنة النبوية من لدن أئمة الحديث إلى يومنا هذا لضاع جزء كبير من تراث الأمة الإسلامية.

3. من خلال البحث تبين أن البيئة العلمية التي نشأ فيها المحدثون في جمهورية أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر، كانت بيئة علمية عامرة بالعلم ومكارم الأخلاق، صالحة لإنجاب عباقرة مثل الإمام البخاري والترمذي والدارمي والبيهقي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان وغيرهم ممن خدموا الإسلام والمسلمين من علماء هذه المنطقة، وكان علم الحديث على رأس الموضوعات والدراسات التي حملوا عبأها ومسؤوليتها مع مئات من تلاميذهم ومريديهم وأدب ذلك إلى توجه قلوب ملايين المسلمين إلى السنة النبوية المطهرة.

التوصيات

يوصي الباحث بجملة حسنة من التوصيات التالية:

1. الدعوة إلى تأليف موسوعة علمية شاملة تحمل في طياتها إبراز جهود حضارية لعلماء أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر في تطوير العلوم الإسلامية عامة وعلم الحديث خاصة، وجعلها في متناول الطلاب والقراء والباحثين والمكتبات والجامعات، وذلك تشييدا واحتفاء واعترافا بجهود حضارية لعلماء هذه المنطقة.

2. الاهتمام بتعميق الفهم المقاصدي لنصوص الوحي، وتأسيس علم جديد في هذا الإطار تحت مسمى بعلم " قانون التأويل " وصيرورته علما قائما بذاته، وذلك لإضفاء سير علماء أوزبكستان في تطوير علم الحديث في العصر الراهن.

3. الدعوة إلى ضرورة إعادة النظر في ترتيب أولويات حقوق السنة النبوية المتمثلة في تقديم حقوق المعاني على حقوق المباني = أي تقديم حقوق فهم معاني نصوص الأحاديث وتدبرها والإيمان بها والعمل بمقتضاها على حقوق المباني المتمثلة في حفظ متون الأحاديث وضبطها وروايتها في برامج مراكزنا ومدارسنا وجامعاتنا، وذلك اعتبارا بكون هذا الترتيب الضروري لأولويات حقوق السنة النبوية يندرج تحت حركة تطوير وازدهار حضاري لعلم الحديث في العصر الحاضر.

4. كما يدعو الباحث مخلصا العالم الإسلامي عامة وجمهورية أوزبكستان خاصة، إلى فكرة إنشاء جامعة عالمية في أوزبكستان تقبل الطلبة الوافدين في شتى أنحاء العالم في مجال الدراسات السنة النبوية باعتبارها رائدة في هذا المجال، وذلك بغية استعادة منطقة أوزبكستان مكانتها العلمية، وعافيتها الحضارية، ونهضتها المنشودة في العالم المعاصر.

وختاما: لايفوتني إلا أن أتقدم بباقة الشكر، ووبل التقدير، وديم العرفان إلى منظمة إيسسكو على تنظيم هذا المؤتمر العلمي الدولي المتميز، هذه المنظمة الرائدة التي شكلت نموذجا رائعا للإبداع والابتكار العلمي والفكري في العصر الراهن، فأسأل الله جل وعلا أن يبارك في جهود القائمين عليها

هذا والله أعلى وأعلم، وبه أستعين وأرجوه أن يحقق الآمال، ويمد في الآجال، ويكتب السداد والرشاد في الحال والمآل، ((إن أريد إلا الإصلاح ماستطعت وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)) هود آية: (88).

قائمة المراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: كتب السنة النبوية .

سنن البيهقي / لإمام البيهقي
مشكاة المصابيح / لشيخ الألباني
سنن أبو داود / لأبي داود
المستدرک على الصحيحی / للحاکم
صحیح المسلم / لإمام مسلم
منهاج السنة / لشيخ الإسلام ابن تيمية
في الحديث وعلومه / أ.د / مريم هندي

ثالثاً: كتب الجغرافيا والتاريخ الإسلامي :

معجم البلدان / لياقوت الحموي
مسالك الممالك / لاصطخري
أطلس التاريخ الإسلامي / الدكتور حسين مؤنس
بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي / لدكتور محمد محمود خلف
تاريخ الإسلام / لإمام الذهبي
المقفي الكبير / لمقرزي
سير أعلام النبلاء / لإمام الذهبي
الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي / لحسن أحمد محمود

رابعاً: المقالات العلمية:

سمرقند : مقصد العلماء وملقى الثقافات / لرنده عطية.



المحور الثاني

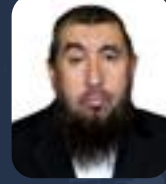
المعايير العلمية والصناعة التوثيقية والتصنيفية
عند الإمام البخاري في صحيحه



خصائصُ أسانيد الإمام البخاري ومُميّزاتها

إعداد

الأستاذ الدكتور / عبد الباري حميدي
أستاذ الحديث وعلومه بكلية الشريعة - جامعة كابول



خُطة البحث

البحث يتكوّن من مقدمة، مبحثين وخاتمة.
المقدمة في خاصية الإسناد وأهميته، وعناية الإمام البخاري بكتابه الصحيح.
كلمة تمهيدية في أصل خصائص ومميزات أسانيد الإمام البخاري.

المبحث الأول: خصائص ومُميّزات أسانيد صحيح البخاري من حيث علوّها، وشدّة اتصالها.

المطلب الأول: خاصية العلوّ في أسانيد الإمام البخاري في صحيحه.
المطلب الثاني: علوّ الإسناد، وأهميته عند علماء الحديث.
المطلب الثالث: أسباب علوّ أسانيد البخاري.
المطلب الرابع: خاصية شدّة الاتصال في أسانيده.

المبحث الثاني: خصائص ومميزات أسانيد الإمام البخاري من حيث عدالة رواتها وضبطهم.

المطلب الأول: من خصائص أسانيد الإمام البخاري أنها أتقن رجالا، وأعدل رواةً.
المطلب الثاني: أغلب رجال أسانيد البخاري من الطبقة الأولى البالغة في الحفظ والإتقان.

المبحث الثالث: خصائص ومميزات أسانيد الإمام البخاري من حيث طول الصحة والملازمة، وقلة الانتقاد في رجالها.

المطلب الأول: عناية الإمام البخاري بطول صحة الراوي لشيخه، وملازمته له.
المطلب الثاني: قلة الانتقاد في رجال أسانيد البخاري.
خاتمة في أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج.
وأخيرا فهرس المصادر والمراجع

مقدمة

في خاصية الإسناد وأهميته، وعناية الإمام البخاري بكتابه «الصحيح»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وإمام المرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فإنّ مما خَصَّ الله تعالى به أمة الإسلام على غيرها من الأمم هي خاصية الإسناد. فهي كما قال الحافظ العلائي (ت 761هـ) - رحمه الله - : «**خصيصة من خصائص هذه الأمة، وفضيلة تمت لله عز وجل عليهم بها النعمة، به عرف الصحيح من السقيم، وصان الله دينه عن قول كل أفاك أثيم، وليس لمن قبل هذه الأمة غير صحف اختلط منكرها بمقبولها، واشتبه صحيحها بمعلولها، فلا تمييز عند أحد منهم بين ما جاء به أنبيأؤهم المرسلون، وبين ما أدخل في ذلك، وألحق به الغواة المبطلون، والله الحمد على ما وفق من القيام بذلك، وأرشد به إلى أوضح المسالك**»¹.

فلأجل أهمية الإسناد البالغة توجّهت عناية المسلمين بدءاً من جيل الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى الأجيال المتلاحقة بعدهم ممن تبعهم بإحسان، إلى تحمّل أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم -، ثم أدائها إلى من بعدهم، مما أدّى إلى جمع الأحاديث، وتدوينها في كتب ومصنفات جامعة.

وقد كان القرن الثالث الهجري من أزهى عصور السنة النبوية؛ إذ نشط فيه التأليف والتصنيف في تدوين الحديث حيث ظهرت أشهر دواوين السنة النبوية، وأمّهات الكتب الحديثية من المؤطّات والمسانيد، والصحاح والسنن، وغيرها. وكان من أهم وأعظم هذه المصنفات كتاب: «**الجامع المسند الصحيح**» للإمام البخاري المتوفى سنة 256هـ بقرية خُرْتُك (من قرى سمرقند)، حيث يعقد فيها هذا المؤتمر المبارك. وهو أول كتاب في الصحيح المجرد.

ولقد أولى الإمام البخاري - رحمه الله - صحيحه هذا من العناية ما لم يُول به كتابه الآخر، فانتقى أحاديثه من ستمائة ألف حديث، وكان لا يكتب فيه حديثاً إلا إذا اغتسل وصلى ركعتين²، واستخار الله تعالى، وتيقن صحته³.

1 - بغية الملتبس في سباعات حديث الإمام مالك بن أنس (ص36).

2 - انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (2/322)، وتهذيب الكمال للمزي (24/443)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (10/84).

3 - هدي الساري مقدمة فتح الباري للحافظ ابن حجر، (ص: 345).

ولشدة تحري الإمام البخاري في كتابه امتدّ به الزمن في تأليفه إلى ست عشرة سنة⁴، بل لقد بلغ من شدة توقّيه له، وتحريه في كمال سلامته، أنه أعاد النظر في تأليفه مرات، وتعهدّه بمزيد من التهذيب والتعديل قبل أن يُخرجه للناس، وهذا ما عبّر به هو عنه بأنه صنّفه ثلاث مرات⁵، حتى غدا في غاية الإتقان، حيث «اختص بالمرتبة العليا، ووصف بأنه لا يوجد بعد كتاب الله مصنّف أصح منه في الدنيا؛ وذلك لما اشتمل عليه من جمع الأصح والصحيح، وما قرّن بأبوابه من الفقه النافع الشاهد لمؤلفه بالترجيح، إلى ما تميّز به مؤلفه عن غيره بإتقان معرفة التعديل والتجريح»⁶، وخبرته الدقيقة بنقد الحديث، وإحاطته بعلمه ورجاله. يُضاف إلى ذلك كمال إخلاصه فيه، كما يدل عليه استفتاحه كتابه بـ: حديث: «إنما الأعمال... الدال على وجوب الإخلاص في جميع الأعمال.

ثم إن البخاري لم يقنعه ما سبق من التحري والدقة، فعرض كتابه على أشهر الأئمة المعروفين في عصره، فكان له من حسن شهادتهم ما أراد، حيث قال أبو جعفر العقيلي: «لما ألف البخاري كتاب الصحيح عرضه على أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وغيرهم، فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث، قال العقيلي: والقول فيها قول البخاري، وهي صحيحة»⁷.

فبسبب هذ التحري والتثبت من المؤلف، ولما تميّزت به أسانيده ومتونه، ثم بشهادة الأئمة له بالقبول، صار كتابه الصحيح أجود وأصح المصنفات الحديثية كلها، وأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى، «وأحسنها تصنيفاً، وأجودها تأليفاً، وأكثرها صواباً، وأقلها خطأ، وأعمها نفعاً، وأعودها فائدة، وأعظمها بركة، وأيسرها مؤونة، وأحسنها قبولا عند الموافق والمخالف، وأجلها موقعا عند الخاصة والعامة»⁸.

وكما أن الأمة الإسلامية اختصت بخاصية الإسناد، كذلك اختصت أسانيد صحيح البخاري بخصائص عديدة من حيث علوّها، وشدة اتصالها، وعدالة روايتها وضبطهم، مع طول صحبتهم وملازمتهم لشيوخهم. فأسانيده أشد اتصالاً وأتقن رجالاً، وأعدل رواة مما جعلته بجدارة أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى.

4 - تاريخ بغداد (322/2)، وسير أعلام النبلاء (10/86).

5 - سير أعلام النبلاء (10/85).

6 - تعليق التعليق على صحيح البخاري لابن حجر (2/5).

7 - «سير أعلام النبلاء» 403/12، «هدي الساري» 487.

8 - تهذيب الكمال (1/147).

وفي هذه المقال المتواضع الذي أحببت أن أقدمه كورقة بحثية للمؤتمر الدولي للإمام البخاري بمناسبة الاحتفاء بسمرقند عاصمة للثقافة في العالم الإسلام 2025م، أتناول بمشيئة الله تعالى خصائص أسانيد الإمام البخاري ومميزاته، حسب الخطة المبينة في الصفحة الأولى من المقال بعد صحيفة العنوان.

وقبل البدء بالمقال أشكر منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة - ايسسكو - على دعوتها الباحثين للمشاركة بأوراق بحثية للنشر ضمن أعمال المؤتمر، وقد وفقني الله تعالى لاختيار عنوان: « **خصائص أسانيد الإمام البخاري في صحيحه ومميزاتها** » كورقة بحثية، وقد وصلني الإشعار بقبول الخطة التي كنت أرسلتها مسبقاً، وأتمنى أن تكون هذه الورقة ضمن الأوراق المرشحة للمؤتمر، وأسأل الله العلي القدير أن يوفق المنظمة في جميع مشاريعها العلمية والثقافية.

الدكتور/ عبد الباري حميدي

أستاذ الحديث وعلومه بكلية الشريعة - جامعة كابول

خصائص أسانيد الإمام البخاري في صحيحه، ومُميّزاتها

تمهيد: أصل هذه الخصائص، وأساسها:

لقد شارك الإمام البخاري في جمع الأحاديث النبوية المتعلقة بأبواب الدين كلّها بأسانيد مقبولة، ثم ترتيبها حسب الأبواب الفقهية المختلفة، مع رعاية شروط الصحة، الإمام مسلم وغيره من أرباب الصحاح والجوامع والسنن، إلا أنّ كتاب صحيح البخاري قد اختص من بين سائر كتب الحديث ودواوينه، وبخاصة من صحيح الإمام مسلم بخصائص وميزات، لا تكاد توجد في كتب الصحاح الأخرى فضلاً عن غيرها، مما جعلت كتاب البخاري يفوق غيره من الكتب الحديثية. وبسبب تلك الخصائص وغيرها من الصفات الموجودة في المؤلف، صار كتاب البخاري أصحّ كتاب فيما يلي كتاب الله تعالى. وهذه الخصائص كما تتعلق بالأسانيد، كذلك تتعلق بالمتون أيضاً.

أما أصل هذه الخصائص وأساسها فإنه يعود إلى الشروط الصارمة التي وضعها، أو التزمها الإمام البخاري في قبول الأحاديث وإدراجها في صحيحه، مما لم يلتزمها غيره ممن عاش في عصره أو من جاء بعده، مثل التأكد من ثبوت لقاء الراوي لمن روى عنه في الإسناد المعنعن الذي لم يُعرف المعنعن بإرسال أو تدليس، وتحقيق العدالة والضبط في رجاله، مع طول صحبة الراوي وملازمته لشيخه، وغيرها من الخصائص والشروط كما سيأتي.

ثم إن هذه الخصائص - كما قلنا آنفاً - منها ما يتعلق بالأسانيد، ومنها ما يتعلق بالمتون. وموضوع بحثنا كما هو ظاهر من عنوان المقال الخصائص المتعلقة بالأسانيد دون المتون. ثم إن الخصائص المتعلقة بالأسانيد منها ما يتعلق بعدد الرواة الذين هم وسائط بين صاحب الكتاب وبين النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها ما يتعلق بعدالة الرواة وضبطهم، وطول صحبتهم لمن يروون عنهم، ومنها ما يتعلق باللقاء والاتصال. وسنبحث عن هذه الخصائص التي هي في الحقيقة ميزات لأسانيد الكتاب في المباحث والمطالب التالية.

المبحث الأول

خصائص أسانيد الإمام البخاري من حيث علوها، وشدة اتصالها

المطلب الأول: خاصية علو الإسناد في أسانيد الإمام البخاري في صحيحه.

المراد من الإسناد، أو السند العالي هو الإسناد الذي يقل فيه عدد الرواة بين المحدث، وبين النبي صلى الله عليه وسلم، وبعبارة الإسناد النازل، وهو الذي تكثر فيه الرواة بينهما، وتأخذ هذه الأسانيد أسماءها من عدد هؤلاء الرواة، فالإسناد الثلاثي هو الذي فيه ثلاثة رواة بين المحدث وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، والرُّباعي إذا كانوا أربعة، والخُماسي إذا كانوا خمسة، وهكذا⁹.

ويحصل العلو بأن يسمع المحدث حديثاً من راو عن شيخ موجود، فيذهب المحدث إلى ذلك الشيخ ويسمعه منه. وهكذا يقل عدد وسائط النقل في السند¹⁰.

فمن خصائص أسانيد الإمام البخاري أنها تميزت بالعلو وقلة الوسائط، أي أن عدد الرواة بين البخاري والنبي صلى الله عليه وسلم قليل نسبياً مقارنة بغيره من المصنفين.

فنظراً لأهمية علو الإسناد و دوره في سلامة السند من الخلل، حرص الإمام البخاري - رحمه الله - على سياق النصوص بذكر الأسانيد العوالي، وتجنب الأسانيد النازلة ما استطاع، فإن العوالي دالة على علو كعب المؤلف في مجال التحصيل العلمي، منبئة عن رسوخ قدمه في ميدان الرحلة والسماع، وهي تُعين المطالع على تقبل النص بشكل أسرع دون أن تثقل كاهل ذاكرته بكثرة الرواة...¹¹.

وقبل بيان عدد أسانيد البخاري العالية يجدر بنا أن نبين أهمية علو الإسناد عند المحدثين.

المطلب الثاني: علو الإسناد وأهميته عند علماء الحديث:

إن أشرف أنواع العلو أن تصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بإسنادٍ نظيف، يقل فيه عدد الوسائط بينك وبينه صلى الله عليه وسلم، لأنه - صلى الله عليه وسلم - مثل المصباح، كلما اقتربت إلى المصباح ازداد الضوء، وكلما ابتعدت عنه قل هذا الضوء، وإن ابتعدت كثيراً أوغلت في الظلمة، لهذا كان العلماء يتهافتون على العلو.

9 - معجم مصطلحات العلوم الشرعية، ص: 1150، والمدخل إلى الجامع المسند الصحيح، ص: 47.

10 - الرحلة في طلب الحديث للخطيب (ص: 20).

11 - المدخل إلى الجامع المسند الصحيح، ص: 47.

وللعلو في الإسناد فائدة عظيمة وأهمية كبيرة، وهي أنه يبعد الإسناد من الخلل، لأن كل رجل من رجاله قد يحتمل أن يقع من جهته خلل في النقل، فإذا قلّت الوسائط تقلّ جهات الاحتمال للخلل، فيكون علوُّ السند قوة للحديث¹²؛ لذلك عُني المحدثون بالعلو عناية كبيرة، وألفوا فيه المصنفات، وتجنّسوا لتحصيله المشقات، حتى رحلوا إلى الأقطار النائية سعياً وراء علو السند، ما إن يسمع أحدهم بحديث عن محدث في عصره حتى يرحل إليه ليسمعه منه مباشرة.

قال الحافظ أبو الفضل المقدسي: «أجمع أهل النقل على طلبهم العلو ومدحه، إذ لو اقتصروا على سماعه بنزول لم يرحل أحد منهم».

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «طلب الاسناد العالي سنة عمن سلف».

وقيل ليحيى بن معين في مرض موته: «ما تشتهي؟» قال: «بيت خال، وإسناد عال!»¹³.

وأعلى ما وقع للإمام البخاري الأسانيد الثلاثية، وهي أعلى ما يقع في زمانه لطالب العلم المجتهد المثابر، وقد أودع في الجامع من مجموع ما تحصّل لديه على تلك الصفة اثنين وعشرين حديثاً، روى أغلبها عن شيخه المكي بن إبراهيم¹⁴، وما تبقى أخرجه عن شيخه أبي عاصم الضحاك بن مخلد النبيل¹⁵، إلا ثلاثة أحاديث أخرجه عن شيخه

محمد بن عبد الله الأنصاري¹⁶، وحديثاً واحداً أخرجه عن شيخه خلاد بن يحيى¹⁷، وآخر أخرجه عن شيخه عصام بن خالد¹⁸، وقد اعتنى جمع من العلماء بشرح هذه الثلاثيات وأفردوها في مؤلفات مستقلة¹⁹.

أما الأسانيد الرباعية والخماسية؛ فهي كثيرة جدّاً في الجامع، وأطول إسناد وقع في صحيح البخاري إسناد تُساعيّ وحيد، وهو في الحقيقة خماسي؛ لأن بين الإمام البخاري وبين أول صحابي فيه أربعة رواة²⁰.

12 - علوم الحديث لابن الصلاح ص 231 وانظر منهج النقد في علوم الحديث ص 335 رقم عام 59.

13 - علوم الحديث ص 231.

14 - انظر: الأحاديث بالأرقام: (109 و 497 و 502 و 561 و 2007 و 2289 و 2960 و 3041 و 4206 و 5497 و 6891). وهي عبارة عن عشرة أحاديث في الحقيقة؛ لأن واحدا منها مكرر.

15 - انظر الأحاديث بالأرقام: (1924 و 2295 و 2477 و 4272 و 5569 و 7208).

16 - انظر الأحاديث بالأرقام: (2703 و 4499 و 6894)، وهي عبارة عن حديث واحد في حقيقة الأمر، لكن أخرجه البخاري مختصراً ومطولاً بعد ألفاظ.

17 - برقم (7421).

18 - برقم (3546).

19 - انظر تاريخ التراث العربي لسزكين (1/248)، وكتاب الإمام البخاري سيد الحفاظ والمحدثين، ص: 129.

20 - انظر: المدخل إلى الجامع الصحيح، ص: 47 - 48.

المطلب الثالث: أسباب علو أسانيد البخاري:

يتبين من النظر في سيرة الإمام البخاري أن أسباب تميّز أسانيده بميزة العلوّ وقلة الوسائط كانت عديدة، وأهمها هذه الأسباب:

تقدّم زمن ولادته على سائر أصحاب الكتب الستة؛ فإنه ولد عام 194هـ.

عنايته بطلب الحديث في سنّ مبكر؛ فإنه بدأ بطلب الحديث في التاسعة من عمره، فحفظ عشرات الآلاف منه قبل أن يحلم.

عناية أمه وأخيه الأكبر أحمد بن إسماعيل بتلقيه للعلم والأخذ عن المشايخ، حيث اصطحابه إلى مكة ومنها إلى المدينة، وهو لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، فهما رجعا إلى بخارى بعد فريضة الحج وتركاه يتنقل في عواصم العلم ومراكز الحديث ليتلقّى الحديث من أصحابه. لا سيما مكة والمدينة اللتان كانتا موئلا أهل العلم وملتقى علماء الأمة شرقا وغربا، ومحط ركاب طلاب الحديث.

ذكاءه المفرط وكونه من أعلى طباق الموهبين علما وحفظا، وفقها ونقدا²¹.

حسن اختيار مشايخه، فكان - رحمه الله - يختار الرواة الذين يقلّ عدد الوسائط بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا ما يُعرف بـ«علو الإسناد»، حيث يكون عدد الرواة أقل، مما يزيد من قوة الحديث وقلة احتمالية الخطأ.

حسن انتقائه للرواة، فقد كان البخاري شديد الانتقاء للرواة، فكان يختار من اشتهروا بالضبط والإتقان والعدالة، مما يجعل أسانيده عالية من حيث الجودة والثقة.

تتلمذه على يد كبار المحدثين في عصره، مما أتاح له أن يأخذ الحديث مباشرة من الشيوخ المعروفين، وهذا أكبر سبب يساهم في علو الإسناد²².

حرصه الشديد على السفر والطلب، فقد سافر البخاري كثيرًا في طلب الحديث، واجتمع بشيوخ من مختلف البلدان، مما أتاح له أن يجمع أسانيد عالية من مصادر متنوعة²³.

21 - انظر: الإمام البخاري لعبد الستار الشيخ، ص: 148.

22 - انظر: الإمام البخاري لعبد الستار الشيخ، ص: 152.

23 - الإمام البخاري لعبد الستار الشيخ، ص: 153.

المطلب الرابع: خاصية شدة الاتصال في أسانيده في صحيحه:

من خصائص أسانيد الإمام البخاري في صحيحه شدة الاتصال في أسانيده؛ وذلك باشتراطه اللقاء في الإسناد المعنعن، وعدم اكتفائه بالمعاصرة.

ويُقصد باللقاء في علم الحديث: التقاء الراوي بالشيخ. وشاهده قول الحافظ ابن حجر: «**والمراد باللقاء ما هو أعم من المجالسة والمماشة، ووصول أحدهما إلى الآخر، وإن لم يكالمه**»²⁴.

وأما المعاصرة، فهي: أن يعيش الراوي، والشيخ الذي يروي عنه في عصر واحد، سواء ثبت اللقاء بينهما، أو لم يثبت²⁵.

فمما تميزت به أسانيد الإمام البخاري في صحيحه أنه اشترط في إخراجه الحديث في كتابه الصحيح أن يكون الراوي قد عاصر شيخه وثبت عنه سماعه منه، ولم يشترط مسلم الثاني، بل اكتفى بمجرد المعاصرة. وهذا الشرط منصب على العننة²⁶، فالراوي الذي يحدث عن شيخه بصيغة العننة، كأن يقول مالك عن نافع؛ متى تحمل العننة هنا على الاتصال؟

فاشترط الإمام البخاري - رحمه الله - أن يثبت عنده اللقي، فإن ثبت عنده أن هذا الراوي التقى بشيخه؛ عندئذ تُحمل عننته عنه على الاتصال، أما مسلم؛ فإذا ثبت عنده أن الراوي تعاصر مع شيخه أي عاشا في نفس العصر، واللقاء بينهما ممكن، أي يمكن لقاء أحدهما الآخر، فيكونان مثلاً في نفس البلد، أو الأول في الشام و الآخر في المدينة، وثبت أن الذي في الشام رحل إلى المدينة؛ ففي مثل هذه الحالة مع حرص المحدثين على الأخذ من بعضهم؛ تكون احتمالية اللقاء بينهم كبيرة جداً؛ لذلك يحمل مسلم مثل هذه الصورة على الاتصال، ما لم يكن الراوي مدلساً أو معروفاً بالإرسال.

ولا شك أن شرط البخاري أقوى وأضيق من ناحية الاتصال، وشرط مسلم أضعف. وسبق البخاري إليه شيخه علي بن المديني، ووافقهما أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان، والإمام أحمد، والإمام الشافعي وغيرهم، بل نقلوا عن جمهور المتقدمين أنهم يذهبون إلى هذا المذهب، وأما كثير من المتأخرين فهم يذهبون إلى ما ذهب إليه مسلم - رحمه الله -²⁷.

24 - انظر: نزهة النظر لابن حجر، ص: 111، فتح المغيب للسخاوي، (1/204).

25 - انظر: معجم مصطلحات العلوم الشرعية، ص: 1563.

26 - العننة: رواية المحدث الحديث مستخدماً صيغة: "عن فلان"، من غير بيان التحديث، والإخبار، والسماع. انظر: الشذ الفياح للأبناسي، (1/161).

27 - شرح العلل لابن رجب (2/ 588-589).

قال النووي رحمه الله: ومما ترَّجَّح به كتاب البخاري أن مسلماً رحمه الله كان مذهبه، بل نقل الإجماع في أول صحيحه أن الإسناد المعنعن له حكم الموصول بـ: **«سمعت»** بمجرد كون المُعْنَعِن، والمُعْتَمَدُ عنه كانا في عصر واحد، وإن لم يثبت اجتماعهما، والبخاري لا يحمله على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما، وهذا المذهب يُرَّجَح كتاب البخاري، وإن كنا لا نحكم على مسلم بعمله في صحيحه بهذا المذهب، لكونه يجمع طرقاً كثيرة يتعذر معها وجود هذا الحكم الذي جوزه²⁸.

وهذا ما قرَّره الحافظ ابن حجر أيضاً في أكثر من موضع من مؤلفاته، فقال في هدي الساري مقدمة فتح الباري: **«و عند التأمل يظهر أن كتاب البخاري أتقن رجالاً وأشد اتصالاً، وبيان ذلك من وجوه...»** ثم ذكر وجوهاً في كون رجاله أكثر إتقاناً من رجال مسلم، خامسها: أن مسلماً كان مذهبه على ما صرح به في مقدمة صحيحه، وبالغ في الردّ على من خالفه أن الإسناد المعنعن له حكم الاتصال إذا تعاصر المُعْنَعِن، ومن عنعن عنه، وإن لم يثبت اجتماعهما إلا إن كان المُعْنَعِن مدلساً، والبخاري لا يحمل ذلك على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما ولو مرة، وقد أظهر البخاري هذا المذهب في تاريخه، وجرى عليه في صحيحه، وأكثر منه حتى أنه ربما خرج الحديث الذي لا تعلق له

بالباب جملة إلا ليبين سماع راو من شيخه لكونه قد أخرج له قبل ذلك شيئاً معنعناً... هذا مما ترجح به كتابه، لأننا وإن سلمنا ما ذكره مسلم من الحكم بالاتصال، فلا يخفى أن شرط البخاري أوضح في الاتصال، والله أعلم²⁹.

وقال أيضاً: ومما يَرَّجَح به كتاب البخاري اشتراطه اللقي في الإسناد المعنعن، وهو رأي شيخه علي بن المديني، عليه استقرّ عمل المحدثين من أهل الحديث... وأما مسلم فإنه يكتفي بإمكان اللقي بالمعاصرة.. ومنه يظهر أن شرط أبي عبد الله أضيّق من شرط أبي الحسين، فلذا كان كتابه أقوى تحريراً وأشد اتصالاً³⁰.

وقال في موضع آخر: وقال أيضاً: **وهو المختار تبعاً لعلي بن المديني، والبخاري، وغيرهما من النقاد»**³¹.

28 - شرح صحيح مسلم (14/1).

29 - هدي الساري، ص (13) والنكت على كتاب ابن الصلاح (1/288 - 289). انظر: نزهة النظر لابن حجر، ص: 63، تدريب الراوي للسيوطي، (1/245).

30 - هداية الساري لسيرة البخاري ص: 138 - 139.

31 - انظر: الشذ الفياح للأبناسي، (1/161)، نزهة النظر لابن حجر، ص: 126، فتح المغيث للسخاوي، (1203).

المبحث الثاني

خصائص ومميزات أسانيد الإمام البخاري من حيث عدالة رواتها وضبطهم.

المطلب الأول: من خصائص أسانيد الإمام البخاري أنها أتقن رجالاً، وأعدّل رواةً.

من المعلوم لدارسي علم الحديث وظلّابيه أن من أهمّ شروط الحديث الصحيح بعد اتصال الإسناد هو عدالة الرواة وضبطهم، وقد شارك البخاريّ مسلم وغيره في اشتراط العدالة والضبط، واتصال السند وغيرها من شروط الصحة، إلا أنّ الإمام البخاري - رحمه الله - تميّز عن غيره من أئمة الحديث، فشرط في رجال إسناده بعد الاتصال، اتّصافهم بالعدالة التامة، والإتقان والضبط، كما صرّح بذلك علماء المصطلح في القديم والحديث، ممن درسوا شروط أئمة الحديث وآلّفوا في مناهج أصحاب كتب الحديث، كالإمام الحازمي (ت 584هـ) الذي تناول شروط الأئمة الخمسة بالبحث والدراسة، وهم: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت 261هـ)، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ)، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت 279هـ)، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت 303هـ)، فذكروا أن من أسباب ترجيح صحيح البخاري على صحيح مسلم وغيره من كتب الصحاح هو اتصال أسانيده، واتّصاف رجاله بالعدالة التامة والإتقان والحفظ، وشدّة انتقاءه

وتحرّيه للرجال، فقد ذكر الخطيب عنه أنه قال: «ترك عشرة آلاف حديث لرجل لي فيه نظر، وترك مثله أو أكثر منه لغيره لي فيه نظر»³².

وممن نصّ على كون أسانيد البخاري أعدل رواةً الحافظ ابن حجر العسقلاني؛ فإنه ذكر في كلامه عن المفاضلة بين الصحيحين أربعة وجوه تتعلق بعدالة رواة صحيح البخاري، فقال: «وأما من حيث التفصيل فيترجّح كتاب البخاري على كتاب مسلم؛ فإن الإسناد الصحيح مداره على اتصاله وعدالة الرواة، كما بيّناه غير مرة، وكتاب البخاري أعدل رواةً من كتاب مسلم، والدليل على ذلك من أوجه:

1 - أحدها: أن الذين انفرد البخاريّ بالإخراج لهم دون مسلم، أربعمئة وخمسة وثلاثون رجلاً، المتكلّم فيهم بالضعف نحو من ثمانين رجلاً.

والذين انفرد مسلم بإخراج حديثهم دون البخاري ستمائة وعشرون رجلاً، المتكلّم فيهم بالضعف منهم مائة وستون رجلاً، على الضعف من كتاب البخاري. ولا شك أن التخرّيج عن من لم يتكلّم فيه أصلاً، أولى من التخرّيج عن من تكلم فيه، ولو كان ذلك غير شديد.

2 - الوجه الثاني: أنّ الذين انفرد بهم البخاري ممن تُكَلِّم فيه لم يكن يُكثَرُ من تخريج أحاديثهم، وليس لواحد منهم نسخة كبيرة أخرجها أو أكثرها إلا نسخة عكرمة، عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -.

بخلاف مسلم فإنه يُخرج أكثر تلك النسخ التي رواها عمن تُكَلِّم فيه كأبي الزبير، عن جابر - رضي الله تعالى عنه - وسهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه -، وحماد بن سلمة عن ثابت عن أنس - رضي الله تعالى عنه - والعلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - ونحوهم.

3 - الوجه الثالث: أن الذين انفرد بهم البخاري ممن تُكَلِّم فيه أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وعرف أحوالهم واطّلع على أحاديثهم، ودرس أصولهم، ولم يكتف بالأخذ عن الأفواه أو النسخ الفرعية التي يملكون منها، فميّز جيدها من رديها. بخلاف مسلم، فإن أكثر من تفرد بتخريج حديثه ممن تُكَلِّم فيه من المتقدمين، وقد خَرَجَ أكثر نسخهم كما قدمنا ذكره. ولا شك أن المرء أشدُّ معرفةً بحديث شيوخه، وبصحيح حديثهم من ضعفه ممن تقدّم عن عصرهم.

4 - الوجه الرابع: أن أكثر هؤلاء الرجال الذين تُكَلِّم فيهم من المتقدمين، يُخرج البخاري أحاديثهم غالباً في الاستشهادات، والمتابعات والتعليقات، بخلاف مسلم، فإنه يخرج لهم الكثير في الأصول والاحتجاج، ولا يعرّج البخاري في الغالب على من أخرج لهم مسلم في المتابعات، فأكثر من يخرج لهم البخاري في المتابعات يحتج بهم مسلم، وأكثر من يخرج لهم مسلم في المتابعات لا يعرج عليهم البخاري.

ثم قال الحافظ: فهذا وجه من وجوه الترجيح ظاهر، والأوجه الأربعة المتقدمة كلها تتعلق بعدالة الرواة³³.

وقال أبو المعالي محمود شكري الآلوسي: «فما تُكون رواؤه في الدرجة العليا في العدالة والضبط، وسائر الصفات التي توجب الترجيح كان أصحّ مما دونه، ولذا قدّم في الصّحّة: صحيح أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاريّ، على صحيح مسلم بن الحجاج القشيريّ³⁴.

فالحاصل أن أسانيد صحيح البخاري بسبب اتصاف رجاله بالعدالة التامة والضبط، وكذلك بسبب تقدم الإمام في معرفة علل الأسانيد والمتون أنقى وأسلم. فهذه ميزة كبيرة من مزايا صحيح البخاري على صحيح مسلم، كما سئل الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - عن مزايا كلّ من صحيح البخاري ومسلم عن الآخر من جهة المتون ومن جهة الأسانيد، فقال الشيخ في إجابته السديدة والموفقة: من

33 - النكت على كتاب ابن الصلاح (1/286 - 288).

34 - عقد الدرر في شرح مختصر نخبة الفكر (ص187).

المعروف أن صحيح البخاري يمتاز على صحيح مسلم من ناحيتين اثنتين: الناحية الأولى: أن علمه بالأسانيد وبعملها وعلل المتون أتم وأكمل من صاحبه الإمام مسلم، وكذلك هو أعلم بالرجال منه ومن كثير ممن هم سواه، ولهذا فأسانيد البخاري أنقى وأسلم وأقوى من أسانيد الإمام مسلم هذه هي الميزة الأولى³⁵.

المطلب الثاني: أغلب رجال أسانيد البخاري من الطبقة الأولى البالغة في الحفظ والإتقان:

نظراً لتفاوت رجال الأسانيد في العدالة والضبط، طول الملازمة وقصرها، قسم بعض العلماء الرواة المكثرين منهم إلى طبقات، ومن هؤلاء الإمام الحازمي فإنه قال عند ذكره لطبقات الزهري الذي اشتهر بالإكثار من جمع لحديث وروايته: اعلم أنه لهؤلاء الأئمة يعني البخاري ومسلم وأبا داود الترمذي والنسائي مذهباً في كيفية استنباط مخارج الحديث نشير إليها على سبيل الإيجاز وذلك أن مذهب من يخرج الصحيح أن يعتبر حال الراوي العدل في مشايخه وفيمن روى

عنهم وهم ثقات أيضاً، وحديثه عن بعضهم صحيح ثابت إلى أن قال: ... أصحاب الزهري على طبقات خمس، ولكل طبقة منها مزية على التي تليها، فمن كان في الطبقة الأولى فهو الغاية في الصحة، وهو غاية مقصد البخاري. والطبقة الثانية: شاركت الأولى في العدالة، غير أنها لم تلازم الزهري إلا مدة يسيرة، فلم تمارس حديثه، وكانوا في الإتقان دون الطبقة الأولى، وهم شرط مسلم .. إلى أن قال: وقد يخرج البخاري أحياناً عن أعيان الطبقة الثانية ..³⁶.

وقال السيوطي: « البخاري يخرج عن الطبقة الأولى البالغة في الحفظ والإتقان. ويخرج عن طبقة تليها في الثبوت وطول الملازمة، اتصالاً وتعليقاً، ومسلم يخرج عن هذه الطبقة أصولاً، كما قرره الحازمي»³⁷.

35 - تراث الألباني. رضي الله عنهما رضي الله عنه [/ps://www.al-bany.com/ps/](http://www.al-bany.com/ps/)

36 - شروط الأئمة الخمسة ص: 47

37 - تدريب الراوي (1/ 92).

المبحث الثالث: خصائص ومميزات أسانيد الإمام البخاري من حيث طول الصحة والملازمة، وقلة الانتقاد في رجالها.

المطلب الأول: عناية الإمام البخاري بطول صحة الراوي لشيخه، وملازمته له.

يقصد بطول الصحة: امتداد فترة ملازمة الراوي للشيخ³⁸، وأما الملازمة فهي: طول مجالسة الراوي لشيخه وتفترغه للأخذ عنه. وشاهده قول الخطيب البغدادي: «من أول ما ينبغي أن يستعمله الطالب شدة الحرص على السماع، والمساورة إليه، والملازمة للشيخ»³⁹.

فمن خصائص أسانيد صحيح البخاري، ومميزاتها هو حرصه على أن يكون الراوي الذي يروي الحديث بإسناده ممن يجمع بين الحفظ والإتقان، وطول مصاحبة الراوي لشيخه الذي يروي عنه، وملازمته له؛ لأن ذلك يشير إلى قوة حفظ الراوي عن شيخه، وشدة ضبطه للحديث الذي يروي عنه، كما أن الملازمة تؤثر في الترجيح بين الروايات المضطربة

رفعاً أو وقفاً، وفي قبول زيادة الثقة أو ردها، وفي التمييز بين المدرج وغير المدرج، ففي هذه الصور يقدم قول من طالت ملازمته للشيخ مع الحفظ والإتقان؛ لأنه أعلم الناس بمرويات شيخه وبضبطها⁴⁰.

وقد استنبط العلماء هذا الشرط من استقراء طريقة الإمام البخاري في تخريج أحاديثه. قال محمد شكري الألوسي: «وأما عدالة الرجال وضبطهم؛ فلأن البخاري إنما يخرج حديث الثقة المتقن الملازم له. أخذ عنه ملازمة طويلة، ولا يخرج لمن يلي هذه الطبقة إلا في المتابعات، ومسلم يخرج لهذه الطبقة؛ كما يخرج للتي قبلها»⁴¹.

المطلب الثاني: قلة الانتقاد في رجال أسانيد البخاري.

بناءً على الخصائص العديدة التي تميزت بها أسانيد الإمام البخاري من شدة اتصالها، وعدالة رجالها مع طول الصحة والملازمة، قل الانتقاد في رجاله وصار كتابه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى.

قال الحافظ ابن حجر: "الأحاديث التي انتقدت عليهما بلغت مائتي حديث وعشرة أحاديث ... اختص البخاري منها بأقل من ثمانين، وباقي ذلك يختص بمسلم، ولا شك أن ما قل الانتقاد فيه أرجح مما كثر ..."⁴².

38 - انظر: معجم مصطلحات العلوم الشرعية، ص: 1070.

39 - انظر: الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي، (2/182)، نزهة النظر لابن حجر، ص: 144، التعريفات للجرجاني، ص: 229، تدريب الراوي للسيوطي، (1/140).

40 - انظر: الملازمة وأثرها على الراوي والمروي، مقال أعده د. محمود رشيد. المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، العدد (1/2) 1430 هـ - 2009 م.

41 - عقد الدرر في شرح مختصر نخبة الفكر (ص 190):

42 - «هدي الساري» ص (14).

خاتمة

في ختام هذه الورقة أذكر أهم النتائج التي توصلت إلى من خلال معاشتي مع هذا البحث الممتع، ومع تقليب صفحات ما يقارب من (50) مصدرا من مصادر الحديث وعلومه. وهذه النتائج كالتالي:

كان القرن الثالث الهجري من أزهى عصور السنة النبوية؛ إذ نشط فيه التأليف والتصنيف في تدوين الحديث حيث ظهرت أشهر دواوين السنة النبوية، وأمّهات الكتب الحديثية من المؤطّات والمسانيد، والصحاح والسنن، وغيرها. وكان من أهم وأعظم هذه المصنفات كتاب: «**الجامع المسند الصحيح**» للإمام البخاري.

أولى الإمام البخاري - رحمه الله - صحيحه من العناية ما يُول به كتابه الآخر من اختيار رجاله، وانتقاء أحاديثه وتحريره في كمال سلامته، وتعقده بمزيد من التهذيب والتعديل، وعرضه على أشهر الأئمة المعروفين في عصره. وبسبب هذا التحري والتبني من المؤلف، ولما تميّزت به أسانيده ومتونه، ثم بشهادة الأئمة له بالقبول، صار كتابه الصحيح أجود وأصح المصنفات الحديثية كلها.

كما أن الأمة الإسلامية اختصّت بخاصية الإسناد، كذلك اختصت أسانيد صحيح البخاري بخصائص عديدة من حيث علوّها، وشدّة اتصالها، وعدالة روايتها وضبطهم، مع طول صحبتهم وملازمتهم لشييوخهم. فأسانيده أشد اتصالا وأتقن رجالا، وأعدل رواة مما جعلته بجدارة أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى.

أصل خصائص أسانيد البخاري وأساسها يعود إلى الشروط الصّارمة التي وضعها الإمام البخاري في قبول الأحاديث وإدراجها في صحيحه، مما لم يلتزمها غيره ممن عاش في عصره أو من جاء بعده، مثل التّأكد من ثبوت لقاء الراوي لمن روى عنه في الإسناد المعنعن الذي لم يُعرف المعنعن بإرسال أو تدليس، وتحقيق العدالة والضبط في رجاله، مع طول صحبة الراوي وملازمته لشيخه، وغيرها من الخصائص والشروط.

من أهم خصائص أسانيد البخاري علوّ أسانيدها؛ فإن علوّ إسناده يدل على علوّ كعبه في مجال التحصيل العلمي، وفي الوقت نفسه منبئ عن رسوخ قدمه في ميدان الرحلة والسماع.

أعلى ما وقع للإمام البخاري من الأسانيد العالية: الأسانيد الثلاثية، وهي أعلى ما يقع في زمانه لطالب العلم المجدّ المثابر، وقد أودع في الجامع من مجموع ما تحصّل لديه على تلك الصفة اثنين وعشرين حديثا.

كانت أسباب تميّز أسانيد البخاري بالعلو عديدة، أهمها: تقدم زمن ولادته على سائر أصحاب الكتب الستة، عنايته بطلب الحديث في سنّ مبكر، تتلمذه على يد كبار المحدثين في عصره، حسن اختيار مشايخه، حسن انتقائه للرواة، حرصه الشديد على السفر والطلب، وغير ذلك.

من خصائص أسانيد البخاري في صحيحه ومميزاته شدة اتصال أسانيده، وذلك باشتراطه اللقاء في الإسناد المعنعن، وعدم اكتفائه بالمعاصرة.

من أهم خصائص أسانيد البخاري اتصاف رجالها بالعدالة التامة والضبط، وأن أغلب رجالها من الطبقة الأولى البالغة في الحفظ والإتقان. وهذه ميزة كبيرة من مزايا صحيح البخاري على صحيح مسلم. ولأجل هذه الخصائص قلّ الانتقاد على أحاديث البخاري.

فهرس المصادر والمراجع

الأحاديث المختارة مما لم يخرجہ البخاري ومسلم في صحيحيهما لضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت 643 هـ). دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دھيش. الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1420 هـ - 2000 م.

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان - صحيح ابن حبان - للأمر علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت 739 هـ)، تحقيق، تخريج وتعليق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2 / 1414 هـ - 1993 م.

أحوال الرجال لإبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني، أبو إسحاق (ت 259 هـ)، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم التستوي، الناشر: حديث أكاديمي - فيصل آباد، باكستان

الاعتصام لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت 790 هـ) تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان - السعودية، ط1 / 1412 هـ - 1992 م.

الإمام البخاري، أستاذ الأستاذين وإمام المحدثين وحجة المجتهدين، وصاحب الجامع المسند الصحيح. تأليف: عبد الستار الشيخ. دار القلم - دمشق، ط 1، 1428 هـ - 2007 م.

الإمام الترمذي والموازنة بين جامعہ وبين الصحيحين، للدكتور نور الدين عتر، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2، 1408 هـ - 1988 م.

بغية الملتمس في سباعات حديث الإمام مالك بن أنس، لصالح الدين خليل بن كيكليدي بن عبد الله الدمشقي العلائي (ت 761 هـ)، حققه وعلق عليه: حمدي عبد المجيد السلفي [ت 1433 هـ]، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1405 هـ - 1985 م.

تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463 هـ) تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط 1 / 1422 هـ - 2002 م.

تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض.

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911 هـ) تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.

تراث الألباني. رضي الله عنہ رضي الله عنه <http://www.al-albany.com/ps/>

التعريفات لأبي الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: 392 هـ) تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط 1 / 1405 هـ

تغليق التعليق، لابن حجر، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي ودرا عمار، ط 1، 1405.

توجيه النظر إلى أصول الأثر للشيخ طاهر الجزائري (ت 1338هـ)، دار المعرفة - بيروت.

تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676 هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت ط 1/ 1996م.

تهذيب الكمال، للمزي، تحقيق: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1400.

جامع التحصيل في أحكام المراسيل لصالح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلي بن عبد الله الدمشقي العلائي (ت 761 هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، ط 2/، 1407هـ.

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ) المحقق: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض.

الحديث النبوي: لمحمد الصبّاغ، المكتب الإسلامي - دمشق، ط 3/ 1397هـ.

الحطة في ذكر الصحاح الستة لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنّوجي (المتوفى: 1307هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

الرحلة في طلب الحديث لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق

المحقق: نور الدين عتر الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1395 رواة الحديث (النشأة - المصطلحات - المصنفات) للدكتور عواد بن حميد الرويثي، دار الميمنة - دمشق، ط 1/ 1439هـ.

سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (202 - 275 هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية - بيروت، ط 3/ 1430 هـ - 2009 م.

سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت 279 هـ)، تحقيق وتخريج: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط 1/ 1996 م.

سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط 3/، 1405 هـ / 1985 م.

الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح رحمه الله تعالى لإبراهيم بن موسى بن أيوب، برهان الدين أبو إسحاق الأبناسي، ثم القاهري، الشافعي (المتوفى: 802هـ)، تحقيق: صلاح فتحى هلال، الناشر: مكتبة الرشد، ط1/ 1418هـ - 1998م.

شرح علل الترمذي لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، تحقيق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، الناشر: مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن، ط1/ 1407هـ - 1987م.

شرف أصحاب الحديث لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت 463هـ)، تحقيق: د. محمد سعيد خطي اوغليدار، الناشر: دار إحياء السنة النبوية - أنقرة.

شروط الأئمة الخمسة، لأبي بكر محمد الحازمي، ط. دار الكتب العلمية في بيروت، ط1، 1405هـ.

صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير - دمشق، ط5/ 1414هـ - 1993م.

صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206 - 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة، عام النشر: 1374هـ - 1955م.

عقد الدرر في شرح مختصر نخبة الفكر لأبي المعالي محمود شكري الألوسي (1272 - 1342هـ)، تحقيق: إسلام بن محمود درباله، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، ط1/ 1420هـ - 2000م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.

فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي (المتوفى: 902هـ)، تحقيق: علي حسين علي، الناشر: مكتبة السنة - مصر، ط1/ 1424هـ - 2003م.

لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور (ت 711هـ)، تحقيق: جماعة من الباحثين، دار المعارف، القاهرة.

مجموع الفتاوى لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/ 1995م.

المدخل إلى الجامع المسند الصحيح، إعداد: حستين سلمان مهدي، نشر: دار الكمال المتحدة وبيت السنة، مكة المكرمة، ط1/ 1442هـ.

المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (321 - 405 هـ)، تحقيق وتخريج: عادل مرشد، د أحمد برهوم، د محمد كامل قره بلي، د سعيد اللحام. الناشر: دار الرسالة العالمية، ط1، 1439 هـ - 2018 م.

مسند أحمد للإمام أحمد بن حنبل (164 - 241 هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1421 هـ - 2001 م.

معجم الشيوخ الكبير لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت 748 هـ) تحقيق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف - المملكة العربية السعودية ط1/ 1408 هـ - 1988 م.

معجم مصطلحات العلوم الشرعية، تأليف: مجموعة من المؤلفين، نشر: مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، ط1/ 1439 هـ - 2017 م.

معرفة أنواع علوم الحديث لعثمان بن عبد الرحمن، أبي عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: 643 هـ) تحقيق: نور الدين عتر. الناشر: دار الفكر - سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت، عام النشر: 1406 هـ - 1986 م.

الملازمة وأثرها على الراوي والمروي، مقال أعده د. محمود رشيد. المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، العدد (2/أ) 1430 هـ - 2009 م.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676 هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط2/ 1392 هـ.

منهج النقد في علوم الحديث، تأليف الدكتور نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر، دمشق - سورية، ط3، 1401 هـ - 1981 م

نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لأحمد بن علي ابن حجر الشافعي. تحقيق: د عبد المحسن بن محمد القاسم، ط1، 1442 هـ - 2021 م

النكت على كتاب ابن الصلاح لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852 هـ) تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي. الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1/ 1404 هـ - 1984 م.

هداية الساري لسيرة البخاري، تأليف الحافظ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني المتوفى (سنة 852 هـ)، تحقيق: حَسَنِين سلمان مهدي، الناشر: دار الكمال المتحدة - دمشق، ط1/ 1432 هـ - 2011 م.

هدي الساري مقدمة فتح الباري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773 - 852 هـ)، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، الناشر: المكتبة السلفية - مصر، ط1/ 1380 هـ.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلّى الله وسلم على خير خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

تراجم أبواب الجامع الصحيح: البناء المنهجي ومعالم الإبداع العلمي

إعداد

أد إدريس الخرشافي

أستاذ التعليم العالي بجامعة القرويين و جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس
المملكة المغربية



بسم الله الرحمن الرحيم

يعتبر الحديث عن : «البناء المنهجي ومعالم الإبداع العلمي» في تراجم أبواب الجامع الصحيح للإمام البخاري رحمه الله تعالى من أدق القضايا التي ميزت التصنيف المنهجي عند الإمام البخاري وكشفت عن معالم الإبداع العلمي التي طبعت تجربته في التأليف الحديثي.

وقد اهتم شراح الحديث ودارسو الجامع الصحيح بدراسة هذا الجانب من الكتاب إما في إطار الشرح العام للكتاب من أمثال ابن بطل (ت 449هـ) والكرماني (ت 786هـ) والحافظ ابن حجر (ت 852هـ) رحمهم الله تعالى جميعا، أو بشكل مفرد من مثل صنيع ناصر الدين بن المُنير (ت 683هـ) في كتابه : «المتواري علي تراجم أبواب البخاري» والحافظ ابن رُشيد السبتي (ت 721هـ) في كتابه: «ترجمان التراجم».¹

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - (ت 852هـ) : «وقد جمع العلامة ناصر الدين أحمد بن المُنير خطيب الإسكندرية من ذلك أَرْبَعِمِائَةَ تَرْجَمَةٍ وَتَكَلَّمَ عَلَيْهَا وَلَخَصَهَا الْقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ وَزَادَ عَلَيْهَا أَشْيَاءَ. وَتَكَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا بَعْضُ الْمَغَارِبَةِ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ حَمَامَةَ السَّجْلَمَاسِيِّ وَلَمْ يَكْثُرْ مِنْ ذَلِكَ بَلْ جَمَلَةٌ مَا فِي كِتَابِهِ نَحْوُ مِائَةِ تَرْجَمَةٍ وَسِمَاهُ : «فَكَاغْرَاضُ الْبُخَارِيِّ الْمُبْهَمَةِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَدِيثِ وَالتَّرْجَمَةِ» وَتَكَلَّمَ أَيْضًا عَلَى ذَلِكَ زَيْنُ الدِّينِ عَلَى بْنِ الْمُنِيرِ أَخُو الْعَلَامَةِ نَاصِرِ الدِّينِ فِي شَرْحِهِ عَلَى الْبُخَارِيِّ وَأَمَعَنَ فِي ذَلِكَ. وَوَقَفْتُ عَلَى مُجَلَّدٍ مِنْ كِتَابِ اسْمِهِ : تَرْجَمَانُ التَّرَاجِمِ «لَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَشِيدِ السَّبْتِيِّ

1- قلت : هذا الكتاب من مصادر التراث الحديثي التي حُجبت عنا فلم تصلنا ، غير النقل منه والإفادة من نصوصه موجودة عند من جاء بعده ومنهم الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في فتح الباري (تراجع المواطن الآتية « 1/10 و 1/133 و 2/29 و 3/10. وغيرها .

يَشْتَمِل عَلَى هَذَا الْمَقْصِدِ وَصَلَ فِيهِ إِلَى كِتَابِ الصَّيَامِ وَلَوْ تَمَّ لَكَانَ فِي غَايَةِ الْإِفَادَةِ وَأَنَّهُ لَكثيرُ الْفَائِدَةِ مَعَ تَقْصِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى الْمُؤَفَّقُ»²

وهي شروح ودراسات كشف عن وجود بناء منهجي رصين في هذه التراجم فضلا عن تضمنها معالم إبداعية في شتى مناحي المعرفة الإسلامية.

ويروم البحث في هذا الموضوع إبراز هذه الجوانب والاستدلال لها بما يفي ويكفي إظهارا للجهود الكبيرة التي أسداها المصنف رحمه الله خدمة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

هذا وسأهمهد للموضوع بمقدمة نظرية ثم أتبعها بذكر نماذج متنوعة من التراجم التي صاغها الإمام البخاري معبرا فيها عن تفوقه في البناء المنهجي وإبداعه في تقرير المعاني وتأسيس اختياراته.

ولنبداً كلامنا على : «تراجم الإمام البخاري» بما انتهى إليه الحافظ ابن حجر محررا القول فيها من حيث طبيعتها العلمية وصورها التطبيقية . قال رحمه الله :

«ولنذكر ضابطا يشتمل على بيان أنواع التراجم فيه وهي ظاهرة وخفية. أما الظاهرة فليس ذكرها من غرضنا هنا وهي أن تكون الترجمة دالة بالمطابقة لما يورد في مضمونها وإنَّما فائدتها الاعلام بما ورد في ذلك الباب من غير اعتبار لمقدار تلك الفائدة...»³

أما الخفية فهي التي لا تظهر وجه مناسبتها للأحاديث المروية تحتها، وتأخذ في كتاب البخاري عدة صور تطبيقية منها⁴ : «.. أن يكون في لفظ الترجمة احتمال لأكثر من معنى واحد فيعين أحد الاحتمالين بما يذكر تحتها من الحديث، وقد يوجد فيه ما هو بالعكس من ذلك بأن يكون الاحتمال في الحديث والتعيين في الترجمة، والترجمة هنا بيان لتأويل ذلك الحديث نائبة مناب قول الفقيه.. وهذا الموضوع هو معظم ما يشكل من تراجم هذا الكتاب ولهذا اشتهر من قول جمع من الفضلاء: «فقه البخاري في تراجمه»⁵

وحاصل كلامه رحمه الله تقسيم التراجم إلى نوعين : «تراجم ظاهرة وأخرى خفية». وذهب العلامة ولي الله الدهلوي (ت1176هـ) إلى تعديد صور⁶ تراجم أبواب الجامع الصحيح فبلغ بها سبع صور تطبيقية⁷.

2- هدي الساري 1/14.

3- هدي الساري 1/13.

4- قلت : «الكلام الذي يبتدئ من : «أما الخفية» إلى : «تطبيقية منها » من إنشائي الخاص.

5- المصدر السابق 1/13.

6- قلت : التعبير بالصور أخص من التعبير بالأنواع أو الأقسام . ذلك أن الصور تندرج تحت عموم الأنواع و الأقسام.

7- شرح تراجم أبواب البخاري ص : 19 ، 20.

أما أد نور الدين عتر - رحمه الله - (ت 1442هـ) فقد حصر أنواع تراجم أبواب الجامع الصحيح في أربعة أنواع :

النوع الأول : التراجم الظاهرة وفرع عنها عدة مسالك .

النوع الثاني : التراجم الاستنباطية التي تقتضي بذل الوسع وإعمال الفكر لبلوغ القصد منها ، وقد فرع عنها عدة مسالك أيضا .

النوع الثالث : التراجم المرسلة التي لم يذكر لها المصنف عناوين. وذكر لها أمثلة .

النوع الرابع : التراجم المفردة، وهي التي ترجم لها المصنف ولم يخرج لها حديثاً.⁸

ومهما يكن من أمر الكلام على تراجم أبواب الجامع الصحيح تقسيما أو تفرعا فإن قيمتها العلمية

و بناءها المنهجي و معالم الإبداع الكامنة فيها لا يمكن أن تبرز إلا بتقديم نماذج منها وإظهار ما فيها مما نهت عليه قبل حين .

8- قلت : يراجع بحث علمي نفيس للمصنف رحمه الله ترجم له بقوله : « الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعته الصحيح .(مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية... من ص : 70 إلى ص: 88)

1. نموذج ترجمة تتضمن اختياراً علمياً للإمام البخاري في مجال العقيدة.

روى الإمام البخاري في: «كتاب الأدب» من جامعه الصحيح حديثاً قال فيه: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُخْرِرٍ «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عَمَرَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ «يَذْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَتْفَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ عَمِلْتُ كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ نَعَمْ. وَيَقُولُ عَمِلْتُ كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ نَعَمْ. فَيَقْرُرُهُ ثُمَّ يَقُولُ إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»⁹.

إن إيراد المصنف لهذا الحديث في هذا الموطن يثير إشكالا. ذلك أن المصنف روى قبل هذا الحديث في الباب نفسه حديثاً آخر - هو الأصل - عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُضْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَيَقُولُ يَا فَلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُضْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»¹⁰.

وقد ترجم المصنف لهذين الحديثين بقوله: «باب سَتَرِ الْمُؤْمِنِ عَلَى نَفْسِهِ».

وبإمعان النظر في هذين الحديثين سياقاً ومناسبة للباب وللترجمة يتضح أن الحديث الأول مطابق للترجمة مناسب لها. وأما تخريج المصنف لحديث: «النجوى» - وهو الحديث الثاني في الباب - فهو مشكل من جهة عدم مطابقة للحديث قبله وعدم مناسبه للفظ الترجمة.

وقد أجاب الحافظ ابن بطال¹¹ عن إشكال انعدام التطابق بين الحديثين فقال: «..فِي الْجَهْرِ بِالْمَعْصِيَةِ اسْتِخْفَافٌ بِحَقِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِصَالِحِي الْمُؤْمِنِينَ وَفِيهِ ضَرْبٌ مِنَ الْعِنَادِ لَهُمْ وَفِي السَّتْرِ بِهَا السَّلَامَةُ مِنَ الْإِسْتِخْفَافِ لِأَنَّ الْمَعَاصِي تَذِلُّ أَهْلَهَا وَمِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ فِيهِ حَدٌّ وَمِنْ التَّغْزِيرِ إِنْ لَمْ يَوْجِبْ حَدًّا وَإِذَا تَمَحَّضَ حَقُّ اللَّهِ فَهُوَ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ وَرَحْمَتُهُ سَبَقَتْ غَضَبُهُ فَلِذَلِكَ إِذَا سَتَرَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَفْضَحْهُ فِي الْآخِرَةِ وَالَّذِي يُجَاهِرُ يَفُوتُهُ جَمِيعُ ذَلِكَ»¹².

وقد وافق الحافظ ابن حجر سلفه ابن بطال على هذا التوجيه فقال: «وَبِهَذَا يُعْرَفُ مَوْقِعُ إِيزَادِ حَدِيثِ النَّجْوَى عَقِبَ حَدِيثِ الْبَابِ»¹³.

9- الحديث رقم: 6070.

10- الحديث رقم 6069

11- قلت: هو أحد شراح البخاري من المغاربة (ت 449هـ)

12- نقله عنه الحافظ ابن حجر في الفتح 10/487. وهو في المطبوع من شرحه بلفظ قريب من هذا (شرح ابن بطال 9/263)

13- الفتح 10/487.

وبهذا التقرير يتضح معنى العبارة الواردة في حديث النجوى: «يَذْنُو أَخَذَكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَصْغَ كَنَفُهُ عَلَيْهِ..» وما لزم منها من مناجاة المؤمن لربه جل وعلا، وما تضمنه الحديث من إقرار للعبد بما ارتكبه من ذنوب مستترا ليستره الله، أثمر هذا استمرار ستر الله على عبده المؤمن في الآخرة. وما وقعت النجوى إلا لإظهار ستر الله على عبده وحصل بالتالي التجاوز عن ذنوبه التي ارتكبتها مستترا غير مجاهر. وبناء عليه تنجلي مطابقة الحديث الثاني للذي روي قبله.

أما عن تناسب الحديث الثاني - حديث النجوى - للترجمة فقد أجاب الحافظ ابن حجر عنه بقوله:

«وَقَدْ اسْتَشْكَتْ مُطَابَقَتُهُ لِلتَّرْجَمَةِ مِنْ جِهَةِ أَنَّهَا مَعْقُودَةٌ لِسِتْرِ الْمُؤْمِنِ عَلَى نَفْسِهِ وَالَّذِي فِي الْحَدِيثِ سَتَرُ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَالْجَوَابُ أَنَّ الْحَدِيثَ مُصَرِّحٌ بِذَمِّ مَنْ جَاهَرَ بِالْمَعْصِيَةِ فَيَسْتَلْزِمُ مَذْخَ مَنْ يَسْتَتِرُ وَأَيْضًا فَإِنَّ سِتْرَ اللَّهِ مُسْتَلْزِمٌ لِسِتْرِ الْمُؤْمِنِ عَلَى نَفْسِهِ. فَمَنْ قَصَدَ إِظْهَارَ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُجَاهَرَةَ بِهَا أَغْضَبَ رَبَّهُ فَلَمْ يَسْتُرْهُ وَمَنْ قَصَدَ التَّسْتَرَّ بِهَا خَيَّأَ مِنْ رَبِّهِ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ أَلَّهَ عَلَيْهِ بِسْتَرِهِ إِيَّاهُ..»

وبعد الكشف عن تطابق الحديثين وتناسب الحديث الثاني مع الترجمة تمهد السبيل لبيان ما اختاره الإمام البخاري في مجال العقيدة بناء على أحاديث الباب.

قال الحافظ ابن حجر: «إِنَّ الْبُخَارِيَّ يُشِيرُ بِذِكْرِ هَذَا الْحَدِيثِ فِي هَذِهِ التَّرْجَمَةِ إِلَى تَقْوِيَةِ مَذْهَبِهِ أَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ»¹⁴

ومعلوم أن البخاري رحمه الله كان منتصرا لهذا الاختيار العقدي ولذلك ألف كتابا سماه: «خلق أفعال العباد» واستثمر الحديث الصحيح على شرطه تقوية لاختياره..

2. نموذج ترجمة أبداع الإمام البخاري في تناسبها لآية قرآنية .

ترجم الإمام البخاري لحديث في كتاب: «فضائل القرآن» بقوله - رحمه الله - : باب: مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ¹⁵. وقوله تعالى «أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ...»¹⁶

ثم قال رحمه الله: «حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنِي اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ¹⁷ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

14- الفتح 10/488.

15- هذه الترجمة لفظ حديث أورده المصنف في كتاب: «التوحيد» فقال: «حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِمَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ». وَزَادَ غَيْرُهُ «يَجْهَرُ بِهِ». (الحديث رقم: 7527)

16- الآية رقم: 51 من سورة العنكبوت.

17- قوله «أبي هريرة» في رواية شعيب عن ابن شهاب حدثني أبو سلمة أنه سمع أبا هريرة أخرجه الإسماعيلي.

- أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ لشيءٍ ¹⁸ مَا أَذِنَ ¹⁹ لِلنَّبِيِّ ²⁰ ﷺ يَتَغَنَّى / أَنْ يَتَغَنَّى ²¹ بِالْقُرْآنِ » . وَقَالَ صَاحِبُ لَهُ : يُرِيدُ : يَجْهَرُ بِهِ ²² □ ²³

ووجه الإبداع في الترجمة حاصل في بناء الترجمة نفسها ذلكم أن المصنف رحمه الله ذكر طرفاً من حديث الباب وهو قوله ﷺ : « من لم يتغن بالقرآن » ثم أتبعه بنص قرآني لا تعلق له بمسألة التغني بالقرآن من حيث الظاهر . قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - محرراً هذه القضية :

وقد خفي وجه مناسبة تلاوة هذه الآية هنا على كثير من الناس كابن كثير فنفي أن يكون لذكرها وجه ²⁴ . على أن ابن بطال مع تقدمه قد أشار إلى المناسبة فقال: قال ... فالمراد بالآية الاستغناء عن أخبار الأمم الماضية وليس المراد الاستغناء الذي هو ضد الفقر. قال : واتباع البخاري الترجمة بالآية يدل على أنه يذهب إلى ذلك ²⁵ .

18- قوله: « لم يأذن الله لنبي » كذا لهم بنون وموحدة وعند الإسماعيلي: « لشيء » بشين معجمه وكذا عند مسلم من جميع طرقه.

19- وقوله: « أن » أي استمع والحاصل أن لفظ: « أن » بفتحة ثم كسرة في الماضي وكذا في المضارع مشترك بين الإطلاق والاستماع تقول: أذنت أذن بالمد فإن أردت الإطلاق فالمصدر بكسرة ثم سكون وإن أردت الاستماع فالمصدر بفتحتين ..

وقال القرطبي: أصل الأذن بفتحتين أن المستمع يميل بأذنه إلى جهة من يسمعه وهذا المعنى في حق الله لا يراد به ظاهره وإنما هو على سبيل التوسع على ما جرى به عرف المخاطب والمراد به في حق الله تعالى إكرام لقارئ وإزالة ثوابه لأن ذلك ثمرة الإصغاء. ووقع عند مسلم من طريق يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة في هذا الحديث: « ما أذن لشيء كأذنه » / ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به . / بفتحتين ومثله عند ... ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث فضالة بن عبيد الله: « لَّهِ أَشَدُّ أَذْنَا إِلَى الرَّجُلِ الْخَسَنِ الصَّوْتُ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ ». قلت: ومع ذلك كله فليس ما أنكره ابن الجوزي بمنكر بل هو موجه ، وقد وقع عند مسلم في رواية أخرى كذلك ووجهها عياض بأن المراد الحث على ذلك والأمر به. (الفتح 9/69)

20- قوله: « ما أذن لنبي » كذا للأكثر وعند أبي ذر: « للنبي » بزيادة اللام فإن كانت محفوظة فهي للجنس ووهم من ظنها للعهد وتوهم أن المراد نبينا محمد ﷺ فقال: ما أذن للنبي ﷺ وشرحه على ذلك الذال بمعنى الإباحة والإطلاق وليس ذلك مراداً هنا وإنما هو من الأذن بفتحتين وهو الاستماع. (9/68). (69)

21- رواية البخاري برقم: 5024.

22- قال في الفتح: « قوله: « وقال صاحب له يجهر به » الضمير في له لأبي سلمة والصاحب المذكور هو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بينه وبين أبيه في هذا الحديث أخرجه ابن أبي داود عن محمد بن يحيى الذهلي في:

« الزهريات » من طريقه بلفظ: « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن » قال ابن شهاب: « وأخبرني عبد الحميد بن عبد الرحمن عن أبي سلمة: « يتغنى بالقرآن » يجهر به . فكان هذا التفسير لم يسمعه ابن شهاب من أبي سلمة وسمعه من عبد الحميد عنه فكان تارة يسميه وتارة يبهمه ...

23- البخاري برقم: 5023.

24- قلت: هذا نص كلام الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره: « وعلى هذا فتصدير البخاري الباب بقوله تعالى: « أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » [العنكبوت: 51] ، فيه نظر؛ لأن هذه الآية الكريمة ذكرت رداً على الذين سألوا عن آيات تدل على صدقه، حيث قال: « وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ » الآية [العنكبوت: 50 ، 51]. ومعنى ذلك: أو لم يكفهم آية دالة على صدقك إنزالنا القرآن عليك وأنت رجل أُمي « وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآيَاتِ الْمُظْلِمِينَ » [العنكبوت: 48] أي: وقد جئت فيه بخبر الأولين والأخريين فأين هذا من التغني بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا، فعلى كل تقدير، تصدير الباب بهذه الآية الكريمة فيه نظر... (تفسير ابن كثير 1/60)

25- قلت: « هو ما نقله عنه الحافظ ابن حجر في الفتح (9/68) وهو في الأصل بالفاظ متقاربة (شرح ابن بطال 10/263)

وقال ابن التين²⁶: « يفهم من الترجمة أن المراد بالتغني الاستغناء لكونه أتبعه الآية التي تضمن الإنكار على من لم يستغن بالقرآن عن غيره فحمله على الاكتفاء به وعدم الافتقار إلى غيره وحمله على ضد الفقر من جملة ذلك..»²⁷ وبهذا يتضح وجه مناسبة طرف الحديث الوارد في الترجمة مع الآية القرآنية التي أوردتها المصنف بعده .

ولم يقف أمر الإبداع في هذه المسألة ذات البعد العقدي والتفسيري عند هذا الحد بل تعداه إلى حد آخر حيث أخرج المصنف رحمه الله حديث الباب في كتاب: «التوحيد» مترجماً له بقوله: باب قول الله تعالى « وَأَسِرُّوا قَوْلُكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ». « يَتَخَفَتُونَ » يَتَسَارُونَ²⁸

ثم روى تحت هذه الترجمة عدة أحاديث منها ما هو ظاهر المناسبة لنص الترجمة ومنها ما تخفى مناسبته لها ، و مما تخفى مناسبته للترجمة حديث : «التغني بالقرآن» حيث رواه بإسناد آخر غير الذي تقدم في كتاب : «فضائل القرآن» فقال: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ » . وَزَادَ غَيْرُهُ « يَجْهَرُ بِهِ »²⁹

قال ابن المنير³⁰ : «ظن الشارح³¹ أنه قصد بالترجمة إثبات العلم وليس كما ظن وإلا لتقاطعت المقاصد مما اشتملت عليه الترجمة لأنه لا مناسبة بين العلم وبين حديث : «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» . وإنما قصد البخاري الإشارة إلى النكتة التي كانت سبب محتته بمسألة اللفظ فأشار بالترجمة إلى أن تلاوة الخلق تتصف بالسر والجهر ويستلزم أن تكون مخلوقة ، وساق الكلام على ذلك . وقد قال البخاري في كتاب «خلق أفعال العباد» بعد أن ذكر عدة أحاديث دالة على ذلك فبين النبي ﷺ أن أصوات الخلق وقراءتهم ودراساتهم وتعليمهم وألسنتهم مختلفة بعضها أحسن وأزين وأحلى وأصوت وأرتل وألحن وأعلى وأخفض وأغض وأخشع وأجهر وأخفى وأقصر وأمد وألين من بعض³²»³³

26- قلت : هو محمد بن عبد الواحد السفاقسي المعروف بابن التين شارح البخاري (ت 611هـ)

27- الفتح 9/68.

28- الباب رقم : 44 من كتاب التوحيد.

29- الحديث رقم : 7527

30- قلت : هو ناصر الدين بن المنير (ت 683هـ) صاحب : « تراجم البخاري » أخ زين الدين ابن المنير وهو كذلك من شراح البخاري.(ت 695هـ)

31- قلت : يقصد ابن بطل فقد قال في توجيهه مناسبة الحديث للترجمة : «معنى هذا الباب إثبات العلم لله تعالى صفة بذاتية : لاستواء علمه من القول والجهر ، وقد بينه تعالى في آية أخرى ، فقال : «سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ» [الرعد : 10] ، وفيه دليل أن اكتساب العباد من القول والفعل خلق لله تعالى ألا ترى قوله : (وَأَسِرُّوا قَوْلُكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) [الملك : 13] ، ثم قال عقيب ذلك : «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» [الملك : 14] [شرح ابن بطل : 10/528]

32- خلق أفعال العباد ص : 73.

33- المتواري على تراجم أبواب البخاري ، ص : 428.. و نقله عنه الحافظ ابن حجر في الفتح . 13/501.

3. نموذج ترجمة خفية أبدع الإمام البخاري في تحرير بُعدها التشريعي.

ومن صور الترجمة الخفية عند الإمام البخاري في جامعه الصحيح ترجمته لحديث بقوله رحمه الله: باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»³⁴

وروى تحت هذه الترجمة حديثاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالَى الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالُ ، أَمِنَ خَلَالِ أَمٍّ مِنْ حَرَامٍ»³⁵

فاتضح أن التناسب بين عنوان الباب - أي الترجمة - والحديث المروي تحتها غير ظاهر أي خفي... قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : «...أشار بالترجمة إلى ما أخرجه النسائي من وجه آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ، فَمَنْ لَمْ يَأْكُلْهُ أَصَابَهُ مِنْ عُبَارِهِ»³⁶.

وعلى هذا فقد اختار الإمام البخاري أن يترجم لحديث الباب بنص آية قرآنية دالة على مقصوده ، محققة لغرضه ، مشيراً إلى نص حديث لم يصح عل شرطه . و كفى بهذا الصنيع إبداعاً .

4. نموذج ترجمة أبدع الإمام البخاري رحمه الله في استثمارها في مجال المصطلح الحديثي.

ترجم الإمام البخاري لباب من أبواب كتاب العلم من جامعه الصحيح بقوله : « باب قَوْلِ الْمُحَدِّثِ حَدَّثَنَا أَوْ أَخْبَرَنَا وَأَنْبَأَنَا . وَقَالَ لَنَا الْحَمِيدِي : كَانَ عِنْدَ ابْنِ عُيَيْنَةَ حَدَّثَنَا وَأَخْبَرَنَا وَأَنْبَأَنَا وَسَمِعْتُ وَاجِدًا... الخ »³⁷

فظاهر الترجمة التسوية بين الصيغ الدالة على سماع الراوي من شيخه ، وهو مبحث من مباحث الاصطلاح الحديثي. غير أنه روى تحت هذه الترجمة حديثاً قال فيه : «

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ ، فَحَدَّثُونِي مَا هِيَ ؟ » . فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدَّثَنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

34- سورة آل عمران الآية 130.

35- كتاب البيوع رقم الحديث : 2083.

36- سنن النسائي. كتاب البيوع . باب اجْتِنَابِ الشُّبُهَاتِ فِي الْكُشْبِ. رقم الحديث : 4472 . و كنص كلام الحافظ ابن حجر في الفتح (4/313)

37- الباب رقم : 4.

قَالَ : « هِيَ النَّخْلَةُ »³⁸

قال الحافظ ابن حجر مصورا عدم ظهور التناسب بين الترجمة و الحديث : فإن قيل فمن أين تظهر مناسبة حديث ابن عمر للترجمة ومحصل الترجمة التسوية بين صيغ الأداء الصريحة وليس ذلك بظاهر في الحديث المذكور؟³⁹

و الجواب عن إشكال عدم تناسب الحديث للترجمة يقتضي تتبع روايات الحديث وسياقاتها عند المصنف في مختلف مواطن تخريجه له في جامعه الصحيح وعند غيره من علماء الحديث الذي رووا هذا الخبر . فقد جاء في هذا الموطن قوله ﷺ : « فحدثوني ماهي ؟ » ووقع عند المصنف في كتاب : « التفسير » قال رحمه الله : « حَدَّثَنِي عُثَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ أَبِي أُسَامَةَ عَنْ عُثَيْدِ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُ أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَتَخَاتُ وَرَفْهًا وَلَا وَلَا وَلَا ، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ » . قَالَ ابْنُ عُمَرَ : فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لَا يَتَكَلَّمَانِ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ ، فَلَمَّا لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هِيَ النَّخْلَةُ » . فَلَمَّا قُمْنَا قُلْتُ لِعُمَرَ : يَا أَبَتَاهُ وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَقَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكَلَّمَ قَالَ لَمْ أَرَكُمُ تَكَلَّمُونَ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا . قَالَ عُمَرُ : لِأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا »⁴⁰

ووقع عند أبي بكر الإسماعيلي (ت 371 هـ) صاحب المستخرج على صحيح البخاري : قوله ﷺ : « أَنْبِئُونِي .. »⁴¹

وفي رواية مالك عند المصنف في باب : « الحياء في العلم » قوله ﷺ : حدثوني ماهي ؟ « قَالَ الْمَصْنَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ : « حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ ، حَدَّثُونِي مَا هِيَ ؟ » . فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَاسْتَحْيَيْتُ . فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنَا بِهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هِيَ النَّخْلَةُ » . »⁴²

...فدل ذلك على أن التحديث والاخبار والانباء عندهم سواء العلم بالنسبة إلى اللغة ، ومن أصرح الأدلة فيه قوله تعالى : « يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا »⁴³ وقوله تعالى : « وَلَا يَنْبُئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ »⁴⁴ .⁴⁵

38- الحديث رقم : 61.

39- الفتح 1/144.

40- الحديث رقم : 4698 . باب قَوْلِهِ : « كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضَلُّهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ » .

41- نقله عنه الحافظ في الفتح 1/145 لأن أصل الكتاب مما حُجِبَ عنا من التراث الحديثي .

42- الحديث رقم : 131.

43- سورة الزلزلة الآية رقم : 4.

44- سورة فاطر الآية رقم : 14.

45- فتح الباري 1/144 . 145.

وبهذا التحرير يتضح أن الإمام البخاري رحمه الله ما خرج حديث : «تشبيه المؤمن للنخلة» في المواطن المذكور إلا تقوية لمذهب الذي يرى تسوية الصيغ الدالة على صريح السماع . فروايات الحديث جامعة ومستوعبة لكل تلكم الصيغ ، وروايتها مسوون بينها في رواياتهم باستعمالها كلها بمعنى واحد.

5. نموذج ترجمة يخفى وجه مناسبتها للحديث المروي تحتها مظهرة إبداع المصنف في تحريرها.

صلة بالنموذج السابق فقد خرج الإمام البخاري حديث تشبيه المؤمن بالشجرة في كتاب : «اليوع» من جامعه الصحيح ، واختار له الترجمة الآتية : «باب بَيْعِ الْجُمَارِ وَأَكْلِهِ»

ثم روى تحتها الحديث المذكور ولفظه : «حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَأْكُلُ جُمَارًا ، فَقَالَ « مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ كَالرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ » . فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ . فَإِذَا أَنَا أَخَذْتُهُمْ قَالَ « هِيَ النَّخْلَةُ »⁴⁶

ووجه الإشكال في هذا الموطن أن الحديث لا يتضمن البيع لا بالعبرة ولا بالإشارة . فما وجه تناسبه مع الترجمة ؟

قال ابن بطل - رحمه الله - بيع الجمار وأكله من المباحات التي لا اختلاف فيها بين العلماء، وكل ما انتفع به للأكل وغيره فجائز بيعه.⁴⁸

قال ابن المنير - رحمه الله - : وَمِمَّا يَسْتَغْرِبُونَهُ مِنْ تَرَاجُمِهِ أَنْ يَضْمِنَ التَّرْجُمَةُ مَا لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِذِكْرِهِ فِي كِتَابِ الْفَقْهِ، كَتَرَجُمَتِهِ عَلَى أَكْلِ الْجُمَارِ، فَيُظَنُّ أَنَّ هَذَا لَا يَخْتِاجُ إِلَى إِثْبَاتِهِ بِدَلِيلٍ خَاصٍّ، لِأَنَّهُ عَلَى أَصْلِ الْإِبَاحَةِ كَغَيْرِهِ، لَكِنْ لِحَظِ هُوَ فِيهِ أَنَّهُ رُبَّمَا يَتَخِيلُ أَنْ تَجْمِيرَ النَّخْلِ إِفْسَادٌ وَتَضْيِيعٌ لِلْمَالِ، فَتَنْبَهُ عَلَى بَطْلَانِ هَذَا الْوَهْمِ إِنْ سَبَقَ إِلَيْهِ أَحَدٌ.

قلت: - رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ - وَقَدْ سَبَقَ الْوَهْمُ إِلَيَّ بَعْضَ الْمَعَاصِرِينَ فَانْتَقَدَ عَلَى مَنْ جَمَعَ نَخْلَةً وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى لِيَقْتَاتَ بِالْجُمَارِ تَحْرَجًا وَتَوَرَعًا مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ لِمَا عَدِمَ قُوَّتُهُ الْمُعْتَادَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ. وَزَعَمَ هَذَا الْمُعْتَرِضُ إِنْ هَذَا إِفْسَادٌ خَاصٌّ لِلْمَالِ وَفَسَادٌ غَامٍ فِي الْمَالِ. وَرُبَّمَا يُلْحِقُهُ بِنَهْيِ مَالِكٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنْ بَيْعِ الثَّمَرِ قَبْلَ زَهْوِهِ عَلَى الْقَطْعِ إِذَا كَثُرَ ذَلِكَ، لِأَنَّ فِيهِ تَسْبِيًا إِلَى تَقْلِيلِ الْأَقْوَاتِ. فَمَا وَقَفْتُ عَلَى تَرْجُمَةِ الْبُخَارِيِّ ظَهَرَتْ لِي كِرَامَتُهُ بَعْدَ ثَلَاثِ مِائَةِ سَنَةٍ وَنِيفَ رَحِمَهُ اللَّهُ..⁴⁹

46- بضم الجيم وتشديد الميم هو قلب النخلة.

47- الحديث رقم : 2209.

48- شرح ابن بطل : 6/329.

49- المتواري . ص : 38.

ثم قال رحمه في موطن آخر : «لَيْسَ فِي الْخَبِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَى بَيْعِ الْجُمَارِ إِلَّا بِالْقِيَاسِ عَلَى أَكْلِهِ، إِذْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مُبَاحٌ. وَاسْتَغْرَبَ الشَّارِحُ ذِكْرَهُ لِبَيْعِ الْجُمَارِ بِنَاءً مِنْهُ عَلَى أَنَّهُ مَجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَخَيَّلُ أَحَدٌ فِيهِ الْمُنْعُ. وَقَدْ وَقَعَ فِي عَصْرِنَا لِبَعْضِهِمْ إِنْكَارٌ عَلَى مَنْ جَمَعَ نَخْلَةً لِأَكْلِهِ تَحَرُّجاً مَنْ أَكَلَ غَيْرَهُ مِمَّا لَمْ يَصِفْ مِنَ الشُّبْهَةِ وَنَسَبِهِ لِإِضَاعَةِ الْمَالِ وَذَهَلْ عَنْ كَوْنِهِ حِفْظَ مَالِهِ بِقِيَالِهِ»⁵⁰

وقال الحافظ ابن حجر : «ويحتمل أن يكون أشار إلى أنه لم يجد حديثاً على شرطه يدل بمطابقته على بيع الجمار... فائدة الترجمة : رفع توهم المنع من ذلك لأنه قد يظن إفساداً وإضاعة وليس كذلك»⁵¹

6. نموذج ترجمة لا تظهر مناسبتها للكتاب الذي أوردتها فيه المصنف .

روى البخاري رحمه الله في كتاب «الحيل» من جامع الصحيح ترجمة قال فيها : «باب في الزكاة وَأَنَّ لَا يُفَرَّقَ بَيْنَ مُجْتَمِعٍ ، وَلَا يُجْمَعُ بَيْنَ مُتَفَرِّقٍ ، خَشْيَةَ الصَّدَقَةِ»⁵²

ثم روى تحت هذه الترجمة حديثاً قال فيه : «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا ثُمَامَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّ أَنَسًا حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَتَبَ لَهُ فَرِيضَةَ الصَّدَقَةِ الَّتِي فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «وَلَا يُجْمَعُ بَيْنَ مُتَفَرِّقٍ وَلَا يُفَرَّقُ بَيْنَ مُجْتَمِعٍ خَشْيَةَ الصَّدَقَةِ»⁵³

ووجه خفاء هذه الترجمة ورودها في كتاب : «الحيل» والأليق بها أن تدرج ضمن كتاب : «الزكاة» فهو الأنسب لها .

وجواباً عن هذا الإشكال أن هذه الرواية هي طرف من حديث طويل رواه المصنف رحمه الله مقطعا في مواطن عدة من جامع الصحيح ، ومنها مواطن في كتاب الزكاة :⁵⁴ . ثم روى طرفاً منه في كتاب الحيل ، -وهي الرواية المذكورة فما وجه تعلق هذا الطرف من الحديث بحيل المكلفين ؟

والجواب أن الذين يربون الغنم خاصة يعمدون إلى خلط ماشيتهم للتقليل من النفقات والاستعانة على الرعي والحراسة... وهذا ما يسمى خُلطة . وقد ورد ذكرها في كلام ربنا في قصة داود عليه السلام :⁵⁵ « وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ..» الآية

50- نفس المصدر ص : 245.

51- الفتح 4/405.

52- الباب رقم : 3

53- الحديث رقم : 6955

54- تنظر الأحاديث التي تحمل الأرقام الآتية : 1448 – 1450. 1451 وغيرها. وقد خرج المصنف أطراف هذا الحديث في كتاب الزكاة وكتاب الشركة وكتاب فرض الخمس وكتاب اللباس وكتاب الحيل .

55- سورة ص الآية 24.

وصورة ذلك أن يكون «لزيد» من الغنم أربعين ، و يكون لجاره : «سعد» مثله . فإذا زكى كل واحد منهم على انفراد أخرج كل واحد منهما شاة واحدة ، وإذا زكوا مجتمعين - و الحال أنهم لم يخلطوا أنعامهم أثناء العام - أخرجوا شاة واحدة ، وهي حيلة منع منها الشرع ، وهو وجه مناسبة إخراج المصنف للحديث في كتاب الحيل . كما أن السعاة - وهم المكلفون شرعا بجمع الزكوات - قد يعمدون إلى التفريق بين ما اجتمع على مدار السنة من أنعام لتكثير الصدقة . وصورة هذا عكس ما تقدم في الصورة السابقة . فقد يجد الساعي راعيين خلطا غنمهما على مدار العام وبلغ مجموع ما عندهما ثمانين ، ففي هذه الحالة يمنع الساعي من باب التحايل أن يفرق بين ما اجتمع من شياه لتكثير الصدقة .⁵⁶

7. نموذج ترجمة تخفى مناسبة الحديث المروي تحتها.

يتصل هذا النموذج اتصالا وثيقا بالمثال السابق فقد ترجم الإمام البخاري في كتاب الزكاة من جامعه الصحيح لحديث بقوله : «باب العَرَضُ فِي الزَّكَاةِ..»⁵⁷ ثم ساق الحديث فقال : «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنِي ثُمَامَةُ أَنَّ أَنَسًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَتَبَ لَهُ الْتِي أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ : «وَمَنْ بَلَغَتْ صَدَقَتُهُ بِنْتُ مَخَاضٍ وَلَيْسَتْ عَنْدَهُ وَبِنْتُ لَبُونٍ فَإِنَّهَا تُقْبَلُ مِنْهُ ، وَيُعْطِيهِ الْمُصَدَّقُ عَشْرِينَ دِرْهَمًا أَوْ شَاتَيْنِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَنْدَهُ بِنْتُ مَخَاضٍ عَلَى وَجْهِهَا ، وَعَنْدَهُ ابْنٌ لَبُونٍ فَإِنَّهُ يُقْبَلُ مِنْهُ وَلَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ» .⁵⁸

ووجه الإشكال في هذا المثال أن العرض⁵⁹ عامة وفي مجال الزكاة خاصة لا يظهر وجه تناسبه للحديث المروي تحته . فالحديث يتناول صور جبر أسنان الإبل⁶⁰ وربطه بالعرض في الزكاة مشكل من حيث الظاهر .

قال ابن رُشيد السبتي توجيهها لمناسبة الترجمة للحديث : « وافق البخاري في هذه المسألة الحنفية مع كثرة مخالفته لهم لكن قاده إلى ذلك الدليل..»⁶¹

ومعنى كلامه هذا أن الإمام البخاري في ترجمة هذه الباب صار إلى القول بجواز دفع القيمة في زكاة الأموال وهو اختيار الأحناف كما هو معلوم . وبيان ذلك أن

56- يراجع للمزيد من التفصيل بداية المجتهد 2/25 . و شروح البخاري و غيرها.

57- الباب رقم : 33.

58- الحديث رقم : 1448.

59- وهو بفتح المهملة وسكون الراء بعدها معجمة والمراد به ما عدا النقيدين . (الفتح 3/312)

60- قلت : المراد بأسنان الإبل أسماؤها الواردة في الحديث (بنت المخاض وابن المخاض : ما دخل في السنة الثانية لأن أمه قد لَجَّتْ بالمخاض : أي الخواصل وإن لم تكن حاملاً . وبنت لبون : هي التي أتمت سنتين و دخلت في الثالثة ، و سميت بهذا الاسم لأن أمها وضعت غيرها و صارت ذات لبن . والحقة هي التي أتت عليها ثلاث سنوات و دخلت في الرابعة وبلغت أن يُظَرَّقَهَا الْفَحْلُ . والجذعة : هي التي أتمت أربع سنوات و دخلت في الخامسة .)

61- نقله عنه صاحب الفتح 3/312.

من وجبت في حقه سن من الإبل معلومة و ليس عنده إلا سن أدنى أو سن أعلى
فإن النقص أو الزيادة تُجبران بالقيمة المحددة شرعا في الحديث.

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - وموضع الدلالة منه قبول ما هو أنفس مما
يجب على المتصدق وإعطاؤه التفاوت من جنس غير الجنس الواجب وكذا العكس
... والله أعلم»⁶²

وبعد فهذه وقفات علمية عملية على وجازتها واختصارها قصدت من خلالها
الكشف عن معالم البناء العلمي والجانب الإبداعي في تراجم أبواب الجامع
الصحيح ، وجلت فضلا عنها جانباً من جوانب التميز في تجربة الإمام البخاري في
التصنيف الحديثي.

ويمكن أن أخلص بعد هذه الجولة التي رامت دراسة نماذج من تراجم أبواب
الجامع الصحيح للإمام البخاري - رحمه الله - إلى الخلاصات والمستفادات الآتية :

- تنوع مجالات تراجم الإمام البخاري لتغطي كافة الجوانب التشريعية .
- تعدد أنماط البناء العلمي لتراجم الجامع الصحيح . فمنها ما بني على أساس
تعلقه بنص قرآني . ومنها ما بني على أساس ارتباط بنص حديثي مروي في
الباب ، ومنها ما بني مرتكزا على حديث لم يصح على شرطه...إلى غيرها من
أشكال الأبنية العلمية للتراجم.
- انتزاع الإمام البخاري من نصوص الوحيين - القرآن والسنة - معان بديعة وقضايا
رفيعة تنم عن إبداعه في صنعة الحديث وصياغة التراجم .
- ولو قُدر للبحث في هذا الموضوع أن يأخذ مساحة أوسع من هاته ، ومجالا
أرحب من هذا لكُشف عن جوانب أخرى من معالم الأبنية العلمية و المظاهر
الإبداعية لهاته التراجم . والسلام

أهم مصادر البحث ومراجعته.

- الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعہ الصحيح. (مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، 2(4). أد نور الدين عتر رحمه الله .
- تفسي الحافظ ابن كثير . دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة : الثانية 1420 هـ - 1999 م
- الجامع الصحيح .أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ) الطبعة السلطانية . مصر عام 1311 هـ..
- خلق أفعال العباد. محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق وتقديم: د. عبد الرحمن عميرة. الناشر: دار المعارف السعودية - الرياض.
- شرح تراجم أبواب البخاري .ولي الله الدهلوي .حققه عزت محمد فرغلي وراجعته محمد عبد الحكيم القاضي.دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني.1420 هـ. 1999 م.
- شرح صحيح البخاري لابن بطلال ابن بطلال (المتوفى: 449 هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (المتقدم) دار المعرفة، بيروت (د.ت).
- المتواري علي تراجم أبواب البخاري . ناصر الدين ابن المنير (ت 683 هـ) المحقق: صلاح الدين مقبول أحمد. الناشر: مكتبة المعلا - الكويت

نبوغ الإمام البخاري وتبحره في إعلال الأحاديث ومنهجه في ذلك بين التصريح والإشارة والتلميح

إعداد

د/ محمد المتولي علي فاضل

قسم الحديث وعلومه، كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنات ببورسعيد، جامعة الأزهر



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى
وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد،

فلقد أقام الله تعالى لحفظ سنة نبيه ﷺ أئمة جهابذة نقادًا، بذلوا في سبيل
المحافظة عليها كل غالٍ ونفيس، وجعلوا حياتهم وقفًا عليها، ولم يبخلوا بجهد أو
وقت أو مال، ورحلوا شرقًا وغربًا، وجمعوا وألفوا مصنفات عديدة ومتنوعة يقف
المنصف أمامها موقف الإجلال والإكبار والاعتزاز بتراث كنا ولا نزال نفاخر به غيرنا
من الأمم ونفتخر عليهم به، ولم يتركوا شيئًا يتعلق بعلم الحديث النبوي إلا وتكلموا
عنه، وكتبوا فيه، فبلغت أنواعه كمًا كبيرًا أوصلها بعض العلماء إلى قريب من مائة
نوع، يقول أبو بكر الخازمي في «عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب»
للخازمي (ص: 3): «علم الحديث يشتمل على أنواع كثيرة تقرب من مائة نوع، ذكر
منها طائفة أبو عبد الله الحافظ رحمة الله عليه في «معرفة أصول الحديث»،
وكل نوع منها علم مستقل، لو أنفذ الطالب فيه عمره لما أدرك نهايته» اهـ. وذكر
الإمام ابن الصلاح في «مقدمته» (ص: 11) من أنواع علوم الحديث خمسة وستين
نوعًا، ثم قال: «وليس بآخر الممكن في ذلك، فإنه قابل للتنويع إلى ما لا يحصى،
إذ لا تحصى أحوال رواة الحديث وصفاتهم، ولا أحوال متون الحديث وصفاتها، وما
من حالة منها ولا صفة إلا وهي بصد أن تفرد بالذكر وأهلها، فإذا هي نوع على
حيايه» اهـ.

ولا يخفى على من له أدنى معرفة وعناية بعلم الحديث أن من أصعب أنواعه علم
العلل، وذلك لأنه يحتاج إلى فهم ثاقب، وحفظ واسع، ومعرفة تامة بمراتب الرواة،
وملكة قوية بالأسانيد والمتون⁽¹⁾، ولذا لم ينبغ فيه ويتبحر في معرفته إلا أفراد

1- انظر: «نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر» للحافظ ابن حجر (ص: 92).

معدودةً من كبار الأئمة الجهابذة النقاد، وقد صرّح بذلك جماعةٌ من أهل العلم والمعرفة والفهم، فممن صرّح بذلك الإمامان أبو زرعة الرازي وأبو حاتم الرازي، يقول ابنُ أبي حاتم الرازي في «تقدمة الجرح والتعديل» (1/356): «سمعت أبي يقول: جرى بيني وبين أبي زرعة يوماً تمييز الحديث ومعرفته، فجعل يذكر أحاديث ويذكر عللها، وكذلك كنت أذكر أحاديث خطأ وعللها وخطأ الشيوخ، فقال لي: يا أبا حاتم قل من يفهم هذا، ما أعز هذا، إذا رفعت هذا من واحد واثنين فما أقل من تجد من يحسن هذا، وربما أشك في شيء أو يتخالجني شيء في حديث فإلى أن أتقي معك لا أجد من يشفيني منه. قال أبي: وكذلك كان أمري» اهـ. وقال ابنُ أبي حاتم أيضاً (2/22): «سمعت أبي يقول: الذي كان يُحسن صحيح الحديث من سقيمه، وعنده تمييز ذلك، ويحسن علل الحديث: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وبعدهم أبو زرعة كان يحسن ذلك. قيل لأبي: فغير هؤلاء تعرف اليوم أحداً؟ قال: لا» اهـ. وكذا صرّح بذلك ابنُ منده، ومن تبعه ابنُ رجب الحنبلي، يقول ابنُ رجب في «شرح علل الترمذي» (1/33، 34): «وقد ذكرنا فيما تقدم، في كتاب العلم شرف علم العلل وعزته، وأن أهله المتحقيقين به أفرادٌ يسيرةٌ من بين الحفاظ وأهل الحديث، وقد قال أبو عبد الله بن مندة الحافظ: إنما خَصَّ الله بمعرفة هذه الأخبار نفرًا يسيرًا من كثير ممن يدعي علم الحديث، فأما سائر الناس ممن يدعي كثرة كتابة الحديث، أو متفقه في علم الشافعي وأبي حنيفة، أو متبع لكلام الحارث المحاسبي، والجنيد وذي النون، وأهل الخواطر، فليس لهم أن يتكلموا في شيء من علم الحديث، إلا من أخذه عن أهله وأهل المعرفة به، فحينئذ يتكلم بمعرفته، انتهى» اهـ. وكذا ذكر الحافظ ابنُ حجر في «نزهة النظر» (ص: 92) أنه لم يتكلم في المعلول إلا قليل من أهل هذا الشأن.

وكان ممن نبغ في علم العلل، وتبحر فيه، وظهرت براعته في معرفته: الإمام البخاري، فقد شهد له العلماء الراسخون بذلك، وكذا ظهرت براعته أيضاً من خلال تأمل كلامه على علل الأحاديث، وتنوعه بين التصريح أحياناً والإشارة والتلميح أحياناً أخرى، وكذا من خلال موافقته لكبار أئمة النقد من أئمة هذا الشأن.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- بيان نبوغ الإمام البخاري وتبحره في معرفة علل الحديث من خلال شهادات العلماء له بذلك، وكذا من خلال بيان منهجه في إعلال الأحاديث بين التصريح من ناحية والإشارة والتلميح من ناحية أخرى، مع ضرب الأمثلة التي تبين ذلك وتوضحه.
- التعرف على أهم العوامل التي ساعدت على نبوغ الإمام البخاري وتبحره في معرفة علم علل الحديث ومكنته من ذلك، بغية توفير المتاح منها لطلبة العلم، رجاء أن يوفقهم الله تعالى لفهم منهجه وإبرازه، والسير على دربه، والدفاع عن «صحيحه» خصوصاً، وعن سنة النبي ﷺ عمومًا.

- بيان منهج الإمام البخاري في إعلال الأحاديث من خلال أقواله الصريحة في ذلك، وكذا من خلال إشارات وتلميحاته التي تتضح من كلامه هو نفسه في موضع آخر، أو من كلام غيره من الأئمة، أو عن طريق جمع طرق الحديث والفاظه والنظر فيهما، بغية فهم هذا المنهج الفريد في إعلال الأحاديث والتأسي بالإمام البخاري في ذلك، لا سيما وهو أحد الأئمة الكبار المعدوين في هذا الشأن.
- إبراز جهل الطاعنين في الإمام البخاري وكتابه «الصحيح»، وبيان عدم معرفتهم لطريقته ومنهجه في إعلال الأحاديث عموماً، ومنهجه وطريقته في تصنيفه لكتابه «الصحيح» خصوصاً.
- الدفاع عن إمام من كبار أئمة السنة وجهبذ من جهابذتها، عاش لأجلها، وجعل حياته وقفاً عليها، وذبح عنها، ودافع عن حريمها، وفاء لصاحبها ﷺ، وعرفاناً بجميل الإمام البخاري وجهوده الكبيرة في حفظ سنة النبي ﷺ والدفاع عنها.
- المشاركة في هذا المؤتمر الهادف، دفاعاً عن سنة النبي ﷺ، وخدمةً لها، رجاء أن أنال شفاعة صاحبها عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وأسأل الله تعالى أن يثيبني والقائمين عليه والمشاركين فيه خيراً.

خطة البحث:

وتتكون خطة البحث من مقدمة، ومطلبين، وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، كما تقدم.

والمطلب الأول: شهادات جماعة من العلماء الراسخين للإمام البخاري بنبوغه في معرفة علل الأحاديث وتمكنه من ذلك وتقدمه فيه، ورجوعهم إليه وسؤالهم إياه عن علل الأحاديث.

والمطلب الثاني: أهم عوامل نبوغ الإمام البخاري وتبحره في معرفة علل الأحاديث.

والمطلب الثالث: منهج الإمام البخاري في إعلال الأحاديث بين التصريح والإشارة والتلميح.

وأما الخاتمة: فتتضمن أهم نتائج البحث وتوصياته، ومقترحات الباحث.

ونظراً لأن من شروط المؤتمر: (أن لا تزيد عدد صفحات البحث على 20 صفحة ورقية)، فقد راعيت الاختصار في كثير من المواضيع، مع عدم الإخلال بالمقصود، واكتفيت بفهرس المصادر والمراجع، وآخر لموضوعات البحث، وكذا اقتصرت عند الكلام على منهج الإمام البخاري في إعلال الأحاديث تصريحاً أو إشارة وتلميحا على العلل الخفية التي تحتاج لدقة وفهم وبحث وتفتيش وتتبع، دون العلل الظاهرة التي لا تخفى على أغلب العلماء⁽²⁾، والله الموفق والمستعان.

وصلّ اللهم وسلم وزد وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد، والحمد لله رب العالمين،،،

2- ذكر ابن الصلاح في «مقدمته» (ص: 90) عند كلامه على الحديث المعلل أن معرفة علل الحديث من أجل علوم الحديث وأدقها وأشرفها، مبيناً أنه إنما يضطلع بذلك أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب، ثم قال: «وهي عبارة عن أسباب خفية غامضة قاذحة فيه. فالحديث المعلل: هو الحديث الذي اطلع فيه على علة تقدح في صحته، مع أن ظاهره السلامة منها». ثم إنه ذكر بعد ذلك (ص: 92، 93): أنه قد يطلق اسم العلة على غير ما ذكره من باقي الأسباب القاذحة في الحديث المخرجة له من حال الصحة إلى حال الضعف، المانعة من العمل به على ما هو مقتضى لفظ العلة في الأصل، قال: «ولذلك تجد في كتب علل الحديث الكثير من الجرح بالكذب، والغفلة، وسوء الحفظ، ونحو ذلك من أنواع الجرح» اهـ. ثم ذكر أن الترمذي سمي النسخ علة، وأن بعضهم أطلق اسم العلة على ما ليس بقاذح من وجوه الحديث.

المطلب الأول: شهادات جماعة من العلماء الراسخين للإمام البخاري نبوغه في معرفة علل الأحاديث وتمكنه من ذلك وتقدمه فيه، ورجوعهم إليه وسؤالهم إياه عن علل الأحاديث

أثنى جماعاتٌ من كبار علماء الحديث المعروفين بالصدق والأمانة، مع العلم والمعرفة والفهم الصحيح على الإمام البخاري، وشهدوا بتمكنه من علم العلل، وتقدمه في معرفة هذا الفن على كثير من معاصريه، وكذا على جماعات ممن تقدموه أو جاءوا بعده، وكان بعض كبار الأئمة النقاد في عصره يرجعون إليه في بعض ما يشكل عليهم معرفته ثقةً منهم في علمه بهذا الفن وتقدمه في معرفته، وتلقى عنه معرفة هذا العلم جماعة من الكبار.

لقد ظهر نبوغه في معرفة العلل مبكراً، فكان بعض شيوخه يرجعون إليه في هذا الشأن ويقدمونه على أنفسهم في معرفة هذا العلم، وممن صرح بذلك شيخاه عمرو بن زرارة (المتوفى سنة 238هـ)، ومحمد بن رافع (المتوفى سنة 245هـ)، فكانا يرجعان إلى الإمام البخاري ويسألانه عن علل الأحاديث، ويأمران بالرجوع إليه، ويقدمانه على أنفسهما في معرفة هذا الفن وغيره من علوم الحديث، يقول حاشد بن عبد الله بن عبد الواحد: رأيت عمرو بن زرارة ومحمد بن رافع عند محمد بن إسماعيل وهما يسألان عن علل الحديث، فلما قاما قالا لمن حضر المجلس: لا تخذعوا عن أبي عبد الله، فإنه أفقه منا، وأعلم، وأبصر.⁽³⁾

وكذا شهد له بالنبوغ في هذا الشأن جماعة من أقرانه ومن بعدهم، وكان بعض أقرانه يرجع إليه في ذلك، فكان الإمام محمد بن يحيى الذهلي - أحد المقدمين في معرفة علل الأحاديث - كان يسأل الإمام البخاري ويرجع إليه في معرفة العلل وغير ذلك من علوم الحديث، وذلك قبل أن يقع بينهما ما وقع⁽⁴⁾، يقول أبو حامد أحمد بن حمدون الأعمشي: «رأيت محمد بن إسماعيل البخاري في جنازة أبي عثمان سعيد بن مروان، ومحمد بن يحيى يسأله عن الأسامي والكنى وعلل الحديث، ويمر فيه محمد بن إسماعيل مثل السهم، كأنه يقرأ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}»⁽⁵⁾ اهـ.⁽⁶⁾

3- روى هذه القصة: الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (2/348)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (52/70).
4- لما قدم الإمام البخاري نيسابور كان محمد بن يحيى يأمر بالذهاب إليه والسماع منه، فأقبل الطلبة على الإمام البخاري، وظهر خلل في مجلس محمد بن يحيى، فحسد البخاري وتكلم فيه، ونسب إليه أنه يقول: (اللفظ بالقرآن مخلوق)، وقد كان الإمام البخاري ينفي عن نفسه هذه التهمة. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (463-12/453).
5- سورة الإخلاص: الآية رقم (1). والمراد سورة الإخلاص كاملة، والمعنى أنه يجيب على سؤالات محمد بن يحيى الذهلي ويستحضر ذلك بسهولة ويسر، كأنه يقرأ سورة الإخلاص التي يحفظها عن ظهر قلب.
6- روى هذا القول: الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (2/353)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (52/95)، وعبد الغني المقدسي في «الكامل في أسماء الرجال» (2/137).

وكذا كان الإمام أبو زرعة الرازي - وحسبك به في معرفة العلل - يسأل الإمام البخاري عن علل الحديث، وهذا يدل على عظم مكانة الإمام البخاري ونبوغه وتقدمه عند الإمام أبي زرعة في معرفة هذا العلم، يقول إِبْرَاهِيمُ الْخَوَّاصُ مستملي صدقة: رأيت أبا زرعة كالصبي جالساً بين يدي محمد بن إسماعيل يسأله عن علل الحديث.⁽⁷⁾

وممن أثنى على الإمام البخاري وعلى معرفته بعلم العلل وتقدمه فيه تلميذه الإمام مسلم بن الحجاج، وأحسن في وصفه، وأبدع في الثناء عليه، وكان يسأله عن علل الأحاديث ثقة منه بمعرفته، وإقراراً بنبوغه وتفوقه في هذا الشأن، يقول أَبُو حَامِدٍ أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونَ الْقَصَّارُ: «سَمِعْتُ مُسْلِمَ بْنَ الْحَجَّاجِ، وَجَاءَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ، فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: دَعْنِي حَتَّى أَقْبَلَ رَجُلِيكَ، يَا أَسْتَاذَ الْأَسْتَاذِينَ، وَسَيِّدَ الْمُحَدِّثِينَ، وَطَبِيبَ الْحَدِيثِ فِي عِلَلِهِ، حَدَّثَكَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، قَالَ: ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْحَرَّانِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ سَهْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي كَفَّارَةِ الْمَجْلِسِ، فَمَا عَلَنَهُ؟ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: هَذَا حَدِيثٌ مَلِيحٌ، وَلَا أَعْلَمُ فِي الدُّنْيَا فِي هَذَا الْبَابِ غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ، إِلَّا أَنَّهُ مَعْلُولٌ، حَدَّثَنَا بِهِ مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، قَالَ: ثَنَا سَهْلٌ، عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَوْلُهُ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: هَذَا أَوَّلِي، فَإِنَّهُ لَا نَذْكُرُ لِمُوسَى بْنِ عُقْبَةَ سَمَاعًا مِنْ سَهْلٍ» اهـ.⁽⁸⁾ وعَلَّقَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي «أَحْكَامِ الْقُرْآنِ» عَلَى هَذِهِ الْحِكَايَةِ بِقَوْلِهِ (4/169): «أَزَادَ الْبُخَارِيُّ أَنَّ حَدِيثَ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ قَوْلِهِ، حَمَلَهُ سَهْلٌ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ حَتَّى تَغْيِرَ حِفْظَهُ بِآخِرَةٍ⁽⁹⁾؛ فَهَذِهِ مَعَانٍ لَا يُحْسِنُهَا إِلَّا الْعُلَمَاءُ بِالْحَدِيثِ، فَأَمَّا أَهْلُ الْفِقْهِ فَهُمْ عَنْهَا بِمَعْزِلٍ» اهـ. وجاء في رواية أخرى لهذه الحكاية عن أحمد بن حمدون

7- انظر: «سير أعلام النبلاء» (12/407)، و«تاريخ الإسلام» له أيضاً (6/148)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (2/222).

8- روى هذه الحكاية: الحاكم في «معرفته علوم الحديث» (ص: 379-381، رقم: 274)، وفي «تاريخ نيسابور» - كما في «شرح الإمام» لابن دقيق العيد (1/311) - والبيهقي في «المدخل إلى علم السنن» (269، 1/268)، رقم: 578)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (15/124)، وابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (249، 2/247)، والسمعان في «أدب الإملاء والاستملاء» (ص: 136)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (69، 52/68)، وابن نقطة في «التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد» (143، 1/142)، وابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» (20/167). وصحَّح الحافظ ابن حجر رواية البيهقي لهذه الحكاية في «النكت على ابن الصلاح» (2/715).

وقد أنكر بعض العلماء جزءاً من هذه القصة، وهو قول البخاري فيها: (وَلَا أَعْلَمُ فِي الدُّنْيَا فِي هَذَا الْبَابِ غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ)، وقد ورد في هذا الباب عدة أحاديث أخرى، فلا يتصور أن يخفى ذلك على الإمام البخاري، واتهموا بها راويها أحمد بن حمدون، وأجاب الحافظ ابن حجر عن ذلك بتوهم لفظ رواية الحاكم، وأن الصواب ما وقع في لفظ رواية البيهقي: (وَلَا أَعْلَمُ بِهِذَا الْإِسْنَادَ فِي الدُّنْيَا حَدِيثًا غَيْرَ هَذَا). وينظر لتفصيل القول في ذلك: «النكت على مقدمة ابن الصلاح» للزركشي (2/218)، و«التقييد والإيضاح» للعراقي (ص: 118)، و«النكت على كتاب ابن الصلاح» للحافظ ابن حجر (2/715-721)، و«هدي الساري» له أيضاً (1/548، 549).

9- كذا وقع في المطبوع، وفي العبارة غموض، ولعل فيها سقطاً، والذي يظهر أن مراده أن سهلاً حمل الحديث عن عون من قوله مقطوعاً، وأنه كان يحدث به كذلك، ثم إن سهلاً تغير حفظه في آخر عمره، فأستدنه عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أيضاً أن الإمام مسلماً قال للإمام البخاري بعد أن بين له علة هذا الحديث: «لَا يُبْغِضُكَ إِلَّا حَاسِدٌ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُكَ» اهـ.⁽¹⁰⁾

وقد دللت هذه القصة على أن الإمام مسلماً كان يسأل الإمام البخاري عن علل الأحاديث، ويرجع إليه في ذلك، وأنه تلقى علم الحديث ومعرفة العلل منه، وقد لازم الإمام مسلماً شيخه الإمام البخاري عند قدومه نيسابور في آخر عمره، واستفاد منه كثيراً، يقول الخطيب البغدادي: «إنما قفا مسلماً طريق البخاري، ونظر في علمه، وحذا حذوه، ولما ورد البخاري نيسابور في آخر أمره لازمه مسلم، وأدام الاختلاف إليه» اهـ.⁽¹¹⁾ ثم روى الخطيب عن إمام الصنعة أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني: «لولا البخاري لما ذهب مسلم ولا جاء» اهـ.⁽¹²⁾ وروى أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، قال: سمعت أبي يقول: «رأيت مسلم بن الحجاج بين يدي محمد بن إسماعيل البخاري، وهو يسأله سؤال الصبي المتعلم» اهـ.⁽¹³⁾

وأثنى على تقدم الإمام البخاري أيضاً ونبوغه في علم علل الحديث تلميذه الإمام أبو عيسى الترمذي، وصرّح أنه لم ير بالعراق ولا بخراسان أعلم منه بهذا العلم والتاريخ ومعرفة الأسانيد، فقد ذكر الإمام الترمذي أن أكثر ما وقع في «سننه» من ذكر العلل في الأحاديث والرجال والتاريخ فهو مما ناظر به الإمام البخاري، وأن منه ما ناظر به الإمامين عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي وأبى زرعة، موضحاً أن أكثر ذلك عن الإمام البخاري، وأقل شيء فيه عن الإمامين الدارمي وأبي زرعة، ثم قال الإمام الترمذي: «وَلَمْ أَرِ أَحَدًا بِالْعِرَاقِ وَلَا بِخُرَاسَانَ فِي مَعْنَى الْعِلَالِ وَالتَّارِيخِ وَمَعْرِفَةِ الْأَسَانِيدِ كَيْفَ أَحَدٍ أَعْلَمَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ» اهـ.⁽¹⁴⁾ فالإمام الترمذي

10- روى هذه الحكاية: الحاكم في «تاريخ نيسابور» - كما في «تغليق التعليق» للحافظ ابن حجر (5/429) - والخليلي في «الإرشاد» (3/359)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (2/350)، وابن عساکر في «تاريخ دمشق» (52/69)، وعبد الغني المقدسي في «الكمال في أسماء الرجال»، مختصراً بقول مسلم (2/137)، وعلي بن المفضل المقدسي في «الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين»، مختصراً بقول مسلم (ص: 290، 291)، وابن رشيد في «السنن الأبين» (ص: 138-140)، والحافظ ابن حجر في «تغليق التعليق» (429، 5/428)، وصحّح الحافظ ابن حجر إسناده في «تغليق التعليق»، فقال: «إسناده هذه الحكاية صحيح» اهـ.

11- «تاريخ بغداد» (15/124)، وعنه ابن عساکر في «تاريخ دمشق» (58/90).

12- رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (15/124)، ومن طريقه: ابن عساکر في «تاريخ دمشق» (58/90)، وعلي بن المفضل المقدسي في «الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين» (ص: 291).

13- رواه الحاكم في «تاريخ نيسابور» - كما في «شرح الإمام» لابن دقيق العيد (1/311) - ومن طريقه: الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (2/351)، ومن طريق الخطيب: ابن عساکر في «تاريخ دمشق» (52/89)، ومحمد بن يعقوب هو ابن الأخرم، كما ذكر الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (9/52)، وأبوه: يعقوب بن يوسف بن يعقوب النيسابوري، أبو يوسف الأخرم الشيباني. قال الحاكم: كان الرجل كبير المحل محتشماً. وقال الذهبي: كان رئيساً نبيلاً فقيهاً، كثير العلم. انظر: «الأنساب» للسمعاني (11/86)، و«سير أعلام النبلاء» (15/470)، و«تاريخ الإسلام» (6/855).

14- كتاب «العلل» الملحق بآخر «سنن الترمذي» (5/9)، وروى القول الأخير عن الترمذي: الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (2/348)، وابن عساکر في «تاريخ دمشق» (52/70)، وعلي بن المفضل المقدسي في «الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين» (ص: 326، 327).

سأل شيخه البخاري واستفاد منه في معرفة كثير من علل الأحاديث، ونقل كثيرًا من ذلك في كتابه «السنن»، وكذا في كتابه «العلل»، وسأل أيضا الإمامين الدارمي وأبا زرعة، ونقل عنهما قليلا، وصرح بتقديم الإمام البخاري عليهما وعلى علماء خراسان والعراق في معرفة العلل والتاريخ والأسانيد. يقول ابن رجب الحنبلي: «وقد ذكر الترمذِيُّ - رحمه الله - أنه لم ير بخراسانَ ولا بالعراق في معنى هذه العلوم كبيرَ أحد أعلم بها من البخاري، مع أنه رأى أبا زرعة، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، وذاكرهما، ولكن أكثر علمه في ذلك مستفاد من البخاري، وكلامه كالصريح في تفضيل البخاري في هذا العلم على أبي زرعة والدارمي وغيرهما» اهـ.⁽¹⁵⁾ فقد تلقى الإمام الترمذي علم الحديث وفهم العلل من شيخه الإمام البخاري، وكان يرجع إليه ويقدمه على سائر شيوخه في هذا الشأن.

وكان ابن خزيمة يقدمه في علم الحديث على جميع شيوخه الذين رأهم وسمع منهم، يقول ابن خزيمة: «مَا رَأَيْتُ تَحْتَ أَدِيمِ هَذِهِ السَّمَاءِ أَعْلَمَ بِالْخَبَرِ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَخَارِيِّ» اهـ.⁽¹⁶⁾ وعقب الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي على ذلك بقوله: «وحسبك إمام الأئمة ابن خزيمة يقول فيه هذا القول مع لقيه الأئمة والمشايخ شرقًا وغربًا، ولا عجب فيه، فإن المشايخ قاطبة أجمعوا على قدمه، وقَدَّمُوهُ على أنفسهم في عنفوان شبابه، وابن خزيمة إنما رآه عند كبره وتفردته في هذا الشأن» اهـ.⁽¹⁷⁾

وأثنى الإمام أبو بكر الإسماعيلي على معرفة الإمام البخاري بعلم العلل، فذكر أنه جمع بين المعرفة بالحديث - ومنها علم العلل - والمعرفة بالفقه واللغة، وأنه تمكن من ذلك كله، وتبحر فيه، يقول الإسماعيلي: «نظرت في كتاب «الجامع» الذي ألفه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله، فرأيت كتابًا جامعًا - كما سماه - لكثير من السنن الصحيحة، ودالًا على جمل من المعاني الحسنة المستنبطة التي لا يكمل لمثلها إلا من جمع مع معرفة الحديث ونقلته، والعلم بالروايات وعللها، علمًا بالفقه واللغة، وتمكنًا منها كلها، وتبحرًا فيها» اهـ.⁽¹⁸⁾ ثم ذكر الإسماعيلي أن البخاري رحمه الله كان قد قصر زمانه وعمره على تتبع الأخبار، وطلبها من مظانها، وأنه عانى فيها، وفي الإقامة على أهلها في كل مصر

15- «شرح علل الترمذي» (1/33).

16- رواه الحاكم في «معرفه علوم الحديث» (ص: 280، رقم: 155)، وفي «تاريخ نيسابور» - كما في «شرح الإمام لابن دقيق العيد» (1/310) - وعنه البيهقي في «المدخل إلى علم السنن» (1/368، رقم: 799)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (2/348)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (52/65)، وعلي بن الفضل المقدسي في «الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين» (ص: 294)، وابن نقطة في «التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد» (1/140). ولفظ البيهقي: «أحفظ لحديث رسول الله ﷺ، ولا أعرف به» اهـ.

17- انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للإمام النووي (1/70).

18- انظر: «الأربعين» لعلي بن الفضل المقدسي (ص: 400، 401)، و«هدي الساري» للحافظ ابن حجر (17/16)، و«تغليق التعليق» له أيضا (5/426).

من الأَمْصَارِ الْمَعْرُوفَةِ، وَقَصْدٌ مِنْ كَانَ مَعْرُوفًا فِي عَصْرِهِ فِي عَامَّةِ الْأَطْرَافِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ الْمَشْهُورِينَ بِالْمَعْرِفَةِ، ثُمَّ قَالَ: «فَبَرَعَ فِي ذَلِكَ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ، وَاجْتَهَدَ فِي حَسَنِ الْوُصْفِ وَالتَّأْلِيفِ، فَحَازَ قَصَبَ السَّبْقِ فِي ذَلِكَ، وَجَمَعَ إِلَى ذَلِكَ حَسَنَ النَّيَّةِ وَالْقَصْدَ لِلْخَيْرِ، فَنَفَعَهُ اللَّهُ، وَنَفَعَ بِهِ» اهـ.⁽¹⁹⁾

وعَدَّه ابن منده من أهل المعرفة، وذكره ضمن الطبقة المقبولة بالاتفاق، الذين يحتج بعلمهم سائر الناس، فذكر في كتابه «شروط الأئمة» طبقات المحدثين على مر العصور وسائر البلدان، ثم ذكر (ص: 67، 68) أنه انتهى علم جميع من ذكرهم من المتقدمين إلى جماعة من الأئمة، وذكر منهم أحمد بن حنبل، وابن معين، وعلي بن المديني، وغيرهم، ثم قال: «ومن بعدهم: انتهى علم جميع من ذكرناهم من أهل الأمصار، وأئمة البلدان إلى هؤلاء نفر، وهم أهل المعرفة، والصحيح، وهم هؤلاء: محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله»، وذكر جماعة مع الإمام البخاري، ثم قال: «فهؤلاء الطبقة المقبولة بالاتفاق، وبعلمهم يُحتجُّ على سائر الناس» اهـ.

وممن أثنى على الإمام البخاري أيضا، وعلى تقدمه في معرفة علل الأحاديث: الإمام البيهقي، فقال في «معرفة السنن والآثار» (6/20): «ولا نعلم من حملة الحديث وحفاظهم، من استقصى في انتقاد الرواة ما استقصى محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله مع إمامته، وتقدمه في معرفة الرجال وعلل الأحاديث» اهـ.

وترجم ابن رجب الحنبلي في «شرح علل الترمذي» للإمام البخاري ضمن تراجم الأئمة الذين تكرر ذكرهم في سنن الترمذي في أثناء الأبواب، وحكى عنهم الكلام في الجرح والتعديل والعلل، ولم يذكرهم في كتاب «العلل» الملحق بآخر «السنن»، وقال (1/224، 225): «صاحب «الصحيح»، وإمام المحدثين في وقته، وأستاذ هذه الصناعة، وعنه أخذها كثير من الأئمة، منهم: مسلم بن الحجاج وسماه أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في عله، وأبو عيسى الترمذي، وقد ذكر أبو عيسى في أول كتاب «العلل»، أنه لم ير بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد، كبير أحد أعلم من محمد بن إسماعيل رحمه الله» اهـ.

ويقول ابن رجب أيضا في «جامع العلوم والحكم» (2/107): «وبكُلِّ حالٍ فالجهاذة النقاد العارفون بعلل الحديث أفراد قليل من أهل الحديث جدا، وأول من اشتهر في الكلام في نقد الحديث ابن سيرين، ثم خَلَفَهُ أيوب السخيتاني، وأخذ ذلك عنه شعبة، وأخذ عن شعبة يحيى القطان وابن مهدي، وأخذ عنهما أحمد، وعلي بن المديني، وابن معين، وأخذ عنهم مثل البخاري، وأبي داود، وأبي زرعة، وأبي حاتم» اهـ.

19- انظر: «تغليق التعليق» (5/426)، واختصره الحافظ في «هدي الساري» (1/17).

وذكر الحافظُ ابنُ حجر في «نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر» (225، 1/224) أنه لم يتكلم في الحديث المعلن إلا القليل من أهل هذا الشأن، وعدَّ الإمام البخاريَّ منهم. وقال أيضًا في «هدي الساري» (2/278) عند جوابه على الأحاديث المسندات التي أعلاها الدارقطني وغيره من النقاد في «صحيح البخاري»: «لا ريب في تقديم البخاريِّ ثم مسلمٍ على أهل عصرهما وَمَنْ بَعْدَهُ من أئمة هذا الفن في معرفة الصحيح والمعلن» اهـ.

المطلب الثاني: أهم عوامل نبوغ الإمام البخاري وتبحره في معرفة علل الأحاديث

اجتمعت للإمام البخاري عدة عوامل ساعدته على النبوغ والتبحر والتقدم في معرفة الحديث والعلل، من أهمها:

أولاً: تلمذته على أيدي كبار علماء عصره في الحديث والعلل، لا سيما شيخه علي بن المديني: فقد تلقى الإمام البخاري علم الحديث والعلل على أيدي أئمة كبار مشهود لهم بالعلم والمعرفة، من أمثال الإمام أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم، وهؤلاء أئمة الحديث والعلل ونقاد الأثر في زمانهم، وبهم تأسى من جاء بعدهم، يقول الإمام النسائي: «لم يكن في عصر أحمد بن حنبل مثل هؤلاء الأربعة: علي بن المديني، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه. وأعلم هؤلاء الأربعة بالحديث وعلله علي بن المديني، وأعلمهم بالرجال وأكثرهم حديثاً يحيى بن معين، وأحفظهم للحديث والفقه إسحاق بن راهويه، إلا أن أحمد بن حنبل كان عندي أعلم بعلم الحديث من إسحاق، وجمع أحمد المعرفة بالحديث والفقه والورع والزهد والصبر» اهـ. ⁽²⁰⁾ ودل كلام الإمام النسائي على أنه كان يرى أن أعلم هؤلاء الأربعة بالحديث وعلله علي بن المديني، وكذا كان الإمام أحمد بن حنبل يقدم ابن المديني في معرفة علل الحديث على نفسه وأقرانه، يقول حنبل بن إسحاق: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: «أحفظنا للمطولات الشاذكوني، وأعرفنا بالرجال يحيى بن معين، وأعلمنا بالعلل علي بن المديني، وكأنه أوماً إلى نفسه أنه أفقهم» اهـ. ⁽²¹⁾

وكذا قدّمه الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن سيار الفريهاني (المتوفى سنة نيف وثلاثمائة) على جماعة من كبار النقاد في معرفة الحديث والعلل، يقول أبو بكر الإسماعيلي: «سئل الفريهاني عن يحيى، وعلي، وأحمد، وأبي خيثمة، فقال: أما عليّ فأعلمهم بالحديث والعلل، ويحيى أعلمهم بالرجال، وأحمد بالفقه، وأبو خيثمة من النبلاء» اهـ. ⁽²²⁾ وقدّمه صالح بن محمد الحافظ على كل من أدركه في معرفة الحديث والعلل، فقال: «أعلم من أدركت بالحديث وعلله علي بن المديني» اهـ. ⁽²³⁾ وأثنى عليه كذلك في معرفة علل الحديث والتقدم فيه جماعة من العلماء سوى من تقدموا، يقول أبو حاتم الرازي: «كان عليّ بن المديني علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل» اهـ. ⁽²⁴⁾ ويقول الذهبي في «ميزان

20- انظر: «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص: 170).

21- انظر: «تاريخ بغداد» (12/265، و13/430)، و«تاريخ دمشق» (65/19).

22- انظر: «تاريخ بغداد» (13/429)، و«تاريخ دمشق» (65/20).

23- انظر: «تاريخ بغداد» (12/265، و13/430)، و«تاريخ دمشق» (65/19).

24- انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (1/319، و6/194).

الاعتدال» (3/141): «وأما علي بن المديني فإنه المنتهى في معرفة علل الحديث النبوي، مع كمال المعرفة بنقد الرجال، وسعة الحفظ والتبحر في هذا الشأن؛ بل لعله فرد زمانه في معناه» اهـ. وذكر ابن رجب الحنبلي في «شرح علل الترمذي» (1/214) أنه أحد الأئمة الحفاظ المبرزين في علم الحديث وعلمه. ووصف الحافظ ابن حجر علي بن المديني في «تقريب التهذيب» بقوله (ص: 403، ترجمة رقم: 4760): «أعلم أهل عصره بالحديث وعلمه» اهـ. ومما سبق يتبين أن علي بن المديني كان إمامًا مقدّمًا على علماء عصره في معرفة الحديث والعلل، وأنه كان معروفًا بينهم بنبوغته في هذا الشأن. ومن المعلوم أن الإمام البخاري قد تلقى علم الحديث ومعرفة العلل من شيخه علي بن المديني؛ بل كان ابن المديني أكثر شيوخه تأثيرًا فيه، حتى كان الإمام البخاري يقول: «ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني» اهـ. (25) وقال إسحاق بن أحمد بن خلف: «سمعت محمد بن إسماعيل غير مرة يقول: ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني، ما سمعت الحديث من فيّ إنسان أشهى عندي أن أسمعته من فيّ علي. وقال إسحاق: حدثني حامد بن أحمد، قال: ذكر لعلي بن المديني قول محمد بن إسماعيل: ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني، فقال: ذروا قوله، هو ما رأي مثل نفسه» اهـ. (26) وتأمل إعجابه بشيخه علي بن المديني، ومحفته لسماع الحديث منه، ثم تأمل مكانته الرفيعة عند شيخه ابن المديني، لقد كان ابن المديني يجله ويعرف له قدره، يقول فتح بن نوح النيسابوري: «أتيت علي بن المديني فرأيت محمد بن إسماعيل جالسًا عن يمينه، وكان إذا حدث التفت إليه كأنه يهابه» اهـ. (27) والحاصل أن البخاري أخذ كثيرًا من علم الحديث ومعرفة العلل من شيخه علي بن المديني، واستفاد منه في ذلك، ولذا قال ابن رجب الحنبلي في «شرح علل الترمذي» (1/214): «وعلي بن المديني هو شيخ البخاري، وعنه تلقى هذا العلم» اهـ. وكذا ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» (14/339) أنه شيخ البخاري في صناعة الحديث. وذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (6/165) أن البخاري يُعَوَّل غالبًا في هذا الفن، خصوصًا علل الحديث على شيخه علي بن المديني.

ثانياً: حرصه الشديد على طلب العلم، ورحلاته العلمية الكثيرة لشتى الأماكن والبلدان، وسماعه من عدد كبير جدًا من الشيوخ: فقد ذكر الإمام البخاري أنه سمع من أكثر من ألف شيخ، فقال: «كُتِبَ عن ألف شيخ وأكثر، ما عندي حديث

25- انظر: «الكامل» لابن عدي (1/300، رقم: 718)، و«تاريخ بغداد» (2/337، و13/428)، و«تاريخ دمشق» (52/81)، و«الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين» لعلي بن المفضل المقدسي (ص: 267).

26- انظر: «تاريخ بغداد» (2/337)، و«تاريخ دمشق» (52/82)، و«تهذيب الكمال» (24/451، 452).

27- انظر: «تاريخ بغداد» (2/338)، وعنه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (52/83)، وكذا المزي في «تهذيب الكمال» (24/454).

لا أذكر إسناده» اهـ.⁽²⁸⁾ ويقول أيضاً: «لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم: أهل الحجاز، ومكة، والمدينة، والكوفة والبصرة، وواسط، وبغداد، والشام، ومصر، لقيتهم كرات قرناً بعد قرن، ثم قرناً بعد قرن، أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين سنة، أهل الشام، ومصر، والجزيرة مرتين، والبصرة أربع مرات في سنين ذوي عدد، وبالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي أهل خراسان» اهـ. ثم ذكر أسامي جماعة منهم.⁽²⁹⁾ وقال وراقه محمد بن أبي حاتم: «سمعتة يقول: دخلت بلخ، فسألوني أن أملي عليهم لكل من كتبت عنه حديثاً، فأملت ألف حديث لألف رجل ممن كتبت عنهم. قال: وسمعتة قبل موته بشهر يقول: كتبت عن ألف وثمانين رجلاً، ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص» اهـ.⁽³⁰⁾ ولا شك أن لقائه بهذا العدد الكبير من الشيوخ وجلسه معهم وسماعه منهم قد مكّنه من جمع كيم كبير من الأحاديث، والوقوف على ما وقع في أسانيدها ومتونها من اختلاف.

ثالثاً: ما رزقه الله تعالى من الذكاء الشديد والفهم الثاقب: فقد مَنَّ الله تعالى على إمامنا البخاري بذكاء شديد وفهم ثاقب، وكان معروفاً بذلك، وقصة امتحان أهل بغداد له معروفة مشهورة، فقد عمد أصحاب الحديث بها عند قدومه إليها إلى مائة حديث، فقلبوها متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوها لعشرة رجال مع كل رجل عشرة أحاديث مقلوبة، ثم إنهم سألوه عن تلك الأحاديث فجعل يقول: لا أعرفها، فلما انتهوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على الأولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناده إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ والعلم، وأذعنوا له بالفضل.⁽³¹⁾ ولله درُّ الحافظ ابن حجر حيث علّق على هذه القصة في «هدي الساري» (2/544) بقوله: «قلت: هنا يُخضع للبخاري، فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب، فإنه كان حافظاً؛ بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألّفه عليه من مرة واحدة» اهـ. وقد أورد الحافظ ابن حجر هذه القصة مع قصص وأقوال أخرى في «هدي الساري» تحت فصل بعنوان: (ذكر جمل من الأخبار الشاهدة لسعة حفظه وسيلان

28- انظر: «تاريخ بغداد» (2/329)، و«طبقات الحنابلة» (2/253)، و«تاريخ دمشق» (52/58).

29- انظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (1/193-195، رقم: 320)، و«تاريخ دمشق» (52/58، 59).

30- انظر: «سير أعلام النبلاء» (12/395).

31- انظر لهذه القصة: «أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه في صحيحه» لابن عدي (ص: 53، 54)، وعنه: الخطيب في «تاريخ بغداد» (2/340)، وكذا الحميدي في «جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس» (ص: 137، 138)، وكذا أبو علي الجاني في «تقييد المهمل» (48، 1/47)، وكذا ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (52/66)، وكذا علي بن المفضل المقدسي في «الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين» (ص: 288، 289)، وكذا ابن خلفون في «المعلم بشيوخ البخاري ومسلم» (ص: 17)، وكذا المزني في «تهذيب الكمال» (24/453)، (454)، وكذا الحافظ ابن حجر في «هدي الساري» (2/543، 544).

ذهنه واطلاعه على العلل سوى ما تقدم). وقد وصفه الذهبي بشدة الذكاء، فقال في «تذكرة الحفاظ» (2/555): «وكان رأساً في الذكاء، رأساً في العلم، ورأساً في الورع والعبادة» اهـ. وقال في «العبر» أيضاً (1/368): «وكان من أوعية العلم، يتوقد ذكاءً، ولم يخلف بعده مثله رحمة الله عليه» اهـ. وبالجمله فقد كان رحمه الله معروفاً بذكائه الشديد، ولا شك أنه كان لهذا الذكاء المفرط والفهم الثاقب أثرٌ عظيمٌ في فهم علل الأحاديث، والتمكن من معرفة اختلاف الروايات، والترجيح بينها وفق منهجية علمية منضبطة، قلَّ أن ترى لها نظيراً.

هذه أهمُّ العوامل التي ساعدت في نُبوغ الإمام البخاري وتبحره وتقدمه في معرفة علل الأحاديث، وصار معروفاً بذلك بين العلماء شرقاً وغرباً، فكان فرد زمانه وواحد أقرانه في معرفة هذا الشأن.

المطلب الثالث: منهج الإمام البخاري في إعلال الأحاديث بين التصريح والإشارة والتلميح

إن المتتبع لكلام الإمام البخاري والمتأمل لمنهجه وطريقته في إعلال الأحاديث، يتبين له بجلاء أن منهجه في الإعلال لم يكن على وتيرة واحدة؛ إما تصريحاً، وإما إشارة وتلميحاً، وإنما كان متنوعاً بين التصريح تارة، والإشارة والتلميح تارة أخرى، فأحياناً يصرح، وأحياناً يشير ويلمح.

أولاً: تصريح الإمام البخاري بإعلال الأحاديث:

تنوعت أساليب الإمام البخاري عند تصريحه بإعلال الأحاديث:

*** فكان من منهج الإمام البخاري عند كلامه على علة حديث ما: أن يصرح أحياناً بإعلال هذا الحديث عموماً بعبارة مجملة، ولا يبين سبب إعلاله له، ويمكن معرفة ذلك من خلال تتبع كلامه، فقد يصرّح به في غير هذا الموضع، وكذلك يمكن معرفة ذلك من خلال كلام العلماء الذين تكلموا على هذا الحديث وبينوا سبب إعلاله، أو من خلال جمع طرق الحديث والنظر فيها، ومثال ذلك: ما رواه الترمذي في «العلل الكبير» (ص: 121، رقم: 208): من طريق مَعْمَرٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَارِظٍ، عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ زَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ». ثم قال الترمذي: «سَأَلْتُ مُحَمَّدًا عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ: هُوَ غَيْرُ مَحْفُوظٍ. وَسَأَلْتُ إِسْحَاقَ بْنَ مَنْصُورٍ عَنْهُ فَأَبَى أَنْ يُخَدِّثَ بِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَقَالَ: هُوَ غَلَطٌ، قُلْتُ لَهُ: مَا عَلَنَهُ؟ قَالَ: رَوَى عَنْهُ هِشَامُ الدَّسْتَوَائِيُّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَارِظٍ، عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ زَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَسَبَ الْحَجَامُ خَبِيثٌ، وَمَهَرُ الْبَغِيِّ خَبِيثٌ، وَتَمَنُّ الْكَلْبِ خَبِيثٌ» اهـ.**

فقد صرّح البخاري بوجود علة في هذا الحديث، فذكر أنه غير محفوظ، لكنه لم يبين وجه العلة، وقد بين ذلك إسحاق بن منصور الكوسج، وكذا بينه غيره من أهل العلم، وحاصل ما ذكره إسحاق أنه دخل لراوييه حديث في حديث، فحديث: «أفطر الحاجم والمحجوم» لا يصح بالإسناد المذكور عن يحيى بن أبي كثير، وإنما روى يحيى بن أبي كثير بهذا الإسناد حديثاً آخر، وهو «كسب الحجام خبيث»، فأخطأ معمر، وروى بالإسناد المذكور حديث: «أفطر الحاجم والمحجوم»، ودخل له حديث في حديث.

وقد أعلّ هذا الحديث بما أعله به إسحاق بن منصور أيضاً: يحيى بن معين، وأبو حاتم الرازي، فنقل ابن أبي خيثمة في «التاريخ الكبير» (1/327- السفر الثالث)

عن ابن معين: «أَخْطَأُ؛ إِنَّمَا هُوَ: «كَسْبُ الْخَجَامِ سُخْتٌ»، لَيْسَ هُوَ «أَفْطَرُ الْحَاجِمِ وَالْمَحْجُومِ» اهـ. يريد أنه دخل له حديث في حديث. ونقل ابن أبي حاتم في «العلل» (3/ 107-109، رقم: 732)، عن أبيه أبي حاتم قوله: «إِنَّمَا يُرَوَّى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثُوبَانَ، وَاعْتَرَى أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ بِأَنْ قَالَ: الْحَدِيثَيْنِ عِنْدَهُ، وَإِنَّمَا يُرَوَّى بِذَلِكَ الْإِسْنَادِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ نَهَى عَنْ كَسْبِ الْخَجَامِ، وَمَهْرِ الْبَغْيِ؛ وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي: «يُفْطَرُ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ» عِنْدِي بِاطْلٍ» اهـ.

وقد اختلفت الرواية في ذلك عن أحمد بن حنبل⁽³²⁾، وعلي بن المديني⁽³³⁾. وصحح هذا الحديث جماعة من أهل العلم، منهم: الترمذي⁽³⁴⁾، وابن خزيمة⁽³⁵⁾، وابن حبان⁽³⁶⁾، والحاكم⁽³⁷⁾. وليس هذا موضع بسط الكلام في ذلك.

ونقل الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (6/398، 399) عن أحمد أن حديث رافع هذا أصح شيء في الباب، ثم ذكر أنه يريد هذا الحديث، ثم ذكر أن ابن معين عارض أحمد في هذا، وأنه قال: حديث رافع أضعفها، ثم نقل كلام البخاري، وأبي حاتم الرازي، وإسحاق بن منصور، ثم عقب على كلام إسحاق بقوله: «فهذا هو المحفوظ عن يحيى، فكأنه دخل لمعمر حديث في حديث، والله أعلم» اهـ.

والحاصل أن الإمام البخاري قد علل هذا الحديث عموماً بعبارة مجملة، لكنه لم يبين وجه الإعلال، وقد تبين ذلك من خلال كلام غيره من العلماء، فقد بين علة هذا الحديث: ابن معين، وأبو حاتم الرازي، وإسحاق بن منصور.

* وكان من منهج الإمام البخاري أيضاً: أن يصرح أحياناً بإعلال حديث ما، ويبين كذلك سبب إعلاله لهذا الحديث: ومثال ذلك: أنه روى في «التاريخ الكبير» (1/455)، قال: وقال لي عبد الله بن محمد: حدثنا هشام، قال: حدثنا معمر، عن ابن أبي ذئب، عن الزُّهري، أن رسول الله ﷺ قال: «ما أدري أعزيرُ نبيّاً كان أم لا، وتُبْعُ لعيناً كان أم لا، والحدودُ كفاراتٌ لأهلها أم لا؟». ثم قال: «وقال عبد الرزاق:

32- انظر: «سنن الترمذي» (2/131، عقب حديث رقم: 786)، و«مسائل الإمام أحمد» رواية ابن هانئ (1/131، رقم: 646)، و«مسائل الإمام أحمد» رواية ابنه عبد الله (ص: 182، رقم: 682)، و«العلل» لابن أبي حاتم (3/108، رقم: 732)، و«المستدرک» للحاكم (2/479)، و«السنن الكبير» للبيهقي (26، 9/24).

33- انظر: «سنن الترمذي» (2/131، عقب حديث رقم: 786)، و«صحيح ابن خزيمة» (2/511، عقب حديث رقم: 2050)، و«المستدرک» للحاكم (2/479)، و«السنن الكبير» للبيهقي (27، 9/25).

34- انظر: «سنن الترمذي» (2/131، عقب حديث رقم: 786).

35- انظر: «صحيح ابن خزيمة» (2/511، رقم: 2050).

36- انظر: «صحيح ابن حبان» (7/518، رقم: 6911).

37- انظر: «المستدرک» للحاكم (2/479).

عن معمر، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ (38) والأول أصح، ولا يثبت هذا عن النبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ قال: «الحدود كفارة» (39) اهـ.

وهذا الحديث يرويه معمر بن راشد، واختلف عنه على وجهين: فوصله عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وخالفه: هشام بن يوسف، فرواه عن معمر، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري، مرسلًا.

وذكر الدارقطني أن عبد الرزاق تفرد به (40) وكذا ذكر الحنائي في «فوائده» (1/255) أنه تفرد به عن معمر. وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (2/537): «وهذا غريبٌ من هذا الوجه» اهـ. وظاهرُ إسناد رواية عبد الرزاق الموصولة صحيحٌ، فرواته ثقات، وقد بيّن الإمام البخاري أن الموصول معلٌ بأمرين: الأول: الإرسال، فصرح بترجح رواية هشام بن يوسف المرسل على رواية عبد الرزاق الموصولة، وأشار بذلك إلى وهم عبد الرزاق في وصل هذا الحديث (41) والثاني: تضعيف الحديث لمخالفة بعض لفظه لما صحَّ عن رسول الله ﷺ، فقد ورد فيه: «ما أدري ... والحدود كفارات لأهلها أم لا؟»، وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أن الحدود كفارة.

فأما ترجيح رواية هشام بن يوسف على رواية عبد الرزاق، فالظاهر أن البخاري كان يقدم هشام بن يوسف في معمر على عبد الرزاق، وكان أبو زرعة والدارقطني يقدمان هشامًا في معمر على عبد الرزاق، يقول ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (30/268): «سمعت أبا زرعة يقول - وسألت عن هشام بن يوسف، ومحمد بن ثور، وعبد الرزاق - فقال: كان هشامٌ أصحهم كتابًا من اليمانيين. وقال أبو زرعة مرة أخرى: كان هشام أكبرهم، وأحفظهم، وأتقن» اهـ. وسئل الدارقطني - كما في «سؤالات ابن بكير وغيره للدارقطني» (ص: 54، رقم: 51) - عن أثبت أصحاب معمر بن راشد، فقال: «هشام بن يوسف، وابن المبارك» اهـ.

38- رواية عبد الرزاق، عن معمر: أخرجه البزار في «مسنده» (15/166، رقم: 8519)، والحاكم في «المستدرک»: كتاب الإيمان (1/238، رقم: 104)، وكتاب البيوع (223، 3/222)، رقم: 2200، قال البزار: «وهذا الحديث لا نعلم رواه عن ابن أبي ذئب إلا معمر» اهـ. وأخرجها أيضًا أبو داود في «سننه»: كتاب شرح السنة، باب في التخيير بين الأتباء عليهم السلام (178، 7/177)، رقم: 4592، لكن ليس عنده الجزء الأخير الذي أعلاه البخاري.

39- جزء من حديث أخرجه البخاري في «صحيحه»: كتاب الإيمان، باب (11) (1/12)، رقم: 13، ومسلم في «صحيحه»: كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها (3/1333)، رقم: 1709، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ... الحديث، وفيه: «وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ».

40- انظر: «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (2/38)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (11/4).
41- يقول ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (1/395): «وأعلاه البخاري، وقال: لا يثبت، وإنما هو من مراسيل الزهري، وهي ضعيفة، وغلط عبد الرزاق فوصله، قال: وقد صحَّ عن النبي ﷺ أن الحدود كفارة» اهـ.

وقد رجّح الرواية المرسلة أيضا: الإمام الحنائي في «فوائده»، فأخرج الحديث (1/255، رقم: 27): من طريق عبد الرزاق، عن معمر موصولا، ثم ذكر أنه حديث غريب من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه، وغريب من حديث ابن أبي ذئب عن المقبري، وأن عبد الرزاق تفرد بهذا الإسناد عن معمر، ثم قال: **«وَرَوَاهُ هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ الصَّنْعَانِيُّ قَاضِي صَنْعَاءَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ ابْنِ أَبِي ذُئْبٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ مُرْسَلٌ، وَهُوَ الْأَصَحُّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»** اهـ.

وقد روي أن آدم بن أبي إياس تابع معمرًا على الرواية الموصولة عن ابن أبي ذئب، فأخرج الحاكم في «المستدرک» (4/539، 540، رقم: 3722)، قال: حدّثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَسَنِ الْقَاضِي بِهِمَذَانَ، ثنا إِبرَاهِيمُ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثنا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَّاسٍ، ثنا ابْنُ أَبِي ذُئْبٍ، عَنِ الْمُقْبَرِيِّ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ... وذكر الحديث. ثم قال الحاكم: **«هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»** اهـ. كذا قال الحاكم! ولو صحت هذه المتابعة لأفادت في تقوية رواية عبد الرزاق الموصولة عن معمر، لكنها لم تصح، وذلك أن شيخ الحاكم متكلم فيه بشدة؛ بل ذكر صالح بن أحمد الهمداني أنه تكلم فيه لأجل ادعائه السماع من إبراهيم بن ديزيل شيخه في هذه الرواية، وقال: أنكر عليه أبو جعفر بن عمّه والقاسم بن أبي صالح روايته عن إبراهيم، فسكت عنه حتى ماتوا وتغير أمر البلد، فادعى الكتب المصنفات والتفاسير، وكنا بلغنا قراءة إبراهيم - يعني كتاب التفسير - قبل السبعين، وقال: مولدي سنة سبعين، وقال صالح بن أحمد أيضا: سمعت القاسم بن أبي صالح نص عليه بالكذب. وقال أبو يعقوب بن الدخيل: لما بلغني قدومه تركت أشغال الموسم، وسمعت التفسير منه، ثم لم يحمدا أمره. (42) ولذا تعقب الذهبي في «المهذب في اختصار السنن الكبير» (7/3476) البيهقي عند ذكر هذه المتابعة بقوله: **«عبد الرحمن متهم في لقاء ابن ديزيل»** اهـ. فضعف الذهبي هذه المتابعة.

وأما بخصوص تضعيف الحديث لمخالفة بعض لفظه لما صحّ عن رسول الله ﷺ في أن الحدود كفارات، فقد أعله بذلك أيضا: ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»، فقال (2/38): **«حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ فيه أن الحدود كفارة، وهو أثبت وأصح إسنادا من حديث أبي هريرة هذا»** اهـ.

وقد جرى جماعة من العلماء على ظاهر الإسناد، فصَحَّحُوا هذا الحديث، وممن صحَّحه: الحاكم في «المستدرک» (1/238)، وزعم أنه لا يعلم له علة، فقال: **«هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَا أَعْلَمُ لَهُ عِلَّةً، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»** اهـ. وقال في موضع آخر (3/223): **«هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»**

42- انظر: «تاريخ بغداد» (11/591، ترجمة رقم: 5381)، و«سير أعلام النبلاء» (16/15)، و«ميزان الاعتدال» (2/556)، ترجمة رقم: 4852، و«لسان الميزان» (5/96)، ترجمة رقم: 4621.

اهـ. وصَحَّحَهُ في موضع ثالث (4/540)، وسبق كلامه قبل قليل، وكذا صَحَّحَ ابن حزم إسناده في «المحلى»، وزعم أيضا أنه لا يعلم له علة، فقال (15/390): «أَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فَصَحِيحُ السَّنَدِ، وَمَا نَعْلَمُ لَهُ فِي وَقْتِنَا هَذَا عِلَّةً» اهـ. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (13/669، رقم: 10647): «رواه البزار بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح غير أحمد بن منصور الرمادي، وهو ثقة» اهـ. وكذا صَحَّحَهُ الحافظُ ابنُ حجر في «فتح الباري» (1/142، و143)، وكذا صَحَّحَ البوصيريُّ إسناده أبي داود في «إتحاف الخيرة المهرة» (5/359).

ومما سبق يتبين أن الراجح ما ذهب إليه الإمام البخاري من إعلال هذا الحديث، وهذا المثال أحد الأدلة التي تدل على دقته وبراعته في معرفة علل الأحاديث، وتقدمه في معرفة هذا الفن على كثير ممن جاء بعده، وأن من منهجه أنه كان يصرح بإعلال الحديث، ويبين سبب إعلاله له.

*** وكان من منهج الإمام البخاري أيضا عند كلامه على علة حديث ما أن يصرَّح أحيانا بإعلال هذا الحديث بالإرسال أو الوقف ونحو ذلك، ويهمل بيان السبب الذي دعاه لترجيح هذا الوجه تصريحاً أو إشارة، ومن أمثلة ذلك: ما رواه الترمذي في «العلل الكبير» (ص: 51، رقم: 58)، قال: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي يَعْفُورٍ، سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، عَنِ الْمَسِيحِ عَلَى الْخَفَيْنِ، فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُمَسِّحُ عَلَيْهِمَا. ثم قال الترمذي: «سَأَلْتُ مُحَمَّدًا عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ: أَخْطَأَ فِيهِ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَالصَّحِيحُ عَنْ أَنَسٍ مَوْقُوفٌ» اهـ.**

فقد أعلَّ الإمامُ البخاريُّ هذا الحديث مرفوعاً، وصرَّح بترجيح وقفه على أنس بن مالك رضي الله عنه، لكنه لم يصرح ببيان سبب ترجيحه لرواية الوقف على رواية الرفع.

وهذا الحديث يرويه أبو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي يَعْفُورٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، واختلف على أبي عوانة في رفعه ووقفه، فرفعه عنه قتيبة بن سعيد⁽⁴³⁾، ونعيم بن الهيصم⁽⁴⁴⁾، وخالفهما: حجاج بن منهال⁽⁴⁵⁾، فرواه عن أبي عوانة، ورفعاه. ورواه سفيان بن عيينة⁽⁴⁶⁾، عن أبي يعفور، ووقفه على أنس رضي الله عنه.

43- رواية قتيبة بن سعيد عن أبي عوانة: أخرجه الترمذي في «العلل الكبير»: الموضع المذكور في الأصل.

44- رواية نعيم بن الهيصم عن أبي عوانة: أخرجه مسدداً في «مسنده» - كما في «إتحاف الخيرة المهرة» للبوصيري (1/391، رقم: 699) - والبزار في «مسنده» (14/112، رقم: 7607)، وقال البزار: «ولا نعلم روى أبو يعفور عن أنس غير هذا الحديث» اهـ.

45- رواية حجاج بن منهال عن أبي عوانة: أخرجه ابن المنذر في «الأوسط»: كتاب المسح على الخفين (2/79)، رقم: (445).

46- رواية سفيان بن عيينة عن أبي يعفور: أخرجه سعدان بن نصر في «جزئه» (ص: 14، رقم: 18)، ومن طريقه: البيهقي في «السنن الكبرى»: كتاب الطهارة، باب مسح النبي ﷺ على الخفين في الشفر والخضر جميعاً (2/315)، رقم: (1313).

وقد تفرد قتيبة بن سعيد، ونعيم بن الهيصم برفع هذا الحديث عن قتيبة، يقول الإمام الطبراني في «المعجم الأوسط» (2/190): «لَمْ يَرَوْهُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي يَعْفُورٍ إِلَّا أَبُو عَوَانَةَ، وَلَا رَوَاهُ عَنْ أَبِي عَوَانَةَ إِلَّا قُتَيْبَةُ، وَنُعَيْمُ بْنُ الْهَيْصَمِ» اهـ. وقال في موضع آخر (8/260): «لَمْ يَرْفَعْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي يَعْفُورٍ إِلَّا أَبُو عَوَانَةَ، وَلَا رَوَاهُ مَرْفُوعًا عَنْ أَبِي عَوَانَةَ إِلَّا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَنُعَيْمُ بْنُ هَيْصَمٍ» اهـ.

فقد حكم الإمام البخاريُّ بوهم قتيبة في رفع هذا الحديث عن أبي عوانة، وصرَّح بترجيح وقفه على أنس بن مالك رضي الله عنه، ولم يبين سبب ترجيحه لرواية الوقف مع ثقة قتيبة بن سعيد وجلالته، وعدم تفرد برفعه عن أبي عوانة، فقد تابعه نعيم بن الهيصم على رفعه عن أبي عوانة أيضًا، وقد ذكر الإمام الدارقطني الخلاف الوارد في إسناد هذا الحديث، ووافق الإمام البخاري في ترجيح وقفه على أنس بن مالك رضي الله عنه، وأشار إلى سبب الترجيح، فقال في «العلل» (6/252)، رقم: (2680): «اخْتَلَفَ فِيهِ عَلَى أَبِي يَعْفُورٍ، فَرَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ الْهَيْصَمِ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي يَعْفُورٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمْسَحُ عَلَى الْخَفَيْنِ. خَالَفَهُمَا حَجَّاجُ بْنُ مَنْهَالٍ، فَرَوَاهُ عَنْ أَبِي عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي يَعْفُورٍ، عَنْ أَنَسٍ، فَعَلَهُ، مَوْقُوفًا، وَهُوَ الصَّوَابُ. وَكَذَلِكَ زَوَاهُ ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي يَعْفُورٍ، عَنْ أَنَسٍ، مَوْقُوفًا، وَهُوَ الصَّوَابُ» اهـ.

فقد اختلف على أبي عوانة في رفعه ووقفه، كما رأيت، وتترجح رواية الوقف عنه بمتابعة سفيان بن عيينة له على وقفه عن أبي يعفور.

* وكان الإمام البخاريُّ يصرِّح أحياناً بإعلال حديث، ويشير إلى علة الترجيح، ومثال ذلك: ما رواه الترمذيُّ في «العلل الكبير» (ص: 115، رقم: 109)، قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَرَعَهُ الْقَيِّءُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ، وَمَنْ اسْتَقَاءَ عَمْدًا فَلَيْقُضَ». قال الترمذيُّ: «سَأَلْتُ مُحَمَّدًا عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَيْسَى بْنِ يُونُسَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَقَالَ: مَا أَرَاهُ مَحْفُوظًا. وَقَدْ رَوَى يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَكَمِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ لَا يَرَى الْقَيِّءَ يُفِطِرُ الضَّائِمَ» اهـ. وقال الترمذي أيضًا في «سننه» (2/102): «حديث أبي هريرة حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث هشام، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ إلا من حديث عيسى بن يونس، وقال محمد: لا أراه محفوظًا. قال أبو عيسى: وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، ولا يصح إسناداه» اهـ. وأعلَّ الإمام البخاريُّ الرواية المرفوعة، ورجح الموقوفة أيضًا في «صحيحه»، فأخرج في كتاب الصوم، باب الْجِمَامَةِ وَالْقَيْءِ لِلضَّائِمِ (3/33)، رقم: (1937 - م 1)، قال: وَقَالَ لِي يَحْيَى بْنُ سَالِحٍ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ سَلَامٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ ثَوْبَانَ، سَمِعَ

أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا قَاءَ فَلَا يُفْطِرُ؛ إِنَّمَا يُخْرِجُ وَلَا يُوَلِّجُ. ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ: «وَيُذَكِّرُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ يُفْطِرُ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ» اهـ. وذكر في «التاريخ الكبير» (352، 1/351) حديث «من نسي، فأكل، أو شرب، فليتم صومه»، من عدة طرق، وفي بعضها اختلاف، وفيما أورده: «وقال لي عبدان: أخبرنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا هشام، قال: حدثنا محمد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، مثله». ثم قال عقب هذا الإسناد: «وقال لي مسدد: حدثنا عيسى بن يونس، عن هشام، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «من استقأ فعليه القضاء». قال أبو عبد الله: ولم يصح. وإنما يروى هذا، عن عبد الله بن سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة، رفعه. وخالفه يحيى بن صالح، قال: حدثنا معاوية، قال: حدثنا يحيى، عن عمر بن حكيم بن ثوبان، سمع أبا هريرة، قال: إذا قاء أحدكم فلا يفطر، وإنما يخرج، ولا يولج» اهـ.

وحاصل كلام الإمام البخاري أنه اختلف على أبي هريرة رضي الله عنه، فروى عيسى بن يونس، عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ، وَمَنْ اسْتَقَاءَ عَمْدًا فَلْيَقْضِ». ومفاد هذه الرواية المرفوعة أن من غلبه القيء فليس عليه قضاء، وأما من استقأ عمدا فإنه يفطر ويجب عليه قضاء يوم مكان هذا اليوم. وصح عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفا عليه من قوله خلاف ما روي عنه مرفوعا، وأنه كان لا يفرق بين تعمد القيء وغيره، ويرى أن الصائم إذا قاء فإنه لا يفطر سواء تعمد أم لا، فروى يحيى، عن عمر بن الحَكَم بن ثوبان، سمع أبا هريرة رضي الله عنه: إِذَا قَاءَ فَلَا يُفْطِرُ؛ إِنَّمَا يُخْرِجُ وَلَا يُوَلِّجُ.

فقد صرح الإمام البخاري بترجيح الرواية الموقوفة على أبي هريرة رضي الله عنه، وأعلل الرواية المرفوعة، وراها غير محفوظة، مع أن ظاهر إسنادها الصحة (47)، وأشار إلى علة الترجيح، ويتحصل من كلامه السابق أنه أعلل الرواية المرفوعة لأمرين:

الأول: أنه صح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يفتي بخلاف الرواية المرفوعة كما تقدم آنفا، ومفاد ما أشار إليه الإمام البخاري من إلال رواية أبي هريرة رضي الله عنه المرفوعة بما صح عنه من قوله المخالف في المعنى لتلك الرواية: أنه يشير بذلك إلى أن أبا هريرة رضي الله عنه لو صح عنه حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ لأخذ به، ولم يقل بخلافه، وكونه صح عنه خلاف ما جاء في الرواية المرفوعة المروية من طريقه، فإن هذا يدل على أن هذه الرواية المرفوعة غير محفوظة عنه. وقد أشار النسائي كذلك إلى إلال هذا الحديث بالوقف على

أبي هريرة رضي الله عنه، فرواه في «السنن الكبرى»: كتاب الصيام، ما جاء في الصَّائِمِ يَتَّقِي (753/5، رقم: 4133): من طريق عيسى بن يونس، عن هشام، به، ثم قال: «وقفه عطاء» اهـ. ثم رواه (753/5، 853، رقم: 5133) من طريق الأوزاعي، قال: حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: مَنْ قَاءَ وَهُوَ صَائِمٌ فَلْيُفْطِرْ.

الثاني: ذكر الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» رواية عيسى بن يونس هذه عقب رواية يزيد بن زريع، قال: حدثنا هشام، قال: حدثنا محمد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فيمن أكل أو شرب ناسيا. فأشار بذلك إلى أنه وقع وهم في هذه الرواية، ودخل لراويها حديث في حديث، فالصحيح في الإسناد الذي رواه عيسى بن يونس أنه لمتن حديث من أكل أو شرب ناسيا، ووهم الراوي، وجعله لمتن حديث «من ذرعه القيء». والصحيح أن حديث «من ذرعه القيء» من رواية عبد الله بن سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا. (48) وقد أشار الإمام أحمد قبله إلى ذلك أيضا، يقول الإمام أبو داود في «مسائله للإمام أحمد» (ص: 783، رقم: 4681): «سَمِعْتُ أَحْمَدَ، سَأَلَ مَا أَضْحَ مَا فِيهِ، يَعْنِي: فِي «مَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ وَهُوَ صَائِمٌ». قَالَ نَافِعٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ. قُلْتُ لَهُ: حَدِيثُ هِشَامٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَيْسَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ، إِنَّمَا هُوَ حَدِيثُ: «مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا» - يَعْنِي: وَهُوَ صَائِمٌ - «فَاللَّهُ أَطْعَمَهُ وَسَقَاهُ» اهـ. ونقل الخطابي في «معالم السنن» (211/2)، عن أبي داود: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ليس من ذا شيء. ثم بين الخطابي مراد الإمام أحمد فعقب عليه بقوله: «يريد: أن الحديث غير محفوظ» اهـ. وقال البيهقي في «السنن الكبرى» (274/8): «تَفَرَّدَ بِهِ هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ الْقُرْدُوسِيُّ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السنن»، وَبَعْضُ الْخُفَاطِ لَا يَرَاهُ مَحْفُوظًا. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: لَيْسَ مِنْ ذَا شَيْءٍ» اهـ.

وقد سبق الإمام أحمد والبخاري إلى إنكار هذا الحديث حفاظ البصرة، وكانوا يذهبون إلى أن الوهم من هشام بن حسان، فقد ذكر عيسى بن يونس راوي هذا الحديث عن هشام أن بعض أهل البصرة كان يحكم بوهم هشام فيه، فروى الدارمي في «مسنده» (2/220) عن عيسى بن يونس: «رَعِمَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَنَّ هِشَامًا أَوْهَمَ فِيهِ» اهـ.

وكان أحمد يرى أن الخطأ في هذا الحديث من عيسى بن يونس، وصرَّح بذلك في رواية مهنا عنه، ففي «التلخيص الحبير» لابن حجر (2/410): «وقال مهنا، عن أحمد: حدث به عيسى، وليس هو في كتابه، غلط فيه، وليس هو من حديثه» اهـ. وحجة أحمد أن هذا الحديث ليس في كتب عيسى، فالظاهر أنه حدث به

48- روى الدارقطني في «سننه» (3/154، رقم: 227) الحديث من طريق عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد، ثم قال: «عبد الله بن سعيد ليس بالقوي» اهـ. وتعقبه ابن الملقن في «البدر المنير» (14/413) بقوله: «بل تركوه» اهـ. وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (6/394): «وعبد الله ضعيف جدا» اهـ.

من حفظه، فوهم فيه، كذا! وذكر ابن عبد البر أيضا أن أهل الحديث أنكروه على عيسى، وصح وقفه على أبي هريرة رضي الله عنه، فقال في «الاستذكار» (10/182، 183): «وَعَيْسَى ثِقَةٌ فَاضِلٌ إِلَّا أَنَّهُ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ قَدْ وَهَمَ فِيهِ، وَأَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ قَدْ رَوَاهُ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ بِإِسْنَادِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ ضَعِيفٌ لَا يُحْتَجُّ بِهِ. وَرَوَاهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ سَلَامٍ وَغَيْرُهُ عَنْ يَحْيَى بْنِ كَثِيرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ ثَوْبَانَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: إِذَا قَاءَ أَحَدُكُمْ فَلَا يُفْطِرُ؛ فَإِنَّمَا يَخْرُجُ وَلَا يَدْخُلُ. وَهَذَا عِنْدَهُمْ أَصَحُّ مَوْفُوقًا عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ» اهـ. وبنحو ذلك قال ابن بطال في «شرح صحيح البخاري» (4/80): «وهذا الحديث انفرد به عيسى بن يونس، عن هشام بن حسان، وعيسى ثقة، إلا أن أهل الحديث أنكروه عليه، ووهم عندهم فيه، وقال البخاري: لا يعرف إلا من هذا الطريق، ولا أراه محفوظًا. وروى معاوية بن سلام عن يحيى بن أبي كثير، قال: أخبرني عمر بن الحكم بن ثوبان، أنه سمع أبا هريرة يقول: إذا قاء أحدكم فلا يفطر، وإنما يخرج ولا يدخل. وهذا عندهم أصح موقوفًا على أبي هريرة» اهـ.

وقد توبع عيسى بن يونس عليه عن هشام بن حسان، تابعه: حفص بن غياث، أخرجه ابن ماجه في «سننه»: أبواب ما جاء في الصيام، باب ما جاء في الضائم بقيء (2/222، رقم: 1660). فالظاهر أن الوهم فيه من هشام بن حسان، كما ذهب إليه حفاظ البصرة، فيما نقله عنهم عيسى بن يونس. على أنه قد جاء عن حفص بن غياث أيضا أنه روى هذا الحديث عن عبد الله بن سعيد، فأخرج أبو يعلى في «مسنده» (5/126، رقم: 6624)، قال: حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِدْرِاهِيمَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ... وذكر الحديث. فالأمر في ذلك محتمل. وعلى كل فقد تبين مما سبق عرضه أن المتقدمين من حفاظ الحديث على إعلال هذا الحديث.

وقد جرى جماعة من العلماء ممن تأخر عنهم على ظاهر الإسناد فضحخوا هذا الحديث، وممن صحَّحه: ابن خزيمة في «صحيحه» (2/510، رقم: 2047، 2048)، وكذا ابن حبان في «صحيحه» (5/105، رقم: 4083)، وكذا الحاكم في «المستدرک»، فقال (2/476): «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرَّجَاهُ» اهـ.

وتعقب الحافظ ابن حجر في «إتحاف المهرة» تصحيح الحاكم لهذا الحديث بقوله (15/546): «هذا من تساهل الحاكم، فإنه لا ينظر في العلل الخفية، بل يحكم بالصحة بحسب ظاهر السند، وهذا قد حكم البخاري بأنه لا يصح، قاله في «التاريخ»، ونقله عنه الترمذي. وكذا قال الدارمي: يقال: إن هشامًا أوهم فيه بالبصرة، ونقله عنه الترمذي في «جامعه» اهـ.

والحاصل أن الإمام البخاري قد صرح بإعلال الرواية المرفوعة، وأشار إلى سبب إعلالها.

*** وكان يصرح أحيانا بترجيح وجه من وجوه الخلاف الواردة في الحديث، ويشير إلى سبب الترجيح، ولا يصرح ببيانه، مع صحة الحديث عنده، فيكون مراده إعلال طريق أو أكثر من طرق الحديث، لا أصل الحديث⁽⁴⁹⁾: ومن أمثلة ذلك: أنه روى في «صحيحه»: كتاب الجهاد، باب مَنْ حَبَسَهُ الْعُذْرُ عَنِ الْعَزْوِ (4/26)، رقم: 2838: من طريق زُهَيْرٍ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، أَنَّ أَنَسًا حَدَّثَهُمْ، قَالَ: رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ. ثم رواه (4/26)، رقم: 2839: من طريق حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ: «إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلَفْنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ». ثم قال الإمام البخاري: «وَقَالَ مُوسَى: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: الْأَوَّلُ أَصَحُّ» اهـ.**

وهذا الحديث يرويه حميد بن أبي حميد الطويل، واختلف عنه في إدخال واسطة بينه وبين أنس بن مالك رضي الله عنه على وجهين: الوجه الأول: رواه عبد الله بن المبارك⁽⁵⁰⁾، وحماد بن زيد⁽⁵¹⁾، وزهير بن معاوية⁽⁵²⁾، ويحيى بن سعيد القطان⁽⁵³⁾، ومعمّر بن راشد⁽⁵⁴⁾، والمعتّم بن سليمان⁽⁵⁵⁾، وخالد بن عبد الله الواسطي⁽⁵⁶⁾، وأبو إسحاق الفزاري⁽⁵⁷⁾، ومحمد بن أبي عدي⁽⁵⁸⁾، ويزيد بن هارون⁽⁵⁹⁾، ومحمد بن عبد الله الأنصاري⁽⁶⁰⁾، وعبد الله بن بكر السهمي⁽⁶¹⁾، عن حميد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه. (بدون واسطة بين حميد وأنس رضي الله عنه).

49- وهذا النوع من الإعلال وإن كان غير قاذح في صحة الحديث إلا أن أئمة الحديث المتقدمين يستفيدون منه عند الحكم على الراوي، فيعدون مثل هذا خطأ على الراوي ووهما منه، ثم ينظرون بعد ذلك في عدد الروايات التي أخطأ فيها، ومنها هذا النوع، مع النظر في عدد مروياته، ولا يلتفتون إلى ندرة الخطأ، وقلة الخطأ عندهم تنزل الراوي عن رتبة الثقة إلى رتبة الصدوق الذي يُحَسَّنُ حديثه، وإذا فحش خطأ الراوي فإنهم يحكمون عليه بالضعف من ناحية حفظه.

50- رواية ابن المبارك عن حميد: أخرجه البخاري في «صحيحه»: كتاب المغازي، باب (81) (6/8)، رقم: 4423.
51- رواية حماد بن زيد عن حميد: أخرجه البخاري في «صحيحه»: الموضع المذكور في الأصل.
52- رواية زهير بن معاوية عن حميد: أخرجه البخاري في «صحيحه»: الموضع المذكور في الأصل.
53- رواية يحيى بن سعيد القطان عن حميد: أخرجه أحمد في «مسنده» (20/238)، رقم: 12874.
54- رواية معمّر بن راشد عن حميد: أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه»: كتاب الجهاد، باب فَضْلِ الْجِهَادِ (5/502)، رقم: 10379.

55- رواية المعتّم بن سليمان عن حميد: أخرجه الإسماعيلي - كما في «تغليق التعليق» للحافظ ابن حجر (3/435) -
56- رواية خالد بن عبد الله الواسطي عن حميد: أخرجه ابن أبي عاصم في «الجهاد» (2/623)، رقم: 264.
57- رواية أبي إسحاق الفزاري عن حميد: أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (4/441)، رقم: 2412.
58- رواية محمد بن أبي عدي عن حميد: أخرجه ابن ماجه في «سننه»: أَبْوَابُ الْجِهَادِ، بَابُ مَنْ حَبَسَهُ الْعُذْرُ عَنِ الْجِهَادِ (3/97)، رقم: 2773.

59- رواية يزيد بن هارون عن حميد: أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه»: كتاب المغازي، باب ما حفظ أبو بكر في غزوة تبوك (20/551)، رقم: 38165.

60- رواية محمد عبد الله الأنصاري عن حميد: أخرجه ابن سعد في «الطبقات»: غزوة رسول الله ﷺ تبوك (2/153).

61- رواية عبد الله بن بكر السهمي عن حميد: أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (2/262)، رقم: 1017.

الوجه الثاني: رواه حماد بن سلمة، عن حميد الطويل، عن موسى بن أنس بن مالك، عن أبيه أنس بن مالك رضي الله عنه.⁽⁶²⁾ **(إدخال واسطة بين حميد وأنس رضي الله عنه، وهو موسى بن أنس بن مالك).**

وقد رجَّح الإمام البخاريُّ الوجه الأول، وصرَّح بذلك، فقال: **"الأوَّلُ أَصَحُّ"**. يعني حذف موسى بن أنس من الإسناد؛ قاله الحافظُ ابنُ حجرٍ في **«فتح الباري»** (9/89). ومفاد ذلك أن حميدا أخذ هذا الحديث من أنس رضي الله عنه بدون واسطة، وأشار الإمام البخاريُّ إلى أنه رجَّح هذا الوجه لسببين: السبب الأول: تصريح حميد بسماعه لهذا الحديث من أنس رضي الله عنه في رواية بعض الرواة عنه، وفي هذا دليل على أن حميدا سمعه من أنس رضي الله عنه بدون واسطة، فقد ذكر البخاريُّ أولا رواية زهير بن معاوية عن حميد، ووقع فيها تصريح حميد بسماعه لهذا الحديث من أنس رضي الله عنه، وبين الحافظُ ابنُ حجر أن الإمام البخاري رجَّح الوجه الأول لهذه العلة، فقال في **«تغليق التعليق»** (3/435): **"وإنما رجَّح البخاريُّ الإسناد الأول لتصريح زهير عن حميد بسماعه له من أنس. وكذا رواه الإسماعيلي من حديث معتمر بن سليمان، عن حميد: أنه سمع أنسا" اهـ.** وذكر نحو ذلك أيضا في **«فتح الباري»** (9/89). والسبب الثاني: أن أغلب الرواة عن حميد، قد روه عنه بدون واسطة، كما تقدم، وفيهم أئمة ثقات، بينما تفرد حماد بن سلمة برواية الوجه الثاني، وصرَّح بذلك البزارُ في **«مسنده»**، فقال (13/489)، عقب حديث رقم: 7297: **"وهذا الحديث لا نعلم رواه عن حُميد، عن موسى بن أنس، عن أنس إلا حماد بن سلمة" اهـ.** ولا شك أن حفظ الجماعة أولى من حفظ الواحد. وقد أشار الإمام البخاريُّ إلى ذلك، فروى الحديث: من طريق ابن المبارك، وحماد بن زيد، وزهير بن معاوية، عن حميد، عن أنس رضي الله عنه بدون واسطة، كما تقدم. يقول الحافظُ ابنُ حجرٍ في **«فتح الباري»** (9/89): **"قوله: (حدثنا زهير): هو ابن معاوية أبو خيثمة الجعفي، وقرن روايته برواية حماد بن زيد، مع أن في رواية زهير تعيين الغزوة وتصريح أنس بالتحديث، وفي كل منهما فائدة ليست في رواية حماد، لكنه أراد أن زهيراً لم ينفرد بقوله: (عن حميد، عن أنس)، وقد تابعهما على ترك الواسطة بين حميد وأنس: معتمر بن سليمان، وجماعة" اهـ.**

وقد خولف الإمام البخاريُّ فيما ذهب إليه، خالفه: أبو بكر الإسماعيليُّ، وابنُ عبد البر، فرجحا رواية حماد بن سلمة، والتي أدخل فيها موسى بن أنس بين حميد وأنس رضي الله عنه. يقول الإسماعيليُّ - كما في **«فتح الباري»** (9/89)، و**«تغليق التعليق»** (3/435) -: **«حماد عالم بحديث حميد، مقدم فيه على غيره» اهـ.** وروى

62- رواية حماد بن سلمة عن حميد: أخرجه البخاريُّ في «صحيحه»: الموضوع المذكور في الأصل (عقب حديث رقم: 2839)، بصيغة التعليق الجازم عن شيخه موسى - وهو ابنُ إسماعيل - ووضَّحها: أبو داود في «سننه»: **«كتاب الجهاد، باب في الرخصة في القعود من العُدِّ (4/373)، رقم: 2496، قال: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، بِهِ.**

ابن عبد البر في «التمهيد» (8/104) هذا الحديث من طريق أبي إسحاق الفزاري، عن حميد، عن أنس رضي الله عنه، ثم قال: «وهذا الحديث لم يسمعه حميد من أنس» اهـ. ثم رواه من طريق موسى بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن موسى بن أنس، عن أبيه. فقد رجح الإسماعيلي وابن عبد البر أن حميداً لم يسمع هذا الحديث من أنس رضي الله عنه، وإنما أخذه عنه بواسطة موسى بن أنس؛ لأن حماد بن سلمة مقدم في حميد على غيره، لكن يعكر على ما ذهبوا إليه تصريح حميد بسماعه له من أنس رضي الله عنه في رواية زهير بن معاوية والمعتمر بن سليمان عنه. والظاهر أن كلا الوجهين محفوظ، وهو ما ذهب إليه الحافظ ابن حجر، وأيد كلامه باختلاف سياق الروایتين، فقال في «فتح الباري» (9/90): «ولا مانع من أن يكونا محفوظين، فلعل حميدا سمعه من موسى عن أبيه، ثم لقي أنسا فحدثه به، أو سمعه من أنس، فثبت فيه ابنه موسى، ويؤيد ذلك أن سياق حماد عن حميد أتم من سياق زهير ومن وافقه عن حميد». ثم ذكر الحافظ رواية أبي داود من طريق حماد بن سلمة عن حميد، عن موسى بن أنس، عن أنس رضي الله عنه وسياقها أتم، من رواية من رواه من طريق حميد عن أنس رضي الله عنه، ثم قال: «نعم أخرجه أحمد عن ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس نحو سياق حماد؛ إلا أنه لم يذكر النفقة» اهـ. وقال الحافظ أيضا في «تغليق التعليق» (3/435): «ولا مانع أن يكون حميد سمعه من موسى بن أنس، عن أبيه، ثم سمعه من أنس، بدليل أن سياقته عن موسى بن أنس أتم، والله تعالى أعلم» اهـ.

ومن ناحية الصنعة الحديثية فكلام البخاري واختياره أقوى، وإن كان الجمع بين الوجهين غير ممتنع. والحاصل أن الإمام البخاري قد صرح في هذا المثال بذكر الوجه الراجح، لكنه لم يصرح بذكر سبب الترجيح، وإنما أشار إليه، مع صحة الحديث عنده، حيث أخرجه في «صحيحه» كما سبق.

ثانياً: إعلال الإمام البخاري للأحاديث بالإشارة والتلميح:

من المعلوم أن الإمام البخاري كان كثيراً ما يسلك مسلك الإشارة والتلميح دون التصريح لا سيما في كتابه «الصحيح»، وخاصة في تراجم الأبواب، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (1/14) عند جوابه على الاعتراض على البخاري لكونه لم يفتح الكتاب بخطبة تنبئ عن مقصوده: أنه اكتفى بالتلويح عن التصريح، ثم قال: «وقد سلك هذه الطريقة في معظم تراجم هذا الكتاب على ما سيظهر بالاستقراء» اهـ. ويقول المعلمي اليماني في مقدمة تحقيقه رضي الله عنها «موضح أوهام الجمع والتفريق» (1/14): «هذا، وللبخاري - رحمه الله - ولوع بالاجتزاء بالتلويح عن التصريح، كما جرى عليه في مواضع من «جامعه الصحيح»، حرصاً منه على رياضة الطالب، واجتذاباً له إلى التنبيه والتيقظ والتفهم» اهـ. والمتتبع

لمنهجه في إعلال الأحاديث يجد أنه كان يسلك مسلك الإشارة والتلميح أحيانا عند إعلاله لحديث ما، دون تصريح منه بذلك، وكان له في ذلك أساليب متنوعة:

*** فمن ذلك: أنه كان يشير أحيانا إلى إعلال حديث رواه أحد الرواة من خلال ذكر مخالفة غيره له عقب روايته: ومن الأمثلة على ذلك: ما رواه الإمام الترمذي في «العلل الكبير» (ص: 182، رقم: 319)، قال: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ، هُوَ الْمَعْمَرِيُّ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ بَيْعِ الْخَيْوَانِ بِاللَّحْمِ نَسِيئَةً. ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ: «سَأَلْتُ مُحَمَّدًا⁽⁶³⁾ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ: قَدْ رَوَى دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَارُ عَنْ مَعْمَرٍ هَذَا، وَقَالَ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ النَّاسُ: عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا. فَوَهَنَ مُحَمَّدٌ هَذَا الْحَدِيثَ» اهـ.**

وهذا الحديث رواه محمد بن حميد المعمرى⁽⁶⁴⁾، وداود بن عبد الرحمن العطار⁽⁶⁵⁾، وإبراهيم بن طهمان⁽⁶⁶⁾، وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد⁽⁶⁷⁾، عن معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما موصولا.

وخالفهم عبد الأعلى بن عبد الأعلى⁽⁶⁸⁾، فرواه عن معمر، يحيى بن أبي كثير، عن عكرمة، مرسلا.

ورواه سفیان الثوري عن معمر، واختلف عنه على وجهين: الوجه الأول: رواه أبو داود الحفري⁽⁶⁹⁾، وأبو أحمد الزبيري⁽⁷⁰⁾، وعبد الملك بن عبد الرحمن الذماري⁽⁷¹⁾، عن الثوري، عن معمر، عن يحيى، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما موصولا.

63- يعني الإمام البخاري.

64- رواية محمد بن حميد المعمرى، عن معمر: أخرجه الترمذي في «العلل الكبير»، كما ذكرته في الأصل.

65- رواية داود بن عبد الرحمن، عن معمر: أخرجه ابن الجارود في «المنتقى»: باب في التجارات (ص: 290، رقم: 619).

66- رواية إبراهيم بن طهمان، عن معمر: أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»: كتاب البيوع، باب ما جاء في النهي عن بيع الخيوان بالخيوان نسيئة^(11/52)، رقم: 10631. وجاء في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن الملقن (14/585): «وذكره الإسماعيلي في حديث ابن أبي كثير أن ابن طهمان رواه عن يحيى مرسلا» اهـ.

67- رواية عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن معمر: ذكرها ابن أبي حاتم في «العلل» (3/634)، مسألة رقم: 1149.

68- رواية عبد الأعلى، عن معمر: ذكرها البيهقي في «السنن الكبرى»: الموضع السابق (11/53)، عقب حديث رقم: 10632، ولم أقف عليها مسندة.

69- رواية أبي داود الحفري، عن الثوري: أخرجه ابن حبان في «صحيحه» في النوع الثالث من القسم الثاني (قسم النواهي): ذُكِرَ الزُّجْرُ عَنْ بَيْعِ الْخَيْوَانِ بِالْخَيْوَانِ إِلَّا نِدَا بَيْدَ (3/37)، رقم: 1901.

70- رواية أبي أحمد الزبيري، عن الثوري: أخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار»: كتاب البيوع، باب استقراض الحيوان (7/411)، رقم: 5348.

71- رواية عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري، عن الثوري: أخرجه الدارقطني في «سننه»: كتاب البيوع (4/39)، رقم: 3059، والحاكم في «المستدرک»: كتاب البيوع (3/306)، رقم: 2369، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» اهـ وتعلّقه ابن الملقن في «مختصر استدراك الذهبي» بقوله (1/569): «أقره الذهبي عليه، وإسحاق هذا قال ابن حزم: مجهول. وقال الذهبي في «الميزان»: الظاهر أنه الطبري المنكر الحديث. علته إنما هو الذماري فليعلم، ضَعُفَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ» اهـ وانظر: «نصب الرابة» للزيلعي (4/46).

الوجه الثاني: رواه الفريابي⁽⁷²⁾، عن الثوري، عن معمر، عن يحيى، عن عكرمة مرسلا.

ورواه عبد الرزاق عن معمر، واختلف عنه على وجهين: الوجه الأول: رواه إسحاق بن إبراهيم الدبري⁽⁷³⁾، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن يحيى، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما موصولا. الوجه الثاني: رواه محمد بن يحيى⁽⁷⁴⁾، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن يحيى، عن عكرمة مرسلا.

وأرسله غير معمر عن يحيى، فرواه علي بن المبارك⁽⁷⁵⁾، عن يحيى، عن عكرمة مرسلا.

وقد أشار الإمام البخاري إلى ترجيح الرواية المرسلة على الموصولة بقوله: «وَقَالَ النَّاسُ: عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا» اهـ. وفهم الإمام الترمذي من كلامه أنه يرجح الرواية المرسلة، وأنه ضعف الحديث بذلك، فعقب على كلامه بقوله: «فَوَهَّنَ مُحَمَّدٌ هَذَا الْحَدِيثَ» اهـ. ووافق الإمام البخاري على ترجيح الرواية المرسلة جماعة من كبار الأئمة النقاد، وقد ذكر ابن خزيمة أنه الصحيح عند أهل المعرفة بالحديث، فقال: «الصَّحِيحُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَدِيثِ هَذَا الْخَبَرُ مُرْسَلٌ لَيْسَ بِمُتَّصِلٍ» اهـ.⁽⁷⁶⁾ ونقل النووي اتفاق الحفاظ على ضعفه، وأن الصحيح أنه مرسل، فقال في «المجموع» (9/405): «اتَّفَقَ الْحَفَازُ عَلَى ضَعْفِهِ، وَأَنَّ الصَّحِيحَ أَنَّهُ مُرْسَلٌ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِمَّنْ قَالَ ذَلِكَ: الْبُخَارِيُّ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ، وَابْنُ بَيْهَقٍ، وَغَيْرُهُمْ. قَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ: الصَّحِيحُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ أَنَّهُ مُرْسَلٌ» اهـ. وكذا ذكر الحافظ ابن حجر أن الحفاظ رجحوا إرساله، فقال في «فتح الباري» (7/520): «وَرَجَّحَ إِسْنَادَهُ ثِقَاتٌ، إِلَّا أَنَّ الْحَفَازَ رَجَّحُوا إِسْرَالَهُ» اهـ.

فرجَّح الإمام أحمد الرواية المرسلة، فقال فيه فيما حكاه الأثرم: «باطل ليس بشيء، وإنما هو مرسل، كذا رواه ابن المبارك، وفي كتب معمر مرسل عن عكرمة» اهـ.⁽⁷⁷⁾ وكذا رجَّح الإرسال أيضا: أبو حاتم الرازي، فنقل عنه ولده عبد الرحمن في «العلل» (3/635)، مسألة رقم: 1149) أنه قال: «الصَّحِيحُ: عَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، مُرْسَلٌ»

72- رواية الفريابي، عن الثوري: أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» الموضوع المذكور سابقا (11/52، 53، رقم: 10632).
73- رواية إسحاق بن إبراهيم الدبري، عن عبد الرزاق: في «مصنف عبد الرزاق»: كتاب البيوع، بابُ بَيْعِ الْخَيْوَانِ بِالْخَيْوَانِ (7/445، 446، رقم: 15066).

74- رواية محمد بن يحيى، عن عبد الرزاق: أخرجه ابن الجارود في «المنتقى»: باب في التجارات (ص: 289، رقم: 618).
75- رواية علي بن المبارك، عن يحيى: ذكرها البيهقي في «السنن الكبرى»: الموضوع السابق (11/53)، عقب حديث رقم: 10632، ولم أقف عليها مسندة.

76- انظر: «السنن الكبرى» للبيهقي (11/86).
77- انظر: «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن الملقن (14/585). وكان الإمام أحمد يعلل أحاديث المنع من النساء في غير المكمل والموزون، ويقول: ليس فيها حديث يعتمد عليه، ويعجبني أن يتوقاه. وذكّر له حديث ابن عباس وابن عمر في هذا، فقال: هما مرسلان. انظر: «المغني» لابن قدامة (6/66)، و«تهذيب سنن أبي داود» لابن القيم (2/425).

اهـ. وكذا رَجَّحَ الإمامُ البيهقيُّ الإرسال، فروى الحديث في «السنن الكبرى» (11/85): من طريق إبراهيم بن طهمان، عن معمر، به موصولاً، ثم قال: «وَكَذَلِكَ زَوَاهُ دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّارُ، عَنْ مَعْمَرٍ مَوْصُولًا، وَكَذَلِكَ رَوَى عَنْ أَبِي أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيِّ وَعَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّمَارِيِّ عَنِ الثَّوْرِيِّ عَنْ مَعْمَرٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ وَهْمٌ، وَالصَّحِيحُ: عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا» اهـ. ثم رواه من طريق الفريابي، عن الثوري، عن معمر، به مرسلًا، ثم قال: «وَكَذَلِكَ زَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَعَبْدُ الْأَعْلَى عَنْ مَعْمَرٍ، وَكَذَلِكَ زَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا، وَرَوَيْنَا عَنِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ وَهَنَ رِوَايَةً مِّنْ وَصْلِهِ» اهـ.

وضَعَفَ الإمامُ الشافعيُّ هذا الحديث، فقال في «الأم» (9/192): «وَأَمَّا قَوْلُهُ: نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ بَيْعِ الْحَيَوَانِ بِالْحَيَوَانِ نَسِيئَةً، فَهَذَا غَيْرُ ثَابِتٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» اهـ. وقد اغتر جماعَةٌ من العلماء، فمشوا على ظاهر إسناد الروايات الموصولة، وصَحَّحُوا هذا الحديث، وممن صححه: ابنُ حبان، فأخرجه في «صحيحه» كما تقدم، وكذا الحاكم كما تقدم. وكذا الضياء المقدسي، فأخرجه في «المختارة» (12/303-305، رقم: 334، 335، 336)، وكذا الهيتمي، فقال في «مجمع الزوائد» (9/211)، رقم: (6571): «رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح» اهـ. ورَجَّحَ ابنُ الترمكاني وصله في «الجواهر النقي» (5/289- مع «السنن الكبرى»).

والصحيح ما رَجَّحَهُ الإمامُ البخاريُّ، وسبقه الإمامُ أحمد، ومن وافقهما من أئمة الحديث ونقاد الأثر في إسناد هذا الحديث: أنه عن عكرمة، مرسلًا عن رسول الله ﷺ. وما ذكره الإمامُ أحمدُ كافٍ في قطع النزاع، وترجيح الرواية المرسلة، فقد صَرَّحَ بأن الحديث في كتب معمر مرسل، فدلَّ ذلك على أن كل من وصله عن معمر أخطأ فيه، ولعل معمرًا حدث به من حفظه، فأخطأ في وصله. وبمثل ذلك يظهر نبوغ كثير من الأئمة المتقدمين وتبحرهم في معرفة علل الأحاديث من أمثال الإمام أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، والبخاري، وأبي زرعة الرازي، وأبي حاتم الرازي، والدارقطني، وغيرهم، وأنهم اطلعوا على ما لم يطلع عليه المتأخرون الذين جاءوا بعدهم.

*** وأحياناً يشير إلى إعلال جزء من لفظ حديث بحذفه من الرواية التي وقع فيها الخطأ، فمثلاً: قد يروي البخاري حديثاً من طريق أحد الرواة، ويكون هذا الراوي قد وهم وأخطأ في جزء من لفظ هذا الحديث دون بقية لفظه، مع كون هذا الراوي ثقة مقبول الرواية، فيخرج البخاري الحديث من طريق هذا الراوي ويحذف الجزء الذي أخطأ فيه، إشارةً منه إلى إعلاله لهذا الجزء فقط دون سائر روايته لهذا الحديث، ويروي الحديث كذلك من غير طريق هذا الراوي باللفظ الصحيح كاملاً.**

ومن أمثلة ذلك: ما رواه البخاريُّ في «صحيحه»: كتاب الفرائض، باب مِيرَاثِ الْبَنَاتِ (8/150، رقم: 6733)، قال: حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ،

قَالَ: أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: مَرِضْتُ بِمَكَّةَ مَرَضًا، فَأَشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ، فَاتَانِي النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّدُنِي ... وساق الحديث في الوصية.

هكذا روى البخاري هذا الحديث عن شيخه الحميدي، والحديث في «مسند الحميدي» (1/187، رقم: 66)، عن ابن عيينة، وفيه قول سعد رضي الله عنه: (مَرِضْتُ بِمَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ مَرَضًا أَشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ). فحذف البخاري من لفظ رواية ابن عيينة قوله: (عام الفتح)؛ لأن ابن عيينة وهم فيها.

وبيان ذلك أن هذا الحديث يرويه الزهري، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، واختلف على الزهري في الوقت الذي مرض فيه سعد رضي الله عنه، وعاده رسول الله ﷺ على وجهين:

الأول: رواه مالك⁽⁷⁸⁾، ومعممر⁽⁷⁹⁾، وشعيب بن أبي حمزة⁽⁸⁰⁾، ويونس بن يزيد⁽⁸¹⁾، وإبراهيم بن سعد⁽⁸²⁾، وسعيد بن عبد العزيز⁽⁸³⁾، وعبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون⁽⁸⁴⁾، ومحمد بن إسحاق⁽⁸⁵⁾، ويزيد بن أبي حبيب⁽⁸⁶⁾، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم⁽⁸⁷⁾، ويحيى بن سعيد الأنصاري⁽⁸⁸⁾، وابن أبي عتيق⁽⁸⁹⁾، عن الزهري، وذكروا في روايتهم عنه أن سعدا رضي الله عنه مرض عام حجة الوداع.

78- رواية مالك، عن الزهري: أخرجه البخاري في «صحيحه»: كتاب الجنائز، باب رثي النبي ﷺ سعد بن خولة (2/81، رقم: 1295): من طريق مالك، والحديث في «موطئه»: كتاب الوصية، باب القضاء في الوصية في الثلث لا يتعدى (4/1106-1108، رقم: 2824/611-1108 رواية يحيى بن يحيى الليثي).

79- رواية معممر، عن الزهري: أخرجه مسلم في «صحيحه»: كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث (3/1250، رقم: 1628/4 مكررا): من طريق عبد الرزاق، عن معممر، والحديث في «مصنف عبد الرزاق»: كتاب الوصايا، كَمْ يُوصِي الرَّجُلُ مِنْ مَالِهِ؟ (8/399، رقم: 17562).

80- رواية شعيب بن أبي حمزة، عن الزهري: أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (4/239، 240، رقم: 3186). وقد أخرج البخاري في «صحيحه»: كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى (1/20، 21، رقم: 56)، عن أبي اليمان الحكم بن نافع، عن شعيب به مختصرا بغير موضع الخلاف.

81- رواية يونس بن يزيد، عن الزهري: أخرجه مسلم في «صحيحه»: الموضوع السابق (3/1250، رقم: 1628/4 مكررا).

82- رواية إبراهيم بن سعد، عن الزهري: أخرجه البخاري في «صحيحه»: كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ: «اللهم أَمْضْ أَمْضًا لَأَصْحَابِي هَجَرْتَهُمْ، وَوَرِثَتَهُ لِمَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ (5/68، 69، رقم: 3936)، وكتاب المغازي، باب حجة الوداع (5/178، رقم: 4409)، وكتاب الدعوات، باب الدعاء برفع الوباء والوجع (8/80، رقم: 6373)، ومسلم في «صحيحه»: الموضوع المذكور سابقا (3/1250، 1251، رقم: 1628/5).

83- رواية سعيد بن عبد العزيز، عن الزهري: أخرجه أبو عوانة في «مستخرجه»: الموضوع السابق (12/598، رقم: 6207).

84- رواية عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة، عن الزهري: أخرجه البخاري في «صحيحه»: كتاب المرضى، باب قول المريض إني وجع أو وأرأساه أو اشتد بي الوجع (7/120، رقم: 5668).

85- رواية محمد بن إسحاق، عن الزهري: أخرجه الدارمي في «مسنده»: كتاب الوصايا، باب الوصية بالثلث (3/181، رقم: 3223).

86- رواية يزيد بن أبي حبيب، عن الزهري: أخرجه عيسى بن حماد زغبة في «جزء من حديث الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب» (ص: 44، رقم: 24).

87- رواية عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن الزهري: أخرجه الخطيب البغدادي في «المتفق والمفترق» (3/2056، 2057، رقم: 1721).

88- رواية يحيى بن سعيد الأنصاري، عن الزهري: ذكرها ابن عبد البر في «التمهيد» (6/46)، ولم أقف عليها مستندة.

89- رواية ابن أبي عتيق، عن الزهري: ذكرها ابن عبد البر في «التمهيد» (6/46)، ولم أقف عليها مستندة.

الثاني: رواه سفيان بن عيينة⁽⁹⁰⁾، عن الزهري، وذكر في روايته عنه أن سعدا رضي الله عنه مرض عام الفتح.

ومن خلال هذا العرض يتبين أن أغلب الرواة عن الزهري ذكروا أن ذلك كان في حجة الوداع، وأن ابن عيينة تفرد وحده عن الزهري فقال: (عام الفتح)، ولا شك أن رواية مالك ومن وافقه على روايته عن الزهري أصح من رواية ابن عيينة عنه، وذلك لأمرين: **الأول:** أن حفظ الجماعة أولى من حفظ الواحد. **والثاني:** ورد في هذا الحديث ما يدل على وهم ابن عيينة في قوله: (عام الفتح)، وقد وقع ذلك في رواية ابن عيينة نفسه، فجاء في الحديث أن النبي ﷺ رأى سعد بن خولة أن مات بمكة، وقد توفي سعد بن خولة رضي الله عنه في حجة الوداع، فقد ثبت في (الصحيحين) من حديث سبيعة الأسلمية رضي الله عنها، أنها كانت تحت سعد بن خولة - وهو من بني عامر بن لؤي، وكان ممن شهد بدرًا - فتوفي عنها في حجة الوداع.⁽⁹¹⁾ ومعلوم أن حجة الوداع كانت في السنة العاشرة، وأما فتح مكة فكان في السنة الثامنة، فهذا يدل على خطأ ما وقع في رواية ابن عيينة من أن ذلك كان عام الفتح، إذ كيف يرثي رسول الله ﷺ سعد بن خولة رضي الله عنه عام الفتح، وقد مات بعد ذلك عام حجة الوداع؟!

وقد رجَّح عليُّ بن المديني لفظ رواية الجماعة عن الزهري، يقول يعقوب بن شيبه - كما في «التمهيد» لابن عبد البر (6/47) -: «سمعتُ عليَّ بنَ المدينيِّ، وذكر هذا الحديث، فقال: قال مَعْمَرٌ، ويُونُسُ، ومالكُ: (حَجَّةُ الْوَدَاعِ). وقال ابنُ عيينةَ: (عامُ الْفَتْحِ). قال: والذين قالوا: (حَجَّةُ الْوَدَاعِ) أَصَوَّبٌ» اهـ. وكذا رجَّح البيهقي رواية الجماعة، فقال في «السنن الكبرى» (13/25): «وسفيانُ خالفَ الجماعةَ في قوله: (عامُ الْفَتْحِ). والمَحْفُوظُ: (عامُ حَجَّةِ الْوَدَاعِ)» اهـ. ورجَّح البيهقي رواية الجماعة أيضًا في «السنن الصغير» (2/370)، وفي «معرفة السنن والآثار» (9/179). وأشار ابن عبد البر إلى ترجيح رواية الجماعة أيضًا، فقال في «التمهيد» (6/44): «وكان مرضُهُ ذلك في حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فيما ذَكَرَ أَكْثَرُ أَصْحَابِ ابْنِ شَهَابٍ عَنْهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وقال فيه ابنُ عيينةَ عنه: (عامُ الْفَتْحِ). ولا أعلمُ أَحَدًا من أَصْحَابِ الزُّهْرِيِّ قال ذلك فيه عنه غيرَ ابنِ عيينةَ» اهـ. وقال أيضًا (6/46): «انفرد بذلك عن ابن شهاب فيما علمت» اهـ. ونقل الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (8/511) اتفاق الحفاظ على وهم ابن عيينة فيه، فقال: «واتفق أصحاب الزهري على أن ذلك كان في حجة الوداع، إلا ابن عيينة فقال: (في فتح مكة). أخرجه الترمذي وغيره من

90- رواية سفيان بن عيينة، عن الزهري: أخرجه الترمذي في «سننه»: أبواب الوصايا عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الوصية بالثلث (3/242، رقم: 2262)، وابن ماجه في «سننه»: أبواب الوصايا، الوصية بالثلث (3/73، رقم: 2718). قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح» اهـ.

91- «صحيح البخاري»: كتاب المغازي، باب (10) (5/80، رقم: 3991)، و«صحيح مسلم»: كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل (2/1122، رقم: 1484/56).

طريقه، واتفق الحفاظ على أنه وهم فيه" اهـ. وخالف الطحاوي في ذلك، فرجح رواية ابن عيينة على رواية مالك، فقال في «شرح مشكل الآثار» (13/220-222): «فاختلف سفيان، ومالك في هذا الحديث في السفارة التي كان مرض سعد فيها، فقال سفيان: هي عام الفتح، وقال مالك: هي حجة الوداع. فأردنا أن ننظر إلى حقيقتها، أي السفرتين كانت؟»، ثم روى من طريق وهيب بن خالد، قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنُ خُثَيْمٍ، عَنْ عَمْرِو الْقَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَمْرِو الْقَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ مَكَّةَ، فَخَلَفَ سَعْدًا مَرِيضًا، حِينَ خَرَجَ إِلَى خُثَيْنٍ ... وذكر الحديث⁽⁹²⁾، ثم قال: «ففي هذا الحديث ما يوجب القضاء لابن عيينة على مالك في اختلافهما في السفارة التي كان فيها مرض سعد الذي قال له فيه رسول الله ﷺ ما قال له في هذا الحديث، وأنها عام الفتح، لا حجة الوداع» اهـ. كذا قال الطحاوي! والخلاف ليس بين ابن عيينة، ومالك وحده؛ بل بين ابن عيينة وسائر الرواة عن الزهري، كما تقدم، ثم إن في الحديث ما يدل على ترجيح رواية مالك من ذكر وفاة سعد بن خولة رضي الله عنه، ووقع ذلك في رواية ابن عيينة نفسه، كما تقدم بيانه. وأما حديث عمرو القاري الذي قضى الطحاوي به لابن عيينة فإسناده ضعيف، كما سبق بيانه آنفاً.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (8/511، 512) بعد أن حكى اتفاق الحفاظ على وهم ابن عيينة فيه: أنه وجد مستندا لابن عيينة فيه، ثم ذكر حديث عمرو بن القاري المتقدم في كلام الطحاوي، ثم قال: «فلعل ابن عيينة انتقل ذهنه من حديث إلى حديث، ويمكن الجمع بين الروايتين بأن يكون ذلك وقع له مرتين؛ مرة عام الفتح، ومرة عام حجة الوداع، ففي الأولى لم يكن له وارث من الأولاد أصلاً، وفي الثانية كانت له ابنة فقط، فإله أعلم» اهـ. كذا قال الحافظ ابن حجر! ولم يجزم بما ذكره في الجمع؛ بل ذكره احتمالاً، والحديث الذي ذكره مستندا لرواية ابن عيينة تقدم بيان ضعفه قبل قليل، والجمع بين لفظ رواية ابن عيينة ولفظ رواية أصحاب الزهري المخالفين له فيه بعد ونظر، وذلك لاتحاد المخرج، وكذا لأجل ما تقدم بيانه من ذكر وفاة سعد بن خولة في رواية ابن عيينة نفسه.

وجملة القول: أن ابن عيينة وهم في قوله: (عام الفتح)، وأن الصواب: (عام حجة الوداع)، وقد أشار البخاري إلى إعلالها من خلال حذفها، حيث روى الحديث من طريق ابن عيينة، وحذف هذه اللفظة أصلاً، لوهم ابن عيينة فيها، وهذا من رسوخ قدمه وتبحره في معرفة علل الأحاديث، فرحم الله الإمام البخاري، وأجزل له المثوبة.

92- أخرجه أحمد في «مسنده» (27/125، رقم: 16584)، بسنن ضعيف، فيه عبد الله بن عمرو بن عبد القاري، قال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب» (ص: 315، ترجمة رقم: 3500): «مقبول» اهـ. يعني: إن توبع، وإلا فلين الحديث، ولم يتابع. وابنه عمرو بن القاري، وهو عمرو بن عبد الله بن عمرو، ترجم له ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (6/242، ترجمة رقم: 1345)، وكذا الحافظ ابن حجر في «تجديد المنفعة» (2/67، رقم: 795)، ولم يذكر فيه جرحاً أو تعديلاً، ولا ذكراً في الرواة عنه سوى ابن خثيم.

* وقد يحذف جزءاً من الحديث لعله غير قاذحة، فيشير بذلك إلى أنه ترك هذا الجزء لاختلاف وقع فيه، مع كون علته غير قاذحة، ومثال ذلك: ما رواه البخاري في «صحيحه»: كتاب الجهاد، باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله (4/21)، رقم: 2812)، بسنده عن عكرمة، أن ابن عباس قال له ولعلي بن عبد الله: اثبتا أبا سعيد فاسمعا من حديثه، فاثبتاه وهو وأخوه في خائط لهما يسقيانه، فلما رآنا جاء فاحتبى وجلس، فقال: كُنَّا نَنْقُلُ لِبْنِ الْمَسْجِدِ لِبْنَةً لِبْنَةً، وَكَانَ عَمَّارٌ يَنْقُلُ لِبْنَتَيْنِ لِبْنَتَيْنِ، فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَمَسَحَ عَنْ رَأْسِهِ الْغُبَارَ، وَقَالَ: «وَيْخَ عَمَّارُ، تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ، عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ». وقوله: «تقتله الفئة الباغية». كذا وقع في مطبوع «الصحيح»! ولم يذكر الحميدي هذه اللفظة في «الجمع بين الصحيحين» (2/462)، فأورد الحديث بدونها، ثم قال: «في هذا الحديث زيادة مشهورة لم يذكرها البخاري أصلاً في طريقه هذا الحديث، ولعلها لم تقع إليه فيهما، أو وقعت حذفها لغرض قصده في ذلك. وأخرجها أبو بكر البرقاني، وأبو بكر الإسماعيلي قبله» اهـ. ونقل الحميدي عن أبي مسعود الدمشقي أن البخاري لم يذكر هذه الزيادة. وتعقب الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (2/368) الحميدي، فاستظهر أن البخاري حذفها عمداً، وبين السبب في ذلك، فقال: «وَيُظْهَرُ لِي أَنَّ الْبُخَارِيَّ حَذَفَهَا عَمْدًا وَذَلِكَ لِنُكْتَةِ حَقِيقَةٍ، وَهِيَ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ اعْتَرَفَ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ هَذِهِ الزِّيَادَةَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ مُدْرَجَةٌ، وَالرَّوَايَةُ الَّتِي بَيَّنَّتْ ذَلِكَ لَيْسَتْ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ، وَقَدْ أَخْرَجَهَا الْبَزَّازُ⁽⁹³⁾ مِنْ طَرِيقِ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِي نَصْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي بِنَاءِ الْمَسْجِدِ وَخَمْلِهِمْ لِبْنَةً لِبْنَةً، وَفِيهِ: (فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَحَدَّثَنِي أَصْحَابِي وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَا ابْنَ سَمِيَّةٍ تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ»). انتهى. وابن سميّة هو عَمَّارٌ، وَشَمِيَّةُ اسْمُ أُمِّهِ، وَهَذَا الْإِسْنَادُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَقَدْ عَيَّنَ أَبُو سَعِيدٍ مَنْ حَدَّثَهُ بِذَلِكَ، فَفِي مُسْلِمٍ⁽⁹⁴⁾، وَالنَّسَائِيَّ⁽⁹⁵⁾ مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي نَصْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو قَتَادَةَ... فَذَكَرَهُ... فَاقْتَصَرَ الْبُخَارِيُّ عَلَى الْقَدْرِ الَّذِي سَمِعَهُ أَبُو سَعِيدٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ دُونَ غَيْرِهِ، وَهَذَا دَالٌّ عَلَى دِقَّةِ فَهْمِهِ وَتَبَخُّرِهِ فِي الْإِطْلَاعِ عَلَى عِلَلِ الْأَحَادِيثِ» اهـ.

* وقد يُسْتَنْبَطُ من خلال تراجم الأبواب التي يذكرها في «صحيحه» ويفهم منها أنه يشير إلى إعلال لفظة في رواية لحديث ويرجح رواية أخرى لهذا الحديث، ومن أمثلة ذلك: أنه بَوَّبَ في كتاب الجنائز (2/85) باباً بعنوان: (بَابُ مَنْ تَبِعَ جَنَازَةَ فَلَا يَقْعُدُ حَتَّى تُوضَعَ عَنْ مَنَاكِبِ الرِّجَالِ فَإِنْ قَعَدَ أَمَرَ بِالْقِيَامِ). ثم روى (2/85)، رقم:

93- في «مسنده» - كما في «كشف الأستار» للهيتمي (3/252، رقم: 2687) -

94- انظر: «صحيح مسلم»: كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (4/2235، 2236، رقم: 2915/71).

95- انظر: «السنن الكبرى» للنسائي: كتاب خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ذُكِرَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «عَمَّارٌ تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ» (10/441، رقم: 8694).

(1310)، بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا فَمَنْ تَبِعَهَا فَلَا يَقْعُدْ حَتَّى تُوَضَّعَ». وليس في لفظ الرواية التي ذكرها تحديد المراد من وضع الجنازة بوضعها عن مناكب الرجال كما ترجم له.

يقول الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (4/647): «كَأَنَّهُ أَشَارَ بِهَذَا إِلَى تَرْجِيحِ رَوَايَةِ مَنْ رَوَى فِي حَدِيثِ الثَّابِيِّ: «حَتَّى تُوَضَّعَ بِالْأَرْضِ» عَلَى رَوَايَةِ مَنْ رَوَى: «حَتَّى تُوَضَّعَ فِي اللَّحْدِ»، وَفِيهِ اخْتِلَافٌ عَلَى سَهْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ⁽⁹⁶⁾: رَوَاهُ أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ سَهْلٍ، فَقَالَ: «حَتَّى تُوَضَّعَ فِي اللَّحْدِ»، وَخَالَفَهُ الثَّوْرِيُّ وَهُوَ أَخْفَظُ، فَقَالَ: «فِي الْأَرْضِ». انْتَهَى. وَرَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ سَهْلٍ، فَقَالَ: «حَتَّى تُوَضَّعَ» حَسْبُ، وَزَادَ: (قَالَ سَهْلٌ: وَرَأَيْتُ أَبَا صَالِحٍ لَا يَجْلِسُ حَتَّى تُوَضَّعَ عَنْ مَنَاكِبِ الرِّجَالِ). أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْمُسْتَدْرَجِ»⁽⁹⁷⁾ بِهَذِهِ الزِّيَادَةِ، وَهُوَ فِي مُسْلِمٍ⁽⁹⁸⁾ بِدُونِهَا، وَفِي «الْمُحِيطِ» لِلْحَنْفِيَّةِ: الْأَفْضَلُ أَنْ لَا يَقْعُدَ حَتَّى يُهَالَ عَلَيْهَا التُّرَابُ، وَحُجَّتُهُمْ: رَوَايَةُ أَبِي مُعَاوِيَةَ، وَزَجَّحَ الْأَوَّلُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ بِفَعْلٍ أَبِي صَالِحٍ؛ لِأَنَّهُ زَاوِي الْخَبَرِ، وَهُوَ أَعْرَفُ بِالْمُرَادِ مِنْهُ، وَرَوَايَةُ أَبِي مُعَاوِيَةَ مَرْجُوحَةٌ، كَمَا قَالَ أَبُو دَاوُدَ اهـ.

96 () في «سننه» (5/294).

97 () انظر: «المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم» لأبي نعيم الأصبهاني (3/40، رقم: 2149).

98 () انظر: «صحيح مسلم»: كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة (2/660، رقم: 959).

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه ومن
والاه. وبعد،

بهذا أكون قد انتهيت بفضل الله - تبارك وتعالى - من العمل في هذا البحث، وأذكر
في الختام أهم ما توصلت إليه من نتائج من خلال عملي فيه، ومن أهمها:

1. أقام الله تعالى لحفظ هذا الدين أئمة نقادًا وجهابذة علماء حفظوا بيضته
ودافعوا عن شريعته، وبذلوا في سبيل ذلك كل غال ونفيس، ولم يبخلوا بجهدٍ
أو وقتٍ أو مالٍ.
2. علوم الحديث عديدة ومتنوعة، ومن أصعبها علم العلل، وذلك لأنه يحتاج إلى
فهمٍ ثاقبٍ، وحفظٍ واسعٍ، ومعرفةٍ تامةٍ بمراتب الرواة، ومملكة قوية بالأسانيد
والمتون.
3. لم ينبغ في معرفة علل الأحاديث إلا أفراد قليلة من العلماء، بسبب صعوبته.
4. من العلماء المعروفين بالنبوغ في معرفة علل الأحاديث والمشهود لهم
بالتبحر في هذا الفن الإمام البخاري، وقد تبين ذلك من خلال شهادات
العلماء له، ومن خلال بيان منهجه في إعلال الأحاديث وتنوع هذا المنهج بين
التصريح والإشارة والتلميح، والنماذج المذكورة في هذا البحث.
5. كان لنبوغ الإمام البخاري في معرفة علل الأحاديث عدة عوامل، من أهمها:
تلمذته على أيدي كبار المحدثين في عصره، لا سيما شيخه على بن المديني
المقدم على علماء عصره في معرفة العلل، وقد استفاد الإمام البخاري منه
كثيرًا في معرفة الحديث والعلل، وكذا كان لحرصه الشديد على طلب العلم،
ورحلاته الكثيرة والمتنوعة إلى شتى الأماكن والبلدان أثر كبير في كثرة
مروياته، وتمكنه من الاطلاع على اختلاف الأسانيد والمتون، ومن ثَمَّ الحكم
على الأحاديث وتعليلها وفق منهجية منضبطة قلَّ أن تجد لها نظيرًا، كما ساعد
على نبوغ الإمام البخاري أيضًا في معرفة علل الأحاديث ما رزقه الله من الذكاء
الشديد والفهم الثاقب، مما مكنه من الحكم على الأحاديث وبيان عللها بدقة
وإتقان قل نظيرهما.
6. شهد جماعات من العلماء للإمام البخاري بالنبوغ في معرفة علل الأحاديث،
واستفاد منه في هذا الشأن جماعة من أقرانه وتلاميذه، فكانوا يسألونه عن
علل الأحاديث، ويرجعون إليه في ذلك، كالإمام أبي زرعة الرازي، والإمام مسلم،
والإمام الترمذي، وغيرهم.
7. تنوع منهج الإمام البخاري عند كلامه على علل الأحاديث بين التصريح والإشارة
والتلميح، فكان يصرح أحيانًا، ويشير ويلمح أحيانًا أخرى.

8. من منهج الإمام البخاري في التصريح بإعلال الحديث أن يصرح أحيانا بإعلال هذا الحديث عموما بعبارة مجملة، ولا يبين سبب إعلاله له، وكان أحيانا يصرح بإعلال الحديث ويبين سبب الإعلال، وأحيانا يصرح بإعلال الحديث بالوقف أو الإرسال أو نحو ذلك، ويهمل بيان السبب، وأحيانا يصرح بإعلال الحديث ويشير إلى سببه، وأحيانا يصرح بترجيح وجه من وجوه الخلاف الواردة في الحديث، ويشير إلى سبب الترجيح، مع صحة الحديث عنده، وإنما أراد إعلال طريق أو أكثر من طرق الحديث دون أصله.

9. كان من منهج الإمام البخاري في الإشارة إلى علة الحديث أنه كان يشير أحيانا إلى إعلال حديث رواه أحد الرواة من خلال ذكر مخالفة غيره له عقب روايته، وأحيانا يشير إلى إعلال جزء من لفظ الحديث بحذفه من الرواية، وقد يحذف جزءاً من الحديث لعله غير قاذحة، فيشير بذلك إلى أنه ترك هذا الجزء لاختلاف وقع فيه، مع كون علة غير قاذحة، وقد يستنبط من خلال تراجع الأبواب التي يذكرها في «صحيحه» ويفهم منها أنه يشير إلى إعلال لفظة في رواية لحديث ويرجح رواية أخرى لهذا الحديث، وقد يفهم من ترجمته في صحيحه إعلاله للفظ من حديث، وترجيحه للفظ رواية أخرى في هذا الحديث.

10. اتسم منهج الإمام البخاري في إعلاله للأحاديث تصريحاً أو إشارةً وتلميحاً بالدقة والانضباط والعمق، ودلّ على اطلاع واسع وفهم سديد.

11. ضرورة الرجوع للأئمة المتقدمين - ومنهم الإمام البخاري - عند الحكم على الأحاديث، ووجوب الاحتجاج بكلامهم في تحليل الأحاديث، وذلك لأنه تهيأ لهم الاطلاع على ما لم يطلع عليه من جاء بعدهم من الأصول والطرق، ولقاء الرواة أنفسهم، وغير ذلك.

12. وافق العلماء المحققون الإمام البخاري في كثير من تعليقاته، وانتهوا إلى النتائج التي انتهى إليها في إعلال الأحاديث.

13. خالف جماعة من العلماء الإمام البخاري وغيره من الأئمة المحققين في إعلال الأحاديث والحكم عليها، وذلك لأنهم جروا على ظاهر الإسناد، ولم ينتبهوا إلى وجود علة في تلك الأحاديث، وتقدم أن علم العلة لم ينبغ فيه إلا قليلون.

التوصيات:

1. أوصي نفسي، وجميع المسلمين بتعلم سنة سيدنا رسول الله ﷺ، والصبر والمثابرة في تعلمها، والعمل بها، وتعليمها، وخدمتها، والدفاع عنها، والدعوة إلى العمل بها، ونشرها، سيما في هذا العصر الذي وُجِّهَتْ للسنة فيه سهام النقد، واستباح الجهلة والمغرضون الطعن في أئمتنا وعلمائنا، ولم يعد الأمر مقتصرًا على مسائل فرعية؛ بل صرنا نسمع الطعن في ثوابت الإسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فوجب على كل مسلم صادق آتاه الله العلم والمعرفة أن ينصر السنة ويدافع عنها قدر استطاعته.
2. أوصي الجامعات على اختلاف مسمياتها، وكذا المجامع العلمية أن تقوم بدورها في تهيئة وإعداد كتائب من طلبة العلم الأذكياء، والباحثين المخلصين الأتقياء، ليقوم هؤلاء بنصرة السنة النبوية، والدفاع عن حياضها، من خلال إعداد الأبحاث العلمية، والرد على شبهات أهل الزيغ والضلال - وما أكثرهم في هذا العصر - والاهتمام بنشر وطباعة كتب التراث التي طال كثيرا مما طبع منها التحريف والتصحيف على أيدي العابثين المعتدين الجهلاء الذين يكتسبون بالباطل، بدعوى التحقيق العلمي زعموا!
3. أوصي باستخدام الموسوعات الإلكترونية الكثيرة والمنتشرة والمتنوعة، وذلك لأنها توفر الكثير من الجهد والوقت، مع التأكيد على عدم الاعتماد عليها بالكلية، والرجوع إلى الكتب المطبوعة أو المصورة ضوئياً بصيغة (PDF)، وذلك لما قد يقع في تلك الموسوعات من التحريف والتصحيف.
4. عمل أبحاث علمية تتعلق بمنهج الإمام البخاري في إعلال الحديث على وجه أوسع يشمل جمع كل الأحاديث التي تكلم البخاري على عللها في سائر مصنفاته، وبيان منهجه في الإعلال، للاستفادة منه والتأسي به، والسير على منواله.
5. التوسع في عمل أبحاث ودراسات حول الإمام البخاري ومصنفاته على وجه العموم، و«صحيحه» على وجه الخصوص، ورد الشبهات المثارة حوله وحول كتابه «الصحيح».
6. الإكثار من إقامة المؤتمرات العلمية للدفاع عن السنة النبوية عموماً، وعن (الصحيحين) خصوصاً.
7. كانت هذه بإيجاز أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال عملي في هذا البحث، وأسأل الله (U) أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن ينفع به كاتبه، والناظر فيه، وأن ينفعنا بما علمنا، ويعلمنا ما ينفعنا، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،

1. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: للإمام شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (ت 840هـ). تقديم شيخنا العلامة الكبير فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم. تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، إشراف: أبي تميم ياسر بن إبراهيم. الطبعة الأولى (1420هـ = 1999م). دار الوطن: الرياض - السعودية.
2. إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة: للإمام الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ). تحقيق: جماعة من الباحثين بمركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة. الطبعة الأولى (1415هـ = 1994م: 1425هـ = 2004م). صدر هذا الكتاب بالتعاون بين: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة.
3. أحاديث الشيوخ الكبار (أقدم المخطوطات الحديثية)، ويشتمل على (جزء أحاديث يزيد بن أبي حبيب المصري رواية الليث بن سعد، وجزء فيه مجلس من فوائد الليث بن سعد، وجزء أحاديث ابن جريج المكي، وجزء غرائب شعبة بن الحجاج، وجزء أحاديث سفيان بن عيينة رواية علي بن حرب، وجزء أحاديث عفان بن مسلم الصفار). تحقيق ودراسة: الأستاذ الدكتور حمزة أحمد الزين. دار الحديث بالقاهرة. (1424هـ = 2004م).
4. الأحاديث المختارة، أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج البخاري ومسلم في صحيحهما: للإمام الحافظ ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن الحنبلي المقدسي = الضياء المقدسي (ت 643هـ). تحقيق: الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. الطبعة الرابعة (1421هـ = 2001م). دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت-لبنان، ويطلب من مكتبة النهضة الحديثة: مكة المكرمة.
5. أحكام القرآن: للقاظمي محمد بن عبد الله أبي بكر ابن العربي المعافري الأشبيلي المالكي (ت 543هـ). تحقيق: محمد عبد القادر عطا. الطبعة الثالثة (1424هـ = 2003م). دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان.
6. أدب الإملاء والاستملاء: للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت 562هـ). الطبعة الأولى (1401هـ = 1981م). دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان.
7. الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين = كتاب الأربعين
8. الإرشاد في معرفة علماء الحديث: للإمام الحافظ أبي يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد ابن الخليل الخليلي القزويني (ت 446هـ). دراسة وتحقيق وتخريج: الدكتور محمد سعيد بن عمر إدريس. الطبعة الأولى (1409هـ = 1989م). مكتبة الرشد: الرياض.

9. أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه الذين ذكرهم في جامعته الصحيح: لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت 365هـ). تحقيق: الدكتور عامر حسن صبري. الطبعة الأولى (1414هـ = 1994م). دار البشائر الإسلامية: بيروت - لبنان.

10. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار: للإمام الحافظ الفقيه أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر التَّمَرِي الأندلسي (ت 463هـ). تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى (1414هـ = 1993م). دار قتيبة: دمشق - بيروت، ودار الوعي: حلب القاهرة.

11. الأم: للإمام الفقيه محمد بن إدريس الشَّافِعِي (ت 204هـ). تحقيق: الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب. الطبعة الأولى (1422هـ = 2001م). دار الوفاء: المنصورة - مصر.

12. الأنساب: للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت 562هـ). اشترك في تحقيقه عدد من الأساتذة منهم العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني. الطبعة الأولى (1382هـ = 1962م). مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند.

13. الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف: للإمام الحافظ الفقيه أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت 318هـ). تحقيق: مجموعة من المحققين. الطبعة الأولى (1431هـ = 2010م). دار الفلاح: مصر.

14. البحر الزخار، المعروف بمسند البزار: للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزار (ت 292هـ). تحقيق: الدكتور محفوظ الرحمن زين الله. الطبعة الأولى (1409هـ = 1988م). مؤسسة علوم القرآن: بيروت - لبنان، ومكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة.

15. البداية والنهاية: للإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت 774هـ). تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر. الطبعة الأولى (1417هـ = 1997م). طبعة دار هجر: الجيزة - مصر.

16. البدر المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير: للإمام أبي حفص عمر ابن علي بن أحمد الأنصاري، المعروف بابن الملقن (ت 804هـ). تحقيق جماعة من الباحثين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. الطبعة الأولى (1430هـ = 2009م). دار العاصمة: الرياض - السعودية.

17. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: لمؤرخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ). حققه، وضبط نصه، وعلق عليه: الدكتور بشار عواد معروف. الطبعة الأولى (1424هـ = 2003م). دار الغرب الإسلامي: بيروت - لبنان.
18. التاريخ الكبير: للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ). تحقيق: محمد بن صالح الدباسي، ومركز شذا للبحوث (بإشراف محمود عبد الفتاح النحال). الطبعة الأولى (1440هـ = 2019م). الناشر المتميز: الرياض، ودار النصيحة: الرياض.
19. تاريخ بغداد: للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت 463هـ). حققه وضبط نصه وعلق عليه: الدكتور بشار عواد معروف. الطبعة الأولى (1422هـ = 2001م). دار الغرب الإسلامي: بيروت - لبنان.
20. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها: تصنيف الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، المعروف بابن عساكر (ت 571هـ). دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت - لبنان (1415هـ = 1995م).
21. تذكرة الحفاظ: للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ). وضع حواشيه: الشيخ زكريا عميرات. الطبعة الأولى (1419هـ). دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان.
22. تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة: للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ). تحقيق: الدكتور إكرام الله إمداد الحق. دار الكتاب العربي: بيروت - لبنان.
23. تغليق التعليق على صحيح البخاري: للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ). دراسة وتحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القرقي. الطبعة الأولى (1405هـ = 1985م). المكتب الإسلامي: بيروت ودمشق، ودار عمان: عمان - الأردن.
24. مقدمة الجرح والتعديل: للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، المعروف بابن أبي حاتم (ت 327هـ). مطبوع مع كتاب الجرح والتعديل له. الطبعة الأولى (1371هـ = 1952م). مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن: الهند. مصورة دار إحياء التراث العربي: بيروت - لبنان.
25. تقريب التهذيب: للإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ابن محمد بن علي بن أحمد، الشهير بابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، تحقيق: الشيخ محمد عوامة. الطبعة الأولى (1406هـ). دار الرشيد: حلب - دمشق.

26. التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد: للإمام الحافظ محمد بن عبد الغني الحنبلي؛ المعروف بأبي بكر بن نقطة (ت 629هـ). تحقيق: الدكتور شريف بن صالح التشادي. الطبعة الأولى (1435هـ = 2014م). دار النوادر: بيروت - لبنان. إصدارات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر.
27. التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح: للإمام الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت 806هـ). تحقيق: محمد راغب الطباخ. الطبعة الأولى (1350هـ = 1931م). المطبعة العلمية بحلب.
28. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: للإمام أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) الطبعة الأولى (1419هـ = 1989م). دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان.
29. تلخيص المستدرک: للإمام الحافظ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ). (طبع بحاشية المستدرک). طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدکن: الهند. الطبعة الأولى (1334هـ). مصورة دار المعرفة: بيروت - لبنان.
30. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي (ت 463هـ). تحقيق: الأستاذ الدكتور بشار عواد وآخرين، الطبعة الأولى (1439هـ = 2017م). مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي: لندن.
31. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار: للإمام أبي جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد (ت 310هـ). تحقيق: الشيخ محمود شاكر. مطبعة المدني: القاهرة (بدون).
32. تهذيب الأسماء واللغات: للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ). تحقيق: مكتب البحوث والدراسات بدار الفكر. الطبعة الأولى (1996م). دار الفكر: بيروت - لبنان.
33. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للإمام الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (ت 742هـ). حققه وضبط نصه وعلق عليه: الدكتور بشار عواد معروف. الطبعة الثانية (1403هـ = 1983م). مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان.
34. تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته: للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب؛ ابن قيم الجوزية (ت 751هـ). تحقيق: علي بن محمد العمران. الطبعة الثانية (1440هـ = 2019م). دار عطاءات العلم: الرياض، والطبعة الثانية لدار ابن حزم: بيروت - لبنان.

35. التوضيح لشرح الجامع الصحيح: للإمام سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، المعروف بابن الملقن (ت 804هـ). تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث. الطبعة الأولى (1429هـ = 2008 م). إصدارات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، إدارة الشئون الإسلامية بدولة قطر.

36. الجامع الصحيح، وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه. للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (ت 256هـ). اعتنى به: محمد زهير بن ناصر الناصر، المشرف على أعمال الباحثين بمركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة. الطبعة الأولى (1422هـ). دار طوق النجاة: بيروت - لبنان. وهي مأخوذة عن الطبعة التي أمر السلطان عبد الحميد الثاني - رحمه الله - بطبعتها بالمطبعة الأميرية ببولاق في سنة (1311هـ).

37. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: للإمام الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي؛ الشهير بابن رجب الحنبلي (ت 795هـ). تحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل. الطبعة الأولى (1442هـ). دار ابن الجوزي: الدمام - السعودية.

38. جامع بيان العلم وفضله: للإمام الحافظ الفقيه أبي عمر يوسف بن عبد البر (ت 463هـ). تحقيق: أبي الأشبال الزهيري. الطبعة الحادية عشرة (1435هـ). دار ابن الجوزي: الدمام - السعودية.

39. جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس: للإمام محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الحميدي أبي عبد الله بن أبي نصر (ت 488هـ). الدار المصرية للتأليف والنشر: القاهرة (1966م).

40. الجرح والتعديل: للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر؛ ابن أبي حاتم (327هـ). الطبعة الأولى (1371هـ = 1952م). مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن: الهند. مصورة دار إحياء التراث العربي: بيروت - لبنان.

41. جزء أحاديث يزيد بن أبي حبيب المصري، برواية الليث بن سعد المصري = طبع ضمن أحاديث الشيوخ الكبار.

42. الجمع بين الصحيحين (البخاري ومسلم): للإمام الحافظ محمد بن فتوح الحميدي (ت 488هـ). تحقيق: الدكتور علي حسين البواب. الطبعة الثانية (1423هـ = 2002م). دار ابن حزم: بيروت - لبنان.

43. الجوهر النقي: للإمام علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني (ت 745هـ). طبع بحاشية السنن الكبرى للبيهقي. الطبعة الأولى (1344هـ). مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن: الهند.

44. ذيل تاريخ بغداد: للإمام محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن، المعروف بابن النجار البغدادي (ت 643هـ). دار الكتاب العربي: بيروت - لبنان.

45. السنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنعن: للإمام الحافظ محمد بن عمر بن محمد، أبو عبد الله، محب الدين ابن رشيد الفهري السبتي (ت 721هـ). تحقيق: صلاح بن سالم المصراطي. الطبعة الأولى (1417هـ). مكتبة الغرباء الأثرية: المدينة المنورة - السعودية.

46. سنن أبي داود = السنن.

47. سنن الترمذي، وهو الجامع الكبير: للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت 279هـ)، رواية أبي العباس المحبوبي عنه. تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل. الطبعة الأولى (1437هـ = 2016م). طبعة دار التأصيل: مصر.

48. سنن الدارقطني: للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي (ت 385هـ)، وبذيله التعليق المغني على الدارقطني. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وجماعة. الطبعة الأولى (1424هـ = 2004م). مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان.

49. سنن الدارمي = مسند الدارمي.

50. السنن الصغير: للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت 458هـ). تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي. الطبعة الأولى (1410هـ = 1989م). سلسلة منشورات جامعة الدراسات الإسلامية بكراتشي، باكستان، دار الوفاء، المنصورة.

- السنن الكبرى للبيهقي = السنن الكبير.

- السنن الكبرى للنسائي = كتاب السنن.

- السنن الكبرى للنسائي = كتاب السنن.

51. السنن الكبير: للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت 458هـ). تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية. الطبعة الأولى (1432هـ = 2011م). دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة.

52. سنن النسائي = كتاب المجتبى.

53. السنن: للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ)، برواية اللؤلؤي مقارنة برواية ابن داسة وغيرها. تحقيق ودراسة: أبي تراب عادل بن محمد، وأبي عمرو عماد الدين ابن عباس، ومركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل. الطبعة الأولى (1436هـ = 2015م). طبعة دار التأصيل: مصر.
54. السنن: للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (ت 273هـ). تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل. الطبعة الأولى (1435هـ = 2014م). طبعة دار التأصيل: مصر.
55. سؤالات أبي عبد الله بن بكير وغيره لأبي الحسن الدارقطني (ت 385هـ). دراسة وتحقيق: علي حسن علي عبد الحميد. الطبعة الأولى (1408هـ = 1988م). دار عمار: عمان - الأردن.
56. سير أعلام النبلاء: للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرين. الطبعة الثانية (1402هـ = 1982م). مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان.
57. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم: للإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (ت 418هـ). تحقيق: الدكتور أحمد ابن سعد ابن حمدان الغامدي. الطبعة الرابعة (1416هـ = 1995م). دار طيبة: الرياض.
58. شرح الإمام بأحاديث الأحكام: للإمام تقي الدين أبي الفتح محمد ابن علي بن وهب، ابن دقيق العيد (702هـ). تحقيق: محمد خليف العبد الله. الطبعة الثانية (1430هـ = 2009م). دار النوادر: سوريا ولبنان.
59. شرح صحيح البخاري: لابن بطلال؛ أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت 449هـ). تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم. الطبعة الثانية (1423هـ = 2003م). دار النشر: مكتبة الرشد: الرياض - السعودية.
60. شرح علل الترمذي: للإمام الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي الحنبلي، الشهير بابن رجب الحنبلي (795هـ). تحقيق: الدكتور نور الدين عتر. الطبعة الأولى (1398هـ). دار الفلاح: بيروت - لبنان.
61. شرح مشكل الآثار: للإمام الحافظ أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت 321هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط. الطبعة الأولى (1408هـ = 1987م). مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان.

62. شرح معاني الآثار: للإمام الحافظ أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت 321هـ)، تحقيق: لطيف الرحمن البهراجي القاسمي، الطبعة الأولى (1442هـ = 2021م)، دار ابن حزم: بيروت - لبنان.
63. شروط الأئمة (رسالة في بيان فضل الأخبار وشرح مذاهب أهل الآثار وحقيقة السنن وتصحيح الروايات): للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده (ت 395هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، الطبعة الأولى (1416هـ = 1995م)، دار المسلم للنشر والتوزيع: الرياض - السعودية.
64. صحيح ابن حبان (المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقلها): للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي (ت 354هـ)، تحقيق: الأستاذ الدكتور محمد علي سونمز، والأستاذ الدكتور خالد أي دمير، الطبعة الأولى (1433هـ = 2012م)، دار ابن حزم: بيروت - لبنان (طبعة خاصة بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة بقطر).
65. صحيح ابن خزيمة (وهو مختصر المختصر من المسند الصحيح عن رسول الله ﷺ): للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت 311هـ)، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل، الطبعة الأولى (1435هـ = 2014م)، طبعة دار التأصيل: مصر.
66. صحيح البخاري = الجامع الصحيح.
67. صحيح مسلم: للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي: بيروت - لبنان.
68. الضعفاء: للإمام الحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي (ت 322هـ)، رواية يوسف بن أحمد بن الدخيل الصيدلاني، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل، الطبعة الأولى (1435هـ = 2014م)، طبعة دار التأصيل: مصر.
69. طبقات الحنابلة، للإمام أبي الحسين مُحَمَّد بن أَبِي يعلى الحنبلي (ت 526هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية: الرياض، الطبعة الأولى (1419هـ = 1999م).
70. طبقات الشافعية الكبرى: للإمام أبي نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت 771هـ)، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة فيصل عيسى البابي الحلبي: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.

71. الطبقات الكبرى: للإمام المؤرخ محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت 230هـ). تحقيق: الدكتور علي محمد عمر. الطبعة الأولى (1421هـ = 2001م). طبعة مكتبة الخانجي: القاهرة.
72. العبر في خبر من غبر: للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي (ت 748هـ). تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد. الطبعة الثانية (1984 م). مطبعة حكومة الكويت: الكويت.
73. عجاله المبتدي وفضالة المنتهي في النسب: للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن موسى ابن عثمان الحازمي الهمداني (584هـ). حققه وعلق عليه وفهرسه: عبد الله كنون. الطبعة الثانية (1393هـ = 1973م). مجمع اللغة العربية: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة.
74. علل الترمذي الكبير (ت 279هـ). رتبته على كتب الجامع: أبو طالب القاضي. تحقيق: السيد صبحي السامرائي، والسيد أبو المعاطي النوري، ومحمود خليل الصعيدي. الطبعة الأولى (1409هـ = 1989م). عالم الكتب: بيروت - لبنان، ومكتبة النهضة العربية.
75. العلل: للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت 385هـ). تحقيق: محمد بن صالح بن محمد الدباسي. الطبعة الثالثة (1432هـ = 2011م). مؤسسة الريان: بيروت - لبنان.
76. العلل: للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت 327هـ). تحقيق: فريق من الباحثين، إشراف وعناية: الدكتور سعد بن عبد الله الحميد، والدكتور خالد بن عبد الرحمن الجريسي. الطبعة الأولى (1427هـ = 2006م).
77. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: تأليف الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ). تحقيق: جماعة، تحت إشراف ومراجعة: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد. الطبعة الأولى (1434هـ = 2013م). دار الرسالة العالمية: دمشق - سوريا.
78. فوائد الحنائي أو الحنائيات: للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد الحنائي (459هـ). تخريج: الإمام أبي محمد عبد العزيز بن محمد النخشي (456هـ). دراسة وتحقيق: الدكتور خالد رزق محمد جبر. الطبعة الأولى (1428هـ = 2007م). دار أضواء السلف: الرياض - السعودية.
79. الكامل في ضعفاء الرجال: للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت 365هـ). تحقيق وتعليق: الدكتور مازن بن محمد السرساوي. قدم له: شيخنا العلامة الكبير فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، والشيخ أبو إسحاق الحويني، الطبعة الأولى (1434هـ = 2013م). مكتبة الرشد: السعودية.

80. كتاب الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين: للإمام شرف الدين أبي الحسن علي بن المفضل بن علي المقدسي ثم الإسكندراني المالكي المتوفى سنة (611هـ). تحقيق: محمد سالم بن محمد بن جمعان العبادي. الطبعة الأولى. مكتبة أضواء السلف: الرياض - السعودية.

81. كتاب الجهاد: للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك النبيل (ت 287هـ). حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبد الرحمن مساعد بن سليمان الراشد الحميد. الطبعة الأولى (1409هـ = 1989م). مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة.

82. كتاب السنن، المعروف بالسنن الكبرى للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي (ت 303هـ). تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل. الطبعة الأولى (1433هـ = 2012م). دار التأصيل بالقاهرة.

83. كتاب المجروحين من المحدثين: للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت 354هـ). وقد رجعت لثلاث طبعات: الأولى (وإليها العزو عند الإطلاق). بتحقيق: أبي محمد محمد بن إنسان فرحات. الطبعة الأولى (2016م). دار اللؤلؤة: القاهرة.

84. كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيتمي (ت 807هـ). تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. الطبعة الأولى (1399هـ = 1979م). مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان.

85. الكمال في أسماء الرجال: للإمام عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت 600هـ). دراسة وتحقيق: الدكتور شادي بن محمد بن سالم آل نعمان. الطبعة الأولى (1437هـ = 2016م). الهيئة العامة للعناية بطباعة ونشر القرآن والسنة النبوية وعلومهما بالكويت.

86. لسان الميزان: للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ). اعتنى به: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة. واعتنى بإخراجه وطباعته: سلمان عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية: حلب.

87. المتفق والمفترق: للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت 463هـ). تحقيق: الدكتور محمد صادق أيدن الحامدي. الطبعة الأولى (1417هـ = 1997م). دار القادري للطباعة والنشر: سوريا.

88. المجروحين لابن حبان = كتاب المجروحين.

89. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للإمام أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الشافعي نور الدين الهيتمي (ت 807هـ). حققه وخرج أحاديثه: حسين سليم أسد الداراني. الطبعة الأولى (1436هـ = 2015م). دار المنهاج: لبنان - بيروت.

90. المجموع شرح المذهب للشيرازي: للإمام الفقيه أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي (ت 676هـ). مكتبة الإرشاد: جدة - المملكة العربية السعودية.
91. المحلى: للإمام ابن حزم؛ أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت 456هـ). تحقيق: مجموعة من المحققين بدار الفلاح. الطبعة الأولى (1437هـ = 2016م). دار ابن حزم: بيروت - لبنان.
92. المختارة للضياء = الأحاديث المختارة.
93. المدخل إلى علم السنن: للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت 458). تحقيق: الشيخ محمد عوامة. الطبعة الأولى (1437هـ = 2017م). دار اليسر للنشر والتوزيع: مصر، ودار المنهاج للنشر والتوزيع: بيروت - لبنان.
94. مسائل الإمام أحمد (رواية الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني). تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد. الطبعة الأولى (1420هـ = 1999م). مكتبة ابن تيمية: مصر.
95. مسائل الإمام أحمد بن حنبل (رواية إسحاق بن إبراهيم بن هانئ النيسابوري، ت 275هـ). تحقيق: زهير الشاويش. الطبعة الأولى (1400هـ). المكتب الإسلامي: بيروت، ودمشق.
96. مسائل الإمام أحمد بن حنبل (رواية ابنه عبد الله بن أحمد). تحقيق: زهير الشاويش. الطبعة (1401هـ = 1981م). المكتب الإسلامي: بيروت، ودمشق.
97. مستخرج أبي عوانة = المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم.
98. المستدرك على الصحيحين: للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري الحاكم (ت 405هـ). تحقيق ودراسة: الفريق العلمي لمكتب خدمة السنة، تحت إشراف ورعاية: أشرف بن محمد نجيب المصري. الطبعة الأولى (1439هـ = 2018م). دار المنهاج القويم: سوريا.
99. مسند الإمام أبي يعلى الموصلي (ت 307هـ) (المسند الصغير). تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل. الطبعة الأولى (1438هـ = 2017م). طبعة دار التأصيل: مصر.
100. مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ). تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، وآخرين. الطبعة الأولى (1416هـ = 1995م؛ 1421هـ = 2001م). مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان.
101. مسند البزار = البحر الزخار.

102. مسند الحارث بن محمد بن أبي أسامة (ت 282هـ). تحقيق: الدكتور مسعود أحمد الأعظمي. الطبعة الأولى (1441هـ = 2019م). نشر وحدة البحوث والدراسات بجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم: الإمارات العربية المتحدة.
103. مسند الحميدي: للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي (ت 219هـ). تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. الطبعة الأولى (1996م). دار السقا: دمشق - سوريا.
104. مسند الدارمي = المسند.
105. مسند الشاميين: للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت 360هـ). حققه وخرّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي. صدرت الطبعة الأولى للمجلدين الأول والثاني سنة (1409هـ = 1989م)، وصدرت الطبعة الأولى للمجلدين الثالث والرابع سنة (1416هـ = 1996م). مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان.
106. المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم: للإمام الحافظ أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني (ت 316هـ). تحقيق: فريق من الباحثين بكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية. الطبعة الأولى (1435هـ = 2014م). نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.
107. المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم: للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت 430هـ). قدم له: الدكتور كمال عبد العظيم العناني. تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي. الطبعة الأولى (1417هـ = 1996م). دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان.
108. المسند: للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الدارمي (ت 255هـ). تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل. الطبعة الأولى (1436هـ = 2015م). دار التأصيل بالقاهرة.
109. مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار: للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة (ت 235هـ). طبعة دار القبلة للثقافة الإسلامية: جدة، ومؤسسة علوم القرآن: دمشق، وبيروت. حققه ووقوم نصوصه وخرج أحاديثه: الشيخ محمد عوامة. الطبعة الأولى (1427هـ = 2006م).
110. المصنف: للإمام الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت 211هـ). تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل. الطبعة الثانية (1437هـ = 2016م). دار التأصيل بالقاهرة.
111. معالم السنن: للإمام اللغوي أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت 388هـ)، وهو شرح سنن أبي داود. طبعه وصححه: محمد راغب الطباخ. الطبعة الأولى (1351هـ = 1932م). المطبعة العلمية: حلب.

112. المعجم الأوسط: للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت 360هـ). تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. الطبعة الأولى (1415هـ = 1995م). دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة.

113. معرفة السنن والآثار: للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت 458هـ). تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين قلججي. الطبعة الأولى (1412هـ = 1991م). جامعة الدراسات الإسلامية: باكستان، ودار قتيبة: دمشق، ودار الوعي: حلب، ودار الوفاء: مصر - المنصورة.

114. معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه: للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت 40هـ). بتعلقات الحافظين: المؤتمن الساجي والتقي ابن الصلاح. شرح وتحقيق: الدكتور أحمد بن فارس السلوم. الطبعة الثانية (1431هـ = 2010م). مكتبة المعارف: الرياض - السعودية.

115. المعلم بشيوخ البخاري ومسلم: للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن إسماعيل بن خلفون (ت 636هـ). تحقيق: عادل سعد. دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان.

116. المغني: للإمام الفقيه موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت 620هـ). تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو. الطبعة الثالثة (1417هـ = 1997م). دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع: الرياض - السعودية.

117. مقدمة ابن الصلاح: للإمام الحافظ أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، المعروف بابن الصلاح (ت 643هـ). تحقيق: نور الدين عتر. دار الفكر المعاصر: بيروت - لبنان (1397هـ = 1977م).

118. مناقب الإمام أحمد: للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد؛ المعروف بابن الجوزي (ت 597هـ). تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي. الطبعة الثانية (1409هـ). دار هجر: الجيزة - مصر.

119. المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ: للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري (ت 307هـ). تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل. الطبعة الأولى (1435هـ = 2014م). دار التأصيل: مصر.

120. المذهب في اختصار السنن الكبير: اختصرة: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الشافعي (المتوفي: 748هـ). تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، بإشراف أبي تميم ياسر بن إبراهيم. الطبعة الأولى (1422هـ = 2001م). دار الوطن للنشر: الرياض - السعودية.

121. موضح أوهام الجمع والتفريق: للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت 463هـ). تحقيق: الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني. مطبعة دائرة المعارف العثمانية: حيدرآباد الدكن - الهند، (1378هـ = 1959م).

122. موطأ الإمام مالك (ت 179هـ)، رواية الإمام يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي. تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي. الطبعة الأولى (1425هـ = 2004م). طبع على نفقة مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية: أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة.

123. ميزان الاعتدال في نقد الرجال: للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي. دار المعرفة: بيروت - لبنان.

124. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: للإمام الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ). تحقيق: الدكتور نور الدين عتر. مكتبة البشري: كراتشي - باكستان (1432هـ = 2011م).

125. نصب الراية لأحاديث الهداية: للإمام الحافظ جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي الحنفي (ت 762هـ)، مع حاشية بغية الألمعي في تخريج الزيلعي. تم تصحيح أصل النسخة بعناية بالغة من إدارة المجلس العلمي، وزاده تصحيحاً ومقابلة بمخطوطتين: الشيخ محمد عوامة. الطبعة الأولى (1418هـ = 1997م). دار القبة للثقافة الإسلامية: جدة، ومؤسسة الريان: بيروت - لبنان، والمكتبة المكية.

126. النكت على كتاب ابن الصلاح: للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ). تحقيق ودراسة: الدكتور ربيع بن هادي عمير. الطبعة الثالثة (1415هـ = 1994م). دار الراية: الرياض - السعودية.

127. النكت على مقدمة ابن الصلاح: للإمام بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (ت 794هـ). تحقيق: الدكتور زين العابدين بن محمد بلا فريج. الطبعة الأولى (1419هـ = 1998م). أضواء السلف: الرياض - السعودية.

128. هدي الساري لمقدمة فتح الباري: للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ). تحقيق: جماعة، تحت إشراف ومراجعة: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد. الطبعة الأولى (1434هـ = 2013م). دار الرسالة العالمية: دمشق - سوريا.



النقد الحديثي والاستدلالي لأحاديث صحيح البخاري عند الحنفية - دراسة استقرائية تحليلية

إعداد

د. هيثم عبد الحميد خزنة
كلية العلوم الإسلامية، جامعة صباح الدين زعيم،
إسطنبول، تركيا



المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد،

فقد تكفل الله تعالى بحفظ كتابه الكريم، فقال: [يُحْكِمُ اللَّهُ لَكُمْ كِتَابَ الْإِسْلَامِ الَّذِي فِيهِ أَسْوَاقٌ لِلْبَيْعِ وَالْبَيْعِ وَالْبَيْعِ وَالْبَيْعِ] [الحجر: 9]، فوصلنا على الوجه الذي أنزله على رسوله محمد ع برسمة ولفظه وضبطه ونطقه، فكان هذا إعجازاً قرآنياً.

وإنَّ من تمام حفظ كتاب الله تعالى حفظ بيانه، قال الله عز وجل: [تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَلْفَاظَهُمْ وَأَسَانِيدَهُمْ] [النحل: 44]، فخص الله تعالى هذه الأمة بالسند؛ لتحفظ بيان كتاب الله تعالى، وهو سنة نبيه محمد ع، وقد قَيَّضَ اللهُ تعالى لهذه الأمة مَنْ يثبتون سنة نبيه ﷺ، فجمعت الأحاديث ودُوِّنت ألفاظها وأسانيدُها.

وخرج من بين هذه المدونات الحديثية كتاب صحيح البخاري، تلقفته الأمة بالقبول، وعُدَّ أصحَّ كتابٍ منسوبيٍّ إلى شرع الله تعالى بعد كتابه الكريم، واعتمد أساساً في الاحتجاج والعمل، واستند التراث العلمي الشرعي في جزئه الأكبر عليه.

وعلى الرغم من ذلك كله، إلا أنَّ الأمر لم يخلُ من مراجعات علمية ونقدية عليه سواء من جهة السند وضبط رجاله، أو من حيث الاحتجاج والاستدلال بألفاظ أحاديثه. وقد كان للحنفية دورٌ كبيرٌ في تلك المراجعات النقدية الحديثية والاستدلالية، فقد ترك الحنفية الاحتجاج بظاهر عدد كبير من أحاديث الأحكام الواردة في صحيح البخاري، بناء على قواعد أصولية، كانت مرَّةً قبولهم للحديث أو تركه، وقد كانت هذه القواعد مدار جدل ونقاش مع خصومهم قديماً وحديثاً، حتى صُنفت المؤلفات في ذلك بين الطرفين.

وقد ظهر في عصرنا الحالي دعاوى تجديدية لمراجعة أحاديث صحيح البخاري، دعت إلى نقد حدائثي يقرر آليات جديدة لتصحيح أحاديثه، ولم يكن أصحاب تلك الدعاوى على رؤية واحدة، بل تعددت مشاربهم ومنطلقاتهم ورؤاهم النقدية الحدائية، إلا أنهم على تنوعهم وتضادهم استندوا جميعًا؛ لتسويغ دعاوهم إلى النقد التراثي القديم الموجه لأحاديث صحيح البخاري، خصوصًا فقهاء مدرسة الرأي، وعلى رأسهم الحنفية، حيث يكثر عندهم ردُّ بعض أحاديث صحيح البخاري، وترك الاحتجاج بها مقارنة بغيرهم.

ويسعى هذا البحث إلى دراسة مدى صحة دعوى الاستناد، وذلك باستقراء أحاديث صحيح البخاري التي لم يعمل الحنفية بظاهر ألفاظها، فيقوم بدراسة استقصائية لتلك الأحاديث، واستخراج ما أورده الحنفية من نقد أصولي يؤسسونه لترك العمل بتلك الأحاديث، ويستطلع إن كان ردُّها ونقدها عندهم منحصرًا على النقد الاستدلالي، أو متعدّيًا إلى النقد الحديثي. وإن اقتصر ردهم لتلك الأحاديث على النقد الاستدلالي، فهل وجَّهوا دلالة ألفاظها وأولوها بما يتفق مع العمل بخلاف ظاهرها، فإن وقع منهم ذلك، فيلزم منه عدم وجود نقد حديثي لهم على تلك الأحاديث، وإقرار منهم بصحتها، وإن لم يعملوا بها.

ولتحقيق ذلك قمت بجمع أحاديث صحيح البخاري التي خالف الحنفية ظاهرها، من خلال استقراءها واستقصائها قدر الإمكان، ووضعت ضابطًا لتعيين الأحاديث التي يُعد قول الحنفية مخالفًا لظاهرها، ووجدت أن عددها يصل إلى ثمانية وخمسين حديثًا تقريبًا، وقمت بدراستها ووجه النقد الأصولي الموجه إليها.

وقد قسمت البحث إلى قسمين:

الأول: الدراسة الأصولية التحليلية: واعتنيت فيها ببيان مجملٍ لمنهجية النقد الأصولي للأحاديث عند الحنفية، وتحليل عام لكيفية تطبيقه واستعماله على أحاديث صحيح البخاري، وتفريقهم بين رد الحديث استنادًا إلى النقد الحديثي ورده استنادًا إلى النقد الاستدلالي.

الثاني: الدراسة الأصولية التطبيقية: واعتنيت فيها بذكر القواعد الأصولية التي كانت المستند الأساس لرد ظاهر أحاديث صحيح البخاري، ووضعتُ كل قاعدة على حدة، وما يندرج تحتها من أحاديث صحيح البخاري التي ترك الحنفية ظاهرها إعمالًا لتلك القاعدة، ووجه ارتباط الحديث بها وتأويله على وفقها، علمًا بأنني أتممت الدراسة التطبيقية أولًا، ثم قمت بالدراسة الأصولية التحليلية لاحقًا، مستخلصًا إياها من الدراسة التطبيقية.

وأنبه إلى أنني لم أستطع إيراد الدراسة التطبيقية كاملة هنا؛ لطولها وعدم إمكان جمعها في بحث علمي محدود الصفحات، فلم أذكر كافة الأحاديث التي قمت باستقصائها ودراستها، واكتفيت بإيراد نماذج منها، وسأقوم بنشر الدراسة التطبيقية كاملة في كتاب مستقل إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول: الدراسة الأصولية التحليلية

خالف الحنفية عددًا كبيرًا من أحاديث الأحكام في صحيح البخاري، فلم يعملوا بظاهرها، وقد قمت باستقصائها قدر الإمكان، وقراءة ما أوردوه عليها من نقد وأجوبة، ووجدت من خلال تتبعي لهذه النقود أن الحنفية يتبعون منهجًا أصوليًا منضبطًا في النقد والاستدلال، وقد قرر الحنفية هذا المنهج في كتبهم الأصولية من خلال وضع قواعد أصولية استعملوها في نقد الأحاديث عمومًا، وفي أحاديث الأحكام في صحيح البخاري خصوصًا، وقد كانت هذه القواعد سببًا رئيسًا في رد ظاهر عدد من الأحاديث، سواء كانت في صحيح البخاري أو في غيره، وهي في مجملها تنقسم إلى نوعين رئيسيين:

النوع الأول: قواعد نقدية حديثة، وتبني عليها مدى قبولهم الحديث أو رده من جهة السند، وهذه القواعد ترجع في أصلها إلى المعايير النقدية عند المحدثين، وإن كان للحنفية اجتهادًا خاصًا في بعضها، ومن ذلك: القواعد المتعلقة باتصال السند كالإرسال، والقواعد المتعلقة بالراوي، كثبوت ضبطه وعدالته، وغير ذلك من القواعد.

النوع الثاني: قواعد نقدية استدلالية، وهي قواعد تتعلق بمدى صحة الاحتجاج بظاهر الحديث والعمل به، دون التطرق إلى نقد السند والتعرض إلى صحة الرواية أو ضعفها، ومن ذلك القواعد الأصولية المتعلقة بمخالفة الحديث لأعلى رتبة من حيث الثبوت أو الدلالة، كمخالفة الحديث الأحاد عموم القرآن والسنة المتواترة أو المشهورة.

المطلب الأول: الاستعمالات النقدية الأصولية في أحاديث صحيح البخاري

اختلف استعمال الحنفية لنوعي النقد الأصولي: الحديثي والاستدلالي في الأحاديث تبعًا لصحة الحديث وقوة ظهور دلالاته، فنجدهم أحيانًا يقتصرون في رد الحديث على النقد الحديثي أو النقد الاستدلالي، ونجدهم أحيانًا أخرى يستعملون كلا النوعين لرد الحديث، وأبَيَّن فيما يأتي مواضع استعمال هذين النوعين في الأحاديث.

الاستعمال الأول: الاقتصار على النقد الحديثي

يقتصر الحنفية في رد الحديث أحيانًا على النقد الحديثي، فيردون الحديث لضعف سنده، ولا يتكلفون عناء النقد الاستدلالي، ولعل أول من صرح بهذه الطريقة الكرخي حيث يقول: "الأصل أن الحديث إذا ورد عن الصحابي مخالفاً لقول أصحابنا، فإن كان لا يصح في الأصل كُفينا مؤنة جوابه"¹، أي أن النقد الحديثي إن كان قويًا ومؤثرًا في بابه، فإنه يُعني عن النقد الاستدلالي، فيكون ضعف الحديث من جهة السند السبب الأساس في ترك الحديث ورده وعدم الاحتجاج به.

1- الكرخي، رسالة في الأصول التي عليها مدار فروع الحنفية، والمعروفة بأصول الكرخي، 171.

وهذه الطريقة شائعة في كتب الحنفية خصوصًا عند الطحاوي والعيني وابن الهمام وغيرهم من محدثي الحنفية الذين تناولوا أحاديث الأحكام بالنقد، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها: ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "أئِما امرأة نكحت بغير إذن مواليها، فنكاحها باطل"²، حيث جعلوا ضعف الحديث أساسًا لرده وعدم الاحتجاج به³.

وإن المتتبع لكتب الحنفية يجد أنهم لا يستعملون هذه الطريقة في أحاديث صحيح البخاري مطلقًا، فلم أجد عند أي من الحنفية في تعليل رد ظاهر حديث في صحيح البخاري اقتصارهم على النقد الحديثي، أو جعله الأساس في الرد، وستُظهر هذه الدراسة صدق هذه الدعوى، فقد استقصيت أحاديث صحيح البخاري التي خالف الحنفية ظاهرها وتبعت أوجه ردها وتعليلاتهم في ذلك.

الاستعمال الثاني: الاقتصار على النقد الاستدلالي

يقتصر الحنفية في كثير من الأحيان على النقد الاستدلالي للحديث دون التطرق إلى النقد الحديثي، فيقررون القاعدة الاستدلالية التي يتناقض ظاهر الحديث معها، فيقدمون غيره من الأدلة عليه؛ لما يرونه من قوة في تلك الأدلة تلزمهم العمل بها دون الأخذ بظاهر الحديث، وقد تنوعت أساليب النقد الاستدلالي عندهم تنوعًا كبيرًا على ما سيأتي بيانه في الدراسة التطبيقية، وقد وجدت أن النقد الاستدلالي عندهم يُنتِج ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يتوقف العمل بظاهر الحديث، إعمالًا للقاعدة النقدية الاستدلالية، مع تأويل لفظه وصرف ظاهره إلى معنى آخر محتمل وموافق للقاعدة الأصولية، وقد تحقق ذلك في صورتين:

الصورة الأولى: أن يظهر للحديث وجه آخر في معناه، بما يتوافق مع تلك القاعدة النقدية من خلال القاعدة نفسها التي أعملوها فيه، فتصرفه القاعدة عن ظاهر لفظه إلى معنى آخر يحتمله، كما في نهى النبي ع عن نكاح الشغار، إذ أعملوا في الحديث قاعدة أصولية مفادها: أن النهي عن التصرفات الشرعية لا يقتضي فسادها إلا بدليل، فأظهرت تلك القاعدة الأصولية تأويلًا تلقائيًا صرف اللفظ الظاهر عن معنى البطلان إلى الصحة، مع بقاء حرمة على ما سيأتي بيانه في موضعه، أي أن القاعدة الأصولية النقدية هي نفسها وجه التأويل للحديث، فهي قاعدة نقدية، ذاتية التأويل.

2- أبو داود، سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب في الولي، حديث رقم (2083).

3- انظر: الطحاوي، شرح معاني الآثار، 3/7. ابن الهمام، فتح القدير، 2/259.

الصورة الثانية: أن تستوجب القاعدة النقدية وقف العمل بظاهر الحديث دون أن يظهر من خلالها وجهٌ آخر للحديث ينصرف معناه إليه، وفي هذه الحالة يقوم الحنفية بإتباع ذلك بتوجيه دلالة الحديث اللفظية إلى معنى آخر، فَيُؤَوَّلُونَهُ تأويلاً يخرجُه عن ظاهره، ويستندون في ذلك إلى دليل أو قرينة لحمل اللفظ على هذا التأويل، فإذا لم يجدوا قرينة على الصرف جعلوا القاعدة النقدية قرينة على الصرف، ولهذا أمثلة كثيرة عندهم، منها: إيجاب النبي ﷺ التغريب مع الجلد في حد الزنى⁴، فقد أوقف الحنفية دلالة هذا الحديث الظاهرة إعمالاً لقاعدة الزيادة على النص، وأنها نسخ لا يجوز بخبر الآحاد، فأوجب هذه القاعدة إيقاف دلالته الظاهرة، لكنها لا تنتج تأويلاً للحديث، فقاموا بإتباع ذلك بتأويل حديث التغريب، وحمله على أن التغريب مصلحة مرجوة، لا عقوبة مفروضة، مستدلين بأدلة وقرائن. ومثاله أيضاً: قول النبي ﷺ: **"ليس فيما أقل من خمسة أوسق صدقة"**⁵، فأوقف الحنفية العمل بظاهره؛ لمخالفته قاعدة نقدية استدلالية، وهي: مخالفة خبر الآحاد عموم الكتاب والسنة الثابتة، فوجب إبقاء العام على عمومه؛ لقطعته عندهم، لكن هذه القاعدة لم يظهر من خلالها تأويلٌ للحديث، فأتبع الحنفية ذلك بتأويل لفظه إلى معنى آخر، وهو أن النصاب المذكور في الزكاة هو نصاب تجارة الحبوب والتمور ونحوها، لا نصاب زكاتها زرغاً، وأقاموا على ذلك الدلائل والقرائن، وغير ذلك كثير من الأمثلة.

الحالة الثانية: أن يتوقف العمل بظاهر الحديث، إعمالاً للقاعدة النقدية الاستدلالية مع توقف دلالته بالكلية، فلا يجوز إعمال ظاهر لفظه ولا صرفه إلى معنى آخر، ولا يكون ذلك إلا من خلال قاعدة النسخ، حيث يوقف النسخ دلالة الحديث، ولا يستدعي ذلك تأويل ظاهره، ومثاله: نسخ الحديث الوارد في سُنتَيَّ قنوت الفجر، بأحاديث أخرى متأخرة دلت على انتفاء السُنَّتَيَّ، فتوقف العمل بدلالة الحديث لنسخه، ولا يستدعي الأمر غير ذلك لترك العمل به.

الحالة الثالثة: أن يتوقف العمل بظاهر الحديث، إعمالاً للقاعدة النقدية الاستدلالية، فيردون ظاهره، ويعملون بخلافه، لكن دون أن يظهر للحنفية وجه قوي لتأويل الحديث وصرفه عن معناه الظاهر بقرينة بينة، وفي هذه الحالة إما أن يقوم بعض الحنفية بالتكلف في تأويله، حيث لا يستسيغه الآخرون منهم، وإما أن يقوم بعضهم بوضع احتمالات لمعان أخرى دون تعيين أحدها، وإما أن يقوم بعضهم بالتوقف عن تأويله، مكثفياً بمعارضته لأدلة أقوى وترجيحها عليه، ويعدّون التأويل نفلاً في هذه الحالة.

4- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط التي لا تحل في الحدود، حديث رقم (2724)، وكتاب الحدود، باب البكران يجلدان وينفيان، حديث رقم (6831).

5- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة، حديث رقم (1484).

6- البخاري، صحيح البخاري، أبواب الوتر، باب القنوت قبل الركوع وبعده، حديث رقم (1004).

وقد وجدت هذه الطريقة نادرة المورد في صحيح البخاري، فلا أكاد أجدها مستعملة عندهم فيه، ولعلي لا أجدها إلا في موضع واحد، وهو: حديث الإبل والغنم المصراة، فقد ردوا ظاهره وفق قاعدة نقدية على النحو الذي سيأتي بيانه في موضعه، أما تأويله، فقد تكلف بعضهم في ذلك، وذهب بعضهم إلى أن التأويل نفل لا أصل في رد ظاهر هذا الحديث، مكتفين بالمعارضة دون تكلف عناء تأويل لفظه، حتى قال بعضهم: "فكان الأمر مخصوصاً بمورده، ولا يُعلم نوعه ولا لَمَّه حتى يتعدى"⁷.

أما غيره من أحاديث صحيح البخاري التي تركوا العمل بظاهرها، فقد أقام الحنفية الدلائل والقرائن على تأويلها، بما يتفق مع قولهم في المسألة، وهذا ظاهر بجلاء لكل من طالع كتبهم، سواء وافقناهم في التأويل أو خالفناهم.

الاستعمال الثالث: الاستناد على نوعي النقد الأصولي

يستند الحنفية في رد الأحاديث أحياناً على نوعي النقد الأصولي: الحديثي والاستدلالي، فينقدون الحديث سنداً ومثنياً، وهذا ظاهر ومستعمل كثيراً في عموم أحاديث الأحكام التي خالفوا ظاهرها، أما في أحاديث صحيح البخاري، فقد كانت هذه الطريقة قليلة ونادرة جداً، وقد وقفت من خلال تتبعي واستقصائي على ثلاثة أحاديث من صحيح البخاري نقدها محدثو الحنفية نقداً حديثياً، لكنهم لم يصرحوا بتضعيفها، وإنما كانوا يوجهون النقد إليها من باب ترجيح غيرها عليها، ولا يلزم ذلك تضعيفها.

أما الأحاديث التي أوردوا عليها نقداً من جهة السند، فأوردوها، وأذكر ما قيل فيها على وجه الإيجاز:

الحديث الأول: ما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "من مات وعليه صيام صام عنه وليه"⁸، حيث ذكر الزيلعي أنّ من أسباب ترك الحديث وترجيح غيره عليه: أنه حديث منكر؛ لما نُقل عن الإمام أحمد بن حنبل قوله عن الحديث: إنه غير محفوظ، وأن مداره على عبيد الله بن أبي جعفر، وهو منكر الأحاديث⁹. إلا أن تعليل عامة الحنفية ترك العمل بظاهر الحديث بكونه منسوخاً، حيث ورد عن عائشة رضي الله عنها القول بمنع صوم أحد عن أحد، بل ثبت هذا المنع عن عامة الصحابة ش، فكان ذلك دليلاً على نسخ الحديث¹⁰.

7- الكنكوي، الكوكب الدرّي، 2/302.

8- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من مات وعليه صوم، حديث رقم (1952).

9- انظر: العيني، عمدة القاري، 11/60.

10- انظر: الطحاوي، شرح مشكل الآثار، 6/174. ابن الهمام، فتح القدير، 2/359. العيني، عمدة القاري، 11/60.

الحديث الثاني: ما رواه أبو حميد الساعدي س في تَوَزُّكُ النبي ﷺ في جلسة التشهد¹¹. وقد رجح الطحاوي عليه روايات أخرى من الصحيحين تذكر الافتراش دون التورك؛ لانقطاع في رواية التورك، ووافقه العيني على ذلك، بل زاد بأن في رواية التورك اضطراباً في السند والمتن، وقد حمل الحنفية رواية التورك على أوجه منها: العجز عن الافتراش؛ لكبر النبي ع أو مرضه، أو لبيان الجواز والإباحة لا الندب والسُنَّة، أو أن وقوع التورك كان بعد التسليم¹².

الحديث الثالث: ما روته عائشة رضي الله عنها في حديث كسوف الشمس وإثباته الركوعان في الركعة الواحدة، وقد رجح الحنفية أحاديث في الصحيحين وغيرها تثبت الركوع الواحد، وذلك لاضطراب متن الروايات التي تذكر تعدد الركوع في الركعة الواحدة، فبعضها يذكر ركوعاً واحداً وبعضها ركوعين وبعضها ثلاثة، فأرجعوا الأمر إلى القياس على صلاة النافلة، وهذا هو سبب ترجيحهم أحاديث الركوع الواحد في الركعة الواحدة، وقد ذكروا تأويلات تجمع الروايات المختلفة في عدد ركوع الركعة الواحدة¹³.

هذا ما وقفت عليه من نقد حديثي لأحاديث صحيح البخاري التي خالف الحنفية ظاهرها، لكن المتتبع لكلامهم يجد أن نقدهم لم يجاوز حد ترجيح غيرها عليها من الأحاديث الصحيحة، والترجيح لا يلزم منه تضعيف المرجوح على ما سيأتي بيانه في الدراسة التطبيقية.

ومما ينبغي التنبيه إليه أن الحنفية لم يقتصروا على النقد الحديثي في تلك الأحاديث، بل أضافوا إليها النقد الاستدلالي، وجعلوه الأساس في نقدهم الحديث وردهم لظاهره.

وبعد هذا التجوال في الاستعمالات النقدية الأصولية للحنفية في أحاديث صحيح البخاري التي استخلصتها من الدراسة التطبيقية أجد أن النقد الاستدلالي كان الأبرز والأظهر في التعامل مع أحاديث صحيح البخاري التي تركوا ظاهرها، وقد اقتصروا في أغلبها على النقد الاستدلالي ولم يتطرقوا إلى النقد الحديثي فيها، وفي ذلك دلالة واضحة على أنهم يقررون بصحة أسانيدنا؛ لأن تأويل الحديث وصرفه عن ظاهره دون نقد سنده متفرع عن الإقرار بصحة السند وثبوته، وإن عبارات الحنفية كثيرة في ذلك، منها ما قاله ابن الهمام في أحد الأحاديث التي ترك الحنفية

11- انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب سنة الجلوس في التشهد، حديث رقم (828).

12- انظر: الطحاوي، شرح معاني الآثار، 1/260. العيني، شرح سنن أبي داود، 3/318. القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 2/663.

13- انظر: الزيلعي، تبين الحقائق، 1/229. ابن الهمام، فتح القدير، 2/88.

ظاهرها: "بطل التمسك به، وإن كان إسناده صحيحا لانقطاعه باطنا"¹⁴، ويقول في حديث آخر: "وهذا الحديث صحيح، لكنهم لم يقبلوه لانقطاعه باطنا، وقد علمت أن ما صح سنده جاز أن يضعف بعله قاذحة، ومن العلل مخالفة الكتاب والسنة المشهورة، وكذا مخالفة العادة القاضية بخلافه"¹⁵.

المطلب الثاني: استناد أصحاب دعوة النقد الحداثي إلى الحنفية

ظهرت في عصرنا دعوات لنقد حداثي جديد لأحاديث الصحيحين، فدعا أصحابها إلى مراجعتهم وإعادة النظر في آليات تصحيح أحاديثهم، وكيفيات الاستدلال بها، وقد تعددت المنطلقات العلمية، والفكرية، والموضوعية، والغائية لأصحاب هذه الدعوات ما بين أدناهم إحاطة بعلوم الشريعة على وجه العموم وعلوم الحديث وآليات النقد الحديثي والأصولي على وجه الخصوص، وانتسابهم لأشد التيارات الفكرية المعادية للإسلام، وأبعدهم عن المنهجية العلمية الموضوعية، وأسوأهم غاية، حيث يسعون لهدم الإسلام بهدم أصوله، إلى دعوات أصحابها قامات في العلم الشرعي، ومنطلقهم الفكري إصلاح، وهم أصحاب منهجية علمية موضوعية، وغايتهم لا ريب حسنة، إذ يسعون لتطوير العلوم الشرعية وإعادة صياغة عرضها.

إلا أن الجامع بين هؤلاء على تباين منطلقاتهم واختلافهم طرائقهم استنادهم إلى فقهاء المذاهب الإسلامية في نقدهم بعض أحاديث الصحيحين، وترك الاحتجاج بها، خصوصاً طريقة أهل الرأي وعلى رأسهم مذهب الحنفية، حيث يكثر ذلك عندهم مقارنة بغيرهم، فترك الحنفية عددًا من أحاديث الصحيحين، ولم يعملوا بظاهرها، فاقضى ذلك عند هؤلاء الدعوة إلى تلك المراجعات.

يقول إسماعيل الكردي في مقدمة كتابه الموسوم بـ(نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث دراسة تطبيقية على بعض أحاديث الصحيحين): "أتيت بهذا الكتاب الذي كانت معظم اقتباساته ونقوده التي تنقد البخاري ومسلم موجهة من الأئمة الأربعة ومن تلاميذهم، وممن هم مرجع وثقة لهم بالذات، أي تلك الفئة المتشبهة بالماضي"¹⁶.

ويقول محمود أبو رية: "لا يتوهم أحد أني بدع في ذلك، فإن علماء الأمة لم يأخذوا بكل حديث نقلته إليهم كتب السنة، فليسعني ما وسعهم بعد ما تبين لي ما تبين لهم"¹⁷.

14- ابن الهمام، فتح القدير، 3/440.

15- ابن الهمام، فتح القدير، 4/493.

16- الكردي، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث دراسة تطبيقية على بعض أحاديث الصحيحين، 8.

17- أبو رية، أضواء على السنة المحمدية، 25.

ف نجد أن هؤلاء وغيرهم قد استندوا إلى الفقهاء القدامى كالحنفية؛ ليسوغوا رد كثير من أحاديث الصحيحين التي استشكلوا معانيها الظاهرة، فكان صنيع الحنفية ومنهجهم النقدي الأصولي لأحاديث الصحيحين مسوغاً لتضعيفها عند أصحاب تلك الدعوات.

ويظهر الإشكال عند هؤلاء وغيرهم ممن هم على شاكلتهم خلطهم بين النقد الحديثي أي من جهة السند والنقد الاستدلالي، فجعلوا نقد الحنفية وهو نقد استدلال في الغالب العام - كما سبق بيانه - سبيلاً لنقد أحاديث الصحيحين سنداً وثبوتاً، حيث قرروا التلازم بين ترك العمل بظاهر الحديث ورده سنداً وتضعيفه، وهذا من الخلط العجيب الذي لا يستند إلى إحاطة بأدنى معرفة بالعلوم الشرعية ولا يركز على منهجية موضوعية.

ولم يقتصر الأمر على مثل هؤلاء الذين يرتاب القلب في منطلقاتهم وغاياتهم، بل صدر ذلك أيضاً من قامات علمية ذات منطلق شرعي وإحاطة واسعة بالعلم الشرعي، وأصحاب منهجية علمية وممن نثق بصدق توجههم، ومن هؤلاء الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى، إذ جعل استشكال معنى الحديث ومخالفة ظاهره لنصوص كلية وقواعد عامة سبيله إلى تضعيف الحديث ورده سنداً ولو كان من أجود أحاديث الصحيحين سنداً.

وهو في دعواه تلك رحمه الله تعالى يستند إلى الفقهاء السابقين حيث يقول: **"إننا نلتزم بما وضعه أئمتنا الأولون، ولا نفكر في البعد عنه، كل ما لفتنا النظر إليه، أن الشذوذ والعلل في متون الأحاديث يتدخل فيها الفقهاء إلى جانب الحفاظ، وقد تدخلوا فعلاً في الماضي، وجدّ في عصرنا ما يستدعي المزيد من البحث والاستقصاء"**¹⁸.

لكنه جانب الصواب، فليست هذه طريقة السابقين، فلم أجد عند الحنفية تضعيفاً لحديث في صحيح البخاري يستندون في ذلك إلى النقد الاستدلالي، وأعني أن مخالفة الحديث لقواعد كلية وأصول عامة وفق ما يراه الحنفية لم يكن ذلك سبباً لرد الحديث سنداً، بل يتركوا الاحتجاج بظاهره، ثم يؤولونه تأويلاً يصرفه عن تلك المخالفة إلى الموافقة، إلا إن ظهر لهم نقد في سنده على طريقة نقاد الحديث وأهل صنيعته، كما فعلوا في الأحاديث الثلاثة التي سبق الإشارة إليها، وهو نقد لا يرتقي إلى تضعيف الحديث سنداً، فهذا وارد وهو جارٍ على الطريقة العلمية المتبعة.

أما الشيخ الغزالي، فلم تكن تلك طريقته، فهو إن استشكل حديثاً ولم يستسغ تأويلاته يجعل ذلك سبيلاً للحكم عليه بالضعف، فهذا هو يورد حديث فقه موسى؛ عين ملك الموت الوارد في الصحيحين، فيستشكل معناه الظاهر من لفظه ثم يذكر تأويلات السابقين وهي مستساغة ويحتملها اللفظ، إلا أنه بعد ذلك ينكرها ويستثقلها، قائلاً: **"هذا الدفاع كله خفيف الوزن، وهو دفاع تافه لا يساغ"**، ثم يحكم على الحديث بالضعف، فيقول: **"والحق أن في متنه علة قاذحة تنزل به عن مرتبة الصحة"**¹⁹.

¹⁸- الغزالي، السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، 202.

¹⁹- الغزالي، السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، 36.

ومن هنا نجد البون الشاسع والفرق الكبير بين الطريقتين، فليست هذه طريقة السابقين، ولا هي التزام بما وضعه أئمتنا الأولون، كما ادعى في كتابه، بل هي طريقة نقدية حديثة مغايرة فلا يصح أن تُنسب إليهم.

بقي أن أشير إلى مسألة مهمة، وهي الفرق بين الشيخ الغزالي ومن معه من أصحاب التيار الإصلاحية العلمي لنقد الصحيحين، والآخرين ممن ذكرتهم سابقاً الذين هم أقرب إلى العلمانيين والمنكرين للسنة النبوية إنكاراً مطلقاً ونحوهم، فأقول: توافق الشيخ الغزالي وهؤلاء على أمرين وتباينوا في أمر واحد.

أما ما توافقوا عليه فردهم الأحاديث وتضعيفها لمجرد الاستشكال في معناها، فلا يرجعون إلى قواعد النقد الحديثي المقررة عند نقاد الحديث وعلمائه، بل يكتفون بظهور الإشكال في المعنى لتضعيف الحديث ونقد سنده، وأما الأمر الآخر الذي توافقوا عليه، فزعمهم الاستناد في رد أحاديث الصحيحين ونقدها إلى طريقة الفقهاء السابقين، وهذا زعم باطل كما بينت.

وأما ما افترق الشيخ الغزالي ومن معه عن أصحاب الدعوات المشبوهة، فيكمن فيما ينطلقون منه، فالشيخ الغزالي حينما يرد حديثاً يستشكل معناه لا ينطلق إلا من قواعد كلية شرعية ثابتة بنصوص قرآنية وأحاديث مستفيضة، فهو بهذا يشبه الفقهاء السابقين في منطلق رد الحديث، وإن خالفهم في الطريقة والمنهجية، فهم يردون الحديث ردّاً استدلالياً، أما الشيخ الغزالي فيرد الحديث سنداً.

أما أصحاب تلك الدعوات كالكردي وأبو رية وجمال البنا ومحمد شحرور وغيرهم كثير، فهؤلاء منطلقاتهم عقلية مجردة لا تستند إلى الشرع، إلا بالقدر اليسير وهم متباينون في ذلك، بل إن بعضهم لا يستند إلا إلى هوى متبع، وغاية يروجوها لا منهجية موضوعية يتبعها.

وبسبب هذا الفرق خرج الشيخ الغزالي ومن معه من أصحاب دعوة التيار الإصلاحية العلمي من دائرة الريب والطعن إلى دائرة المناظرة والرد العلمي على دعوتهم النقدية الحديثة، إذ يمكن أن نصل معهم إلى أرضية مشتركة، فردهم عن تضعيف الحديث إلى دائرة النقد الأصولي الاستدلالي ودعوتهم إلى اتباع منهج علمي متزن متكامل.

أما الآخرون فالمنطلقات بيننا وبينهم متباينة والغايات متضادة، فلا سبيل معهم إلا بالعودة إلى المناظرة في المنطلقات نفسها، فالعلمانيون نناظرهم في علمانيتهم، وكذا القرآنيون نناظرهم في أصل حجية السنة، وهكذا، إلا أصحاب الهوى المتبع، فهؤلاء لا سبيل إلى مناظرة جادة معهم إلا أن ندعو الله تعالى لهم.

المبحث الثاني: الدراسة الأصولية التطبيقية

أقسم الدراسة التطبيقية إلى قسمين:

الأول: معيار مخالفة الحنفية لأحاديث صحيح البخاري

الثاني: القواعد الأصولية النقدية لأحاديث صحيح البخاري

المطلب الأول: معيار مخالفة الحنفية لأحاديث صحيح البخاري

حينما قمت باستقصاء أحاديث صحيح البخاري التي خالف الحنفية ظاهرها، كان لا بد من وضع معيار لتحديد معنى المخالفة لأحاديث صحيح البخاري، حتى لا يكون الأمر فوضوياً وانتقائياً في تعيينها، فوضعت معياراً ضابطاً للمخالفة، وهو أن تكون المخالفة لظاهر دلالة من الدلالات الأصولية الواضحة للفظ الحديث، أي أن يخالف الحنفية المعنى الظاهر من النص وفق الدلالات التي قرروها في أصولهم وجعلوها منهجاً للاستنباط بها، ثم قمت بعد ذلك بوضع شروط لهذا المعيار الذي التزمته لتعيين تلك الأحاديث، وفيما يأتي بيان ذلك:

الفرع الأول: معيار المعنى الظاهر لأحاديث صحيح البخاري

لابد من ضبط **(المعنى الظاهر للحديث)** الذي يراد من خلاله تحديد أحاديث صحيح البخاري التي خالفها الحنفية، وبالعودة إلى كتب الأصول نجد الأمر مقرر وثابت عندهم لا يحتاج إلى مجهود كبير في البحث، فالمعاني تثبت من الألفاظ بدلالات وكيفيات قررها أصوليو الحنفية وذكروها في كتبهم مستنبطين إياها من الاستعمالات العربية المعهودة.

ويمكن القول: إن دلالات الألفاظ الواضحة على معانيها تدور على أربع عند الحنفية، وزاد الجمهور دلالة خامسة أنكر الحنفية وضوحها، وهي على النحو الآتي: دلالة العبارة، ودلالة الإشارة، ودلالة الدلالة، ودلالة الاقتضاء، ودلالة مفهوم المخالفة، إضافة إلى الدلالات غير اللفظية، وهي دلالة فعل النبي ﷺ، ودلالة تقريره، فهي من الدلالات الواضحة على الأحكام بشروطها المثبتة في كتب الأصول.

وأورد هذه الدلالات، وأبين ما يمكن أن تشمله من أحاديث صحيح البخاري التي خالف الحنفية دلالة كل منها.

أولاً: دلالة العبارة

دلالة العبارة، هي: دلالة اللفظ على المعنى المتبادر فهمه من الصيغة نفسها، وتسمى منطوق النص، أي المعنى المستفاد بشكل مباشر من ألفاظ العبارة، ومن أهم أمثلتها: دلالة عموم اللفظ وشموله جميع أفرادها، ودلالة الأمر على الوجوب،

ودلالة النهي على التحريم، ودلالة اللفظ المطلق على إطلاقه، ودلالة اللفظ المقيد على تقييده، ودلالة اللفظ الخاص على ما دل عليه بخصوصه، كأسماء الأعلام، والأعداد، ونحوها.

وتعد المعاني الثابتة بهذه الدلالة من أكثر المعاني وضوحًا وظهورًا، فمن رد المعنى الثابت بها يكون مخالفًا لظاهر النص رادًا لمعناه الواضح البين، وعليه فإن أحاديث صحيح البخاري التي خالف الحنفية معناها الثابت بدلالة عبارتها تكون مشمولة بهذا البحث، وتعد أكثر مخالفات الحنفية لأحاديث صحيح البخاري من هذا الباب.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن البحث سيقصر على ما كانت المخالفة للحديث مخالفة كلية لمعناه، أما المخالفة الجزئية للمعنى فلن تشملها الدراسة؛ لأن ذلك لا يُعد مخالفة في الحقيقة، بل إعمالاً للحديث في بعض معناه، فمخالفة الحنفية لعموم حديث بأن يجعلوه مخصوصًا ببعض أفرادهِ أو مخالفتهم لإطلاق نص بأن يجعلوه في بعض صورهِ وحالاتهِ، لا تعد تلك مخالفة للحديث بالمعنى الدقيق؛ لأن النصوص العامة جلها مخصوص، حتى قيل: ما من عام وإلا وقد خصص، فإذا كانت مخالفة الحنفية للحديث بمنعهم شمول بعض أفرادهِ أو أحواله، فلا تكون تلك مخالفة كلية للحديث، ولتوضيح ذلك أضرب أمثلة لأحاديث في صحيح البخاري ادعى فيها البعض أن الحنفية خالفوا ظاهرها، وهي في الحقيقة مخالفة لهم في دعوى تخصيصها وتقييدها، ومن ذلك:

• خصص الحنفية عموم قول النبي ﷺ: **"لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا يحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة"**²⁰، فقالوا بأنه لا يشمل المرأة المرتدة، وخصّصوه بالأحاديث الثابتة في النهي عن قتل المرأة.

• خصص الحنفية عموم قول النبي ﷺ: **"إنما الأعمال بالنية"**²¹، وأخرجوا منها الوضوء والغسل، فأجازوها بلا نية.

• خصص الحنفية حديث النهي عن ثمن الكلب الثابت في صحيح البخاري²²، فأجازوا بيع الكلب المعلم فيما يحل الانتفاع به مخصصين إياه من عموم الحديث.

فلا تُعد هذه من المخالفات سواء أكان تخصيص أحاديث صحيح البخاري بالنصوص كما في المثالين الأولين، أو بالقياس كالمثال الثالث؛ لأن أكثر أحاديث الأحكام التي

20- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: أن النفس بالنفس، حديث رقم (6878).

21- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب النية في الأيمان، حديث رقم (6689).

22- البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب موكل الربا، حديث رقم (2086).

ورد فيها لفظ عام أو مطلق سواء في صحيح البخاري أو في غيره قد ورد عليها تخصيص أو تقييد، ولو أردنا أن تشمل الدراسة هذا النوع من المخالفات، فإنها ستشمل أكثر أحاديث الأحكام، إضافة إلى أن تخصيص عموم النصوص وتقييد مطلقها لم يخالف في جوازه أحد في الجملة، وإن اختلفوا في شروطه وضوابطه.

وعليه فإن كثيرًا من أحاديث صحيح البخاري التي ادّعى البعض مخالفة الحنفية إياها إنما هي من قبيل تخصيصها وتقييدها، ولن تكون مشمولة بالدراسة هنا حتى لو كان الخلاف شديدًا وانفرد الحنفية بتخصيصها أو تقييدها، فهي خلاف في التخصيص لا رد ظاهر الحديث بالمعنى المطلق، فكان الأجدر بهؤلاء أن يسموا الأمور بأسمائها الحقيقية؛ لأن التخصيص لا يُعد مخالفة لأحاديث صحيح البخاري، بل لا يُعد مخالفة للقرآن نفسه، فمن خصص عموم القرآن لا يُعد مخالفًا له، كتخصيص سارق الحبة والتمرة من عموم آية السرقة.

ثانيًا: دلالة الإشارة

دلالة الإشارة هي دلالة اللفظ على معنى لازم للمعنى الذي ثبت بدلالة العبارة، فالنص لا يدل على هذا المعنى بصيغته وعبارته نفسها، وإنما يشير ويومئ إلى هذا المعنى بطريق الالتزام، أي أن المعنى الذي يدل عليه النص بعبارته يستلزم معنى آخر ويشير إليه، فكانت دلالة اللفظ عليه بطريق الإشارة لا العبارة، ويُعد المعنى الثابت بهذه الدلالة من المعاني الظاهرة، لقوة التلازم بين المعنيين.

وقد خالف الحنفية بعض المعاني الثابتة بدلالة الإشارة من أحاديث صحيح البخاري، إلا أنني أقصر المخالفة على ما كان التلازم بين المعنيين قويًا وظاهرًا، كأمر النبي ﷺ بشرب أبوال الإبل، فإن ذلك يدل بدلالة الإشارة على طهارة أبوالها، ونهي النبي ﷺ عن بعض الصلوات والأنكحة، مما يلزم بطلانها، ونهي النبي ﷺ عن طواف الحائض مما يلزم اشتراط الطهارة في الطواف، وفرك عائشة رضي الله عنها المني من ثوب النبي ﷺ دون غسله فيلزم من ذلك طهارة المني، ونحو ذلك من المعاني الثابتة بدلالة الإشارة في أحاديث صحيح البخاري، وخالفها الحنفية على ما سيأتي بيان بعضها في الدراسة التطبيقية هنا.

أما إن كان لزوم المعنى غير ظاهر من لفظ الحديث، ولم يأخذ الحنفية به لذلك، فإن البحث لا يشمل، نظرًا لضعف تلك الدلالة، فظهور دلالة الإشارة ووضوحها تكون بمدى قوة التلازم بينها وبين المعنى الثابت بعبارة النص، فإن كان المعنى اللازم يحتمل خلافه احتمالًا يساوي إثباته أو يقاربه، فلا تكون الدلالة حينئذ من المعاني الظاهرة الواضحة، فلا تدخل في نطاق البحث، ومن ذلك ما ذهب إليه الحنفية في قولهم بعدم سنية صلاة الاستسقاء جماعة، فقد ورد في صحيح

البخاري: "خرج النبي ﷺ إلى المصلى يستسقي واستقبل القبلة فصلى ركعتين"²³، فدل بدلالة الالتزام على أن صلاة الاستسقاء كانت جماعة؛ لأن خروج النبي ﷺ إلى المصلى وصلاته فيه، يلزم منه أن صلاته كانت جماعة، إلا أن تلك الدلالة ليست قوية، فلا تعد مخالفتها مما يمكن إدراجه في البحث.

ثالثًا: دلالة النص

دلالة النص هي دلالة اللفظ على إثبات حكم للمسكوت عنه مساوٍ للمنطوق؛ لاشتراكهما في علة الحكم التي تفهم بمجرد فهم اللغة، ومثاله: قول الله تعالى: [هـ هـ] [الإسراء: 23]، فيفهم بدلالة النص حرمة الضرب والشتم، ولم أجد للحنفية مخالفة لمعنى ثابت بدلالة النص في أحاديث صحيح البخاري.

رابعًا: دلالة الاقتضاء

دلالة اقتضاء النص هي دلالة اللفظ على مسكوت عنه يتوقف صدق الكلام وصحته عقلاً أو شرعاً على تقديره في الكلام، أي أن النص يقتضي ويطلب تقدير كلمة وإضافتها؛ ليستقيم معنى الكلام عقلاً أو شرعاً، وهي من الدلالات الظاهرة، ومثاله: نفي النبي ﷺ صلاة أو نكاحاً في بعض الأحوال، فإن ذلك يقتضي نفي صحتها؛ لأنه لا يتصور نفي الصلاة أو النكاح نفسه لوجوده واقعاً، وكفي الحرج، فإنه يقتضي الصحة وإجزاء الفعل. وقد خالف الحنفية بعض ما ثبت بدلالة الاقتضاء في أحاديث صحيح البخاري، حيث كانت لهم منهجية في دلالة الاقتضاء تختلف عن غيرهم من المذاهب، على ما سيأتي بيانه في التطبيقات.

خامسًا: دلالة مفهوم المخالفة

مفهوم المخالفة هو: ثبوت نقيض حكم المنطوق للمسكوت عنه، أي أن يكون المسكوت عنه مخالفاً للمنطوق في الحكم، وقد ذهب جمهور الأصوليين إلى أنها من الدلالات الظاهرة التي يُحكم بمعناها عند ورود النصوص بها، أما الحنفية فلا يعتدّون بهذه الدلالة في النصوص الشرعية، ولا يُثبتون المعاني بها، ومن أمثلتها في صحيح البخاري: المعنى الثابت بمفهوم المخالفة في قول النبي ﷺ: "من ابتاع نخلا بعد أن تؤبر، فثمرتها للبائع إلا أن يشترط المبتاع"²⁴، فيفهم بدلالة مفهوم المخالفة أن الثمر غير المؤبر يكون للمشتري، وقد رفض الحنفية هذا المعنى، فجعلوا الثمر المؤبر وغير المؤبر للبائع إلا أن يشترط المشتري خلافه. وعليه، فإن مخالفة الحنفية لهذه المعاني في الأحاديث لا تُعد مخالفة لظاهرها، وليس من المنصف اتهام الحنفية برد ظاهر أحاديث في صحيح البخاري، وهم لا يردون إلا مفهومها، ولذا فإن البحث لا يشمل هذا النوع.

23- البخاري، صحيح البخاري، أبواب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المصلى، حديث رقم (1027).

24- البخاري، صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب الرجل يكون له ممر أو شرب في حائط أو في نخل، حديث رقم (2379).

سادسًا: دلالة فعل النبي ﷺ

يُعد فعل النبي ﷺ من الأدلة ظاهرة الدلالة على الأحكام الشرعية ما بين الإباحة والندب والوجوب على حسب نوع الفعل وما يقتضيه الدليل فيه، ولم يخالف في ذلك أحد من الأصوليين في الجملة.

وقد ترك الحنفية ما يدل عليه فعله ﷺ من الأحكام في بعض أحاديث صحيح البخاري، إذ كان الأصل أن يقتضي فعله ﷺ المشروعية من إباحة أو ندب أو وجوب، إلا أن الحنفية منعوا تلك الدلالة وحملوا الفعل على غير ظاهره، فكان ذلك منهم مخالفة لظاهر الحديث، ولهذا أمثلة عديدة في صحيح البخاري، كردهم دلالة طوافه ﷺ بالبيت سبغًا بقولهم إن الفرض أربغًا، وإنكارهم سنية القنوت في الفجر والمغرب، وردهم مشروعية الجمع بين الصلوات، والتورك في الصلاة وغيرها مما كان من فعله ﷺ وما دل عليه الحديث بظاهره، فهذا كله محل دراسة البحث بغية النظر في وجه نقدهم وردهم لدلالة فعل النبي ﷺ الوارد في صحيح البخاري.

وأنبه هنا إلى أن دلالة فعل النبي ﷺ على الأحكام لا تكون ظاهرة على العموم أو الطلب إلا إذا اقترن بها ما يدل على ذلك، وإلا فلا تكون دلالة ظاهرة، بل ضعيفة، وحينئذ لا تكون مشمولة في هذا البحث؛ كما ثبت في صحيح البخاري من فعل النبي ﷺ مع اليهوديين الزانيين، فلم يحكم النبي ﷺ فيهما إلا بعد أن ألزم اليهود بحكم التوراة عندهم، فلما وجد الرجم فيها رجمهما، فإنكار الحنفية رجم الذمي لعدم إحصائه لا يكون ذلك مخالفة لدلالة ظاهرة في هذا الحديث؛ لأن الأصل في الفعل أنه لا يدل على الطلب إلا بقريضة، وكما ورد في قراءة النبي ﷺ في بعض صلواته بعض السور، فإن ذلك لا يقتضي طلبًا، فلا تكون دلالتها ظاهرة على سنية تلك السور بعينها في تلك الصلوات، فمن أنكر سنيته لا تكون مخالفته للحديث مخالفة لدلالة ظاهرة فيه.

سابعًا: دلالة إقرار النبي ﷺ

يُعد إقرار النبي ﷺ من الأدلة ظاهرة الدلالة على الأحكام الشرعية، والأصل أن يُحمل إقراره ﷺ على الإباحة على أقل تقدير، ولم يخالف في ذلك أحد من الأصوليين في الجملة.

وقد ذهب الحنفية إلى ترك ما دل عليه إقرار النبي ﷺ من الجواز والمشروعية في بعض أحاديث صحيح البخاري، وقد وجدت للحنفية مخالفتين لهذا النوع من الدلالة الظاهرة في أحاديث صحيح البخاري، وهما: إقراره ﷺ عائشة رضي الله عنها فرك مئتيه دون غسله، وإقراره ﷺ من ألزم نفسه بالصلوات الخمس وترك ما سواها، فكان الحديثان محلًا للبحث.

هذه هي مجمل الدلالات الظاهرة التي قررها الأصوليون في كتبهم، وقد جعلتها معيارًا في تعيين أحاديث صحيح البخاري التي خالف الحنفية معناها الظاهر. وقد اقتضى الأمر وضع شروط إضافية عامة لهذا المعيار؛ حتى لا يخرج البحث عن مبتغاه، وهي ما سأوردها في الفرع الثاني.

الفرع الثاني: شروط معيار المخالفة لظاهر الأحاديث

قد تظهر للبعض مخالفات للحنفية لبعض أحاديث صحيح البخاري، مما انتقدوا عليها، وهي غير مشمولة في هذا البحث، فإن لم يكن تَرْكِي لها خطأ أو سهوًا، فإن ذلك يُعود لشروط معيار المخالفة التي اتبعتها في تحديد الأحاديث التي خالف الحنفية ظاهرها، وهي على النحو الآتي:

- أن تكون المخالفة لظاهر الحديث قولاً معتمداً في المذهب الحنفي، وإلا فلن تكون مشمولة بالدراسة هنا، حتى لو كانت المخالفة من الإمام أبي حنيفة نفسه، كما في مسألة المزارعة، فقد خالف فيها الإمام ظاهر حديث في صحيح البخاري الوارد بأن النبي ﷺ أعطى اليهود أرض خيبر معاملة ويكون لهم شطر ما يخرج من الزرع²⁵، حيث إن القول المعتمد في المذهب الجواز موافقين ظاهر الحديث.
- أن تكون المخالفة لظاهر حديث مرفوع للنبي ﷺ، فإن كانت المخالفة لظاهر أثر موقوف على صحابي أو أكثر، فلا يدخل ذلك في نطاق البحث.
- أن تكون المخالفة لظاهر نص في صحيح البخاري، فإن كانت المخالفة لقياس على النص، فإن ذلك لا يُعد مخالفة لظاهر الحديث، ولو كان القياس جليًا، ومثاله: ما ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ صلى بالناس جماعة عند كسوف الشمس، فثبت بذلك سنية الجماعة فيها، وهذا ما ذهب إليه الحنفية، لكنهم لم يقولوا بسنية الجماعة في صلاة خسوف القمر بدعوى القياس على ما ورد في صلاة كسوف الشمس، فرغم أنهم يقولون بجواز الجماعة في صلاة خسوف القمر إلا أنها غير مسنونة، وهذا لا يُعد مخالفة لظاهر الحديث.
- أن لا يخالف ظاهر الحديث كل الأمة أو جلّها، كالحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري س أن النبي ع قال: «الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»²⁶، حيث ترك فقهاء المذاهب الأربعة وأكثر الأمة ظاهر لفظ الوجوب، وحملوه على الندب، فترك الأمة كلّها أو جلّها أمارّة على ضعف دلالة الحديث الظاهرة، وضرورة حمله على غير ظاهره.

25- البخاري، صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب المزارعة مع اليهود، حديث رقم (2331).
26- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة، حديث رقم (877).

المطلب الثاني: القواعد الأصولية النقدية لأحاديث صحيح البخاري

تعددت القواعد الأصولية التي كانت سببًا في ترك ظاهر الأحاديث عمومًا عند الحنفية، إلا أنني من خلال تتبع أحاديث صحيح البخاري التي ترك الحنفية ظاهرها، وجدتهم يستندون في الرد على بعضها، ووجدت الأمر يرجع عندهم إلى تسع قواعد أصولية كانت السبب المباشر في رد ظاهر الحديث عندهم، أما القواعد الأخرى فقد كان مجال تطبيقها في غير أحاديث صحيح البخاري كقاعدهم المشهورة في عموم البلوى، حيث لم أجد لهم استعمالاً لها بشكل مباشر في رد حديث في صحيح البخاري، وإن استعملوها إشارة وتبعًا في بعض الأحيان.

وأورد هنا كل قاعدة على حدة مع شرح موجز لها، ومثال لما يندرج تحتها من أحاديث في صحيح البخاري ردّ ظاهرها بها، مع التنبيه إلى أن كثيرًا من تلك الأحاديث قد يندرج ردّ ظاهرها تحت أكثر من قاعدة، لكنني أورد الحديث تحت القاعدة الأظهر في رده وفق ما يقرره الحنفية من صريح كلامهم أو مفهومه.

وقد وجدت أن عدد أحاديث صحيح البخاري التي خالف الحنفية ظاهرها وفق هذا المعيار وشروطه قد وصلت إلى ثمانية وخمسين حديثًا، وقد جمعتها من كتب منتقديهم قديمًا وحديثًا، على رأسهم أبو بكر بن أبي شيبة الذي وضع بابًا كاملاً في كتابه (المصنف) أورد فيه مئات الأحاديث والآثار التي رأى أن أبا حنيفة قد خالفها، ولست أزعم أنني حصرت كل أحاديث صحيح البخاري التي خالف الحنفية ظاهرها، بل يمكن الزيادة عليها؛ لأن تعيين المخالفة نسبية تقديرية، وقد يرى البعض خلاف ذلك، فيزيد على ذلك أو ينقص، وقد يعتري العمل التقصير في الجمع والاستقصاء فهو وارد وممكن.

وأنبه هنا إلى أن دراسة هذه الأحاديث لا أبتغي منها عرض أدلة الحنفية ومناقشة المخالفين لهم، بل أقصر الكلام على النقد الأصولي الذي وجهه الحنفية لحديث صحيح البخاري، وتعليههم ترك ظاهره.

وأنبه أيضًا إلى أنني لم أستطع إيراد الدراسة التطبيقية كاملة هنا كما قلت سابقًا، وذلك لطول هذه الدراسة التطبيقية، وعدم إمكان جمعها في بحث علمي محدود الصفحات، فلم أذكر كافة الأحاديث التي قمت باستقصائها ودراستها، واكتفيت بإيراد نماذج منها، وسأقوم بنشر الدراسة التطبيقية كاملة في كتاب مستقل إن شاء الله تعالى.

أولاً: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى أحد احتمالاته لقرينة

قرر الحنفية قاعدة أصولية مفادها: وجوب حمل اللفظ على ظاهر معناه إن كان مجردًا عن القرينة الصارفة، وإلا جاز حمله على أحد احتمالاته وفق ما تدل عليه

تلك القرينة، كصرف الأمر عن الوجوب وحمله على الندب، وصرف النهي عن التحريم إلى الكراهة، وصرف اللفظ من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، ومن المعنى الصريح إلى الكناية؛ لقرينة تدل على ذلك وهذا مقرر ومثبت في أصولهم²⁷.

وقد كانت هذه القاعدة سبباً لترك ظاهر عدد من أحاديث صحيح البخاري، ووجدتها أحد عشر حديثاً، منها: ما رواه سهل بن سعد الساعدي س: "أن رجلاً اطلع في جُحْر في باب رسول الله ع، ومع رسول ع مِدْرَى يَخْكُ به رأسه، فلما رآه رسول الله ع قال: لو أعلم أنك تنتظرني لطعنت به في عينيك. قال رسول الله ﷺ: إنما جُعِلَ الإِذْنُ من قَبْلِ البَصَرِ"²⁸. وما رواه أبو هريرة س أن النبي ﷺ قال: «لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن، فَخَذَفْتَهُ بعصاة، ففَقَأَتْ عينه لم يكن عليك جناح»²⁹.

وقد دل الحديثان بظاهرها على إباحة فِقْءِ عين المتطلع إلى عورات الناس في بيوتهم دون إذنه مطلقاً، ودلاً بدلالة الالتزام على أن الفاقئ لا يلزمه أرش العين؛ لأن الجواز الشرعي ينافي الضمان. وذهب الحنفية إلى عدم جواز فِقْءِ عين المتطلع، إن أمكن زجره ومنعه بغير ذلك، فإن فعل، فقد وجب الضمان والأرش؛ لعموم النصوص المحرمة لدم المسلم والاعتداء عليه إلا من قبيل المجازاة والقصاص؛ فلا تسقط عصمته بالنظر إلى العورات، فإن لم يمكن دفعه إلا برمييه وفقء عينه جاز وسقط الضمان؛ لأنه من قبيل دفع الصائل، لكنه نادر، فبقي الأمر على أصل المنع، وحمل الحنفية الحديثان على المبالغة في الزجر والتغليظ³⁰.

ثانياً: الزيادة على النص

ذهب الحنفية إلى أن الزيادة على نص واضح الدلالة على معناه لا تُقبل إلا إذا كانت الزيادة ثابتة بمثل قوة المزيد عليه، فإن كانت الزيادة متأخرة عنه، فإنها تكون من قبيل النسخ، وعليه، إذا ورد نص بحكم في مسألة وكان واضح الدلالة على معناه، وورد نص آخر في المسألة نفسها يثبت فيها حكماً مشتملاً على الحكم الذي أثبتته النص الأول مع زيادة فيه، فلا تقبل الزيادة إلا إن كانت بقوة المزيد عليه من حيث الثبوت، وهذا معنى قول الحنفية: الزيادة نسخ معنى وبيان صورة³¹.

وقد كانت هذه القاعدة سبباً لترك ظاهر عدد من أحاديث صحيح البخاري، ووجدتها ثمانية أحاديث، منها: ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "قدم رسول الله ﷺ، فطاف بالبيت سبعا"³².

27- انظر: البخاري، كشف الأسرار على البيهقي، 1/110، 2/34. النسفي، كشف الأسرار على أصول المنار، 1/50، 205.

28- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الديات، باب من اطلع في بيت قوم ففَقَأُوا عينه فلا دية له، حديث رقم (6901).

29- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الديات، باب من اطلع في بيت قوم ففَقَأُوا عينه فلا دية له، حديث رقم (6902).

30- انظر: القاري، مرقاة المفاتيح، 6/2298. ابن عابدين، رد المحتار، 6/550.

31- انظر: البخاري، كشف الأسرار، 3/191، السرخسي، أصول السرخسي، 2/82.

32- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب صلى النبي ع لسبوعه ركعتين، حديث رقم (1632).

وقد دلّ الحديث بظاهره على وجوب الطواف بالبيت الحرام سبعة أشواط؛ لأن النبي ﷺ أمر باتّباع منسكه قائلاً: **«لتأخذوا مناسككم»**³³، فاقضى ذلك عدم صحة الطواف بأقل من ذلك وأنه يكون باطلاً، وهذا المعنى ثابت بدلالة اللزوم، لكن الحنفية لم يأخذوا بهذا اللزوم؛ لأن آية الطواف وهي قول الله تعالى: [إِنَّ تِلْكَ لَآيَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا] [الحج: 29]، مطلقة في الأمر بالطواف دون قيد العدد، وهي دلالة قطعية على معناها، فلا يجوز تقييدها بخبر آحاد؛ لأن ذلك من قبيل الزيادة على النص وهي نسخ عندهم، ولا يجوز نسخ الكتاب بالآحاد، فتبقى على إطلاقها، إلا أن الحنفية عملوا بظاهر الحديث، فجعلوا إتمام السبعة واجباً؛ لفعل النبي ﷺ، أما الفرض فهو مطلق الطواف ويتحقق بفعل أكثره وهو أربعة أشواط، فالأربعة فرض يبطل الطواف بدونها، أما الشوط الخامس إلى السابع فهي واجبة، فمن تركها يكون آثماً، ويجب عليه الإتمام، وإلا صح طوافه ولزمه الفداء وهو الدم³⁴.

ثالثاً: النسخ

اتفق الأصوليون على ثبوت النسخ بين الأدلة الشرعية النقلية، وتكاد تتفق كلمتهم على وقوعه في القرآن والسنة، وقد ذهب الحنفية إلى ترك العمل ببعض أحاديث صحيح البخاري، معللين بنسخها، ووجدتها خمسة أحاديث، منها: ما رواه أبو هريرة س أن رسول الله ﷺ قال: **«طهور إناء أحكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاًهن بالتراب»**³⁵.

وقد دلّ الحديث بظاهره على وجوب تطهير الإناء الذي ولغ فيه الكلب بتسبيع غسله مع الترتيب، وذهب الحنفية إلى وجوب غسله ثلاثاً عملاً بما أفتى به أبو هريرة س بغسله ثلاثاً دون ترتيب، حيث ورد عنه موقوفاً عليه: **«إذا ولغ الكلب في الإناء، فاهرقه، ثم اغسله ثلاث مرات»**³⁶، فدلّ ذلك عندهم على نسخ الحديث، إذ لا يتصور أن يُفتي راوي الحديث بخلاف روايته، إلا إذا ثبت عنده نسخ الرواية³⁷.

رابعاً: تخصيص عموم الكتاب والسنة الثابتة بخبر الآحاد

ذهب الحنفية إلى قطعية دلالة الألفاظ الظاهرة على معانيها، فإذا ورد لفظ عام في الكتاب والسنة المتواترة أو المشهورة، فإن دلالاته على العموم دلالة قطعية، لا يجوز تخصيصها إلا بنص من الكتاب أو السنة المتواترة أو المشهورة، ولا يجوز تخصيصه بحديث آحاد أو قياس، ما لم يثبت تخصيص النص العام بقطعي مثله، فإذا ثبت تخصيصه بقطعي فإن دلالة اللفظ العام على باقي أفرادها تصير ظنية، وعليه جاز تخصيصه حينئذ بخبر الآحاد والقياس⁽³⁸⁾.

33- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمره العقبة يوم النحر راكبا، حديث رقم (1297).

34- انظر: الكاساني، بدائع الصنائع، 2/132.

35- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان، حديث رقم (172).

36- الدارقطني، سنن الدارقطني، كتاب الطهارة، باب ولوغ الكلب في الإناء، حديث رقم (196)، قال ابن دقيق العيد:

إسناد صحيح، انظر: الإمام بمعرفة أحاديث الأحكام، 1/264.

37- انظر: الطحاوي، شرح معاني الآثار، 1/23، العيني، عمدة القاري، 3/40، الزيلعي، تبين الحقائق، 1/32.

38- انظر: الجصاص، الفصول، 2/315، الدبوسي، تقويم الأدلة، 103، 109، البخاري، كشف الأسرار، 1/294، السرخسي،

أصول السرخسي، 1/33.

وعليه، يترك العمل بالحديث الأحاد المعارض لعموم القرآن والسنة المتواترة أو المشهورة. وقد كانت هذه القاعدة سبباً لترك ظاهر خمسة أحاديث في صحيح البخاري، منها: ما رواه أبو سعيد الخدري س أن النبي ع قال: **«ليس فيما أقل من خمسة أوسق صدقة»**³⁹.

وقد دلّ الحديث بظاهره على عدم وجوب الزكاة في قليل الزرع، وحده دون خمسة أوسق، فكانت بذلك نصاب زكاة الزروع، وذهب الحنفية إلى وجوب الزكاة في كثير الزرع وقليله، فلا نصاب للزكاة في الزروع عندهم، واستدلوا لذلك بعموم الأدلة من القرآن والسنة الثابتة والمستفيضة الموجبة لزكاة الزروع، وهي قطعية الدلالة على عمومها وشمولها جميع أفراد المزروعات نوعاً وقدرًا، حيث أوجبت الزكاة في كل أنواع المزروعات، وفي كل قدر خارج منها، ولا يجوز تخصيصها بخبر آحاد؛ لأنه من قبيل النسخ، ولا يجوز نسخ هذه العمومات القطعية بخبر آحاد.

وأجاب الحنفية عن حديث الخمسة أوسق بأمريين:

الأول: أن الخمسة أوسق هي نصاب زكاة تجارة الحبوب والتمور ونحوها، لا نصاب زكاتها زرعاً؛ وذكروا لذلك قرائن، أحيل بيانها إلى مواضعها.

الثاني: نسخ الحديث، حيث اتبع الحنفية قاعدةً أصولية مفادها: إذا لم يتقارن العام والخاص، فإن المتأخر منهما يكون ناسخاً للمتقدم، وإن لم يُعلم تريخهما يُعمل بالراجح منهما، وقد أعمل الحنفية هذه القاعدة على حديث الخمسة أوسق، حيث قدّر الحنفية تقدمه، وجعلوا النصوص العامة متأخرة؛ لأن ذلك هو الأحوط، فكانت ناسخة لحديث الخمسة أوسق⁴⁰.

خامساً: مخالفة خبر الأحاد للقياس

قرر متأخرو أصولي الحنفية أن الأصل في القياس أن لا يقدم على خبر الأحاد، فيُعمل بخبر الأحاد ويترك لأجله القياس، ولهذا أمثلة كثيرة أوردوها في هذا الباب، إلا أنهم استثنوا حالة واحدة أجازوا فيها تقديم القياس على خبر الواحد، وذلك في حالة كان الراوي غير معروف بالفقه وانسد باب الرأي والاجتهاد فيه من كل وجه، فحينئذ جاز تقديم القياس عليه⁴¹.

وقد كانت هذه القاعدة سبباً لترك ظاهر حديثين من صحيح البخاري، أحدهما ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«لا تصروا الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعد فإنه خير النظرين بعد أن يحتلبها إن شاء أمسك، وإن شاء ردها وصاع تمر»**⁴².

39- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة، حديث رقم (1484).

40- انظر: العيني، عمدة القاري، 8/261. ابن الهمام، فتح القدير، 2/242.

41- انظر: البخاري، كشف الأسرار، 2/379. السرخسي، أصول السرخسي، 1/338.

42- البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب النهي للبائع أن لا يحفل الإبل والبقر والغنم وكل محفلة والمصرة، حديث رقم (2148).

وقد دلّ الحديث بظاهره على أنّ التصريّة تُثبِت حقَّ خيار الوصف الفائت للمشتري، واستحقاق صاع تمرٍ للبائع إذا حلب المشتري الشاة وظهر له التصرية وأراد الرد.

وذهب الحنفية إلى عدم الأخذ بهذا الظاهر، حتى صارت المسألة علمًا على مخالفتهم أحاديث صحيح البخاري، إلا أنهم يُقرّون بصحة هذا الحديث سنَدًا، يقول الكوثري مُنبِّهًا إلى ذلك: **"لا كلام في الحديث من جهة الإسناد، وهو صحيح الإسناد بدون شك، لكن أفق المجتهد أوسع، ونظره في الحديث غير قاصر على ناحية"**⁴³.

وسبب ردهم ظاهر الحديث مخالفته أقيسة مستند إلى نصوص متظافرة من الكتاب والسنة، حتى صار كلُّ قياس منها أصلًا ثابتًا باستقراء نصوص عديدة، أما هذه الأصول فهي:

1. الأصل الثابت: لزوم العقد عند خلوه من الخيارات. وكون الشاة غير حلوب ليست عيبًا يجيز الفسخ، بل وصفًا فائتًا إن كان مذكورًا أو ملحوظًا، وهو ما لم يكن؛ لأن كبر الضرع ليس علامة على أنها حلوب كما هو معلوم.

2. الأصل الثابت: أن الخراج بالضمان، وهي قاعدة متفق عليها بين الفقهاء، وعليه وجب أن يكون خراج الشاة وهو اللبن للمشتري؛ لأنها في ضمانه، ومما يؤكد مخالفة ظاهر الحديث للقاعدة سريانها على نظائر المسألة، فلو ردَّ مشتري شاةً لعيب فيها غير التصرية، وكان قد حلبها، فإن المشتري لا يضمن قيمة ذلك اللبن؛ لأن خراج الشاة للمشتري بضمانه إياها.

3. الأصل الثابت: أن المتلفات تضمن حسب نوعها، فإن كان المال المتلف للغير مثليًا وجب ضمان مثله ما لم يتفق الطرفان على قيمته، وإن كان المال المتلف قيميًا وجب ضمان قيمته، ما لم يتفقا على مثله، والخبر خالف هذا الأصل، إذ أوجب في المال المتلف القيمة أبدًا، رغم كون اللبن مالا مثليًا، فالأصل أن يجب فيه مثله لا قيمته.

4. الأصل الثابت: أن ضمان المال المتلف إن كان قيميًا أنه تجب فيه قيمته، لا مقدارًا ثابتًا أبدًا لا يتغير بتغير مقدار المال المتلف أو قيمته، والخبر خالف هذا الأصل إذ أوجب صاعًا من تمر دون النظر إلى مقدار اللبن أو قيمته.

وقد ذكر الحنفية تأويلات وأوجهًا لرد هذا الظاهر، منها: أنه منسوخ بالنصوص العامة التي تثبت لزوم العقدي، وغير ذلك من التأويلات، وأحيل إلى مواضعها منعًا للإطالة وخروج البحث عن غايته.

وقد أقرَّ بعض الحنفية بتكليف بعض التأويلات، لكن ذلك عندهم لا يوجب قبول ظاهر الحديث؛ لأنه منتفٍ بمناقضته تلك الأصول، فكان التأويل نفلًا لا أصلًا في رد ظاهر

43- الكوثري، النكت الطريفة، 86.

الحديث، فاكثفي بعضهم برد الظاهر دون تكلف عناء تأويل لفظه⁴⁴، بل قال بعضهم: "فكان الأمر مخصوصاً بمورده ولا يُعلم نوعه ولا لِمَه حتى يتعدى"⁴⁵. أي أن مناقضة ظاهر الحديث للأصول دلت على خصوصية الحكم بوجه ما لم يُتمكن من إدراكها، فهي حالة عين لم يظهر لنا وجهها، فوجب بقاء أحكام نظائرها وفق تلك الأصول.

سادساً: عموم المقتضى

ذهب الحنفية إلى أن دلالة الاقتضاء لا عموم لها، فإذا ورد نص واحتمل تقدير أكثر من لفظ، فمذهب الحنفية أن يُقدَّر اللفظ الأخص لا الأعم. وقد أعمل الحنفية هذه المنهجية على أحد أحاديث صحيح البخاري حتى وَهَمَ البعض أنهم خالفوا ظاهره، وهو ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: "أن رسول الله ﷺ وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فجاءه رجل، فقال: لم أشعر، فحلقت قبل أن أذبح، فقال: اذبح ولا حرج، فجاء آخر، فقال: لم أشعر، فنحرت قبل أن أرمي، قال: ارم ولا حرج، فما سئل النبي ﷺ عن شيء قَدَّمَ ولا أَّخَّر إلا قال: افعل ولا حرج"⁴⁶.

وقد دل الحديث بظاهره على أن ترتيب مناسك يوم النحر في منى، وهي: الرمي، ثم النحر، ثم الحلق أو التقصير مندوب لا واجب، وقد ذهب الحنفية إلى أن الترتيب بينها واجب في المَجْمَل؛ لنصوص ذكروها، وحملوا الحديث على نفي الإثم لا نفي الوجوب، جرياً على قاعدة أن الأصل في المقتضى عدم العموم، فالحديث نص على نفي الحرج على الناسي والمخطئ، وبقتضي لفظه إما تقدير نفي الإثم أو نفي الحكم وهو الوجوب والفدية عند تركه، ومعلوم أن نفي الوجوب أعم؛ لأن نفيه يستلزم نفي الإثم، أما نفي الإثم لا يستلزم نفي الوجوب، ولذا وجب إثبات المقتضى الأخص وهو نفي الإثم، أما الوجوب وثبوت الفدية بتركه فبإثبات⁴⁷.

سابعاً: حمل الحديث على الخصوصية

من القواعد الأصولية المقررة أن الأحكام إن ثبتت خصوصيتها، فلا يجوز تعديتها أو التأسّي بها، وقد ورد لبعض الصحابة أحكام خاصة، كتخصيص النبي ﷺ أبا بردة بن نيار أن يضحي بجذعة من المعز، حيث ورد في صحيح البخاري عن أبي بردة رضي الله عنه أنه قال: "يا رسول الله إن عندي جذعة من المعز، فقال: ضح بها، ولا تصلح لغيرك"⁴⁸.

⁴⁴- انظر: الطحاوي، شرح معاني الآثار، 4/19. العيني، عمدة القاري، 11/271. القاري، مرقاة المفاتيح، 5/1932.

⁴⁵- الكنكوهي، الكوكب الدرّي، 2/302.

⁴⁶- البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها، حديث رقم (83).

⁴⁷- انظر: الكاساني، بدائع الصنائع، 2/159. العيني، عمدة القاري، 2/89.

⁴⁸- البخاري، صحيح البخاري، أبواب العيدين، باب الخطبة بعد العيد، حديث رقم (965).

وقد ذهب الحنفية إلى ترك العمل بظاهر عدد من أحاديث البخاري حملا على الاختصاص، كالحديث السابق، ووافقهم أصحاب المذاهب الأخرى على بعضها، وخالفهم -كلهم أو بعضهم- في أربعة أحاديث، أورد أحدها، وهو ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه: **"أن رسول الله ﷺ أعتق صفيّة، وتزوجها، وجعل عتقها صداقها، وأولم عليها بحيس"**⁴⁹.

وقد دلّ الحديث بظاهره على جواز أن يكون عتق الأمة صداقاً في نكاحها، وقد ذهب الحنفية إلى منع ذلك، فلا يجوز أن يكون ذلك صداقاً، فإن وقع صح العتق، وهي بالخيار بين قبول النكاح ورده، فإن أبت، فعليها قيمتها لسيدتها، وإن قبلت فلها مهر المثل؛ لأن الواجب في المهر أن يكون مالا، والعتق ليس مالا، وأولوا الحديث بأنه خاص بالنبي ﷺ؛ فله دون الأمة الزواج بلا مهر⁵⁰.

ثامناً: اقتضاء النهي الفساد

ذهب الحنفية إلى أن النهي المطلق إذا توجه إلى التصرفات الشرعية كالصلاة والبيع والنكاح ونحوها، فإن النهي يتعلق هنا بمعنى متصل بالمنهي عنه لا بذاته، ولهذا فإن الأصل أن يبقى المنهي عنه مشروعاً في ذاته ما لم يقم دليل على خلافه، فالأصل فيما نهى الشارع عنه من التصرفات الشرعية أن يبقى صحيحاً مثبتاً لآثاره حتى يثبت بطلانه وفساده⁵¹، وقد أعمل الحنفية هذه القاعدة على أحد أحاديث صحيح البخاري، وهو ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنه: **"أن رسول الله ﷺ نهى عن الشغار، والشغار: أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته ليس بينهما صداق"**⁵².

وقد دلّ الحديث بظاهره على تحريم نكاح الشغار، كما دلّ بدلالة الالتزام على بطلانه، إذ النهي هنا يقتضي البطلان، وقد أخذ الحنفية بدلالة ظاهر الحديث، فقالوا بتحريم نكاح الشغار، إلا أنهم أنكروا دلالة الالتزام عملاً بقاعدتهم الأصولية السابقة، فقالوا بصحة النكاح، ووجوب مهر المثل لكل من المرأتين⁵³.

تاسعاً: الترجيح بين الأخبار المتعارضة

قرر الحنفية منهجاً في التعامل مع الأخبار المتعارضة، وطرق دفع تعارضها، وتلخص عندهم في ثلاثة أمور: النسخ ثم الترجيح ثم الجمع، على حسب ما يقتضيه الدليل، وإلا سقط الدليلان المتعارضان؛ ليصار إلى غيرهما من الأدلة،

49- البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الوليمة ولو بشاة، حديث رقم (5169).

50- انظر: ابن الهمام، فتح القدير، 3/341. القاري، مرقاة المفاتيح، 5/2105.

51- انظر: البخاري، كشف الأسرار، 1/258.

52- البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الشغار، حديث رقم (5112).

53- انظر: ابن الهمام، فتح القدير، 3/338.

وهذا ما ذكره الحنفية كالكرخي وابن الهمام⁵⁴، وقد سبق الإشارة إلى طريقتي النسخ والجمع، وما تعلق بهما من قواعد أصولية كانت سببًا في رد ظاهر بعض الأحاديث، وأعرض هنا الطريقة الثالثة في دفع التعارض، وهي الترجيح بين الأخبار، فقد كان سببًا مباشرًا في ردّ ظاهر بعض أحاديث صحيح البخاري، وترك مدلولها والعمل بمدلول أحاديث أخرى سواء من صحيح البخاري أو من غيره.

ويستند الترجيح عند الحنفية إلى زيادة قوة في أحد الدليلين بوصف قائم في ذاته، لا بمرجح خارجي ودليل مستقل، إذ لا يكون ذلك ترجيحًا عندهم، ولذا عرفه ابن الهمام بأنه: **"إظهار الزيادة لأحد المتماثلين على الآخر بما لا يستقل"**⁵⁵، وبهذا يظهر أن الترجيح بين الأخبار عند الحنفية يقوم على وصف قائم في الخبر الراجح، كترجيح ما دل على معناه بدلالة العبارة على ما دل بالإشارة، وترجيح الحاضر على المبيح، وترجيح ما روي بلفظه على ما روي بمعناه، وترجيح رواية القول على رواية الفعل، وترجيح أحد خبري الآحاد بضبط الراوي أو عدالته، أو فقهه، ونحو ذلك.

ومما ينبغي التنبيه إليه أن حكم الترجيح وجوب العمل بالخبر الراجح وترك مدلول الخبر المرجوح، ولا يلزم من ذلك تضعيف الخبر المرجوع سنّدًا؛ لأن الترجيح يستند إلى أوجه لا يتعلق كثير منها بالسند، بل إن بعض أوجه الترجيح بالسند لا تؤثر بشكل مباشر في الحكم على الخبر المرجوح سنّدًا، كترجيح المشهور على الآحاد، أو الترجيح بفقه الراوي، ونحو ذلك.

ووجدت أن الحنفية تركوا العمل بظاهر ما يقارب واحدًا وعشرين حديثًا من صحيح البخاري، لترجيح غيرها من الأخبار عليها، مع التنبيه إلى أن ترك ظاهر تلك الأحاديث لم يقتصر على الترجيح، بل تعدى إلى أسباب أخرى، إلا أن الترجيح كان السبب الأساس في ردّ ظاهرها.

ومن هذه الأحاديث ما رواه البخاري عن محمد بن عمرو بن عطاء: "أنه كان جالسًا مع نفر من أصحاب النبي ﷺ، فذكرنا صلاة النبي ﷺ، فقال أبو حميد الساعدي: أنا كنت أحفظكم لصلاة رسول الله ﷺ رأيته إذا كبر جعل يديه حذاء منكبيه، ... فإذا جلس في الركعتين جلس على رجله اليسرى ونصب اليمنى، وإذا جلس في الركعة الآخرة قدم رجله اليسرى ونصب الأخرى وقعد على مقعدته"⁵⁶.

هذا الحديث هو أصل القول بمشروعية التورك في جلسة التشهد الثانية، ولم يعمل الحنفية بدلالة هذا الحديث على مشروعية التورك وأنه من سنن الصلاة، وذلك لتعارضه مع أحاديث أخرى تذكر الافتراش دون التورك، فرجّحوا أحاديث

54- انظر: الكرخي، رسالة في الأصول التي عليها مدار فروع الحنفية، 169. أمير باد شاه، تيسير التحرير، 3/137.

55- ابن أمير الحاج، التقرير والتحيين، 3/17.

56- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب سنة الجلوس في التشهد، حديث رقم (828).

الافتراش وهي كثيرة على هذا الحديث، منها: ما ورد عن عائشة رضي الله عنها في بيان صفة صلاة النبي ﷺ أنها قالت: «وكان يفرش رجله اليسرى وينصب رجله اليمنى»⁵⁷، وما ورد عن ابن عمر رضي الله عنه قوله: «إنما سنة الصلاة أن تنصب رجلك اليمنى وتثني اليسرى»⁵⁸، وما ورد عن وائل بن حجر س قوله: «قدمت المدينة، قلت: لأنظرن إلى صلاة رسول الله ﷺ، فلما جلس، يعني للتشهد، افترش رجله اليسرى، ووضع يده اليسرى، يعني على فخذه اليسرى، ونصب رجله اليمنى»⁵⁹.

فهذه الأحاديث وغيرها تذكر الافتراش دون التورك الذي لم يثبت إلا في حديث أبي حميد، مما يدل على أنه حالة خاصة -كما يقول الحنفية- لا عامة، لذا حملوه على أوجه منها: العجز عن الافتراش لكبر أو مرض، أو لبيان الجواز والإباحة لا الندب والسنتية، أو أن وقوع التورك كان بعد التسليم، كما أن النظر والقياس يرجح أحاديث الافتراش على حديث التورك، فالهيئة الثابتة للجلسة الأولى والجلسة التي تكون بين السجدين إنما هي على هيئة الافتراش، فكان استمرار تلك الهيئة إلى الجلسة الثانية وعدم اختصاصها بهيئة مخالفة أولى بالاعتبار والنظر⁶⁰.

وقد ذكر الطحاوي وجهًا من أوجه ترجيح أحاديث الافتراش على حديث التورك، ذلك أن حديث التورك غير متصل؛ لأن محمد بن عمرو بن عطاء لم يسمع هذا الحديث من أبي حميد الساعدي، ويبين الطحاوي وجه انقطاع سماعه منه، ثم ذكر بعض روايات الحديث المتصلة التي توافق روايات الافتراش ولا تذكر التورك⁶¹، وقد وافق العيني الطحاوي في دعواه الانقطاع، بل أطال الاستدلال له حتى انتهى إلى قوله: «إن الحديث مضطرب الإسناد والمتن»، أما اضطراب المتن، فلأن بعض رواياته تذكر الافتراش والتورك على التوالي في الجلستين، وبعضها يذكر الافتراش فقط، وأما اضطراب السند، فلأن بعضها يورد الحديث عن محمد بن عمرو بن عطاء سماعًا من أبي حميد الساعدي، وبعضها يورده بواسطة راو بينهما⁶².

57- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يجمع صفة الصلاة، حديث رقم (498).

58- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب سنة الجلوس في التشهد، حديث رقم (827).

59- الترمذي، سنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب كيف الجلوس في التشهد، حديث رقم (292)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، والعمل عليه عند أكثر أهل العلم.

60- انظر: الطحاوي، شرح معاني الآثار، 1/260. العيني، شرح سنن أبي داود، 3/318. القاري، مرقاة المفاتيح، 2/663.

61- انظر: الطحاوي، شرح معاني الآثار، 1/260.

62- انظر: العيني، شرح سنن أبي داود، 3/318-321. وعمدة القاري، 6/105.

الخاتمة

بعد استعراض أحاديث صحيح البخاري التي خالف الحنفية ظاهرها، وما أوردوه عليها من نقد استدلالي وحديثي يؤسسونه لترك العمل بها، أورد أهم النتائج.

- وضع الباحث معيارًا محددًا لتعيين أحاديث صحيح البخاري التي خالف الحنفية ظاهرها، وحده: ما خالف فيه الحنفية الدلالات الظاهرة التي قرروها في أصولهم لاستنباط المعاني من النصوص، مع وضع بعض الضوابط والشروط على هذا المعيار.

- ظهر للباحث أن عدد أحاديث صحيح البخاري التي خالف الحنفية ظاهرها وفق هذا المعيار ثمانية وخمسون حديثًا.

- تنوعت قواعد النقد الأصولي للأحاديث عند الحنفية إلى نوعين رئيسيين: قواعد نقدية حديثة تتعلق بالسند والرواة، وقواعد نقدية استدلالية تتعلق بمدى صحة الاحتجاج بظاهر الحديث.

- اختلف استعمال الحنفية لنوعي النقد الأصولي: الحديثي والاستدلالي في الأحاديث تبعًا لصحة الحديث وقوة ظهور دلالته.

- لم يقتصر الحنفية على النقد الحديثي أي دون النقد الاستدلالي؛ لرد أي حديث من أحاديث صحيح البخاري.

- غلب على الحنفية اقتصارهم على النقد الاستدلالي لأحاديث صحيح البخاري، فيوقفون العمل بدلالة الحديث الظاهرة لإعمالهم القاعدة النقدية الاستدلالية فيه، ثم يؤولونه تأويلًا يتفق مع قولهم في المسألة.

- إن اقتصار الحنفية في الغالب العام على النقد الاستدلالي في تعاملهم مع أحاديث صحيح البخاري، ثم إتباع ذلك تأويل ظاهره بما يتوفق مع قولهم يدل دلالة واضحة على أنهم يُقرّون بصحة أسانيدها؛ لأن تأويل الحديث وصرفه عن ظاهره دون نقد سنده متفرع عن الإقرار بصحة السند وثبوته.

- اقتصر استعمال الحنفية لنوعي النقد -الاستدلالي والحديثي- في أحاديث صحيح البخاري على ثلاثة أحاديث فقط، وكان نقدهم إياها سندًا؛ لأجل ترجيح غيرها عليها من الأحاديث الصحيحة، لا لتضعيفها، ولذا أضافوا إليها النقد الاستدلالي، بل جعلوه الأساس في نقدهم هذه الأحاديث الثلاثة.

- دعا أصحاب النقد الحديثي إلى مراجعة أحاديث الصحيحين، وإعادة النظر في آليات تصحيح أحاديثهما، وكيفيات الاستدلال بها، واستندوا في دعوتهم إلى

طريقة الفقهاء عمومًا والحنفية خصوصًا؛ ليسوغوا رد كثير من أحاديث الصحيحين التي استشكلوا معانيها الظاهرة، وجعلوا ذلك سبيلًا لنقد أحاديث الصحيحين سندًا وثبوتًا.

- تعددت المنطلقات العلمية، والفكرية، والموضوعية، والغائية لأصحاب هذه الدعوات، فكان التباين شديدًا بينهم.

- رغم التباين الكبير بين أصحاب تلك الدعوات إلا أنهم جميعًا خلطوا بين النقد الحديثي والنقد الاستدلالي للأحاديث، حيث قرروا التلازم بينهما، فرأوا أن من ترك العمل بظاهر الحديث فإنه يردده سندًا، وهذا زعم باطل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- أمير باد شاه، محمد أمين بن محمود (972هـ)، تيسير التحرير، دار الفكر، بيروت، 1996م.
- ابن أمير الحاج، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن محمد (879هـ)، التقرير والتحبير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1983م.
- البخاري، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد (730هـ)، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، دار الكتاب الإسلامي، بدون معلومات الطبع.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، 1419هـ.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (279هـ)، سنن الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، 1975م.
- الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي (370هـ)، الفصول في الأصول، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الثانية، 1994م.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (852هـ)، الدراية في تخريج أحاديث الهداية، دار المعرفة، بيروت.
- ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق (311هـ)، صحيح ابن خزيمة، المكتب الإسلامي، بيروت.
- أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث (275هـ)، سنن أبي داود، المكتبة العصرية، بيروت.
- الدبوسي، أبو زيد عبد الله بن عمر (430هـ)، تقويم الأدلة في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
- أبو رية، محمود، أضواء على السنة المحمدية أو الدفاع عن الحديث، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة.
- الزيلعي، جمال الدين عبد الله بن يوسف (762هـ)، نصب الراية لأحاديث الهداية، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م.
- الزيلعي، فخر الدين عثمان بن علي (743هـ)، تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق، المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1313هـ.

- السرخسي، شمس الأئمة محمد بن أحمد (483هـ):
- أصول السرخسي، دار المعرفة، بيروت.
- المبسوط، دار المعرفة، بيروت، طبعة 1993م.
- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد (321هـ):
- شرح مشكل الآثار، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1994م.
- شرح معاني الآثار، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1994م.
- مختصر اختلاف العلماء، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، 1417هـ.
- ابن عابدين، محمد أمين بن عمر (1252هـ) رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1992م.
- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد (855هـ):
- شرح سنن أبي داود، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1999م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الغزالي، محمد (1416هـ)، السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، دار الشروق، الطبعة السادسة.
- القاري، نور الدين علي بن سلطان محمد، (1014هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 2002م.
- الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود (587هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1986م.
- الكرخي، أبو الحسن عبيد الله بن الحسين (340هـ)، رسالة في الأصول التي عليها مدار فروع الحنفية، والمعروفة بأصول الكرخي، مطبوع بنهاية تأسيس النظر للدبوسي، دار ابن زيدون، بيروت، بدون معلومات الطبع.
- الكردي، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث دراسة تطبيقية على بعض أحاديث الصحيحين، دار الأوائل، الأردن، الطبعة الأولى، 2002م.
- الكنكوهي، رشيد أحمد (1323هـ)، الكوكب الدرّي على جامع الترمذي، مطبعة ندوة العلماء الهند، 1395هـ.
- الكوثري، محمد زاهد بن الحسن، النكت الطريفة
- مالك بن أنس، أبو عبد الله (179هـ)، الموطأ، دار التأصيل، مصر، 2016م.

- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (303هـ)، السنن الكبرى، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
- النسفي، حافظ الدين عبد الله بن أحمد (710هـ)، كشف الأسرار على أصول المنار، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد (861هـ)، فتح القدير، دار الفكر، بدون معلومات الطبع.

تجلية مظاهر نبوغ الإمام البخاري في معرفة العلل والكشف عنها

إعداد

د. أبوبكر بن محمد بن عيسى التشادي
مدير معهد الإتيقان العالي الجامعي في أنجمينا - العاصمة -
وأستاذ الحديث وعلومه في المعهد.
والمشرف العام على مراكز الإتيقان العلمية في تشاد



مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. أما بعد:

فإن إجلاء مظاهر نبوغ الإمام البخاري في معرفة العلل والكشف عنها تعتبر من الدراسات الجادة التي يجب على المختصين في علم الحديث أن يعتنوا بها ويدرسوها بطريقة علمية تطبيقية واضحة، وهذه الدراسة محاولة ربط بين ماضي أمتنا العلمية والحضارية وبين حاضرها، كيف لا وهي تكشف الغطاء عن مظاهر نبوغ أحد أبرع أئمة الحديث في معرفة العلل والكشف عنها، فدراسة مظاهر نبوغ هذا الإمام الجهبذ والنقاد البصير، يعطي لمحة علمية عن هذا العالم الفحل، والإمام الفطحل، ويؤدي إلى كشف الجوانب القوية التي قد تخفى على غير المختصين في علم الحديث من براعته في معرفة العلل والكشف عنها.

مشكلة البحث: أن هذا الجانب العلمي الشيق لم أر من تطرق إلى جمعه ولم أشتاته وتحريره بشكل علمي دقيق، مع الحاجة الملحة إلى ذلك.

أهداف البحث: تهدف هذه الدراسة إلى تجلية مظاهر نبوغ الإمام البخاري في معرفة العلل والكشف عنها بدراسة واقعية تطبيقية تؤكد على براعة هذا الإمام في معرفة العلل والكشف عنها باستعماله وسائل علمية دقيقة من وسائل النقد قد لا تيسر لكثير من علماء عصره، فضلا عما أتى بعده بقرون كثيرة.

منهج البحث: انتهجت في تناول هذه الدراسة المنهج الاستقرائي لجمع المعلومات من المصادر المختلفة، والمنهج النقدي لبيان ما عند الإمام البخاري من البراعة في كشف العلل الدقيقة الخفية بأمثلة حية واقعية.

خطة البحث:

التعريف بمصطلحات العنوان.

المظهر الأول: براعة الإمام البخاري في معرفة العلل والكشف عنها منذ الصغر.

المظهر الثاني: شهادة مشايخه في نبوغه في معرفة العلل والكشف عنها.

المظهر الثالث: شهادة أقرانه في نبوغه في معرفة العلل والكشف عنها.

المظهر الرابع: شهادة تلاميذه في براعته في معرفة العلل والكشف عنها.

المظهر الخامس: كلام الأئمة المحققين في نبوغه في معرفة العلل والكشف عنها.

المظهر السادس: براعته في كشف علل امتحان أهل بغداد وسمرقند له.

المظهر السابع: دقة انتقائه للجامع الصحيح الذي لم يؤلف مثله في الدنيا.

المظهر الثامن: نقده لفحول أئمة الحديث في كشف العلل.

المظهر التاسع: نبوغه في كشف العلل الدقيقة الواقعة بسبب اختصار الحديث.

المظهر العاشر: نبوغه في اكتشاف علل حفظ الراوي من كتابه.

المظهر الحادي عشر: نبوغه في كشف العلل بسعة حفظه.

المظهر الثاني عشر: نبوغه في كشف العلل بمعرفة التاريخ.

المظهر الثالث عشر: نبوغه في كشف العلل بواقعة الحال المعينة التي لا تتكرر.

المظهر الرابع عشر: نبوغه في كشف علل إدخال حديث في حديث.

المظهر الخامس عشر: دقته في ثبوت السماع وعدمه.

المظهر السادس عشر: نبوغه في كشف علل المزيد في متصل الأسانيد.

المظهر السابع عشر: نبوغه في كشف علل الاشتباه بين الرواة.

الخاتمة: فيها ذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة.

التعريف بمصطلحات العنوان:

تجلية: جلى ببصره تجلية، إذا رمى به كما ينظر الصقر إلى الصيد. ويقال أيضا: جلى الشيء، أي: كشفه. وهو يجلي عن نفسه، أي: يعبر عن ضميره. وانجلى عنه الهم، أي: انكشف. وتجلى الشيء، أي: تكشف¹.

نبغ: النون والباء والغين كلمة تدل على بروز وظهور. وَنَبَغَ الشَّيْءُ ظَهَرَ. وَالتَّبَغُّ: مَا تَطَايَرَ مِنَ الدَّقِيقِ إِذَا طُجِنَ أَوْ نُخِلَ².

ظهر: الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز. من ذلك ظهر الشيء يظهر ظهورا فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز³.

1- الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري (7/155).

2- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (5/382).

3- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (3/471).

المظهر الأول: براعة الإمام البخاري في معرفة العلل والكشف عنها منذ الصغر:

في هذا المظهر نرى أمثلة حية تدل على براعته منذ نعومة أظفاره واشتداد عوده، ويتضح ذلك جليا في سؤال وراقه محمد بن أبي حاتم حين قال له: كيف كان بدء أمرك؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب. قال: فقلت: كم كان سنك؟ فقال: عشر سنين، أو أقل. قال: ثم خرجت من الكتاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوما فيما كان يقرأ للناس: سفيان، عن أبي الزبير، عن إبراهيم، فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم. فانتهرني، فقلت له: أرجع إلى الأصل.

فدخل فنظر فيه، ثم خرج، فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي، عن إبراهيم، فأخذ القلم مني وأحكم كتابه، وقال: صدقت. فقيل للبخاري: ابن كم كنت حين رددت عليه؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة⁴.

إن قول شيخه له يا غلام يدل على الصغر والنبوغ المبكر، وهو من عجائب البراعة والتفوق في علم الحديث بمختلف أنواعه، ومعرفة مثل هذه العلل والكشف عنها في هذا السن شبه متعذر إلا على أمثال البخاري من الأذكياء النبغاء النوادِر.

وقال وراقه محمد بن أبي حاتم: (سمعت بعض أصحابي يقول: كنت عند محمد بن سلام، فدخل عليه محمد بن إسماعيل، فلما خرج قال محمد بن سلام: كلما دخل علي هذا الصبي تحيرت، وألبس علي أمر الحديث وغيره، ولا أزال خائفا ما لم يخرج)⁵.

وذلك من دقة هذا الفتى في معرفة العلل والكشف عنها والتنبيه عليها كما في المثال السابق. وقال أيضا: سمعته يقول: (كنت في مجلس الفريابي، فقال: حدثنا سفيان، عن أبي عروة، عن أبي الخطاب، عن أنس: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه في غسل واحد). فلم يعرف أحد في المجلس أبا عروة، ولا أبا الخطاب. فقلت: أما أبو عروة فمعمّر، وأبو الخطاب قتادة. قال: وكان الثوري فعولا لهذا، يكنى المشهورين⁶.

قال البخاري: فقال لي رجل في مجلس أبي عاصم-النبيل-: (هذا الغلام يناطح الكباش)⁷.

4- تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (324-325).

5- سير أعلام النبلاء للحافظ محمد بن أحمد بن قيسار الذهبي (416-12/417).

6- سير أعلام النبلاء للحافظ محمد بن أحمد بن قيسار الذهبي (413-12/412).

7- تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (338/2).

وقال عبدان: (ما رأيت بعيني شاباً أبصر من هذا)⁸.

وقال البخاري: (كنت عند أبي حفص أحمد بن حفص أسمع كتاب الجامع- جامع سفيان- من كتاب والدي، فمر أبو حفص على حرف ولم يكن عندي ما ذكر، فراجعته فقال الثانية كذلك، فراجعته الثانية فقال كذلك، فراجعته الثالثة سكت سويعة ثم قال: من هذا؟ فقالوا: هذا ابن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبة. فقال أبو حفص: هو كما قال، واحفظوا فإن هذا يصير يوماً رجلاً)⁹.

فهذا النجاح المبكر والتفوق الساحق في معرفة هذا العلم وخباياه، هو من أهم العوامل التي مكنته ليصبح من أعلم من تكلم في هذا العلم وأجلهم، ومن رواده ومراجعته، وأول من أشاد بذلك مشايخه وأساتذته.

المظهر الثاني: شهادة مشايخه في نبوغه في معرفة العِلل والكشف عنها:

إننا ندرك إدراكاً جيداً بأن هذه الشهادات المتنوعة التي اتفقت للبخاري من شيوخه تعتبر من أقوى الشهادات العلمية التي يشهد بها عالم لتلميذه النابغة، وعندما تسمع من مثل عمرو بن علي الفلاس يقول: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث¹⁰. تقر إمامة البخاري منذ وقت الطلب، وعمرو بن علي هذا من كبار شيوخه، ويقول البخاري عن نفسه: (دخلت على الحميدي وأنا ابن ثمان عشرة سنة، وبينه وبين آخر اختلاف في حديث، فلما بصر بي الحميدي قال: قد جاء من يفصل بيننا، فعرضاً علي، فقضيت للحميدي على من يخالفه، ولو أن مخالفه أصر على خلافه، ثم مات على دعواه، لمات كافراً)¹¹.

ورأى حاشد بن إسماعيل: عمرو بن زرارة ومحمد بن رافع عند محمد بن إسماعيل، وهما يسألانه عن علل الحديث، فلما قاما قالاً لمن حضر المجلس: لا تخذعوا عن أبي عبد الله، فإنه أفقه منا وأعلم وأبصر¹².

وقال له محمد بن بشار: (إن ثوبي لا يمس جلدي مثلاً، ما لم ترجع إلي، أخاف أن تجد في حديثي شيئاً يسقمني. فإذا رجعت فنظرت في حديثي طابت نفسي، وأمنت مما أخاف)¹³.

8- تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (2/344).

9- تاريخ مدينة دمشق للحافظ أبي القاسم علي بن حسن ابن عساكر (52/87).

10- تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (2/338).

11- سير أعلام النبلاء للحافظ محمد بن أحمد بن قيسار الذهبي (401-12/400).

12- تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (2/348).

وهدي الساري مقدمة فتح الباري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ص (485).

13- سير أعلام النبلاء للحافظ محمد بن أحمد بن قيسار الذهبي (12/422).

وأتى فتح بن نوح النيسابوري: علي بن المديني، فرأى محمد بن إسماعيل جالسا عن يمينه، وكان إذا حدث التفت إليه كأنه يهابه¹⁴.

وقال عن نفسه: كان علي بن المديني يسألني عن شيوخ خراسان، فكنت أذكر له محمد بن سلام لا يعرفه إلى أن قال لي يوما: يا أبا عبد الله كل من أثبت عليه فهو عندنا الرضا¹⁵.

وكان أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف يقول: (لو دخل محمد بن إسماعيل البخاري من هذا الباب لمثلت منه رعبا، -يعني-: أني لا أقدر أن أحدث بين يديه)¹⁶.

وقد سأل أبو عبد الله البخاري أبا رجاء البغلاني - يعني: قتيبة بن سعيد - إخراج أحاديث ابن عيينة، فقال: منذ كتبتها ما عرضتها على أحد، فإن احتسبت ونظرت فيها، وعلمت على الخطأ منها فعلت، وإلا لم أحدث بها؛ لأنني لا آمن أن يكون فيها بعض الخطأ، وذلك أن الزحام كان كثيرا، وكان الناس يعارضون كتبهم، فيصح بعضهم من بعض، وتركت كتابي كما هو، فسر البخاري بذلك، وقال: وُفِّقَ. ثم أخذ يختلف إليه كل يوم صلاة الغداة، فينظر فيه إلى وقت خروجه إلى المجلس، ويُعَلِّمُ على الخطأ منه. وقد رد على أبي رجاء يوما حديثا، فقال: يا أبا عبد الله، هذا مما كتب عني أهل بغداد، وعليه علامة يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، فلا أقدر أغيره.

فقال له أبو عبد الله: إنما كتب أولئك عنك لأنك كنت مجتازا، وأنا قد كتبت هذا عن عدة على ما أقول لك، كتبت عن يحيى بن بكير، وابن أبي مريم، وكاتب الليث عن الليث، فرجع أبو رجاء، وفهم قوله وخضع له¹⁷.

وقال عن نفسه: (كنت إذا دخلت على سليمان بن حرب يقول: بين لنا غلط شعبة)¹⁸.

ورأى حاشد بن إسماعيل: إسحاق بن راهويه جالسا على السرير، ومحمد بن إسماعيل معه، وإسحاق يقول: حدثنا عبد الرزاق حتى مر على حديث، فأنكر عليه محمد، فرجع إلى قول محمد، وقال: يا معشر أصحاب الحديث: انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه¹⁹.

ورأى محمد بن يوسف: قتيبة بن سعيد ويحيى بن معين، وهما يختلفان جميعا إلى محمد بن إسماعيل، قال: فرأيت يحيى ينقاد له في المعرفة²⁰.

14- تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (2/338).

15- تاريخ مدينة دمشق للحافظ أبي القاسم علي بن حسن ابن عساكر (52/76).

16- تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (2/349).

17- سير أعلام النبلاء للحافظ محمد بن أحمد بن قيسار الذهبي (12/428).

18- سير أعلام النبلاء للحافظ محمد بن أحمد بن قيسار الذهبي (12/419).

19- تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (2/348).

20- سير أعلام النبلاء للحافظ محمد بن أحمد بن قيسار الذهبي (430-12/429)، بتصرف يسير.

وقال عن نفسه: (كان إسماعيل بن أبي أويس إذا انتخبت من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه وقال: هذه الأحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي)²¹.

وقال له محمد بن سلام: انظر في كتبي فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه، كي لا أرويه، ففعلت ذلك. وكان محمد بن سلام كتب عند الأحاديث التي أحكمها محمد بن إسماعيل: رضي الفتى. وفي الأحاديث الضعيفة لم يرض الفتى. فقال له بعض أصحابه: من هذا الفتى؟ فقال: هو الذي ليس مثله محمد بن إسماعيل²².

وقال أبو بكر المديني: كنا يوماً بنيسابور عند إسحاق بن راهويه ومحمد بن إسماعيل حاضر في المجلس، فمر إسحاق بحديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وكان دون صاحب النبي صلى الله عليه وسلم عطاء الكيخاراني، فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله أيش كيخاران؟ قال: قرية باليمن كان معاوية ابن أبي سفيان بعث هذا الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، فسمع منه عطاء حديثين. فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله كأنك قد شهدت القوم²³.

إن اعتراف أساتذة الإمام البخاري - الأفاضل المتمكنين في علم العلل والبارعين في الكشف عنها- له بالنبوغ والبراعة في معرفة العلل تعتبر منقبة كبيرة ووفرة هائلة، وبراعة فائقة وقطع أشواط كبيرة في هذا العلم الفحل من علوم الإسلام، فهذه دراسة واقعية في كشفه لعلل أحاديثهم واعتمادهم عليه وما انتخبه لهم من حديث أنفسهم وتهيبهم وتقديمهم له على أنفسهم، وهو بعد شاب يافع في مراحل الطلب.

المظهر الثالث: شهادة أقرانه في نبوغه في معرفة العلل والكشف عنها:

إن شهادة أقرانه المتبحرين في علم العلل وخضوعهم له في معرفة هذا الفن، تعتبر من أكبر الدلائل على مظاهر نبوغه وقوة معرفته ورسوخ قدمه في علم الحديث، وقد قال إبراهيم الخواص، مستملي صدقة: (رأيت أبا زرعة كالصبي جالسا بين يدي محمد بن إسماعيل، يسأله عن علل الحديث)²⁴.

وقال الحسين بن محمد المعروف بغتيد العجل: (رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعون إلى محمد بن إسماعيل أي شيء يقول يجلسون بجنبه)²⁵.

21- تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (2/339).

22- تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (2/345).

23- تاريخ مدينة دمشق للحافظ أبي القاسم علي بن حسن ابن عساكر (52/76).

24- سير أعلام النبلاء للحافظ محمد بن أحمد بن قيمان الذهبي (12/407).

25- تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (2/351-352).

إن هذين الناقلين البارعين المهتمين بما يقول البخاري كانا من أبرع من خلداهم التاريخ في معرفة العلل، ولكن إذا نظرت إلى حالهما بين يدي البخاري، لأدركت ما وصل إليه البخاري من التفوق والبراعة في هذا العلم الذي أمسى فيه أستاذ الأستاذين، وطبيب الحديث في علله.

ورأى أحمد بن حمدون: محمد بن إسماعيل في جنازة سعيد بن مروان، ومحمد بن يحيى الذهلي يسأله عن الأسامي والكنى والعلل، ومحمد بن إسماعيل يمر فيه مثل السهم، كأنه يقرأ²⁶: **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}**²⁷. وقد علمت مقام محمد بن يحيى الذهلي عالم نيسابور وحافظها، وإمامها الجهمذ ونقادها، وهو صاحب كتاب علل أحاديث الزهري الذي خضع له الدارقطني مع براءته في هذا الفن، تراه وهو قرين البخاري وشيخه يسأله عن دقائق هذا العلم التي تخفى عليه، والبخاري ينطلق في كشفها كالسهم النافذ، وهذه شهادة عظيمة ومظهر ظاهر في براعة البخاري في معرفة العلل والكشف عنها.

ولهذا قال عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي من أقران البخاري: **(قد رأيت العلماء بالحجاز والعراقيين، فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل)**²⁸.

المظهر الرابع: شهادة تلاميذه في براعته في معرفة العلل والكشف عنها:

من المعلوم أن شهادة من تتلمذ على يديه تعتبر تجربة واقعية ملموسة تكشف الغطاء عن هذا الجانب، فهذا مسلم بن الحجاج الحافظ يأتي إليه ويقول له: دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله²⁹.

وروى محمد بن يعقوب الحافظ عن أبيه قال: رأيت مسلم بن الحجاج بين يدي البخاري يسأله سؤال الصبي³⁰. ولما بين لمسلم علة حديث كفارة المجلس فقال: لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك³¹.

وشهد محمد بن عيسى الترمذي بأنه لم ير في العراق ولا في الخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل³².

26- تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (2/353).

27- سير أعلام النبلاء للحافظ محمد بن أحمد بن قيمان الذهبي (12/432).

28- سورة الإخلاص آية: (1).

29- تاريخ مدينة دمشق للحافظ أبي القاسم علي بن حسن ابن عساكر (52/68).

30- سير أعلام النبلاء للحافظ محمد بن أحمد بن قيمان الذهبي (12/432).

31- تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (2/351).

32- تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (2/348).

وشهد إمام الأئمة ابن خزيمة بأنه ما رأى تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظ له من محمد بن إسماعيل³³.

واعلم أن هذه النصوص المروية عبارة عن تجربة شخصية وحياة واقعية خاضها هؤلاء الفحول من تلاميذ الإمام البخاري، وعرفوه عن كثب، وهم أئمة الدنيا في معرفة الحديث وعلله، ونقد المرويات وبيان خللها. ويعتبر هذا المظهر من أجلى وأقوى مظاهر نبوغ الإمام البخاري في معرفة العلل والكشف عنها.

المظهر الخامس: كلام الأئمة المحققين في نبوغه في معرفة العلل والكشف عنها:

من ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية في حديثه عن علم العلل وفحول أئمتيه: (وكان يحيى بن سعيد الأنصاري وابن المديني والبخاري وأحمد وأبو حاتم والدارقطني والنسائي وغيرهم من أعلم الناس به)³⁴. وقريب منه قول الحافظ ابن حجر في دقة علم العلل ووعورة مسالكه: (ولهذا لم يتكلم فيه إلا أفراد أئمة هذا الشأن وحذاقهم؛ كابن المديني والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم وأمثالهم)³⁵.

فهذه الإشادة من الحفاظ النقاد في معرفة الحديث وحذق أهله فيه، تعتبر تصنيفاً عالياً للإمام البخاري في معرفة العلل والكشف عنها، بل صفوفه في قمة القائمة من البارعين، مما يجعل هذا المظهر من المظاهر الجليلة في المكانة العلية لهذا الإمام الجهيد في معرفة العلل وتسلق جدرانها، وكشف عوارها وبيان خفاياها.

المظهر السادس: براعته في كشف علل امتحان أهل بغداد وسمرقند له:

ولما انتهى أهل بغداد من امتحان إمام الصنعة محمد بن إسماعيل البخاري، وعلم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء، حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدھا وأسانيدھا إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل، وكان ابن صاعد إذا ذكر محمد بن إسماعيل يقول: الكبش النطاح³⁶.

33- تاريخ مدينة دمشق للحافظ أبي القاسم علي بن حسن ابن عساکر (52/65).
وسير أعلام النبلاء للحافظ محمد بن أحمد بن قیماز الذهبي (12/431).

وتاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (2/348).

34- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة (18/18-19).

35- النکت علی کتاب ابن الصلاح للحافظ أحمد علي بن حجر العسقلاني (2/777).

36- تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (2/340-341).

وكان بسمرقند أربع مئة ممن يطلبون الحديث، فاجتمعوا سبعة أيام، وأحبوا مغالطة محمد بن إسماعيل، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسناد اليمن في إسناد الحرمين، فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن³⁷.

وانظر إلى هذا الإمام الجليل، والحافظ المدرة، كيف تسلق على أكتاف علم العلل وتحلق في فضائه، بأعجوبة يتيمة لم تكن إلا له، وما سمع في التاريخ بمن حصل له مثل هذا إلا هو، ألا فلتخبرك صنائعه كيف كان هذا الجهد، وكيف وصل إلى ذروة كان المتأخرون على يأس من الوصول إليها فضلا عن المعاصرين، وهذا الموقف من أظهر المواقف التي تدل على نبوغ الإمام البخاري في معرفة العلل والكشف عنها، بل هو معجزة علمية مبهرة غير مقدورة.

المظهر السابع: دقة انتقائه للجامع الصحيح الذي لم يؤلف مثله في الدنيا:

إن الجامع الصحيح للإمام البخاري يعتبر أعجوبة من عجائب الدهر، في صناعة الحديث والأثر، وهذه الأعجوبة آية واضحة على قوة نفس هذا الإمام وتبحره في معرفة العلل والكشف عنها، وسعة حفظه وقدرته الفائقة على النقد والتمحيص وفرز الصحيح من الزيوف، وتمييز الألفاظ وانتقاء الأسانيد بهذا النسق الفريد الذي لم يسبق إليه ولم يبلغ شأوه فيه، وقد ألف الناس خمسة وثمانين كتابا باسم الصحيح، فما استطاع أحد منهم أن يصل إلى ما وصل إليه البخاري، ولو لم يكن بارعا في معرفة العلل والكشف عنها ما استطاع أن يصل إلى هذه الذروة العليا من الصحيح واختياره في صحيحه، وقد قال عن نفسه: **(ما جلست للحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم)**³⁸.

من أمثلة دقته وشدة انتقائه: تركه لإخراج أحاديث صلاة الكسوف الزائدة على الركوعين في كل ركعة.

قال ابن القيم: وقد أعرض محمد بن إسماعيل البخاري عن هذه الروايات الثلاث، فلم يخرج شيئا منها في (الصحيح) لمخالفتهم ما هو أصح إسنادا، وأكثر عددا، وأوثق رجالا.

وقال البخاري: أصح الروايات عندي في صلاة الكسوف أربع ركعات في أربع سجعات. وقال ابن القيم: والذي ذهب إليه البخاري والشافعي من ترجيح الأخبار لما ذكرنا من رجوع الأخبار إلى حكاية صلاته صلى الله عليه وسلم يوم توفي ابنه.

37- سير أعلام النبلاء للحافظ محمد بن أحمد بن قيمان الذهبي (12/410).

38- سير أعلام النبلاء للحافظ محمد بن أحمد بن قيمان الذهبي (12/416).

وهو اختيار شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان يضعف كل ما خالف حديث عائشة من الأحاديث ويقول: هي غلط، وإنما صلى النبي صلى الله عليه وسلم الكسوف مرة واحدة يوم مات ابنه إبراهيم³⁹.

وينبغي أن نتطرق إلى ذكر روايات البخاري لأحاديث صلاة الكسوف لبيان دقته وشدة انتقائه، وقد أخرج أحاديث صلاة الكسوف وساق طرقها وألفاظها بطريقة علمية متقنة، ولم يذكر الألفاظ التي ذكرها مسلم وانتقدها النقاد لمخالفتها الأحاديث الصحيحة التي ذكرت في كل ركعة ركوعين وسجدين، وهما طرقها: طريق عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها. وفيه: فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس فأطال القيام، ثم ركع فأطول الركوع، ثم قام فأطال القيام، وهو دون القيام الأول، ثم ركع فأطال الركوع، وهو دون الركوع الأول، ثم سجد فأطال السجود. وطريق يحيى بن بكير، عن الليث، عن عُقيل، عن ابن شهاب. وأحمد بن صالح، عن عنبسة، عن يونس، عن ابن شهاب، قال حدثني عروة، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه: لم يسجد -يعني بعد الركوع- وقرأ قراءة طويلة وذكر مثل الأول. وطريق أبي نعيم قال: حدثنا شيبان، قال حدثنا يحيى، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن عمرو أنه قال. وفيه: فركع النبي صلى الله عليه وسلم ركعتين في سجدة، ثم قام فركع ركعتين في سجدة. وطريق عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عباس فذكر مثل حديث عائشة سواء بسواء ركوعين في كل ركعة. وطريق سفيان، عن يحيى، عن عمرة، عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم في كسوف الشمس أربع ركعات في سجدتين. وطريق ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة بلفظ: أربع ركعات في ركعتين وأربع سجعات. وطريق الأوزاعي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة مثله⁴⁰.

وهذه طرق الإمام البخاري لأحاديث صفة صلاة الكسوف، وليس في شيء منها أنه صلى ثلاث ركوعات في ركعة، ولا بأربع ركوعات في ركعة، وتجنب الإمام البخاري إيراد هذه الأحاديث في صحيحه لشذوذها وضعفها عنده، وأن ألفاظها مخالفة لألفاظ الأحاديث الصحيحة المحفوظة، وإن أوردتها مسلم في صحيحه. فهذا الانتقاء الدقيق منه يدل على براعته في معرفة العلل والكشف عنها، ودقته المتناهية في الجامع الصحيح الذي يعتبر من أكبر كراماته وأظهر آيات فضله.

ومن أمثله تجنبه لإخراج حديث أبي هريرة مرفوعاً: **(إن الله خلق التربة يوم السبت، وخلق الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة)**⁴¹.

39- زاد المعاد من هدي خير العباد للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (439-1438).

40- صحيح محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب صلاة الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس (336-1/328)، من حديث رقم: (1044 إلى 1066).

41- صحيح مسلم بن الحجاج القشيري، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام (4/2149)، برقم: (2789).

فإن هذا الحديث طعن فيه من هو أعلم من مسلم، مثل: يحيى بن معين، ومثل: البخاري وغيرهما.

وقال البخاري: إن هذا من كلام كعب الأحبار، والبيهقي وغيره وافقوا الذين ضعفوه وهو الصواب؛ لأنه قد ثبت في التواتر أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وثبت أن آخر الخلق كان يوم الجمعة، فليزَم أن يكون أول الخلق يوم الأحد، وهكذا هو عند أهل الكتاب، وعلى ذلك تدل أسماء الأيام، وهذا هو المنقول الثابت في أحاديث وآثار آخر؛ ولو كان أول الخلق يوم السبت وآخره يوم الجمعة لكان قد خلق في الأيام السبعة، وهو خلاف ما أخبر به القرآن⁴².

ولكن وقع الغلط في رفعه، وإنما هو من قول كعب الأحبار، كذلك قال إمام أهل الحديث: محمد بن إسماعيل البخاري (في تاريخه الكبير). وقاله غيره من علماء المسلمين أيضاً، وهو كما قالوا، لأن الله أخبر أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام. وهذا الحديث يقتضي أن مدة التخليق سبعة أيام⁴³. فقد رواه مسلم والنسائي في كتابيهما، عن ابن جريج به. وهو من غرائب الصحيح، وقد علله البخاري في التاريخ⁴⁴ فقال: رواه بعضهم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن كعب الأحبار، وهو الأصح⁴⁵. وهذا من حذق البخاري في هذا الفن، وأن هذا الحديث من الخفي القادح؛ لأنه ورد في أصح الكتب بأصح الأسانيد، ولكن مع ذلك تجنبه البخاري ولم يورده في صحيحه لا في الأصول ولا في المتابعات والشواهد، وهذا من حذقه وبراعته ودقة انتقائه للجامع الصحيح، وهو من أجلى المظاهر التي تدل على نبوغه في معرفة العلل والكشف عنها.

المظهر الثامن: نقده لفحول أئمة الحديث في كشف العلل:

إن نقد كبار أئمة الحديث وحفاظه مثل الإمام مالك بن أنس وسفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وغيرهم وبيان أوهامهم التي حصلت في الأسانيد والمتون أمر عسير غير يسير، إلا على الجهابذة النقاد مثل البخاري، وذلك لأنهم أئمة ثقات فحول قد جاؤا القنطرة، وثقة بهم تكون أوهامهم من العلل الخفية جداً التي لا يطلع عليها كل حديثي، بل يكشفها الناقد البارِع، وهذا من أظهر المواقف التي تدل على نبوغ الإمام البخاري في معرفة العلل والكشف عنها.

42- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (18/18-19).

43- المنار المنيف في الصحيح والضعيف للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ص86-84).

44- التاريخ الكبير للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (1/413).

45- تفسير القرآن العظيم للحافظ إسماعيل ابن كثير (7/168).

من أمثلة هذا المظهر ما رواه مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله الصنابحي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(إذا توضأ العبد فتمضمض خرجت خطايا من فيه)** الحديث. قال محمد بن إسماعيل البخاري: مالك بن أنس وهم في هذا الحديث فقال: عبد الله الصنابحي، وهو أبو عبد الله الصنابحي، واسمه عبد الرحمن بن عسيلة، ولم يسمع عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الحديث مرسل. وعبد الرحمن هو الذي روى عن أبي بكر الصديق⁴⁶.

ومن أمثله ما رواه قتيبة بن سعيد قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي جهضم عن عبيد الله بن عبد الله ابن عباس عن ابن عباس قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (بإسباغ الوضوء). قال الترمذي: سألت محمدًا- يعني البخاري- عن هذا الحديث فقال: حديث سفيان الثوري وَهُمْ، وهم فيه سفيان فقال: عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس والصحيح عبد الله بن عبيد الله بن عباس⁴⁷.

ومن أمثله ما رواه محمد بن بشار قال حدثنا يحيى وعبد الرحمن قالا: حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن حجر بن عنبس عن وائل بن حجر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم **(قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال أمين مد به صوته)**. قال محمد بن إسماعيل: حديث سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل في هذا الباب أصح من حديث شعبة، وشعبة أخطأ في هذا الحديث في مواضع، قال: عن سلمة بن كهيل عن حجر أبي العنيس، وإنما هو حجر بن عنبس، وكنيته أبو السكن، وزاد فيه عن علقمة بن وائل، وإنما هو حجر بن عنبس، عن وائل بن حجر ليس فيه علقمة، وقال: وخفض بها صوته، والصحيح أنه جهر بها⁴⁸.

هذه أمثلة تطبيقية في نقده لكبار أئمة الحديث في كشف العلل في الأسانيد والمتون، وقد نجد من الأوهام التي بينها في هذه الأمثلة تعقيبه على الإمام مالك في قوله عبد الله الصنابحي، قال: هو أبو عبد الله الصنابحي، واسمه عبد الرحمن بن عسيلة.

وعقب على الثوري في قوله: عبيد الله بن عبد الله، قال: والصحيح عبد الله بن عبيد الله.

ونقد شعبة في قوله: عن حجر أبي العنيس، وقال: إنما هو حجر بن عنبس.

وقال: وزاد فيه شعبة علقمة بن وائل، وإنما هو حجر بن عنبس، عن وائل بن حجر ليس فيه علقمة. وقال شعبة: وخفض بها صوته، قال: والصحيح أنه جهر بها.

⁴⁶- علل الإمام محمد بن عيسى الترمذي الكبير، ص (21).

⁴⁷- علل الإمام محمد بن عيسى الترمذي الكبير، ص (38).

⁴⁸- علل الإمام محمد بن عيسى الترمذي الكبير، ص (68-69).

المظهر التاسع: كشفه العلل الدقيقة الواقعة بسبب اختصار الحديث:

نعلم أن الاختصار الخاطئ يعد من الأسباب المؤدية إلى الوقوع في العلل الخفية القادحة المغيرة لمعنى الحديث ومضمونه، وهو محذور إلا للبارعين الذين لا يغلطون فيه حال الاختصار مع المحافظة على اللفظ والمعنى. **من أمثلته** ما رواه عبد الرزاق عن مَعْمَر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من حلف فقال: إن شاء الله لم يحنث)**. قال الترمذي: سألت مُحَمَّدًا- يعني البخاري- عن هذا الحديث فقال: جاء مثل هذا من قبل عبد الرزاق، وهو غلط، إنما اختصره عبد الرزاق من حديث مَعْمَر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة سليمان بن داود حيث قال: **(لأطوفن الليلة على سبعين امرأة)**⁴⁹.

إن الخطأ في الاختصار هو الذي جعل الحديث شيئاً آخر غير الحديث الأصل، وقد وقع ذلك من أحد كبار أئمة الحديث وحفاظه، وهو عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ومن براءة الإمام البخاري اكتشافه لهذه العلة المتنية الخفية الغامضة المغيرة لأصل الحديث لفظاً ومعنى، وهذا الاكتشاف والتنبيه يعد من أجلى صور نبوغ الإمام البخاري في معرفة العلل والكشف عنها وبيان الصحيح من الضعيف.

المظهر العاشر: اكتشافه علل حفظ الراوي من كتابه:

يعد الإمام البخاري في قمة قائمة النقاد من أئمة الحديث والعلل، فكان من السهل عليه اكتشاف كيفية رواية الحديث لدى الراوي لفهمه الثاقب لهذا الفن وممارسته الطويلة وذوقه الرفيع في معرفة الصحيح من الضعيف. **من أمثلة** هذا المظهر ما قاله الإمام البخاري في معاوية بن يحيى الصدفي الدمشقي: كان على بيت المال بالري، روى عن الزهري، وروى عنه هُفْلُ بن زياد أحاديث مستقيمة كأنها من كتاب، وروى عنه عيسى بن يونس وإسحاق بن سليمان أحاديث مناكير كأنها من حفظه⁵⁰.

تراه يعلل حفظ الراوي بكتابه، فقدم كتابه الصحيح على حفظه الذي أتى فيه بالمناكير، وهذا من براءة الإمام البخاري ومن دقته المتناهية في اكتشاف العلل، فبمجرد ورود الحديث عرف كيفية روايته أمن كتاب روي أم من حفظ حُدِّث، وهذا حذق نادر، وفهم ظاهر، وبراعة فائقة.

49- علل الإمام محمد بن عيسى الترمذي الكبير، ص (253).

50- التاريخ الكبير للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (7/336).

المظهر الحادي عشر: كشف العلل بسعة حفظه:

يعتبر الإمام البخاري من جبال الحفظ وأعلام حفاظ السنة، وله إحاطة كبيرة بما يصح وبما لا يصح، ومن اكتشافه العلل من سعة ما جاء عن الأعمش أنه قال: **(نستغفر الله من أشياء كنا نروها على وجه التعجب، اتخذوها ديناً)**- يعني ما يروى في القدح في معاوية والأمر بقتله- وقد أدرك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم معاوية رضي الله عنه أميراً في زمان عمر بأمر عمر رضي الله عنه، وبعد ذلك عشرين سنة، فلم يقم إليه أحد فيقتله). قال الإمام البخاري معلقاً على هذا الكلام العميق النفيس: **(وهذا مما يدل على هذه الأحاديث: أن ليس لها أصول، ولا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر على هذا النحو، في أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، إنما يقوله أهل الضعف بعضهم في بعض، إلا ما يذكر أنهم ذكروا في الجاهلية ثم أسلموا فمحا الإسلام ما كان قبله)**⁵¹.

تقف في هذا التعليل على ضابط علمي دقيق عن هذا الإمام الجهيد: بأنه لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر بقتل أحد من الصحابة، ولا حصل شيء من ذلك من الخلفاء الراشدين، والواقع المعاش يخالف هذا كل المخالفة، عدا من أقيم عليه الحد في حياته عليه الصلاة والسلام، وهذا ينم عن حفظ واسع ودقة متناهية لدى الإمام البخاري في إدراك ما يصح وما لا يمكن أن يصح من المرويات. واستفاد ابن القيم من هذا الاستقراء وقال: كل حديث ورد في ذم معاوية فإنه كذب مخلوق⁵².

وكان من دقة البخاري لما ذكر ما يدل على فضله ضمناً قال: باب ذكر معاوية رضي الله عنه، ولم يقل مناقب معاوية لعلمه بعدم صحة شيء من ذلك من المرفوعات، واستأنس بقول ابن عباس: **(إنه فقيه، دعه فإنه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم)**⁵³.

وعلق الحافظ ابن حجر بقوله: ظاهر شهادة ابن عباس له بالفقه والصحة دالة على الفضل الكثير، وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة، لكن ليس فيها ما يصح من طريق الإسناد، وبذلك جزم إسحاق ابن راهويه والنسائي وغيرهما. وقد صنف جماعة من الأئمة في مناقبه كتباً مفردة⁵⁴.

51- التاريخ الأوسط للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (1/256).

52- المنار المنيف للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ص117).

53- صحيح البخاري مع فتح الباري للحافظ ابن حجر (7/103-104).

54- صحيح البخاري مع فتح الباري للحافظ ابن حجر (7/103-104).

المظهر الثاني عشر: نبوغه في كشف العلل بمعرفة التاريخ:

يعد علم التاريخ من أهم العلوم التي تخدم الحديث سندا ومتنا، وكان البخاري إماما فيه كما هو إمام في الحديث، وقد استعمل التاريخ في كشف العلل كثيرا في كتبه، ومن أمثلة استخدامه في بيان العلل ما جاء عن قتادة، عن الحسن، أن زيادا-ابن أبيه- عاد معقل بن يسار رضي الله عنه فقال: إنه آخر يوم من أيام الدنيا. قال الإمام البخاري: أخشى أن يكون وهما -يعني لفظة زياد-، وابن زياد -يعني عبيد الله بن زياد- أصح⁵⁵.

وعلى هذا الوجه الذي اختاره الإمام البخاري في أن الذي زار معقل بن يسار رضي الله عنه على فراش الموت هو عبيد الله بن زياد لا أبوه، خرج الإمام مسلم حديثه عن الحسن قال: عاد عبيد الله بن زياد معقل بن يسار المزني في مرضه الذي مات فيه قال معقل: إني محدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت أن لي حياة ما حدثتك، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)**⁵⁶.

وقد تبين لنا بهذا النص صحة نقد الإمام البخاري وشفوف نظره في معرفة العلل والكشف عنها بالتاريخ، وأن زيادا قد قضى نحبه في هذا الوقت؛ لأن ابنه خلفه على عرشه في السلطة.

ومن أمثله حديث أبي العالية رفيع بن مهران الرياحي عن أبي مسلم الخولاني قال: **(كان أبو ذر بالشام وعليها يزيد بن أبي سفيان، فغزا الناس فغنموا)**. قال البخاري معللا بالتاريخ: **(والمعروف أن أبا ذر كان بالشام زمن عثمان رضي الله عنه، وعليها معاوية رضي الله عنه، ومات يزيد في زمن عمر رضي الله عنه، ولا يعرف لأبي ذر رضي الله عنه قدوم الشام زمن عمر رضي الله عنه)**⁵⁷.

ومما يدل على صحة نقد البخاري ما رواه هو من قصة أبي ذر مع معاوية في زمن عثمان رضي الله عنه: عن زيد بن وهب قال: (مررت بالريذة⁵⁸ فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه، فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في قوله تعالى: **(وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ**

⁵⁵- التاريخ الأوسط للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (1/259).

⁵⁶- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار (1/125)، برقم: (142).

⁵⁷- التاريخ الأوسط للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (1/127).

⁵⁸- قال الحموي: الريذة بفتح أوله وثانيه وذال معجمة مفتوحة، قرية من قرى المدينة على ثلاثة أيام، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وبهذا الموضع قبر أبي ذر رضي الله عنه. معجم البلدان لياقوت ابن عبد الله الحموي (3/24).

اللَّهِ فَتَبَشَّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ⁵⁹. قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب. فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذلك، وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني، فكتب إلي عثمان أن أقدم المدينة فقدمتها) الحديث⁶⁰.

نرى أن هذه الرواية التي أوردها الإمام البخاري في صحيحه تؤيد كلامه السابق وتصحح الخطأ الواقع في الرواية السابقة من الناحية التاريخية، وأن اجتماع أبي ذر إنما كان مع معاوية بن أبي سفيان في الشام وليس بيزيد بن أبي سفيان، وعلل البخاري الرواية المعلولة بالتاريخ المعلوم عند الناس، من أن أبا ذر نزل الشام ويزيد قد وارى الثرى، فلا اجتماع بينهما ولا تلاقي.

المظهر الثالث عشر: نبوغه في كشف العلل بواقعة الحال المعينة التي لا تتكرر:

من دقة نظر الإمام البخاري وبراعته في كشف العلل استعمال الملحوظات الدقيقة في بيان الأخطاء وعدم ثبوت حديث في حالة معينة من الأحوال، من ذلك ما رواه، من طريق سعيد بن جمهان، عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر، وعمر وعثمان: هؤلاء الخلفاء بعدي. ثم قال: ولم يتابع عليه معللاً بواقعة الحالة المعروفة: لأن عمر وعلياً رضي الله عنهما قالا: لم يستخلف النبي صلى الله عليه وسلم⁶¹.

ندرك أن الواقع والحال يخالف هذا الحديث عند أهل العلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم ينص على خلافة أحد من بعده، وقصة سقيفة بني ساعدة وما جرى فيها إلى مبايعة أبي بكر صحيحة معروفة، فأين هذا الحديث من ذلك. وما ورد من ذلك في حق أبي بكر وعمر وعثمان إنما هو من باب التلميح لا من باب التصريح، ولم يقل به أحد من الأئمة.

بل روى البخاري نفسه في صحيحه من حديث عمر رضي الله عنه في عدم الاستخلاف: عن عبد الله ابن عمر قيل لعمر: (ألا تستخلف؟ قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم). وفيه: فقال: (لا أتحملها حياً وميتاً)⁶². وهذا نص صريح صحيح من عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعين أحداً خليفة له من بعده، وإنما اختار الناس أبا بكر خليفة لهم من بعده لفضله على غيره، وعمر أول من بايعه، وهذا النقد الدقيق مظهر جلي من مظاهر نبوغ الإمام البخاري في معرفة العلل والكشف عنها.

59- سورة التوبة آية: (34).

60- صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب ما أدي زكاته فليس يكنز (1/434)، برقم: (1406).

61- التاريخ الأوسط للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (1/336)، في متنه وهم.

62- صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف (4/346)، برقم: (7218).

المظهر الرابع عشر: نبوغه في كشف علل إدخال حديث في حديث:

يعد إدخال حديث في حديث آخر من أدق العلل إدراكا وأصعبها كشفًا؛ خصوصًا إذا كان واقعا من الثقات الحفاظ؛ لأنه من العلل الخفية القادحة، وهو المسمى بالعلل المركبة، ففك هذا التركيب ووضع كل حديث في موضعه يحتاج إلى حذق كبير ومعرفة واسعة لصناعة الحديث.

من أمثلته ما ذكره الترمذي من حديث جرير بن حازم عن ثابت عن أنس بن مالك قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يكلم بالحاجة إذا نزل عن المنبر. قال: وسمعت محمدا- يعني البخاري- يقول: وهم جرير بن حازم في هذا الحديث، والصحيح ما روي عن ثابت عن أنس قال: أقيمت الصلاة فأخذ رجل بيد النبي صلى الله عليه وسلم فما زال يكلمه حتى نعس بعض القوم. قال محمد- يعني البخاري-: والحديث هو هذا، وجرير بن حازم ربما يهمل في الشيء وهو صدوق⁶³.

وقد بين الإمام البخاري أن قوله يكلم بالحاجة إذا نزل عن المنبر وهم من جرير، والصحيح هو حديث ثابت عن أنس: أقيمت الصلاة فأخذ رجل بيد النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا من جرير إدخال حديث في حديث آخر، وهو من العلل الخفية المركبة، وكشفها عسير، وهذا من براعة الإمام البخاري في معرفة العلل والكشف عنها.

ومن أمثلته ما قال البخاري: وهم جرير بن حازم في حديث ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى تروني). قال: ويروي عن حماد بن زيد قال: كنا عند ثابت البناني فحدث حجاج الصواف عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى تروني). فوهم جرير فظن أن ثابتًا حدثهم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم⁶⁴.

بين الإمام البخاري أن جرير بن حازم أدخل حديث ثابت عن أنس، في حديث عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم، فوهم جرير في ذكر ثابت عن أنس، وإنما هو عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه، وهذا من دقة البخاري وشفوف نظره وقوة بصره في علم العلل والكشف عنها.

63- جامع الإمام محمد بن عيسى الترمذي، أبواب الجمعة، باب الكلام بعد نزول الإمام عن المنبر (2/394)، برقم: (517).

64- جامع الترمذي، أبواب الجمعة، باب الكلام بعد نزول الإمام عن المنبر (2/394)، برقم: (517).

المظهر الخامس عشر: دقته في ثبوت السماع وعدمه:

ترى دقة الإمام البخاري في هذه المسألة، سواء كان الذي لم يُثبت له السماع مع ثبوت المعاصرة الحقيقية مدلساً أم لم يكن كذلك، وهذا هو منهجه الذي صار عليه في صحيحه، وقرره في تواريخه، وهو منهج الأئمة النقاد من أشياخه مثل: أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين وإسحاق بن راهويه وغيرهم، وهو الذي اختاره المحققون من أئمة الحديث من المتقدمين والمتأخرين، ولا بد من ثبوت لقاء الراوي مع شيخه وإن لم يكن مدلساً، حتى يحمل بقية حديثه على السماع؛ لأنه وجد في التابعين من يرسل إرسالاً خفياً وهو غير مدلس.

من أمثلة هذه المسألة: رواية ابن وهب قال: أخبرني ابن جريج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص: أنه قضى في كلب صيد قتله رجل بأربعين درهماً، وقضى في كلب ماشية بكبش. قال البيهقي: هذا موقوف. وابن جريج لا يرون له سماعاً من عمرو، قال البخاري رحمه الله: لم يسمعه⁶⁵.

ومن أمثله: رواية ابن جريج قال: أخبرني موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من جلس فقال سبحانه ربنا وبمحمدك فهو كفارة.

وقال موسى عن وهيب حدثنا سهيل عن عون بن عبد الله قوله، ولم يذكر موسى بن عقبة سماعاً من سهيل وحديث وهيب أو⁶⁶.

تظهر لنا المعاصرة الحقيقية التي لا شك فيها بين الرواة وشيوخهم في هذه الأمثلة، ومع ذلك ينفي الإمام البخاري سماع بعضهم من بعض، وكشف هذا الأمر دقيق جداً لا يقدر عليه إلا الكبار أمثال البخاري، وهذا من براعته الفائقة في معرفة العلل والكشف عنها.

المظهر السادس عشر: نبوغه في كشف علل المزيد في متصل الأسانيد:

إن المزيد في متصل الأسانيد يظهر وجه خطورته في نسبة الحديث إلى غير راويه، وهو من دقائق علم العلل، خصوصاً إذا كان الزائد من الحفاظ الكبار، لوجود الاحتمال القوي في عدم زيادته، ولكن ترى دقة الإمام البخاري في هذا المظهر والمظاهر الأخرى في كشف الخل وبيان العلل.

من أمثلة هذا المظهر رواية عبد الله بن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن بسر بن عبيد الله عن أبي إدريس الخولاني عن واثلة بن الأسقع عن أبي مرثد

65- السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (6/8)، برقم: (11335).

66- التاريخ الكبير للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (4/104).

الغنوي قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها)**⁶⁷. قال البخاري: حديث ابن المبارك خطأ، أخطأ فيه ابن المبارك وزاد فيه **(عن أبي إدريس الخولاني)**، وإنما هو بسر بن عبيد الله عن واثلة هكذا، روى غير واحد عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، وليس فيه **(عن أبي إدريس)**، وبسر بن عبيد الله قد سمع من واثلة بن الأسقع⁶⁸.

وهذا التصرف الواقع في الرواية يعتبر من العلل الدقيقة جدا الحاصلة من الأئمة الثقات الكبار كابن المبارك، ومع ذلك ترى دقة البخاري في معرفتها وكشفها، وهذا من أجلى مظاهر نبوغه في معرفة العلل والكشف عنها.

المظهر السابع عشر: نبوغه في كشف علل الاشتباه بين الرواة:

يعتبر الاشتباه في الأسانيد والمتون من أخفى وأصعب أنواع العلل الخفية القادرة، وقل من ينتبه له من النقاد البصراء الكبراء في معرفة العلل والكشف عنها، وهو مزلق من مزالق علم الحديث من حيث التصحيح والتضعيف، والحكم على الرواة توثيقا وتجرىحا.

من أمثلته ما وقع لأبي أسامة حماد بن أسامة الكوفي أحد الثقات، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وهو من ثقات الشاميين، قدم الكوفة فكتب عنه أهلها ولم يسمع منه أبو أسامة، ثم قدم بعد ذلك عبدالرحمن بن يزيد بن تميم، وهو من ضعفاء الشاميين، فسمع منه أبو أسامة فسأله عن اسمه فقال: عبدالرحمن بن يزيد، فظن أبو أسامة أنه ابن جابر، فصار يحدث عنه وينسبه من قبل نفسه، فيقول: حدثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، فوقع المناكير في رواية أبي أسامة، عن ابن جابر وهما ثقتان، فلم يفتن لذلك إلا أهل النقد فميزوا ذلك ونصوا عليه كالبخاري وأبي حاتم وغير واحد⁶⁹.

وقد اشتبه الرجلان على أبي أسامة الكوفي وهما يشتركان في الاسم والوطن؛ لأن كلا منهما شامي، ويبدو أنهما من طبقة واحدة أيضا، لكن الفرق بينهما أن ابن جابر ثقة، بينما ابن تميم ضعيف، فاشتبه على أبي أسامة وهو ثقة، وابن جابر أيضا ثقة، ولكن الأحاديث التي نسبها إلى ابن جابر ليست له، بل هي من مناكير ابن تميم، وممن تفتن لهذا الاشتباه وبين وجه الحق فيه البخاري، وهو دقيق جدا وقادح حقا، وقال في عبد الرحمن بن يزيد بن تميم: منكر الحديث⁷⁰.

⁶⁷- صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه (2/668)، برقم: (972).

⁶⁸- جامع الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في كراهية المشي على القبور والجلوس عليها والصلاة إليها (-3/367)، برقم: (1050 و1051).

⁶⁹- النكت للحافظ أحمد بن علي ابن حجر (2/747-748).

⁷⁰- التاريخ الصغير للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (2/109).

الخاتمة:

بعد عرض هذه الدراسة المختصرة عن تجلية مظاهر نبوغ الإمام البخاري في معرفة العلل والكشف عنها، توصلت إلى عدة نتائج وتوصيات، أذكر أهمها فيما يلي:

أ- النتائج:

- 1- أن أظهر دليل على براعة الإمام البخاري في معرفة العلل والكشف عنها هو كتابه الجامع الصحيح، الذي خضع لتجربة علمية نقدية قوية من الإمام البخاري حتى خرج بهذه الصورة التي ما استطاع أحد من الأئمة أن يصل إليها في التأليف.
- 2- أن براعة الإمام البخاري في معرفة العلل والكشف عنها لم تكن وليدة مصادفة، وإنما نشأ عليها منذ الصغر، وتشرب منها حتى اكتمل، وفاق فيها أهل عصره، وصار إمام أهل الحديث في دهره.

ب- التوصيات:

- 1- أوصي بإظهار هذا الجانب الحيوي بدراسة موسعة، مما يؤدي إلى نتائج قوية في خدمة تراث هذا الإمام الجليل، وخدمة هذا العلم الصعب الذي قل من يبرع فيه من المتقدمين والمتأخرين.
- 2- أوصي بدراسة موسعة عن تحليل الحديث بالتاريخ سنداً وممتناً عند الإمام البخاري، وهو جانب مهم وحيوي، وفيه يظهر دقة الإمام البخاري وبراعته الفائقة في معرفة العلل والكشف عنها.

الرواية عن المبتدعة بين موطأ الإمام مالك وصحيح الإمام البخاري

إعداد

حسان العدولي

أستاذ مساعد بجامعة الزيتونة
وأستاذ باحث بمركز الدراسات الإسلامية بالقيروان.



المقدمة

لا يزال صحيح الإمام البخاري من الموسوعات التي تنبؤاً الخطوة عند المحدثين والفقهاء، وتشغل اهتمام الباحثين المعاصرين من الشائئين والمدافعين، وذلك بفضل ريادته في فكرة جمع الصحيح، وصرامته في وضع الشروط وانتقاء الصفوة من الرجال، وفي مقابل هذه الصرامة العلمية، لم يمتنع الإمام البخاري عن التخريج لبعض من تلبس بوصف الابتداع، بل وربما كان داعية إلى بدعته، في مفارقة سارت في ظاهرها على غير نهج المنظرين الذين رفضوا التخريج للمبتدعة على غرار الإمام مالك، لغايات مبدئية تقوم على صرف الناس بالكلية عن منهج من كان مخالفاً لأهل السنة، أو لغايات تتعلق بالاحتياط للرواية ذاتها، كما تبدو المفارقة أيضاً في مسألة العلاقة الجدلية بين الفسق والبدعة، باعتبار أن الفسق خارق لشرط العدالة من حيث العموم، وغير مؤثر في صدقية ناقل الخبر المتلبس بالبدعة.

فإلى أي مدى يمكن أن تلتقي منطلقات الإماميين في التخريج لبعض من وُصف بالبدعة، لتفترق من حيث الرؤى والدوافع؟

من أجل ذلك سعت في هذه الدراسة إلى الوصول لأهداف تحرير مذهب الإماميين نظرياً وتطبيقاً في الرواية المبتدعين، بعد البحث والنظر في نتائج ما سبقني من دراسات مشابهة على غرار:

- كتاب رواية المبتدع بين القبول والرد: دراسة تطبيقية على الصحيحين لمحمد رضوان خليل: وهي رسالة ماجستير أُصل فيها صاحبها لمعنى البدعة ومذاهب العلماء والمحدثين في قبول رواية المبتدعة وردّها، وختم بتطبيقات تخالف

بعض ما وقع التنظير له ليصل إلى استنتاجات مفادها أنّ رواية البخاري ومسلم عن أهل البدع جاء في إطار ضيق ومنضبط بقواعد صارمة، أمّا حدود البحث فهي تغييب الكلام النظري للإمام البخاري في أهل الأهواء وهو في عداد علماء الجرح والتعديل لا الرواية فحسب.

• دراسة بعنوان منهج الإمام البخاري في الرواية عن المبتدعة من خلال الجامع الصحيح: الشيعة أنموذجاً لكريمة سوداني، توصلت لنتائج هامة مفادها أنّ مدار قبول رواية المبتدع يتوقف أساساً على صدق لهجته وبرأته من الكذب، واقتصرت في استقراءها على من وصف من رجال البخاري ببدعة التشيع.

• مقال بعنوان الرواة المتهمون بالبدعة في موطأ الإمام مالك: دراسة استقرائية تحليلية، لعبد السلام محمد مخلوف، وهو بحث صغير الحجم عمد فيه صاحبه إلى إحصاء من رُموا بالبدعة من رجال الموطأ، واستقراء دوافع الإمام مالك ومبرراته في التخريج لهم، لكنّه لم يستوف الكلام في جميعهم رغم انحصار عددهم، وإنّما اكتفى ببعض النماذج التي بنى عليها استنتاجاته.

ولعلّ ميزة هذا البحث الذي أفاد من جهود المذكورين أنفاً، هي ما خرجت به المقارنة من نتائج منهجية لإمامين رائدين في علم الرواية، كما أنّه اعتمد على نصوصهما في التنظير والتطبيق قبل المرور إلى من نقل عنهما.

أمّا عن خطة البحث، فقد افتتحته بمقدمة مهّدت في بدايتها بذكر دواعي طرح الموضوع وإشكاليته، ثمّ بذكر نماذج من الدراسات السابقة، مع بيان الخطة والمنهج، ثمّ وضعت مهاداً مفاهيمياً بين يدي البحث الذي قسّمت مادّته وفق ثلاثة مباحث، أولها في الرواية عن المبتدعة بين التنظير والتطبيق، وثانيها في معيار الإمامين في قبول رواية المبتدع، وثالثها الأثر العلمي والحضاري لاختيارات الإمامين.

كما اعتمدت أساساً على منهج المقارنة والتحليل في استجلاء منهج الإمام مالك والبخاري في الرواية عن المبتدعة.

المهاد المفاهيمي

يُفترض قبل البدء الوقوف عند المصطلحات التي ينبني عليها البحث أساساً، على غرار الرواية والمبتدع، أما التعريف بالشخصيتين فغير ضروري لاشتغارهما.

تعريف الرواية:

لغة: مصدر مشتق من فعل رَوَى يَزُوِي رِوَايَةً الحديث أو الشعر بمعنى حمله ونقله¹، وذكَّره².

اصطلاحاً: قال السيوطي: «فَحَقِيقَةُ الرِّوَايَةِ: نَقْلُ السُّنَّةِ وَنَحْوِهَا وَإِسْنَادُ ذَلِكَ إِلَى مَنْ عَزَى إِلَيْهِ بِتَحْدِيثٍ أَوْ إِخْبَارٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ»³.

تعريف البدعة:

لغة: مصدر مشتق من فعل ابْتَدَعَ يَبْتَدِعُ مُبْتَدِعٌ ابْتِدَاعًا وَبِدْعَةً وَبِدْعًا، والبِدْعُ هو الأول من الشيء قال الله تعالى (وَمَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ) (سورة الأحقاف: الآية: 9)، قال ابن عباس: لست بأول رسول⁴، والابتداع الإنشاء والبدء والاستنباط والاستحداث⁵، والاختراع والابتكار ومنه قول الله تعالى (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا) (سورة الحديد: الآية: 6).

اصطلاحاً: البدعة هي «الحدث في الدين بعد الإكمال»⁷.

ولابن حجر تعريف مستوعب للبدعة يحسن إيراده وهو «اعتقاد ما أحدث على خلاف المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم، لا بمعاندة، بل بنوع شبهة»⁸، فعلى هذا المعنى يكون الابتداع في الأغلب الأعم متعلقاً بالانحراف عن المنهج والمعتقد الصحيح لا بالخروج عن الطاعة بارتكاب أفعال المعاصي.

1- يُنْظَرُ مُرْتَضَى الزَّبِيدِي (مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِيِّ ت 1205 هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس: دار الفكر، بيروت، ط 1 (1414 هـ)، (9/480).

2- يُنْظَرُ عَبْدِ الْحَمِيدِ (أَحْمَدُ مَخْتَارُ ت 1424 هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة: عالم الكتاب، ط 1 (1429 هـ-2008 م)، (2/963).

3- تدريب الراوي بشرح تقريب النواوي: تح، نظر بن محمد الفريابي، دار طيبة، ط. د. ت، (1/26).

4- الطبري (مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ ت 310 هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: تح، أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1 (1420 هـ-2000 م)، (22/97).

5- يُنْظَرُ ابْنُ مَنْظُورٍ (مُحَمَّدُ بْنُ مَكْرَمٍ ت 711 هـ)، لسان العرب: دار صادر، بيروت، ط 3 (1414 هـ)، (8/6).

6- يُنْظَرُ معجم اللغة العربية المعاصرة: (1/171).

7- الرازي (مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ت 666 هـ)، مختار الصحاح: تح، يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط 5 (1420 هـ-1999 م)، ص 30.

8- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: تح، نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ط 3 (1424 هـ-2000 م)، ص 88.

وهنا يكمن التفريق بين العدالة والبدعة، حيث إنّ العدالة تشمل صحّة الاعتقاد مع الاستقامة على الطاعات، وتختصّ البدعة بسوء المنهج والمعتقد فتؤثّر في عدالة الراوي جرحاً، كما يختصّ الفسق بمقارفة المعاصي أو ترك الواجبات وهو جرح للراوي اتفاقاً.

المبحث الأول: الرواية عن المبتدعة بين التنظير والتطبيق

أعرض في هذا المبحث إلى بسط مذاهب العلماء النظرية في التخرّيج للمبتدعة، ثمّ أتّني بتطبيقات البخاري والإمام المالك في مصنّفَيْهما، مع معالجة ما يبدو من تعارض بين النظري والتطبيقي، بالنظر في المقصد تارة وتأويل بعض العبارات التي فيها من المبالغة ما لا يخفى.

المطلب الأول: المذاهب النظرية في الرواية عن المبتدعة:

كثيراً ما عبرت النصوص النبوية عن البدعة بلفظ الإحداث، واقرن الإحداث دائماً، وقيّد بلفظ «الأمر، والأمور»، كما في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم أنّه قال: «مَنْ أَخَذَتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»⁹ وفي لفظ «لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا»¹⁰. وكذلك حديث العرياض رضي الله عنه، قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون. فقلنا: يا رسول الله كأنّها موعظة مودّع فأوصنا. قال: «وَأَيُّكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ»¹¹ والمقصود بالأمر هنا هو الدين باعتباره منهجاً سماوياً معصوماً، قال الإمام المازري: «أخبر أنّ كلّ ما أخذت ممّا ليس من الدين فهو ردّ، والمنهيات المحرّمات كلّها ليست من أمره صلى الله عليه وسلّم فيجب ردها»¹². وقد فهم رواة الحديث معنى الإحداث بأنّه الخروج عن طاعة الرسول بمعصية أمره أو بالخروج عن منهجه، حيث لم يكونوا يفرّقون بين الفقه العملي وبين الاعتقاد، لذلك استدلّ رواة الحديث به على المعنيتين، فبوّب البخاري به عنواناً على بعض المحرّمات فقال في ترجمة باب النجش مغلّفاً: «قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَدِيعَةُ فِي النَّارِ، وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»¹³ فالخديعة معصية ولا تعلّق لها بالاعتقاد أو المنهج. أمّا التعبير بالإحداث عن المنهج فيظهر من

9- متفق عليه: يُنظر صحيح البخاري (256هـ): تج، محمّد زهير بن ناصر، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، دار طوق النجاة، ط1 (1422هـ)، (3/183)، ح2697.

10- صحيح مسلم (261هـ): كتاب الأفضية، باب نقض الأحداث الباطلة وردّ محدثات الأمور، تج، محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.د.ت، (9/107)، ح1718.

11- سنن الترمذي (279هـ): تج، بشّار عوّاد معروف، أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط (1998م)، (4/341)، ح2679. وقال: حسن صحيح.

12- المعلم بفوائد مسلم: تج، محمّد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، ط2 (1988م)، (2/405).

13- صحيح البخاري: كتاب البيوع، (3/69).

خلال استدلال القاسم بن محمد بن أبي بكر بالرواية ذاتها على معنى الخروج عن الطريقة النبوية في الوصية. قال سعد بن إبراهيم: سألت القاسم بن محمد، عن رجل له ثلاثة مساكين، فأوصى بثلاث كل مسكين منها، قال: يجمع ذلك كله في مسكين واحد، ثم قال: أخبرني عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رذ¹⁴. كما قد يطلق الإحداث في الدين بمعنى اتباع الهوى والخروج عن فهم جماعة العلماء وإجماعهم ممن ليس بأهل للاجتهاد. قال الإمام البخاري: «باب إذا قضى الحاكم بخور، أو خلاف أهل العلم فهو رذ¹⁵». وبهذا لا يختلف رأي الإمام البخاري نظرياً عن سلفه ونظرته، أن المقصود بالابتداع هو مخالفة الجماعة، لذلك نعت بعض الرواة بما انتسبوا إليه من مقالة أو بدعة ومع ذلك خرج لهم في صحيحه، على غرار أيوب بن عائذ الطائي حيث قال فيه: «كان يرى الإرجاء¹⁶». ونقل عن شيخه سفيان بن عيينة تجريحه لبعض الرواة بسبب بدعة القدر¹⁷ أو الخارجية¹⁸، بما يؤكد أن للبدعة تأثير في عدالة الراوي. أما الإمام مالك فكانت له مواقف شديدة ضد أهل الأهواء من حيث المبدأ، قال الإمام سحنون: «قال مالك: في القدرية والإباضية لا يصلح على مؤنهم ولا يتبع جنائزهم ولا تُعاد مرضاهم¹⁹». ليتدرج إلى ردّ شهادتهم وعدم قبولها، فقال: «ولا تجوز شهادة أهل البدع بحال، قال: لا نجيز شهادة المعتزلة، والإباضية والجهمية والمرجئة وغيرهم من أهل الأهواء²⁰». ولا يخفى قياس أهل العلم الرواية على الشهادة لاشتراكهما في اشتراط العدالة، قال تعالى (وَأَشْهِدُوا ذَوْيَ عَدْلٍ مِنْكُمْ)، (سورة الطلاق، الآية: 2)، لبيان صفة الشاهد. وقال عز وجل (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا)، (سورة الحجرات، الآية: 6) فاعتبر الفسق قادحاً في عدالة ناقل الخبر. وقد صرح الإمام مالك فيما نقل عنه بالنهي عن التحمل عن القدرية حيث قال: «ولا يُحْمَلُ عَنْهُمْ الْحَدِيثُ²¹». بعد هذا الإثبات النظري، يُطرح التساؤل عن سبب تخريج الإمامين لبعض من تلبس بالبدع في مدوناتهم، وتوجيه ذلك.

14- صحيح مسلم: (9/107)، ح 1718.

15- صحيح البخاري: كتاب الأحكام، (9/73).

16- التاريخ الكبير: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط.د.ت، (1/420)، ح 1346.

17- م.س: (5/181)، ح 570، و(7/118)، ح 528.

18- م.س: (6/267)، ح 2367.

19- المدونة: دار الكتب العلمية، ط 1 (1415هـ-1994م)، (1/258).

20- ابن أبي زيد القيرواني: عبد الله بن عبد الرحمن (ت386هـ)، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات: تح، محمّد أمين بوخبرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1 (1999م)، (8/292).

21- الخطيب البغدادي: أحمد بن علي (ت463هـ)، الكفاية في علم الرواية: تح، أبي عبد الله السورقي، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط.د.ت، ص 124.

المطلب الثاني: الرواة المبتدعون في كتب الرواية:

كشفت تتبع سير رجال البخاري ومالك عن اتّصاف بعضهم بالبدعة، على غرار أيّوب بن عائذ القدري الذي خرّج له البخاري²²، وخرّج أيضاً لثور بن يزيد الشامي القدري الناصبي²³، وقد نفاه أهل حمص بسبب قوله في القدر، وقدم المدينة فنهى مالك عن مجالسته كذلك²⁴، لكنّ البخاري روى عن مشايخه أنّه من الثقات الأثبات²⁵، وتوسّط القول فيه الثوري حيث قال لابن المبارك لمّا سأله عنه: «خُذُوا عَنْهُ وَاتَّقُوا قَرْنِيهِ»²⁶ يقصد بدعته. يُلاحظ في هذا المثال الاختلاف على ثور بين قولين: مذهب الإقصاء ومُثَلِّه الإمام مالك وأهل حمص، الذين أهدروا الراوي ومروّيه، ومذهب الثوري الذي كان وسطاً حيث حذّر من اتخاذه رأساً في تلقّي العلوم، وحصر مجال الاستفادة منه في خبر أهل الشام، فتفطن البخاري لهذا الغرض واكتفى برواية ما كان فيه ثبناً فخرّج له مزّتين²⁷ من حديث خالد بن معدان. وروى أبو زرعة عن معن بن الوليد بن هشام أنّه سأل الوليد بن مسلم: «كان ثور بن يزيد يحفظ حديثه؟ قال: كان يحفظ حديث خالد بن معدان»²⁸. وهذا سرّ عبقرية الإمام البخاري في حبّته للصحيح، إذ ينتقي من خبر الراوي ما تأكّد من إجادته وضبطه له، بما يقطع الأصوات المعارضة عن تخريجه لرواة متكلم فيهم. يلاحظ أيضاً أنّ موضوعات الأحاديث التي خرّجها البخاري عن الراويين السابقين تتعلّق بالحج والغزو وآداب الطعام، حيث لا تعلّق لها البتّة ببدعة القدر والنصب، فلا شبهة تحمل الراوي على أن يخلق خبراً لا صلة له ببدعته أصلاً. ومن هذه الحيثية يتأكّد تمام التزام الإمام البخاري بالمنهج الذي سار عليه جمهور أهل العلم في تقنين الرواية عن المبتدع وضبطها.

أمّا الإمام مالك فروى مباشرة عن داود بن الحصين في أكثر من عشرة مواضع من موطّئه²⁹، رغم أنّه يُرمى بالقدر ويؤّتهم برأي الخوارج³⁰.

22- يُنظر الجامع الصحيح: (5/162)، ح 4346.

23- يُنظر ابن حجر، تهذيب التهذيب: دار المعارف النظامية، الهند، ط1 (1326هـ)، (2/34)، رقم 57.

24- يُنظر المصدر السابق: (2/35).

25- يُنظر المزّي، يوسف بن عبد الرحمن (ت742هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: تح، بشار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة، ط1 (1400هـ-1980م)، (4/423)، رقم 762.

26- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن إدريس (ت327هـ)، الجرح والتعديل: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 (1271هـ-1952م)، (1/74).

27- يُنظر الجامع الصحيح: (4/42)، ح 2924 و (7/42)، ح 5459.

28- المزّي، تهذيب الكمال: (4/423)، رقم 762.

29- ينظر الموطّأ: تح، مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان، أبو ظبي الإمارات، ط1 (1425هـ-2004م)، (1/110)، (2/16)، (2/128)، (2/159)، (2/192)، (2/196)، (2/280)، (3/506)، (4/896)، (4/903)، (4/948).

30- ينظر مغلطي، علاء الدين الحنفي المصري، (ت762هـ)، إكمال تهذيب الكمال: تح، أبي عبد الرحمن عادل بن محمّد، دار الفاروق الحديثة، ط1 (1422هـ-2001م)، (4/244)، رقم 1440.

وبعض هؤلاء تكلم فيهم الإمامان أو نقل البخاري كلام أهل العلم فيهم، وهو ما يؤكد غلبة الظن بأن البخاري ومالك يعلمان حال هؤلاء وخروجوا لهم على بصيرة ودراية³¹، سئل الإمام مالك بن أنس فقيل له: «كيف رويت عن داود وثور وآخرين وكانوا يرمون بالقدر؟ فقال: إنهم كانوا لئن يخروا من السماء إلى الأرض أسهل عليهم من أن يكذبوا كذبة³²». وبهذا التفصيل يزول إشكال التعارض بين التنظير والتطبيق في كلام الأئمة وصنيعهم. فتلك العبارة الشديدة في التضييق على المبتدعة هي من باب الاحتياط للمنهج السني لا أكثر، لذلك لا بد من تأويلها وحملها على الموقف الشرعي من المحدثات في الدين، بمعزل عن علم الرواية الذي يراعى فيه الصدق أساسا باعتباره معيارا ثابتا في موثوقية الخبر.

المبحث الثاني: معيار الإمام مالك والبخاري في قبول رواية المبتدع

إن ما يُميّز علماء الإسلام في اختياراتهم كونها لا تنبُع عن مزاجية ذاتية، إنما هي مبررة بأسباب موضوعية، إما تكون اختيارا يسير عليه الإمام وفق رؤيته لمنهج الإسلام وهيبته وصورته، وإما يفرضها الواقع اضطرارا وموازنة بين المصالح عند ازدحامها، وعلى هذا الأساس اختلفت رؤية الإمام البخاري عن الإمام مالك من حيث التنظير في مسألة الراوي المبتدع.

المطلب الأول: اختلاف الرؤى وتأثيره في معيار قبول رواية المبتدع بين الإمام مالك والبخاري:

لو تأملنا سياق الروايات عن مالك في النهي عن تحمّل الحديث عن أهل الأهواء لوجدنا أن تحقيق القول كونه لا يردّ رواية المبتدع مطلقا في شيء ممّا نُقل عنه كما توهمه بعض الباحثين والنقلة³³، إنما غاية ما رمى إليه منع طلبته من مخالطة أهل الأهواء، فكان من لازم ذلك النهي عن التحمّل عنهم، والفرق كبير بين أن يردّ الرواية عنهم وبين أن يمنع من خشي عليه من تحمّل الحديث الذي قد ينتهي به الأمر إلى التأثير بمناهجهم وأفكارهم. لذلك اقترن نهيه عن التحديث عنهم بالنهي عن مخالطتهم، قال ابن أبي زيد: «قال مالك: لا تسلّم على أهل الأهواء ولا تجالسهم إلا أن تغلظ عليهم، ولا يعاد مريضهم، وتحدّث عنهم الأحاديث³⁴». فإذا أمِنَ على الطالب التأثير لم ينه عن الرواية عن أهل الأهواء وهو ما يُفسّر

31- ينظر عبد السلام محمّد مخلوف: الرواة المتهّمون بالبدعة في موطأ الإمام مالك، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، العدد 1، السنة 2021، ص 82.

32- مغلطي، إكمال تهذيب الإكمال: (3/114)، رقم 902.

33- ينظر عبد السلام محمّد مخلوف، الرواة المتهّمون بالبدعة في موطأ مالك: ص 66.

34- الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ: تح، محمّد أبو الأحناف، مؤسسة الرسالة، بيروت، المكتبة العتيقة، تونس، ط 2 (1403 هـ-1983 م)، ص 125.

تخريجه لهم وعدم ردّ روايتهم بسبب البدعة. ولو تأملنا قوله «إِلَّا أَنْ تَغْلُظَ عَلَيْهِمْ» لتأكدنا بأنّ النهي لم يكن لذاته، إسقاطا لمرويات المبتدع، إنّما جاء النهي في سياقه ردعا وتأديبا. ترجم البخاري لإبراهيم بن محمد الأسلمي فقال: «كَانَ يَرَى الْقَدْرَ وَكَلَامَ جَهْمَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، تَرَكَ ابْنَ الْمُبَارَكِ وَالنَّاسَ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: نَهَانِي مَالِكٌ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي يَحْيَى، قُلْتُ مَنْ أَجَلَ الْقَدْرَ تَنَهَانِي عَنْهُ؟ قَالَ: لَيْسَ فِي حَدِيثِهِ بِذَلِكَ، قَالَ يَحْيَى: كُنَّا نَتَهَمُهُ بِالْكَذِبِ»³⁵. الرواية صريحة في أنّ ردّ رواية إبراهيم لم يكن بسبب البدعة، إنّما بسبب الكذب. وهذا ما فهمه الإمام البخاري عن مالك، وسار عليه في إنصاف أهل الأهواء وخرّج لهم في صحيحه إذا خيّر صدقهم وأمانتهم في النقل. قال ابن كثير: «وهذا البخاري قد خرّج لعمران بن حطان الخارجي مادح عبد الرحمن بن ملجم قاتل عليّ، وهذا من أكبر الدعاة إلى مذهبه»³⁶. فالقضية لا تتعلق بالبدعة والداعية من غيره بقدر ما تتعلق بالصدق في النقل، كما أنّ ذكاء البخاري هو ما جعله يفتظّن لإمكان الطعن عليه من هذه الجهة، فكان تخريجه لهذا الضرب غالبا من قبيل المتابعة والاستشهاد، ولم يتحمّل عن أهل الأهواء بحسب الاستقراء ما تفرّدوا به، ومن الأمثلة على ذلك أنّه خرّج لعمران بن حطان المتقدم مرتين في كتاب اللباس، مرّة شاهدا بعد حوالي سبعة أحاديث في الباب³⁷، ومرّة عضده بحديث آخر في باب نقض الصور³⁸.

المطلب الثاني: دواعي الاختلاف بين الإمامين في معيار قبول رواية المبتدع:

مثّل الإمام مالك مدرسة الأثر في عصره، كما أثر أنّه لم يرتحل مثل البخاري، وإنّما اكتفى بالإقامة بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلّم لينهل من علم فقهاؤها الذين لم يتلبّسوا بشيء من البدعة في عمومهم، ووجد في علمهم الكفاية والغنية عن التنقل إلى بعض الحواضر التي انتعش فيها فقه الرأي، وكانت معاقل لنشوء بعض الطوائف والبدع. خلافا للبيئة التي تنقل فيها البخاري في شبابه ونشوئه، وهي العراق التي شهدت بدعة التشيع بالكوفة وبدعة القدر بالبصرة، فلم يكن هنالك بدّ من مخالطة هؤلاء وغيرهم، وانتقاء ما أصابوا فيه من الروايات مع اتّقاء بدعهم، ووجد البخاري عاقمة شيوخه على هذا النهج من عدم إهدار الرواية إذا اتّصف صاحبها بالصدق، حتّى لا يهدر الخبر، قال عالم العراق عليّ بن المديني: «لو تُرِكَتْ أَهْلُ الْبَصْرَةِ لِحَالِ الْقَدْرِ، وَلَوْ تُرِكَتْ أَهْلُ الْكُوفَةِ لَذَلِكَ الرَّأْيِ، يَعْنِي التَّشْيِعَ، خَرَبَتْ الْكُتُبُ»³⁹. لا سيّما إذا كانت الحاجة إلى ذلك ملخّة مثلما روى الحُسَيْنُ بْنُ

35- التاريخ الكبير: (1/323)، ج1013.

36- اختصار علوم الحديث: تج، أحمد شاكر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2، د.ت، ص100.

37- يُنظر الجامع الصحيح: (7/150)، ج5835.

38- المصدر السابق: (7/167)، ج5953.

39- الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية: ص129.

الْفَرَجِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَسَالِي: «مَنْ بَقِيَ عِنْدَكُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ؟ قُلْتُ: عَبْدَانُ، قَالَ: مَا خَالُهُ؟ قُلْتُ: مَذْهَبُهُ مَذْهَبُ الْإِزْجَاءِ، أَخْبَرَهُ قَالَ يُكْتَبُ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ⁴⁰».

ومع ريادة الإمام مالك مدرسة الأثر في عصره، كان من أصول مذهبه عدم الاقتصار على الرواية وإنما العمل، حيث يُرَجَّح عند التعارض الحديث الذي عمل به الخلفاء الراشدون على الحديث الذين أهملوه وإن صحَّ، بل يقدم عمل أهل المدينة على بعض أحاديث الآحاد على غرار حديث خيار المجلس، ولعلَّ هذا ما ساعده على بناء فقه حيوي جمع بين الأثر والعمل، فلم يقف عند حرفية النص، ولم تقف به الفتوى إذا غابت عنه الأحاديث، لعلمه بعمل فقهاء المدينة وأهلها، فلم تكن الحاجة دافعة له حتى يتنزل للرواية عن أهل البدع إلا يسيرا. أما الإمام البخاري فالأولوية المطلقة عنده هي للأحاديث المرفوعة فلذلك حملته الحاجة إلى التحمل أحيانا عن بعض الرواة المبتدعة وفق شروط موضوعية لم يحد فيها عمَّا سطره علماء الجرح والتعديل.

كما أنَّ الرجوع إلى السياق دائما يكشف أنَّ الإمام مالك اتخذ هذا الموقف لسببين: أحدهما يتعلَّق بأهل الأهواء، تأديبا لهم وإخمادا لبدعتهم، فلو كان يرى كفرهم حقًا أو عدم أهليتهم لأمر بإعادة الصلاة لمن صلّى خلفهم، ولكنه توقف عن الجواب في ذلك بحسب نقل سحنون، واكتفى بالتحذير من الائتمام بهم⁴¹. أما السبب الثاني فهو ما تقدّم من خوفه على طلبته الذين لم يتأهلوا بعد للصمود في وجه الآراء المنحرفة. وبالنسبة للإمام البخاري لم يكن شديدا في التجريح عموما، وإنما عباراته لطيفة جدًّا في مقابل غيره ممَّن تصدر للجرح والتعديل⁴²، فيكتفي في ترجمته لأهل البدع إمَّا بذكر الوصف أو نقله عمَّن سبقه دون تشنيع أو تشديد، ولم يسلم هو نفسه من اللمز والتجريح رغم ورعه وعلمه، حيث إنَّه لم ينل الخطوة التي يستحقها في آخر حياته بسبب محنته في مسألة اللفظ⁴³، خلافا للإمام مالك الذي كان مهابا كالسلاطين في مجالسه⁴⁴، فلا عجب أن يكون صيِّتا في مواجهة أهل الأهواء.

40- م.ن.

41- يُنظر المدونة: (1/177).

42- اختصار علوم الحديث: ص270.

43- يُنظر الذهبي، محمَّد بن أحمد (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء: دار الحديث، القاهرة، ط.د.ت، (10/113)، رقم2134.

44- يُنظر القاضي عياض (ت544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك: تح. عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط1، د.ت، (2/13).

المبحث الثالث: الأثر العلمي والحضاري لاختيارات الإمام مالك والبخاري في مسألة رواية المبتدع

فتح معيار قبول رواية المبتدع عند البخاري ومالك وغيرهما في المدونة الحديثية آفاقا علمية وحضارية واسعة تجلّت في تشكيل أنموذج فريد لبناء المعرفة الإنسانية عموما، وتكريس قيم إنسانية تجاوزت حدود الزمان والمكان.

المطلب الأول: أثر اختلاف المعايير في علوم الرواية وعلم الجرح والتعديل:

فرض اختلاف التوجهات السياسية والطائفية بين حواضر العالم الإسلامي تغييرا في المعايير التي ضبطها العلماء الأول، إذ لم تكن مسألة البدعة مطروحة في الزمان إلا بعد وقوع الفتنة عن ابن سيرين قال: «كَانُوا لَا يَسْأَلُونَ عَنْ إِسْنَادِ الْحَدِيثِ، حَتَّى وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ فَسُئِلَ عَنْ إِسْنَادِ الْحَدِيثِ، لَيُنْظَرَ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَخَذَ بِحَدِيثِهِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَةِ تَرَكَ حَدِيثَهُ» بسبب اختلاط الأمر وانعدام الأمن والاستقرار من جهة، وبسبب شيوع الكذب والتزييف من جهة أخرى. كما أنّ البدعة اقترنت من حيث المكان بالمواطن التي ظهرت فيها الفتن والاضطرابات الطائفية والسياسية على غرار العراق وما شهدته من بدع الخروج والتشيع والقدر، والشام وما شهدته من بدع الإرجاء والنصب، في تناقض واضح بين البلدين وبين الاتجاهات الكلامية والسياسية فيهما. وكانت المدينة ومكة وباقي الحواضر أقلّ تعرّضا لذلك، ما خلا بعض التأثيرات الناتجة عن انفتاح الرحلات العلمية. لذلك كان علماء هذه الأمصار أكثر تمسكا بالمعايير الصارمة في التعامل مع المبتدعة مخالطة وتأثرا، وبظهر ذلك في تقاريراتهم من لدن عصر الصحابة، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «إِنَّا كُنَّا نَحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ لَمْ يَكُنْ يُكَذِّبُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصُّعْبَ وَالذُّلُولَ، تَرَكْنَا الْحَدِيثَ عَنْهُ». ليعلم من هذا أنّ التوقّف عن قبول رواية المبتدع هو من قبيل مزيد الاحتياط في التحمّل، لأنّ معيار النقل الأساس هو صدق الراوي، واشتراط الديانة والأمانة من لوازمه، فرغم أنّ الفاسق قد يكون صدوقا في كلامه ونقله لأنّ مردّد فسقه الوقوع في الشهوات والمعاصي، فإنّ صدقه المجرد لا يشفع له لثُرغى عدالته، فمن لا يؤتمن على الشرع والأمر والنهي، لا يمكن الاستيثاق من أمانته في النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن هذا الباب كان المبتدع مردود الخبر لعدم الوثوق من صلابة ديانته وتمسكه بمنهج أهل السنة والجماعة. وفي مقابل هذا التوجّه تكون المعايير أكثر مرونة عند علماء العراق من أمثال عليّ بن المديني كما تقدّم، وعبد الرحمن بن مهدي.

المطلب الثاني: الأفق الحضاري والعلمي لمنهج إنصاف الراوي المبتدع:

يكشف منهج علماء الحديث في إنصاف الراوي المبتدع منتهى الموضوعية والحرفية في حفظ السنن والآثار، حيث إنّ الأحكام لا تُبنى بمنطق المزاجية والإقصاء، إنّما النظر يكون في صدق الراوي ومصلحة حفظ السنة، يقول الإمام الذهبي عند ترجمته لأبان بن تغلب الكوفي: «شيعي جلد، لكنّه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته»⁴⁵.

ولا شك أنّ هذا الإنصاف يخدم واقع التعايش ومشروع التقارب بين الطوائف الإسلامية، كما يحدّ من دعوات التعصّب والإقصاء.

إنّ إنصاف الإمام البخاري ونظرائه من المصنّفين للرواة المبتدعة ما داموا متّصفين بالصدق والضبط يُبرز قيما إنسانية وعلمية راقية تجسّدت في المنهجية الإسلامية لبناء المعرفة، التي يُمكن إجمالها في النقاط التالية:

1. العدالة المعرفية فوق الخلافات المذهبية:
2. فصل علماء الإسلام بين «الحقيقة» والهوية» ورفضوا إلغاء الرواية لمجرّد انتماء الراوي إلى اتجاه كلامي أو طائفي مغاير، ما دامت عدالته وضبطه ثابتين، وهذا يعكس نضجا في التعامل مع المعرفة حيث تغلب مبدأ «الإنصاف للحقيقة» على التعصّب للهوية الفكرية، وهو ما يُعدّ سمة لحضارة تقبل التعددية ضمن الأطر الموضوعية، وتكريسا لمبدأ «الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحقّ بها» وذلك بعدم التحرّج من الإفادة من كلّ حامل حق وإن اختلف معه فكريا أو عقائديا. وهذا مبدأ حضاري يدعو إلى تجاوز الانقسامات لصالح تراكم المعرفة، التي لا يُمكن أن تكون أبدا حبيسة لاتجاه أو لون فكري واحد.
3. التوازن بين الثوابت الدينية والحرية العلمية:
4. ميّز البخاري بين العقيدة والرواية من خلال الفصل بين القضايا العقديّة التي يُحكم فيها الراوي إلى الأصول، وبين قضايا الرواية التي يُحكم فيها إلى الأمانة والدقة العلمية. وهذا التوازن يُجسّد وعيا حضاريا بضرورة الفصل بين المجالات، حيث يُدار المجال العقدي بالحسم والترجيح، بينما يُدار المجال العلمي بالانفتاح والموضوعية. ولو رُفِض كل صاحب رأي مخالف لتحوّل التراث إلى نصوص طائفية، لكنّ اعتماد المعايير الموضوعية كالصدق والضبط جعل

45- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: تح، علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1 (1382هـ-1963م)، (1/5).

الإرث العلمي الإسلامي ملكا للإنسان، لا لفئة بعينها، لذلك كان الأمر متبادلا حيث نجد أن صاحب أقدم كتاب في الفهرسة وهو ابن النديم يُشيد بكتاب الموطأ وبصحيح البخاري بتخصيص فصول لبيان مناهجهما، رغم أنه شيعي.

5. بناء منظومة أخلاقية للعلم:

6. إن اشتراط الصدق والضبط في قبول حديث الراوي السني والمبتدع على حدّ السواء يُعطي من قيمة الأخلاق باعتبارها شرطا للمشاركة في صناعة المعرفة، وهو ما يُشبه اليوم «أخلاقيات البحث العلمي» في عرف الأكاديميين، والتي تفرضُ الحياد والموضوعية بغضّ النظر عن خلفيّة الباحث، فالأخلاق قبل الانتماء. ليثبت العدل قيمةً غليا تفرض على الخصوم أن يُنصفوا إذا ثبتت أمانتهم وكفاءتهم.

7. الأنموذج الإسلامي في التعامل مع المخالف:

8. يُمثّل إنصاف المحدثين السنة للرواة المختلفين معهم فكرياً أنموذجا للعالم في كيفية التعايش مع التعددية دون تنازل عن المبادئ، وهو جواب على سؤال الحضارات: كيف نحقق الوحدة دون إقصاء؟ فالحضارة التي تستوعب المختلفين وتستفيد منهم ضمن ضوابط هي حضارة قادرة على البقاء، بينما الحضارات التي تُنقي تراثها من كل صوت مغاير فتعتمد إلى إخماده ويسوؤها ظهوره تُصاب بالجمود.

9. التفوّق الحضاري الإسلامي المُبكر:

10. عندما نقارن الأنموذج الإسلامي ببعض المناهج الحديثة التي تخلط بين «الموضوعية» و«التحيز الإيديولوجي» يُظهر منهج البخاري تفوّقا في النزاهة. فكثير من المنظومات الفكرية اليوم ترفض الحقائق العلمية إذا صدرت عن خصومها، بينما وضع الإسلام منذ قرون قواعد لفصل العلم عن الهوى.

الخاتمة:

يُمكن الخروج بجملة من الاستنتاجات، وأهمّها:

أنَّ أهمَّ دافع لتحجيم مرويات المبتدعة هو مخافة أن تقوى بدعتهم، وتتخذ خشية تقوية البدعة شكلين: أولهما يتعلّق بالرواية نفسها، حيث أنَّ تمام الإنصاف والتجرّد والموضوعيّة يقتضي ردّ الرواية التي يفهم من ظاهرها تقوية مذهب المبتدع كأن يتفرد المتشيع الصدوق بحديث في تفضيل آل البيت، وهو أمر مبرّر بما يُعرف اليوم بشبهة تضارب المصالح، وتشهد له أصول السياسة الشرعيّة والقضاء الذي لا يُمضي شهادة الوالد لصالح ولده مثلاً. ثانيهما يتعلّق بالمنهج، لا سيّما إذا كان للرواية طريق آخر، لئلا يكون في تصدير رواية المبتدع علوّ شأنه ممّا قد يُغري به العوام وضعاف الطلبة فيأخذون عنه البدعة مع الرواية.

عند تزاحم المصالح فإنّ اعتماد رواية المبتدع الصدوق يصبح ضرورة تُقدّم على مصلحة إخماد البدعة، لأنّ الرواية تؤسّس لهذا الدين، بينما تظل مقارعة البدع في دائرة الحفظ والحماية.

من حيث التنظير يبدو الإمام مالك أكثر صرامة في تجريحه للمبتدعة، أمّا من حيث التطبيق فلا فرق بينه وبين البخاري، فكلاهما خرّج لبعض من تلبّس بالبدعة مع علمهما بذلك، تغليباً لمصلحة الرواية.

إنّ المنهج الحديثيّ القائم على الإنصاف ليس مجرد قواعد رياضيّة جافّة في صرامتها بقدر ما هو عقد حضاريّ يُجسّد رفض الاستبداد بالرأي، واحترام التعدديّة المنضبطة، وتقديس الحقيقة فوق الولاءات، وهو ما جعل التراث الإسلاميّ تراثاً عالمياً لا يُنمّط بطائفيّة ولا عرق، ليبقى شاهداً على حضارة جمعت بين الهويّة والكونيّة.

قائمة المصادر والمراجع

- مرتبة ألفبائياً بحسب شهرة المؤلف، دون اعتبار: ابن، أبو، ال، وعند ذكر المؤلف أستوفي كتبه مرتبة
- القرآن الكريم
- أحمد، مختار عبد الحميد (ت1424هـ): معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتاب، ط1 (1429هـ-2008م).
- البخاري (محمّد بن إسماعيل: ت256هـ):
- التاريخ الكبير: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط.د.ت.
- الجامع الصحيح: تح، محمّد زهير ناصر، دار طوق النجاة، ط1 (1422هـ).
- الترمذي، محمّد بن سورة (ت279هـ): السنن، تح، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 (1998م).
- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن إدريس (ت327هـ)، الجرح والتعديل: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 (1271هـ-1952م).
- ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني ت852هـ):
- تهذيب التهذيب: دار المعارف النظامية، الهند، ط1 (1326هـ).
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر: تح، نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ط3 (1421هـ-2000م).
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ): الكفاية في علم الرواية: تح، أبي عبد الله السورقي، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط.د.ت.
- الذهبي، شمس الدين (محمّد بن أحمد بن قايمار ت748هـ):
- سير أعلام النبلاء: دار الحديث، القاهرة، ط.د.ت.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: تح، علي محمّد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1 (1382هـ-1963م).
- الرازي (محمّد بن أبي بكر ت666هـ)، مختار الصحاح: تح، يوسف الشيخ محمّد، المكتبة العصرية، بيروت، ط5 (1420هـ-1999م).
- ابن أبي زيد القيرواني، عبد الله بن عبد الرحمن (ت386هـ):
- الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ: تح، محمّد أبو الأجفان، مؤسسة الرسالة، بيروت، المكتبة العتيقة، تونس، ط2 (1403هـ-1983م).

- النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات: تح، محمد أمين بوخبرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 (1999م).
- سخون بن سعيد التتوخي (ت240هـ): المدونة، دار الكتب العلميّة، ط1 (1415هـ-1994م).
- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ): تدريب الراوي، تح، نصر بن محمد الفريابي، دار طيبة، المدينة، ط.د.ت.
- الطبري (محمد بن جرير ت310هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح، أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1 (1420هـ-2000م).
- عبد السلام محمد مخلوف: الرواة المتهمون بالبدعة في موطأ الإمام مالك، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، العدد1، السنة 2021.
- القاضي عياض (ابن موسى اليحصبي ت544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك: تح، عبد القادر الصحرابي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط1، د.ت.
- ابن كثير، إسماعيل (ت774هـ)، اختصار علوم الحديث: تح، أحمد شاكر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2.د.ت.
- المازري، محمد بن علي (ت536هـ)، المعلم بفوائد مسلم: تح، محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، ط2 (1988م).
- مالك (ابن أنس ت179هـ)، الموطأ: تح، مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان أبو ظبي الإمارات، ط1 (1425هـ-2004م).
- مسلم، ابن الحجاج النيسابوري (ت261هـ)، الجامع الصحيح: تح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.د.ت.
- مُرتضى الزبيدي (محمد بن محمد الحسيني ت1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، ط1 (1414هـ).
- المزي، جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن (ت742هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح، بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 (1400هـ-1980م).
- مغلطي، علاء الدين الحنفي المصري، (ت762هـ): إكمال تهذيب الكمال، تح، أبي عبد الرحمن عادل بن محمد، دار الفاروق الحديثة، ط1 (1422هـ-2001م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3 (1414هـ).



الجمع بين الرواية في صحيح البخاري دراسة منهجية

إعداد

أ.د. بكر بن محمد فضل الله البخاري
أستاذ الحديث بقسم السنة وعلومها

كلية أصول الدين والدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث
بالحق المبين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن من الظواهر الإسنادية في صحيح البخاري وجود أسانيد وقع فيها اجتماع
راويين أو أكثر في سياق واحد، ومعلوم أن الأصل في الرواية أن تكون واحداً عن
واحد، ويقع في كلام شراح الصحيح والمترجمين لرواياته أن فلاناً روى له البخاري
مقروناً أو أن البخاري قرنه بفلان، ويبحثون في سبب ذلك خاصة إن كان أحدهما
متكلماً فيه أو في روايته، وقد بنى الباحثون المعاصرون على ذلك ووسّعوا الكلام
فيه، في سياق الإجابة عن الرواة المتكلم فيهم من رجال الصحيح أو في سياق
إبراز الصناعة الحديثية في الصحيح وإبراز عبقرية الإمام البخاري وتقدمه وشفوف
نظره، وهو بلا ريب فارس الحديث وأستاذ الأستاذين والمجّلي في الحلبة، غير
أن المنهج العلمي يقتضي بحث مسائل كل فنّ على أصوله وقواعده، واستحضار
مناهج المحدثين في الرواية للتوصل بها إلى نتائج صائبة.

وكنت قد درست جملةً من الرواة المتكلم فيهم ممن وقعت لهم روايات في
الصحيح، والروايات التي وقعت على نسقٍ خاصٍّ؛ فوجدت الإمام البخاري رواها على
الصورة التي تحمّلها عليها، ولما كان إبراز الصناعة الحديثية في الصحيح والإجابة
عن روايات المتكلم فيهم المقرونة في صحيح فرعاً عن إثبات وقوع الجمع بين
الرواة من الإمام البخاري لا من غيره؛ جاءت هذه الورقة لتبحث هذا الأصل، فإن
كان الجمع بين الرواة من الإمام البخاري فنعم، وأما إن كان ممن فوقه فلا يصح أن
نسب إليه مقاصد لم يقصدها أو أن نحمله تبعة رواة جاء ذكرهم اتفاقاً، وتكلف
الإجابة عنهم وعن رواياتهم.

أهمية البحث:

- يتصل بعدة مسائل دقيقة تتعلق بالصحيح، وهي:
- التمييز بين رواية الاحتجاج وغيرهم.
- إبراز الصناعة الحديثية في الصحيح.
- توظيف قاعدة المحدثين في جمع الأسانيد والمقارنة بينها للكشف عن مصدر الجمع بين الرواة.
- ينتبه إلى إجراء منهجي ينبغي استحضاره عند دراسة رواية الصحيح ورواياتهم.

أسئلة البحث:

- ما صور الجمع بين الرواة في الصحيح؟
- لماذا روى البخاري لرواة متكلم فيهم مقرونين برواة ثقات؟
- هل القرن بين الرواة واقع من البخاري أو ممن فوقه؟
- هل لبحث هذه المسألة أثر في تصنيف مراتب رواية الصحيح؟

تقسيمات البحث:

- قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، أربعة مطالب، وخاتمة.
 - **تمهيد وفيه:** ظاهرة الجمع بين الرواة عند المحدثين وفي صحيح البخاري.
 - **المطلب الأول:** منهج الكشف عن مصدر الجمع في الروايات المجموعة..
 - **المطلب الثاني:** الجمع بين الرواة في طبقة شيوخ البخاري وما قاربها.
 - **المطلب الثالث:** دراسة روايات مجموعة لرواة ليسوا على شرط الصحيح.
 - الخاتمة
- ولما تقتضيه متطلبات الورقة البحثية؛ سأقتصر على بعض الأمثلة التطبيقية التي يتحقق بها المقصود، والله أسأل أن ينفع به كاتبه وقارئه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

تمهيد:

الأصل أن يتلقى الراوي الحديث عن شيخ واحد، وتكون روايته للحديث عن ذلك الشيخ، وإذا سمعه من شيخين في وقتين وإسنادهما واحد والمعنى واحد؛ روى حديث كل منهما مفردًا عن الآخر، وربما اختصر بعض الرواة فجمع بينهما ثم ساق الحديث على لفظ واحد، وأحيانًا يجمع بينهما وبين لفظيهما اختلاف.

ولمّا كان صنيعهم هذا متفاوتًا ومقاصدهم متباينة؛ كان للأئمة مواقف متباينة من ذلك، وعقد له ابن رجب الحنبلي فصلًا عنون له «ذكر من ضعف حديثه إذا جمع الشيوخ دون ما إذا أفردهم»¹، ومن أقوالهم التي نقلها في ذلك:

قال شعبة الليث بن أبي سليم: أين **اجتمع** لك هؤلاء الثلاثة عطاء وطاوس ومجاهد؟! قال ابن أبي حاتم: يعني كالمُكر عليه اجتماعهم. وقال شعبة لإسماعيل ابن عُلية: ما حدثك عطاء عن رجاله؛ زاذان وميسرة وأبي البختري، فلا تكتبه، وما حدثك عن رجل بعينه فكتبه، وقال الإمام أحمد في محمد بن إسحاق صاحب السيرة: حسن الحديث، ولكنه إذا **جمع** عن رجلين ... يحدث عن الزهري ورجل آخر، فيحمل حديث هذا على هذا. وقال أحمد بن حنبل في حديث جمع فيه حماد بن سلمة بين أيوب وقتادة: كان لا يقوم على مثل هذا، **يجمع الرجال**، ثم يجعله إسنادًا واحدًا، وهم يختلفون.

ولا ينحصر سبب الجمع بين الرواة في الاختصار، بل يمكن أن يكون لمقاصد أخرى، تقوى تلك المقاصد أو تضعف بحسب الحال، وبحسب من صدر عنه الجمع بين الرواة، فمثل الزهري إذا جمع بين شيوخه الثقات؛ فإنه يريد الاختصار أو استيعاب أطراف الخبر، وأما احتمال إرادة دفع احتمال الخطأ عن الرواية فغير وارد، وأما إذا جمع أحد المصنفين من أصحاب الكتب الستة مثلًا؛ فيمكن أن يريد الاختصار أو طلب العلو أو التقوية لبعض الرواة أو غير ذلك من الأسباب، ومن هنا فإن معرفة مصدر الجمع بين الرواة له أثر في معرفة الأسباب المحتملة وغير المحتملة.

ولمّا جمع الإمام البخاري الصحيح لاحظ الحفاظ في وقت مبكر تفنّنه في انتقاء رجاله ومراتبهم، وتنوّع طريقته في الرواية لهم بحسب ذلك، ومن ذلك وصفهم الراوي بأن البخاري روى له معتمدًا عليه أو محتجًا به، وأن فلانًا لم يعتمد به البخاري أو استشهد به، وأول من بلغنا أنّه حاول استقصاء رواة الصحيح وتمييز طريقة البخاري في الرواية لهم الحافظ أبو نصر أحمد بن محمد الكلاباذي (ت: 398) في كتاب الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، ومن جملة الرواة الذين ميّزهم بعد رواة الاحتجاج «من هو مقرونٌ بغيره في إسناد واحد، أو

1- انظر: معرفة علوم الحديث لابن الصلاح ص 223، وشرح علل الترمذي (2/672).

في إسناد مضموم إلى إسناد آخر؛ قبل متن الحديث أو بعده»²، ونلاحظ في هذا النص استعماله لفظ (مقرون) وجعله نوعين: قرن راو براو في إسناد واحد، وقرن إسناد إلى إسناد، فيكون الراوي في الإسناد الأول مقروناً إلى الراوي في الإسناد الثاني عن شيخ واحد، وأطلق على هذا الثاني (شبه مقرون) في ترجمة محمد بن زياد بن عبيد الله بن الربيع بن زياد³. ولا يكون الإسناد مقروناً إلا مع التوالي، وأما إذا كان إسناد في باب والآخر في باب آخر، فيقال فيه إنه روى له ما توبع عليه، ونحو ذلك⁴.

ثم درج العلماء على ملاحظة من روى له البخاري مقروناً، واعتنى به الحاكم النيسابوري في كتابيه المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم والمستدرك على الصحيحين، وإذا ما وصلنا إلى الحافظ ابن حجر؛ فإنه أفاض في رجال الصحيح بما لا يوجد مجموعاً عند غيره، وفزع وحذر بما لم يسبق إليه، وأحصى ما في الصحيح على صور ورودهم فيه، وراعي أحوال ورود الرواة في الصحيح، فقال مثلاً في ترجمة حماد بن سلمة بن دينار البصري: أحد الأئمة الأثبات إلا أنه ساء حفظه في الآخر، **استشهد به البخاري تعليقا، ولم يخرج له احتجاجا، ولا مقرونا، ولا متابعة** إلا في موضع واحد⁵. فجمع في هذا السياق أربع طرائق لتخريج الإمام البخاري للراوي في الصحيح.

2- الهداية والإرشاد ص 88.

3- ص 636 ت: 1041، ولم أقف عليه في غيره، وهذه اللفظة اختلفت فيها النسخ الخطية كما تبّه عليه المحقق وإن كان الصواب ثبوتها، وهو ما تبعه عليه الباجي في التعديل والتجريح (2/648). وليس لمحمد بن زياد في الصحيح سوى موضع واحد هو (6113)؛ وقال المكي: حدثنا عبد الله بن سعيد. حدثني محمد بن زياد: حدثنا محمد بن جعفر. وهو هنا مقرون بعبد الله بن سعيد الفزاري، كلاهما عن محمد بن جعفر.

4- ومثاله ما رواه البخاري (ح 990، 991): حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك، عن نافع وعبد الله بن دينار: عن ابن عمر: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن صلاة الليل، فقال رسول الله عليه السلام: «صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشى أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة، توتر له ما قد صلى». وعن نافع: أن عبد الله بن عمر كان يسلم بين الركعة والركعتين في الوتر، حتى يأمر ببعض حاجته.

قال الحافظ ابن حجر في قوله: (وعن نافع ..) هو معطوف على الإسناد الأول، وهو في الموطأ كذلك إلا أنه ليس مقروناً في سياق واحد بل بين المرفوع والموقوف عدة أحاديث، ولهذا فصله البخاري عنه. (فتح الباري 2/482)، ففهم من هذا أنّ الأسانيد المقرونة تكون في سياق واحد، فهو مقرون في صحيح البخاري وليس مقروناً في الموطأ.

5- هدى الساري ص 339.

المطلب الأول: منهج الكشف عن مصدر الجمع في الروايات المجموعة.

يتفق منهج تعيين الراوي الذي صدر عنه الجمع بين الرواة مع المنهج العام للمحدثين في تتبع الأسانيد والموازنة بينها، كما سبق نقله عن شعبة بن الحجاج وأحمد بن حنبل؛ فإنهما اعتمدا في نقد الروايات المجموعة على معرفتهما بالروايات المفردة ومقارنة الرواية المجموعة بها لمعرفة ما بينها من الموافقة والمخالفة، ومن ثم عيّنوا أن فلاناً هو الذي جمع بين الرواة، وأنه كان إذا جمع بين الرواة أخلّ بها أو ضبطها.

ومنهج التخرّيج والموازنة بين المروايات جادة مسلوكة عن المحدثين، وقد أكثر منه الحافظ ابن حجر، وطبقه في مواضع للكشف عن حال الرواية التي في الصحيح⁶، وغاب عنه تطبيقه في المواضع كلّها، والكمال عزيز.

وتعيين الراوي الذي صدر عنه الجمع بين الرواة من المهمات التي تنبغي العناية بها؛ لما لها من أثر في الكشف عن مناهج المحدثين الخاصة، وأوضح طريقة تطبيق المنهج بالمثال الآتي:

قال الإمام البخاري في الصحيح (932): حدثنا مسدد، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن **عبد العزيز**، عن أنس. وعن **يونس**، عن ثابت: عن أنس، قال: بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، إذ قام رجل فقال: يا رسول الله، هلك الكراع، وهلك الشاء، فادع الله أن يسقينا. فمد يديه ودعا.

فيمكن أن يُقال هنا إن مسدداً سمع الحديث من حماد مرتين، وهو المفهوم من ظاهر السياق، إلا أنّ تخرّيج الحديث يدلّ على أنّ حماد بن زيد روى الحديث مجموعاً، فقد رواه أبو داود في سننه (1174) عن مسدد كما رواه البخاري، ورواه أبو عوانة في مستخرجه (2549) عن أبي داود ومهدي بن الحارث عن مسدد، ورواه من طريق غير مسدد عن حماد كما رواه البخاري؛ فدّل على أنّ الجمع بين الإسنادين ليس من البخاري، وليس من مسدد، وأنه روى الحديث كما تحمله عن حماد، وأنّ البخاري رواه كما تحمله عن مسدد، وأنّ الجمع بين الرواة من حماد بن زيد.⁷

6- مثال تطبيقه لمنهج التخرّيج في الروايات حديث (4977) في المعوّذتين وفيه: (إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا)، قال ابن حجر: «هكذا وقع هذا اللفظ مبهماً وكأنّ بعض الرواة أيهمه استعظافاً له ... وكنت أظنّ أولاً أنّ الذي أيهمه البخاري؛ لأنّني رأيت التصريح به في رواية أحمد عن سفيان ... وكأنّ سفيان كان تارة يصرح بذلك وتارة يبهمه»؛ تبين له ذلك لَمّا وقف على رواية أخرى عن سفيان بن عيينة على الإيهام كما عند البخاري. كما طبقه في الرواة كما تراه في ترجمته لعبد الكريم بن أبي المخارق من «تهذيب التهذيب».

7- ومن أمثلته أيضاً: (1918، 1919): حدثنا عبيد بن إسماعيل، عن أبي أسامة، عن عبيد الله: عن نافع، عن ابن عمر، والقاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها: أن بلالا كان يؤذن لبيل، فقال رسول الله ﷺ: «كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم؛ فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر». قال القاسم: ولم يكن بين أذانهم إلا أن يرقى ذا وينزل ذا. والحديث رواه البخاري في موضعين في كلّ منهما الجمع بين الإسنادين، وكلاهما من رواية أبي إسامة عن عبيد الله الغُمري، والراوي عن أبي إسامة مختلف؛ فغلم بهذا أن الجمع ليس من البخاري ولا من شيخه، وأخرجه إسحاق في مسنده (934) من طريق عبدة بن سليمان الكلابي عن عبيد الله بن عمر مجموعاً كذلك؛ فعرّفنا أن جمع الأسانيد من عبيد الله وليس من أبي أسامة. ويبيّنه أكثر رواية ابن خزيمة في صحيحه (424) من طريق عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه: قال عبيد الله: وسمعت القاسم يحدث بذلك عن عائشة رضي الله عنها، قال: وإنما كان بينهما قدر ما ينزل هذا ويصعد هذا.

بل كان حماد بن زيد يرويّه مجموعاً على وجه آخر، وهو ما رواه البخاري (3582): حدثنا مسدد: حدثنا حماد، عن عبد العزيز: عن أنس. وعن يونس، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه قال: أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول الله ﷺ، فبينا هو يخطب يوم جمعة، إذ قام رجل فقال: يا رسول الله هلكت الكراع، هلكت الشاء، فادع الله يسقينا. الحديث. رواه عن مسدد مجموعاً أبو داود في سننه (1174)، وأبو عوانة في مستخرجه (2549) من طريق إبراهيم بن محمد بن عرعة: حدثنا حماد بن زيد، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس، ويونس بن عبيد، عن ثابت، عن أنس بن مالك.⁸

المطلب الثاني: الجمع بين الرواة في طبقة شيوخ البخاري وما قاربها.

وحصرت الكلام على طبقة شيوخ البخاري وما قاربها؛ لأن احتمال أن يكون مصدر الجمع فيها بين الرواة من قبل البخاري أكبر، والنتائج التي تثبت فيها ينبغي أن تثبت في الطبقات الأعلى من باب أولى.

وقد جعلتهم على ثلاثة أقسام: الجمع بين شيوخ البخاري، والجمع بين الرواة فوق طبقة شيوخ البخاري في الطبقة الثانية والثالثة فوق البخاري.

أولاً: الجمع بين شيوخ البخاري:

والجمع بينهم لا يحتمل أن يكون من غير البخاري، وعليه فالبحث حينئذ يكون في سبب جمعه بين شيوخه، وأما لفظ الرواية التي يسوقها؛ فقد استقرأ ذلك ابن حجر وقال: (وقد ظهر بالاستقراء من صنيع البخاري أنه إذا أورد الحديث عن غير واحد؛ فإن اللفظ يكون للأخير، والله أعلم).⁹

ومن أساليب البخاري في الجمع بين شيوخه:

1- الجمع بين الشيوخ بالعطف في سياق واحد:

ومثاله: حديث (211) حدثنا يحيى بن بكير وقتيبة، قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ شرب لبنا، فمضمض، وقال: «إن له دسماً».¹⁰

8- وجمع حماد بن زيد بين عبد العزيز بن صهيب وثابت البناني في حديث (947)، ورواه عن حماد مجموعاً كذلك: يونس بن محمد المؤدب عند أحمد في المسند (12940)، ومحمد بن خدّاش عند النسائي في الكبير (8606)، وإسحاق بن أبي إسرائيل عند أبي يعلى في المسند (3932)، وغيرهم.

وجمع بين أيوب وعبد الحميد صاحب الزبدي وعاصم الأحول في حديث (616) من رواية مسدد عنه، ورواه من طريق مسدد مجموعاً كذلك: السراج في مسنده (1461)، والبيهقي في السنن (1884)، ورواه من طريق حماد مجموعاً أبو نعيم في المستخرج (1564) من طريق سليمان بن حرب عن حماد بن زيد دون ذكر عاصم.

9- فتح الباري (1/436)، ويتأكد هذا من الأحاديث التي يروي فيها الحديث بالإسناد الأول وحده، فيكون لفظه مغايراً للفظ الذي ساقه من قبل.

10- ومن أمثله أيضاً الأحاديث: 26، 468، 597، 711، 1069، 5189.

2- الجمع بين الشيوخ بالعطف بين الأسانيد:

ومثاله: حديث (6937): حدثنا إسحاق بن إبراهيم: أخبرنا وكيع. (ح): حدثنا يحيى: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة: عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ، وقالوا: أينما لم يظلم نفسه؟! فقال رسول الله ﷺ: «ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان: 13]»

ونلاحظ في هذا الحديث أن الاختلاف في شيخ البخاري فقط، ولم يقرن بينهما في سياق واحد¹¹، وأبلغ منه ما يرويه يأسنادين عن شيخين من رواة الموطأ عن الإمام مالك¹².

ثانياً: الجمع بين الرواة في الطبقة الثالثة فوق البخاري:

ويقضي الاحتمال العقلي هنا بأن يكون مصدر الجمع إما من البخاري أو من شيخه أو شيخ شيخه، ومن أمثلتها:

1- حديث (4976، 4977):

- حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا سفيان، عن عاصم وعبدية، عن زر بن حبيش قال: سألت أبي بن كعب عن المعوذتين فقال: سألت رسول الله ﷺ فقال: «قيل لي فقلت». فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ.
- حدثنا علي بن عبد الله: حدثنا سفيان: حدثنا عبد بن أبي لبابة، عن زر بن حبيش. وحدثنا عاصم، عن زر قال: سألت أبي بن كعب: قلت: أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا، فقال أبي: سألت رسول الله ﷺ فقال لي: «قيل لي. فقلت». قال: فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ.

روى سفيان بن عيينة الحديث مرة بقرن راو إلى راو ومرة بقرن سند إلى سند، وهذا من سفيان بن عيينة، وقد رواه مقروناً عنه قتيبة بن سعيد عند النسائي في السنن الكبير (11653): عن قتيبة، عن ابن عيينة، عن عاصم، وعبدية بن أبي لبابة، كلاهما عن زر.

ورواه عن سفيان مقروناً جماعة غير قتيبة بن سعيد، فرواه: الإمام الشافعي كما في السنن المأثورة (94) والإمام أحمد في المسند (21189) والحميدي - كما في التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة (4306) والشعب للبيهقي (4102) عن سفيان بن عيينة، عن عبد بن أبي لبابة، وعاصم ابن بهدلة، عن زر بن حبيش. الحديث.

11- ومثله حديث: 2320.

12- ومثاله الأحاديث: 867، 1566، 7192.

وجاء بسند مجموع دون ذكر المتن عند الدولابي في الكنى (329): حدثنا محمد بن منصور، وابن المقرئ قالا: ثنا سفيان، عن عبدة بن أبي لبابة، عن زر قال: «قلت لأبي بن كعب: يا أبا المنذر». قال: وحدثنا محمد بن منصور قال: ثنا سفيان، عن عاصم بن بهدلة، عن زر قال: سألت أبي بن كعب فقلت: «يا أبا المنذر». وهذا الإسناد يمكن أن يكون لمتن آخر، فقد روي بهذين الإسنادين عدة أحاديث، فإن كان ذلك كذلك فهي قرينة على أن سفيان بن عيينة كان يفعل ذلك في عدة أحاديث

2- حديث (7445):

حدثنا الحميدي: حدثنا سفيان: حدثنا عبد الملك بن أعين، وجامع بن أبي راشد، عن أبي وائل: عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين كاذبة، لقي الله وهو عليه غضبان». قال عبد الله: ثم قرأ رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله جل ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ﴾ الآية [آل عمران: 77].

وعبد الملك بن أعين الكوفي ليس له سوى هذا الموضوع الواحد، وروى الحميدي الحديث هكذا في مسنده (95)، والترمذي (3012) عن ابن أبي عمر عن سفيان، وعليه فالحديث رواه البخاري كما تحمله عن شيخه، ثم يبقى السؤال هل الجمع بين الرواة من الحميدي أو من سفيان؟ ويرجح أنه من قبل ابن عيينة كونه قرن بينهما بهذا الإسناد في عدة أحاديث:

حديث: (ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله)، وكذلك رواه عنه مجموعًا الشافعي كما في السنن المأثورة (386)، وابن أبي عمر العدني في الإيمان (73) وعنه الترمذي (3012) وابن ماجه (1784) وعلي بن المديني في الأموال لابن زنجويه (1358).

وحديث: (يا معشر التجار إن البيع يحضره اللغو والحلف) أخرجه أبو داود (3327): حدثنا الحسن بن علي والحسين بن عيسى البسطامي وحامد بن يحيى وعبد الله بن محمد الزهري، قالوا: حدثنا سفيان، عن جامع بن أبي راشد وعبد الملك بن أعين وعاصم، عن أبي وائل عن قيس بن أبي غرزة رضي الله عنه.

3- حديث (6578):

حدثني عمرو بن محمد: حدثنا هشيم: أخبرنا أبو بشر وعطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: الكوثر: الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: قلت لسعيد: إن أناسا يزعمون أنه نهر في الجنة! فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه.

وعطاء بن السائب الثقفي الكوفي ليس له في الصحيح سوى هذا الموضع المقرون، والحديث رواه عن هُشيم مجموعًا جماعة منهم: سعيد بن منصور في سننه (2537)¹³، ويعقوب بن إبراهيم أخرجه الطبري في التفسير (24/682). وروى البخاري الحديث من طريق أبي بشر جعفر بن أبي وحشية وحده (4966)، وأبو بشر من أثبت الناس في سعيد بن جبير¹⁴ وروايته هنا عنه، وهذا يدل على أن العمدة في الحديث عليه وأن عطاء بن السائب مذكور تبعًا. ويتبين من هذه الأمثلة - وغيرها كثير - أن البخاري رواها كما تحمّلها، وأن مصدر الجمع بين الرواة ممن فوقه.

ثالثًا: الجمع بين الرواة في الطبقة الثانية فوق البخاري:

وهي طبقة شيوخ شيوخه، وينحصر احتمال مصدر الجمع فيها إما أن يكون من قبل البخاري أو شيخه، وقد أخرجت هذه الطبقة عن التي قبلها؛ لأنني استصحب فيها أيضًا النظر إلى حال الرواة المجموعين.

وإذا ما نظرنا إلى رواية الصحيح؛ فإننا نجد فيهم الثقة المحتج به في الصحيح الذي أكثر البخاري من الرواية له على الأفراد من الصحابة والتابعين فمن بعدهم¹⁵، ومنهم من له متابعة أو تعليق ولم يحتج به البخاري على الأفراد ولم يرو له مقرونًا بغيره، ومنهم من ليس له إلا رواية مقرونة.

وإذا ما نظرنا إلى الروايات المجموعة؛ فإننا نجد أنها تجمع تارة بين رواية محتج بهم، وتارة بين راوٍ محتج به وغير محتج به، وتارة بين رواية غير محتج بهم.

فاستصحب حال الرواة المجموعين عند دراسة الروايات المجموعة يعطي عمقًا في دراسة هذه الظاهرة، ومعرفة ما إذا كان حال الرواة المجموعين له أثر في النتيجة أم لا.

أ- ما جُمع فيه بين ثقتين محتج بهما في الصحيح:

1- حديث (461): حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: أخبرنا رَوْح ومحمد بن جعفر، عن شعبة، عن محمد بن زياد: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن عفريتًا من الجن تفلت علي البارحة» الحديث. وشيخ البخاري هو ابن راهويه، والحديث في مسنده مجموعًا كما هنا (89)، فيكون هو من جمع بين الشيوخ، وروى البخاري الحديث كما تحمّله.

13- جاء في المطبوع: «وأنأ أبو بشر وعطاء بن السائب»، ونبه المحقق على أنه كذا في الأصل. وهو تصحيف لا شك فيه.

14- تهذيب التهذيب (1/432).

15- ولا يظهر لي سبب لجمعهم إلا أن يكون روى الحديث كما تحمّله عن شيخه، ويؤيد هذا أنه إذا أراد الجمع بين شيوخين في هذه الطبقة - أو فوقها - لجأ إلى أسلوب الجمع بين الأسانيد، كما تقدم في المثال السابق حديث (1912)، ونظيره حديث (828) رواه البخاري عن يحيى بن بكير عن الليث بن سعد عن خالد بن يزيد السكسكي، ثم عطف يحيى بن كثير قبل المتن: وحدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب ويزيد بن محمد، ثم سابق بقية السند والتمتن. فلو كان البخاري يريد التصرف والاختصار لجمع بين شيوخ الليث الثلاثة، لكنه روى الحديث بإسنادين معطوفين كما رواه عن شيخه يحيى بن بكير، والله تعالى أعلم.

2- الأحاديث التي جمع فيها محمد بن بشار بن شيوخه الثقات، مثل: (267)، (1031) جمع فيهما بين ابن أبي عدي ويحيى بن سعيد القطان. و(3562) جمع بين يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي عن شعبة. و(4589) جمع بين غندر وعبد الرحمن بن مهدي. و(4923) جمع بين عبد الرحمن بن مهدي وغيره [مبهما وهو أبو داود الطيالسي¹⁶].

3- حديث (286): حدثنا أبو نعيم، قال: **حدثنا هشام وشيبان**، عن يحيى، عن أبي سلمة، قال: سألت عائشة: أكان النبي ﷺ يرقد وهو جنب؟ قالت: نعم، ويتوضأ. وهؤلاء قوم ثقات كبار، وسلسلة شيبان وحده عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه رُويت بها أحاديث في الصحيح: (112، 556، 882، 2841، 3216، 3338، 4598، وغيرها).

ب- ما جُمع فيه بين ثقة محتج به وغيره:

1 - حديث (1534): حدثنا الحميدي، **حدثنا الوليد وبشر بن بكر التنيسي**، قال: حدثنا الأوزاعي، قال: حدثني يحيى، قال: حدثني عكرمة: أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إنه سمع عمر رضي الله عنه يقول: سمعت النبي ﷺ بوادي العقيق يقول: «أتاني الليلة آت من ربي فقال: صل في هذا الوادي المبارك وقل: عمرة في حجة».

والوليد هو ابن مسلم الدمشقي، وهو كما قال ابن حجر: ثقة، لكنه كثير التدليس والتسوية.¹⁷

وبشر بن بكر التنيسي، أبو عبد الله البجلي، وهو كمال قال ابن حجر: ثقة يغرب.¹⁸ والحديث هكذا رواه الحميدي مجموعاً في مسنده (19): فيكون الحميدي من جمع بين الشيوخ، وروى البخاري الحديث كما تحمله، وفي انتقائه لهذه الرواية المجموعة أمّن من تدليس الوليد بن مسلم وإرساله، وأمّن من خطأ بشر بن بكر.¹⁹

والدليل على استحضار البخاري لهذه النكتة صنيعة في حديث (707): حدثنا إبراهيم بن موسى، قال: أخبرنا الوليد، قال: حدثنا الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن عبد الله بن أبي قتادة: عن أبيه أبي قتادة، عن النبي ﷺ، قال: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي؛ كراهية أن أشق على أمه». **تابعه بشر بن بكر، وابن المبارك، وبقية، عن الأوزاعي.**

16- رواه أبو نعيم في المستخرج من طريق محمد بن بشار عنهما، ذكره ابن حجر عند شرح الحديث.

17- تقريب التهذيب (ت: 7456).

18- تقريب التهذيب (ت: 677).

19- وللحديث إسناده ثالث من طريق شعيب بن إسحاق عن الأوزاعي (2337).

فأشار إلى من تابع الوليد، ثم أخرج حديث بشر بن بكر وحده في «باب انتظار الناس قيام الإمام العالم»، (868): حدثنا محمد بن مسكين، قال: حدثنا بشر: أخبرنا الأزاعي: حدثني يحيى بن أبي كثير، عن عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري: عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي؛ كراهية أن أشق على أمه».

فهذه الرواية وإن كان ظاهرها أنّ البخاري أخرج لبشر بن بكر على الانفراد إلا أنه بجمع طرق الحديث يتبين أنه أرد الاحتجاج بمجموع الروايتين، وقد علم من تابع بشر بن بكر من الموضع الأول.

2 - رواية حميد بن الأسود البصري، أبو الأسود الكرابيسي.

مختلف فيه، قال ابن حجر: صدوق يهمل قليلا. وقال المزي: روى له البخاري مقرونا بغيره.²⁰ وله في الصحيح حديثان قرن فيهما بيزيد بن زريع، وهو ثقة ثبت، قال عنه أحمد: إليه المنتهى في التثبت بالبصرة. وقد أكثر عنه البخاري في الصحيح.²¹

والحديثان هما:

(3082): حدثنا عبد الله بن أبي الأسود: حدثنا يزيد بن زريع، وحميد بن الأسود، عن حبيب بن الشهيد: عن ابن أبي مليكة: قال ابن الزبير لابن جعفر رضي الله عنهم: أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس؟ قال: نعم، فحملنا وتركك.

(4536): حدثني عبد الله بن أبي الأسود: حدثنا حميد بن الأسود ويزيد بن زريع، قالوا: حدثنا حبيب بن الشهيد، عن ابن أبي مليكة، قال: قال ابن الزبير: قلت لعثمان: هذه الآية التي في البقرة: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا﴾ إلى قوله: ﴿غير إخراج﴾ [آية: 240] قد نسختها الأخرى، فلم تكتبها؟! قال: تدعها يا ابن أخي! لا أغير شيئا منه من مكانه. قال حميد: أو نحو هذا.

ونلاحظ أن الحديتين مرويان بإسناد واحد، ورواية يزيد بن زريع وحده كافية في صحة الحديث، ولا حاجة للبخاري في أن يقرنه بغيره؛ فالظاهر أنه روى الحديث كما تحمله مقرونا، ويؤيد هذا أنه احتج بيزيد بن زريع في الصحيح، وأخرج له الحديث الثاني على الانفراد (4530): حدثني أمية بن بسطام، حدثنا يزيد بن زريع. الحديث.

²⁰- تهذيب الكمال (7/352)، وتقريب التهذيب (ت: 1542).

²¹- تهذيب الكمال (32/124)، الكاشف (2/382)، تقريب التهذيب (ت: 7713).

3- رواية يحيى بن عبد الملك بن حُميد بن أبي غنّة الخزاعي الكوفي.

وقد وثقه جماعة من المحدثين، وقال ابن عدي: وعامة ما يرويه بعضه مما لا يُتابع عليه، وهو ممن يُكتب حديثه.²² وله في الصحيح حديث واحد هو:

(7337): وحدثني إسحاق: أخبرنا عيسى وابن إدريس وابن أبي غنية، عن أبي حيان، عن الشعبي: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت عمر على منبر النبي ﷺ.

وإسحاق هو ابن راهوية، قرّن ابن أبي غنية بعيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي وهو ثقة حافظ²³، وعبد الله بن إدريس الأودي وهو ثقة فقيه عابد أكثر من الحديث.²⁴

وليس ليحيى ابن أبي غنية في الصحيح سوى هذا الموضع، ورواه غير البخاري من طريق إسحاق مجموعًا: ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (5359)، (5388) عن عبد الله بن محمد الأزدي، عن إسحاق بن إبراهيم، به. والبيهقي في السنن الكبير (12540) من طريق أحمد بن سلمة، عن إسحاق بن إبراهيم، به. ورواه البخاري في موضع آخر (4619) عن شيخه إسحاق بن راهويه عن عيسى وابن إدريس وحدهما.

ورواه مسلم في الصحيح (3032) عن إسحاق بن إبراهيم عن عيسى بن يونس وحده.

وهذا يدل على أنّ إسحاق بن راهويه كان يروي الحديث على أنحاء، وأن البخاري روى عنه الحديث كما تحمّله.

وعلى ما سبق؛ فإنّه لا يظهر أثر لحال الرواة المجموعين في كون الرواية وردت في الصحيح مجموعة، وأنّ سبب الجمع إنّما لكون البخاري رواها كما تحمّلها.

22- الكامل (10/554)، تهذيب الكمال (31/446)، هدى الساري ص 452، تقريب التهذيب (ت: 7598).

23- تهذيب الكمال (23/62)، والتقريب (ت: 5341).

24- تهذيب الكمال (14/293)، التقريب (3207).

المطلب الثالث: دراسة روايات مجموعة لرواة ليسوا على شرط الصحيح.

تقدمت الإشارة إلى أهمية مراعاة الطبقة عند دراسة الروايات المجموعة، ونماذج من روايات مجموعة لرواة متفاوتين من حيث الاحتجاج وعدمه، وتعيين من وقع منه الجمع بين الرواة، كما سبق في ثنايا البحث أمثلة لرواة ليس لهم في الصحيح سوى روايات مجموعة، ثبت بالأدلة أو القرائن القوية أنّ البخاري روى أحاديثهم كما تحمّلها وأنّ ذكرهم فيها جاء تبعًا لا قصداً، ولو لم يكن لهم ذكر في الإسناد لما ضرّ الرواية شيئاً.

ولمزيد من الإيضاح والتأكيد أذكر مروياتٍ لعددٍ من الرواة الذين يمكن أن يتطرق إلى مروياتهم شيء من النقد من جهة العدالة أو الاتصال، وقد يتطرق لبعض الباحثين احتمال أن يكون للبخاري قصد خاص في قرنهم بغيرهم، وأبّين أنّ البخاري رواها كما تحمّلها وأنّ ذكرهم جاء تبعًا لا قصداً.

1- سنان بن ربيعة الباهلي، أبو ربيعة البصري

قال فيه ابن معين: ليس بالقوي. وقال أبوحاتم: شيخ مضطرب الحديث. وقال ابن حجر: صدوق فيه لين.²⁵ له حديث واحد في سند مقرون بمحمد بن سيرين والجعد بن دينار الشكري، هو:

حديث (5450): حدثنا الصلت بن محمد: حدثنا حماد بن زيد، عن الجعد أبي عثمان، عن أنس. وعن هشام، عن محمد، عن أنس. وعن سنان أبي ربيعة: عن أنس: أن أم سليم أمه، عمدت إلى مد من شعير جشته، وجعلت منه خفيفة، وعصرت عكة عندها، ثم بعثتني إلى النبي ﷺ فأتيته وهو في أصحابه فدعوته، قال: «ومن معي؟» فجئت فقلت: إنه يقول: ومن معي؟ فخرج إليه أبو طلحة قال: يا رسول الله، إنما هو شيء صنعته أم سليم، فدخل فجاء به، وقال: «أدخل علي عشرة». فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا، ثم قال: «أدخل علي عشرة». فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا، ثم قال: «أدخل علي عشرة». حتى عد أربعين، ثم أكل النبي ﷺ، ثم قام، فجعلت أنظر، هل نقص منها شيء.

التعليق: تابع البخاري على رواية الحديث مجموعاً عن حماد بن زيد: روح بن حاتم، عند البزار في مسنده (6732): حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري وروح بن حاتم، قالا: نا الصلت، به. وعيسى بن شاذان عند الطبراني في الكبير (25/115 ح 285).

فيكون الجمع بين الأسانيد من قبل حماد بن زيد، وروى البخاري الحديث كما تحمّلها عنه، وجاء ذكر سنان تبعاً لذلك، خاصة وأنه ليس له في الصحيح سوى هذا الموضع، ورواية كل من محمد بن سيرين والجعد بن دينار على شرط الصحيح، والله أعلم.

25- الجرح والتعديل (4/252)، التقريب (ت: 2639).

2- عامر بن مصعب

ذكره ابن حبان في الثقات، وسئل عنه يحيى بن معين، فقال شيخ مدني. وقال ابن حجر: لا يُعرف.²⁶

وله في الصحيح موضع واحد مقرون، هو:

(2060): حدثنا أبو عاصم، عن ابن جريج، قال: أخبرني عمرو بن دينار، عن أبي المنهال قال: كنت أٌتجر في الصرف، فسألت زيد بن أرقم رضي الله عنه، فقال: قال النبي ﷺ.

(2061): وحدثني الفضل بن يعقوب: حدثنا الحجاج بن محمد: قال ابن جريج: أخبرني عمرو بن دينار وعامر بن مصعب: أنهما سمعا أبا المنهال يقول: سألت البراء بن عازب وزيد بن أرقم عن الصرف، فقالا: كنا تاجرين على عهد رسول الله ﷺ، فسألنا رسول الله ﷺ عن الصرف، فقال: «إن كان يدا بيد فلا بأس، وإن كان نساء فلا يصلح».

التعليق: الكلام على رواية ابن جريج المجموعة، وقد رواه عنه مجموعًا جماعة؛ فدلّ على أن الجمع بين الرواة منه، والعبرة برواية عمرو بن دينار -وهو الذي قدّمه البخاري في السند الأول وحده- وأما ذكر عامر بن مصعب فجاء تبعًا لرواية الحديث كما تحمله البخاري وليس مقصودًا، والله أعلم.

وممن روى الحديث عن ابن جريج مجموعًا: روح بن عبادة عند أحمد في مسنده (19317، 19276)، وهشام بن يوسف عند أبي خيثمة في التاريخ الكبير (278)، وحجاج بن محمد عند النسائي في السنن الكبير (4576)، وأبو عاصم عند البيهقي في السنن الكبير (10595).

3- عطاء أبو الحسن الشَّوَّائِي

قال ابن حجر: ما وجدت له راويًا إلا الشَّيباني ولم أقف فيه على تعديل ولا تجريح وروايته عندهم عن ابن عباس غير مجزوم بها فيه. وقرأت بخط الذهبي: لا يعرف. وقال في التقريب: مقبول.²⁷

له في الصحيح حديث واحد في التفسير، كرره في موضعين:

حديث (4579): حدثنا محمد بن مقاتل: حدثنا أسباط بن محمد: حدثنا الشَّيباني،

26- الثقات (7/250)، التاريخ الكبير لأبي خيثمة عقب حديث (278)، التقريب (ت: 3110).

27- تهذيب التهذيب (3/111)، وتقريب التهذيب (ت: 4608).

عن عكرمة، عن ابن عباس. قال الشيباني: **وذكره أبو الحسن السوائي**، ولا أظنه ذكره إلا عن ابن عباس: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن﴾ [آية: 19] قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها، وإن شاؤوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك. كثره في (6948): حدثنا حسين بن منصور: حدثنا أسباط بن محمد. به

التعليق: الحديث غريب لا يُعرف إلا بهذا الإسناد، ورواه البخاري عن شيخين عن أسباط على نسق واحد، وهذا يدل على أن أسباط بن محمد رواه هكذا، ويؤيد هذا أنه رواه عن أسباط جماعة مجموعًا هكذا، منهم: أحمد بن منيع عند أبي داود في السنن (2089) والبيهقي في السنن الكبير (13906)، وابن سمرة الأحمسي عند البيهقي في الموضع السابق، وأحمد بن حرب عند النسائي في السنن الكبير (11028)، وأبو بكر بن خلاد عند ابن المنذر في التفسير (1496)، وعمار بن خالد عند ابن أبي حاتم في التفسير (5029).

فروى البخاري الحديث كما رواه غيره وكما تحمّلوه، والعبرة برواية عكرمة، وأما عطاء أبو الحسن السوائي فورد ذكره تبعًا، وهو راوٍ لا يُعرف.

4- القاسم بن عاصم التميمي

ذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر: مقبول.²⁸

روى له البخاري في مواضع، وهو حديث واحد مداره على أيوب السختياني، في قصة طلب الأشعرين من النبي ﷺ أن يحملهم، وفيه: «لست أنا حملتكم، ولكن الله حملكم، وإني والله -إن شاء الله- لا أحلف على يمين، فأرى غيرها خيرا منها، إلا أتيت الذي هو خير، وتحللتها».

والحديث رواه البخاري على أنحاء:

1- أيوب، عن أبي قلابة. قال: **وحدثني القاسم بن عاصم الكلبي** - وأنا لحديث القاسم أحفظ - عن زهدم قال: كنا عند أبي موسى. الخبر.

(3133): حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا حماد، عن أيوب.

2- أيوب، عن أبي قلابة **والقاسم التميمي**، عن زهدم قال: كنا عند أبي موسى. الخبر **(6649):** حدثنا قتيبة، حدثنا عبد الوهاب، عن أيوب.

(7555): حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا عبد الوهاب، عن أيوب.

²⁸ - الثقات (5/303)، التقريب (ت: 5465).

3- أيوب، عن القاسم، عن زهدم قال: كنا عند أبي موسى. الخبر (6721): حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب.

التعليق: يظهر من العرض السابق أنَّ الرواية المجموعة رواها عن أيوب بن أبي تميمة السختياني اثنان: عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي وحماد بن زيد، ورواها البخاري مفردة عن غيرهما، وهذا دليل على أنه روى الحديث كما تحمّله. قال الترمذي في الجامع بعد أن روى الحديث من طريق أبي قلابة وحده (1827): وقد روى أيوب السختياني هذا الحديث أيضًا عن القاسم التميمي وعن أبي قلابة عن زهدم. فنسب الرواية المجموعة إلى أيوب.

وهو عند غير البخاري كذلك مجموعًا ومفردًا كما في الصحيح:

فروى الحديث مجموعًا عن أيوب: **عبد الوهاب الثقفي** عند مسلم (1649) وأبي عوانة في المستخرج (6359)، **وحماد بن زيد** عند مسلم أيضًا (1649) وأحمد في المسند (19638) وابن زنجويه في الأموال (902) وابن حبان كما في الإحسان (5255)، ووهيب بن خالد عند أحمد في المسند (19594) وأبي عوانة في المستخرج (6361)، وسليمان بن حرب في جزء أحاديث أيوب (38) وأبي عوانة في المستخرج (6360).

ورواه مفردًا عن أيوب: **إسماعيل بن علية** عند أحمد في المسند (19590)، ومعمر بن راشد عند أحمد (19592) وأبي عوانة في المستخرج (6363)، وسفيان الثوري عند أحمد (19593).

5- نبهان الجُمحي مولا هم، والد صالح مولى التوأمة

لا يُعرف فيه جرح ولا تعديل، وقال فيه ابن حجر: مقبول.²⁹

ليس له في الصحيح سوى موضع واحد، هو:

(5492): حدثنا يحيى بن سليمان، قال: حدثني ابن وهب: أخبرنا عمرو: أن أبا النضر حدثه، **عن نافع مولى أبي قتادة، وأبي صالح مولى التوأمة:** سمعت أبا قتادة قال: كنت مع النبي ﷺ فيما بين مكة والمدينة وهم محرمون، وأنا رجل جَلَّ على فرس، وكنت رقاء على الجبال، فبينما أنا على ذلك، إذ رأيت الناس متشوفين لشيء، فذهبت أنظر، فإذا هو حمار وحش، فقلت لهم: ما هذا؟ قالوا: لا ندري. قلت: هو حمار وحشي. الخبر.

التعليق: هذا الحديث رواه البخاري من غير طريق صالح مولى التوأمة في عدة مواضع، منها من طريق أبي محمد نافع مولى أبي قتادة وحده (1823، 2914، 5490) ومن طريق عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه وحده (1821، 1822، 1824، 2570، 2854، 4149، 5406)، ولم يروه مقروناً سوى في هذا الوضع، كما أنه ليس لنبهان في الصحيح سوى هذا الموضع، وهذا يدل على أن العمدة في الرواية عن نافع مولى أبي قتادة، وأن ذكر نبهان في الرواية جاء تبعاً لما تحمّله البخاري.

والحديث رواه مجموعاً كما عند البخاري أبو عوانة في المستخرج - كما في إتحاف المهرة (4096) - : ثنا يونس، ثنا ابن وهب، (ح) وثنا أبو إسماعيل الترمذي، ثنا القعني، كلاهما عن مالك، عن أبي النضر، عنه، به. وعن عيسى بن أحمد، ثنا ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، أن أبا النضر حدثه، **عن نافع مولى أبي قتادة، وأبي صالح مولى التوأمة، عن أبي قتادة، به.**

6- ما روي بإبهام الراوي³⁰

يقع من المحدثين إبهام بعض الرواة تارة والتصريح باسمهم تارة أخرى، وممن كثر إبهامه في الكتب عبد الله بن لهيعة حينما يرد مقروناً بغيره، والمقصود هنا أن الراوي كما أنه يجمع بين الرواة فذلك يمكن أن يصحّح بعضهم ويبهم البعض، ولا يُنسب إبهام الراوي إلى أحد بعينه إلا ببيّنة.

ومما ورد على الإبهام في الصحيح:

1- (2267، 2728، 4726) وهي مروية بسند واحد: حدثنا إبراهيم بن موسى: أخبرنا هشام بن يوسف: أن ابن جريج أخبرهم، قال: **أخبرني يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير -يزيد أحدهما على صاحبه، وغيرهما، قال: قد سمعته يحدثه عن سعيد- قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما. في قصة موسى عليه السلام مع الخضر.**

وهذا إسناد البخاري إلى تفسير ابن جريج، وهكذا كان يذكره ابن جريج كما رواه من طريقه عبد الله بن الإمام أحمد في زياداته على المسند (21119).

2- (7268): حدثنا الحميدي: حدثنا سفيان، **عن مسعر وغيره، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: قال رجل من اليهود لعمر: يا أمير المؤمنين، لو أن علينا نزلت هذه الآية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة: 3] لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. فقال عمر: إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية، نزلت يوم عرفة، في يوم جمعة. وهو هكذا على الإبهام في مسند الحميدي (31).**

³⁰ المقصود إبهامهم بعد العلم بهم إعرافاً عنهم، ومن ذلك أن سفيان الثوري كان لا يسمي ليث بن أبي سليم الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 7/178، وأما الإبهام لعدم العلم بهم فأمر آخر.

الخاتمة:

الرواة الذين وردت رواياتهم مجموعة في صحيح البخاري كثيرون بدءا من طبقة الصحابة رضي الله عنهم وانتهاء بطبقة شيوخ البخاري، وقد تتبعنا كثيرا منها، وأثبت في هذه الدراسة ما اتسع له المقام، ومن جملة ذلك يمكن أن أسجل عدداً من النتائج:

1 - الجمع بين الرواة في طبقة شيوخ البخاري واقع من قبل البخاري، ولا يتطرق إليه احتمال أن يكون من غيره؛ سواء كان الجمع على طريقة القرن بين الشيوخ أو بين الأسانيد.

2 - الجمع بين الرواة في الطبقات العليا كطبقة الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، وشيوخ المشهورين بالرواية؛ يرويه البخاري كما تحمله، ولا يحتمل أن يكون من قبل البخاري لا نظراً ولا تخريجاً.

3 - كلما علت الطبقة كان احتمال أن يقع الجمع بين الرواة من قبل البخاري أضعف، والأصل فيه عندي أن البخاري يروي الحديث كما تحمله.

4 - الأساس في تعيين مصدر الجمع بين الرواة تخريج الحديث، وكلما كان الجمع بين الرواة في طبقة متأخرة كان الكشف عنه أصعب؛ لشبه طريقة الكشف عنه بطريقة الاستخراج على الأحاديث.

5 - على من يبحث في الجمع بين الرواة والأسانيد في صحيح البخاري أن يقدم البحث عن مصدر الجمع، فإن وقع من غير البخاري؛ فالبحث في سبب انتقاء البخاري للرواية المجموعة، وإن كان منه؛ فالبحث في سبب جمعه بينهم.

6 - من الرواة من ليس له في الصحيح إلا رواية ذكر فيها مقروناً تبعاً لرواية البخاري للحديث كما تحمله، وهؤلاء يغني إثبات ذلك عن تكلف البحث في سبب تخريج البخاري لهم مقرونين، وأرى أن يُفرد هؤلاء بطبقة (من وردت لهم روايات في الصحيح تبعاً لا قصداً)، ثم يفضل القول فيهم حسب أحوالهم جرئاً وتعديلاً.

والله تعالى أعلم، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



المحور الثالث

نفائس النسخ الخطية للجامع الصحيح
في الخزائن العالمية



نسخة مكتبة بلدية الإسكندرية من مخطوط «الجامع الصحيح» للإمام البخاري - (دراسة وصفية كوديكولوجية)

إعداد

د. أحمد عطية

كبير الباحثين بمركز المخطوطات
مكتبة الإسكندرية



تقديم:

يدرس علم الكوديكولوجيا الكتاب المخطوط باعتباره كيانًا ماديًا، حيث يهتم بدراسة أوراق المخطوط وكراساته، والزخارف الموجودة عليه، والأحبار أو الأمددة التي كُتِبَ بها النص، وخوارجه النصية، وتجليده...إلى غير ذلك من مفردات الدراسة الكوديكولوجية.

وتنبع أهمية هذه الدراسة في أنها تمدنا بمعلومات مهمة عن قضايا ترتبط بالكتاب المخطوط موطن الدراسة، فدراسة الأوراق يمكن أن نعرف من خلالها نوع الورق الذي تكون منه الكتاب هل ورق شرقي أم ورق غربي، وعلامات كل نوع من هذه الأنواع، ومن ثمَّ إذا كان المخطوط كُتِبَ على ورق مشرقى بخصائصه المعروفة على سبيل المثال - ووجود ورقة خطية تحمل علامة مائية وسط هذا المجموع، والعلامات المائية من السمات المميزة للورق الغربي، تصبح هذه الورقة مدعاة للشك من قبيل المشتغل على النص المخطوط، خاصة من زاوية علم التحقيق، الأمر الذي يتطلب منه الوعي بالنص في هذا الموطن بالذات الذي اختلف فيه نوع الورق في الكتاب المخطوط.

وكذلك دراسة كراسات المخطوط، وهي من أهم مفردات علم الكوديكولوجيا يمكن من خلالها التعرف على الأوراق الزائدة أو الناقصة في المتن المخطوط، فمن المعلوم أنَّه في صناعة الكتاب المخطوط يلتزم صانع الكراسات نمطًا واحدًا في كل الكراسات المكونة للكتاب، فالكتاب يتكون مثلًا من عشرين كراسة، واختار الناسخ أن تكون الكراسات خماسية (كل كراسة عشرة أوراق) هنا سنجد أنَّ كلَّ الكراسات العشرين -في الأغلب- خماسية، وهذا مسلك معلوم ومعروف عند المهتمين بدراسة الكتاب العربي المخطوط، ومن ثمَّ فأَيُّ شذوذ أو خلل في أحد الكراسات يمكن أن يعكس خللاً في النص المخطوط بالزيادة أو النقص، فمثلًا إذا كُتِبَ أمام

مخطوط رباعي الكراسات (كل كراسات ثماني ورقات) فوجود كراس خماسي وسط هذه الكراسات مدعاة للشك بالزيادة، والأمر نفسه يرتبط بوجود كراس ثلاثي وسط مخطوط جميع كراسات رباعية مدعاة للشك بالنقص، فقد تكون إحدى الأوراق هذا الكراس قد نُزعت عن قصد في الأغلب.

والخطورة في هذا الموطن أنَّ المشتغل على النص المخطوط، أي نص مخطوط فضلاً عن كونه كتاب الجامع الصحيح- ربما لا يلتفت إلى مثل هذه الزيادات التي تصيب بعض الكراسات أو النقص في بعضها الآخر، ويعتمد فقط على الترقيم الذي ربما يكون قد وضع على المخطوط حديثاً. ومن ثمَّ يتعامل مع الأوراق الزائدة وكأنها تمثل امتداداً طبيعياً للمتن، ولا يلتفت إلى النقص الذي يعتور بعض النسخ الخطية.

صحيح أنَّ إجراء المقابلة بين النسخ الخطية، وهو من أهم إجراءات علم التحقيق يعد أحد الضمانات المهمة لمسألة الزيادة أو النقص، ولكن ما الحل إذا دار التحقيق مثلاً على نسخة فريدة؟ أو على نسختين فقط دون القدرة على تحديد النسخة الأم؟ أو على أكثر من نسخة مثَّلت النسخة التي بها الزيادة أدق هذه النسخة؟

إنَّ علم الكوديكولوجيا في هذا الموطن يقدم إضاءات مهمة ومعلومات دقيقة يمكن بناء تصورات مهمة من خلالها حول النسخة موطن الدراسة.

كذلك يدرس علم الكوديكولوجيا الأخبار والأمدة، والزخارف، والخوارج النصية من تملكات وقراءات وأوقاف وإجازات...إلى غير ذلك من خوارج النص، والتي تحمل -في الأغلب- بيانات مهمة عن النسخة موطن الدراسة.

غاية الأمر إنَّ هذه الدراسة البحثية تهدف إلى دراسة نسخة بلدية الإسكندرية من مخطوط «الجامع الصحيح» للإمام البخاري دراسة كوديكولوجية، وبيان ما يمكن أن تقدمه هذه الدراسة من معطيات مهمة وخطيرة في الوقت نفسه تخص هذه النسخة الخطية من كتاب «الجامع الصحيح»، والتي تقع في مكتبة بلدية الإسكندرية تحت رقم (3693ج/حديث)، وتقع في خمسة عشر جزءاً (تنقص الجزء الحادي عشر فقط) بمجموع عدد أوراق (1983 ورقة مخطوطة)، وهو مجموع ضخم، وقد نُسخَتْ هذه النسخة المخطوطة من الجامع الصحيح في بدايات القرن التاسع الهجري، نسخها يوسف بن محمد في صالحية دمشق.

ولكن لما كانت حدود البحث ليست من السعة لاستيعاب دراسة كل هذه الأجزاء الأربعة عشر دراسة كوديكولوجية، فقد اخترت الأجزاء الثلاثة الأولى فقط واعتبرتها أنموذجاً لتطبيق الدرس الكوديكولوجي على كتاب «الجامع الصحيح» للإمام البخاري.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة في بيان الدور الذي يمكن أن يسهم به علم كوديكولوجيا المخطوط العربي في خدمة نسخة بلدية الإسكندرية من كتاب «الجامع الصحيح»، حيث ينبه المشتغل على النص إلى مواطن مهمة من الكتاب المخطوط باعتباره كياناً مادياً، ليكون على وعي بالنص في هذه المواطن التي تعد مضطربة من قبل علم الكوديكولوجيا، سواء بزيادة الأوراق أو نقصها، أو اختلاف نوع الورق من حيث كونه ورقاً شرقياً أو غربياً.

إشكالية الدراسة:

تتمثل إشكالية هذه الدراسة في السؤالين التاليين:

السؤال الأول: هل يمكن أن يساعدنا علم الكوديكولوجيا في تقديم بعض البيانات أو المعطيات التي ترتبط بالكتاب المخطوط باعتباره كياناً مادياً؟

السؤال الثاني: ما مدى دقة هذه المعطيات التي يقدمها علم الكوديكولوجيا في دراسته للمخطوط العربي؟

محاور الدراسة:

- **المحور الأول:** دراسة كراسات مخطوط «الجامع الصحيح» نسخة مكتبة بلدية الإسكندرية.
- **المحور الثاني:** دراسة أوراق مخطوط «الجامع الصحيح» نسخة بلدية الإسكندرية
- **المحور الثالث:** دراسة الأخبار والأمدة في مخطوط «الجامع الصحيح» نسخة بلدية الإسكندرية
- **المحور الرابع:** دراسة عنصر التجليد لمخطوط «الجامع الصحيح» نسخة بلدية الإسكندرية
- **المحور الخامس:** دراسة خوارج النص في مخطوط «الجامع الصحيح» نسخة بلدية الإسكندرية

المحور الأول: دراسة كراسات مخطوط «الجامع الصحيح» نسخة مكتبة بلدية الإسكندرية

إنَّ الغرض من دراسة كراسات نسخة مخطوط «الجامع الصحيح» يتمثل فيما يلي:

أولاً: معرفة نمط الكراسات.

ثانياً: معرفة طريقة تكوين أوراق الكراسات، هل تمَّ من خلال القطع أم من خلال الطي.

وفما يلي بيان ذلك:

أولاً: معرفة نمط الكراسات:

إنَّ المقصود بنمط الكراسات، وهو تحديد نوع الكراس انطلاً من عدد أوراقه، حيث تتنوع الكراسات بين كراسات ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية، وكراسات سداسية في بعض الأحيان.

ومعرفة هذا النمط أو نوع الكراس، أو عدد الأوراق التي يتكون منها كل كراس مهم للغاية، لأنَّ الناسخ في الغالب ما يسلك منهجاً واحداً في عدد أوراق كراسات على طول المخطوط كله، فإذا اختار نمط الكراس الرباعي على سبيل المثال، فإنَّ كل كراسات المخطوط ستكون رباعية، أي مكونة من ثماني ورقات، ومن ثمَّ يمكن من إدراك الخلل داخل المتن بالزيادة أو النقص. وذلك عدا الكراس الأول والأخير فإنَّ الناسخ له الحق في التصرف بعض الشيء فيهما، لارتباطهما بتفاصيل العنوان واسم المؤلف، ومقدمة المخطوط، وخاتمة المخطوط التي قد يصل إليها الناسخ قبل استكمال بقية أوراق الكراس، فيضطر لإزالة الأوراق الباقية، فلا حاجة هنا لبقائها.

ويرى فرانسوا ديروش: «أنَّ صيغ الكراسات الخماسية، هي الصيغ الأكثر شيوعاً في المخطوطات العربية الإسلامية»¹.

غاية الأمر إنَّ دراسة كراسات المخطوط مهم للغاية القصوى، فعلى المشتغل على النص المخطوط، خاصة من زاوية علم التحقيق الذي يفرز منجزاً نهائياً يعبر عن مراد مؤلفه، ويقدمه المحقق للقراء في حالة من التسليم التام أنه كلام المؤلف، عليه أن يتفقد كراسات النسخة الخطية أو النسخ الخطية موطن التحقيق قبل الشروع في تحقيق النص، حيث ستتضح أمامه قضايا مهمة كان من الممكن ألا يتنبه إليها إذا أغفل هذا الجانب الكوديولوجي المهم.

¹ - المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، لفرانسوا ديروش، تعريب أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1426هـ، 2005م: ص150.

كذلك تتضح قيمة دراسة كراسات المخطوط عند تناول نصوص مهمة دارت حولها إشكاليات كبرى كما هو الحال في كتاب «الجامع الصحيح» للإمام البخاري، فأبي خلل في نمط كراس من الكراسات، كأن يكون الكتاب المخطوط ينتمي إلى نمط الكراسات الثلاثية (كل كراس ست ورقات) -على سبيل المثال- فوجود كراس رباعي أو خماسي هنا ينبغي على المحقق أن يكون حذرًا عند تعامله مع هذا الكراس، فمن الممكن أن تكون ثمة ورقة أو ورقتان قد أضيفت إلى هذا الكراس، بطريقة احترافية غالبًا، وكُتب عليها بخط مقارب لخط المخطوط كلاً ما ليس من صحيح البخاري، والخطورة أنه يتم تناول هذا الكلام وتداوله في التحقيقات المختلفة أن هذا من كلام البخاري، وهو منه براء، وهنا تتضح قيمة دراسة المدخل الكوديولوجي لكتب التراث العربي المخطوط.

على كل حال فإنّ الأجزاء الثلاثة الأولى التي تفقدتها من كتاب «الجامع الصحيح للإمام البخاري»، والتي تمثّل أنموذجاً لهذه الدراسة، تنتمي إلى نمط الكراسات الخماسية، أي إنّ كل كراس يضم عشرة أوراق.

ويضم كل جزء من هذه الأجزاء الثلاثة أربعة عشر كراساً، وهذه نتيجة مهمة في البداية، ولكن ثمة اضطراب أصاب بناء الكراسات في هذه الأجزاء الثلاثة نبينه فيما يلي:

أولاً: يتكون الكراس الأول من ثماني ورقات فقط، أي خالف نمط كراسات المخطوط، ولولا أنه هو الكراس الأول لكان موطن شك، والورقة الأولى من هذا الكراس مضافة إلى أوراق المخطوط، ودليل إضافتها أمران: (العقب بعد التاسعة - طريقة تكوين الأوراق)

الأمر الأول: العقب الذي ظهر بعد الكراسة الأولى، ومعنى العقب أنّ الناسخ أراد إضافة ورقة إلى المتن فصنع لها حافة جانبية زائدة مررها من تحت الخيط الذي يجمع أوراق الكراس الأول²، وذلك لضمان ثبوتها بين أوراق الكراس، وهذا العقب واضح بعد نهاية الكراس، وهو يدل على أنّ ثمة ورقة زائدة من المخطوط في هذا الموطن. وهذه صورة هذا العقب

²- انظر في تعريف العقب: تقاليد المخطوط العربي، آدم جاسك، ترجمة د. مراد تدغوت، معهد المخطوطات العربية، 2010: ص216.



الورقة الأخيرة من الكراس الأول من الجزء الأول من صحيح البخاري (يظهر بها العقب)

إنَّ وجود العقب بين الكراستين هو دليل على أنَّ ثمة ورقة مضافة إلى الكراس الأول، ولهذه الورقة المضافة خطورتها في العموم، فقد يتفنن ناسخها في كتابتها بخط يقارب في الكثير منه خط المتن الأصلي، بحيث لا يستطيع الناظر إليها -من حيث الخط- التفريق بينها وبين خط المخطوط الأصلي، وقد تحمل في هذه الحالة نصوصًا مضافة إلى المتن المخطوط لم يقصدها مؤلفه، ولا تنتمي إليه بأي شكل من الأشكال، وهنا مكمّن الخطورة.

وفي حالة مخطوط صحيح البخاري فإنَّ هذه الورقة الأولى من الجزء الأول مشهورة معروفة، ومن ثمَّ لا يمكن الشك فيها، ولكنها عُرضة للشك في غير صحيح البخاري.

الأمر الثاني: هذه الورقة تقل في حجمها عن بقية أوراق المخطوط، كما أنها تعرضت للترميم بشكل سيء أخل بأجزاء مهمة من النص.



الورقة الأولى من الجزء الأول من صحيح البخاري

ثانيًا: خالفت بعض الكراسات في الأجزاء الثلاثة البناء المعهود لبقية كراسات المخطوط، فالمخطوط ينتمي إلى نمط الكراسات الخماسية، أي إن كل كراس يتكون من عشرة أوراق، وجاء ترتيب هذه الأوراق العشرة هكذا:

الورقة الأولى: ورق مقوى فاتح اللون- الورقة الثانية ورق ضعيف داكن اللون- الورقة الثالثة فاتح اللون- الورقة الرابعة داكن اللون- الورقة الخامسة ثم السادسة فاتح اللون، السابعة داكن اللون- الثامنة ورق مقوى فاتح اللون- التاسعة داكن اللون- العاشرة فاتح اللون.

ويمكن التمثيل لهذا الترتيب بهذا الرسم التوضيحي: بحيث (ف) تشير إلى الأوراق فاتحة اللون، و (د) تشير إلى الأوراق داكنة اللون. **ف-د-ف-د-ف-د-ف-د-ف-د-ف**

هذا هو الترتيب المعهود للأوراق داخل كل كراس من الكراسات على طول الأجزاء الثلاثة من المخطوط، وهذا الترتيب مهم للغاية، فأى خلل في هذا الترتيب يثير حالة من الشك في المتن، وهو شك محمود، حيث ينبه المشتغل على المتن أو المعالج له أن ترتيب الأوراق اختلف هنا لابد من التأكيد على اتصال النص موطن التحقيق، ومن سبل التأكيد على صحة المتن المقارنة مع نسخ أخرى في برنامج التحقيق، والاعتماد على بعض العوامل الناشئة من داخل النسخة في حالة النسخة الفريدة، كالتعقيب على سبيل المثال.

لقد بنى الناسخ كراسات على نمط الكراسات الخماسية، أي عشرة أوراق، ولكنه جاء في الكراس بست ورقات بيضاء فاتحة اللون من ورق مقوى، ثم أضاف إليها أربع ورقات داكنة اللون من ورق ضعيف، وهذا ترتيب عجيب في هذه النسخة الخطية³.



نموذج لورقة داكنة اللون من الكراس الأول



نموذج لورقة فاتحة اللون من الكراس الأول

ولكن اختلَّ هذا الترتيب في بعض الكراسات داخل الأجزاء الثلاثة هكذا:

1- الكراس الأول من الجزء الأول جاء في ثماني ورقات فقط، واختلَّ ترتيبه، فمن المعهود أن تكون الورقة الثانية في مقابل التاسعة داكنة اللون، والرابعة في مقابل السابعة داكنة اللون، (فكلا الورقتين فرخ واحد من قطع النصف على الأرجح)، ولكن في الكراس الأول حملت الورقة الخامسة اللون الداكن هكذا:



³- هذا غير الكراسات المختلطة التي تحدث عنها فرانسوا ديروش في: المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي: ص143.

وذلك في مقابل الورقة السابعة، وهذا خطأ، فمن الصواب أن تحمل هذه الورقة رقم (4) وليس رقم (5)، ووضعها بهذا الترتيب وهذه الهيئة عرضة للشك، لأنها خالفة البناء المعهود لكراسات المخطوط، ولعل سبب هذا الخلل في ترتيب أوراق الكراس الأول هو هذه الورقة المضافة والتي حملت رقم (1).



2- الكراس الأخير من الجزء الأول حدث فيه أمرٌ غريب في ترتيب الأوراق، فقد خالفت أوراق هذا الكراس النمط المعهود في ترتيب أوراق كراسات المخطوط المختلفة، فقد جاءت الأوراق الثانية والرابعة والتاسعة فقط بلون داكن، وجاءت الورقة السابعة بورق على الهيئة نفسها لبقية أوراق المخطوط، وهذا غريب، فالورقتان الثانية والتاسعة من فرخ واحد تمّ تمرير الخيط في منتصفه، والورقتان الرابعة والسابعة من فرخ واحد تم طيه من المنتصف بعد القطع، فلماذا خالفت الورقة السابعة إذن؟! هنا موطن شكٍ قوي، وعلى المشتغل على النص خاصة من زاوية علم التحقيق أن يكون على وعي باتصال المتن.

وليس هناك تفسير لهذه الظاهرة إلا أن الناسخ جاء بورقة واحدة من الأوراق الداكنة (نصف فرخ) وأضافها وسط الكراس في موطنها المعهود، وصنع لها عقبا، والأمر نفسه مع الورقة السابعة التي اتفقت مع بقية أوراق الكراس من حيث لونها الفاتح، ولكن يبدو أن الترميم الذي تعرّض له المخطوط قد ازاح هذه الأعقاب المهمة، وهذا خطر من أخطار الترميم في العصر الحديث.

والإشكالية الخطيرة هنا أننا أمام ورقتين أضيفتا إلى الكراس الأخير من الجزء الأول فعلاً، فمن غير المعقول أن يأتي ترتيب الأوراق بهذا الشكل، هنا خطأ حقيقي في بناء أوراق الكراس، وهنا مكنم الخطورة.

3- الكراس الأول من الجزء الثاني كراس رباعي، أي ثماني ورقات فقط، وهذا خلل في بناء هذا الكراس، فبقية الكراسات خماسية، فلماذا جاء هذا الكراس رباعياً وسط مخطوط كراسات خماسية؟!

نحن هنا أمام عدد من المرجحات الخطيرة، فمن المحتمل أن يكون هذا الكراس قد تعرّض لقطع ورقة من منتصفه، فلا بد من مراجعة النص بشكل صحيح للتأكد من عدم وجود سقط داخل المتن ناتج عن قطع بعض أوراق الكراس. وربما يكون الناسخ قد ارتضى هذا الترتيب.

وقد امتدَّ هذا الخلل في بناء أوراق كراسات المخطوط إلى الكراس الأخير من الجزء الثاني، والكراس الأول من الجزء الثالث، ولن تطبق حدود هذا البحث تفصيل القول في هذا الاختلاف.

غاية الأمر إن الكراسات التي أصابها الخلل في ترتيب أوراقها في هذه الأجزاء الثلاثة تتمثل فيما يلي: ك1/1ج- ك14/1ج- ك2/1ج- ك14/2ج- ك1/3ج.

وقد شغل هذا الخلل والاضطراب مساحة من هذه الكراسات ما جعلها مدعاة للشك، أو هكذا ينبغي أن تكون بالنسبة للمشتغل على نص صحيح البخاري، خاصة من زاوية علم التحقيق.

وهنا نقطة مهمة ينبغي أن نشير إليها، وهي تتمثل في أنَّ علم كوديكولوجيا المخطوط العربي في اشتغاله على النص المخطوط لا يفرض اضطراباً في النص، ولكن ينبه المشتغل على النص بمواطن من الكتاب المخطوط اختل فيها البناء العام للكتاب باعتباره كياناً مادياً، قد يكون هذا الاضطراب ناتج عن خلل في ترتيب كراسات المخطوط، أو في نوع الورق الذي يعد حاملاً للنص المخطوط، أو في الحبر أو المداد الذي كُتب به النص المخطوط... هنا في هذه المواطن ينبغي على المحقق أن يكون واعياً بالنص المخطوط، مدرّكاً لاتصاله، منتبهاً لما يمكن أن يعتوره من زيادة أو نقص، وهذا هو الدور المهم الذي يساهم به علم كوديكولوجيا المخطوط العربي في تناوله الكتب المخطوطة بالدراسة.

ثانياً: طريقة إعداد أوراق الكراسات (القطع - الطيّ)

تُسهم دراسة كراسات المخطوط كذلك في بيان الطريقة التي تمَّ بها إعداد أوراق كراسات المخطوط، وهذه مهمة للغاية في معرفة الأوراق الأصلية في الكتاب المخطوط من الأوراق المزيفة، أو الأوراق المضافة.

ونحن - في الحقيقة - أمام طريقتين من طرق إعداد كراسات المخطوط؛ الطريقة الأولى: تكوين أوراق الكراسات من خلال القطع، وتتمثل هذه الطريقة في أن صانع الكتاب أو صانع الكراسات يعتمد إلى الفرخ، فيقطعه بالحجم المناسب للكتابة، ويصنع منه أوراقاً منفصلة بقطع النصف أو الربع أو الثمن -على سبيل المثال- ثم بعد ذلك يجمع هذه الأوراق ويصنع منه كراساً عن طريق طيّها من المنتصف الذي يمثل موطناً لمرور الخيط خلاله.

الطريقة الثانية: تكوين كراسات المخطوط من خلال الطي، والمقصود بالطي هنا طي الفرخ كاملاً، ثم القطع في غير مواطن الطي، وهي طريقة مستعملة في تكوين أوراق الكراسات الرقية، أي المصنوعة من الرّق⁴.

4- انظر في تفصيل كراسات المخطوط وكيفية إعدادها: مدخل إلى علم المخطوط، جاك لومير، ترجمة مصطفى طوبى، الخزنة الحسينية، ط1، 1427 هـ - 2006 م؛ ص81.

وبالنسبة لمخطوط «الجامع الصحيح» فقد تكونت أوراقه من خلال القطع، أي تم قطع الأوراق بحجم قطع النصف في الغالب، ثم جمعها وطبها من المنتصف الذي يمر خلاله الخيط الذي يجمع كل أوراق الكراس. ودليل ذلك أمران: الأمر الأول: ظهور آثار القطع على حواف الأوراق، وهي آثار ناتجة عن حركة السكين عبر فرخ الورق لتقطيعه هكذا:



فآثار قطع السكين واضحة على حواف هذه الورقة، وهي مبينة للطريقة التي تكونت بها أوراق كراسات هذا الكتاب المخطوط.

الأمر الثاني: مرور الخيط في منتصف الأوراق

ومعنى هذا أنّ صانع الكراسات قد قَطَعَ أوراقه إلى القطع المطلوب ثم جمعها وطواها من منتصفها، ومرّر الخيط خلالها، وهذه طريقة معروفة ومعهودة في تكوين أوراق كراسات المخطوطات التي تعتمد على طريقة القطع.



ورقة من الكراس السابع من الجزء الثاني يظهر بها أثر مرور الخيط في منتصف الكراس

إنَّ معرفة الطريقة التي تكونت بها أوراق كراسات المخطوط بين القطع أو الطيّ مفيد جدًا أثناء العمل على النص وتحقيقه، فاختلاف هذه الآلية بين الأوراق يدل على أنَّ ثمة اضطرابًا أصاب بنية الكتاب المادية في هذا الموطن، وليس بالضرورة أن ينسحب هذا الاضطراب على البنية المعرفية للنص، ولكن ينبغي على المحقق أن يكون واعيًا بهذا الاختلاف ليكون حذرًا في تعامله مع النص المخطوط في هذه المواطن بالذات، وهي المواطن التي عانت من مثل هذا الاضطراب.

فلو فرضنا على سبيل المثال أنَّ الجزء الأول من المخطوط تكونت أوراق كراساته من خلال القطع، ثم جاءت ورقة داخل كراس ما بهيئة لم يظهر عليها أثر القطع، وإنما مستوية الحواف بشكل كبير، هنا ينبغي أن تكون هذه الورقة موضع شك من المشتغل على النص المخطوط، وهذا يفرض عليه أن يكون منتهيا للمتن في هذه الورقة، وفي حالة وصوله إلى اختلاف المتن عن بقية النسخ الأخرى يكون لديه من المرجحات ما يثبت من خلاله عدم انتماء هذه الورقة إلى هذا الكراس، وهي مرجحات قوية لارتباطها بأمور مادية، وليست قائمة على أشياء ظنية.

وبالنسبة لكتاب «الجامع الصحيح» الذي تكونت أوراق كراسات من خلال القطع وليس الطيّ كما بينّا، وهي كراسات خماسية (10 أوراق) لاحظت أثناء دراسة كراسات الأجزاء الثلاثة الأولى أنّ أول ورقة من الكراس الخامس من الجزء الثاني من كتاب الجامع الصحيح اختلف حجم الورقة عن بقية أوراق المخطوط، وهو ما يجعلها عرضة للشك هكذا:



الورقة الأولى من الكراس الخامس من الجزء الثاني وقد اختلف فيها القطع

غاية الأمر إنّ معرفة الآلية التي تكونت بها أوراق كراسات المخطوط، سواء من حيث القطع أو الطيّ أمر مهم للغاية، حيث يقدم عدة معطيات مهمة للمشتغل على النص المخطوط، ويجعله حذراً في بعض المواطن في تعامله مع النص الذي ينتمي لنسخة خطية ظهر فيها هذا الأمر.

المحور الثاني: دراسة أوراق مخطوط «الجامع الصحيح» نسخة بلدية الإسكندرية

تهتم الدراسة الكوديكولوجية بأوراق المخطوطات، حيث ترصد بيانات دقيقة عن نوع الورق من حيث كونه ورقًا شرقيًا أو ورقًا غربيًا، فالورق الشرقي له علامات تختلف عن الورق الغربي، ومعرفة نوع الورق، وما يظهر عليه من علامات مهم جدًا في التأريخ للنص المخطوط في حالة أعوزتنا تواريخ النسخ، وهي كثير ما تعوزنا، ولم تقدم لنا خوارج النص أي معطيات يمكن الاعتماد عليها في معرفة التاريخ التقريبي لهذه النسخة الخطية.

إنَّ المشتغل على النص ضمن برنامج تحقيقه مُطالب بمعرفة تاريخ كل نسخة من النسخ الخطية التي سيعتمد عليه في تحقيق النص المخطوط، وهو أمر يساعده في ترتيب منازل هذه النسخ الخطية ليختار من بينها أقرب نسخة إلى زمن مؤلفها، فهي -في الأغلب- تحمل نصًا قريبًا من مراد مؤلفه، ولكن قد يحدث أحيانًا غياب كافة الآليات التي يمكن من خلالها التأريخ لنسخة ما (غياب تاريخ النسخ- غياب خوارج النص....) هنا من الممكن أن يلجأ المحقق إلى الدراسة الكوديكولوجية التي تساعده في معرفة العمر التقريبي لأوراق هذا المخطوط، وهذا أمر مهم للغاية، وهو يتمثل في التأريخ للنص اعتمادًا على الدرس الكوديكولوجي.

وبالنسبة لمخطوط «الجامع الصحيح للإمام البخاري» نسخة مكتبة بلدية الإسكندرية فإنَّ دراسة أوراق هذا المخطوط بينت أنَّ الورق المستعمل في تكوين كراسات المخطوط هو ورق شرقي في مقابل الورق الغربي الذي تظهر فيه العلامات المائية.

ومن أهم ما يميز هذا النوع من الورق الشرقي وجود بقايا الألياف النباتية الناتجة عن قالب صب الأوراق، أو صناعة أوراق المخطوط، إضافة إلى غياب العلامات المائية عن هذا الورق⁵.

5- انظر في تفصيل صناعة الورق في التراث العربي وخصائص الورق الشرقي: الورق وتاريخ صناعته في الحضارة العربية الإسلامية، أسامة ناصر النقشبندي، كتاب بحوث ودراسات مهداة إلى إيرج أفشار، تحرير إبراهيم شيوخ وفرانسوا ديروش، مؤسسة الفرقان، لندن.



ورقة من الجزء الأول يظهر بها بقايا الألياف النباتية

إن وجود ورقة تحمل علامة مائية -على سبيل المثال- وسط أوراق مخطوط تنتمي إلى الورق الشرقي لهو مدعاة للشك من قبل المشتغل على النص، إذ من الطبيعي، أو من المعهود أن تكون كل أوراق الكتاب المخطوط من جنس واحد، فوجود ورقة مخالفة يعطي مؤشراً قوياً أنّ هذه الورقة مضافة إلى المخطوط وليست من جنس أوراقه، وعليه يجب الانتباه للنص جيداً في مثل هذه المواطن.

وتوجد في الحقيقة طرق كثيرة للتأكد من أنّ ورقة ما تنتمي للمخطوط من عدمه، ويأتي على رأسها رصد الخطوط الممددة والمسلسلة لهذه الورقة الخطية من خلال تعريضها للضوء، والمقصود بالخطوط الممددة والمسلسلة هي آثار الأسلاك الموجودة في قالب صب الورق، فكل قالب له هيئة في ترتيب أسلاكه، وغالباً ما تتفق مجموعة خطية ما تم صنع أوراقها بالقالب نفسه في خطوطها الممددة والمسلسلة، ولكن مناقشة هذا الأمر يحتاج إلى مساحة أوسع لا تطيقها حدود هذا البحث.

غاية الأمر إنّ دراسة أوراق مخطوط الجامع الصحيح للإمام البخاري في أجزائه الثلاثة التي جرت مجرى النموذج لتطبيق الدرس الكوديكولوجي والاستفادة منه في دراسة كتاب الجامع الصحيح، أثبتت هذه الدراسة أنّ أوراق مخطوط الجامع الصحيح تنتمي إلى الورق الشرقي، فمعظم صفات الورق الشرقي متوفرة فيه، والتي يأتي على رأسها ظهور بقايا الألياف النباتية على سطح الورقة.

وكشف الدراسة أيضًا أنَّ المخطوط كُتب على نوعين من الورق، ورق مقوى فاتح اللون، وورق ضعيف داكن اللون، وأنَّ كل كراس يحتوي على عشرة أوراق (كراس خماسي) وجاء ترتيب أوراق الكراس بنسق معين بيناه من قبل، بحيث يشمل كل كراس ست ورقات من الورق فاتح اللون، وأربع ورقات من الورق داكن اللون، وأي خلل في هذا الترتيب بالزيادة أو النقص يجعل الكراس عُرضة للشك من قِبَل المشتغل على النص المخطوط.

وقد تعرَّض الورق الضعيف الداكن اللون بمرور الزمن للأرضة والرطوبة الزائدة مما جعله عُرضة للتلف، وهذا خطر كبير، خاصة وأنَّ الحبر الذي كُتب به المخطوط ينتمي إلى نوع الحبر الحديدي الذي له أثره القوي على الأوراق كما سنبينه فيما بعد بحول الله تعالى.



ورقة من الكراس الثامن من الجزء الأول يظهر بها الورق داكن اللون وما أصابه من رطوبة وأرضة.

المحور الثالث: دراسة الأحبار والأمدة في مخطوط «الجامع الصحيح» نسخة بلدية الإسكندرية

إنَّ دراسة الأحبار التي كُتِبَ بها المخطوط أحد مفردات علم الكوديكولوجيا، وهي مفردة مهمة حيث يمكن الاعتماد عليها في التأريخ للمتن المخطوط في حال أعوزنا تاريخ النسخ، أو أية قرائن أخرى، وذلك من خلال تحليله باستخدام الكربون المشع في الغالب، ومعرفة تاريخه التقريبي⁽⁶⁾.

وبدراسة هذه الأجزاء الثلاث من مخطوط الجامع الصحيح تبين أنها كُتبت بحبر حديدي في مقابل الحبر الكربوني الذي يُصنع من مادة الشَّخام أو الكربون الأسود مضافاً إليه الصمغ العربي والماء، أمَّا الحبر الحديدي فيدخل في صناعته نبات العفص، والصمغ العربي والماء ومكونات أخرى⁽⁷⁾، ولهذا الحبر الحديدي أثر قوي على الورق الذي يُكتب به، فقد يتسبب هذا الحبر في جفاف بعض الأوراق وتأكلها مع مرور الزمن، إضافة إلى أنه يُحدث بعضاً من الظلال التي تحول دون إمكانية قراءته، خاصة على الأوراق الضعيفة، وهذا ما حدث في مخطوط الجامع الصحيح نسخة بلدية الإسكندرية، فالأوراق الداكنة في كل كراس حدث بها مشاكل في الحبر المكتوب عليها، في حين لم توجد هذه المشاكل على الأوراق الأخرى في كل كراس، وهذا يعكس رداءة هذه الأوراق، وعدم صلاحيتها للكتابة عليها بحبر حديدي. إنَّ هذه المعطيات مهمة للغاية للمشتغل على النص المخطوط، حيث يمكنه توقع مواطن الخلل في النص انطلاقاً من معرفة أثر الأحبار على الأوراق الحاملة للنص.



ورقة من الجزء الأول يظهر بها أثر الحبر الحديدي على الأوراق داكنة اللون

6- ترتقي دراسة الأحبار والأمدة إلى أن تمثل الركن الثاني في صناعة الكتاب العربي المخطوط. انظر: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، د. أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة: 1/32.

7- انظر: مصدران جديان عن صناعة المخطوط (حول فنون تركيب المداد)، د. إبراهيم شبوح، بحوث مؤتمر دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر، إعداد د. رشيد العناني، مؤسسة الفرقان، لندن، 1417هـ/1997م: ص15.

المحور الرابع: دراسة عنصر التجليد لمخطوط «الجامع الصحيح» نسخة بلدية الإسكندرية

تعدُّ دراسة تجليد المخطوطات من المفردات الكوديكلوجية المهمة التي يمكن أن تقدم معطيات مهمة للمشتغل على النص⁽⁸⁾، ففي بعض الأحيان يمكن التأريخ للمتن المخطوط اعتمادًا على عنصر التجليد، فقد اختصت أزمنة معينة بصور مختلفة من التجليد، حيث يمكننا أن نقول -على سبيل المثال- إنَّ المخطوط قد تمَّ تجليده بجلد ذي لسان فهو ينتمي إلى القرن السادس الهجري مثلًا، حيث شاع هذا النوع من التجليد في هذا القرن... وهكذا.

وأيضًا ينبغي على المشتغل على النص أن يكون على وعي بهذه المفردة حيث يمكن أن تساعد في اكتشاف زيف الناسخ الذي أثبت في حرد المتن أو الكولوفون على سبيل المثال أنَّ هذا المخطوط تمت نساخته في القرن الخامس الهجري، في حين أنَّ التجليد الذي ضم أوراق المخطوط ينتمي إلى القرن العاشر الهجري، هذا في حالة تأكد أنَّ التجليد أصليًا ولم يتغير.

على كل حال إنَّ مخطوط الجامع الصحيح الذي تملكه مكتبة بلدية الإسكندرية يحمل تجليدًا حديثًا، ولا يمكن الاعتماد عليه في تحديد تاريخ المخطوط، أو تقديم بيانات تخص هذه النسخة الخطية المهمة من كتاب الجامع الصحيح سوى أنها جُلدت بجلد بني حديث، وقد تعرَّض هذا الجلد للقطع في بعض الأجزاء فظهرت مكوناته الداخلية الحديثة تمامًا.



نموذج للتجليد المستخدم في مخطوط صحيح البخاري (تجليد الجزء الثالث).

8- انظر: كتاب التيسير في صناعة التفسير، للشيخ بكر بن إبراهيم الإشبيلي، تحقيق عبد الله كنون، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان السابع والثامن، -1960 1959.

المحور الخامس: دراسة خوارج النص في مخطوط «الجامع الصحيح» نسخة بلدية الإسكندرية

تشمل خوارج النص ما يوجد على المخطوط من تملكات وقرارات وأوقاف وإجازات وأختام تملك ووقف...إلى غير ذلك من هذه الخوارج النصية المهمة، والتي تنبع أهميتها في أنه يمكن الاعتماد عليها في معرفة تاريخ النسخة الخطية، أو التاريخ التقريبي لهذه النسخة الخطية، وذلك من خلال ما ورد بها من تأريخ، ففي بعض الأحيان تحمل الأوقاف أو التملكات أو القرارات وغيرها تواريخ تحدد الزمن المرتبط بها، وهو في الحقيقة زمن تقريبي للنسخة الخطية الحاملة لها.

وبدراسة هذه الخوارج النصية في مخطوط بلدية الإسكندرية في الأجزاء الثلاثة التي مثلت أنموذج لهذه الدراسة نجدها كما يلي:

-ورد على صفحة الغلاف من الجزء الأول تملك بتاريخ 1004 هجرية، باسم حسين بن عمر، ومطالعة مطموسة بسبب عوامل الترميم، وفائدة منسوبة إلى أحد شُراح صحيح البخاري هكذا:

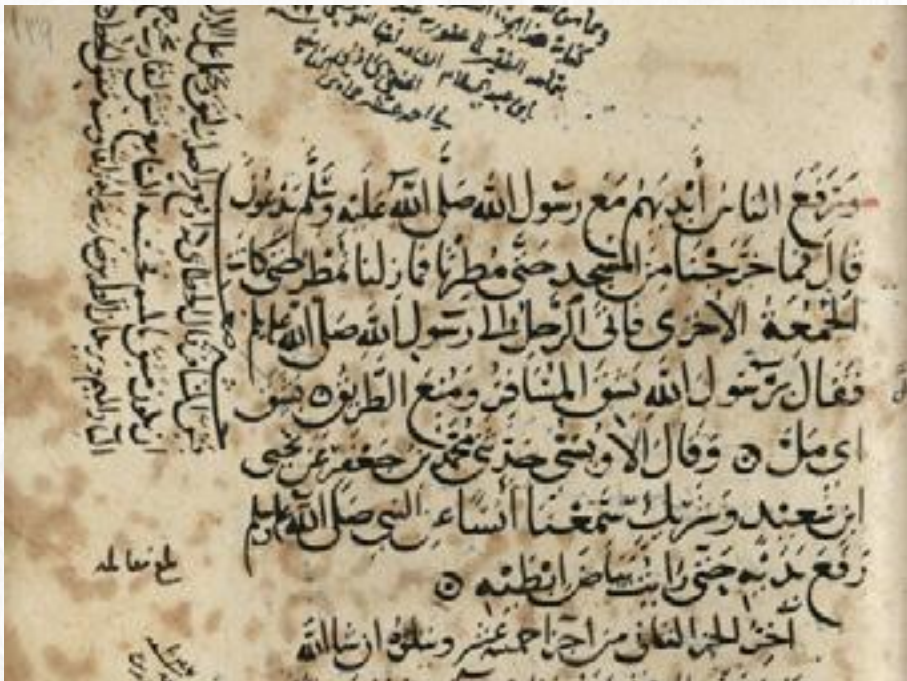
-أما الورقة الأخيرة من الجزء الأول فقد حملت عددًا من الخوارج النصية تنوعت بين التملك والقراءة والمقابلة والسماع، فالتملك باسم عبد السلام بن عبد السلام التونسي الحنفي، وهو تملك باسم الناسخ، هذا بالإضافة إلى قراءة على محمد بن أحمد عقيلة، وقراءة أخرى مؤرخة بسنة أربعين وألف كتبها محمد ناصر الدين القادري، ثم قراءة ثلاثة لنفس الشخص.



- أمّا الجزء الثاني فقد حملت الورقة الأخيرة منه عددًا من الخوارج النصية منها: تملك مؤرخ بتاريخ 9711 هـ، ثم قراءة مؤرخة بتاريخ 2401 هجرية، وهي لنفس صاحب القراءة الواردة على الجزء الأول، بالإضافة إلى قراءة وردة في صفحة مستقلة باسم محمد بن أحمد عقيل.



الورقة الأخيرة من الجزء الأول



الورقة الأخيرة من الجزء الثاني



الورقة الأخيرة من الجزء الثالث



قراءة في آخر الجزء الثاني

غاية الأمر هذه بعض الخوارج النصية من تملكات وقرارات وسماعات الموجودة على مخطوط «الجامع الصحيح» للإمام البخاري، وهي مهمة للغاية لأنه يمكن الاعتماد عليها في التأريخ للمخطوط من ناحية، وفي رصد أثره في البيئة الفكرية من ناحية أخرى، فواضح من خوارج النص هذه أن الكتاب كان له أثر في الحياة الفكرية، ولذلك كُثرت عليه بشكل يعكس هذه المكانة.

أمّا الجزء الثالث فقد ورد في آخره سماع على الشيخ علي بن الحاج مصطفى الدباغ، بالإضافة إلى سماع آخر على محمود أفندي الأنطاكي بتاريخ 1146 هـ، وليس به أي خوارج نصية أخرى.

المصادر والمراجع:

- المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، لفرانسوا ديروش، تعريب أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1426هـ، 2005م.
- تقاليد المخطوط العربي، آدم جاسك، ترجمة د. مراد تدغوت، معهد المخطوطات العربية، 2010.
- مدخل إلى علم المخطوط، جاك لومير، ترجمة مصطفى طوبى، الخزانة الحسينية، ط1، 1427 هـ - 2006م.
- الورق وتاريخ صناعته في الحضارة العربية الإسلامية، أسامة ناصر النقشبندى، كتاب بحوث ودراسات مهداة إلى إيرج أفشار، تحرير إبراهيم شبوح وفرانسوا ديروش، مؤسسة الفرقان، لندن.
- الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، د. أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة: 1/32.
- مصدران جديدان عن صناعة المخطوط (حول فنون تركيب المداد)، د. إبراهيم شبوح، بحوث مؤتمر دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر، إعداد د. رشيد العناني، مؤسسة الفرقان، لندن، 1417هـ/1997م.
- كتاب التيسير في صناعة التفسير، للشيخ بكر بن إبراهيم الإشبيلي، تحقيق عبد الله كنون، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان السابع والثامن، 1959.

القيود التوثيقية على مخطوط فريد من صحيح البخاري في مكتبة نور عثمانية نسخ في القرن السابع

إعداد

أ. د. محمود مصري

أستاذ الحديث وعلومه وتحقيق المخطوطات في كلية العلوم الإسلامية
جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية بإستانبول
المدير العام لدار المخطوطات بإستانبول



مقدمة

شهد القرن السابع الهجري ازدهارًا كبيرًا في علوم الحديث، واكب النهضة العلمية الشاملة في علوم الحضارة الإسلامية التي أظّلتها هذا القرن العظيم. وكان من تجليات ذلك الازدهار ظهور مؤسسات وأعلام ومؤلفات ومخطوطات نفيسة، لازالت كلُّها مصدر إلهام وبحث ودرس حتى يومنا هذا.

شهد هذا العصر البهّيّ تشييد المدرسة الظاهرية برعاية السلطان الأيوبي الملك الظاهر غازي (ت: 619هـ)، والمدرسة الأشرفية برعاية الملك الأشرف أبو الفتح مظفر الدين (ت: 635هـ)، والمدرسة الشرفية برعاية شرف الدين بن العجمي (ت: 640هـ)، والمدرسة المستنصرية برعاية المستنصر بالله (ت: 640هـ)، والمدرسة الصالحية النجمية برعاية السلطان الصالح نجم الدين أيوب (ت: 647هـ)، والمدرسة السكرية التي وقفها ابن السكري (ت: 671هـ).

وشهد هذا العصر من أعلام المحدثين: ابن الأثير الجزري (606هـ) وابن شدّاد (632هـ) والحافظ المزي (742هـ) والضياء المقدسي (643هـ) وابن الصلاح (643هـ) وعبد العظيم المنذري (656هـ) والنووي (676هـ) والقسطلاني (686هـ) وابن أبي جمرة (699هـ) واليونيئي (701هـ) وابن جماعة (733هـ) وابن سيد الناس (734هـ) والحافظ الذهبي (748هـ).

وشهد هذا العصر من كنوز التأليف: جامع الأصول والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ت: 606هـ)، وبيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام لابن القطان (ت: 628هـ)، والمختارة للضياء المقدسي (ت: 643هـ)، والترغيب والترهيب للمنذري (ت: 656هـ)، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (ت: 676هـ).

وكانت ثمرة تلك المدارس والأعلام والمؤلفات مخطوطات نفيسة وصلتنا من منسوخات هذا القرن العظيم، نذكر منها على سبيل المثال مخطوط الجامع الصحيح للبخاري من مقتنيات نور عثمانية بإستانبول 703، والمسند الصحيح لمسلم من مقتنيات فاضل أحمد باشا 366، وجامع الترمذي من مقتنيات الظاهرية 1023، وسنن أبي داود من مقتنيات ولي الدين أفندي، وسنن ابن ماجه من مقتنيات الفاتح 764، وغيرها كثير.

إن ما ميّز المخطوطات الحديثية المنسوخة في هذا القرن ما زخرت به من القيود التوثيقية النفيسة التي كتبت بخطوط أعيان أهل الحديث. وهذه القيود التوثيقية نطلق عليها اليوم في عالم المخطوطات: خوارج النصّ أو النصوص الموازية، ويمكن تعريفها على النحو الآتي: كل ما رُقم على المخطوط عدا النصّ الأصلي، ويشتمل على نوعين اثنين:

الأول: ما له صلة بالنصّ: ويشمل:

- **تقويم النصّ:** ويتضمّن التصحيحات والمقابلات على نسخة المؤلف أو نسخة ذات قيمة علمية.
- **طرق التحمّل:** السماع، والقراءات، والإجازات، والوجادة، والوصية. ويعود فضل العناية بتوثيق المخطوطات بطرق التحمّل إلى علماء الحديث، الذين يَبْنُوا أنواعها وضبطها. ثم انتقلت هذه الطرق إلى المؤلفات في سائر علوم الحضارة الإسلامية.
- **خدمة النصّ:** شروح، تعليقات، تخريج، فوائد، حواشي.
- **الإفادة من النصّ:** النظر أو المطالعة. والمطالعة هي أن يقرأ عالم أو متعلّم أو قارئ في الكتاب بقصد الإفادة منه، أو المذاكرة فيه. يفيد تقييدها أن عالمًا طالع نسخة الكتاب خارج الدرس لينقل عنها معلومات فيستعملها في بحثه وتدريسه. صيغتها: طالع العبد...، أو طالع فيه العبد...، أو نظر فيه فلان..

الثاني: ما لا صلة له بالنصّ: ويشمل:

- طرر الأغلفة: التملّك، والوقف، والأختام.
- حرد المتن.
- نظام التعقيب، ونظام الترقيم.

ومن خلال هذين النوعين من خوارج النصّ سوف ندرس القيود التوثيقية على مخطوط «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه»، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، من مقتنيات مكتبة نور عثمانية في إستانبول برقم 703، الذي نيسخ سنة خمس وثلاثين وستمئة للهجرة.

غير أننا بعد النظر في واقع التوثيق على نسخة نور عثمانية هذه رأينا أن نصِّف تلك القيود في ثلاث زمر:

- ما يتَّصل ببيانات النسخة الأساسية
- ما يتَّصل بالسماعات المنقولة من النسخ التي قوبل عليها المخطوط
- ما يتَّصل بحواشي النسخة

وقدّمنا لدراسة هذه العناصر بتمهيد حول: **التوثيق بالرواية والنسخة للجامع الصحيح.**

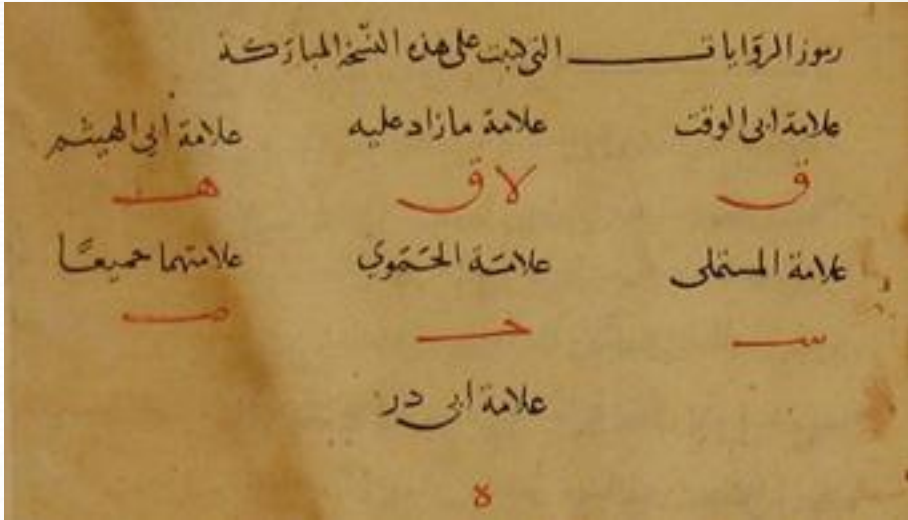
إن تحليل عناصر خوارج النسخ في المخطوط له وظيفة توثيقية نطلق عليها الوظيفة الكوديكولوجية، فالخوارج التي لا صلة لها بالنسخ توثق الوعاء، والخوارج التي لها صلة بالنسخ توثق لنا مضمونه وتعطينا فكرة مهمّة حول علاقات العلماء من جهة، والمدارس والمساجد وحلق العلم التي كانت نشطة في القرن السابع وما بعده من جهة أخرى.

تمهيد: التوثيق بالرواية والنسخة للجامع الصحيح

اقتُرنت طريقة تحمُّل الصحيح -على الشرط المعتبر في صحّة التحمُّل عند العلماء- بوجود نسخة منضبطة مصحّحة مقابلة، واقتُرنت كتابة النسخة كذلك بالسماع أو القراءة على الشيخ، وهو ما غصّت بإثباته مخطوطات مؤلّفات رواية الحديث، التي زينتها طباقات السماع بما ضمّته من أسماء العلماء الأعلام من المسندين والمحدّثين والحفّاظ.

وقد تعاضدت الرواية والنسخة في إثبات نصّ الجامع الصحيح، سواء أكان ذلك الإثبات من قبيل زيادة في الألفاظ أو اختلاف فيها، بحيث يسوغ لنا أن نعدّ الجميع صحيح النسبة إلى البخاري.

إن الرواية تعبّر عن سماع الراوي من شيخ أو أكثر، ونسختها الخطية تعبّر عن هذا السماع، وهو ما كان منذ ظهور الكتاب الأول، حيث اقترن السماع باتخاذ أصول لدى الراوي عن الشيخ ليجمع بين السماع والتدوين، ثم أصبحت النسخ تتّسع لأكثر من هذا، لتشمل روايات أخرى، ويجتمع فيها أكثر من سماع وأكثر من خطّ. ونسخة نور عثمانية التي ندرسها احتوت على روايات أخرى دلّت عليها الرموز المعبّرة عن الرواة في فروق النسخ المثبتة في الحواشي:



والخلاصة فإن الرواية لا بدّ أن تكون بالأخذ عن الشيوخ، والنسخة التي يرويها الراوي عن شيخه ربما يضيف إليها روايات ليست من مسموعاته جاءت من مقابلة نسخته بنسخ أخرى. وهذا ما فعله الصاغاني (ت: 650هـ) في نسخته التي حوت رواية سماعه للصحيح وما وقع له من الروايات الأخرى وجادة، وقد أخذ عن ابن الحصري وطبقته، وعنه أخذ الدمياطي، وكذلك فعل عصره اليونيني (ت: 701هـ)، وقد أفاد كلاهما من أصل عبد الغني المقدسي في بناء نسختيهما الجامعتين، وكانت الروايات الأخرى في الحاشية.

ولم يعهد في النسخ التلفيق بين الروايات، وعندما جمع أبو ذر في نسخته بين روايات ثلاثة من شيوخه من أصحاب الفربري في المتن؛ فإنه ميّز بين اختلافاتها بالرموز الدالة على كل منها، كما هو واضح في مخطوط مراد ملا 577 (من طريق الصدفي عن الباجي عن أبي ذر).



وهكذا فإن الرواية تتعدّد في مآخذها عن الشيوخ، والنسخة تقابل على نسخ متعدّدة، وثبتت على حواشيها الروايات المختلفة.

تعدّد السماعات والمقابلات

هَيَّا الله تعالى أسباب سماع الجامع الصحيح على صاحبه على نطاق واسع، فلا يتخلّف عن مجلسه الشيوخ، فضلاً عن طلبة العلم والعامة، فتجتمع الآلاف في كلّ مجلس. وبدأت منذ ذلك السماع الأول لكتابه عليه ظاهرة تكرار السماع، فلم يكن من سمع عليه الجامع يكتفي بسماعه الأول، واستمرّت هذه السنّة في جميع طبقات الرواة بعد ذلك.

إن طريق السماع إلى البخاري اليوم يتّصل بالفريبي الذي سمع الصحيح على صاحبه ثلاث مرّات الأولى في فربّر سنة 248هـ، والثانية في بخارى سنة 252هـ، والثالثة في فربرة أيضاً لمُدّة ثلاث سنوات، أنهى سماعه له سنة 255هـ. ووقع التصريح بتاريخ السماعين الأول والثاني في آخر سند نسخة نور عثمانية التي نحن بصدد دراستها.



وقد لزم اليونيني الحافظ المنذري، وعني بالبخاري غاية العناية، وقابله بضع عشرة مرّة في سنة، كما ذكر الحافظ الذهبي.¹ واعتمد اليونيني نسخة الحافظ عبد الغني المقدسي (ت: 600هـ) أصلاً قابل به النسخ الأخرى، ونجد على طرر الجزء الخامس من نسخة عبد الغني المحفوظ بمكتبة الدولة ببرلين 8326 السماعات الدقيقة المفصلة المبيّنة للمسمع ولمن سمع والقدر المسموع. وقد ذكر فيها سماع الرجال والنساء والأطفال.

1- المعجم المختصّ بالمحدثين للذهبي 168.



وهذه ورقة من فرع اليونانية عليها خط عبد الله بن سالم البصري في مكتبة يوسف آغا 5555.

كذلك نجد البلاغات المتوزعة على صفحات المخطوط بغزارة.

وهذا نموذج غاية في التوثيق في الجمع بين الرواية والنسخة، ومثله في الجمع نسخة الصغاني الموجود قطعة من فرع منها في مكتبة داماد إبراهيم 267، فهي منقولة من النسخة التي نقلت عن نسخة الصغاني، وعليها صورة خط الصغاني يصريح بنقله من نسخة كتبت زمن البخاري وعليها خط الفريري. وقد ذكر الصغاني علامات نسخة الفريري وعلامات الروايات التي احتوتها نسخته.





وتذكر لنا كتب التراجم كيف جمعت
كريمة بنت أحمد المروزية (ت: 465هـ)
بين الرواية والنسخة، وهي أخذت
عن الكشحي، وأخذ عنها الخطيب
البغدادى وأبو مظفر السمعاني. وقد
حدّثت بالبخاري مرّات كثيرة، وكل مرّة
كانت تقابل بنسختها.

وكانت هذه النسخ ذات الجودة العالية
أساساً تقوّم عليه النسخ الأخرى التي
ربّما تفرّد فيها ناسخوها بما هو ليس
في واحد من هذه الأصول الجامعة
بين الرواية والنسخة فلا يقبل منهم.
فكل خلاف ليس مشهوراً ومتداولاً بين
أهل العلم والاختصاص لا يعتدّ به. ومن
هنا كان لا بدّ من تقديم ما ورد عن
مجموعة الرواة ومجموعة النسخ على
غيره مما خالفه.

كما وقع ذلك في نسخة الحافظ شرف
الدين الدميّاطي المودعة في شستربتي
4176، ونسخة النويري المودعة في
كوبريلي 362، ونسخة البقاعي فيها
355. وفي طبقة أخرى نرى ابن سعادة
يكرّر السماع على أبي عليّ الصدفيّ
ستين مرّة، كما ذكر ابن الأثير² وهذا
حرد متن المرّة الخامسة من نسخ
النويري للصحيح.

2- معجم أصحاب الصدفي 194.

1. البيانات الأساسية للنسخة

هذا المخطوط من مقتنيات مكتبة نورعثمانية بإستانبول، تحت رقم 703، بعنوان «كتاب الجامع الصحيح»، للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري. وهذه اللوحة الأولى من المخطوط (السرلوجة) التي احتوت على عنوان الكتاب واسم المؤلف، وفيها من التزيينات البديعة.



1.1. سند النسخة: هذا السند أثبتته الناسخ بخطه في بداية النسخة ليؤكّد القيمة العالية للنسخة التي جمعت بين النسخة والرواية.

شيخ الناسخ أحمد بن المظفر بن أبي محمد النابلسي يرويها قراءة على شرف الدين أبو الفضل أحمد بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي، وكمال الدين أبو محمد عبد الله بن محمد الرصافي وغيرهم من الشيوخ في مجالس انتهت سنة 694هـ في جامع دمشق.

وقراءة على أحمد بن سليمان بن أحمد الحزّاني ثم المقدسي سنة 696هـ بدار الحديث الأشرفية بدمشق.

وعلى شرف الدين أبو حفص عمر بن محمد المعروف بخواجه إمام الفارسي سنة 697هـ بالمشهد العمري بدمشق.

كلّهم عن ابن الزبيدي خلا ابن سليمان عن القلانسي.

وابن الزبيدي والقلايسي عن أبي الوقت عن الداودي عن ابن حمويه عن الفريزي عن البخاري.

ونلاحظ أن أحمد بن المظفر بن أبي محمد النابلسي قرأ البخاري على شيوخه في ثلاثة أماكن في ثلاث سنوات مختلفة:

- جامع دمشق 694هـ
- دار الحديث الأشرفية 697هـ
- المشهد العمري 697هـ



أخبرنا الشيخ الإمام المسند أبو العباس: أحمد بن المظفر بن أبي محمد النابلسي،³ قال: أخبرنا المشايخ الأجلء الصلحاء المسندون:

شرف الدين أبو الفضل: أحمد بن هبة الله بن أحمد بن محمد بن الحسن بن عساكر الدمشقي،⁴ وكمال الدين أبو محمد: عبد الله بن محمد بن نصر بن قوام

3- أحمد بن المظفر بن محمد بن المظفر النابلسي الأصل المكي الدمشقي الشافعي (ت: 758هـ): سمع زينب بنت مكي، والشرف بن عساكر، وإسماعيل الفراء، حدث عنه الذهبي في معجمه. ينظر: ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني 20. والتبيان لبديعة البيان 1493/3، 1494 رقم 1209.

4- أحمد بن هبة الله ابن تاج الأمناء أحمد بن محمد بن الحسن ابن عساكر، أبو الفضل (ت: 699هـ): سمع من: ابن الزبيدي. قال الذهبي: أكثر عنه: أنا، والمزي، والبرزالي، والمقاتلي، والختني، والنابلسي، وسمع منه خلق كثير. وانتهى إليه علو الإسناد بدمشق. تاريخ الإسلام 897/15، 898 رقم 558.

الرصافي،⁵ بقراءتي عليهما خلا من أول الكتاب إلى إدخال البعير المسجد فإنه قرأه عليهما، وأنا أسمع، وذلك في مجالس آخرها: يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الأول من سنة أربع وتسعين وستمئة، بجامع دمشق.

وشمس الدين أبو عبد الله: محمد بن حازم بن حامد المقدسي،⁶ وعز الدين أبو الفداء: إسماعيل بن عبد الرحمن بن عمرو الفراء،⁷ وأمين الدين أبو العباس: أحمد بن أبي بكر عبد الله بن نصر الله البعلبكي،⁸ والمقرئ أبو العباس: أحمد بن سليمان بن أحمد الحرّاني ثم المقدسي،⁹ بقراءتي عليه، في شهر رمضان سنة ست وتسعين وستمئة، بدار الحديث الأشرفية، بسفح قاسيون ظاهر دمشق.

والعدل الفاضل شرف الدين أبو حفص¹⁰: عمر بن محمد بن عمر بن الحسن عرف بخواجا إمام الفارسي، بقراءتي عليه، في شهر رمضان سنة سبع وتسعين وستمئة، بالمشهد العمري، تحت الساعات بدمشق المحروسة.

قالوا كلهم -خلا ابن سليمان المذكور-: أخبرنا الشيخ سراج الدين أبو عبد الله: الحسين بن أبي بكر المبارك بن محمد بن يحيى بن الزبيدي، قراءة عليه، ونحن نسمع، في سنة ثلاثين وستمئة بدمشق.

وقال ابن سليمان: أخبرنا الشيخ أبو الحسن: علي بن أبي بكر بن عبد الله بن روزبه القلانسي قراءة عليه، وأنا أسمع، قال [أي: ابن زوربه، والزبيدي]: أخبرنا الشيخ أبو الوقت: عبد الأول ابن عيسى بن شعيب السجزي الصوفي الهروي، قراءة عليه ونحن نسمع، قال: أخبرنا جمال الإسلام أبو الحسن: عبد الرحمن بن محمد بن المظفر

5- عبد الله بن محمد بن نصر، كمال الدين، أبو محمد الرصافي، ثم الدمشقي (ت: 695هـ): سمع منه الذهبي سنة وفاته صحيح البخاري عن ابن الزبيدي. تاريخ الإسلام 810/15 رقم 327.

6- محمد بن حازم بن حامد، شمس الدين أبو عبد الله المقدسي (ت: 696هـ): أول سماعه حضور في الخامسة من أبي القاسم بن صصري، وسمع من ابن الزبيدي، روى صحيح البخاري سنة وفاته 696هـ وقد حدّث عنه ابن الخبز في معجمه سنة اثنتين وستين، وسمع منه جماعة من رفاقنا، وسافر لزيارة المسجد الأقصى، فأدركه أجل بعد عوده بنابلس. تاريخ الإسلام 15/845، 846 رقم 427.

7- إسماعيل بن عبد الرحمن بن عمرو، عز الدين، أبو الفداء ابن المنادي وابن الفراء المرداوي، ثم الصالحي الحنبلي (ت: 700هـ): سمع من الشيخ الموفق فأكثر، ومن: ابن البن، وأبي القاسم بن صصري وابن الزبيدي، وابن صباح وجماعة. وخرجت له مشيخة في جزء واحد وحدّث بالكثير. تاريخ الإسلام 15/948، 949 رقم 766. والتبيان لبديعة البيان 3/1493، 1494 رقم 1209.

8- أمين الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر عبد الله بن نصر الله البعلبكي، الحلبي الشامي (ت: 681هـ): سمع: أبا محمد ابن الأستاذ، وأبا المجد القزويني، وأبا المحاسن بن شداد، والموفق عبد اللطيف، وابن روزبه، وعدة. حدّث عنه: ابن الخبز، وابن العطار، والمزي، والبرزالي، وآخرون. تكملة سير أعلام النبلاء 29/243، 244 رقم 239.

9- شهاب الدين أحمد ابن الفقيه المفتي أبي الربيع سليمان، الأنصاري النجاري، المقدسي ثم الحرّاني، الحنبلي، نزيل سفح قاسيون (ت: 699هـ): سمع الصحيح من ابن روزبه. سمع منه: المزي، والبرزالي، وابن النابلسي، والذهبي، وآخرون. تكملة سير أعلام النبلاء 29/458، 459 رقم 439.

10- شرف الدين أبو حفص، عمر بن محمد بن عمر بن خواجا إمام، الفارسي ثم الدمشقي (ت: 702هـ)، شيخ الظاهرية المعمر: سمع الصحيح من ابن الزبيدي. وروى الكثير، وقرأ عليه الذهبي مسند الدارمي وغير ذلك، وخرجه له مشيخة، أكثر عنه البرزالي والطلبة. تكملة سير أعلام النبلاء 30/22، 23 رقم 515.

الداودي، قال: أخبرنا أبو محمد: عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي،¹¹ قال: أخبرنا أبو عبد الله: محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفريري، قال: أخبرنا الإمام الحافظ أبو عبد الله: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي مولا هم البخاري؛ مرتين: مرّة بفريبر سنة ثمان وأربعين ومئتين، ومرّة ببخارى سنة اثنتين وخمسين ومئتين. رحمهم الله.

ومن فائدة هذا الإسناد أننا لم نجد في كتب التراجم والرجال من نصّ على أن أحمد بن المظفر روى عن عبد الله الرصافي، وعن محمّد بن حازم المقدسي، وعن أحمد بن أبي بكر البعلبكي، وعن ابن خوجا إمام.

2.1. حرد المتن: وهو ما يسمّى بقيد الفراغ، ويحتوي معلومات توثيقية خاصّة بالنسخة، وربما اختصر فيها الناسخ وربما توسّع، وفي هذه النسخة من الصحيح أثبت الناسخ تاريخ النسخ في منتصف شهر شعبان من سنة ثلاث وخمسين وستمئة من الهجرة النبوية، ومن الواضح أن هذا يدلّ على أن قيد الفراغ منسوخ من الأصل الذي نقلت منه النسخة، وذلك أن سند النسخة يدلّ على أن شيخ الناسخ أحمد بن المظفر قرأ الجامع على شيوخه بتواريخ متأخرة عن هذا التاريخ: سنة 694هـ في جامع دمشق، وسنة 696هـ بدار الحديث الأشرفية بدمشق، وسنة 697هـ بالمشهد العمري بدمشق.



11- عبد الله بن أحمد بن حمويه بن يوسف بن أعين، أبو محمد السرخسي (ت: 381هـ): سمع سنة ست عشرة وثلاثمائة من الفريري صحيح البخاري. روى عنه: أبو ذر عبد بن أحمد الهروي، وأبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي. تاريخ الإسلام /520، 521 رقم 19، والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة 321 رقم 383.

3.1. الأختام: عادة تكون الأختام على المخطوطات إما للواقف وإما للمكتبة. وعلى هذا المخطوط نجد ختم السلطان الواقف، وختم المفتش بأوقاف الحرمين، وختم المكتبة السليمانية.



KURBAN N° 1	
Kurba :	N° 5
Yeni Kurba :	542
Eski Kurba :	703
Tamam No :	297.2 = 927

4.1. الوقف:

وقف عمده بلوك الدوران وسلي محمد آل عثمان محمى لسه ايم الله
السلطان بن السلطان السلطان الوالحاس والمواهب عثمان خان السلطان
مصطفى خان لار السامه مصلى الامال وس عمه المصطفى
الواس الامال واما الداعية وس الحق ابراهيم
حسب المعنى واه الحق من الحق
عمده

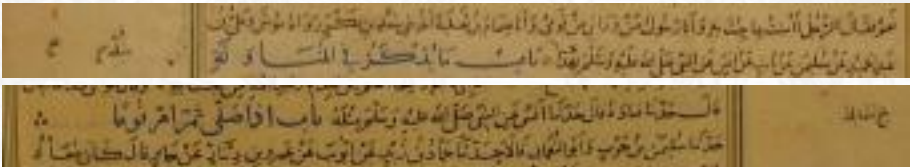
وقف عمدة ملوك الدوران وتسبيل نخبة آل عثمان محيي السنّة إمام الأمة السلطان ابن السلطان السلطان أبو المحاسن والمواهب عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان، لا زالت أيامه مصابيح الإقبال ومساعيه الجميلة مفاتيح أبواب الآمال، وأنا الداعي لدولته الحاج إبراهيم حنيف المفتش بأوقاف الحرمين المحرم، غفر له.

5.1. التعقيب: إن نظام التعقيب في المخطوط يضبط تسلسل الورقات بحيث يعطي الثقة بتتابع النصّ دون انقطاع. وقد اعتمد الناسخ هذا النظام، لكن خلت منه بعض ورقات المخطوط.



6.1. البلاغات: تعدّ البلاغات الموجودة على المخطوط من القضايا التوثيقية المهمة التي تبين المقابلات التي جرت على النسخة، وقد توزّعت البلاغات على حواشي مخطوط نور عثمانية بانتظام من أوله إلى آخره.

ونحن نعدّ البلاغات من البيانات الأساسية للنسخة لأنها تخبرنا بأنها مقابلة على أصل مقابل، وهذا هو الذي يجعل للنسخة مكانة في عالم الرواية، ولا قيمة للنسخة عند المحدثين إذا لم تكن مقابلة. وهو في هذه النسخة بصيغة: بلغ أحياناً، وبلغ مقابلة أحياناً.



2. سماعات النسخ التي قوبل عليها مخطوط نور عثمانية

نقل القاضي بهاء الدين أحمد بن علي ابن السبكي (ت: 773هـ)¹² تسع سماعات كما شاهدها على النسخ المخطوطة للجامع الصحيح التي قوبلت بها نسخة نورعثمانية، وهي مؤرخة بالتواريخ الآتية: 552، 553، 604، 632، 673، 679، 708، 723، 729 للهجرة، وسوف نحلل هذه السماعات لنصل من خلالها إلى شجرة الإسناد لرواية أبي الوقت، وشجرة الإسناد للروايات الأخرى التي أثبتت فروقها على حواشي نسخة نورعثمانية.

2.1. السماع الأول



12- بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي بن علي السبكي (ت: 773هـ): أحضر على الحجار في الخامسة جميع الصحيح، وأسمع على: يونس الديبوسي، والواني، والبدر ابن جماعة، وجماعة، وبدمشق من: الجزري، والمزي، وغيرهما. وأخذ عن: أبيه، وأبي حيان، والرشيدي، والأصبهاني. مات مجاوزاً بمكة. الدرر الكامنة - 1/247- 254 رقم 544 لابن حجر.

وشاهدت على أصل قول عليه ما ملخصه:

سمع جميع صحيح البخاري على الشيخ أبي الوقت: ¹³ عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي الهروي الصوفي، بسماعه من الداودي ¹⁴ بسنده، بقراءة أبي الفضل أحمد بن صالح بن شافع الجيلي؛ ¹⁵ أبو سعد ثابت بن مشرف ¹⁶، وداود بن أحمد بن محمد بن ملاعب، ¹⁷ وأحمد بن أبي الفتح صرماً، ¹⁸ والحسن بن عبد الله بن المبارك ابن الزبيدي، ¹⁹ وأحمد بن عبد الله بن عبد الصمد السلمي، ²⁰ وعلي ²¹ ومحمد ابن أحمد بن عمر القطيعي، ²² ومسمار بن محمد بن العويس، ²³ وعبد العزيز بن محمود ابن الأخضر، ²⁴ وعبد السلام بن عبد الله بن أحمد الداهري، ²⁵

13- أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي (ت: 553هـ): سمع في سنة خمس وستين وأربع مئة من جمال الإسلام أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي الصحيح. حدث عنه: ابن عساكر، والسمعاني، وابن الجوزي. سير أعلام النبلاء 311-303/20 رقم 206.

14- عبد الرحمن بن محمد بن مظفر الداودي (ت: 467هـ): سمع: الصحيح من أبي محمد بن حمويه السرخسي ببوشنج، وتفرد في الدنيا بعلو ذلك، وسمع بنيسابور: أبا عبد الله الحاكم. حدث عنه: مسافر بن محمد وأخوه أحمد، وأبو المحاسن أسعد بن زياد الماليني، وأبو الوقت عبد الأول السجزي. سير أعلام النبلاء 226-18/222 رقم 108.

15- ابن شافع أبو الفضل أحمد بن صالح الجيلي (ت: 556هـ): سمع من: أبي غالب ابن البناء، وهبة الله بن الطبر، وهبة الله بن عبد الله الشروطي، والقاضي أبي بكر، وبدر الشيعي. روى عنه: ابن الأخضر، والحافظ عبد الغني، والشيخ الموفق. سير أعلام النبلاء 572/20، 573 رقم 355.

16- أبو سعد ثابت بن مشرف (ت: 619هـ): سمع من: أبي بكر ابن الزاغوني، وأبي الوقت، وسعيد ابن البناء، وأبي الفتح الكروخي. حدث عنه: البرزالي، والضياء، وابن عبد الدائم، والصاحب عمر بن العديم. سير أعلام النبلاء 152/22، 153 رقم 102.

17- ابن ملاعب داود بن أحمد بن محمد البغدادي (ت: 616هـ): سمع من: القاضي أبي الفضل الأرموي، ونصر بن نصر العكبري، والحافظ ابن ناصر، وأبي بكر ابن الزاغوني، وأبي الوقت السجزي. حدث عنه: الشيخ الموفق، والضياء، وابن خليل، والبرزالي، وأبو بكر ابن الأنماطي. سير أعلام النبلاء 22/90، 91 رقم 63.

18- ابن صرماً أحمد بن يوسف بن محمد الأزجي (ت: 621هـ): سمع من: ابن الطلاية، وعبد الخالق اليوسفي، وابن ناصر، وسعيد ابن البناء، وأبي الوقت، وعدة. روى عنه: الضياء، والديبثي، ومكي بن بشر، والشهاب الأبرقوهي، وآخرون. سير أعلام النبلاء 191/22، 192 رقم 130.

19- الحسن ابن الزبيدي أبو علي الحسن بن المبارك (ت: 629هـ): سمع الصحيح من أبي الوقت، وسمع من: أبي زرعة المقدسي، وأبي علي أحمد بن الخراز، ومعمّر بن الفاخر، وأبي الفتوح الطائي، وعدة. حدث عنه: ابن الديبثي، والسيف ابن المجد، وأبو المعالي الأبرقوهي، وعدة. سير أعلام النبلاء 315/22، 316 رقم 192.

20- أحمد بن عبد الله بن عبد الصمد السلمي العطار (ت: 615هـ): سمع من: أبيه، وأبي الوقت السجزي، وابن البطي. حدث عنه: ابن النجار، وابن نقطة، والضياء، والمنذري. سير أعلام النبلاء 84/22، 85 رقم 59.

21- علي بن أحمد بن عمر بن حسين، أبو القاسم ابن القطيعي الصفار (ت: 608هـ): سمع من أبي بكر ابن الزاغوني، وأبي الوقت، وجماعة. تاريخ الإسلام 13/194 رقم 403، والتكملة لوفيات النقلة 224/2، 225 رقم 1194.

22- أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر بن حسين القطيعي (ت: 634هـ): سمع والده الفقيه أبو العباس القطيعي من: أبي بكر ابن الزاغوني، وأبي الوقت السجزي؛ فروى عنه الصحيح. حدث عنه: ابن الديبثي، وابن النجار، والسيف ابن المجد. سير أعلام النبلاء 11-23/8 رقم 4.

23- مسمار بن عمر بن محمد بن عيسى، ابن العويس (ت: 619هـ): سمع الكثير من: أبي الفضل الأرموي، وابن ناصر، وسعيد ابن البناء، وأبي بكر ابن الزاغوني، وأبي الوقت. حدث عنه: ابن الديبثي، والضياء، والبرزالي، وجماعة. سير أعلام النبلاء 154/22 رقم 103.

24- ابن الأخضر عبد العزيز بن محمود الجنايذي (ت: 611هـ): سمع: القاضي أبا الوقت، وأبا بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، وأبا القاسم ابن السمرقندي. حدث عنه: ابن الديبثي، وابن النجار، والبرزالي، والضياء. ينظر: سير أعلام النبلاء 31/22، 32 رقم 26. وتوضيح المشتبه 454/2.

25- عبد السلام بن عبد الله بن أحمد الداهري (ت: 628هـ): سمع من: نصر بن نصر العكبري، وأبي بكر ابن الزاغوني، وأبي الوقت السجزي. حدث عنه: البرزالي، وابن الديبثي، وابن نقطة. سير أعلام النبلاء 304/22، 305 رقم 182.

وأبو المعالي أحمد بن يحيى بن أبي المعالي بن هبة الله البيّج،²⁶ وأخوه أبو بكر،²⁷ وأبو حفص عمر بن كرم الدينوري،²⁸ وسليمان²⁹ وعلي³⁰ ابنا: محمّد بن علي البغدادي، والمهذب بن قنيدة،³¹ وآخرون كثيرون أسماؤهم في طبقة السماع.

وصحّ ذلك وثبت في العشر الأخير من شوال، وذِي القعدة، وذِي الحجة، من سنة اثنين وخمسين وخمسمئة. والحمد لله رب العالمين.

نقله من الأصل من خطّ ابن شافع: عبدُ الرزاق بن عبد القادر الجيلي³² رحمه الله.

كاتبه أحمد بن علي السبكي عامله الله تعالى بلطفه الخفي.

وسمعه منه بقراءة عبد المغيث بن زهير الحربي³³ وهو كاتب السماع في الأصل؛ أبو عبد الله الحسين، والحسن ابنا المبارك بن محمّد بن يحيى الزبيدي،³⁴ وآخرون، في مجالس آخرها في: صفر سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة.

نقله أحمد بن علي السبكي.

26- أحمد بن أبي المعمر يحيى بن أحمد بن عبيد الله بن هبة الله، أبو المعالي البغدادي، الخازن (ت: 603هـ): سمع الكثير من نصر بن نصر العكبري، وابن الزاغوني، وأبي الوقت. وقال الديلمي: كان ثقة؛ سمعنا منه الكثير. وروى عنه هو، والنجيب عبد اللطيف، وأجاز للفخر علي، وأحمد بن شيان، وجماعة. ينظر: تاريخ الإسلام 13/71، 72 رقم 110، والمختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الديلمي 15/128 رقم 452.

27- أبو بكر زيد بن يحيى بن أحمد الأزجي البيّج (ت: 621هـ): سمع من: أبي الوقت عبد الأول، وأبي بكر ابن الزاغوني، وهبة الله بن الشبلي. وعنه: البرزالي، وابن الديلمي، والضياء، وأبو المعالي الأبرقوهي، وآخرون. سير أعلام النبلاء 117، 122/176 رقم 116.

28- عمر بن كرم بن علي أبو حفص بن أبي المجد الحمّامي (ت: 629هـ): سمع من: أبي الوقت، ونصر بن نصر العكبري. روى عنه أبو عبد الله البرزالي والسيف المقدسي والفخر بن البخاري. آخر من سمع منه: محمد بن القاسم شيخ المستنصرية، والعماد إسماعيل بن الطبال ببغداد، وكتب عنه عمر بن الحاجب. المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الديلمي 15/285 رقم 1053.

29- سليمان بن محمد بن علي، أبو الفضل الموصلي ثم البغدادي الصوفي، ويُعرف بابن اللّيثاد (ت: 612هـ): سمع من أبي القاسم إسماعيل ابن السمرقندي، ويحيى بن الطّراح. روى عنه الديلمي، وابن النجار، وابن خليل، والضياء. تاريخ الإسلام 13/337 رقم 77.

30- علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الموصلي (ت: 614هـ): سمع من: عبد الوهاب الأنماطي، وإسماعيل بن أبي سعد الصوفي، والحسين بن علي سبط الخياط، سمع منه أبو عبد الله الديلمي وقال: كان صحيح السماع. تاريخ الإسلام 13/416 رقم 230.

31- ابن قنيدة المهذب بن علي بن هبة الله الأزجي (ت: 626هـ): سمع: صحيح البخاري من أبي الوقت. روى عنه: ابن الديلمي، وابن النجار. سير أعلام النبلاء 22/313، 314 رقم 189.

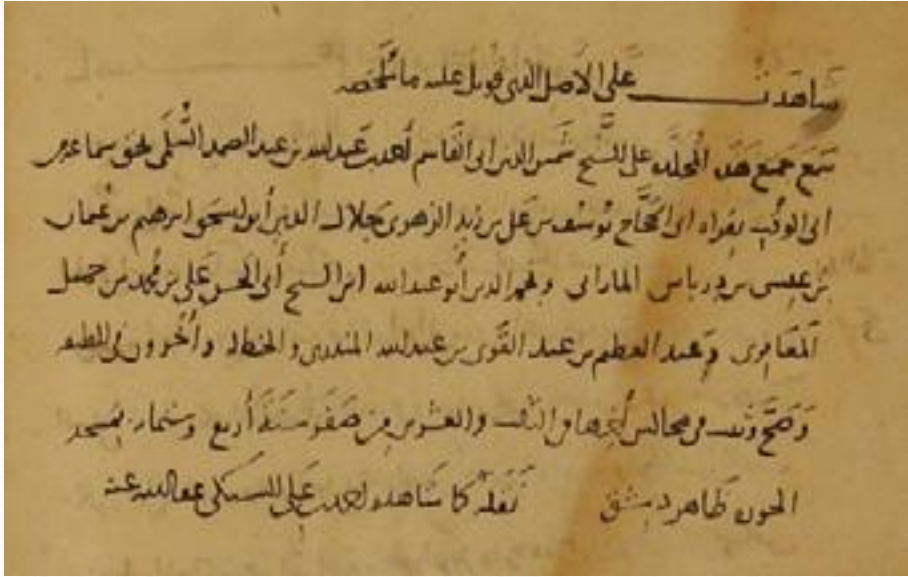
32- عبد الرزاق ابن شيخ الإسلام عبد القادر بن أبي صالح الجيلي (ت: 603هـ): سمع من: أبي الوقت، والقاضي أبي الفضل الأزموي، ومحمد بن أحمد بن صرما، وابن ناصر، وأبي الكرم ابن الشهرزوري، وعني بهذا الشأن، وكتب الكثير. حدّث عنه: ابن الديلمي، وابن النجار، والضياء، والتقي اليلداني، والنجيب عبد اللطيف، وجماعة. سير أعلام النبلاء 21/426-428 رقم 222. والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد 351 رقم 438.

33- عبد المغيث بن زهير بن زهير بن علوي الحربي (ت: 583هـ): سمع: أبا القاسم بن الحصين، وأبا العز بن كادش، وهبة الله بن الطبر، وأبا غالب ابن البناء، وقاضي المارستان. حدّث عنه: الشيخ الموفق، والحافظ عبد الغني، وحمد بن صديق، والبهاء عبد الرحمن، والحافظ محمد ابن الديلمي، وطائفة. سير أعلام النبلاء 21/159-161 رقم 79.

34- ابن الزبيدي الحسين بن المبارك بن محمد الربعي (ت: 631هـ): وسمع من: جده، وأبي الوقت السجزي، وأبي الفتوح الطائي، وأبي زرة المقدسي. حدّث عنه: ابن الديلمي، والضياء، والبرزالي. سير أعلام النبلاء 22/357-359 رقم 222.

ومن فائدة هذا الإسناد أننا لم نجد في كتب التراجم والرجال من أشار إلى سماع ابن اللباد وعلي الموصلي والحربي من أبي الوقت، بينما أشير إلى ذلك في السماع. وهذا السماع منقول من الأصل من خط ابن شافع: عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي، وكاتب السماع في الأصل عبد المغيث بن زهير الحربي.

3.1. السماع الثاني



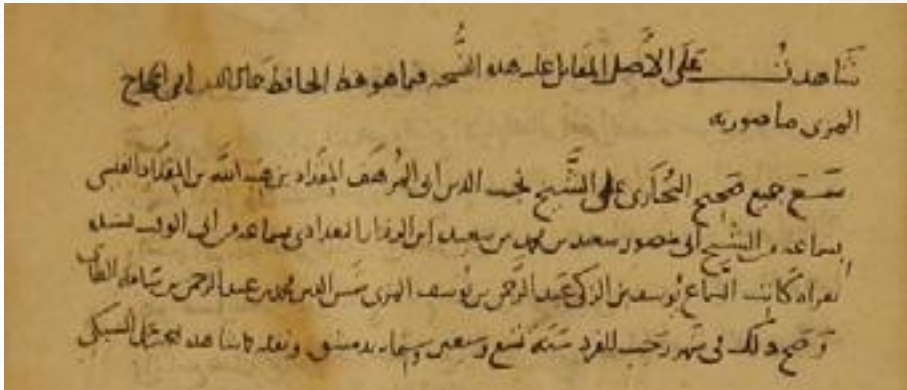
شاهدت على الأصل الذي قوبل عليه ما ملخصه:

سمع جميع هذه المجلدة على الشيخ شمس الدين: أبي القاسم أحمد بن عبد الله بن عبد الصمد الشلمي، بحق سماعه من أبي الوقت، بقراءة أبي الحجاج يوسف بن علي بن زيد الزهري؛ جلال الدين أبو إسحاق: إبراهيم بن عثمان بن عيسى بن درباس الماراني،³⁵ ونجم الدين أبو عبد الله: ابن الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن جميل المعافري،³⁶ وعبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري،³⁷ والخط له، وآخرون في الطبقة.

35- ابن درباس إبراهيم بن عثمان بن عيسى الماراني (ت: 622هـ): سمع: فاطمة بنت سعد الخير، والأرتاحي، وابن طبرزد، والمؤيد الطوسي، وأبا روح، وزينب الشعرية، وخلقاً، وكتب الكثير. روى عنه: الحافظ عبد العظيم، وغيره. سير أعلام النبلاء 22/290 رقم 166.

36- محمد بن علي بن محمد بن جميل الملقى دمشقي شمس الدين (ت: 668هـ): ترجمة أبيه في تاريخ الإسلام 13/117، رقم 118، ووفاته أبيه: سنة خمس وستمئة. سمع على أحمد بن عبد الدائم صحيح مسلم، وسمع على العفيف عبد الله بن محمد المطري بعضه. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد 1/185 رقم 342.

37- عبد العظيم أبو محمد بن عبد القوي بن عبد الله المنذري (ت: 656هـ): سمع من: أبي عبد الله محمد بن حمد الأرتاحي، وهو أول شيخ لقيه، وذلك سنة إحدى وتسعين، ومن عمر بن طبرزد، وهو أعلى شيخ له، وداود بن ملاعب، وغيرهم كثيرون. حدّث عنه: أبو الحسين اليونيني، وأبو محمد الدمياطي، والشرف الميديمي، والتقي عبيد، والشيخ محمد القران، والفخر ابن عساكر، وعلم الدين الدواداري، وغيرهم كثيرون. سير أعلام النبلاء 23/319-324 رقم 222.



وشاهدت على الأصل المقابل عليه هذه النسخة مما هو بخط الحافظ جمال الدين أبي الحجاج المزي⁴⁴ ما صورته:

سمع جميع صحيح البخاري على الشيخ نجيب الدين أبي المرفه المقداد بن هبة الله بن المقداد القيسي،⁴⁵ بسماعه من الشيخ أبي منصور سعيد بن محمد ابن الرزاز البغدادي بسماعه من أبي الوقت بسنده سعيد ابن الرزاز البغدادي،⁴⁶ بسماعه من أبي الوقت بسنده، بقراءة كاتب السماع يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن سامة الطائي⁴⁷.

وصحَّ ذلك في شهر رجب الفرد سنة تسع وسبعين وستمئة بدمشق. ونقله كما شاهده أحمد بن علي السبكي.

ولم أجد في المصادر أن ابن سامة الطائي سمع من نجيب الدين أبي المرفه المقداد، وهذه فائدة من هذا السماع.

وفيه إثبات قراءة المزي وكتابه للسماع بدمشق.

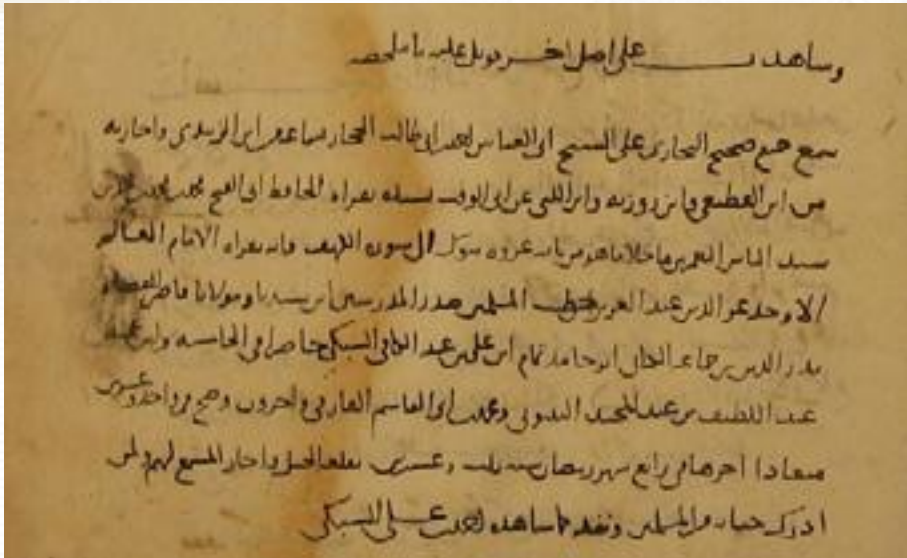
44- جمال الدين أبو الحجاج، يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف، القضاءي الكلبي المزي (ت: 742هـ)، الحلبي المولد، خاتمة الحفاظ، وناقد الأسانيد والألفاظ. سمع: أبا العباس بن سلامة، وابن أبي عمر، وابن علان، والمقداد، والعز الحارني، وابن الدرجي، والنواوي. تكملة سير أعلام النبلاء 455-449/30 رقم 935.

45- المقداد ابن أبي القاسم هبة الله بن علي بن المقداد (ت: 681هـ): سمع: عبد العزيز بن الأخضر، وأحمد بن الديبقي، وعبد العزيز بن منينا، وعبد الله بن أحمد المنصوري وأبا منصور الرزاز. حدّث عنه: المزي، وابن العطار، وابن الخباز، والبرزالي، والوجيه السبتي، وابن يعيش، وعدة. تكملة سير أعلام النبلاء 255/29، رقم 256.

46- ابن الرزاز سعيد بن محمد بن سعيد البغدادي (ت: 616هـ): سمع الصحيح من أبي الوقت السجزي، وسمع من: نصر بن نصر العكبري، وأبي الفضل الأرموي. روى عنه: ابن الديبقي، وأبو عبد الله البرزالي، ونجيب الدين المقداد، وجماعة. سير أعلام النبلاء 22/97 رقم 69.

47- ابن سامة شمس الدين أبو عبد الله، محمد بن عبد الرحمن بن سامة الطائي السنبسي السوادني ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت: 708هـ): نزيل القاهرة، سمّعه حضورًا من ابن عبد الدائم، وطلب لنفسه فسمع من ابن أبي عمر، وابن الدرجي، والكمال عبد الرحيم، وأصحاب حنبل والكندي. تكملة سير أعلام النبلاء 83/30، رقم 84، رقم 579.

6.1. السماع السادس



وشاهدت على أصل آخر قبول عليه ما ملخصه:

سمع جميع صحيح البخاري على الشيخ أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجّار، بسماعه من ابن الزبيدي، وإجازته من: ابن القطيعي، وابن روزبة، وابن اللّثيّ، عن أبي الوقت بسنده، بقراءة الحافظ أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري،⁴⁸ ما خلا ما هو من باب: غزوة تبوك، إلى سورة الكهف؛ فإنّه بقراءة الإمام العالم الأوحّد عز الدين عبد العزيز خطيب المسلمين صدر المدرسين ابن سيدنا ومولانا قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة الكناي،⁴⁹ أبو حامد تمام ابن علي بن عبد الكافي السبكي حاضرًا في الخامسة، وابن عمته: عبد اللطيف بن عبد المجيد البثنوني،⁵⁰ ومحمد بن أبي القاسم الفارقي،⁵¹ وآخرون.

⁴⁸ ابن سيد الناس: سمع من: أبيه، والإمام شمس الدين محمد ابن العماد، والعزّ الحرائي، وابن الأنماطي، وغازي الحلّوي، وابن خطيب المزة. أخذ عنه جماعة. تكملة سير أعلام النبلاء 3/376-372 رقم 867. وينظر بخصوص

سماع ابن سيد الناس من ابن الشحنة: أحمد بن أبي طالب: الوافي بالوفيات للصفدي 8/232.

⁴⁹ العزّ بن جماعة عزّ الدين أبو عمر عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناي (ت: 767هـ) الحموي الأصل الدمشقي المولد ثم المصري الشافعي: أحضر على عمر القواس وأبي الفضل بن عساكر وسمع من الدماطي والأبرقوهي، وأجاز له ابن وريدة وأبو جعفر بن الزبير، وأكثر السماع فبلغ شيوخه ألفاً وثلاثمائة نفس. طبقات الحفاظ للسيوطي 535، 536 رقم 1163.

⁵⁰ عبد اللطيف بن عبد المحسن بن عبد المجيد بن يوسف البثنوني (ت: 788هـ): ابن أخت الشيخ تقي الدين السبكي: سمع من: أبي الحسن بن الصواف، وأبي الحسن بن هارون، وغيرهما. سمع منه أبو المعالي بن حمزة الحسيني. الدرر الكامنة 3/211 رقم 2499.

⁵¹ محمد بن أبي القاسم بن إسماعيل بن مظفر الفارقي (ت: 761هـ): سمع على: محمد بن أبي الذكر الصقلي، وعلى محمد بن هارون التعليبي صحيح البخاري، وسمعه أيضًا على: الحجّار، وكان لا يترك قراءة صحيح البخاري في الجامع الأزهر سمع، قال العراقي: لم يخلف بعده أقدم طلبًا منه. الدرر الكامنة 5/409، 410 رقم 1733. وينظر: ذيل تقييد الرواة 1/209 رقم 395.

وصحّ في واحد وعشرين ميعادًا آخرها في: رابع شهر رمضان، سنة ثلاث وعشرين، بقلعة الحبل.

وأجاز المسموع لهم ولمن أدرك حياته من المسلمين.

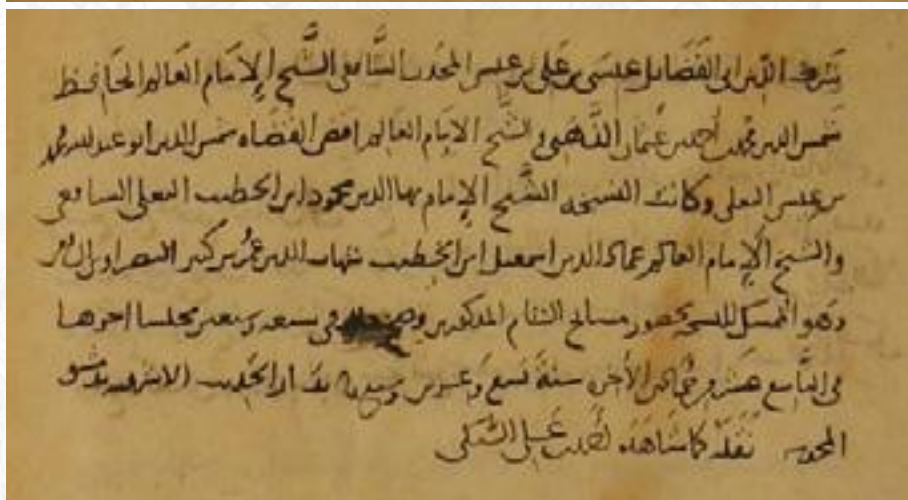
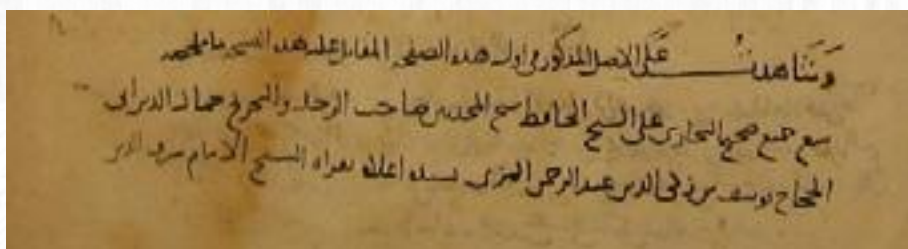
ونقله كما شاهده أحمد بن علي السبكي.

ونلاحظ حضور الصغار، وإثبات أسمائهم في السماع، كذلك حضور الأقرباء، وبيان صلة القرابة بينهم.

لم أجد نصًّا صريحًا في سماع العزّ بن جماعة من ابن الشحنة، ولكن يستفاد من بعض النصوص التي وردت في بعض التراجم أنه محتمل جدًّا سماعه منه لا سيما أن له ألف وثلاثمائة شيخًا.⁵² وكذلك البثنوني، وكلاهما ذُكر سماعهما من ابن الشحنة في هذا السماع.

فيه إثبات مجالس السماع في قلعة الجبل سنة 623.

7.1. السماع السابع



52- ينظر: أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي 1/494، وذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد للتقي الفاسي 2/131 رقم 1293، والدرر الكامنة 4/202 رقم 403 لابن حجر، ورفع الإصر عن قضاة مصر 243 للسيوطي.

وشاهدت على الأصل المذكور في أوّل هذه الصفحة المقابل عليه هذه النسخة ما ملخصه:

سمع جميع صحيح البخاري على الشيخ الحافظ شيخ المحدثين صاحب الرحلة والتخريج جمال الدين أبي الحجاج: يوسف بن زكي الدين عبد الرحمن المزي، بسنده أعلاه، بقراءة الشيخ الإمام شرف الدين بن أبي الفضائل عيسى بن علي بن عيسى المحدث الشافعي⁵³، الشيخ الإمام العالم الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي⁵⁴، والشيخ الإمام أفضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عيسى البعلي⁵⁵، وكانت النسخة للشيخ الإمام بهاء الدين محمود ابن الخطيب البعلي الشافعي⁵⁶، والشيخ الإمام العالم عماد الدين: إسماعيل ابن الخطيب شهاب الدين عمر بن كثير البصراوي الشافعي⁵⁷، وهو الممسك للنسخة بحضور مشايخ الشام المذكورين.

وصحّ ذلك في سبعة وسبعين مجلساً آخرها في: التاسع عشر من جمادى الآخرة، سنة تسع وعشرين وسبعمئة، بدار الحديث الأشرقية، بدمشق المحروسة.

نقله كما شاهده أحمد بن علي السبكي.

ولم أجد من نصّ على سماع ابن المجد من الإمام المزي المشار إليه هنا.

وفي هذا السماع تفاصيل مهمّة تتعلّق بكبار العلماء المحدثين، فالمسمع هو الحافظ المزيّ، والممسك للنسخة بحضور كبار شيوخ الشام هو الحافظ ابن كثير، ومن السامعين: الحافظ الذهبي والحافظ شمس الدين البعلي، في دار الحديث بدمشق سنة 729هـ.

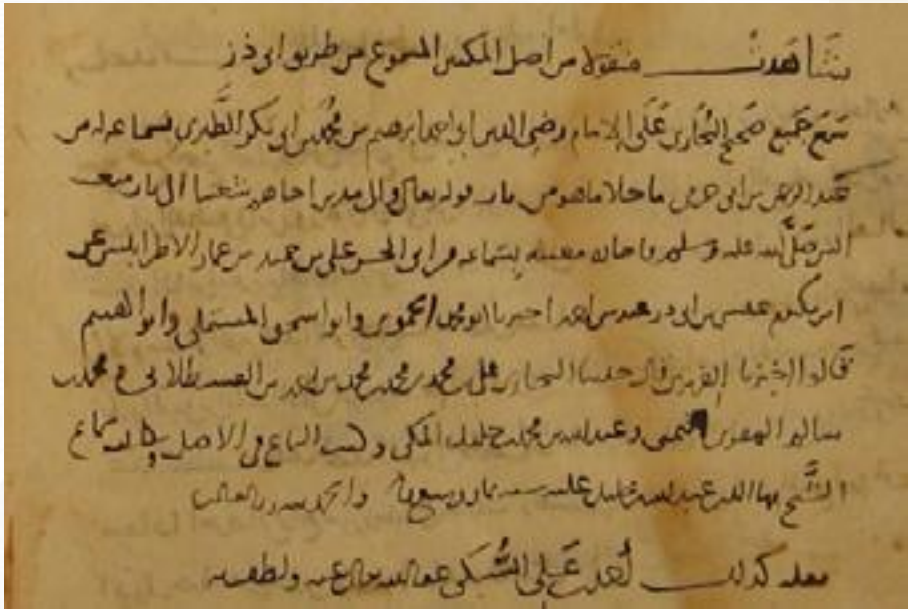
53- شرف الدين بن أبي الفضائل عيسى بن علي بن عيسى، أبو الفضل الأندلسي ثم الدمشقي المؤدّن (ت: 734هـ): قارئ الحديث للناس. صحب الشيخ إبراهيم الرقي وتخرّج به. سمعنا بقراءته صحيح البخاري على شيخنا المزي أيما قراءة، وسمع من ابن الواسطي. مات في جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وسبعمئة. المعجم المختص بالمحدثين للذهبي 189، 190، والدرر الكامنة 4/242 رقم 500.

54- محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل الفارقي ثم الدمشقي (ت: 748هـ): الدرر الكامنة 5/66-68 رقم 894.

55- محمّد بن محمّد بن عيسى بن محمد بن عبد اللطيف البعلبكي تقي الدين المعروف بابن المجد (ت: 768هـ): أسمعه أبوه بدمشق سنة ست وسبعمئة من طائفة. ينظر: المعجم المختص بالمحدثين 259، والدرر الكامنة 5/474.

56- الإمام شهاب الدين محمود بن محمد ابن الخطيب البعلي الشافعي (ت: 735هـ)، المعروف بابن خطيب بعلبك. قال ابن حجر: رأيت بخطه نسخة كاملة في ثلاث مجلدات -أي من صحيح البخاري- وهي باسم تنكر، وقابلها المزي بقراءة ابن كثير، وهي أعجوبة في الحسن والصحة. الدرر الكامنة 6/95، 96 رقم 2262.

57- إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصري عماد الدين (ت: 774هـ): سمع من: ابن الشحنة وابن الزراد وإسحاق الأمدي وابن عساكر والمزيّ وابن الرضي وطائفة. الدرر الكامنة 1/445، 446.



شاهدت منقولاً من أصل المكيين المسموع من طريق أبي ذر:

سمع جميع صحيح البخاري على الإمام رضي الدين أبي أحمد: إبراهيم بن محمد بن أبي بكر الطبري،⁵⁸ بسماعه له من عبد الرحمن بن أبي حرمي⁵⁹ - ما خلا ما هو من باب قوله تعالى: وإلى مدين أخاهم شعيباً إلى باب مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وأجازه بقيته - بسماعه من: أبي الحسن علي بن حميد بن عمار

58- إمام المقام رضي الدين أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، الطبري الأصل، المكي الشافعي (ت: 722هـ): سمع من: أبي الحسن بن الجميزي كثيراً، ومن شعيب الزعفراني، وعبد الرحمن بن أبي حرمي، وفاطمة بنت نعمة، والشرف المرسي، وجماعة. وحدث به البخاري عن: عم أبيه يعقوب بن أبي بكر، والعماد، وعبد الرحيم بن عبد الرحيم بن العجمي، ومحمد بن أبي البركات بن أبي الخير الراوي بالعاقبة عن أبي الوقت، ورواه بقوت عن ابن أبي حرمي، كتبت عنه: أنا، والبرزالي، والواني، وابن خليل، والعلائي، وعدة. تكملة سير أعلام النبلاء 30/227، 228، رقم 726. وينظر: الدرر الكامنة 1/60، 61 رقم 145.

59- ابن أبي حرمي عبد الرحمن بن فتوح بن بنين المكي (ت: 645هـ): سمع - وهو شاب - صحيح البخاري من طريق أبي ذر على المقرئ علي بن عمار بسماعه من أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر. حدث عنه: مجد الدين العقيلي، ومحب الدين الطبري، ورضي الدين إمام المقام، وأخوه: صفى الدين. سير أعلام النبلاء 23/269، 270 رقم 179. وينظر: ذيل التقييد في رواية والسنن والأسانيد 2/91، 92 رقم 1217.

الأطرابلسي،⁶⁰ عن ابن مكتوم: عيسى،⁶¹ عن أبي ذر عبد بن أحمد،⁶² أخبرنا: أبو محمد الحموي ابن حمويه، وأبو إسحاق المستملي،⁶³ وأبو الهيثم الكشميهني،⁶⁴ قالوا: أخبرنا الفريزي،⁶⁵ قال: حدثنا البخاري؛ علي بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن القسطلاني،⁶⁶ ومحمد بن سالم المقرئ اليميني،⁶⁷ وعبد الله بن محمد بن خليل المكي.⁶⁸

وكتب السماع في الأصل، وكان سماع الشيخ شهاب الدين عبد الله بن خليل عليه سنة ثمان وسبعمئة. والحمد لله رب العالمين.

نقله كذلك أحمد بن علي السبكي عفا الله تعالى عنه ولطف به.

60- علي بن حميد بن عفار الأطرابلسي، أبو الحسن المكي (ت: 576هـ): سمع صحيح البخاري من أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر الهروي، وتفرّد به عنه، وهو آخر من سمع منه، ورواه عنه جماعة، آخرهم عبد الرحمن بن أبي حرمي. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للثقي الفاسي 5/250 رقم 2059، وتاريخ الإسلام 12/556 رقم 163.

61- عيسى ابن الحافظ أبي ذر عبد بن أحمد، أبو مكتوم الأنصاري الهروي ثم السروي (497هـ): روى عنه الصحيح جماعة، منهم أبو التوفيق مسعود بن سعيد الأندلسي، وأبو عبيد نعمة بن زيادة الله الغفاري، وعلي بن حميد بن عمار المكي، وروى عنه بالإجازة أبو طاهر السلفي. تاريخ الإسلام 10/794، 795 رقم 290، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين 5/435، 436 رقم 2290.

62- عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير، أبو ذر الأنصاري الهروي المالكي الحافظ (ت: 434هـ): ويعرف ببلده بابن الشّمالك: سمع بهراً أبا الفضل بن خميرويه، وبشر بن محمد المزني، وجماعة. ورجل فسمع: أبا محمد بن حمويه، وزاهر بن أحمد بسرّخس، وأبا إسحاق بن إبراهيم بن أحمد المستملي ببلخ، وأبا الهيثم محمد بن مكي بكشميهن. روى عنه: ابنه عيسى، وعلي بن محمد بن أبي الهول، وموسى بن علي الصقلي، وعبد الله بن الحسن التنيسي، وعلي بن بكار الصوري، وأحمد بن محمد القزويني، وعلي بن عبد الغالب البغدادي، وشيخ الإسلام أبو إسماعيل وآخرون. تاريخ الإسلام 9/540-542 رقم 124.

63- إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن داود البلخي أبو إسحاق المستملي (ت: 376هـ): سمع البخاري من الفريزي سنة أربع عشرة وثلاثمئة، سمعه منه أبو ذر عبد بن أحمد الهروي ببلخ في سنة أربع وسبعين وثلاثمئة، وحدث عنه. التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد 187 رقم 213 لابن نقطة.

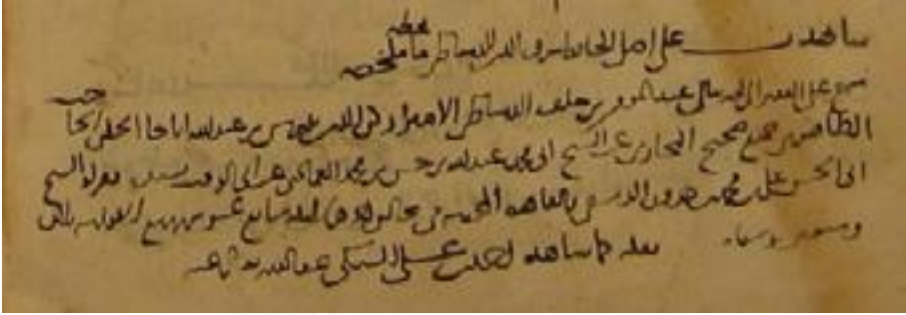
64- محمد بن المكي بن محمد بن المكي بن زراع بن هارون بن زراع المروزي أبو الهيثم الكشميهني (389هـ): حدث بكتاب الجامع الصحيح للبخاري عن محمد بن يوسف الفريزي، وحدث عنه بـ الصحيح: أبو ذر الهروي، أبو الخير محمد بن أبي عمران موسى الصفار، وأبو سهل محمد بن أحمد الحفصي، وكريمة بنت أحمد بمكة، وقد حدث عنه أبو عثمان سعيد بن أبي عمرو محمد بن أحمد البحيري في فوائده. التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد 110-112 رقم 126 لابن نقطة، وتاريخ الإسلام 8/653 رقم 362.

65- الفريزي أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر (ت: 320هـ): قال: سمعت الجامع في سنة ثمان وأربعين ومئتين، ومرة أخرى سنة اثنتين وخمسين ومئتين. حدث عنه: الفقيه أبو زيد المروزي، والحافظ أبو علي بن السكن، وأبو الهيثم الكشميهني، وأبو محمد بن حمويه السرّخسي، ومحمد بن عمر بن شيويه، وأبو حامد أحمد بن عبد الله النعمي، وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي، وإسماعيل بن حاجب الكشاني، ومحمد بن محمد بن يوسف الجرجاني، وآخرون، والكشاني آخرهم موتاً. سير أعلام النبلاء 13-15/10 رقم 5.

66- علي بن الزين محمد بن الأمين محمد بن القطب محمد القيسي القسطلاني المكي نور الدين أبو الحسن (ت: 759هـ): سمع على الرضي إبراهيم بن محمد الطبري صحيح البخاري. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد 2/219 رقم 1476.

67- محمد بن سالم بن إبراهيم بن علي الحضرمي المقرئ جمال الدين أبو عبد الله المكي (ت: 762هـ): سمع بمكة على فخر الدين عثمان بن محمد التنويري الكتب الستة خلا سنن ابن ماجه، والموطأ على الأخوين الصفي أحمد والرضي إبراهيم ابني محمد الطبري. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد 1/126، 127 رقم 196.

68- عبد الله بن محمد بن أبي بكر عبد الله بن خليل بن إبراهيم بن يحيى العسقلاني (ت: 777هـ)، يكنى أبا محمد، ويلقب ببهاء الدين بن الرضي، ويعرف بابن خليل المكي، ثم المصري: سمع بمكة من: الصفي والرضي الطبريين صحيح البخاري. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين 4/418-422 رقم 1624، وينظر: المعجم المختص بالمحدثين 126، 127.



شاهدت على أصل الحافظ شرف الدين الدميّاطي بخطّه ما ملخصه:

سمع على الفقير إلى الله تعالى عبد المؤمن بن خلف الدميّاطي⁶⁹؛ الأميرُ ركن الدين عيسى بن عبد الله أباجي الحلبي الحاجب الطاهري⁷⁰ جميع صحيح البخاري، عن الشيخ أبي محمد: عبد الله بن حسن بن محمد العمادي،⁷¹ عن أبي الوقت بسنده، بقراءة الشيخ أبي الحسن: علي بن محمد بن هارون الدمشقي،⁷² بالقاهرة المحروسة، في مجالس آخرها: ليلة سابع عشر شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وسبعين وستمئة.

نقله كما شاهده أحمد بن علي السبكي عفا الله تعالى عنه.

ولم أجد من نصّ على أن علي بن محمّد بن هارون الدمشقي سمع من الدميّاطي، كما أشار السماع هنا، ولديه في صحيح البخاري سند أعلى من ابن الدميّاطي.

وهذا السماع منقول من أصل الحافظ الدميّاطي بخطّه يثبت فيه سماع الأمير ركن الدين أباجي الحلبي عليه في القاهرة سنة 673هـ.

69- عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف الدين بن الخضر بن موسى التوني الحافظ النشابة شرف الدين أبو محمد الدميّاطي (ت: 705هـ): سمع على: عبد الله بن حسن بن محمد الموصلي صحيح البخاري عن أبي الوقت السجزي إذنًا عاقلًا، ورواه بالإجازة عن جماعة. ذيل التقييد في رواية السنن والأسانيد 2/164، 165 رقم 1360، الدرر الكامنة 3/221-223 رقم 2526.

70- الأمير ركن الدين أباجي الحاجب (ت: 686). عُقد الجُمّان في تاريخ أهل الزمان للعيني حوادث [48 - 712 هـ]، 2/368. ولم أجد من ذكره باسمه. وسماه ابن تغري بردي في المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي 3/119: أياجي بن عبد الله الحاجب.

71- عبد الله بن الحسن بن محمد بن عبد الله، المحدث الصّالح، المعرّف الهذليّ (ت: 652هـ): ولد بنواحي العماديّة، من أعمال المؤصل؛ وحّدث عن: حنبل؛ سمع منه الدميّاطي صحيح البخاري بإجازته العاقلّة من أبي الوقت. تاريخ الإسلام 14/726 رقم 67.

72- علي بن محمد بن هارون، أبو الحسن التغلبي الحميدي الدمشقي ثم المصري (ت: 712هـ): الشيخ العالم المحدث الزاهد المعرّف، الرّحلة قارئ الحديث. سمع من: ابن الزبيدي، وابن غسان، وابن صباح، وغيرهم، حضورًا، من مكرم، وابن اللّثي، وجماعة، تفرد بالرواية عنهم. وكان فاضلاً حسن القراءة. خرّج له الشيخ تقي الدين السبكي مشيخة، وهو خاتمة أصحاب ابن الصباح بالسماع. المعجم المختص بالمحدثين 173، والدرر الكامنة 4/144، 145 رقم 226.

10.2. تحليل السماعات

تبيّن لنا السماعات الصلات بين الشيوخ والتلاميذ، وقد رصدنا فيها سماع وقراءة كبار العلماء على كبار الحفاظ، وكذلك درجات القرابة بين الحضور في مجالس السماع، وما اتّسم به بعضهم من صفات أو مناصب كما سبق.

كما تبيّن لنا صيغ التحمّل التي غلب عليها السماعات ثم القراءات في الدرجة الثانية ثم بشكل الإجازات بشكل قليل جدًّا.

كذلك تعطينا معلومات عن سماع راوٍ عن شيخ ربما لا نجده في كتب التراجم والرجال، كما مرّ معنا في موضعه.

كذلك حدّدت لنا زمان السماع ومكانه، ومعظمها في القرن السابع في دمشق.

هذه السماعات نقلها بخطّه ابن السبكي: الإمام العلامة قاضي القضاة أبو حامد أحمد بن علي السبكي (ت: 773هـ)، عن النسخ التي قوبل بها المخطوط، وسوف نقوم بدراسة تحليلية تبين علاقات الشيوخ وطريقة تلقّيهم للصحيح وروايتهم له، وهذه السماعات ورد فيها أسماء أعلام المحدثين الذين سمعوا وأسمعوا الصحيح، مثل: الحافظ المزيّ، والحافظ المنذري، واليوني، والبدر ابن جماعة، وابن سيد الناس، والحافظ الذهبي، وشمس الدين البعلي.. وهم أعيان علماء القرن السابع الهجري.

ولو لخّصنا أخذ الرواة عن الشيوخ من السماعات الموجودة في الأوراق الأولى للمخطوط لرأينا أن الروايات الأخرى (غير رواية أبي الوقت) التي قوبلت نسخة نورعثمانية بها؛ يمكن الجمع بينها على النحو الآتي:

تعود الروايات الأخرى للجامع الصحيح إلى المستملي وأبي الهيثم وابن حمويه، الذين أخذوا عن الفريسي عن البخاري.

ورواية أبي ذر كانت في هذه السماعات عن المستملي وأبي الهيثم وابن حمويه، وعنه أخذ ابنه ابن مكتوم، وعنه الأضرابلسي، وعنه ابن أبي حرمي، وعنه الطبري، وعنه القسطلاني والمقري والمكي.



أما رواية أبي الوقت التي بنيت عليها نسخة نورعثمانية أساسًا فيمكن تلخيصها -من خلال السماعات المنقولة من النسخ المقابل عليها- على النحو الآتي:

روى أبو الوقت الجامع الصحيح عن الداوودي عن ابن حمويه عن الفربري عن البخاري.

وعن أبي الوقت روى ابن الزبيدي والقلاسي وابن القطيعي وابن اللتي وابن الرزار والعمادي والسلمي وابن شافع الجيلي، وجماعة غيرهم.

تميّزت رواية ابن الشحنة في هذه السماعات أنه أخذ عن ابن الزبيدي والقلاسي والقطيعي وابن اللتي، وكلهم أخذ عن أبي الوقت، وعنه أخذ العز ابن جماعة وابن سيد الناس وأحمد بن علي السبكي وعبد اللطيف السبكي ومحمد بن أبي القاسم الفاروقي.

وكانت رواية الحافظ المنذري عن السلمي عن أبي الوقت.

وكانت رواية الدمياطي عن العمادي عن أبي الوقت.

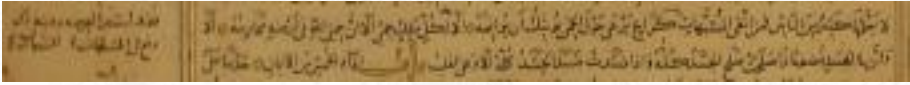
وكانت رواية ابن كثير وشمس الدين البعلي والذهبي عن المزي عن المقداد عن ابن الرزار عن أبي الوقت.

وكانت رواية ابن عساكر واليونياني عن ابن الزبيدي عن أبي الوقت.

3. الحواشي: وهي كثيفة جدًا في هذا المخطوط، زينت طرر المخطوط من بدايته إلى نهايته. وقد تنوّعت لتشمل الروايات الأخرى وتأتي في المرتبة الأولى، وبيان أسماء الرواة، وشرح الغريب، والتنبيهات، والتعليقات، والحواشي.

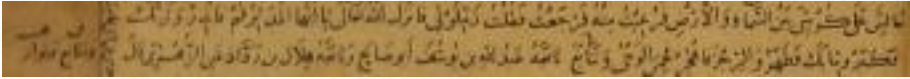
ولم ندخل اللّحق الموجود في النسخة بـ (الحواشي) لأنه لا يعدُّ من خوارج النصّ، لكنّه في النتيجة يعطي الثقة بمتن النصّ، وتدلّ على دقّة الناسخ أو المقابل. وهي تأتي من حيث الكمية في المرتبة الثانية بعد الحواشي التي بيّنت الروايات.

مثال ذلك السقط الذي ألحق بهامش حديث الحلال بيّن والحرام بيّن الذي سقطت منه عبارة: فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في الشبهات.

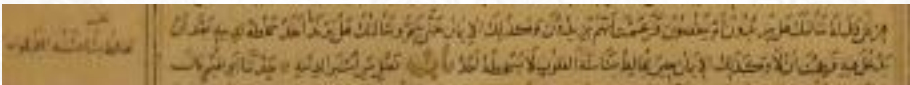


1.3. اختلاف الروايات: وهو كثير جدًا لا تخلو من ذلك صفحة من صفحات المخطوط.

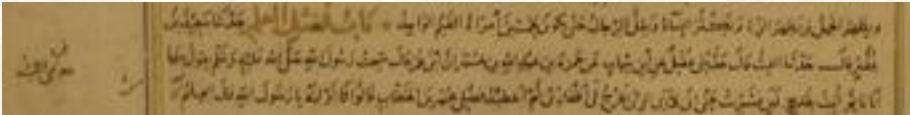
مثال ذلك قوله: فحمي الوحي وتتابع، فذكر رواية: وتواتر، ورمز لها بـ (هـ) أي رواية أبي الهيثم.



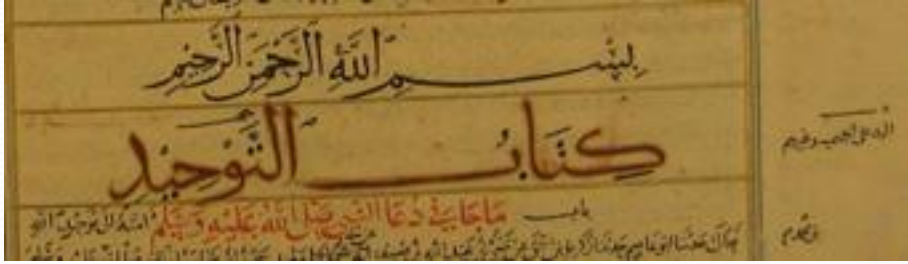
ومثاله أيضًا قوله: وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشة القلوب، فذكر رواية الحموي: تخالط بشاشته القلوب، ورمز لها بـ (حـ).



ومن ذلك ما تحمله الروايات من اختلاف صيغ الأداء، والتفريق بينها، كالتفريق بين حدّثنا وحدّثني، والمقابلة هنا كانت لرواية أخرى لأبي الوقت أيضًا.



ومن ذلك اختلاف عناوين الأبواب، كما في باب التوحيد، فهناك إضافة في بعض الروايات (والردّ على الجهمية وغيرهم).



2.3. بيان أسماء الرواة: ما ورد في متن الصحيح مبهمًا من الأسماء تمّ بيانه في الحاشية كيلا يلتبس، وربما ترافق ذلك مع تصحيح أوهام وقع فيها بعض النشاخ أو المحشين أو الشراح.

مثال ذلك تحقيق اسم: يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو بن سهل، فنقل عن بعضهم: قيس بن فهد، وذكر أنه لا يصح.⁷³



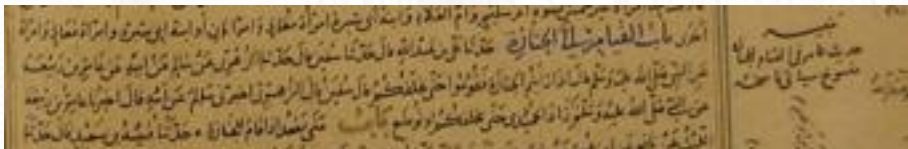
3.3. تفسير الغريب: وهو قليل نسبيًا في المخطوط. كما في تفسير كلمة (الناموس).



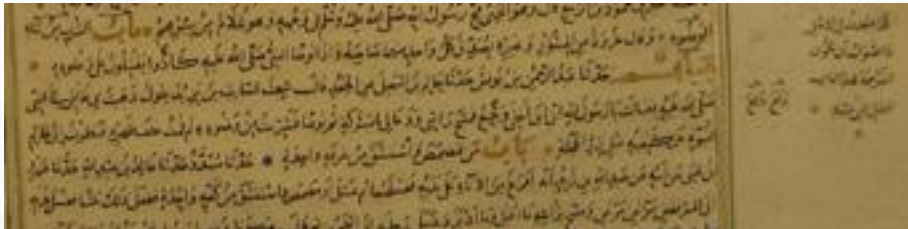
4.3. التنبيهات: وهي في الأغلب إشارة إلى قضايا علمية. مثال ذلك الإشارة إلى النسخ أو التخصيص في الحديث.



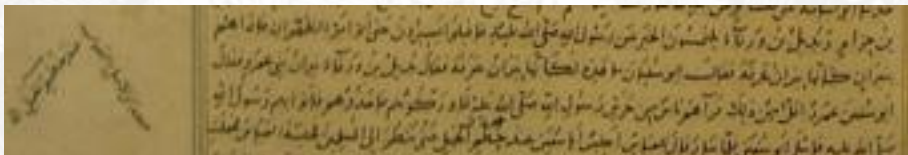
ومن ذلك أيضًا:



5.3. التعليقات والتصحيحات: وهي متنوّعة، ومنها ما يبيّن الإشكال في النسخة المنقول عنها، كيلا ينسب ذلك إلى الناسخ. كما في إهمال ترجمة بعض الأبواب.



ومنها التصحيف والتحريف في بعض الألفاظ، كما في عبارة (حطم الخيل) التي صَحَّحها (خطم الجبل).



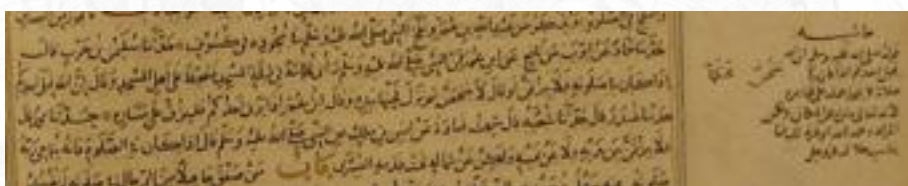
6.3. الحواشي: وهي تتناول قضايا علمية ذات طبيعة مختلفة عن التي تتناولها التنبيهات، فالحواشي في المخطوط متعلقة بالعقيدة غالبًا. ومن ذلك عدم جواز حمل النزول الوارد في الحديث على ظاهره.



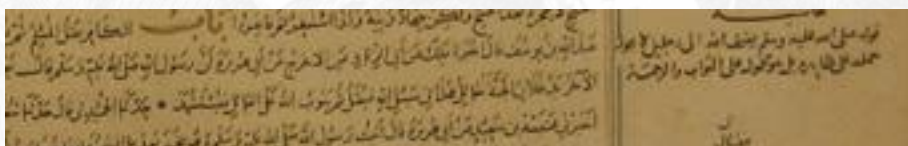
وفي موضع آخر:



ومن ذلك أيضًا حاشية في عدم حمل قوله: (إن الله قبل أحكم) على ظاهره.



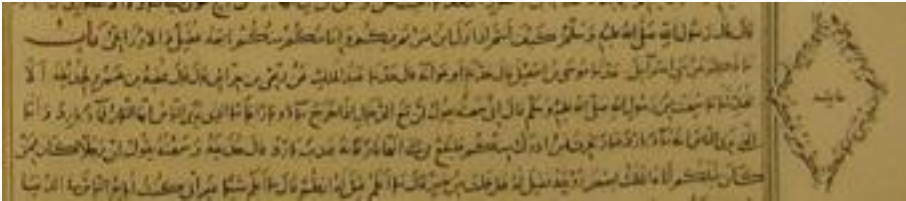
ومن ذلك أيضًا حاشية في عدم حمل الضحك على ظاهره.



ونجد حرص الناسخ على التنبيه في الحواشي على كل ما يرد مما لا ينبغي حمله على ظاهره، ولو كان ذلك أكثر من مرّة في الصفحة الواحدة.



وقلّما تأتي الحاشية في موضوع آخر، ومثال ذلك ما وقع في تفسير: (وإمامكم منكم). ونلاحظ تعدّد أشكال الحواشي، وأنها لا تكون على نمط واحد في المخطوط.



الخاتمة

يعدُّ مخطوط الجامع الصحيح من مقتنيات مكتبة نورعثمانية تحت رقم 703؛ من نفائس مخطوطات البخاري التي وصلت إلينا، وقد نسخ في القرن السابع الهجري العظيم الذي كانت فيه مدارس الحديث بدمشق في قمة نشاطها العلمي، ومجالس السماع منتشرة في أرجاء المدينة، وتجلّى هذا في السماعات التي نقلت من المخطوطات التي قوبل بها مخطوط نورعثمانية، وهي بخط الإمام العلامة قاضي القضاة بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي السبكي (ت 733هـ)، الذي أثبت بخطّه تسع سماعات منقولة، قمنا بدراستها دراسة تحليلية تبين علاقات الشيوخ وطريقة تلقيهم للصحيح وروايتهم له، وهذه السماعات ورد فيها أسماء أعلام المحدثين الذين سمعوا وأسمعوا الصحيح، مثل: الحافظ المزي، والحافظ المنذري، واليونيني، والبدر ابن جماعة، وابن سيد الناس، والحافظ الذهبي، وشمس الدين البعلبي..

أثبت الناسخ تاريخ النسخ سنة 653هـ، وهذا يدلُّ على أن قيد الفراغ منسوخ من الأصل الذي نقلت منه النسخة، وذلك أن سند النسخة الذي بخطّ الناسخ في أولها يدلُّ على أن شيخ الناسخ أحمد بن المظفر قرأ الجامع على شيوخه بتواريخ متأخرة عن هذا التاريخ: سنة 694هـ في جامع دمشق، وسنة 696هـ بدار الحديث الأشرقية بدمشق، وسنة 697هـ بالمشهد العمري بدمشق. وكانت هذه أهمّ المراكز العلمية في دمشق الشام، التي استقطبت أعلام القرن السابع من العلماء.

إن ما يميّز هذا المخطوط ويزيد في نفاسته جمعه بين (الرواية) التي وثّقها السند المثبت أولها، و(النسخة) المقابلة على أصول للرواية الأصلية (رواية أبي الوقف من طريق الزبيدي والقلاسي) وللروايات الأخرى (رواية أبي الهيثم، والمستملي، وأبي ذر، والحموي) التي زينت طرر المخطوط.

وكانت دراستنا للسماعات في المخطوط ضمن دراسة خوارج النصّ، التي صنّفناها في ثلاث زمر:

- ما يتّصل ببيانات النسخة الأساسية
- ما يتّصل بالسماعات المنقولة من النسخ التي قوبل عليها المخطوط
- ما يتّصل بحواشي النسخة

رصدنا في السماعات سماع وقراءة كبار العلماء على كبار الحفاظ، وكذلك درجات القرابة بين الحضور في مجالس السماع، وما اتّسم به بعضهم من صفات أو مناصب. كما تبين لنا من خلالها صيغ التحمّل التي غلب عليها السماعات ثم القراءات في الدرجة الثانية ثم بشكل الإجازات بشكل قليل جدًّا. كذلك وجدنا سماعات بعض الرواة عن بعض الشيوخ، دون أن نجد ذلك مثبتًا في كتب التراجم والرجال.

وكانت الحواشي كثيفة جدًا في هذا المخطوط، زينت طرره من بدايته إلى نهايته، وتنوّعت لتشمل الروايات الأخرى وتأتي في المرتبة الأولى، وبيان أسماء الرواة، وشرح الغريب، والتنبيهات، والتعليقات، والحواشي، وكل ذلك أعطاه قيمة توثيقية إضافية.

إن هذا المخطوط يعدّ واحدًا من نفائس مخطوطات القرن السابع الكثيرة التي تزخر بها مكتبات المخطوطات في العالم، وقد اطلعنا على مخطوطات للكتب الستة في غاية النفاسة نسخت في هذا القرن، وإن دراسة القيود التوثيقية بأنواعها المختلفة على هذه المخطوطات سوف يعطينا نتائج باهرة تزيد ثقتنا بما بين أيدينا من التراث النبوي الشريف.

المصادر والمراجع

- أعيان العصر وأعيان النصر، لخليل بن أيبك الصفدي، ت علي أبو زيد ونبيل أبو عشمّة وآخرون، دار الفكر، سوريا، ط1، 1998م.
- تاريخ الإسلام، لمحمد بن أحمد الذهبي، ت بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م.
- التبيان لبديعة البيان، لمحمد بن عبد الله ابن ناصر الدين الدمشقي، ت عبد السلام الشخيلي وسعيد البوتاني وآخرون، دار النوادر، بيروت، ط1، 2008م.
- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، لمحمد بن عبد الغني ابن نقطة، ت كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م.
- تكملة سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد الذهبي، ت عادل مرشد، أحمد برهوم، سليم عامر، الرسالة العالمية، بيروت، ط2، 2019م.
- التكملة لوفيات النقلة، لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري، ت بشار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1981م.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، ت بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1980-1992م.
- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، لمحمد بن عبد الله ابن ناصر الدين الدمشقي، ت محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت السيد خورشيد علي وآخرون، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط2، 1972م.
- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، لمحمد بن أحمد التقي الفاسي، ت كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.
- ذيل تذكرة الحفاظ، لمحمد بن علي الحسيني، ت زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
- رفع الإصر عن قضاة مصر، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1998م.
- سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد الذهبي، ت حسين أسد، وشعيب الأرنؤوط وآخرون، الرسالة، بيروت، ط3، 1985م.

- طبقات الحفاظ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994م.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، لمحمد بن أحمد التقي الفاسي، ت محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
- عقْد الجُمان في تاريخ أهل الزمان [648 - 712 هـ]، لبدر الدين محمود العيني، ت د محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، مصر، 2010م.
- المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي، لمحمد بن أحمد الذهبي، ت مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2004م.
- معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ابن الأَبَّار (ت ٦٥٨هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، ٢٠٠٠م.
- معجم الشيوخ، لمحمد بن أحمد الذهبي، ت د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، السعودية، ط1، 1988م.
- المعجم المختصّ بالمحدثين، لمحمد بن أحمد الذهبي، ت محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف السعودية، ط1، 1998م.
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ليوسف بن تغري بردي، ت د محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الوافي بالوفيات، لخليل بن أبيك الصفدي، ت أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 2000م.



أَبُو الْوَلِيدِ ابْنُ الصَّبَّاحِيِّ الْقُرْطُبِيِّ (ت423هـ) وكتابه في تفسير البخاري

إعداد

د. رضوان الحصري

جامعة ابن زهر- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- أكادير
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية - أبو ظبي



مقدمة

الحمد لله الواسع الفتاح، الباعث بنفخ الأرواح في الأشباح، والهادي من الضلال
البراح، والصلاة والسلام على رسوله المبعوث بإخراج الناس من الأغلال إلى الرّاح،
وعلى آله وصحبه والتابعين ما تنفّس وجه الإصباح؛ أما بعد؛

فإنّ من شَرُط البحث المتميز لا سيّما إذا كان مُتَصِلًا بعَلَمٍ مشهور أو موضوع
منشور أن يكون جديداً، بريئاً من أن يصير للهزيلة نديداً، لا تجد فيه خيئماً نظرت
بتصرك حديداً إلا علماً سديداً؛ وهذا ما يجب أو من الفرض أن يكون كذلك فيما
نحن بسبيله من الكلام على أمير المؤمنين وحاكم الأمة في الحديث النبويّ
الشريف: الإمام البخاري رحمه الله¹.

وقد شرفنا بنشر بحثين اثنين في كتابه الجامع الصحيح؛ أولهما مقال بعنوان:
«من أقدم نسخ الجامع الصحيح للإمام البخاري في خزائن الكتب المخطوطة
بالمغرب»²؛ وثانيهما: «طرز الحافظ أبي علي الغساني (ت498هـ) على الجامع
الصحيح للإمام البخاري: جمع وتحقيق»³.

واليوم أزداد شرفاً بإضافة هذا البحث ليكون كالثالثة الأثافي التي لا يستقر القدر إلا
بها؛ مشاركا به في هذا المؤتمر العلي بموضوعه ومكان انعقاده وسؤدد منظمه؛

1- قال أبو محمد عبد الله بن محمد الحجّري السبتي ثم القرطبي في فهرسته (ص117): «الجامع الصحيح المسند
المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: تصنيف إمام صناعة الحديث بلا مدافعة أبي
عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري؛ هكذا سماه البخاري فيما ذكره الكلاباذي وغيره،
والروايات لهذا الجامع مختلفة».

2- نشر بمنصة الرابطة المحمدية للعلماء؛ مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة،
بتاريخ: 2012 / 28 / 6م.

3- طبع في مجلة لسان المحدث التي تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء؛ العدد الرابع / يوليو 2022م، (ص- 73 107).

وهو في التعريف بكتاب جديد مخطوط كان في حيز الجهالة كما ذكر في دليل المخطوطات بدير الأسكوريال في مدريد، ألا وهو كتاب شرح غريب كتاب البخاري لأبي الوليد هشام بن عبد الرحمان القرطبي المعروف بابن الصابوني (ت423هـ)، وذلك ضَمَنَ محوَر الأحاديث المشكلة في الجامع الصحيح، وكيف حلَّ العلماء إشكالاتها؛ مبينا بذلك عن قوة خدمة الناس للجامع الصحيح الذي ستبقى الأمة المحمدية محتفلة به إلى ما شاء الله، مُقيماً له على الأركان التالية:

- **أولاً:** في ترجمة أبي الوليد ابن الصابوني القرطبي.
- **ثانياً:** في رفع العَمَاية عن كتابه وإثبات نسبته إليه، ووصف نسخته المخطوطة.
- **ثالثاً:** في ذكر نصوص من الكتاب على سبيل الشاهد والمثّل.

والله أسأل التوفيق فيما أردتُ، وعليه عزمت، وله تقدمت؛ وآخر القول أن الحمد لله رب العالمين.

أولاً : في ترجمة أبي الوليد ابن الصابوني القرطبي

إن الأصل في ترجمة ابن الصابوني هو ما ذكره ابن بشكوال في الصلة⁴، وعنه أخذها الآخرون⁵.

قال رحمه الله : «هشام بن عبد الرحمن بن عبد الله، يُعرف بابن الصابوني؛ من أهل قرطبة، يُكنى أبا الوليد؛ رحل إلى المشرق؛ فأدى الفريضة، وروى هنالك عن أبي الحسن القابسي⁶، وأبي الفضل الهروي⁷، وعن أبي القاسم علي بن إبراهيم التميمي الدهكي التغذيدي⁸، وعن أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي⁹ وغيرهم؛ وكان خيراً فاضلاً، عفيفاً طيب الطعمة، مخزون اللسان، جيد المعرفة، حسن الشروع في الفقه والحديث؛ ذووباً على الشيخ، جماعاً للكُتب، جيد الخط؛ وله كتاب في تفسير البخاري على حروف المعجم كثير الفائدة؛ وتوفي عن علة طاولته زماناً في ذي القعدة من سنة ثلاث وعشرين وأربع مائة؛ ودُفن بمقبرة ابن عباس، وصلى عليه يونس بن عبد الله القاضي¹⁰؛ ذكره ابن خيَّان¹¹ ووصفه بما ذكرته».

ويُضاف إلى ما ذكره ابن بشكوال من تفسير ابن الصابوني لصحيح البخاري ضمن تصانيفه: برنامجه الذي فيه ذكر شيوخه وروايته، نقل منه ابن الأبار في التكملة¹²؛ وكذلك من تلاميذه والرواة عنه : محمد بن محمد بن بشير أبو عبد الله المعافري الصيرفي القرطبي (ت481هـ)، وكان ولد ابن الصابوني بالتبني¹³.

4- ابن بشكوال، كتاب الصلة، (ص615).

5- مثل الذهبي في تاريخ الإسلام (9/395).

6- أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بابن القابسي (ت403هـ). ترتيب المدارك (7/92).

7- أبو الفضل أحمد بن أبي عمران الهروي نزيل مكة (ت399هـ). العبر في خبر من غير (2/194).

8- له ترجمة في معجم الأدباء لياقوت (4/1641)، وعنه الصفدي في الوافي بالوفيات (20/6)، والدهكي نسبة إلى دهك:

من قرى الري، الأنساب للسمعاني (5/424)؛ روى عنه ابن الصابوني بمصر كما فهرسة ابن خير (ص163).

9- أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي (ت402هـ). ترتيب المدارك (7/102).

10- هو أبو الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن معيث قاضي الجماعة بقرطبة، المعروف بابن الصفار (ت429هـ).

كتاب الصلة لابن بشكوال (ص647).

11- لعله فيما هو مفقود من كتاب المقتبس.

12- التكملة لكتاب الصلة (1/115)، (1/239)؛ فهرس الفهارس (2/701).

13- الصلة (ص526)، التكملة لكتاب الصلة (1/115)؛ فهرسة ابن خير (ص- 79 - 163 - 336 - 348).

ثانياً : في رفع العمّاية عن كتابه وإثبات نسبته إليه ووُصف نُسخته المخطوطة

ذكر هذا التصنيف كما سبق ابن بشكوال بقوله : كتاب في تفسير البخاري.

وسماه ابن خير الإشبيلي : شرح غريب كتاب البخاريّ لأبي الوليد بن الصّائوني، ثم رواه عن شيخه أبي الحسن يونس بن محمد بن مغيث رحمه الله قال : حدثنا به الشيخ الصّالح أبو عبد الله محمد بن محمد بن بشير الصّيرفي رحمه الله عن مؤلفه أبي الوليد هشام بن عبد الرحمن المَعْرُوف بابن الصّائوني رحمه الله¹⁴.

وكذلك سماه وذكره أبو محمد عبد الله بن محمد الحجري السبتي نزيل قرطبة (ت591هـ) في فهرسته، ورواه عن شيخه ابن الصّفار¹⁵ عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن بشير عن مؤلفه أبي الوليد¹⁶.

والأدلة على كون النسخة التي بين أيدينا هي شرح غريب كتاب البخاري لابن الصابوني مُفَصَّلَةٌ فيما يلي :

• أن المخطوط عبارة بعد الاطلاع عليه وفحصه عن شرح غريب الجامع الصحيح للبخاري، ذُكر في دليل مخطوطات الإسكوريال بعنوان : غريب الحديث؛ منسوباً إلى مجهول بسبب بتر في أوله.

• أنه شرح مرتب على حروف المعجم كما ذكر ابن بشكوال؛ وهو كذلك في هذه النسخة كما يلي في بداية كل لوحة منها ونهايتها على الولاة : تم حرف الألف من الأصل¹⁷ - حرف الباء - كمل حرف الباء من الأصل - حرف التاء - كملت التاء من الأصل - حرف الثاء - كملت الثاء من الأصل بحمد الله وعونه - حرف الجيم - كمل الجيم من الأصل بحمد الله وعونه - باب الحاء - هنا تم حرف الحاء بحمد الله وعونه - باب الخاء - كمل الخاء من الأصل بحمد الله وعونه - باب الدال - تم حرف الدال من الأصل بحمد الله وعونه - باب الزاي - باب الطاء - تم حرف الطاء والحمد لله حق حمده - باب الظاء - تم حرف الظاء بحمد الله وعونه - الكاف - تم حرف الكاف من الأصل بحمد الله وعونه - اللام - تم حرف اللام من الأصل بحمد الله وعونه - الميم - نجز حرف الميم من الأصل والحمد لله حق حمده - النون - تم حرف النون من الأصل والحمد لله حق حمده - الصاد - الضاد - العين - الغين -

14- فهرسة ابن خير (ص167).

15- هو أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث بن محمد القرطبي (ت532هـ)، الصلة لابن بشكوال (ص649).

16- فهرسة الحجري (ص129).

17- تقدم آنفاً أن في النسخة بتر في أولها، ولذلك ذهبت مقدمة الكتاب مع جزء من حرف الألف، وهو ما جعلها مجهولة النسبة.

الفاء - القاف - السين - تم حرف السين يتلوه حرف الشين - الشين - الهاء - الواو -
تم حرف الواو من الأصل والحمد لله - الياء - تم حرف الياء وهو آخر الديوان
والحمد لله حق حمده.

• أن ما نقله العلماء - وقدوتهم في ذلك القاضي عياض¹⁸ - من كتاب ابن الصابوني
موجود في هذا الديوان الذي بين أيدينا؛ وهذه أمثلة البيان :

- قال القاضي عياض : الخيلاء التكبر فى كل شيء، ومنه قول طلحة لعمر : إنا
لا نخول عليك؛ قال الهروي: أى لا نتكبر، يقال: خال الرجل واختال فهو خال وذو
خال ومخيلة، وقال ابن دريد: الخيلاء التكبر، ولا يكون ذلك إلا مع جرّ الإزار،
قال سيبويه: وزن الخيلاء فعلاء اسماً وتكسر الخاء لغة، **وحكى ابن الصابوني
أنه التجبر، والاستحقار للناس**¹⁹؛ ونص ما في كتابنا : «قوله : يجز ثوبه خيلاء
والمختال والختال؛ قال يعقوب : رجل مختال وخال وذو خيلاء وذو خال، **وأصل
الخيلاء التجبر والاحتقار للناس**؛ وفي الحديث : إن الله يبغض الاختيال في الفخر
والرياء ويحب الاختيال في قتال العدو والصدقة، وأما في قتال العدو فالتهاون
بهم والاحتقار لهم وأما في الصدقة فأن تعلق نفسه وتشرف فيستقل كثيرها،
وهذا كقوله عليه السلام : إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفافها»²⁰.

- قال القاضي عياض : والطيرة: التشاؤم، وهو مصدر التطير، قالوا: تطير طيرة، كما
قال: تحير حيرة، وليس فى المصادر غيرهما، وفي السماء حرفان، قالوا لنوع من
السحر وشيء طيبة أى طيب، قال الخطابى: وكذلك ضبطناه عن شيوخنا بفتح
الياء، **وحكى الصابوني أن بعضهم قال: إنما هي بسكون الياء**²¹؛ ونص ما في
كتابنا : « قوله : لا عدوى ولا طيرة ولا هامة؛ قال الخليل : العدو ما يقولون أنه
يعدي من جرب أو داء، وفي الحديث لا يعدي شيء شيئاً غيره، لا عدوى ولا طيرة
الياء ساكنة، ولا هامة وهي الحية، قال الطبري : معنى لا عدوى...»²².

- قال القاضي عياض : وقد قيل فى قوله: يتخولهم بالموعظة: **أي يحبسهم
عليها، كما يحبس خوله ويتعهدهم، قاله ابن الصابوني**، وقال الفراء: الخائل:
الراعي للشيء الحافظ له، وقد خال يخول واختال، افتعل من هذا، والله أعلم²³،
ونص ما في كتابنا : «قوله : يتخولهم بالموعظة: **أي يحبسهم عليها كما تحبس
خولك ويتعهدهم بها**، قال أبو عبيد : قال أبو عمرو : يتخولهم أي يتعهدهم

18- نقلت نصوصه كما هي من كتابه إكمال المعلم ومشارك الأنوار المطبوعين، وفيهما أخطاء مطبعية كثيرة لم أنبه
عليها، وإنما الغرض إثبات موافقة ما نقله القاضي عياض عن ابن الصابوني لما في هذا الكتاب.

19- إكمال المعلم (1/296).

20- شرح غريب كتاب البخاري (ل 51/ب).

21- إكمال المعلم (7/141).

22- شرح غريب كتاب البخاري (ل 105/ب).

23- إكمال المعلم (8/395).

بها، والخالل المتعهد للشيء والمصلح له والقائم به، ويتخون أيضا أي يصلح مثل يتخول وأهل الشام يسمون القائم بأمر الغنم والمتعهد لها الخولي، ولم يعرفها الأصمعي وقال: أظنها بالنون فتخونهم وهو التعهد أيضا ومنه قول ذي الرمة: لا ينعش الطرف إلا ما تخونه - داع يناديه باسم الماء مبغوم؛ تخونه يعني تعهده يقال: امرأة بغوم رخيمة الصوت وهو لين منطقتها قال أبو عبيد: وأخبرني يحيى بن سعيد عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول: يتخولهم بالموعظة أي ينظر حالاتهم التي ينشطون فيها للموعظة والذكر فيعظهم فيها ولا يكثر عليهم فيملوا»²⁴.

- قال القاضي عياض: ترمم القوم: إذا حركوا أفواههم بالكلام ولما يتكلموا، قال: والرمز: صوت خفي بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم، ويكون أيضا الإيماء بالحواس وغيره دون كلام، وقال غيره: الزممة بزاعين معجمتين **تراطن العلوج عند الأكل وهم صموت، لا يستعملون اللسان ولا الشفة. وإنما هو صوت يدار في الخياشيم والحلق، ذكره ابن الصابوني**²⁵؛ ونص ما في كتابنا: «قوله: زمزمة: الزمزمة تكلف العلوج الكلام عند الأكل والشرب وهم صموت، لا تستعمل اللسان ولا الشفة في كلامها، ولكنه صوت منهم يديره في خياشيمه وحلقه فيعرف بعضهم كلام بعض»²⁶.

- قال القاضي عياض: أما جردلت بالجيم فقليل هو الإشراف على السقوط والهلاك، **وحكى ابن الصابوني مجزدل بالجيم والزاي عن الأصيلي، وهو وهم عليه ليس ذلك في كتابه، ورواية بقیة رواة مسلم المجازي من الجزاء، والرواية الأولى أصح وكذلك الخلاف أيضا في كتاب البخاري في كتاب الصلاة فيه في قوله يخردل ويجردل بالجيم لأبي أحمد وبالحاء المعجمة فقط وجاء في كتاب التوحيد في البخاري وقال أو المجازي على الشك**²⁷؛ ولخص كلامه ابن قرقول فقال: **وحكى ابن الصابوني عن الأصيلي: «مجزدل» بالجيم والبدال بعد الزاي، وهو وهم؛ ليس ذلك في كتاب الأصيلي، ورواه بقية رواة مسلم سوى السجزي: «المجازي» من الجزاء، والرواية الأولى أصح، أعني: رواية السجزي**²⁸؛ ونص ما في كتابنا: «قوله: ومنهم المخردل قال الخليل: المخردل المصروع المرمي، وقال غيره: خردل الشاة إذا قطعها قطعاً؛ وقع في كتاب الأصيلي: **المجزدل بالجيم والزاي، والراء في باب الصراط جسر جهنم، ووقع في كتاب الصلاة في باب فضل السجود ومنهم من يجردل ويخردل لأبي زيد**»²⁹.

24- شرح غريب كتاب البخاري (ل/52).

25- إكمال المعلم (8/469).

26- شرح غريب كتاب البخاري (ل/63ب).

27- مشارق الأنوار (1/146).

28- مطالع الأنوار (2/115).

29- شرح غريب كتاب البخاري (ل/50ب).

- قال القاضي عياض : في عين حمئة؛ على قِرَاءة من قرأها بِالْهَمْزِ، وَهِيَ بِمَعْنَى حَمِيل السَّيْلِ أَوْ قَرِيب مِنْهُ الرَّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ فِي الْحَدِيثِ أَيَّ مَا احْتَمَلَهُ مِنَ الْغَثَاءِ وَالطَّيْنِ، وَرَأَيْتُ الصَّابُونِي قد فسره على غير وَجْهِهِ فَأَبْعَدَ، قَالَ يُقَالُ : **مَشَى فِي مَشِيَّتِهِ أَيَّ فِي حَمَلْتِهِ**³⁰؛ وقال ابن قرقول : قوله في الحُمْرِ : «كَانَتْ حُمُولَةُ الْقَوْمِ» أَي : الحاملة لهم ولمتاعهم، وقال ابن الصابوني في تفسيره : **يقال: مشى في مشيته، أي: في حملته**، كذا كتبه القاضي ولا أفهمه³¹؛ ونص ما في نسختنا : «قوله حمية السيل، تقول : مشى في حميته أي في حملته»³².

- قال القاضي عياض : رَوْضَةُ خَاخ؛ بخاءين معجمتين مَوْضِعٌ يَقْرَبُ حَمْرَاءَ الْأَسَدِ مِنَ الْمَدِينَةِ كَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي عَوَانَةَ خَاخٌ يَاهِمَالُ الْأَوَّلَى وَآخِرُهُ جِيمٌ، وَهُوَ وَهْمٌ مِنْ أَبِي عَوَانَةَ وَحَكَى الصَّابُونِي أَنَّهُ مَوْضِعٌ قَرِيبٌ **مِنْ مَنْى**³³ وَالْأَوَّلُ الصَّحِيحُ³⁴؛ وقال ابن قرقول : رَوْضَةُ خَاخٌ؛ موضع بقرب حمراء الأسد من المدينة، وذكره البخاري من رواية أبي عوانة: «خَاخٌ»، وهو وهم من أبي عوانة، **وحكى الصائدي**³⁵ **أنه موضع قريب من مكة**، والأول أصح³⁶؛ ونص ما في نسختنا : «قوله : حتى يأتوا روضة خاخ؛ قال الطبري : الروضة كل مكان فيه نبت مجتمع، تجمع رياضا، وأما خاخ فموضع قريب من مكة»³⁷.

وأما وصف النسخة المخطوطة للكتاب حسب مصورتها التي بحوزتي فهو أنها من محفوظات دير الأسكوريال بمدير، تقع في 137 لوحة؛ في كل لوحة وجهان؛ ما عدا اللوحة الأولى والأخيرة، في كل لوحة 26 سطرا؛ كتبت بخط مغربي جميل وواضح؛ لم يذكر ناسخها ولا تاريخ النسخ؛ غير أنه بالنظر إلى صورة الخط وشكله يغلب على الظن مع ضميمته النقول التي في حواشيها والتي نَقَلْتُ عَنْ أَعْلَامِ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ أَنَّ النسخة من مكتوبات القرن السابع الهجري.

وقد سبق التنبيه على أن الكتاب مرتب على حروف المعجم، ضاع مع الأسف جزء من أوله؛ وهو من باب الألف، والباقي منه إلى آخر الديوان مَصُونٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

30- مشارق الأنوار (1/199).

31- مطالع الأنوار (2/307).

32- شرح غريب كتاب البخاري (ل46/ب).

33- الصواب مكة كما سيأتي في المطالع، وهو الموجود في كتابنا أيضا.

34- مشارق الأنوار (1/250).

35- محرف عن الصابوني، وقد أشار إلى ذلك محقق المطالع في الحاشية.

36- مطالع الأنوار (2/496).

37- شرح غريب كتاب البخاري (ل48/أ).

ثالثا : في ذكر نصوص من الكتاب على سبيل الشاهد والمثل

هذه نماذج³⁸ لشرح ابن الصابوني لغريب كتاب البخاري نقلتها من حرف الألف في مواضع مختلفة؛ تبين طريقته في الشرح ومنهجه في التفسير وأبرز الأعلام الذين ينقل عنهم :

- **قوله : أسود أفحج**؛ الأصمعي : الفحج تباعد ما بين الفخذين؛ وقال الخليل : تباعد ما بين أوساط الساقين، والضب أفحج.
- **قوله : فأخذ أوضاحا لها**؛ الخليل : الوضاح حلي من فضة والجمع أوضاح، الحربي : قال عمرو عن أبيه : الأوضاح الخلاخيل.
- **قوله : أصحمة النجاشي**، هو اسمه بلغتهم، وتفسيره بالعربية عطية.
- **قوله : فلما أحفظ الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم**، يريد أغضبه؛ أبو زيد: الإحفاظ لا يكون إلا بكلام من الذي يتعرض له بقبيح وإسماع له ما يكره، فإن لم يتكلم بقبيح فإنه لم يحفظه.
- **قوله : ألحن بحجته**؛ قال ابن الأنباري : معناه أقوم بحجته، وأفطن لها؛ وهو من قولهم : قد لحن يلحن لحنًا إذا أصاب وفطن، ويقال : لحن لحنًا إذا أخطأ.
- **قوله : كبش أملح**، قال الخليل : هو بياض يشوبه شيء من سواد، وقال الأصمعي: سألت أعرابيا فصيحا ما الأملح من الشاء؟ فقال : الأسود تعلوه حمرة.
- **قوله : أحالوا إلى الحصن**، من الدلائل : أقبلوا إليه هاربين، قال يعقوب : أحال عليه أقبل عليه، قال أبو عبيد : وقد يقال : أحال الرجل إلى مكان، أي تحول إليه.
- **قوله : أهل الهلال، والإهلال بالحج، وما أهل لغير الله به**؛ قال الأصمعي : كل شيء ارتفع صوته فقد استهل، ومنه الإهلال بالحج إنما هو رفع الصوت بالتلبية، قال أبو حاتم : يقال : أهللنا هلال شهر كذا واستهللناه وقد أهل الهلال وهو هلال مهل، ولا يقال : هل؛ غيره : أهل الهلال واستهل لا غير واستهل الصبي إذا صرخ عند سقوطه، وأهل لغير الله به أي ذبح لغير الله وذكر عند ذبحه غير اسم الله.
- **قوله : وقد أرهقنا الصلاة**، قال الخليل : استأخرنا عنها، وذكر الحربي عن الأصمعي: أرهق فلان الصلاة إذا أخرها حتى يكاد يدنو من الأخرى، ورهقه دين فهو يرهقه إذا غشيه، ورهقني فلان إذا لحقني، وتقول : أرهقت الصلاة إرهاقا إذا أخرتها عن وقتها، وقد أرهقته عسرا أي كلفته، وتقول : لا ترهقني لا أرهقك الله، أي لا تعسرني لا أعسرك الله؛ قال ابن الأعرابي : يقال : رهقته وأرهقته.

38- الكتاب جميعه قيد تحقيقي، وسيخرج بحول الله بعد أمة.

- **قوله : أمهق،** قال الخليل : المهق والمقه بياض في زرقه، وبعضهم يقول : المقه أشدهما بياضا، وقال أبو بكر : المهق شدة بياض الإنسان حتى يقبح جدا، يقال : رجل أمهق وامرأة مهقاء وهو سمج قبيح لا يخالطه صفرة ولا حمرة.
- **قوله : أهجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تقولوا هجرا، وماله أهجر؛** هكذا وقع في كتاب الجهاد : أهجر؛ قال أبو زيد : أهجر في الكلام إذا أكثر فيه حتى يجاوز ما كان يتكلم فيه قبل ذلك، وهجر أيضا يهجر هجرا، وقال أبو حاتم : هجر فلان في المرض وفي النوم أي هذى، وهو يهجر هجرا، وأهجر هذيان المبرسم، والهجر الخنا والكلام القبيح، والهجر بالفتح الهذيان.
- **قوله : أهدر ثنيته،** يقال : هدر دمه يهدر هدرًا بفتح الدال في المصدر وأهدرته أنا أبطلته، وقال غيره : يهدر بضم الدال في المستقبل.
- **قوله : حتى ابهار الليل؛** الخليل : انتصف، يعقوب : إذا ذهبت عامته وبقي نحو من ثلثه، قال الأصمعي : بهرة كل شيء وسطه، ومنه : ابهار الليل انتصف.
- **قوله : بإهالة سنخة،** قال الخليل : الإهالة الألية ونحوها تقطع ثم تذاب فتلك الإهالة، وسنخ الشيء إذا تغير.
- **قوله : أمنة نعاسا؛** من الأمان، يقال : وقعت الأمنة في الأرض.
- **قوله : لا آمن أن يكون قتال، أماناه وقرية، وقال بعد ذلك : شر نأمنه؛** الحربي : آمن أمانا وأمانا والأمنة والأمانة نقيض الخيانة، وآمنت بالشيء صدقت به، اللحياني : رجل أمنة بالفتح يثق بكل أحد، وقال أمنة بالضم.

• **قوله : أمين؛** في الدلائل : قال يعقوب : أمين بقصر الألف وتخفيف الميم، وأمين مطولة الألف، مخففة الميم لفظ بني عامر، وقال بعضهم : إنها ألف النداء أدخلت على أمين، وانتصاب أمين على وجهين : على إضمار فعل نحو أدعو أمين، أو على مذهب المصادر؛ وقال ابن الأنباري : قال ابن عباس : يكون ذلك، وقال مجاهد : أمين اسم من أسماء الله³⁹.

قوله : غير ناظرين إناه وحميم أن وعين آنية؛ الحربي عن عمرو عن أبيه، أنى طعامك وشرابك إنى شديد، وأنت الصلاة تأتي أنيا وإنا إدراك الشيء، انتظرنا إنا الطعام أي إدراكه؛ قال أبو عبيدة : إناه إدراكه وبلوغه، يقال : أنى يأتي أي بلغ وأدرك، وقال مجاهد وغيره : إناه نضجه؛ وعن ابن عباس أن انتهى حره، وعنه : عين آنية انتهى حرها.

قوله : فما قال لي أف، معناه ما غلظ من الكلام وجفا؛ الخليل : أفقت الرجل قلت له أف، ويقال : أف له وأف وأفا وأفة له، غيره : يقال أف لك بفتح الفاء وكسرهما وضمها، وإن شئت نوتتها في وجوها الثلاث، ويقال : إف لك وأف في لك بضم الألف وتسكين الياء وأفة لك بضم الألف وإدخال التاء منونة، وأف لك بضم الأف وتسكين الفاء؛ فتلک عشرة أوجه.

قوله : وأوفى الله ذمته؛ في الأفعال : وفى بالعهد وفاء وأوفى أتمه وحافظ عليه، ووفت الذمة تمت؛ ابن قتيبة : وفيت بالعهد وأوفيت به وأوفيت الكيل لا غير، انظر قول أنس في زيد بن أرقم : هو الذي يقول : رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الذي أوفى الله يادنه؛ رواه الطحاوي، وقال : هذا الذي أوفى الله يادنه، يقول : بما سمع.

39- في حاشية الأصل ما نصه وهو من غير أصل الكتاب : حكى الداودي أمين بالمد وتشديد الميم، وقال : إنها لغة شاذة، وقد ذكر ثعلب أنها خطأ، وروى عن مالك بن أنس عن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته بأمين.

قال الخشني : قال أبو حاتم السجستاني : هكذا قال لنا القعنبى يامين، قال الخشني : هذا ما سمعت يسأل عنه أبو حاتم؛ حكى تشديد الميم في أمين ولكنها شاذة، فتأتى لنا في أمين ثلاث لغات القصر والمد وتشديد الميم، واختلف فيه فقليل : إنه من أسماء الفعل، وأنه...وقع موقع فعل الدعاء، أي أنك إذا قلت أمين فمعناه استجب لنا، كما وقع فيه موقع...وفيه موقع كف؛ كان أمين على ما وصفنا حقه أن يبنى على السكون...في آخره ساكتان ففتح...لأجل الياء التي قبل...استثقالا للكسرة...كما قالوا مسلمين...وفي جميع أسماء الأفعال، ووزنه فاعيل، وأما أمين الممدود فقال الفارسي : إن المدة زائدة وإنما أشيعت الهمزة...بعدها...وقيل : إنه اسم الله عز وجل ركب في أوله ألف النداء، وفي هذا القول...آخر الاسم أمين؛ وحكى أبو الحسن الأخفش أنه اسم...هابيل وقابيل...قال ابن درستوية :...بقصر الهمزة معروفا...وإنما قصره للضرورة، وروى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا : آمين، ولم يروه أحد بالقصر ولكن ممدودا، وهو الأصل الصحيح، قال : وهي كلمة عبرانية معرفة مبنية...للياء التي قبل نونها، قال كراع : لغتان في أمين القصر والمد، قال الهروي : أمين فيه لغتان مطولة الألف مخففة الميم وأمين على وزن فاعيل، وقال أبو بكر : معناه أنه طابع الله على عباده لأنه يدفع به الآفات والبلايا فكان كخاتم الكتاب الذي...من إفساده...ما فيه؛ وفي حديث آخر : أمين درجة في الجنة، قال أبو بكر : معناه أنه حرف يكتسب به قائله درجة في الجنة...سئل عن معنى أمين؟ قال : هو اللهم استجب لي، وقيل : معناه كذلك فليكن.

قوله : ما أذن الله لشيء كما أذن لنبي يتغنى بالقرآن، وقال صاحب له يريد يجهر به، وكان الأذان تأذنيه، وأوفى الله له بإذنه؛ خ⁴⁰: الأذن مصدر قولك : أذنت للشيء وذلك إذا استمعت وتسمعت له وأصغيت إليه، يقال : أذنت له آذن أذنا، وفي الحديث : ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن، أي كاستماعه؛ وقوله : يتغنى يريد يجهر به، وقال مجاهد في قوله عز وجل : ﴿وَأَذِنتُ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾؛ أي استمعت أو سمعت شك أبو عبيد؛ خ: تأذنت لأفعلن كذا وكذا تأذينا يراد به إيجاب الفعل أي سأفعل لا محالة كما قال عز وجل : ﴿وَإِذْ تَأْذِنُ رَبِّكَ﴾، وقد أذنت بهذا الشيء أي عملت به، وأذنتني أعلمني والمصدر من ذلك أذن وتقول : فعلته بإذني أي بعلمي، ومعناه بأمرى، وكذلك الذي يأذن له بالدخول على الوالي وغيره، وقال النضر : الأذنين الكفيل.

قوله : فأومت برأسها هكذا؛ وقع في باب ما يذكر في الأشخاص والملازمة، قال أبو حاتم : قال ص : يقال أومأت إلى فلان مهموز، ولا أعرف أوبأت، وقال الفراء : أومأت إليه ومئا مثل أوبأت؛ الكسائي : أومأت إليه مثل أوبأت، أبو عبيدة : أومأت إليه بالميم إذا كان أمامك وأشرت إليه بيدك.

قوله : وأخبر بها معاذ عند موته تأثما؛ خ : تأثم فلان تخرج من الإثم وكف عنه كقولك خرج أي وقع في الحرج وتخرج كف عن الحرج.

قوله : أمأته له؛ ص : ماث فلان الدواء يميئه ميثا ودواء مميث، ومن قال أمأته في الأفعال ماث الرجل الدواء والشيء في الماء عركه ليذوب ومأته خلطه.

قوله : إذا كان بالأثاية؛ في الدلائل، قال يعقوب : ثاية الإبل وثاية الغنم مأواها وهي غازية ومأواها حول البيوت، والثوية مأوى الغنم.

قوله : أرملوا في الغزو؛ في الدلائل : أرمل الرجل فهو مرمّل إذا فني زاده ومنه قولهم : عام أرمّل وهو القليل المطر وسنة رملاء؛ أبو زيد : يقال : أرمّل الرجل إرمالا إذا ذهب طعامه في الحضر أو السفر.

قوله : نخلا قد أبرت؛ أبو زيد : تقول أبرت النخل أبره، زاد خ : وأبره أبراً إذا لقحته زاد هو فهو نخل مأبور، أبو حاتم : والاسم الإبرار والأبر الذي يصلح الزرع والنخل، وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم : «خير المال سكة مأبورة»، والسكة الطريقة المستوية المصطفة بين النخل ويقال : إنما سميت الأزقة سككا لاصطفاف الدور فيها كطرائق النخل.

قوله : أملككم لإربه؛ الحربي : أخبرني أبو نصر عن ص قال : الأرب الحاجة، وكذلك الإربة الاسم يقال : لي فيه أرب وإربة أي حاجة، وقال الكلبيون : هي الإربة وجمعها إرب، وقال يعقوب في قول عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أملككم لإربه أي لحاجته، وقال النضر : لعقله.

40 - رمز للخليل؛ وحرف الحاء كما سيأتي رمز للحربي، والصاد للأصمعي.

قوله : الاستبراء، خ : إنقاء بعد البول، والاستبراء أن لا يطأ الرجل الجارية حتى تحيض.
قوله : أن تسأل الإمارة؛ ص : في الأجناس أمر يأمر إمارة إذا كان عليهم أميرا وأمروا فهم يأمرّون إذا كثروا ويقال أمر إذا كان عليهم أميرا.

قوله : أنكاثا؛ ابن قتيبة : الأنكاث ما نقض من غزل الشعر وغيره واحدها نكث.
قوله : جمل أرمك؛ هو الأسود الذي يضرب إلى الحمرة، تراه من بعيد أسود، فإذا دنوت منه قلت : أحمر.

قوله : أفكهم وإفكهم وأفكهم؛ يعقوب : أفكه عن الشيء يأفكه أفكا صرفه عنه وقلبه، ومنه قيل لمدائن قوم لوط الموتفكات لانقلابها، أبو عبيدة : أفك الرجل منع من الخير، ويقال : أفك يأفك أفكا وهو الكذب، النضر في قوله : وذلك إفكهم، أي كذبهم ويقرأ أفكهم بفتح الفاء والهمزة أي صدهم وفي التفسير من هذا كثير.

قوله : سابق بين الخيل التي قد أضمرت؛ في الدلائل : المضمّر الذي قد أضمر، قال أبو عبيدة : وليس إضمارها بأن يخل بها ولا أن يُدبّلها وأن يهزلها وإنما تضر لأن تشتد لحومها وتعتصر شحومها؛ خ : المضمّر موضع تضر فيه الخيل، وتضميرها أن تعلف قوتا بعد السمن، قال أبو بكر : المضمّر غاية الفرس يقال : جرى في مضمّاره ويقال : ضمّر الفرس وضمّر، ورجل ضمّر خفيف الجسم، واللؤلؤ المضمطر الذي وفي وسطه بعض الانضمام.

قوله : آهبة ثلاثة، هكذا وقع : الإهاب الجلد والجمع أهب وأهب قاله الخليل، وقال قوم : الإهاب الجلد قبل أن يدبغ.

قوله : أوه أوه عين الربا، قال أبو حاتم : هذا على معنى التذكر والحزن، وقال أبو زيد : تأوّهت تأوّها إذا قلت : أوه بكسر الهاء وتقول : أوه على فلان إذا شق عليك فقدّه.

قوله : إذا كنت بين الأخشبين من منى؛ أبو عبيد عن الأصمعي : الأخشب الجبل قال أبو عبيد : وأراه يعني الغليظ، تحسب فوق الشول منه أخشبا، وجمل خشيب غليظ.

قوله : في أخصم قدمه؛ قال يعقوب : الأخص المتجافي عن الأرض من بطن القدم وقال غيره الأخص مارق من أسفل القدم : الخامص الضامر.

قوله : أحنى الأسماء؛ الخليل الخنا من الكلام فحشه يقال خنا يخنو خناً وأحنى إذ أفحش.

قوله : أناخ بمعنى برك أنخته فبرك بروكا أنخت الجبل فينوخ وقد يقال استناخ.

قوله : أخفيت؛ ابن قتيبة أخفيت الشيء إذ أسترته وخفيته إذا أظهرته وقال أبو عبيدة أخفيته بمعنى خفية إذا أظهرته خفا الشيء يخفو خفوا ظهر.

قوله : أكثر شهيدا أغر يوم القيامة من الأنصار؛ ووقع في رواية النسفي أعز بالزاي فتأمله، قال الخليل أغر فلان بنفسه إذا عرضها للمكروه وهو لا يدري تغيرا وتغرة.

قوله : أرغم الله أنفك؛ معناه ذل والرغام التراب فيدعوا عليه يقول ألزق الله أنفك بالتراب يقال رغم ورغم والمستقبل يرغم ويرغم جميعا قال يعقوب : يقال رغم أنفي لله رغما ورغما؛ قال أبو عبيدة : هو الرغم والرغم والرغم والرغامي الأنف في قول الشماخ له بالرغامي والخياشيم جازز وزيادة الكبد الرغام والرغامي.

قوله : أغار على بني المصطلق؛ أهل الإغارة الدفع على القوم ومنه قولهم أشرق ثبير كيما نغير أي كيما ندفع فكان أهل الجاهلية لا يدفعون حتى تقع الشمس على ثبير.

قوله : فإن أغمي عليكم؛ قال الخليل : أغمي يومنا هذا إذا دام غيمه وكذلك ليلة مغماة وفي الحديث فإن أغمي عليكم غيره يقال غامت السماء وأغامت ورد أبو زيد غامت ولا يقال إلا أغامت فهي مغمية وتغيمت وأغيمت.

قوله : أغمي عليه؛ ابن قتيبة غمي عليه وأغمي يريد على المريض إذا غيب على غفلة.

قوله : أقرضوا الله قرضا حسنا؛ قال الخليل : يقول أقرضت فلانا وهو ما تعطيه ليقضيه وكل أمر يتجازى به الناس فيما بينهم فهو من القروض .

قوله : اقرصيه؛ ابن قتيبة اغسله بأطراف أصبعيك ومنه قيل قرصت فلانا وإنما أمر بالقرص لأن الدم وغيره مما يصيب الثوب إذ أقرص في الغسل كان أحرس بأن ينسب أثره وينقى الثوب منه من غير أن يعنف عليه ويغسل باليد كلها.

قوله : حتى أسقطوا لها به؛ أبو حاتم : يقال تكلم الرجل فما أسقط بكلمة بفتح الهمزة وما سقط في كلمة تفسير ما أسقط بكلمة أي ما طرحها وما سقط في كلمة أي ما ضعف فيها أبو زيد سقط فلان في كلامه فهو يسقط سقوطا أي أخطأ وما سقط بكلمة واحدة في كلامه وسقط في يد الرجل وندم ويئس لا يتكلم به إلا على ما لم يسم فاعله ولا يقال أسقط في يده والسقط الخطأ في الكتاب والحساب والسقطة الزلة.

قوله : الإستبرق غليظ الديباج؛ وهو معرب وهو بالفارسية استبره يعني الغليظ من الديباج والسندس رقيق وقال الخليل الديباج بالكسر أصوب من الديباج بفتح الدال وديباجة الوجه بكسر الدال حس بشرة خذيه وقال أبو بكر الديج النقش أصله فارسي ومنه الديباج وقد أجمعوا ديباجا دباج في لغة من جمع ديوانا دواوين أبو عمر والديباجتان الخدان.

قوله : فأسقاني سويقا وادع الله أن يسقينا؛ الخليل سقيت الرجل سقيا وأسقيته لغتان ويقال قد سقانا الله المطر وأسقانا واستسقا البطن استسقاء والإسم السقي والسويق معروف وقد قيل بالصاد لهي العبر خاصة.

قوله : الأقط؛ هو شيء يتخذ من اللبن المخيض قال الأصمعي هو الأقط وتميم تقول الأقط وكذلك يفعلون على ماكان على فعل وفعل يسكنون الثاني.

قوله : الإقليد؛ الأقاليد هي المفاتيح الخليل الإقليد المفتاح بلغة أهل اليمن والمقلاد الخزانة والمقاليد الخزائن قال الله عز وجل «مقاليد السموات والأرض» .

قوله : فلما أذلقت الحجارة؛ في الدلائل أذلقت الحجارة يعني أوجعته حتى جزع لحدتها وألمها وذلك لشيء حده وألمه الخليل الإذلاق سرعة الرمي.

قوله : أقفر في ظهره؛ قال الخليل يقال أقفر في دابته إذا حمل على ظهرها للحمل والمركب .

قوله : فلم أستفق؛ أي فلم أفق وفي الحديث رفع القلم عن المعتوه من يفيق وكذلك حتى يستيقن .

قوله : جدي أسك؛ من الدلائل قال ثابت بن عبد العزيز السكك صغر الأذن ولصوقها وقلة إشرافها يقال رجل أسك وامرأة سكك بينة السكك وقوم سك والسكة حديدة يضرب عليها الدراهم.

قوله : يسكت إسكاته وسكاتها إذنهما؛ هكذا وقع في كتاب الصلاة في باب ما يقول بعد التكبير أسكاته بضم الهمز مقيد ثم قال بعد ذلك إسكاته بكسر الهمزة أبو زيد سكت الرجل سكتا وسكاتا وسكوتا وأسكت إسكاتا فهو مسكت وأسكت عن الشيء إسكاتا أعرضت عنه ومقال رماه بسكاته بكسر السين أي بما أسكته.

قوله : على الآكام؛ الأكمة الموضع الغليظ لا يبلغ أن يكون حجرا وهو أشد ارتفاعا مما حوله والجميع الأكم والآكام والإكام والأكم.

قوله : ذاك أجدر؛ يقال فلان جدير لذلك الأمر أي خليق له وأجدر به أن يفعل ذلك وقد جدر جدارة.

قوله : فقطعوا أبجله؛ في الدلائل الأبجلان عرقان في اليد وهما عرقا الأكحلين من لدن المنكب إلى الكف.

قوله : جملوها ثم باعوها؛ قال الفراء جملت الشحم أجمله جملا هذا أجود ويقال أجملته إذا أذبته غيره والجميل الإهالة المذابة.

قوله : أنفجنا أرنباً؛ نفج اليربوع بنفج وينفج نفوجا وهو أوقى عدوه وأنفجه الصائد إذا أثاره من مجثمه ومكمنه ويقال ذلك للصائد أيضا .

قوله : أجنب؛ يقال رجل جنب وامرأة جنب من قوم جنب إذا أصابتهم جنباة وقد أجنب الرجل إذا أصابته الجنباة والواحد والأنثى والجميع فيه سواء في لغة وقد تجمع في لغة فيقال أجنب.

قوله : الاستنجاء؛ ابن الأنباري معنى هذا استنجى قد تمسح بالأحجار أو غسل الموضع بالماء وأصل هذا من النجوة والنجوة ما ارتفع من الأرض فكان الرجل إذا أراد قضاء الحاجة طلب النجوة من الأرض ليستتر بها فكانوا يقولون مر فلان ينجو أي يطلب مكانا مرتفعا كما قالوا قد مر يتغوط أي يطلب الغائط وهو ما اطمأن من الأرض ثم يسمى الحدث نجوا وغائطا والأصل ما ذكرنا قال أبو علي البغدادي : ليس الإستنجاء من النجوة المكان المرتفع على ما ذكره ابن الأنباري ولكنه عندي استفعل من النجو والنجو الغائط فكأنه إذا قال استنجى الرجل أراد مسح النجو إذ ليس من شأن الناس إذا تبرزوا أن يقصدوا المرتفع من الأرض .

قوله : أجيفوا الأبواب؛ قال أبو زيد أجفت الباب إجابة إذا أغلقه .

قوله : كأنه جمل أجوف؛ أبو عبيدة فرس أجوف الأبيض البطن إلى منتهى الجنبين ولم يصعد إليها ولون سائرته ما كان وهو المجوف بالبلق أي بالبياض والجوف خلأ الجوف .

قوله : إثم الأريسيين؛ في مصنف ابن السكّن في كتاب الجهاد فإن عليك إثم الأريسيين يعني اليهود والنصارى في الحديث، ورأيت تعليقا لأبي الحسن قال : هم أتباع عبد الله بن أريس، ويقال لهم أيضا الأروسيين وهم نصارى، ويقال : اسمه عبد الله بن أروس، وهو الذي قام يوم اختلفوا في عيسى أنه عبد؛ وإنما معنى عليك إثم الأريسيين، أي أنك إذا لم تجب إلى ما دعيت إليه من الإسلام وأنت عندهم والمتكلم دونهم اتبعوك فقتلت وقتلوا معك، فيكون إثم قتلهم عليك، وقال أبو عبيد في كتاب الأموال في الأريسيين : هم أعوانه وخدمه، وذكر الهيثم بن عدي في كتاب الخراج أن عبد الله بن بريدة سئل فليل له ما الأريسيين؟ قال : الأكارين، وكذلك ذكر الحربي في شرحه عن عمر وعن أبيه : الأراصة الزراعون الواحد أراس، وفي البارع : الأريس الأمير والمؤرس الذي يستعمله الأمير، وقد أرسه والأصل رأسه فغلب وقد روي الأريسيين، وكذلك رواه النسفي؛ قال ابن دريد : راس يريس ريسا وريسانا إذا تبختر، ومثله راس يروس؛ قال الطحاوي : قال أبو عبيد في كتاب الأموال : الأريسيون الخدم والخولة، قال الطحاوي : كأنه يعني أنه يكون عليه إثمهم لصده إياهم عن الإسلام بملكه لهم ورأسه عليهم، كمثّل مما حكى الله عز وجل يقول يوم القيامة : ﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾، وكمثّل ما قال سحرة فرعون لفرعون لما قامت عليهما الحجة لموسى صلى الله عليه وسلم من الآية المعجزة التي جاءهم بها من عند الله عن وجل مما لا نجني من السحر مثله : ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ أي استعملتنا فيه وأجرائنا عليه، قال أبو عبيد في هذه الرواية هكذا روى أصحاب الحديث الأريسيين والصحيح الأريسين، قال الطحاوي : وهذا عندنا بخلاف ما قال أبو عبيد لأن ما قاله أصحاب الحديث مما حكاه عنهم هو على نسبته إياهم إلى رئيس لهم يقال له أريس، فيقال في نصبه وفي جره الأريسين وفي رفعه الأريسيون كما يقال للقوم إذا كانوا منسوبين إلى رجل يقال له يعقوب اليعقوبيين في نصب ذلك وفي جره، ويقول في رفعه : هؤلاء

اليعقوبيون، فمثل ذلك فيما ذكرنا الأريسيين والأريسيون، وإذا أردت بذلك الجمع للأعداد لا إضافة إلى رجل يقال له يعقوب قلت في النصب والجر اليعقوبين، وقلت في الرفع اليعقوبون فبان بحمد الله أن أصحاب الحديث لم يخطئوا فيما ادعى عليهم أبو عبيد الخطأ فيه وأن ما قالوه محتمل لما قالوا والله عز وجل أعلم بحقيقة ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقد قال بعض أهل المعرفة بهذه المعاني أن في رهط هرقل قبيلة تعرف بالأروسية توحده الله عز وجل وتعترف بعبودية المسيح صلى الله عليه وسلم له عز وجل، ولا تقول فيه شيئاً مما يقوله النصارى من ربوبيته، وتقر بنبوته، وأنها مؤمنة بما في إنجيله جاحدة بما تقول النصارى سوى ذلك، وإذا كان ذلك كذلك جاز أن يقال لهذه الفرقة الأريسيون في الرفع والأريسيين في النصب والجر، ويجعل مكان الواو في الأروسية ياء فيقال الأريسية، كما يبدلون مكان الياء في يضير الواو فيقال يضور، ويكون المنسوبون إليهم يقال لهم في النسبة إليهم الأريسيين في النصب والجر، وفي الرفع الأريسيون كما ذهب إليه أصحاب الحديث، وجاز بذلك أن تكون هذه الفرقة التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون قيصر كان حين كتب إليه على مثال ما هي عليه فجاز بذلك إذا اتبع النبي صلى الله عليه وسلم ودخل في دينه أن يؤتيه الله أجره مرتين، وجاز أن تكون هذه الفرقة علمت بمكان النبي صلى الله عليه وسلم وبدينه قبل أن يعلمه قيصر فلم يتبعوه ولم يدخلوا فيه ولم يقرؤا بنبوته، وفي كتاب عيسى بن مريم «يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد» فخرجوا بذلك من دين عيسى عليه السلام، لأن عيسى صلى الله عليه وسلم الذي نؤمن به هو عيسى الذي بشر بأحمد صلى الله عليه وسلم، لا عيسى سواه فكتب النبي عليه السلام إلى قيصر أنك إن توليت فعليك إثم الأريسيين الذين خرجوا من ملة عيسى صلى الله عليه وسلم، فقال قائل: كيف يكون عليه إثم غيره؟ فكان جوابنا له بتوفيق الله عز وجل أن الإثم الذي يكون عليه إن تولى إنما هو مثل إثم الأريسيين لا إثم الأريسيين بعينه، وهذا كمثل قوله عز وجل «فإذا أحصن فإن آتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب»، ليس أنه يكون عليهم شيء من العذاب الذي يكون على المحصنات، ولكنه مثل نصف العذاب الذي يكون عليهن، فقال هذا القائل: فقد رويت لنا فيما تقدم من كتابك أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، وقوله مع ذلكم: «فإنى أخاف أن يناله العدو، وفيما رويته في هذا الحديث كتابه إلى قيصر بشيء من القرآن مما يقع في يده بعد وصول كتابه إليه؟ فكان جوابنا له بتوفيق الله عز وجل أن هذا ليس بخلاف لنهي أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو خوفاً أن يناله العدو، وإنما هذا على السفر ببعضه إلى العدو وما قبله على السفر ب كله إلى العدو، فتصحيحهما إباحة السفر بالأخراز التي فيها من القرآن ما يكون في أمثالها، والكراهية للسفر بكليته إلى العدو عند خوفهم عليه، والله نسأل التوفيق.

خاتمة

إن هذه النقول التي جلبتها ناطقة بلسان الحال والمقال على ميزة هذا الشرح، إذ اعتمد فيه الشارح على المصنفات الأصيلية في الفن، مثل كتاب شرح غريب الحديث لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الخزبي رحمه الله، فقد أكثر من النقل عنه؛ ولا عجب فقد رواه ابن الصابوني عن أبي القاسم علي بن إبراهيم بن محمد التميمي الدهكي البغدادى بمصر قال حدثنا أبي رحمه الله قال حدثنا أبو إسحاق الخزبي⁴¹.

كما أن الشرح يكتسب منقبة الظاهرة من كون مؤلفه اعتنى في مواضع كثيرة بإثبات تعليقات شيخه أبي الحسن القاسمي على نسخته من صحيح البخاري، وأيضاً ذكر كثيراً من التنبيهات المستنبطة من نسخة الأصيلي من صحيح البخاري كذلك؛ وكلتا النسختين في حكم المفقود الآن؛ ومن الكتب المفقودة التي نقل منها كذلك كتاب الخراج للهيثم بن عدي الكوفي.

وبالجملة فالكتاب أصيل في بابه، يضاف إلى سلسلة الشروح المغربية الأندلسية للجامع الصحيح؛ وبالله جل وعز التوفيق إلى تدقيق القول الفصيح؛ وآخر الكلام أن الحمد لله رب العالمين مع الصلاة والسلام على المختار من ذرية الذبيح سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم إلى يوم البعث.

41 - فهرسة ابن خير (ص163).

من نفائس النسخ المخطوطة لـ«صحيح البخاري»

نسخة المسجد الأعظم بتازة من رواية ابن السكن

إعداد

د. نورالدين الحميدي

أستاذ الحديث وعلومه بكلية الآداب
جامعة القاضي عياض بمراكش



بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

تبوأ كتاب «الصحيح» للإمام البخاريّ مكاناً رفيعاً في الدين الإسلامي، لما اختص به هذا الديوان الحديثي من صفات التحري وشروط الإتيان، فغدا بما انتهجه مؤلفه من منهج علمي حديثي دقيق، أحد أركان التشريع الإسلامي، ومعلماً يُحتذى في تمييز الحديث الصحيح من غيره، فتُنفّس في انتساخه، وحُرس على تحصيل نسخه في الشرق والغرب، وكان للمغاربة فرط عناية بهذا الكتاب رواية وانتساخاً وشرحاً، ومن تجليات هذه العناية تعدد النسخ المغربية المخطوطة المتقنة، ومن أشهرها النسخة السعدية¹، وقد كنت غُنيّت بدراسة بعض نسخ «الصحيح» من خلال ما ورد في كتب الفهارس والمعاجم والأثبات، وأخص منها نسخة الإمام أبي القاسم ابن ورد المري (ت: 540هـ)²، ونسخة أبي بكر ابن خير الإشيلي (ت: 575هـ)³، ولا زالت تزخر خزائن المخطوطات بالمغرب بنفائس من النسخ المخطوطة لهذا الكتاب، الذي اُخْتُفِيَ بنسخه ضبطاً وتجويداً، وتزويقاً وتزييناً، من جملة تلك النسخ، ما تحتفظ به خزانة المسجد الأعظم بتازة، حيث ضُمَّتْ بين زواياها نسخة خطية من «صحيح البخاري» ترجع للقرن السابع الهجري، إن كانت نفاسة هذه النسخة تتجلى في قدمها وخطها وناسخها، وما تقيّد عليها من تصحيحات وسماعات وبلغات، فإن كونها تمثل رواية نادرة وجديدة، وهي رواية الحافظ أبي علي ابن السكن البغدادي

1- خصها العلامة عبد الحي الكتاني بتأليف مفرد سماه: (التنويه والإشادة بمقام رواية ابن سعادة)، صدر عن مركز نجيبويه، تحقيق: عبد المجيد خيالي، سنة: 2008هـ، وطبع المستشرق ليفي بروفنسال السفر الثاني من هذه النسخة بفرنسا، وكتبت حولها عدة أبحاث.

2- نشرت هذه الدراسة ضمن سلسلة النشر الإلكتروني المعتمد بموقع معهد المخطوطات بالقاهرة تحت عنوان: رحلة مخطوط: أصل أبي القاسم ابن ورد التميمي المري (ت: 540هـ) من «صحيح البخاري».

3- نشرت هذه الدراسة ضمن سلسلة الأبحاث المنشور بموقع مركز السنة والتراث النبوي، تحت عنوان: الأصول الحديثية بالمغرب الإسلامي: أصل أبي بكر ابن خير الإشيلي (ت: 575هـ) من «صحيح البخاري».

(ت:353هـ) عن الفرّيري، زاد من نفاستها وضاعف من أهميتها. مما يستدعي البحث في الإضافات العلمية لهذه الرواية دون باقي روايات «الصحيح»، وتأتي دراستي لهذه النسخة النفيسة في ثلاثة مطالب وخاتمة، على النحو التالي:

المطلب الأول: التعريف بمدينة تازة وبمسجدها الأعظم

المطلب الثاني: الوصف الكوديكولوجي للنسخة الخطية، وما اشتملت عليه من تقييدات وسماعات، وتتبع رحلتها وتنقلها.

المطلب الثالث: التعريف برواية ابن السكن وبيان أهميتها وتفصيل مميزاتها.

الخاتمة: اشتملت على خلاصات البحث، وذكر أهمية الاعتناء بالأصول الخطية لكتاب «الصحيح» للإمام البخاري، وأثر ذلك في خدمة الكتاب وعلى المعرفة الإسلامية.

المطلب الأول: التعريف بمدينة تازة وبمسجدها الأعظم

تعد مدينة تازة أو «تازا» بالمد على ما ورد في بعض المصادر التاريخية⁴، من أقدم المدن المغربية، وهي تقع شمال مدينة فاس، كان للدول القائمة بالمغرب الأقصى تعاقب عليها، واهتمام بحكمها وعمرانها لموقعها الجغرافي، وقد قال صاحب «الاستبصار» يصفها: وقد ذكرنا أن آخر بلاد المغرب الأوسط وأول بلاد المغرب بلاد تازا، وهي جبال عظيمة حصينة، كثيرة التين والأعناب وجميع الفواكه، وأكثر شجرها الجوز، وهو يوجد بها كثيرا. ويسكنها قبائل من البربر يعرفون بغياتة، وقد بنى ببلاد تازا في هذه المدة مدينة الرباط⁵.

فلا عجب أن تكون لهذه المدينة العريقة، خزانة كتب نفيسة وجيلية، وهي خزانة مسجدها الأعظم، أما عن تأسيسها، فيخبر العلامة محمد المنوني عن ذلك بقوله: تأسست في الدولة المرينية بدليل، وجود تحبيس السلطان أبي فارس عبد العزيز المريني بها، حسب ما بخطه على شرح الجلاب للقراقي⁶.

ومن تحبيسات هذا الأمير بهذه الخزانة كذلك، «التبصرة» للحمي⁷، إذا فبداية إنشاء هذه الخزانة كان في أواسط القرن الثامن الهجري، لأن السلطان أبا فارس المريني

4- الروض المعطار في خبر الأقطار، لابن عبد المنعم الحميري، ت: إحسان عباس، ط: 2، مؤسسة ناصر للثقافة، سنة: 1980م، (ص: 128).

5- الاستبصار في عجائب الأمصار، لمؤلف مراكشي من ق: 6، ت: سعد زغلول عبد الحميد، ط: دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، سنة: 1986م، (ص: 186).

6- دور الكتب في ماضي المغرب، لمحمد المنوني، ط: الخزانة الحسنية بالرباط، سنة: 2005م، (ص: 64).

7- فهرس مخطوطات الخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة، لعبد الرحيم العلمي، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، سنة: 2002م، (1/6).

توفي سنة: 799هـ، وقد أخبر الدكتور عبد الرحيم العلمي أن المراحل التاريخية لتطور الخزانة لا يُعلم عنها كبير شيء، لأن المصادر التاريخية لم تُفد بذلك، فقال: وإذا كانت المادة التاريخية شحيحة فيما يتعلق بتطور «الخزانة العلمية» للجامع الأعظم عبر العصور، ...، فإن الباحث يجد نفسه مدعوا إلى توظيف المتاح منها لحد الآن، والاستعانة إلى جانب ذلك بما توفره وثائق الخزانة⁸.

وبيّن المؤرخ المنوني أن هذه الخزانة ستزدهر على عهد الدولة العلوية، فقال: وفي الدولة العلوية نالها حظها من تحبيسات السلطان العالم سيدي محمد بن عبد الله حيث لا زال بها إلى الآن كتب من تحبيساته⁹.

وأكد هذا الدكتور عبد الرحيم العلمي، فقال: باستثناء ما ورد في محفوظاتها الحالية من إشارات تدل مثلا على فترة تطور وازدهار على جانب كبير من الأهمية، عرفت على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ثم السلطان المولى سليمان، اللذين حَبَسا عليها أكبر مجموعة من المخطوطات¹⁰.

وقد نبه على نفاسة هذه الخزانة وأهميتها، وعَرَّف ببعض نوادرها العلامة المحدث عبد الحي الكتاني، فقال: وأما مكتبة تازة ففيها آثار عظيمة لا تُقوّم وليس لها ثمن،...¹¹

ومن النسخ النفيسة التي ذكرها المحدث عبد الحي الكتاني نسخة «الصحيح» للبخاري من رواية ابن السكن¹²، موضوع هذه الدراسة، فقال: وفيها مجلدات من الصحيح مسموعة، منها مجلد من تحبيس سلطان المغرب عبد الحق المريني، والتحبيس بخطه، وعليه سماع مسلسل من طريق يونس ابن مغيث عن ابن الحذاء عن عبد الله الجهنني عن أبي علي ابن السكن، عن الفريري، عن البخاري، وهذا مما كنا نظن انقطاع وجوده بالمغرب وغيره¹³.

وقد صرّح العلامة محمد المنوني بأن الخزانة العلمية كانت تضم بين رفوفها 601 مجلد من المخطوطات¹⁴.

8- نفسه، (1/6) باختصار.

9- دور الكتب في ماضي المغرب، للمنوني (ص: 64-65).

10- فهرس مخطوطات الخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة، (1/7).

11- تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، لعبد الحي الكتاني، ت: أحمد شوقي بنين ومن معه، ط: الرابطة المحمدية للعلماء بالمغرب، سنة: 2013م، (ص: 303-304).

12- نفسه، (ص: 304).

13- نفسه، (ص: 304).

14- دور الكتب في ماضي المغرب، للمنوني، (ص: 65).

صورة خريطة للمملكة المغربية، تُظهر تموقع مدينة تازة:



المطلب الثاني: الوصف الكوديكولوجي للنسخة الخطية، وما اشتملت عليه من تقييدات وسماعات، وتتبع رحلتها وتنقلها

تحتفظ خزانة المسجد الأعظم بتازة بسفرين من نسخة «صحيح» البخاري - رواية ابن السكن -، فهذا المتبقي من هذه النسخة، وباقي أسفارها في حكم الضياع، وهذا وصف كوديكولوجي لكلا السفرين:

السفر الأول¹⁵: مبتور الأول، وعدد أوراقه 167 ورقة، تبلغ مسطرتة 19 سطرا، خطه أندلسي قديم، مُميّز عناوينه بخط عريض، وقد طاله التآكل في أوله وآخره، بسبب

¹⁵-اقتصر العلامة محمد المنوني حين تحدّثه عن هذا الأصل على السفر الأول فقط، كأنه لم يقف على السفر الخامس، يُنظر قيس من عطاء المخطوط العربي، ط: دار الغرب الإسلامي، سنة: 1992م، (1/92)، ضمن بحثه المعنون بـ«صحيح الإمام البخاري في الدراسات المغربية من خلال رواته الأولين، وروايته، وأصوله».

الأرضة والرطوبة، وهو يبتدئ من بدء الوحي، إلا أن البتر طال أول المخطوط، فورقة العنوان غير موجودة، إلى كتاب السهو، وهو محفوظ تحت رقم: (88).

السفر الخامس: عدد أوراق 172 ورقة، تبلغ مسطرتة 19 سطرا، وخطه خط أندلسي قديم، مُيّزت عناوينه بخط عريض، وقد غلب على أوراقه التآكل والأرضة والبلل، وهي تشتمل على كتاب الطلاق إلى كتاب الدعوات، وهو محفوظ تحت رقم: (103).

أما ناسخ هذه النسخة، فهو: أبو محمد عبد المهيم بن علي بن علي بن حرز الله بن علي بن يحيى بن أبي بكر بن عمر بن الشقر التميمي، السبتي المولد، التونسي المحتد، كان حيا سنة: 706هـ¹⁶، انتهى من نسخ السفر الأول في 15 صفر 698هـ، وانتهى من نسخ السفر الخامس في 13 رجب 698هـ، أي بينهما أربعة أشهر، وقد تهيأ لي الوقوف على هذه النسخة الخطية الجليلة حين رحلتي العلمية إلى خزنة المسجد الأعظم بتازة شهر غشت من سنة: 2014م، وقلبت أوراقها بيدي، وصورت نماذج منها، ويأتي وصف انتساخ هذه الأسفار حسب ما وقفت عليه؛ أن الناسخ يثبت في ورقة العنوان تعيين السفر مع عنوان الكتاب، ثم يذكر ما تضمنه السفر من كتب، ونص ذلك كما في السفر الخامس:

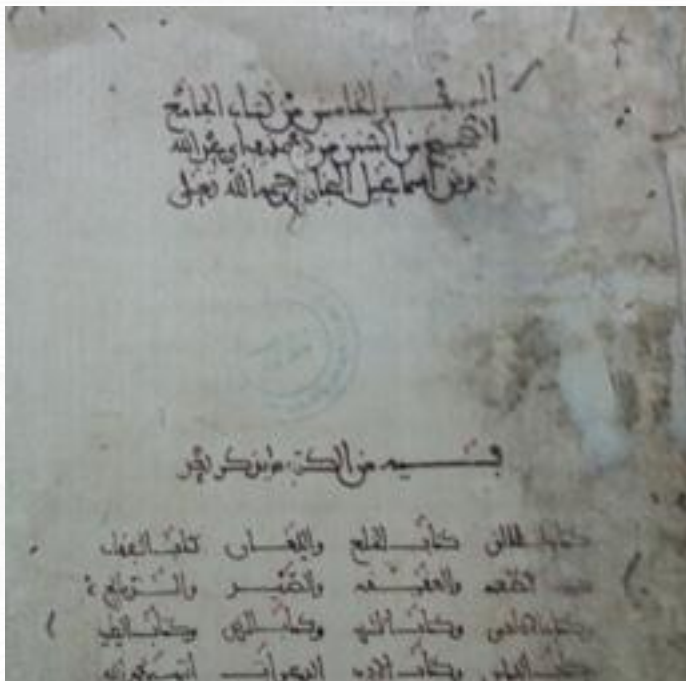
«السفر الخامس من كتاب الجامع الصحيح من السنن من تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى».

ثم يأتي تحته: فيه من الكتب ما يذكر بعد؛

كتاب الطلاق، كتاب الخلع، واللعان، كتاب النفقات، إلى أي يسرد جميع الكتب الواردة في هذا السفر.

16- هذا العلم ليس له كبير ترجمة، سوى ذكر الحافظ ابن رشيد السبتي له في (استدعاءات الإجازة)، وقد استطاع محقق «الاستدعاءات»، أن يُعرّف به من خلال منتسباته المتفرقة في الخزائن والمكتبات، وهو من متقني الوزّاقين السبتيين، الذين عونا بنسخ كتب الحديث وكتب السنة. يُنظر استدعاءات الإجازة، لابن رشيد السبتي، ت: عبد اللطيف الجيلاني، ط: وزارة الأوقاف المغربية، سنة: 2007م، (ص: 267 و336 و341).

وهذه صورة ورقة العنوان للسفر الخامس:



ويمكن إيراد التقييدات على هذه النسخة كالآتي:

تقيدات التحسس:

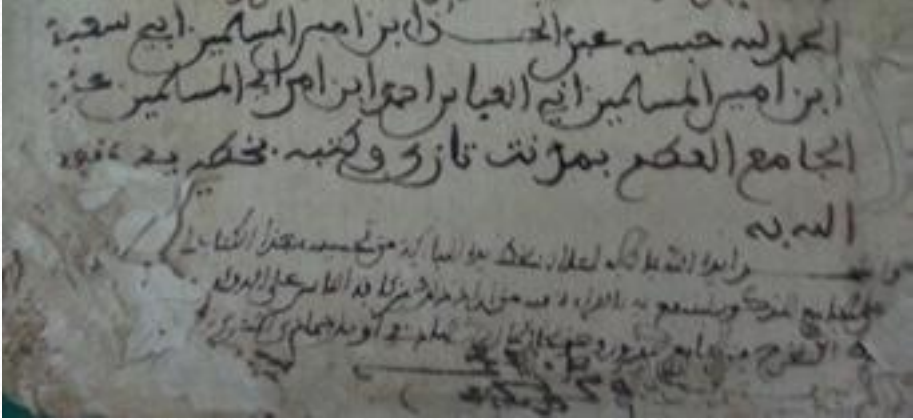
أول ما يطالع الناظر في هذه النسخة، هو تقييد تحبیس هذه النسخة على خزانة المسجد الأعظم بتارة، وهو قيد سطره الأمير عبد الحق الميرني (ت: 869هـ)¹⁷ بخط يده، ونصه: الحمد لله؛ حبسه عبد الحق بن أمير المسلمين أبي سعيد بن أمير المسلمين أبي العباس أحمد ابن أمراء المسلمين على الجامع المعظم بمدينة تازي وكتبه بخط يده، [نفعه] الله به.

ثم إثر هذا التقييد إشهاد على هذا التحبّيس من بعض العلماء والعدول، ونص المقروء منه: وأشهد أيّده الله بما كتبه أعلاه بخط يده المباركة من تحبّيس هذا الكتاب [...] ¹⁸ على الجامع المذكور، ولينتفع به بالقراءة فيه من أراد ذلكمن كافة الناس على الدوام [...] ألا يخرج من الجامع المذكور [...].

17- تُنظر ترجمته وخبه في: درة الحجال في أسماء الرجال، لابن القاضي المكناسي، ت: محمد الأحمد أبو النور، ط: 1، مكتبة دار التراث والمكتبة العتيقة، سنة: 1971م، (3/156).

18- عنوان الكتاب، طاله التآكل بسبب الأرضة.

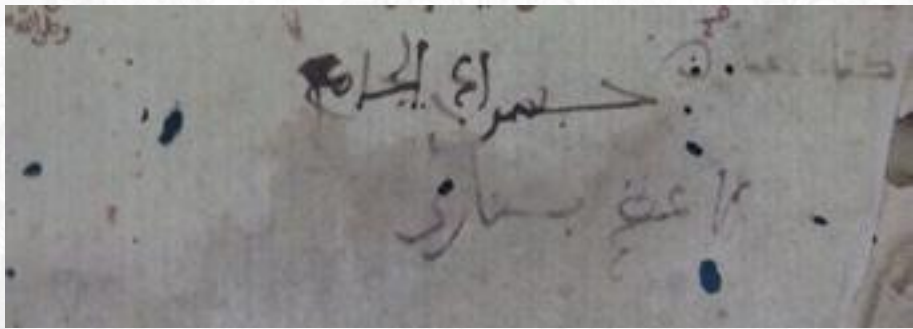
وهذه صورة قيد التحبیس بخط الأمير المرینی، والإشهاد علیه المُثبت على الورقة الأولى:



ويظهر من جوانب الصورة وحواها ما شابها من تآكل بسبب الأرضة والرطوبة، مما صعب من قراءة نص الإشهاد.

ونقف في مواطن من النسخة تقييد يتضمن التنصيص على أن هذه النسخة محبسة على المسجد الأعظم بتازة، حتى يتعذر تغيير هذا الوقف أو تزويره على من سولت له نفسه ذلك، ومن ذلك ما ورد في آخر السفر الأول: حبس على الجامع الأعظم بتازة. وأحيانا يكتفى بلفظ: حبس.

وصورته:



تقييدات المقابلة:

من خصائص النسخ النفيسة المتقنة اشتمالها على أمارات المقابلة، وحواشي التصحيح والفروق وغيرها، وهي تصرفات وعلامات تفيد أن النسخة أصل مُعَارَضٌ بالنسخة الأم المنقول منها، وقد ثبت قيد الانتهاء من المقابلة والتصحيح في آخر كل سفر من أسفار هذه النسخة، وقد ورد ضمنه التنصيص على تاريخ الانتهاء من المقابلة. حيث أفاد عبد المهيمن التميمي في قيد مقابلة السفر الأول، أنه انتهى من مقابلة هذا السفر بعد ستة أشهر من تاريخ انتهائه من نسخته، مما يظهر العناية الذي لاقاه في تصحيح نص الكتاب وضبطه، وهذا نص قيد الانتهاء من المقابلة في آخر السفر الأول: انتهت المقابلة بالأصل المنقول منه؛ أصل أبي الحسن يونس بن مغيث، والأصل المذكور بخط أبي عمر الطلمنكي وعليه قراءات وسماع لجماعة من العلماء، سمعوا الديوان المذكور على أبي الحسن يونس رحمه الله تعالى، وذلك في سادس شهر رمضان المعظم عام ثمانية وتسعين وستمئة. وكتبه ناسخه: عبد المهيمن بن علي بن حرز الله، وفقه الله تعالى وتاب عليه.

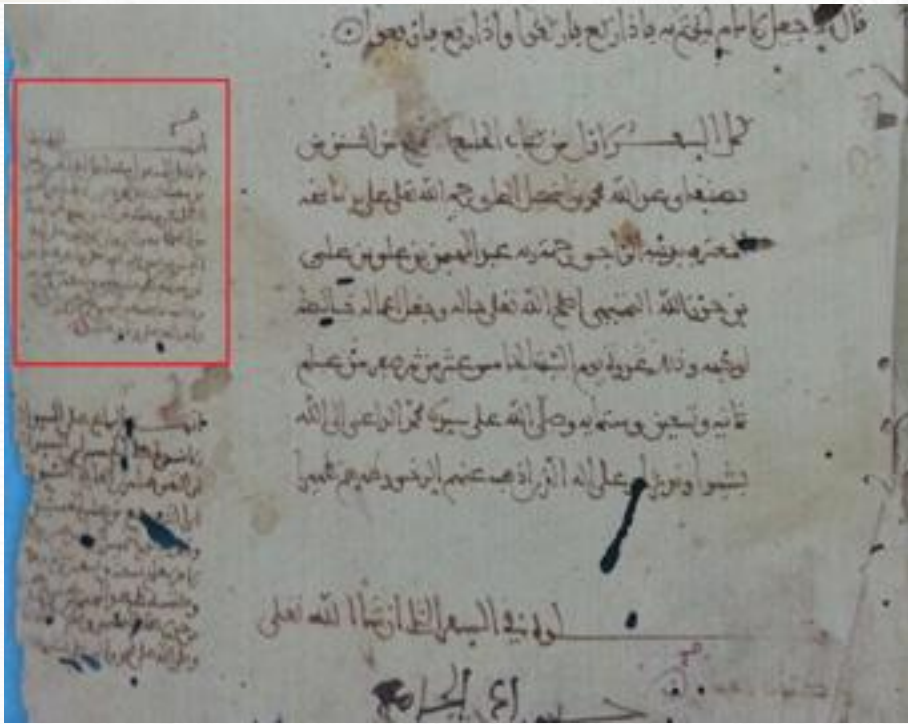
وأما نص قيد المقابلة في السفر الخامس: انتهت المقابلة بالأصل المنقول منه أصل أبي الحسن يونس بن مغيث رحمه الله تعالى، والأصل المذكور بخط أبي عمر الطلمنكي رحمه الله تعالى، وذلك في سابع وعشرين [ربيع]¹⁹، الثاني عام تسعة وتسعين وستمئة. قال ذلك وكتبه بخطه: عبد المهيمن بن علي بن علي بن حرز الله التميمي، وفقه الله تعالى وخلصه. والحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى.

فهذان التقييدان في كلا السفرين، يفيدان بمعلومات جلية، فالأصل الذي نقل عنه عبد المهيمن التميمي هو أصل الحافظ الرحال أبي عمر الطلمنكي (ت: 429هـ)، اُكْتُبَتْ بخطه، ثم انتقل ملكه وحيارته إلى حافظ الأندلس وقاضي الجماعة بقرطبة أبي الحسن ابن مغيث القرطبي (ت: 532هـ)²⁰، وقد تهيأ لثلة من حفاظ الأندلس وأعلامه القراءة على هذا الأصل والسماع بالاعتماد عليه، كما هو وارد في التقييد الأول، ثم انتقل هذا الأصل بعدها من قرطبة إلى سبتة، ولا ندري كيف تعاورته صروف الدهر إلى أن أوطنته سبتة، حيث تهيأ لعبد المهيمن التميمي، أن يعتمد عليه في الانتساخ والمقابلة.

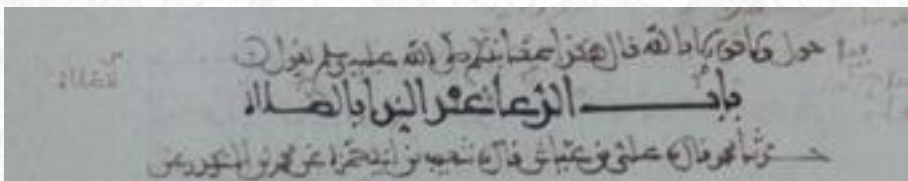
19- طالها الخرم بالأصل.

20- تُنظر ترجمته في: الصلاة، لابن بشكوال القرطبي، ت: عزت العطار، ط: 2، مكتبة الخانجي، سنة: 1955م، (ص: 650).

صورة قيد الانتهاء المقابلة بالسفر الأول:



أما أمارات التصحيح والمعارضة مما يُثبت في حاشية النسخة، فإن الناسخ يدأب على استعمال مداد أحمر، للإشارة إلى بعض الفروق وبعض التصحيحات، ومن أمثلة ذلك هذا النموذج:



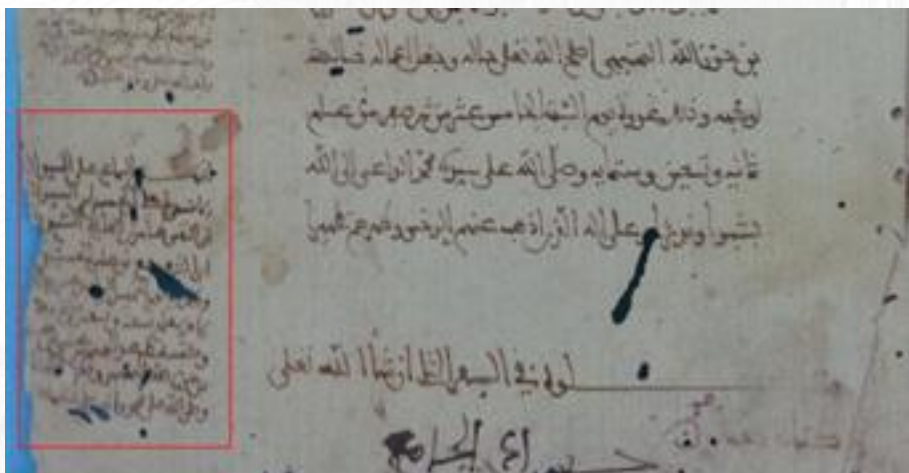
فهناك اختلاف يسير في ترجمة الباب، حيث ورد في النسخة: باب الدعاء عند النداء بالصلاة، فأشار الناسخ في الحاشية برمز (س) ولعله إشارة إلى نسخة أخرى أو رواية أخرى، وأثبت تحتها: للصلاة، تنبيهاً على هذا التباين اليسير في التبويب، وأمثلة هذا كثيرة.

تقييدات السماع:

اعتنى الناسخ عبد المهيمن التميمي حين انتهائه من نسخ الكتاب ومقابلته، بسماعه على أحد حفاظ الحديث، إذ كان من أهل الرواية وطلب الحديث، وأجل شيوخه قدرا وأعلامهم سنداً، هو: الشريف أبو علي الحسين بن أبي التقى طاهر بن أبي الشرف رفيع الحسيني، الصقلي، السبتي (ت: 702هـ)²¹، حيث سمعه على الكتاب كاملاً كما ثبت في آخر كلا السفرين، وهذا نص تقييد السماع المثبت بآخر السفر الأول: انتهى السماع على السيد [...] الأسمى أبي علي الحسين بن السيد [...] أبي التقى طاهر بن القاضي السيد ابن أبي الشرف رفيع بن علي الحسيني، وذلك في يوم الخميس السادس عشر ربيع الآخر، عام تسعة وتسعين وستمائة، قال ذلك وكتبه بخطه: عبد المهيمن بن علي بن علي بن حرز الله التميمي وفقه الله تعالى وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

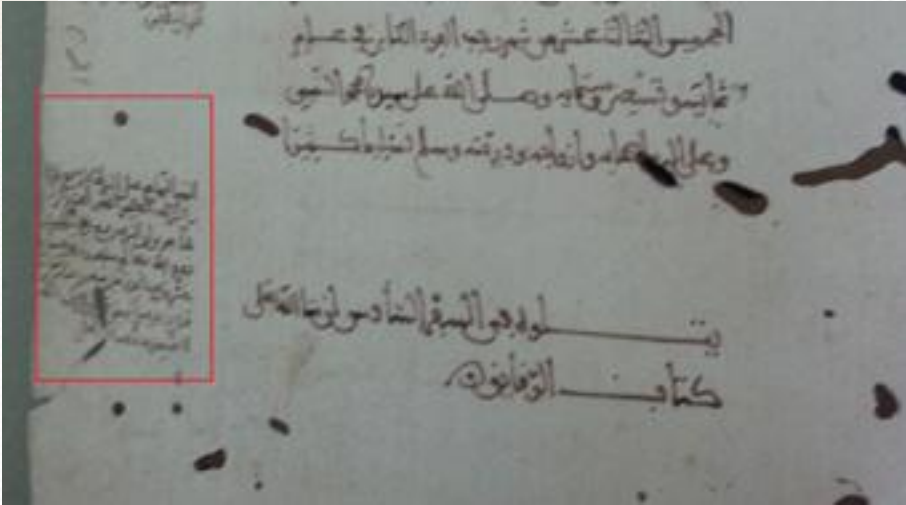
وهذا نص تقييد السماع الوارد في السفر الخامس: انتهى السماع على الشريف الأرفع أبي علي بن الشريف الكبير الصدر المحترم [...] طاهر بن أبي الشرف رفيع بن علي الحسيني نفع الله بصلاح سلفه وذلك في سابع عشرة من رجب الفرد عام تسعة وتسعين وستمائة. قال ذلك: عبد المهيمن [بن علي] بن حرز الله التميمي، خلصه [الله] تعالى.

وهذه صورة تقييد السماع في السفر الأول:



وهذه صورة تقييد السماع في السفر الخامس:

21- الإشراف على أعلى شرف في التعريف برواية البخاري لابن أبي الشرف، لابن الشاط السبتي، ت: إسماعيل الخطيب، ط: منشورات جمعية البحث الإسلامي بتطوان، سنة: 1986م، (ص: 44-45).



فهذه التقييدات التي اشتملت عليها هذه النسخة الجليّة، تفيد أن هذا المخطوط من المنتسخات السبّية، فهو سبّي الدار والقرار، ولا ندري كيف سامته نوائب الدهر التغريب إلى مكتبة السلاطين المرينيين، مما حدا بالسلطان عبد الحق المريني أن يُخَبِّسَه على المسجد الأعظم بتأزّة خدمة للعلم وطلباً للأجر في أواسط القرن التاسع الهجري، وهذا يكشف عن خروج هذا المخطوط من سبّة مُبَكَّرا، ولعل الكشف عن باقي أسفاره المفقودة، يغني البحث في مراحل تقلبه بين الأيدي حيّزة وتملُكًا، وانتقاله بين حواضر المغرب استقراراً وتوطُّناً.

المطلب الثالث: التعريف برواية ابن السكن وبيان أهميتها وتفصيل مميزات

تعريف موجز بصاحب الرواية؛ أبو علي ابن السكن:

هو: سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن، أبو علي، البغدادي، نزيل مصر، البزاز، كان مولده سنة: 294هـ ببغداد²².

كان كثير التحصيل، مكثرا من الرواية، قال الذهبي: وسمع بمصر والشام والجزيرة والعراق وخراسان وما وراء النهر²³.

وقد ألقى عصا التسيار بعد هذه الرحلة الطويلة في طلب العلم وحمل الحديث بمصر، وأصفق نقاد الحديث على وصفه بالثقة والحفظ، فمن ذلك قول الحافظ الرشيد العطار الإسكندري: أحد الحفاظ المشهورين، وعلماء الرواية المصنفين، كثير الحديث، ذو رحلة واسعة²⁴.

وقال الذهبي: كان كبير الشأن، مكثرا متقنا، مصنفا، بعيد الصيت²⁵.

وقد أسهم ابن السكن في علوم الحديث، بمصنفات جلية، امتدحها العلماء واعتمدوها، إلا أن أغلبها في حكم الفقد والضياع، نذكر منها:

«الحروف في أسماء الصحابة» ذكره ابن خير الإشبيلي²⁶.

«الضعفاء والمتروكين» ذكره ابن خير الإشبيلي²⁷، ووقف عليه الحافظ ابن عساكر، وقال عنه: ورأيت له جزءا من كتاب كبير صنفه في «معرفة أهل النقل»، يدل على توسع في الرواية إلا أن فيه أغاليط²⁸.

«المصنف على السنن» وهو كتاب في أحاديث الأحكام، ذكره ابن خير الإشبيلي²⁹.

وقد توفي ابن السكن بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي في المحرم من سنة: 353هـ بمصر.

22- تُنظر ترجمته في: تاريخ علماء مصر، لابن الطحان المصري، ت: محمود الحداد، ط: 1، الرياض، دار العاصمة، سنة: 1408هـ، (ص: 68).
وتاريخ دمشق، لابن عساكر الدمشقي، ت: عمرو العمروي، ط: دار الفكر، سنة: 1415هـ، (21/218).
ونزهة الناظر في ذكر من حدث عن البغوي من الحفاظ والأخبار، للرشيد العطار، ت: مشعل المطيري، ط: دار ابن حزم، سنة: 2002م، (ص: 73).
وتاريخ الإسلام، لأبي عبد الله الذهبي، ت: بشار عواد معروف، ط: 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، سنة: 2013م، (8/55).
وسير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله الذهبي، ت: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، سنة: 1405هـ، (16/177).
وتذكرة الحفاظ لأبي عبد الله الذهبي، ط: دار الكتب العلمية، سنة: 1998م، (3/100).

23- تاريخ الإسلام، للذهبي، (8/55).

24- نزهة الناظر، للرشيد العطار، (ص: 73).

25- تاريخ الإسلام، للذهبي، (8/55).

26- الفهرسة، لابن خير الإشبيلي، ت: بشار عواد معروف، ط: تونس، دار الغرب الإسلامي، سنة: 2009م، (ص: 268).

27- نفسه، (ص: 263).

28- تاريخ دمشق، (21/219).

29- الفهرسة، لابن خير (ص: 164).

أهمية رواية ابن السكن لـ«الصحيح» ومميزاتها:

تكتسي رواية ابن السكن لـ«صحيح البخاري» أهمية كبيرة لعلو إسنادها، فصاحب الرواية- أي ابن السكن - يروي عن الفِرْبَرِي (ت:320هـ) تلميذ الإمام البخاري مباشرة، وهذا بخلاف رواية غيره المشهورة مثل رواية الأصيلي وكريمة المروزي وأبي ذر الهروي، ولا شك أن القرب من مؤلف الكتاب، أدعى للثقة والأمن من الخطأ في الرواية. ومما تتميز به هذه الرواية، هو تصرفات ابن السكن في «صحيح» البخاري، وذلك لإمامة ابن السكن في الحديث وحذقه بصنعتة، جعله يتصرف في نص «الصحيح» بما تقتضيه معرفته بعلم الرجال وتمرسه في علم العلل، وموازنته بين طرق الحديث الواحد وألفاظه، ويمكن حصر وجوه تصرف ابن السكن في «الصحيح» كما يأتي:

أولاً: زيادة روايات غير موجودة عند غيره؛ وهذا النوع من مباينة رواية ابن السكن للطرق الأخرى عن الفربري قليل، كما يفهم مما أفاده الحافظ ابن حجر، حيث قال: وقد صرح بذلك البخاري فيما رواه أبو علي ابن السكن الحافظ في زوائده في «الصحيح»، قال: أنبأنا الفربري، قال: قال البخاري: هكذا رواه محمد بن سنان، عن فليح. وإنما هو عن عبيد بن حنين وعن بسر بن سعيد³⁰.

فقول الحافظ ابن حجر: «زوائده»، يفيد أن ابن السكن تفرد بزيادات على من سواه ممن روى «الصحيح»، عن الفربري عن البخاري، إلا أن ابن حجر اقتصر على ذكر الزيادة المذكورة، وقد بين فيها الإمام البخاري ما وقع فيه شيخه في هذا الحديث من وهم.

ثانياً: تعيين رواة الحديث المهملين، شيوخ البخاري خاصة؛ من التصرفات التي يكثر وقوعها من ابن السكن في روايته «الصحيح»، أنه شديد الحرص على تعيين الرواة المهملين، خصوصاً شيوخ المؤلف، وذلك لتمرسه بهذا الكتاب ومنهج مؤلفه فيه، ولمعرفته بعلم الرجال، وقد اعتمد عليه العلماء كثيراً في تعيين شيوخ البخاري الذين أهمل تعيينهم بذكر نسبهم أو ألقابهم وغير ذلك، وقد صرح الحافظ أبو علي الجاني باعتماده على رواية ابن السكن في تعيين شيوخ المؤلف المهملين، فقال في المقدمة: هذا كتاب يشتمل على التعريف بشيوخ حدث عنهم البخاري - رحمه الله - في كتابه، وأهمل أنسابهم،...، وقد نسب أبو علي ابن السكن جماعةً منهم في نسخته من «الجامع» التي رواها عن محمد بن يوسف عن البخاري³¹.

30- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ت: محب الدين الخطيب، ط: دار المعرفة، سنة: 1379هـ، (1/351).

31- تنقيح المهملة وتمييز المشكل، لأبي علي الجاني، ت: محمد أبو الفضل، ط: وزارة الأوقاف المغربية، سنة: 1997م، (ص: 8).

وله إطلاقات في تعيينه لبعض شيوخ البخاري، تدل على تحرره في كتاب البخاري ومعرفته بطريقته ورجال، وذلك حيث قال: كل ما في كتاب البخاري، مما يقول فيه: حدثنا محمد، أخبرنا عبد الله، فهو محمد بن مقاتل المروزي، عن عبد الله بن المبارك.

وما كان فيه: حدثنا محمد، عن أهل العراق، مثل: أبي معاوية وعبدية ويزيد بن هارون ومروان الفزاري، فهو محمد بن سلام البَيْكَنْدي،... إلخ كلامه³².

فهذا الكلام يدل على استقراء دقيق وتحريّ بالغ في التعرف على رواة البخاري المهملين، وهي تصرفات تفصل النزاع في الاختلاف الواقع بين الحفاظ في تعيين كثير من شيوخ البخاري.

ثالثاً: رواية متون أحاديث «الصحيح»، بأتم الألفاظ وأوضحها معنى وأبعدها عن الإشكال؛ وهذا ما نصّ عليه القاضي عياض السبتي، فقال: هذه طريقة أبي علي ابن السكن البغدادي في انتقائه روايته لـ«صحيح البخاري»، فإن أكثر متون أحاديثه، ومحتمل روايته، هي عنده متقنة صحيحة من سائر الأحاديث الأخر الواقعة في الكتاب وغيره³³.

وفي كثير من المواطن المشكلة من أحاديث الصحيح، ينبه القاضي عياض على أن الألفاظ التي يوردها ابن السكن أظهر وأوضح، مثال ذلك: في حديث: ثم دعا بماء فرفعه إلى يده،...، وعند ابن السكن: «إلى فيه»، وهو أظهر³⁴.

وقال أيضاً: في حج أبي بكر، وآخر سورة نزلت خاتمة النساء. كذا لكافة الرواة، ولابن السكن: «آية»، وهو الصواب³⁵.

رابعاً: التصرف في أسانيد الأحاديث بذكرها على الوجه الصحيح الخالي من الخطأ والعلّة؛ مثال ذلك: أن البخاري روى حديثاً، فقال: عن مسدد، عن أبي الأحوص، عن سعيد بن مسروق، عن عبادة بن رفاع، عن أبيه، عن جده رافع بن خديج، قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: إنا نلقى العدو غداً،... الحديث³⁶.

فالحديث أخرجه البخاري من طريق أبي الأحوص، عن سعيد بن مسروق، عن عبادة بن رفاع، عن أبيه عن جده، لكن المشهور أن الحديث يرويه أبو الأحوص، عن سعيد بن مسروق، عن عبادة بن رفاع، عن جده مباشرة، دون ذكر أبيه³⁷.

32- نفسه، (ص: 610).

33- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض السبتي، ت: السيد أحمد صقر، ط: دار التراث، سنة 1970م، (ص: 187).

34- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، ط: المكتبة العتيقة، د. ت.، (1/32).

35- نفسه، (1/57).

36- فتح الباري، (1/377).

37- نفسه.

فتصرف ابن السكن في هذا الإسناد وأسقط «أبيه» من الإسناد، مع أنه ثابت في «صحيح البخاري»، وذلك لأن الأصح في هذه الرواية هو سقوط «أبيه»³⁸، بينما في الروايات الأخرى للبخاري «عن أبيه» ثابتة.

خامساً: الاختلاف في بعض التراجم تقديمًا وتأخيرًا، فقد قال ابن حجر حين بلوغه باب اللّخام والجَزَار: كذا وقعت هذه الترجمة هنا، وفي رواية ابن السكن بعد خمسة أبواب، وهو أليق لتتوالى تراجم الصناعات³⁹.

فهذه المميزات التي تفردت بها رواية ابن السكن دون باقي روايات «الصحيح»، وهي تفيد أن هذه الرواية ينبغي أن تنال حقها من الدراسة، حتى تتبدى معالم جديدة في العناية بصحيح البخاري رواية، وما وجه التباين الحاصل بين هذه الروايات، والوقوف على تصرفات أخرى في تصنيف البخاري لـ «صحيحه» والكشف عن منهجه.

خاتمة:

تبقى نسخة «صحيح» البخاري من رواية ابن السكن، من أنفس النسخ الخطية التي لا زالت حبيسة الرفوف، وهي - على نقصها - تحتاج إلى تحقيق نصها، ودراستها دراسة تحليلية ومقارنة، حتى تبرز فوارقها ومميزاتها بشكل أوضح عن باقي روايات «الصحيح» المشهورة والمطبوعة، إذ تتميز كثير من نسخ «الصحيح» المحفوظة بخزائن المغرب بالتنوع والندرة، وهذا التميز يستوجب الكشف عن هذه النسخ والتعريف بها، ثم دراستها وتحقيقها، حتى يتبدى ما كان للمغاربة من فرط العناية بهذا الديوان الشريف، إذ تهياً لهم الاحتفاظ بأصول خطية متقنة صحيحة، وبعضها من روايات منحسرة الانتشار - مثل رواية ابن السكن -، مما يقتضي من المراكز العلمية والمؤسسات الثقافية تركيز بعض من جهودها في جرد هذه النسخ النفيسة ودراستها وإخراجها.

38- نفسه، (1/377).

39- نفسه، (4/312).

فهرس المصادر والمراجع:

- (الإشراف على أعلى شرف في التعريف برجال البخاري من رواية ابن أبي الشرف) لأبي القاسم ابن الشاط السبتي، ت: إسماعيل الخطيب، ط: منشورات جمعية البعث الإسلامي بتطوان، سنة: 1986م.
- (الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع) للقاضي عياض السبتي، ت: السيد أحمد صقر، ط: دار التراث، سنة: 1970م.
- (استدعاءات الإجازة) لأبي عبد الله ابن رشيد السبتي، ت: عبد اللطيف الجيلاني، ط: منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية، سنة: 2007م.
- (الاستبصار في عجائب الأمصار) لمؤلف مراكشي غُفل، ط: دار الشؤون الثقافية ببغداد، سنة: 1986م.
- (تاريخ الإسلام) لأبي عبد الله الذهبي، ت: بشار عواد معروف، ط: 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، سنة: 2013م.
- (تاريخ علماء مصر) لابن الطحان المصري، ت: محمود الحداد، ط: 1، الرياض، دار العاصمة، سنة: 1408هـ.
- (تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب) لعبد الحي الكتاني، ت: أحمد شوقي بنين ومن معه، ط: الرابطة المحمدية للعلماء، سنة: 2013م.
- (تاريخ دمشق) لأبي القاسم ابن عساكر الدمشقي، ت: عمرو العمروي، ط: دار الفكر، سنة: 1415هـ.
- (تذكرة الحفاظ) لأبي عبد الله الذهبي، ط: دار الكتب العلمية، سنة: 1998م.
- (تقييد المهمل وتمييز المشكل) لأبي علي الجبائي، ت: محمد أبو الفضل، ط: وزارة الأوقاف المغربية، سنة: 1997م.
- (درة الحجال في أسماء الرجال) لأبي العباس ابن القاضي المكناسي، ت: محمد الأحمد أبو النور، ط: 1، القاهرة - تونس، مكتبة دار التراث والمكتبة العتيقة، سنة: 1971م.
- (دور الكتب في ماضي المغرب) لمحمد المنوني، ط: الخزنة الحسنية، سنة: 2005م.
- (الروض المعطار في خبر الأقطار) لأبي عبد الله ابن عبد المنعم الحميري، ت: إحساب عباس، ط: مؤسسة ناصر للثقافة، سنة: 1980م.

- (سير أعلام النبلاء) لأبي عبد الله الذهبي، ت: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، سنة: 1405هـ.
- (فتح الباري شرح صحيح البخاري) لابن حجر العسقلاني، ت: محب الدين الخطيب، ط: دار المعرفة، سنة: 1379هـ.
- (الفهرسة) لأبي بكر ابن خير الإشبيلي، ت: بشار عواد معروف، ط: تونس، دار الغرب الإسلامي، سنة: 2009م.
- (فهرس مخطوطات الخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة)، ت: عبد الرحيم العلمي، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية، سنة: 2002م.
- (قبس من عطاء المخطوط المغربي) لمحمد المنوني، ط: دار الغرب الإسلامي، سنة: 1999م.
- (نزهة الناظر في ذكر من حدث عن البغوي من الحفاظ والأكابر) لرشيد الدين العطار، ت: مشعل المطيري، ط: دار ابن حزم، سنة: 2002م.
- (مشارك الأنوار على صحاح الآثار) للقاضي عياض السبتي، ط: المكتبة العتيقة، سنة: بدون تاريخ.



نسخة هندية تاريخية للجامع الصحيح مقروءة على الإمام ولي الله الدهلوي (1176 هـ): عرض استكشافي وقراءة للنصوص المصاحبة

إعداد

محمد تقي بن رحيم الدين
مُشرف علمي بمؤسسة المعارف لإحياء التراث الإسلامي
مدينة شيتاغونغ، بنغلاديش



تمهيدٌ ومُلخَص

يدرّش المقالُ نسخةً تاريخيةً نادرةً للجامع الصحيح للإمام أبي عبد الله البخاري رحمه الله، تمتازُ بعدّة خصائص عالية، يُجملُها أنها نسخة مقروءة على الإمام ولي الله الدهلوي (1176 هـ) ومُصحّحة عدّة مرّات تحت إشرافه، ونالها يدُ العناية المَلَكِيّة في بعض الفترات التاريخية، وحظيت النسخة بإجلالٍ وتفخيم كبيرين، حتى خُطرت من التصوير في عصر الرّفقمة، ومُنعت من الدّراسة!

وهذا المقالُ يدرّش قيمة هذه النسخة ومعالَمها دراسةً استكشافيةً نقديةً مُكثّرة، ويُلمُّ بعددٍ من الإشكاليات المُحيطة بها وبطريقة دُرّس الإمام الدهلوي رحمه الله، ثم يتعرّض -وهو بيتُ القصيد- للهوامش العلميّة الموجودة على النسخة، ويصلُّ إلى المقصود الأهم بسهولة: وهي الفوائد العالية من دروس هذا العَلَم -وهو هو في هذا المِضمار!- التي توجد على النسخة، حول فقه الجامع الصحيح ومُشكلاته.

وفي نهاية المطاف ينشرُ البحثُ صورةً خطَّ الإمام الدهلوي، خلال الإجازة الطويلة الموجودة بآخر النسخة، مُشيرًا إلى حقائق علميّة وتاريخيّة يتضمّنُها نصُّ هذه الإجازة النّادرة نصًّا أو دلالةً.

المقالُ يتعلّقُ بمحور (نفائس النُسخ المخطوطة المعتبرة من صحيح البخاري في العالم) من محاور المؤتمر الدوليّ العلميّ الذي تعقده منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، بعنوان: (الجامع المسند الصحيح للإمام البخاري: كتاب أمة - تجسيد علمي لحضارة السند والتوثيق)، المقرّر عقده خلال الفترة من 21 إلى 23 أبريل القادم، بمدينة طشقند عاصمة جمهورية أوزبكستان.

والله تعالى وليّ التوفيق والقبول.

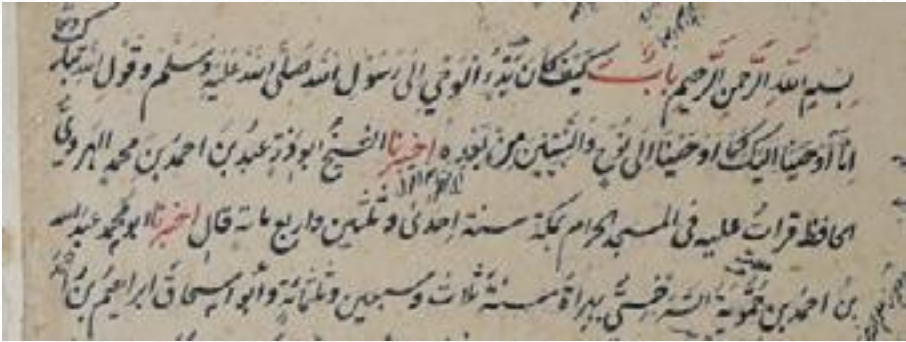
1- التعريف الأولي بالنسخة والأعلام المتعلقة بهم

هي نسخة تامة للجامع الصحيح للإمام أبي عبد الله البخاري رحمه الله -برواية أبي ذر أساسًا-، في أربع مجلدات، محفوظة في مكتبة خُدابخش الشرقية العامة المعروفة ببائنا، الهند -من كُتُب مكتبات المخطوطات في الهند-، برقمي 133 و134 (حسب الكتالوج) أو 442 و443 (حسب القائمة المختصرة)، نظرًا إلى أن للمكتبة ترقيمين معروفين.

تم نسخها بجامع دهلي سادس شعبان المعظم عام 1159 من الهجرة، بيد الشيخ محمد بن الشيخ پير محمد بن الشيخ أبي الفتح العمري البيلجرامي ثم الإله آبادي، مع قراءتها وتصحيحها مرارًا في خدمة الشيخ العلامة ولي الله الدهلوي رحمه الله كما ذكر الناسخ.. وقد كتب الناسخ بعض إفادات شيخه الدهلوي على الهوامش، وفوائد أخرى من الشروح، وهي كثيرة في المجلد الأول بخلاف غيره، كما سيأتي.

وتم تصحيح النسخة وتشكيلها عام 1184 هـ بأمر الملك شاه عالم (1173 - 1221 هـ)، كما يُثبت قيد مكتوب بآخر النسخة، وسيأتي الحديث عنه.

نموذج من أول الكتاب:



أعلام مهمون:

أما الإمام ولي الله الدهلوي، فإمام السنة في الهند وعالمها الأجل باتفاق، وهو مدّار إسناد الحديث والعلوم الشرعية فيها، وقد كُتبت مجلدات في سيرته وسيرة أولاده وأحفاده، وعلمهم ودعوتهم وجهادهم، واشتهرت فضائلهم ومناقبهم.

في «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» للحسني: «شيخ الإسلام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي: الشيخ الإمام الهمام، حجة الله بين الأنعام، إمام الأئمة، قدوة الأمة، علامة العلماء، وارث الأنبياء، آخر المجتهدين، أوجد علماء الدين، زعيم المتضلعين بحمل أعباء الشرع المتين، محيي السنة، وعظمت به لله علينا المنّة،

شيخ الإسلام، قطب الدين، أحمد ولي الله بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي. العالم الفاضل النحرير، أفضل من بث العلوم فأزوى كل زمان...». **يراجع إلى آخره**¹، ومن يعرف أسلوب صاحب «نزهة الخواطر» يعرف مدى انضباط هذه الأوصاف ودقة مواقعها وصدق مدلولها.

وله مؤلفات جليّة القدر لم يُسبق على منوالها، من أشهرها: ترجمة الكتاب العزيز بالفارسية - على شاکلة النظم العربي في قدر الكلام وخصوص اللفظ وعمومه وغير ذلك -، و«حجة الله البالغة»، و«إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء»، و«الفوز الكبير في أصول التفسير»، وشرحاه «المسوّى» و«المصفى» على موطأ الإمام مالك، ورسائله في «شرح تراجم الأبواب» في الجامع الصحيح للإمام البخاري رحمه الله.

وقد أحصى صاحب «النزهة» 43 مؤلفاً له في الترجمة المذكورة²، مع وصف بعضها بإيجاز.

توفي رحمه الله سنة 1176 بمدينة دهلي ودُفن عند والده خارج البلدة³.

وأما الناسخ الشيخ محمد بن الشيخ بير محمد، فله ترجمة في «نزهة الخواطر»⁴، قال: «الشيخ الصالح محمد بن بير محمد العمري البلكرامي، أحد العلماء المتصوفين، وُلد ونشأ بمدينة بلكرام، وأخذ العلم وسافر إلى البلاد، ولازم الشيخ حبيب الله القنوجي المتوفى سنة 1140 هـ مدة من الدهر وأخذ عنه، وشرح كتابه «روضة النبي» في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بالفارسي، وسمّاه بـ«مدينة العلم» أوله: الحمد لله الجليل والصلاة على حبيبه الجميل، إلخ...». اهـ وستأتي أمور أخرى.

وأما المليك شاه عالم، فهو المعروف بـ«شاه عالم الثاني»، مَلِك دهلي السابع عشر في الحكم المغولي، توفي في 1221 هـ / 1806 م.. وأما «شاه عالم الأول» فهو الإمبراطور المغولي السابع وهو ابنُ المَلِك الجليل عالمكير رحمه الله، وقد حكم الهندَ بعد عالمكير إلى 1712 م.

1- 6: 856 - 865.

2- المرجع السابق.

3- المرجع السابق.

4- 6: 796.

2- خصائص النسخة ومآثرات التوجّه إليها

من فضائل النسخة أنها مع تأخر زمن نسخها: نسخة مصحّحة بعناية كما يأتي، ومكتوبة بيد عالمٍ عليمٍ، وهي نسخة تاريخيّة بحسب مكان نسخها أيضًا، وكلّ هذه فضائل عامّة.

ولكنّ المهمّ والمميّز -في أنظار أهل العلم-: ارتباط هذه النسخة بالشيخ ولي الله الدهلويّ رحمه الله، وهذا هو مآثر العناية الخاصّة بها والتوجّه إليها.. فهي نُسخة:

- مقروءة عليه،
 - ومُصحّحة بإشرافه،
 - وبآخِره إجازة مهمّة بخطه،
 - وفي هوامشها إفادات نادرة له، وتوجد خطوطه أيضًا بندرة.
 - وفي أولها ورقة فيها رسالته حول «تراجم أبواب صحيح البخاري»، وفي آخرها رسالة «الفضل المبين في المُسلّسل من حديث النبي الأمين صلى الله عليه وسلم» له بخط نفس التلميذ، مقروءة على المؤلف، وبآخرها إجازته بخطه لنفس التلميذ، فهي -أيضًا- أهمُّ نسخ «الفضل المبين» على الإطلاق.
- كلّ هذه الأمور لافتة للنظر علميًا وتاريخيًا وثرائيًا، فمثل صاحب «حجة الله البالغة» فوائده الدّرسيّة عزيزة جدًّا، ومثل الدهلويّ -وهو مدارّ إسنادٍ شبه قارّةٍ كاملةٍ- أثره الخطّي المباشر أثرٌ غالٍ جدًّا... وقد حُفظت النسخة في مكتبتها الأمّ حفظًا، ومُنعت من التصوير زمنًا، فلم يؤذن مركز جمعة الماجد بدبي -مثلًا- بتصويرها وقت تصوير المخطوطات الأخرى، كما أفادني المكلف بهذا الأمر الأستاذ الدكتور عز الدين بن زُغيب حفظه الله، والحديث ذو شجون.

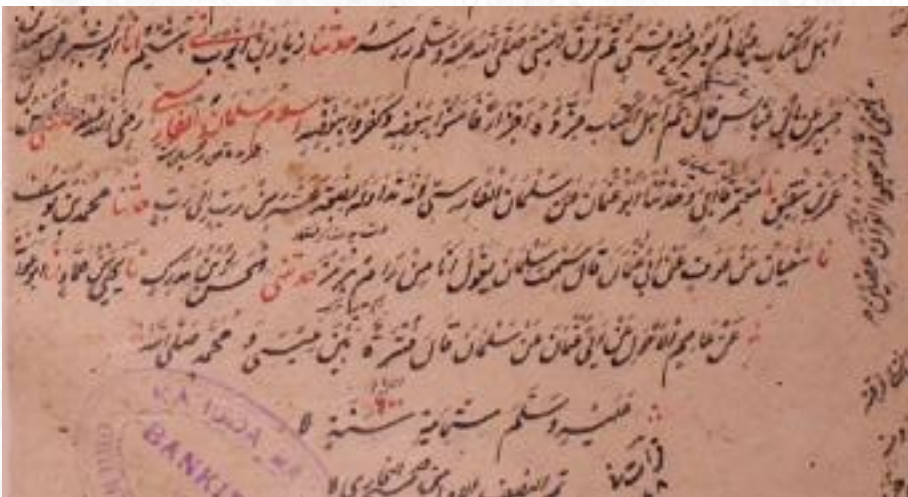
وفي هذه العجالة نتوخّى استكشاف جوانب قيمة النسخة، ودراسة أمورٍ مشهورةٍ حولها بصدقٍ واقتصادٍ، اعتمادًا على مُعاينة الصورة الإلكترونيّة الكاملة للنسخة التي حصلت لنا من المكتبة مباشرة، فتيسّر بفضل الله الوقوف على أمور كثيرة كانت صعبة المّنال في الزّمن الماضي، والله تعالى وليّ التوفيق والقبول.

3- عرض استكشافي لمعالم النسخة والقيود والهوامش

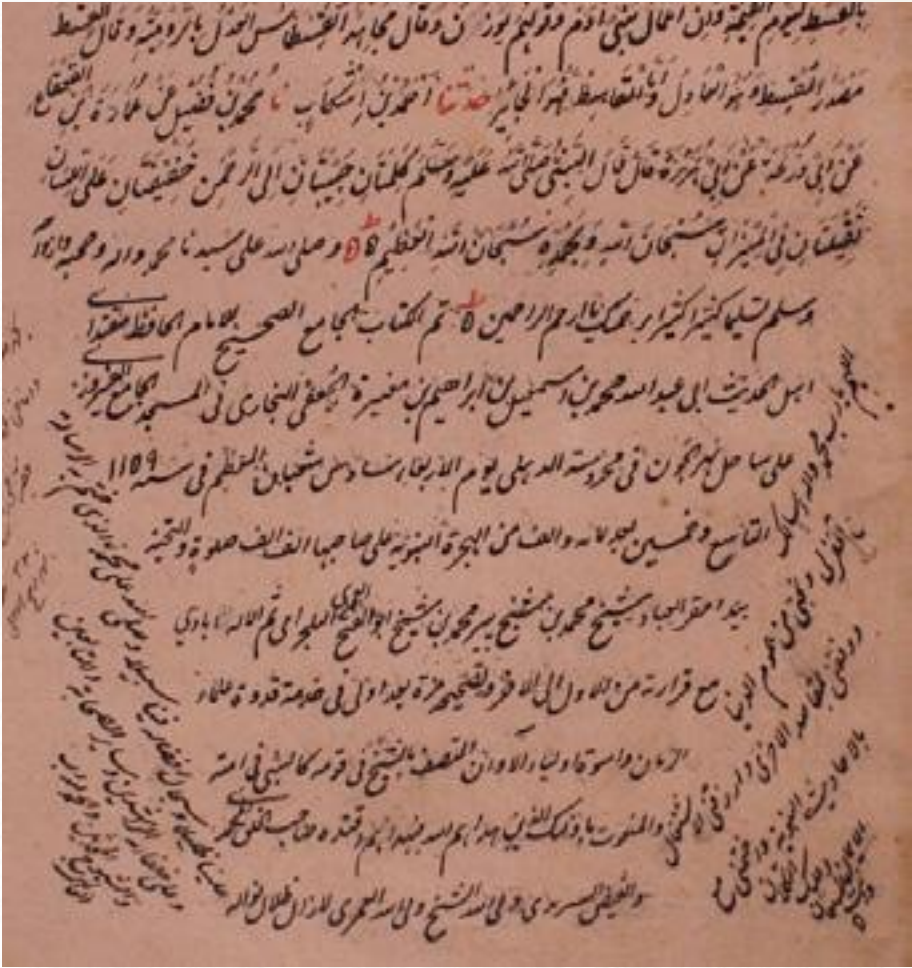
- تتم النسخة في ثمان مئة لوحة تقريبًا، وهي نسخة مُرمّمة جيّدة كُتبت بخط النستعليق الجميل.. نموذج لوحة (ق38) من المجلد الأول، وفيها هوامش بقلم الناسخ:



- آخر المجلد الثاني، وهو تمام النصف الأول من الجامع الصحيح حسب التجليد المعروف في شبه القارة:



- آخر الكتاب (المجلد الرابع: ق 374)، وهو مهم:



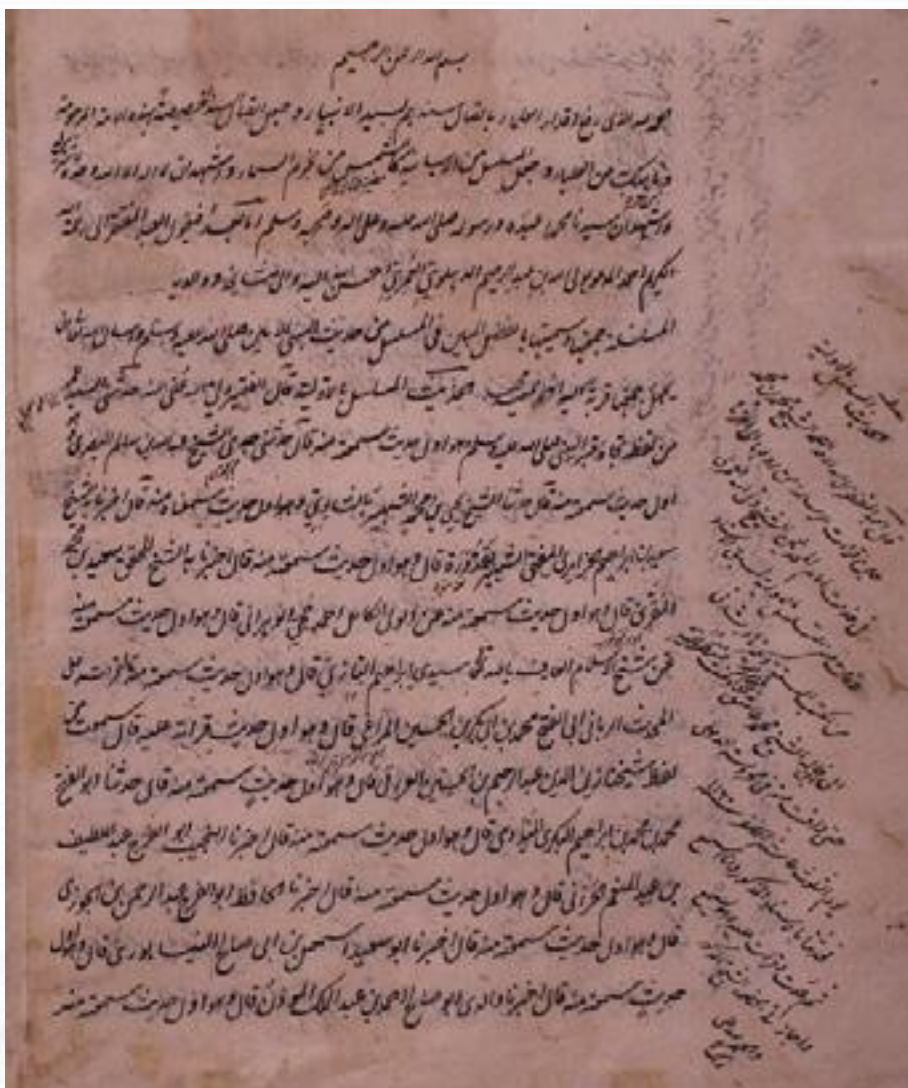
- يُوازيه قيد تصحيح بقلم دقيق -باللغة الفارسيّة-
 بخط الشيخ محمد ناصح، ذكر فيه أنه قام
 بتصحيح وتشكيل النسخة بأمر الملك شاه عالم،
 وانتهى من ذلك في 1184:

ولم أتأكد من معرفة هذا الشيخ، ولعله الذي ذكره الحسني في «نزهة الخواطر» في ترجمة الشيخ محمد أجمل الإله آبادي⁵، قال: «وأخذ الحديث عن المفتي محمد ناصح مفتي العساكر السلطانية...» اهـ.

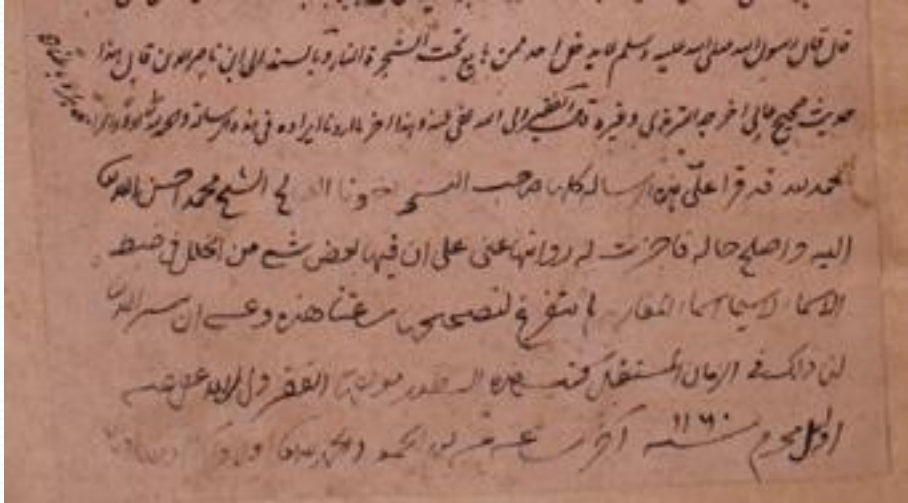
ومن محاسن النسخة في الجملة: هذا التشكيل المُحكم الذي قام به محمد ناصح بأمر ملكي بعناية بالغة، متّع نظرك به مرة أخرى (نموذج - المجلد الرابع: ق372/9):



- أول رسالة «الفضل المبين» في الأحاديث المُسلسلة للعلامة ولي الله رحمه الله،
المُلحقة بآخر النسخة كما سبق (المجلد الرابع- الصفحة الإلكترونية: 378):



- قيدُ قراءة وإجازة بخط العلامة الدهلوي بآخر رسالة «الفضل المُبين» المذكورة، وفيها تنبيهٌ على خللٍ باقي في ضبط بعض الأسماء فلْيلاحظ:



هذه معالمٌ عابرة تنطقُ بها الضرور.

4- الهوامش الدرسية والعلمية: قراءة استكشافية نقدية

من الأمور المهمة المتعلقة بالنسخة: الهوامش العلمية التي بها، وهذه الهوامش كثيرةٌ في المجلد الأول، وخصوصًا النصف الأول منه، وتقلُّ في بقية الكتاب.

وقد التفتت الأنظارُ إلى هذه الهوامش نظرًا إلى مكانة الإمام الدهلوي رحمه الله في فقه الحديث الشريف، وكيفي شاهدًا على ذلك كتابه «حجة الله البالغة»، فقد أتى فيه بما لم يُسبق إليه من الفوائد والنكات والحلول والشروح في مجال فقه الحديث.. كما يكفي شهودًا على ذلك رسالته حول تراجم أبواب «الجامع الصحيح»، إحداهما: «تراجم أبواب البخاري»، وهي رسالة مختصرة تحدث فيها عن قواعد وأصول لفهم تراجم الإمام البخاري في كتابه «الصحيح»، طبعت هذه الرسالة في مطبع نور الأنوار في آره، عام 1899م، ثم طبعت مع الرسالة الأخرى «شرح تراجم أبواب البخاري» من قبل دائرة المعارف في حيدر آباد، الدكن، الهند، عام 1323هـ. والرسالة الثانية «شرح تراجم أبواب البخاري» معروفةٌ ومتداولةٌ.

فوائدٌ مثل هذا الإمام لا تخفى أهميتها الكبيرة، ولذلك اهتم الدكتور محمد عتيق الرحمن (المتوفى في نوفمبر من 2024م) رئيس قسم المخطوطات سابقًا بمكتبة خدابخش -مستودع هذه النسخة- بالعمل على إخراج هذه الفوائد المنشورة في

هوامش النسخة، وآلف فعلاً في الموضوع وصدر كتابه باللغة الأردية عام 2007م، بعنوان: (شاه ولي الله دہلوی کی تحقیقات حدیث - صحیح بخاری کے ایک قلمی نسخے کی روشنی میں)، یعنی: (تحقیقات ولي الله الدهلوي الحديثية، في ضوء مخطوط لصحيح البخاري).

والمعنيّ بـ«التحقيقات» عنده هذه الهوامش، وقد جمع منها 76 «تحقيقاً» = «تعليقاً علمياً» = «بحثاً علمياً» لم يُنشر للعلامة الدهلوي ويوجد على النسخة، تاركاً الهوامش التي هي نقلٌ وجمعٌ من الشروح الأخرى، وهذه خدمةٌ جميلةٌ قام بها، ولكن لم ينل كتابه حقه من الذيع لأسباب عديدة.

واهتم بهذه التعليقات بعض الأساتذة العرب فلم يصلوا المراد لفارق اللغة أو لعدم تعاون الإداريين أو لغير ذلك.

قراءتنا للموضوع:

وقد وُفّقنا لقراءة الموضوع قراءةً أخرى جادةً بفضل الله، فظهر لنا ما يلي بإيجاز:

(1) هناك هوامش كثيرةٌ محتواها نقلٌ وجمعٌ من الشروح الأخرى لصحيح البخاري، من كتابة الشيخ الناسخ.. وهي كثيرةٌ في بداية الكتاب، وهي من بابة التقييد الشخصي في نظرنا، ولا حاجة إلى ربطها بأمور أخرى مثل درس الشيخ الدهلوي رحمه الله، وإن كان الواقع أن النسخة نُسخَتْ بحضرته رحمه الله.

(2) المهم المقصود في إطارنا هذا، التعليقات الـ76، التي جمعها د. عتيق الرحمن أيضاً، وهي الفوائد العلمية التي نسبتها الشيخ الناسخ إلى العلامة الدهلوي صراحةً، وأحصينا منها (47) تعليقاً، ذكر فيه الناسخُ سماعها من الشيخ الدهلوي.

(3) ثم وجدنا من هذه التعليقات الـ76: قرابة (16) تعليقاً هو في الواقع نقلٌ من رسالة «شرح تراجم أبواب البخاري» للدهلوي، فهي منشورة سابقاً وليست جديدة.

والخلاصة أن قرابة (خمسین) تعليقاً يمكن أن يُعدّ من فوائد هذه النسخة التي لا توجد في مؤلفات الدهلوي الأخرى.

وهذه عدة نماذج تشمل الأقسام المذكورة:

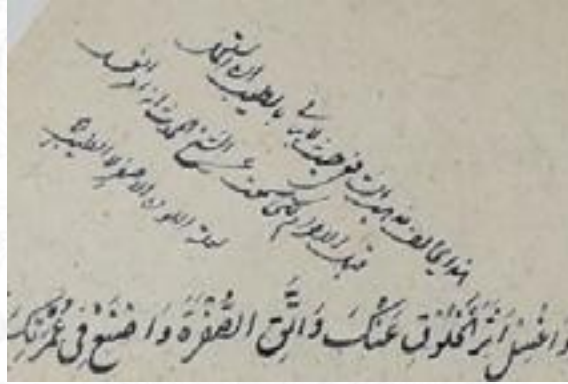
الأول: يتعلّق بـ«باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج» من كتاب الحج، وفيه حديث صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه⁶: «أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة، وعليه جبة، وعليه أثر الخلق، أو قال: صفرة، فقال: كيف تأمرني أن

6- صحيح البخاري: (1789) 3: 5.

أصنع في عمرتي؟ فأُنزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم، فستر بثوب، ووددت أني قد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد أنزل عليه الوحي، فقال عمر: تعال، أيسرك أن تنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد أنزل الله الوحي؟ قلت: نعم، فرفع طرف الثوب، فنظرت إليه له غطيط، وأحسبه قال: كغطيط البكر، فلما سرتي عنه، قال: أين السائل عن العمرة؟ اخلع عنك الجبة، واغسل أثر الخلق عنك، وأنق الصفرة، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجك».

هنا علق الناسخ (المجلد الأول، ق163/ظ):

«هذا يخالف مذهب الشافعي، حيث لا يبالي بالطيب إن استعمل قبل الإحرام؛ لكن سمعتُ عن الشيخ المحدث أنه أمر الغسل⁷ لعلَّ اللون الأصفر لا الطيب». اهـ. الصورة:



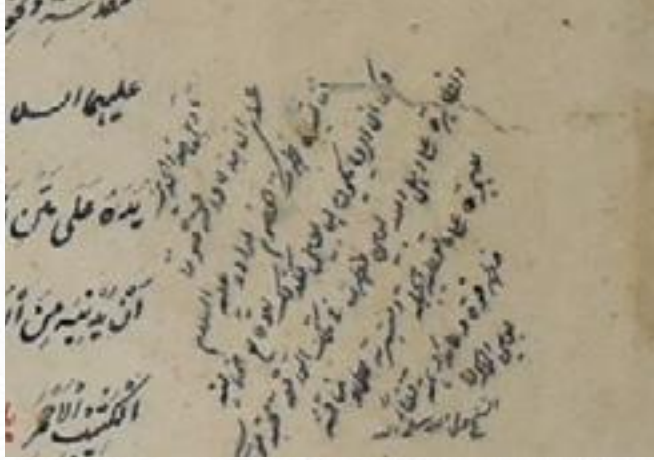
الثاني: يتعلق بـ«باب من أحبَّ الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها» من كتاب الجنائز، وفيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال⁸: «أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صَّغَّه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فردَّ الله عليه عينه، وقال: ارجع، فقل له يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غظت به يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن، فسأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلو كنتم لَأريتكم قبره، إلى جانب الطريق، عند الكتيب الأحمر».

7- كذا قرأْتُ.

8- صحيح البخاري: (1339) 2: 90.

هنا علق الناسخ نقلًا من شيخه (المجلد الأول، ق ١٢٢/ظ):

«تأويل هذا الحديث عندي أن هذه واقعةٌ صورٌ مثاليةٌ كما ظهرت الخصوم لداود عليه السلام، فكما أن الرؤيا يكون لها بعين، فكذلك للوقائع المثالية الظاهرة على أهل الله بعين⁹، فظهرت في تلك الواقعة محبةً موسى للهجرة على ما تعطيه الجملة البشرية لطمًا ومناقشةً، فظهر قوةً دعائه وهَمَّته فقاءً بعين الملك. الشيخ ولي الله سلَّمه الله». الصورة:



الثالث: يتعلّق بعدة أبواب من كتاب المناقب، وهذه الفائدة مذكورة في «شرح تراجم أبواب البخاري» تحت «باب ذكر قحطان»⁽¹⁰⁾.

وهذه عبارة الفائدة بتمامها من المخطوط (المجلد الثاني، ق 332/و):

«تحير الناس في هذه المطالب التي ترجم البخاري لها ولم يهتدوا إلى مقصده فيها، والذي وُفق هذا العبد الضعيف بفهمه: أن البخاريّ عمد ههنا إلى قصص أطال الكلام فيها محمد بن إسحاق في «سيرته»، فأقام لكل منها شاهداً من الأحاديث الصحيحة على شرطه.

فذكر ابن إسحاق قصة تبابعة اليمن من حمير، فأتى البخاري لها بشاهد، وهو ذكر قحطان في الحديث الصحيح، وذكر حلف الفضول وغيرها من معاهداتهم فيما بينهم، فأشار إليه البخاري بقوله: «باب ما ينهى من دعوى الجاهلية»، وذكر تسلط خزاعة على مكة بعدما أخرجوا...¹¹، وأتى البخاري لها بشاهد، وهو ذكر عمرو بن

9- كذا قرأتُ الجملتين.

10- ص 34، وفيه تحريفات خلت منها عبارة المخطوط الآتية.

11- كلمة غير واضحة.

لحيّ وتسيبيه السوائب، وذكر قصة حفر عبد المطلب الرّمزم فأثى لها بشاهد، وهو حديث إسلام أبي ذر وشربه من زمزم، فإنه يدل على أن زمزم كان موجودًا في أوّل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم. وذكر الدارميّ قبل ذكر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج قصة رجل ذكر عند النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قتل ابنته في الجاهلية، فأثى البخاري لها بشاهد، وهو قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ [الأنعام: 140]، وذكر ابن إسحاق نسبه صلى الله عليه وسلم إلى سيدنا إسماعيل، وروى عن مالك أنه كره رفع النسب إلى ما فوق الإسلام، فانتصر البخاري لابن إسحاق، وذكر ابن إسحاق في ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم قصة الفيل واستيلاء الجيش على اليمن، فلم يجد البخاري لها شاهدًا فأثى إلا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: 1]، وذكر الحبشة في الحديث، وخطابهم بـ«يا بني أرفدة»، هذا ما لاح لي، والله تعالى أعلم. **من** تعليقات شيخنا الأعظم وليّ الله سلمه الله». الصورة:



ملاحظة مهمة حول فوائد النسخة الخاصة:

في قراءتنا المتواضعة للموضوع لاحظنا أن هناك تقييماً غير مستقيم -لدى الباحثين المتعزّزين للموضوع في الأردية- حول فوائد الدهلوي الخاصة التي توجد بالنسخة، فهم يقيسونها بفوائده في كتبه الأخرى مثل «حجة الله البالغة»، مع أن الفوائد التي توجد هنا عابرة جداً، ويمكن أن يقال إنها خارجة عن مقصود دُرُس هذا الإمام، فإن دُرُسَه كان على طريقة السرد وقراءة المتن لا التعليق والشرح، كما يفهم من عددٍ من كتبه وأبحاثه في الموضوع... فإقامة هذه الفوائد نماذج عالية من فقه الدهلوي رحمه الله: لا تخلو من نظر، ولا تبتني على ملاحظة طريقة دُرُسَه المعروفة... التي تُستفاد ممّا ذكره بنفسه في «إنسان العين في مشايخ الحرمين»¹²، و«أنفاس العارفين»¹³، و«إتحاف النبیه»¹⁴، ويلاحظ أيضاً طريقة تدريسه لـ«مشكاة المصابيح» كما وردت في «وصيته»¹⁵.

وذكر عن طريقة السرد في «إنسان العين»¹⁶ أنها تُناسب الخواص، ولا شك أن تلميذ الدهلوي رحمه الله في هذه النسخة من الخواص، فهو مُترجمٌ له ضمن أعلام الهند كما سبق، وقد زار الشيخ الدهلوي بعدما نبغ في العلم، تدل عليه صفته بقلم شيخه في الإجازة.

وبالجملة، إن الفوائد التي توجد في هوامش النسخة: مهمة كما لا يخفى، لكنها ليست فوائد مقصودة ومُحكمة من مثل الإمام الدهلوي رحمه الله كما ظهر لنا، وإنما هي كلمات عابرة نطق بها عرضاً أحياناً... ومن يريد استجلاء نماذج فقه الحديث عند العلامة الدهلوي فعليه بمراجعة تأليفه المعروفة في هذا المجال، التي سبق ذكر بعضها، والله سبحانه أعلم.

12- ص 91.

13- ضمن مجموعة رسائل الشاه ولي الله 3: 471.

14- ص 154.

15- مجموعة رسائل الشاه ولي الله 2: 532.

16- ص 91.

5- صورة إجازة مهمة بخط العلامة ولي الله الدهلوي رحمه الله

من أهم مميزات النسخة هذه الإجازة التاريخية بقلم العلامة الدهلوي رحمه الله، وهي في ثماني صفحات، ويوصى بنشرها وتحقيقها كما يليق بها.

- نموذج / ق 375/ظ:



بقراءتي عليه جميع أخبارنا شيخ الإسلام زين الدين زكريا بن محمد الانصاري القاهري
بقراءتي عليه جميع أخبارنا الحافظ الوافضل احمد بن علي بن محمد العسقلاني ثم المصري ثم
عليه جميع أخبارنا به العلامة الواسع ابراهيم بن احمد بن محمد الواحد البعلبي
الاصل الذي تشق لفت نزيل القاهرة المعروف بالبرهان الثاني قرا عليه
وانا سمع اخبارنا به الواعظ احمد بن ابي طالب الصالح المحي آثر المعروف بالشيخ
قراة عليه ونحن سمع جميع اخبارنا به الوعيد الله المحسن ابا المبارك بن محمد الزبيدي
الاصل النعمه ادي الدار سماعته اخبارنا ابو الوقت عبد الاول بن عيسى السنجي
ابن زوي الصوفي سماعته اخبارنا الوالح عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي
سماعته اخبارنا ابو محمد عبد الله بن احمد بن محمود بن الحموئي الشحسي سماعته
اخبارنا الوعيد الله محمد بن يوسف بن مظفر البكري سماعته اخبارنا الامام الحج
ابو عبد الله محمد بن عيسى بن ابراهيم النخاري سماعته كرم جمع الكتاب ح
قال الى فظ ابراهيم و اخبارنا به ايضا ابو محمد عبد الله بن محمد بن محمد بن سلمان
النسب البصري الاصل نزيل مكة سماعته بالسجدة الحرام في شهر رمضان سنة ١٨٩
ق وهو ادي شيخ سمع عليه الحديث فيها اعلم اخبارنا العلامة امام المقام رضي الله
ابو محمد ابراهيم بن محمد بن ابي بكر الطبري سماعته عليه وهو آخر من حدثت
بسماع اخبارنا الى القام عبد الرحمن بن ابي خزيمة سماعته عليه سوى فوت
وهو من قوله باب والي من اخاهم شجيبا الى قوله باب صوف النبي صلى الله عليه وسلم
فاجابته اخبارنا الوالح بن علي بن محمد بن قمار الطبري اخبارنا الوعيد

6- توصيات البحث

يُوصي البحث بـ:

- 1) العناية بالنسخة الهندية المدروسة، والاستفادة منها في خدمة «الجامع الصحيح» عمومًا، وفي إطار تاريخ وتوثيق الآثار الحداثيّة الهندية خصوصًا.
- 2) العناية بالهوامش العلميّة المُميّزة الموجودة بالنسخة في دراسةٍ جادّة تسلكُ مسلكَ الدّقة والإنصاف.
- 3) العناية بنشر إجازة العلامة الدهلويّ التي يآخِر نسخة «الجامع الصحيح» نشره محقّقةً تفي بحقّها علميًّا وتاريخيًّا، بدون تكلفٍ أو تعسّفٍ.

7- ثبت المراجع

هذا البحث التوثيقيّ المتواضع معتمدٌ على معاينة المخطوط وتحليله، فلم يعتمد المصادر الثانويّة إلا عرضًا، مثل:

- إتحاف النبيه فيما يحتاج إليه المحدث والفقهاء: أحمد بن عبد الرحيم، الشاه ولي الله الدهلوي (1176)، تعليق: أبو الطيب محمد عطاء الله حنيف، تعريب: محمد عزيز شمس، الباكستان، لاهور: المكتبة السلفية، ط: 1، 1424هـ- 2003م.
- إنسان العين في مشايخ الحرميين: أحمد بن عبد الرحيم، الشاه ولي الله الدهلوي (1176)، تعريب وتحقيق: أبو زرعة عبد الأحد بن يوسف الفلاح، تقديم: محمد زياد بن عمر التُّكَلَّة، الهند، سورت: دار الحمد للبحث والتحقيق، ط: 1، 1442هـ- 2021م.
- أنفاس العارفين (ضمن مجموعة رسائل الشاه ولي الله): أحمد بن عبد الرحيم، الشاه ولي الله الدهلوي (1176)، تحقيق وتعليق: عطاء الرحمن القاسمي، الهند، دهلي: معهد الشاه ولي الله، ط: 2، 2015م.
- الجامع المُسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله وسُننه وأيامه: الإمام أبو عبد الله البخاريّ، صورة الطبعة السلطانية المطبوعة بدار طوق النجاة.
- (شاه ولي الله دهلوي کی تحقیقات حدیث - صحیح بخاری کے ایک قلمی نسخے کی روشنی میں) = (تحقيقات ولي الله الدهلويّ الحداثيّة، في ضوء مخطوط لصحيح البخاري): د. عتيق الرحمن، الهند-يوبي: أكاديمية الشاه ولي الله، ط: 1، 2007م.
- شرح تراجم أبواب البخاري: مضمومٌ بأول الطبعة الهندية الرائجة لصحيح البخاري.
- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام: عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسن (1341هـ)، بيروت: دار ابن حزم، ط: 1، 1420هـ/ 1999م.
- والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وآله وصحبه ومن تبعهم.

نوادير من مخطوطات الجامع الصحيح للإمام البخاري الم محفوظة بالخزائن المغربية

دراسة كوديكولوجية

إعداد

د. عبد المجيد خيالي
رئيس قسم الموظفين بالخزانة الحسنية



مقدمة

الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله؛

وبعد؛

ولقد من الله علينا في المغرب الأقصى، أن حفظت به مجموعة من النسخ النادرة، كرواية ابن سعادة، ورواية أبي داود، ورواية الهروي، ورواية ابن منظور، وغيرها من الروايات التي نلقي الضوء في هذه المداخلة على أهمها، في إطار دراسة كوديكولوجية، تبين خصائصها ومميزاتها، وإسهامها في بناء حضارة «الكتاب» عامة، وحضارة «السند والتوثيق» خاصة.

وبما أن الوقت لا يكفي لعرض جميع ما جاء في الورقة الأصلية للمؤتمر، فإننا سنقتصر على عرض أهم النسخ التي ذكرناها.

المحور الأول: نوادر مخطوطات صحيح الإمام البخاري المحفوظة بالخزائن المغربية عامة.

تزخر الخزائن المغربية بنوادر من المخطوطات المختلفة، ومن بينها نوادر من مخطوطات صحيح البخاري، وفيما يأتي نذكر أهم الخزائن المغربية، وما فيها من تلك النوادر.

نُسخ صحيح البخاري المحفوظة بمكتبة المسجد الأعظم بمدينة تازة

وقفنا في هذه الخزانة على نُسختين عتيقتين من صحيح الإمام البخاري وهما كالآتي:

• النسخة الأولى وهي برواية أبي الوقت، رقم حفظها (87)

وهو عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق الشَّجْزِيّ الأصل، أبو عبد الله الهروي الماليني الصُّوفي توفي سنة 553هـ، وعمره 95 سنة. وكان أبوه سَمَاهُ محمداً، فسماه أبو عبد الله الأنصاري عبد الأول وكناه أبا الوقت، **عن الدَّأُوْدِيّ** عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ، شيخ خُراسان توفي سنة: 467 هـ. **عن الشَّرْحِيّ** أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمُويَه بن أحمد بن يوسف بن أعين الشَّرْحِيّ، توفي سنة 381 هـ. **عن القَزْبَرِيّ** أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ مَظَرَ بْنِ صَالِحِ بْنِ بَشَرَ القَزْبَرِيّ ولد سنة 231 هـ، ومات سنة 320 هـ وقد أشرف على التسعين. حدث بالجامع الصحيح عن البخاري كان حافظاً ثقة ورعاً.

وصف المخطوط: نسخة ناقصة؛ المحفوظ منها الجزء الأول فقط والباقي في حيز المفقود، مصححة ومذيلة بطرر مفيدة، بدأت تنال منها الأرضة، نوع خطها: مشرقي نسخ، كتبت عناوين الكتب والأبواب بلون أحمر، اسم ناسخها محمد بن إسماعيل بن أبي بكر الشيرازي الشافعي، نسخت على أصل كان في حوزة الحافظ برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العجمي الحلبي رحمه الله. عليها تحبیس على المسجد الأعظم بتازة. مسفرة تسفيرة جلدية قديمة لونها أسود تتوسطها ترنجة نباتية مضغوطة.

تاريخ نسخها: ثامن عشرین من شهر ربيع الأول من شهور سنة تسعين وثمانمائة للهجرة بحلب المحروسة.

• النسخة الثانية برواية ابن السَّكَنِ رقم حفظها (88)

هو أبو عليّ سعيد بن عُثْمَانِ ابْنِ السَّكَنِ توفي سنة 353 هـ. روى عنه من الأندلسيين وقرأ عليه في مصر سنة 343 هـ: عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجُهَنِيّ الطَّلِيْظِيّ، المتوفى سنة (395 هـ) حيث رُحِّلَ إلى المشرق سنة اثنتين

وأُرجعين وثلاث مائة. كما ورد ذلك في كتب مُترجميه فسمِعَ من أبي عليّ سعيد بن عثمان بن الشَّكَن صاحب الفَرْبَرِي بِمَضَر.

وصف المخطوط: تتكون النسخة من جزئين؛ الجزء الأول والخامس، والباقي في حيز المفقود، وهي نسخة مُتلاشية قد نالت منها الرطوبة كثيرا في حواشيها وميزابها، مُصححة، ومُذيلة بظُرر مفيدة، ومقابلة بالأصل المنقول منه أصل أبي الحسن يونس بن مغيث، الأصل المذكور بخط أبي عمر الطَّلَمَنُكي وعليه قرأت وسَماع لجماعة من العلماء سمعوا الدِّيوان المذكور على أبي الحسن يونس رحمه الله تعالى وذلك في سادس شهر رمضان المعظم عام ثمانية وتسعين وستمائة. وعليها سماع على طاهر ابن أبي الشرف رفيع بن علي الحسيني عام تسعة وتسعين وستمائة. وعليها تملك. **وكتبه بخطه:** عبد المهيم بن علي بن حرز الله التميمي.

أما بالنسبة **للسفر الخامس** فقد انتهت مقابلته من قبل أبي الحسن بن يونس بن مغيث عام تسعة وتسعين وستمائة قال ذلك وكتبه بخطه عبد المهيم بن علي بن حرز الله التميمي. وعليها أيضا سماع على طاهر ابن أبي الشرف رفيع بن علي الحسيني عام تسعة وتسعين وستمائة. قال ذلك وكتبه بخطه عبد المهيم بن علي بن حرز الله التميمي. كتب بخط أندلسي عتيق، وكتبت عناوين كتبه وأبوابه بخط غليظ.

النسخ الخطية العتيقة والنادرة لصحيح الإمام البخاري المحفوظة بخزانة الزاوية الناصرية بتامكرت إقليم زاكورة

• النسخة الأولى برواية ابن منظور رقم حفظها (312)

وهو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَيْسَى بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ مَنْظُور، الإشبيلي. المُحَدَّثُ الْمُتَقِنُّ، المتوفى سنة: 469 هـ، عن أبي ذر الهَرَوِي قراءة عليه في المسجد الحرام عند باب النَّدْوَة بمكة، سنة إِخْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعَمِائَةٍ، وَاعْتَمَدَهُ الْأَنْدَلُسِيُّونَ، عَنِ الشَّرْحِيِّ، عَنِ الْفَرْبَرِيِّ، عَنِ الْبَخَارِيِّ.

وصف المخطوط: نسخة تامة وهي مُجَزَّاة إلى عشرين جزءا، عدد ورقات الجزء الأول 86ق، مصححة وعليها طرر، ومقابلة، قد بدأت تنال منها الأَرَضَة، نوع خطها: مغربي يميل إلى المَجُوهَر، كتبت عناوين الكتب والأبواب بلون أسود عريض، وعبارة «حدثنا» و «نا» بلون أحمر.

اسم ناسخها: أحمد بن علي بن قاسم بن محمد بن سودة الأندلسي الأصل الفاسي الدار.

الجزء الأول: عارٍ من تاريخ النسخ.

الجزء الثاني: عارٍ أيضا من تاريخ النسخ. وعدد ورقاته 73ق.
باقي الأجزاء مؤرخة، بداية من الجزء الثالث إلى الجزء العشرين ما بين عام 1027هـ وعام 1029هـ.

• **النسخة الثانية برواية ابن سعادة، رقم حفظها (950)**

نسخة تامة مجزأة إلى ثلاثين جزء مقابلة على الأصل المنتسخ منه برواية ابن سعادة في العشر الآخر من ذي القعدة سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة للهجرة.

• **نسخة أخرى أيضا محفوظة بخزانة الزاوية الناصرية تامة رقم حفظها (1374)**

نسخة ناقصة، الموجود منها الجزء الحادي عشر فقط، نسخ في السَّابع والعشرين لجمادى الآخر عام سبعة وخمسين وثمانمائة (857هـ)، عارٍ من اسم الناسخ، عدد ورقاته 38ق، نوع خطه مغربي عتيق يميل إلى المجوهر.

• **نسخة أخرى أيضا محفوظة بخزانة الزاوية الناصرية تامة رقم حفظها (1431)**

نسخة ناقصة، الموجود منها الجزء الأول فقط من أصل ثلاثة أجزاء، نسخة عتيقة عارية من تاريخ النسخ واسم الناسخ، نوع خطها مغربي مقروء. مروية برواية القاضي أبي الحسن علي بن المفرج بن عبد الرَّحْمَنِ الصقلي، حدث بِمَكَّة سنة خمس وستين وأربعمائة عن أبي ذر عبد بن أحمد الخافض الهَرَوِي.

النُّسخ الخطية العتيقة والنادرة لصحيح الإمام البخاري المحفوظة بخزانة جامع القرويين بمدينة فاس

• **نسخة رقم حفظها (64):**

نسخة ناقصة، الموجود منها الجزء الرابع والخامس، فقط من أصل خمسة أجزاء، من أصل صحيح منقول مصحح من خط الحافظ أبي عمران موسى بن سعادة، أواسط ربيع النبوي المفضل عام 1120هـ.

• **نسخة أخرى محفوظة بخزانة جامع القرويين بمدينة فاس، رقم حفظها (76 - 79)**

نسخة ناقصة، الموجود منها الجزء الثاني مدمج مع الجزء الرابع من أصل خمسة أجزاء، والباقي في حَيْزٍ المفقود.

رقم الجزء الثاني (79): تاريخ نسخه في منتصف جمادى الثاني عام 1077هـ، عدد ورقاته 200ق. يبتدئ بكتاب الصوم وينتهي بفضائل الصحابة. من تحبیس السلطان مولاي عبد الله العلوي.

رقم الجزء الرابع (76): تاريخ نسخه عشية يوم الإثنين الأخيرة من شهر ربيع الثاني عام 1078هـ، عدد ورقاته 195ق. نوع خطه مغربي مُعتاد مقروء وجيد، به تعقيب مائلة. وهي نسخة مقابلة على نسخة عليها سماع الصحيح على أبي عبد الله محمد بن يحيى السراج بمسجد إمامته من زنقة حُجامة في مجالس عدة بين المغرب والعشاء وهو يمسك الأصل العتيق المقروء على أبي علي الصدفي، وذلك في أواخر ربيع الثاني المبارك سنة ست وثلاثين وثمانمائة (836هـ). وعليها تحبب السلطان عبد الله بن إسماعيل على خزانة القرويين بتاريخ 21 رجب عام 1156هـ.

المحور الثاني: نوادر مخطوطات صحيح البخاري المحفوظة بالخزانة الحسنية (الملكية) الرباط

لقد وقفنا على كثير من النسخ العتيقة للجامع الصحيح أثناء فهرستنا لهذا العلق النفيس بهذه الخزانة والتي بلغ عدد نسخها 329 نسخة منها النسخ التامة ومنها الناقصة واخترنا هنا أنفسها تاريخاً ورواية. وهي كالآتي:

• النسخة الأولى: رقم الحفظ: 5053

نسخة تامة، مُصححة، غير مُجدولة، ومُذيلة بطرر، قد بدأت تنال منها الرطوبة والخروم، وقد أصابها محو كثير في أعلاها بسبب الرطوبة، مكتوبة على ورق ثخين صقيل باهت بخط أندلسي دقيق مليح ضيق الأذراج، نسخت بحبر أسود باهت، مع استعمال اللون الأحمر والأزرق للكلمتي **"أنا"** و**"باب"**، والحبر المذهب لعنوانات كتب الأبواب الحديثية، واسم **"محمد"**، مروية برواية الفقيه الحافظ أبي علي حُسين بن محمد بن فيرة الصّديّ الأندلسي، عن القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، وهي النسخة الوحيدة المحفوظة بالخزانة الحسنية التي وردت برواية الصّديّ مباشرة عن الباجي، دون تحديد اسم الناسخ، أما سنة نسخها فتحدد بتاريخ الرَّابع من جُمادى الثانية عام خمسة وعشرين وثمانمائة من الهجرة، وفي الهامش وردت شهادة المُقابلة بالعبارة الآتية: «بلغت المقابلة على جهد الاستطاعة، والحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد، من نسخة الصّديّ بخطه، التي نسخ من نسخة القاضي الباجي بخطه، وعلى الأول، خطوط الشيوخ نحو خمسين». وفي أسفل تاريخ النَّسخ رسم إطار مُربع زُخرفي بطريقة التظفير المنتظم بلون مذهب، مبتور الوسط بآلة حادة قد أحدثت فراغاً لاقتطاعها من مكانها، وهذه آفة من الآفات التي يتعرض لها المخطوط، وعن يسار هذا الاقتطاع إبطان دائريان مُذهبان، زُمر لتصحيحها واختلاف روايتها بالزُّموز الآتية: **"سد" و"ذ" و"ح" و"ه" و"صح" و"سهو" و"طرة" و"القسطلاني"**.

• النسخة الثانية: رقم الحفظ: 4435

نُسخة أخرى، تامة، من أصل خمسة أجزاء، مُصححة، رُمز لتصحيحها واختلاف روايتها بالرموز الآتية: "س" و"صح" و"خ" و"هـ" و"حـ هـ" و"هـ سـ"، شارك في نسخها أكثر من ناسخ، أي ملفقة. نوع خطها ممزوج ما بين الخط المجوهر، والخط المبسوط، مكتوبة على ورق أبيض مصقول عادي، مشوبة بألوان مختلفة، وكذا عبارة "حدثنا"، كتبت بمداد أسود قاتم، ورد في الجزء الخامس الأخير أن ناسخه هو يوسف بن عمر بن محمد بن حمّاد علي بن عبد الجبّار، وكان الفراغ من نسخه في مستهل شوال من سنة سبع وتسعين وتسعمائة (. (997هـ).

وفي خاتمة هذا العرض يجدر التأكيد مرة أخرى على أن خزائن الكتب المغربية قد حفظت لنا نسخا عزيزة ونادرة من مخطوطات صحيح الإمام البخاري، وقد يسر الله تعالى لنا الوقوف على أندر تلك النسخ بخزائن المملكة المغربية تاريخا ورواية، وهو ما بيناه في هذا البحث الذي عززناه بصور من كل نسخة وقفنا عليها، زيادة في التوثيق، وإمتاعا ومؤانسة للقارئ، والحمد لله.

ويجد القارئ في أصل هذه المحاضرة تفاصيل هذه النوادر بنماذج مصورة منها.

والشكر الجزيل لكم على حسن الاستماع.



المحور الرابع

جهود علماء الأمصار
في خدمة الجامع الصحيح



تجليات تأثير صحيح البخاري في عدد من المظاهر الحضارية في العالم الإسلامي

-مجالس ختم الصّحيح برنامج سنّي نموذجًا-

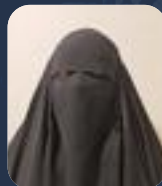
داد

د. أفنان بنت نافع
بن أحمد النافع
دكتوراه التفسير والحديث
من جامعة الملك سعود



إء

د. أبرار بنت فهد
بن محمد القاسم
أستاذ الحديث المشارك
بجامعة شقراء



المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى وجعل سنّته بيانًا لما في كتابه، فكانت أحاديثه مصدر الأحكام والهداية، وقد قيّض الله لها علماء أفذاذًا حفظوها وحزّروها حتى استقام أمرها.

ويُعدّ ©الجامع الصحيح© للإمام البخاري أرفع المصنفات الحديثية منزلة، إذ تلقته الأمة بالقبول، وعكف العلماء على دراسته وشرحه، فصار مرجعًا في الفقه والاستنباط.

ومن مظاهر تأثيره في الحضارة الإسلامية: ©ختم الصحيح©، وهو تقليد مبارك استمر في مجالس العلماء والملوك، مما يؤكد مكانته، ويتجلى هذا الأثر اليوم في برامج حديثة معاصرة، كـ ©برنامج سنّي©، الذي يربط الأمة بتراثها ويبرز أثر الصّحيح في هويتها العلمية والروحية، وقبل أن ندلف إلى صميم البحث لابد من بيان (حدوده، وأهدافه، ومنهجه، وخطته، والدراسات السابقة).

حدود البحث: يركز البحث على مظهر من المظاهر الحضارية في العالم الإسلامي يتجسد في مجالس سماع الصّحيح وختمه - برنامج سنّي نموذجًا.

أسئلة البحث:

ما مفهوم مجالس سماع الصّحيح وختمه عند المحدثين وما أهميتها؟
ما الأبعاد الحضارية لمجالس ختم صحيح البخاري في التراث الإسلامي؟
ما دور التقنيات الحديثة في تيسير مجالس سماع وختم صحيح البخاري من خلال نموذج برنامج سنّي؟
ما الأثر الذي أحدثته مجالس سماع الصّحيح وختمه للمشاركين والمشاركات عبر برنامج سنّي؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من المقاصد العلمية، أبرزها:
التعريف بمجالس سماع الصَّحيح وختمه عند المحدثين وبيان أهميتها.
الكشف عن الأبعاد الحضارية والاجتماعية لمجالس ختم صحيح البخاري في التراث الإسلامي، وبيان امتدادها إلى العصر الحاضر.
إبراز دور التقنيات الحديثة في تيسير مجالس سماع وختم صحيح البخاري من خلال نموذج برنامج ©سنتي®.
الأثر الذي أحدثته مجالس سماع الصحيح وختمه للمشاركين والمشاركات عبر برنامج سنتي.

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج الاستقرائي الوصفي

خطة البحث:

تكون البحث من مقدمة، ومبحثين، ومطالب، وخاتمة:

المقدمة: وهي هذه، وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث.

المبحث الأول: مجالس سماع الصَّحيح وختمه، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحرير المصطلحات.

المطلب الثاني: التعريف بمجالس سماع الصَّحيح وختمه عند المحدثين وبيان أهميتها.

المطلب الثالث: الأبعاد الحضارية لمجالس ختم صحيح البخاري في التراث الإسلامي.

المبحث الثاني: ©برنامج سنتي® كنموذج معاصر لمجالس ختم الصَّحيح، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف ببرنامج سنتي ودوره في نشر السنة.

المطلب الثاني: توظيف التقنية لخدمة مجالس سماع ختم الصحيح في البرنامج.

المطلب الثالث: أثر سماع الصَّحيح وختمه في البرنامج.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

الدراسات السابقة:

قُدِّمت دراسات حول دور المساجد في الإبقاء على مجالس السَّماع¹، ودراسات حول أثر مجالس السَّماع²، وغيرها من الدراسات التي تدور حول هذا المضمار، ولم نجد دراسة بحثية تتحدث عن توظيف التقنية الحديثة في مجالس السَّماع حسب اطلاعنا في أوعية البحث.

فالحمد لله الوهاب الكريم الذي أعان على إعداده، وهَيَّأَ بفضلِه وتوفيقِه إنْهائه، ونسأل الله القبول والتجاوز عن التقصير والزلل.

المبحث الأول: مجالس سماع الصَّحيح وختمه.

المطلب الأول: تحرير المصطلحات.

التجليات: لغة: من جلا يجلو جلى بفتح الجيم والقصر: أي ظهر وبان، وانجلى الظلام إذا انكشف، وانجلى عنه الهم: انكشف. والله تعالى يجلي الساعة أي يظهرها. قال الله: {.. لَدِ لَه مَجْمَدٌ.. شَم} [سورة الأعراف: 187].³

اصطلاحاً: من خلال ما سبق ممكن أن نُعرف التجليات: بأنها الألفاظ والصور والأساليب والمعاني والأقسام والأنواع التي تُبرز مظاهر الحضارة للعيان.

تأثير: لغة: من أثر: والأثر: بقية الشيء، والجمع آثار وأثور. وخرجت في أثره وفي أثره أي بعده. وتأثرته وتأثرته: تتبعت أثره؛ والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء. وأثر في الشيء: ترك فيه أثراً⁴، إحساس قوي مُلَحَق بعواقب فعَّالة.⁵

اصطلاحاً: هو القدرة على إحداث تغيير في سلوك أو تفكير أو قناعات أو مشاعر الآخرين سواء كان ذلك بشكل مباشر أو لا، وسواء كان ذلك بقناعة أو لا.⁶

الحضارة: لغة من حضر: بمعنى الإقامة في الحضر.. والخضر والخضرة والحاضرة: خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي لا يكون لهم بها قرار.⁷

1- كبحث (مجالس القراءة والسماع في بيت المقدس - مجلس الشهاب أبي محمود المقدسي نموذجاً - لد. محمد كُلاب)، وبحث (مجالس التحديث وأهميتها في حفظ السنة النبوية ودور الأزهر الشريف في الإبقاء على هذه المجالس والمحافظة عليها لد. عبدالله عوض أحمد)، وغيرها.

2- كبحث (مجالس سماع الحديث النبوي وأثرها في نشر السنة النبوية لد. عبدالرحمن المدخلي)، و(مجالس الحديث وآداب روايته لد. محمد الخطيب).

3- لسان العرب (14/149)

4- لسان العرب (4/5)

5- معجم اللغة العربية المعاصرة (1/62)

6- الإقناع والتأثير دراسة تأصيلية دعوية (ص: 8) بتصرف

7- لسان العرب (4/197)

اصطلاحاً: مجموعة الأفكار والمشاعر والأنظمة التي تصوغ طريقة العيش في مجتمع من المجتمعات.⁸

الحضارة الإسلامية: تتميز بتركيزها على الجانب الروحي والأخلاقي إلى جانب التقدم المادي، وقد ذكر مالك بن نبي أن الروح هي أساس نهوض الحضارات وأن غيابها يؤدي إلى انهيارها، وقال: ©ومن هنا ندرك سر القيمة التي خص بها عالم الاجتماع محمد - صلى الله عليه وسلم -، الفضائل الخلقية باعتبارها قوة جوهرية في تكوين الحضارات.⁹

وذكر الكاتب ابن حنّكة الميداني المراتب الثلاث في سلم الرقي الإنساني والحضارة المثلى: السعادة الخالدة، الرقي الاجتماعي، ثم الرقي المادي.¹⁰

مظاهر الحضارة الإسلامي: لم تغفل الحضارة الإسلامية الجانبين الروحي والمادي في حياة الإنسان، لذلك نجد أن الحضارة الإسلامية برزت في مجالات متعددة، بحيث ترقى بالإنسان في كل مستويات حياته، ومظاهر هذه الحضارة هي: الجانب السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والعلمي، والعلاقات الدولية، والنظام التشريعي، والقضائي، والجانب العسكري، والجانب المعماري.¹¹ ومجالس ختم صحيح البخاري تعد من الجانب العلمي من مظاهر الحضارة الإسلامية.

المطلب الثاني: التعريف بمجالس سماع الصحيح وختمه عند المحدثين وبيان أهميتها.

مجالس السّماع: هي المجالس الذي يتصدى فيه الشيخ للتحديث ويسمع الطلاب منه، أو يقرؤون عليه وهو يسمع، هذه مجالس إملاء ومجالس تحديث يكون الشيخ فيها متحرراً ومتوقفاً، والطالب منتبهاً ويكتب أو يحفظ أثناء السّماع أو يعارض إذا كان عنده النسخة التي تُقرأ على الشيخ.¹²

مجالس الختم: هي التي تكون بمناسبة انتهاء الشيخ من تدريس فن من الفنون، حيث يعقد مجلس حافل يسمى ©بيوم الختمة© يكلل به مجالس الشيخ في الفن الذي يدرسه، من نحو أو فقه أو تفسير أو حديث، ويختم فيه الكتاب الذي درسه

8- نشوء الحضارة الإسلامية (ص:20)

9- ©إذ هو لا يقوى على البقاء بمقومات الفن والعلم والعقل فحسب، لأن الروح، والروح وحده، هو الذي يتيح للإنسانية أن تنهض وتتقدم، فحيثما فقد الروح سقطت الحضارة وانحطت© وجهة العالم الإسلامي (ص:30-31).

10- الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم (ص:22)

11- الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل (1/145)

12- انظر: مصادر السنة ومناهج مصنفها (ص:8)

لطلبته وتلاميذه، بعد أن يستعد لختمته ويجتهد في اختيار موضوعه، مركزا على علومه ومعارفه، مفرغا كامل جهده وطاقته، ليكون مبرزاً فيه بسبب حضور علماء البلد وشيوخها وربما أمرائها وملوكها، مما يدفعه لإظهار عبقريته ومقدرته العلمية، وخاصة في موضوع الختم أو الفن المختوم.¹³

مجالس ختم البخاري: جرت العادة الحميدة أن يعقد الشيوخ والمحدثون مجالس ختمية، عند الانتهاء من سرد الصحيح أو تدرسيه وإقراءه وشرحه، يكون موضوع المجلس شرح آخر حديث من أحاديث الصحيح، يقدم لموضوعه بمدخل يذكر فيه أهمية العلوم الشرعية وفي مقدمتها الكتاب والسنة، وقد يؤرخ لتدوينها، ثم يتحدث عن صاحب ترجمته وحياته، ويعرف بالجامع الصحيح وكيفية تأليفه، ويتحدث عن مناسبة الحديث من الجامع، وعن سنده ومتنه شرحاً مستفيضاً، ثم يتخلص إلى ذكر مروياته وسنده الفريد أو المتعدد للجامع الصحيح، وقد يختم المجلس بنوادر وأدعية وأشعار.¹⁴

أول من عقد مجلساً لختم البخاري¹⁵:

بعد البحث لم نقف على أول من عقد مجلساً للختم، غير أن الحافظ ابن حجر احتفل في ختامه لشرحه صحيح البخاري، فيكون أقدم من نعلم - إلى الآن - ممن ختم البخاري، ولا نعرف أن ختمته هذه دونت وكتبت.

غير أن أول ختمة مدونة ومطبوعة هي ختمة الإمام القسطلاني شارح البخاري والمسماة ©تحفة السامع والقارئ بختم صحيح البخاري¹⁶، كما نجد في ترجمة الحافظ أبي الخير السخاوي أن له عدة ختمات: إحداها في صحيح البخاري سماها ©عمدة القارئ والسامع في ختم الصحيح الجامع¹⁷.

كيفية عقد مجالس الختم وأماكنها وأوقاتها: كان من عادة المحدثين أن يجلسوا في هذه المجالس كبار طلبتهم للقراءة، ويتولى الشيخ الشرح والتعليق، فيفيض على الحاضرين من علمه وتحقيقاته.

13- ختمات صحيح البخاري الرابط

14- ختمات صحيح البخاري الرابط

15- ختمات صحيح البخاري الرابط

16- حققها أحمد آل ثاني، من منشورات دار ابن حزم 2019م.

17- حققها د. مبارك الهاجري، منشور في مجلة الشريعة بجامعة الكويت عام 2001 مجلد 16 العدد 44

ولا يُقتصر على حضور الكبار فحسب بل حتى الأطفال يُشجعون على الحضور والسماع¹⁸، وكانت الأسرة بأكملها تتواصى على حضور ختم الصحيح كما ذكرت ذلك كتب السير فيحضر الابن مع أبيه والأخ مع أخيه وأبناء أخيه.¹⁹

وجرت العادة أنهم يطلقون على الختم أسماء منها: ©الوجه الصبيح في ختم الصحيح© لابن علان مفسر كتاب الله تعالى ومحي السنة بالديار الحجازية ومقرى كتاب صحيح البخاري من أوله إلى آخره في جوف كعبة الله²⁰، و©تحفة السامع والقاري في ختم البخاري© كراسة في ختم البخاري لابن زيد النحوي²¹، و©إظهار نفائس ادخاري المهياة لختم كتاب البخاري© لأبي العباس أحمد البوني²²، و©ترجمة الورد والعنبر والمسك الداري لشرح آخر ترجمة صحيح البخاري© لعبد القادر الكوهن البوني، و©عون الباري على فهم آخر تراجم صحيح البخاري© لأحمد بن الطالب بن سودة²³، وغيرها.

أما البلدان التي اشتهرت بمجالس ختم الصحيح فهي كثيرة جدا منها على سبيل المثال لا الحصر: مكة المكرمة²⁴، والمدينة النبوية²⁵، والمسجد الأقصى²⁶، والصخرة الشريفة بالقدس²⁷، والظاهرية بفلسطين²⁸، ودمشق²⁹، والقاهرة³⁰، وبغداد³¹، والرباط، ومراكش في المغرب³²، وكشميهن بلاد ما وراء النهر³³، والهند³⁴، وغيرها.

18- كما قال المعلمي: «ومن تتبع كتب التراجم وكتب العلل بان له من جدهم واجتهادهم ما يحير العقول، وكان كثير

من الناس يحضرون أولادهم مجالس السماع في صغرهم ليتعودوا ذلك « الأنوار الكاشفة (ص:96)

19- أحمد بن أبي بكر الدمنهوري سمع مع أبيه ... ختم البخاري. الضوء اللامع (1/168) (إبراهيم بن موسى .. سمع مع بني أخته على أم هانئ) الضوء اللامع (1/113)، أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان المصري « سمع مع أخيه البدر محمد، على شيخ الإسلام البلقيني ختم البخاري. مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح (ص:93)، محمد بن عبد الله أبو عبد الله المحب سمع على أخيه «ختم البخاري» بالظاهرية. تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة (3/1425)

20- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (4/186)

21- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (1/367)

22- فهرس القهارس (1/236)

23- ختمات صحيح البخاري الرابط

24- تاريخ بغداد ت بشار (2/154) الضوء اللامع (2/77)

25- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (2/134)

26- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (ص:350)

27- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (ص:186)

28- الضوء اللامع (1/75)

29- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (ص:141)

30- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (2/13)

31- تاريخ بغداد ت بشار (9/379)

32- المغرب في عهد الدولة السعدية (ص:316)

33- تاريخ بغداد ت بشار (8/682)

34- فهرس القهارس (2/1049)

وفي العصر الحالي أقيمت في مناطق متعددة بالمملكة العربية السعودية³⁵، وإسطنبول³⁶، وبورصة³⁷ بتركيا، والكويت³⁸، وفي الدوحة بقطر³⁹، وماليزيا⁴⁰، وفاس والرباط⁴¹، وباكستان⁴²، ومدينة سيئون في اليمن⁴³ وغيرها، وعبر التقنية في برنامج سنتي من المملكة العربية السعودية والذي سيأتي الكلام عنه في المبحث الثاني.

أماكن ختم الصحيح: كان يُقرأ ويُختم في البيوت والمساجد والجوامع⁴⁴، وفي قصور السلاطين⁴⁵، وفي القلعة⁴⁶.

أوقات ختم الصحيح: كانوا يتحرون الأزمان والشهور الفاضلة مثلا: بعد صلاة الجمعة⁴⁷، وفي رمضان: ©كانت العادة من أيام الأشرف شعبان بن حسين أن تبدأ قراءة البخاري في أول يوم من شهر رمضان، ويحضر قاضي القضاة الشافعي، والشيخ سراج الدين عمر البلقيني وطائفة قليلة العدد لسماع البخاري، ويختم في سابع عشرينه⁴⁸.

والليالي التي يتلمسون فيها ليلة القدر⁴⁹، ورجب شهر الله الحرام ©يتعبد الناس، بسماع الصحيح وإسماعه دائما وخاصة في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان من كل عام⁵⁰.

وقرئ في أول شعبان⁵¹، وفي شوال⁵²، وغيرهما من الأوقات، وقرئ وقت نزول الوباء والبلاء أو الخروج للقتال كما سيأتي تفصيله في البعد السياسي.

35- الرابط

36- الرابط

37- الرابط

38- مجموع فيه مختصر سماع صحيح البخاري ص 5

39- الرابط

40- الرابط

41- ختمات صحيح البخاري الرابط

42- الرابط

43- الرابط

44- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (ص:141)، تاريخ البصري (ص:214)

45- «وفيه كان ختم قراءة صحيح البخاري، وكان انلحم بالحوش السلطاني، وقد نصبت هناك خيمة كبيرة، وكانت العادة القديمة بأن البخاري يقرأ بالقصر، ويختم بالقصر الكبير ويكون له يوم مشهود، وتفترق هناك الخلع على القضاة ومشايخ العم وكذلك الصرر، فيطل ذلك وصار البخاري يقرأ بجامع القلعة ويختم بالحوش فتكون ساعة يسيرة ثم ينفض ذلك المجلس عن أمر هين.» بدائع الزهور في وقائع الدهور (8/88)

46- «وفيه ختم «البخاري» بالقلعة بالحوش، على خلاف العادة، ولم يقرأ بها في هذا العام إلا هذا اليوم، وعدّ ذلك من النوادر.» نيل الأمل في ذيل الدول (8/41)

47- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (ص:350)

48- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (14/267)

49- في ليلة القدر ختم صحيح البخاري ص3

50- ختمات صحيح البخاري الرابط

51- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (14/267)

52- الضوء اللامع (2/77)

والمدارس والحرمين الذين يقصدهما الزوار والحجاج من شتى الأمصار، مما أدى إلى تكوين شبكات علمية واجتماعية عابرة للحدود، وشكّلت هذه المجالس أيضًا بيئة للتكافل الاجتماعي، حيث أقيمت لها الولائم ووزعت الصدقات، إضافةً إلى تقديم الهدايا والخلع للمشاركين، ودعمها بالأوقاف لضمان استمرارها.⁵⁹

رابعاً: البُعد السياسي: لم تكن مجالس ختم صحيح البخاري مجرد مجالس علمية خالصة، بل تجاوزت ذلك إلى أن أصبحت مظهرًا من مظاهر السيادة الدينية والشرعية، ورمزًا سياسيًا يعكس شرعية الحاكم، ومكانة الدولة في رعاية السنة النبوية، ومن مظاهر هذا البعد: حرص الحكام⁶⁰ على حضور هذه المجالس وإقامتها في المناسبات المختلفة كالسفر والقدوم⁶¹، وتشديد القصور⁶²، وكانت المجالس تُقام عند حدوث الأوبئة والكوارث⁶³، وقبل المعارك للتبرك والدعاء⁶⁴، وكان الحكام يقدمون الصلوات والمنح تشجيعاً لها⁶⁵، واستُخدمت هذه المجالس في تجديد البيعة وتأكيدها شرعية الحكم، حيث كانت رمزاً لتطبيق الشريعة والتمسك بمنهج السلف⁶⁶، وحرص الحكام كالظاهر جقمق على حضور مجالس ختم البخاري لترقيق قلوبهم وتهذيب أرواحهم، حتى أن حديث توبة كعب أبكاه فأنعم على قارئه بمائة دينار⁶⁷.

59- قال ابن شاهين: «فيه ختم «البخاري» بالقلعة، وأحضرت الخلع فخلعت على القضاة والفقهاء على العادة، وطلب السلطان البدري السعدي الحنبلي، فخلع عليه بالقضاء الحنبلية، ونزل في مشهد حافل». نيل الأمل (7/29)

60- على سبيل المثال للحضر «وفي يوم الأحد الخامس والعشرين من رمضان ختم البخاري بحضرة السلطان» إنشاء الغمر بأبناء العمر (3/330) هو السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبي النصر برسباي الدقمافي الظاهري، سلطان الديار المصرية.

61- «رجع المنصور إلى مراكش، وفي خروجه من فاس خرج أعيان فاس ومشيوخ العلم بها وقرئ البخاري بين يديه على عادة الخلفاء رضي الله عنهم، وكان ذلك كله عام تسعة وثمانين وتسعمائة» نزهة الحادي للإفراني (157)

62- «كما حصل أيام السلطان الحسن الأول عندما أمر بأن ي دشّن قصر الرباط بمجلس ختم صحيح الإمام البخاري» ختمات صحيح البخاري، المقال

63- «لما نزل الوباء بالشام وأخذ فيهم الموت مدّة شهر رجب فبلغ في اليوم ألفا ومائتي إنسان، وبطل إطلاق الموتى من الديوان، وصارت الأموات مطروحة في البساتين على الطرقات، نودي بدمشق باجتماع الناس بالجامع لأموّتي، فصاروا به جمعا كبيرا وقرعوا «صحيح البخاري» في ثلاثة أيام وثلاث ليال، ثم خرج الناس كافة بصبيانهم إلى المصلّى وكشفوا رءوسهم وضجّوا بالدعاء، وما زالوا على ذلك ثلاثة أيام فتناقص الوباء حتّى ذهب بالجملة.» النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (10/203)

64- «عقد المنصور ألوّيته المنصورة بالله في وسط جامع المنصور، بعد أن ختم عليها أهل الله حملة القرآن مائة ختمة، وصحيح البخاري، وضجوا عند ذلك بالتهليل والتكبير، والصلاة والسلام على البشير النذير، والدعاء له وللإسلام بالنصر والتمكين، والفتح الشامل الشامخ المبين.» نزهة الحادي للإفراني (137)

65- «وفيه ختم «صحيح البخاري» بحضور السلطان، وفزق على الفقهاء ممّن حضره لكلّ مائة وأربعين مؤيّداً من الفضة» نيل الأمل في ذيل الدول (4/24)

66- فحين «جدد المنصور البيعة لولده ولي عهده محمد الشيخ -الملقب بالمأمون - على إخوته خصوصا. لأنهم كانوا في البيعة الأولى قبل البلوغ، وياشر المنصور أخذ البيعة له بنفسه، وحضر الأعيان وأهل الحل والعقد، وأحضر المصحف الكريم الذي هو مصحف عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه وهى من ذخائر الخلفاء، وأحضر الصحيحين البخاري و مسلم وقرئ ظهير البيعة ... فكتبوا خطوطهم عقبها بالموافقة على ذلك.» نزهة الحادي للإفراني (175)

67- الضوء اللامع (7/276)

ولم يكتفوا بالسماع، بل كانوا يسألون العلماء عما يُشكل عليهم في أمور دينهم، كما فعل السلطان برسباي حين سأل العلماء عن الذنوب المسببة للطاعون⁶⁸.

وقد استمر اهتمامهم بهذه المجالس حتى العصر الحاضر، كما في مجلس سماع البخاري الدولي في ماليزيا عام 2024.⁶⁹

خامساً: البعد التربوي والسلوكي: لم تكن مجالس ختم الصحيح مجالس تلاوة فحسب، بل كانت محاريب للتزكية، ومجالس تهذيب للنفس، ومما امتازت به هذه المجالس في هذا البعد: التواصي بالتخلق بآداب العلم، كالتواضع والإخلاص وحسن السمات⁷⁰، والأدب عند سماع حديث النبي ﷺ وتعظيمه.

وغرست هذه المجالس قيم الزهد والورع، اقتداءً بمن جمعوا الصحيح وانتقوا أصفى الأحاديث⁷¹، كما دربت طلاب العلم على الصبر والمثابرة لمشقة المجالس وطول مدتها، وربما تخللها رحلة في طلب العلم مع ترك الأهل والأحباب ومكابدة الصعاب.

سادساً: البعد الروحي والإيماني: لمجالس ختم الصحيح بركة مشهودة، إذ تُقرأ فيها أحاديث النبي ﷺ بخشوع، وتُرفع بالدعاء عقب تمامها، مما أضفى عليها قداسة وروحانية خاصة، فيجدون فيها راحة القلوب، وطمأنينة النفوس، وكان الحاضرون يرجون أن يصيهم دعاء النبي ﷺ لهم بالنصرة⁷²، ويستشعرون أنهم في مجلس النبي ﷺ، فيكثر من الصلاة والسلام عليه، ويتقربون إلى الله بحضورها، راجين نزول الرحمة واستجابة الدعاء، كما أنها مجالس ذكر وعلم، تحفها الملائكة، ويغفر الله فيها للذاكرين ومن جالسهم⁷³.

وقد استمرت هذه الأبعاد الحضارية تتجلى في مجالس ختم البخاري عبر العصور، حتى صارت تراثاً علمياً وحضارياً ينبغي العناية به وإحيائه بما يتناسب مع متطلبات العصر الحاضر.

68- إنباء الغمر بأبناء العمر (328-329/3)، نيل الأمل في ذيل الدول (5/24)

69- الموقع

70- قال السيوطي «حضرت عند ابن ظهيرة برهان الدين قاضي مكة ختم البخاري، فأخذ يتكلم في فضل التواضع وذم المتكبرين خصوصاً في الحرم». نظم العقيان في أعيان الأعيان (ص:21)

71- قال مالك: «إن حقا على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متبعاً لأثر من مضى قبله». الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (1/156)، قال الخطيب: «ينبغي لطالب الحديث أن يتميز في عامة أموره عن طرائق القوام، باستعمال آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمكنه، وتوظيف السنن على نفسه» الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (1/142)

72- دعا نبينا ﷺ لسامع الحديث ومبلغه «نَصَّرَ اللَّهُ امْرَأَةً سَمِعَتْ مَقَالَاتِي فَبَلَّغَهَا.. الحديث» أخرجه ابن ماجه في «سننه» (1/157/رقم 231)، وأحمد في «مسنده» (7/3690/رقم 17010) وغيرهم.

73- «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الدُّعَا، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ... الحديث» متفق عليه، البخاري (8/86/رقم 6408)، مسلم (8/68/رقم 2689)

المبحث الثاني: ©برنامج سنتي* كنموذج معاصر لمجالس ختم الصحيح.

المطلب الأول: التعريف ببرنامج سنتي ودوره في نشر السنة.

انطلق برنامج سنتي التابع لمركز دلائل بعد هجمة شرسة ضد الإمام الجليل البخاري -، فانتهزت الهمم غيرة عليه وعلى كتابه الفذ الفريد، وكان ذلك في يوم الأحد 24 من شهر رجب، لعام 1440 هـ بفضل الله تعالى؛ لمدارسة كتابه الصحيح، بمشروع: ©عليكم بسنتي* وقد حقق بفضل الله نجاحًا باهرًا، ونذكر هنا تعريفًا موجزًا بالبرنامج:

يهدف البرنامج إلى: تقريب السنة لعموم الأمة، **مُستهدفًا:** جميع المراحل العمرية صغارًا وكبارًا، رجالًا ونساءً، للنطاقين باللغة العربية والإنجليزية حول العالم، مع عناية خاصة بذوي الاحتياجات الخاصة.

وبسبب هذا الاستهداف تنوعت أساليب العرض، وصوره؛ فللكبار منصة خاصة بهم، وللصغار كذلك، مع إمكانية متابعة الكبير للصغير، وتفعيل مزايا تقنية في البرامج تسهل على ذوي الاحتياجات الخاصة السماع والمتابعة دون عناء أو تمييز.

ومن مزايا البرنامج:

أنه مجاني وعن بعد.
يشرف عليه مجموعة من المختصين والمختصات في السنة النبوية.
تركيزه على المقاطع الصوتية خاصة؛ وحسن الأداء فيها والجودة.
تضمنه فوائد من كتب شروح أهل العلم.
ترجمة الورد اليومي والفوائد باللغة الإنجليزية.
قصر الورد اليومي، وتوفره بعدة صيغ، وإمكانية سماعه في الدقائق الضائعة: في السيارة، وأثناء المشي، أو القيام بأعمال المنزل ونحوها.
حصول المشارك أو المشاركة على شهادة اجتياز لمن أتم كامل الورد، وشهادة حضور لمن أتم ما يزيد على 60 % من الأوراد ولم يصل لتمامها.
سهولة التعامل مع المنصة الإلكترونية، مع وجود بيئة تنافسية يظهار شركاء التحدي من دول العالم وغيرها.

وقد شمل البرنامج في دورته العلمية الواحدة أحد الكتب التالية:

مختصر صحيح البخاري؛ للشيخ أ.د. سعد الشثري.
تلخيص كتاب مسلم، للإمام القرطبي.
جامع الصحيحين، للشيخ د. وليد الحمدان.

جامع الذكر والدعاء من جامع الصحيحين، للشيخ د. وليد الحمدان.
مختصر صحيح البخاري، للإمام القرطبي.
رياض الصالحين؛ للإمام النووي.

مع إنجاز كتاب في رد الطعون عن الأحاديث الصحيحة الموهمة انتقاصًا للمرأة،
سُمي بـ: فتاة الضباب، كُتب بطريقة عصرية تناسب فئة الشباب، مع أصالة علمية
ظاهرة.

وبرنامج خاص بالطفل، سُمي بـ: تحديات عُندر، والآخر: مخيم بخاري الصغار.

وقد تابع البرنامج عبر تطبيقات وسائل التواصل الاجتماعي: ما يربو على أربعمئة ألف
متابع، وبلغ عدد مشاهدات البرنامج: قرابة خمسة عشر مليون مشاهدة.

وبلغ عدد المستفيدين في البرنامج بحمد الله أكثر من ستة وتسعين ألف
مستفيد، اجتمعوا من تسعين دولة من شرق الأرض وغربها.

حتى بلغ نفعه الدول التي لم تُعرف بالرواية والتحديث وصدحت سنة نبينا ' في تلك
البقاع، كالصين التي قال عنها السخاوي: **«فالأقاليم التي لا حديث بها يروى ولا عرفت
بذلك الصين»**⁷⁴ فقد شارك عدد من سكانها في البرنامج بفضل الله.

تقبل الله هذه الجهود الطيبة وبارك فيها ورزقنا الله وإياهم نشر سنة النبي الكريم '
والعمل بها.

وفي هذا **الكود** مقطعًا مرئيًا للتعريف بالبرنامج.



المطلب الثاني: توظيف التقنية لخدمة مجالس سماع ختم الصَّحيح في البرنامج:

إن من رحمة الله بعباده أن سخر لهم هذه التقنية، التي تقرب البعيد، وتسهل
العسير، وتختصر الجهد والوقت الثمين، فمن خلال التعريف بالبرنامج في المطلب
السابق رأينا كيف تجاوز أثر هذا البرنامج حدود المكان، فكان عالميًا بفضل الله،
مع التحاق عدد هائل لم يُعهد في المجالس المتقدمة.

74- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التواريخ (ص: 465).

وقد وظفت سنتي التقنية أحسن توظيف في مجالس سماع الختم، أدرك من خلالها كثير من المسلمين ما كان عليه سلف الأمة من ختم هذه المجالس، وما يعقد فيها.

ونشير هنا إلى ما جاء فيها مما هو متصل بصحيح الإمام البخاري ٦:

مختصر صحيح البخاري؛ للشيخ الشثري - وهو أول مجلس عقد - عام 144هـ:

تمت قراءة الصحيح في (34) مجلسًا بفضل الله، ثم عُقد مجلسه الختامي الذي اشتمل على: ذكر آخر أحاديث الكتاب، ثم إجازة من مؤلف المختصر: الشيخ أ.د. سعد الشثري - حفظه الله -، ثم مختارات، عُرض فيها قصائد مختارة في صحيح الإمام البخاري، كان في مطلعها قول الناظم:

خُتم الصحيح بحمد ربي وانتهى
وأرى به الجاني تقهقر وانتهى
فسقى البخاري جُودَ جُود سحائب
ما غابت الشعري وما طلع السها
الحافظ الثقة الإمام المرتضى
من سار في طلب الحديث وما وهى
طلب الحديث بكل قطر شاسع
وروى عن الجم الغفير أولي النهى
ورواه خلق عنه وانتفعوا به
وبفضله اعترف البرية كلها
بحر بجامعه الصحيح جواهر
قد غاصها فاجهد وغص إن رمتها
وروى أحاديث معنعة زهت
تحلو لسامعها إذا كررتها⁷⁵

75- قالها: الشيخ أبو الحسن علي بن عبيد الله الشقيع. انظر: إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري للقسطلاني 1/30

وقول الآخر:

صحيح البخاري لو أنصفوه
لما خُط إلا بماء الذهب
هو الفرق بين الهدى والعمى
هو السد دون العنا والعطب
أسانيد مثل نجوم السماء
أمام متون كمثل الشهب
به قام ميزان دين النبي
ودان له العجم بعد العرب

إلى آخر القصيدة⁷⁶، وغيرها من الحروف التي تجسد مشاعر المشاركين، وتخلد احتفائهم بالبرنامج، وفخرهم باتصال سندهم للنبي ﷺ، وفرحهم بالتقنية التي ذلت لهم طريق العلم وسهلت لهم مجالس السماع.

وعُرض في خاتمته تقريرًا مرئيًا عن هذه النسخة نهاية الختم.

وكان عرضه في برنامج التيليجرام خاصة، وأشارت إليه بقية برامج التواصل مثل: تويتر، وانستقرام، فيس بوك.

ومتابعة البرنامج وتصدير الشهادات من منصة إلكترونية.

وقد بلغ عدد المشاركين والمشاركات: (32 ألف)، من (41 دولة حول العالم).

ولتفصيل الإحصائيات يُنظر في هذا الكود:



جامع الصحيحين: للدكتور وليد الحمدان -حفظه الله- عام 1441-2441هـ:

تمت قراءته في (80) مجلسًا بفضل الله، ثم عُقد مجلسه الختامي الذي اشتمل على: ذكر آخر أحاديث الكتاب، ثم إجازة من مؤلف الجامع، وإجازة من الشيخ المحدث مُسند مكة: عبد الوكيل بن عبد الحق الهاشمي -حفظه الله-، وإجازة من الشيخ مؤرخ الشام ومسندها د. محمد مطيع الحافظ -حفظه الله-، ثم مختارات فيها الكلام عن الصحيحين وتعظيمهما من كلام الأئمة، ثم خُتم ببعض المختارات، منها هذه الأبيات:

76- قاله: أبو عامر الفضل بن إسماعيل الجرجاني الأديب. انظر: المرجع السابق

لصحيح مسلم الإمام الأُوحَد
قد فاق في جمع الصحيح المسند
فبجمعه طرق الحديث بموضع
حاز الفخار على صحيح محمد
لكن ذاك أصح فاعلم يا فتى
عند الجميع سوى شذوذ مفرد
وهما الكتابان اللذان تلقيا
بقبول أتباع النبي الأمجد
وهما أصح الكتب بعد كتابنا
قد فُصلت آياته للمهتدي
فعليك يا ذو اللب أن تقرأهما
لتنال من هدي الرسول الأُوحَد
فسقى الإله بفضلَه قُربيهما
صوب الرضا وحباهما بالسُودد
وكذا حبا أهل الحديث ومن بهم
في سائر الآفاق حقًا نقندي⁷⁷

وقد تم بث مجلس الختام بثًا مباشرًا كخطوة أولى لم تُعهد: **باليوتيوب**، حضره أكثر من (13 ألف) مشترك ومشتركة حول العالم بفضل الله، وتم نشره بعدد من وسائل التواصل: تويتر، واتس أب، سناب شات، تيليجرام، فيس بوك، انستقرام.

وعُرض في خاتمته **تقريرًا** مرئيًا عن هذه النسخة.

وقد بلغ عدد المشاركين والمشاركات: (41669)، من (92) دولة حول العالم.

ولتفصيل الإحصائيات يُنظر في هذا **الكود**:



⁷⁷- قاله إسماعيل العجلوني في إضاءة البدرين في ترجمة الشيخين (ص: 79).

مختصر صحيح البخاري؛ للإمام القرطبي - عام 441هـ:

تمت قراءته في (90) مجلسًا بفضل الله، ثم عُقد مجلسه الختامي الذي اشتمل على: ذكر آخر أحاديث الكتاب، ثم إجازة من الشيخ المحدث: صالح بن أحمد الشامي -حفظه الله-، وإجازة من الأستاذة المُسندة الفاضلة: نُزهة بنت عبدالرحمن بن محمد الباقر الكتاني الإدريسي الحسني، ثم مختارات، قُرئ فيها: اعتقاد أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري - في جماعة من السلف الذين روى عنهم؛ للالكائي، ثم خُتمت بما أورده التَّجِيبِي الأندلسي - في برنامجهِ بما يُستحسن ذكره إثر ختام هذا الكتاب.

وُثِّت المجلس الختامي مباشرًا باليوتيوب، وحضره فوق (6 آلاف) مشارك ومشاركة. وعُرض في خاتمته تقريرًا مرئيًا عن هذه النُسخة.

وقد تجاوز عدد المشاركين والمشاركات في البرنامج ما يربو على (200 ألف) بفضل الله، من (72) دولة حول العالم. ولتفصيل الإحصائيات يُنظر في هذا الكود:



ومن خلال ما سبق تبين لنا كيف وظف هذا البرنامج التقنية لإحياء هذه المجالس الحديثية، خاصة مجالس الختم، وعنايتها الفائقة بالخدمات التقنية التي تسهل على ذوي الاحتياجات الخاصة، والأميين ممن لا يقرأ ولا يكتب المتابعة والإنجاز، مع تنوع في أساليب العرض، مراعية في ذلك اختلاف الأشخاص وتنوع الأجهزة والتطبيقات ونحوها.

المطلب الثالث: أثر سماع الصحيح وختمه في البرنامج:

إيمانًا بأن سنة نبينا 'وحي، فلا ريب أن لهذا أثره العظيم على فؤاد أي مسلم، وقد رصدت سنتي بفضل الله عددًا من ذلك، وما في الغيب أجل وأعظم، تقبله الله منهم وجعلها شاهدة لحب نبيه '.

وقد أفردوها بملفات خاصة، أذكر هنا أبرز ما جاء:

الأثر الإيماني: وقد كان هذا بالتوبة، ومراجعة النفس، والرجوع إلى الله تعالى، فقد كان لكلمات نبينا ' التي حفظها البخاري عظيم الأثر في ذلك.

الأثر السلوكي: وذلك بحسن الخلق والتعامل، وهذا ظاهر في رسائلهم لفريق العمل، وكم أثر هذا البرنامج فيهم خُلقيًا.

قال تيم أحد المتابعين في تويتر: بعد انتهاء الأسبوع الأول: أجد قلبي قد تغير، ونفسي رقت، وأخلاقي لانت، وروحي تافت، كم هو عظيم ذلك التقصير الذي كنت أعيشه دون أن أدري، إذا فاتني ورد الحديث ضاقت نفسي فلا أرقد حتى أتمه، اللهم صل وسلم على رسول الله وارزقنا حبه ومتابعته وطاعته، وجزاكم الله عنا خير الجزاء.

الأثر التربوي: وذلك بتعظيم حس المسؤولية عن من ولاه الله رعية، الأم لأولادها، والأب لأسرته، والمعلم لتلاميذه، والداعية لمن يدعوهم، فأحاديث النبي ' الصحيحة أعظم زاد في ذلك.

الأثر الاجتماعي: حيث أفردت سنتي مقاطع مختارة مما جاء في صحيح البخاري لتعزيز أواصر العلاقات بين المسلمين، فعرضت أحاديث صلة الرحم، وحق الجار وغيرهما.

الأثر السياسي: بالدعوة إلى الوحدة وعدم الاختلاف، وطاعة ولي الأمر ما لم تكن معصية، وأحاديث نبينا ' في صحيح البخاري ظاهرة في ذلك.

وأما ما رُصد في مجالس الختم فكان شيئاً يُثلج الصدر؛ إذ كان البث مباشراً والكل تفاعل بأثر البرنامج عليه، مع مشاعر أبكت الكثير.

قال الدكتور خالد الجابر في تغريدة له بتويتر عن مجلس الختام:

قشعريرة سرت في جسدي وأنا استمع لإجازات كبار علماء الحديث لي... شيء لم نعتد عليه في مناهج التعليم في الطب، فيها روحانية غامرة، أن يتصل اسمك باسم النبي '..

وفي تغريدة أخرى قال: لم يخطر على بالي أن أسمع صحيح البخاري، وحياتي مزدحمة بالطب والمرضى والطلاب والأبحاث.

لكنه حصل! وسمعت مختصر صحيح البخاري، من برنامج سنتي التابع لمركز دلائل.

عشت حياة النبوة بتفاصيلها وأحداثها، كأني مع الصحابة.

فذاك روحي وحياتي يا رسول الله. روحانية غامرة. ربي لك الحمد.

وغير ذلك من العبارات التي لا يسع المقام ذكرها هنا، وأما الأثر الممتد، فقد عُرض هذا البرنامج في المدارس والجامعات، وفي المحاضن التربوية -جوامع ومساجد ودور تحفيظ-، بل وفي دور الإصلاح، وقد عقدت كثير من الأسر مجالس السماع بعد البرنامج في بيوتها أو عبر وسائل التواصل، وشاركن الاحتفال سوياً يوم الختم مع توثيق كل ذلك.

وهذا ملف خاص لأثر سنتي على مدى خمس سنوات مضت.

فاللهم تقبل هذه الجهود الطيبة وباركها وزدها ووفقنا لخدمة سنة نبيك '.

الخاتمة:

خاتمة القول حمداً لربنا الذي وفق وأعان، ثم شكراً لمنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم الثقافية (إيسيسكو) التي أتاحت لنا فرصة المشاركة في المؤتمر العلمي الدولي: (الجامع المسند الصحيح للإمام البخاري: كتاب أمة)، راجين أن يحقق هذا البحث مقاصد المؤتمر الجليلة، وسنسطر أبرز ما جاء في هذا البحث من نتائج وتوصيات:

أبرز النتائج:

المكانة العليّة لصحيح البخاري ومجالس ختمه عبر العصور.
تجلى تأثير صحيح البخاري في عدد من المظاهر الحضارية في العالم الإسلامي من أهمها: ترسيخ قيم الوحدة الإسلامية إذ كانت هذه المجالس تُعقد في شتى أقطار العالم الإسلامي شرقه وغربه، عربيه وعجمه مما ساعد في الحفاظ على الشعور بالانتماء المشترك.
توظيف التقنية الحديثة لخدمة مجالس سماع وختم الصّحيح في برنامج سنّتي أمثل توظيف، وقد ظهر ذلك في الأعداد الكبيرة للمستفيدين والمستفيدات من البرنامج حول العالم.
عرض مجالس الختم في برنامج سنّتي ببث مباشر باليوتيوب أعاد لهذه المجالس روحها، بطريقة تناسب العصر.
عظيم الأثر الذي أحدثته مجالس سماع صحيح البخاري وختمه كما في برنامج سنّتي®.

ومما نوصي به: تسخير التقنية الحديثة لخدمة السنة النبوية، وجعلها رافداً لنصرتها، ومُيسراً للوصول إليها، ووسيلةً لحفظها ونشرها على أوسع نطاق، فمن رام نشر السنة وتعليمها للناس لا يغفل عن هذه النعمة وليستثمرها أيما استثمار، إما بمجالس سماع، أو ترجمة الأحاديث وبثها صوتاً وكتابة، أو عمل التطبيقات المعينة على ذلك، مع تبني المشاريع التي تهدف إلى ذلك ودعمها مادياً ومعنوياً، مع توظيف الذكاء الاصطناعي، ومواكبة التطور المستمر في هذا المضمار. هذا والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المراجع والمصادر

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني أحمد بن محمد بن أبي بكر، ط7، 1323هـ المطبعة الكبرى الأميرية بمصر.
- إضاءة البدرين في ترجمة الشيخين، للعجلوني إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي، تحقيق: فراس بن خليل، وسفيان بن عياش، ط1، 1423هـ، دائرة المكتبة الوطنية.
- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التواريخ، للسخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، تحقيق: سالم الظفيري، ط1، 1438هـ، الرياض: دار الصميعي.
- إنباء الغمر بأبناء العمر، للعسقلاني أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: د حسن حبشي، 1389هـ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر.
- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، لأبي اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي، قدم له: محمد السيد علي بحر العلوم، 1388هـ، المطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف - العراق.
- الأنوار الكاشفة لما في كتاب «أضواء على السنة» من الزلل والتضليل والمجازفة، للمعلمي عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني، 1406هـ، المطبعة السلفية ومكتبتها / عالم الكتب - بيروت.
- بحث الإقناع والتأثير دراسة تاصيلية دعوية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد 49، 1426هـ 2005م
- بحث ختمات صحيح البخاري، ليوسف الكتاني، المنشور بمجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف المغربية العدد 240 ذو الحجة 1404هـ.
- بحث في ليلة القدر: ختم صحيح البخاري، لحمزة مصطفى، بمجلة المجلس، المجلس العلمي الأعلى، س3، العدد 8، 9، 2010م.
- بحث مجلس قراءة صحيح البخاري في قلعة الجبل في العصر المملوكي (648-923هـ / 1250-1517م)، لمحمد جمال حامد نعمة الله الشوربجي، مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، س46، العدد 188، سبتمبر 2017م.
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، لمحمد الحنفي، تحقيق: محمد مصطفى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة. (د.ت)
- تاريخ البصري، لعلي بن يوسف بن أحمد البصري، تحقيق: أكرم حسن العلبي، بدار المأمون للتراث، دمشق 1408هـ.

تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط1، 1422هـ، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت.

تحفة السامع والقارئ بختم صحيح البخاري، للقسطلاني، تحقيق: أحمد آل ثاني، من منشورات دار ابن حزم 2019م.

التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، للسخاوي محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، ط1، 1414هـ، الناشر: الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة ويليهِ «فأنت التسهيل»، لصالح بن عبد العزيز بن علي آل عثيمين الحنبلي البُردي، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط1، 1422هـ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تخرّيج: صلاح عويضة، ط1 1417هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، لعبد الرحمن بن حسن حَبَّكَة الميداني الدمشقي، ط1، 1418هـ-1998م، بدار القلم- دمشق.

الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، لعلي بن نايف الشحود. ختمات صحيح البخاري المنشور بمجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف المغربية العدد 240 ذو الحجة 1404هـ.

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي، دار صادر - بيروت.

رفع الإصر عن قضاة مصر، للعسقلاني أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق: د. علي محمد عمر، بمكتبة الخانجي، ط1، 1418هـ، القاهرة / مصر.

سنن ابن ماجه، لابن ماجه محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمّد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، ط1 1430هـ، دار الرسالة العالمية.

شرح علل الترمذي، لابن رجب، تحقيق: خالد عبد الفتاح، ط1 1423هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط2 1419هـ، دار السلام بالرياض.

صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: أبو قتيبة الفاريابي، ط 2 1421 هـ، طبعة دار السلام بالرياض.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، دار مكتبة الحياة - بيروت. (د.ن)

عمدة القارئ والسماع في ختم الصحيح الجامع، للسخاوي، تحقيق: د. مبارك الهاجري، منشور في مجلة الشريعة بجامعة الكويت عام 2001 مجلد 16 العدد 44.

فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيوخ والمسلسلات، لمحمد عبد الحّي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، ط 2 1982 م، دار الغرب الإسلامي - بيروت.

الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، لنجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور، ط 1، 1418 هـ - 1997 م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ط 3 1414 هـ، دار صادر - بيروت.

مجموع فيه مختصر سماع صحيح البخاري على الشهاب أحمد عبد العزيز الشنيطي، اعتنى به: محمد زياد التكلة، مكتبة نظام يعقوبي الخاصة، البحرين. (د.ت)

مسند الإمام أحمد بن حنبل، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرناؤوط، ط 2 1429 هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان..

مصادر السنة ومناهج مصنفها (د.ت)، د. الشريف حاتم بن عارف العوني (د.ن).

معجم الشيوخ، لابن فهد المكي معجم الشيوخ عمر بن فهد الهاشمي المكي، تحقيق وتقديم: محمد الزاهي، راجعه وقابله على أصله: حمد الجاسر منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر المملكة العربية السعودية.

معجم اللغة العربية المعاصرة، لد أحمد مختار عبد الحميد عمر وفريق عمل، ط 1 1429 هـ، عالم الكتب.

المغرب في عهد الدولة السعدية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، د. عبدالكريم كريم، ط 3 1427 هـ، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المملكة المغربية.

الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم»، جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي، ط 1424 هـ، مجلة الحكمة، مانشستر - بريطانيا.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، بوزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، لمحمد الصغير الإفرائي، تقديم وتحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، ط 1419 هـ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

نشوء الحضارة الإسلامية (د.ت)، لأحمد القصص (د.ن).

نظم العقيان في أعيان الأعيان، للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فيليب حتي، بالمكتبة العلمية- بيروت.

نيل الأمل في ذيل الدول، لزين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهريّ الملقب ثم القاهري الحنفي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط 1422 هـ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

وجهة العالم الإسلامي، لمالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، ط 1، 1431 هـ = 2002 م، دار الفكر معاصر بيروت-لبنان/ دار الفكر دمشق - سورية.

«الأختام الحديثية على صحيح البخاري: المجالس والمصنفات» (دراسة ببلوغرافية تحليلية)

إعداد



د/ علي بن أحمد العلامي

رئيس مصلحة المناسبات والتظاهرات الدينية بوزارة الشؤون الدينية تونس،
متحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة الزيتونة، والمكلف بمجالس الأختام
الحديثية بمساجد البلاد التونسية.

مُقدِّمة:

الحمد لله الكريم المنان، سابغ الفضل والإحسان، أنعم علينا بنعمه الوافرة، ومن علينا بمننه المتردفة، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، المبعوث رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، صلاة وسلاماً دائماً ما تعاقب الليل والنهار.

أمّا بعدُ، فإنّه لم يعتن علماء الأُمَّة بكتاب بعد القرآن الكريم، كما اعتنوا بـ«الجامع الصّحيح»، فجهودهم وأعمالهم في ذلك منذ عصره إلى زمننا هذا يكاد حصرها يُستعص على محصيه. ومن جملة ما تفنن فيه أهل العلم حول هذا العلق النفيس عنايتهم به في مجالس الأختام الحديثية (روايةً ودرايةً).

حيث تتجلى مظهرية مجالس الأختام في عبقرية الخاتم ومقدرته العلمية، حيث يُملئ إملاءات قد تستغرق ساعات تتضمّن مُسحّة من الجِدّة والإبداع في الموضوع الذي كتب فيه السّالفون، غلاوة على الاستطرادات والتّكت الأدبية المليحة والتّخریجات اللّغوية المتينة والاختيارات الفقهية حول ما يتعلق بأحاديث الصحيح وأبوابه.

وفي مقابل ذلك تفنّن أهل هذا الفنّ من المحدثين والفقهاء في تدوين التّأليف في هذا المجال تفنّناً ظاهراً خاصّة فيما يتعلق بصحيح البخاري، فكانت لهم فُرادة وريادة في شرح جوانب مُتعلّقة بفقّه أبوابه وأحاديثه، وهو الثّمرة المرجّوة من النّظر في علوم الحديث وفنونه.

وهو ما جعل رسائل ومدونات هذه الأختام مرجعاً مُهمّاً في دراسة «الجامع الصّحيح» إذ تضمّن كثيرٌ منها خلاصة استقراء سُراح البخاري على أحاديث الصّحيح.

وهذا ما جعلها محلّ دراسة في هذا المقال جعلني أجمع شتاتها بين مخطوطات ومطبوعات هذه الأختام، أقف على ماهيتها وأتحدث عن تطور نشأتها، وأشير إلى أهم المصنفات فيها (المشرقية والمغربية)، ومناهج أصحابها في شرح الأحاديث، وأهم العادات والأعراف في مجالس الحديث رواية ودراية. يأتي تفصيل ذلك في المباحث الآتية:

المبحث الأول: الأختام الحديثية: الماهية والنشأة

المطلب الأول: تعريف الختم

تعريف الختم لغةً:

تأتي مادة الختم بمعنى بلوغ آخر الشيء، يُقال: «ختم الشيء يَخْتِمُه خَتْمًا بَلَغَ آخره، وختم الكتاب: قَرَأَهُ كُلَّهُ وأَتَمَّهُ. وخَتَمَ كُلَّ شَيْءٍ وخَاتَمَتِه: عَاقِبَتُهُ وَآخِرُهُ، وَاخْتَمَّتُ الشَّيْءُ: نَقِيزُ افْتَتَحْتُهُ»¹.

فالختم مصدره: خَتَمَ، يَدُلُّ بهذا المعنى الأخير على إتمام الشيء والفراغ منه، وقد أطلقه المحدثون على هذا النوع من التصنيف، وجمّعه جمع تكسير قياساً، فقالوا: خُتُومٌ نحو ذنب وذُنُوبٌ، وأختامٌ نحو: طود وأطواد، وكوم وأكوام².

تعريف الختم اصطلاحاً:

أخذ العلماء من المعنى اللغوي مصطلح الختم، وصار الختم يُطلق على معانٍ ثلاثة في الاصطلاح:

أولها: خَتَمُ الكُتُبِ، سواءً كانت حديثية أو غيرها، لكن العلماء خَصُّوا كتب الحديث التي يؤلّفونها باعْتِناء وتكوّنت لهم عناية خاصّة بختم كتب الحديث، فتراهم يحتفلون لذلك أشدّ الاحتفال، ويخصّصون بالعناية كتاب البخاري وخاصّة الذين يؤلّفون شروحاً حوله³.

ثانيها: أُطلق لفظ الختم بمعنى خاصّ، وهو أين ينتهي القارئ لكتاب الحديث، فيكون حديث الانتهاء يوم الختم. وإلى هذا أشار ابن أبي دينار الرُّعَيْنِي (ت 1111هـ/1699م) صاحب كتاب «المؤنس في أخبار إفريقية وتونس» بقوله: «وذلك أم الأمثال من العلماء كانوا يداومون على البخاري الثلاثة أشهر - وهي رجب وشعبان ورمضان - فإذا كان يوم الختم جَعَلُوهُ على بابه»⁴.

1- كذا قاله ابن سيده في «المحكم والمحيط» (5/156)، ونقله عنه ابن منظور في «لسان العرب» (مادة ختم) (12/164).

2- مقدمة الدكتور العربي الفرياطي على كتاب «ختم جامع الترمذي» للبصري (ص:30).

3- «الأختام في تونس» للشيخ محمد الشاذلي التيفر (ص:34)، مجلة الهداية، العدد/1، السنة/12، سبتمبر 1984م.

4- «المؤنس في أخبار إفريقية وتونس» للقاسم ابن أبي دينار (ص:346)، نشر: دار المسرة- بيروت، ط/الثالثة، 1993م.

ثالثها: إطلاقه على مُجرد يوم الختم، إذ جرت عادة العلماء أن يُصنّفوا خُتومًا للكتب التي قاموا بإقراءها، يملونها على طلبتهم في آخر مجلس، يتناولون فيها جملة من فضائل المصنّف وأقوال العلماء فيه، ومنهجه في كتابه، مع ما يستنبطه من فوائد علميّة قد لا تُوجد في أمّهات الكتب، ثم يوشّحه بأبيات شعرية في غاية البيان والبديع، حتّى أن بعضهم يمكث من أوّل السّنة يجمع أقوال العلماء ثمّ يحفظها باللّوح، فإذا جاء ذلك اليوم أملاها من حفظه وسردها. وكان يحضر هذه المجالس العلميّة الأمراء والوزراء، والعوام والعلماء، مع ما كان يكسو المجلس من مهابة واحترام، ويمكن أن يُختم بمأدبة طعام شكرًا لله عزّ وجلّ على نعمة إتمام إقراء الكتاب.⁵

المطلب الثّاني: نشأة علم الأختام وما صنّف فيه

قبل الوقوف على ذكر مُصنّفات الختم، نُشير إلى أن تأريخ ونشأة كُتب الختم ترجع إلى بداية التّأليف في كُتب المداخل والافتتاحيات مع مُستهل القرن الزّابع الهجري مع ظُهور كتابيّ: «المدخل إلى الصّحيح» للحاكم النيسابوري (ت405هـ/1014م)، و«المدخل إلى السنن الكبرى» للبيهقي (ت458هـ/1065م) وغيرهما، والجامع بينها وبين كتب الختم أنّها تعالج قضيّة واحدة وهي الحديث عن الكتاب المراد قراءته أو الذي قرئ، وعن منهجه، وشرطه، وعن مؤلفه... إلخ.

وممّن ألف في الافتتاحيات أيضًا الحافظ ابن ناصر الدّين الدمشقيّ (ت842هـ/1438م) له كتاب: «افتتاح القاري لصحيح البخاري».

وللحافظ السيوطي (ت911هـ/1505م): «رُفد القاري بما ينبغي تقديمه عند افتتاح صحيح البخاري».



5- للاستزادة في تعريف الختم ينظر: «افتتاحيات البخاري وختماته» ليويسف الكتاني (ص:32-30).

وهذا ما أكدّه الدكتور عبد اللطيف الجيلاني في مقدمة تحقيقه لكتاب «الانتهاض في ختم الشفا» للسخاوي بقوله: «وقد بدأت العناية بهذا اللون من التصنيف تبعاً لظهور التصنيف في افتتاح الكتب، أعني كتب الافتتاحيات، وهي كتب يصنفها الشيخ أو يملئها برسم الشروع في إقراء كتاب من الكتب أو تدريسه، فتكون بمثابة المقدمة أو المدخل لذلك الكتاب، ويتناول فيها المصنف ما يتناوله مؤلفو كتب الختم من ترجمة صاحب الكتاب المراد إقراؤه، والكلام على خصائص كتابه ومنهجه فيه، وسوّق أسانيده إليه، وعرض ما قيل في الثناء عليه نظماً ونثراً. وأوّل من علمته صنّف في ذلك الحافظ أبو طاهر السلفي (ت576هـ/1180م) حيث أملى مقدّمة على كتاب «معالم السنن» للخطابي، ومقدّمة أخرى على كتاب «الاستذكار» لابن عبد البر التّمريّ القرطبي، ولم يشتهر التّصنيف في الختم إلّا مع مطلع القرن التاسع الهجري»⁶.

وقد ذكر الأستاذ الباحث العربي الدائز الفرياطي في مقدمة دراسته على كتاب «ختم جامع الإمام الترمذي»⁷ المراحل التاريخيّة للتأليف في كُتب الختم بعد أن قسمها إلى أربعة مراحل وهي الآتي:

1- مرحلة النشأة: وتشمل الحقبة الممتدة من القرن السادس إلى بداية القرن التاسع الهجري، وأهمّ ما تتميز به هذه المرحلة هو قلة التدوين، فهي كانت قائمة ولكن لم يكونوا يصنفونها، ويرتبونها ويعدونها تأليفاً مستقلاً، ومن خلال كُتب البرامج والفهارس نجد في هذه المرحلة الاعتناء الكبير والاهتمام الواسع بحضور مجالس الختم، وتعتبر هذه المرحلة بالنسبة لما بعدها بمثابة تمهيد وتوطئة.

2- مرحلة التّصنيف الفعلي: مع فجر القرن التاسع يَكون فنّ الختم دخل عالم التّصنيف الفعلي، وأصبح الختم يُعدّ مصنفاً في تعداد مصنّفات العالم، ويُدَوّن على شكل كتاب وله مقاومته، من المقدّمة والمباحث والخاتمة، ويستوفي شرائط التّصنيف، وعرفت هذه المرحلة خمسة حفاظ كبار صنّفوا في هذا الفنّ، وهم:

- الإمام محمّد ابن الجزري (ت833هـ/1429م): فقد اتّفق أنّه أقرأ «مسند الإمام أحمد» في مجالس عديدة بمكّة المكرمة، وحضره جمهرة من الحُفّاظ، وعند ختمه سنة (828هـ/1424م) كتب عليه ختماً سمّاه «المصعد الأحمد في ختم مسند أحمد»⁸.

6- «الانتهاض في ختم الشفا» لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (ص:11)، تحقيق: عبد اللطيف الجيلاني، نشر: دار البشائر الإسلامية ط/الأولى، 1422هـ.

7- يراجع: «ختم جامع الإمام الترمذي لعبد الله البصري» (ص:32-37).

8- طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة 1347هـ، وطبعته أيضاً مكتبة الشّنة بالقاهرة سنة 1410هـ.

- الحافظ ابن ناصر الدّين الدّمشقي (ت842هـ/1438م): فألف في ذلك أربعة كتب، هي: «افتتاح القاري لصحيح البخاري»، و«التنقيح في حديث صلاة التسبيح»⁹، و«ختم صحيح مسلم»¹⁰، و«مجلس في ختم السيرة لابن هشام».

- الحافظ محمّد بن عبد الرّحمن السّخاوي (ت902هـ/1497م): ألّذي اعتنى بالتّصنيف في كُتب الختم عناية كُبرى لا نجدّها عند غيره من المصنفين، فألف ثلاثة عشر كتاباً في ذلك، سمّاها عندما ترجم لنفسه في «الضوء اللامع»، وكذا في الترجمة التي أفردها لنفسه¹¹، وفيما يلي أسماء هذه الكتب مرتبة على حروف المعجم:

«الإلمام في ختم السيرة النبوية لابن هشام»¹².

«الانتهاض في ختم الشفا لعياض»¹³.

«بذل المجهود في ختم سنن أبي داود»¹⁴.

«بُعية الراغب المُتممّي في ختم النسائي رواية ابن السّني»¹⁵.

«الجوهرة المزهرة في ختم التذكرة للقرطبي».

«رفع الإلباس في ختم السيرة لابن سيد الناس».

«الرياض في ختم الشفا لعياض»¹⁶.

«عُجالة الضرورة والحاجة عند ختم السنن لابن ماجه».

«عمدة القاري والسامع في ختم الصحيح الجامع»¹⁷.

«غُنية المحتاج في ختم صحيح مسلم بن الحجاج»¹⁸.

«القول المرتقي في ختم دلائل النبوة للبيهقي».

«القول المعتر في ختم النسائي رواية ابن الأحمر»¹⁹.

«اللفظ النافع في ختم كتاب الترمذي الجامع».

وقد اهتم السخاوي بإقراء ختومه وإسماعها للطلبة لا سيّما كتابه في ختم «الشفا»، يقول في ترجمة أحمد بن محمّد بن إبراهيم المعروف بابن ظهيرة: «سمع عليّ «الشفا» ومؤلفي في ختمه، وحضر عليّ قبل ذلك أشياء»²⁰.

9- حققه الشيخ محمّد بن ناصر العجمي ونشرته دار البشائر الإسلامية ببيروت، ط/الأولى، سنة 1413هـ.

10- طبع بتحقيق الأستاذ إبراهيم صالح، بدار البشائر الإسلامية ببيروت، ط/الأولى، سنة 1419 هـ.

11- ينظر: «الضوء اللامع» (8/18).

12- طبع بتحقيق الأستاذ الحسين بن محمّد الحدادي، بدار البشائر الإسلامية، ط/الأولى، سنة 2003م.

13- طبع بتحقيق الدكتور عبد اللطيف الجيلاني بدار البشائر الإسلامية، سنة 1422هـ/2002م.

14- طبع بتحقيق الدكتور عبد اللطيف الجيلاني، وطبع بدار البشائر الإسلامية ببيروت.

15- طبع بتحقيق الدكتور عبد العزيز العبد اللطيف بمكتبة العبيكان بالرياض، ط/الأولى، 1414هـ.

16- منه نسخة باليمن، وأخرى بخزانة عارف حكمت بالمدينة المنورة ضمن مجموع برقم: (308).

17- طبع بتحقيق الدكتور علي العمران ونشرته دار عالم الفوائد بمكة المكرمة، ط/1418م.

18- طبع بتحقيق نظر الفارياي بمكتبة الكوثر بالرياض.

19- طبع بتحقيق جاسم المري ونشرته دار ابن حزم ببيروت.

20- ذكره الأستاذ الجيلاني في مقدمة «الانتهاض في ختم الشفا» (ص:14).

- الحافظ شهاب الدين القسطلاني (ت926هـ/1520م): فقد ألف في هذا الفن ختماً سماه: «تُحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري»²¹.

- العلامة المحدث محمد علي بن علان الصديقي المكي (ت1057هـ/1647م): ألف كتاب: «الوجه الصبيح في ختم الصحيح»، وكتاب: «الابتهاج في ختم المنهاج»²²؛ أي المنهاج بشرح صحيح مسلم للنووي.

- العلامة المحدث عبد الله بن سالم البصري (ت1134هـ/1721م): من أشهر المغاربة تصنيفاً في مجال فن الأختام الحديثية، فله من الأختام على سبيل الذكر: «ختم الموطأ براوية يحيى الليثي»²³، و«ضياء الساري في مسالك أبواب صحيح البخاري»²⁴، و«ختم جامع الترمذي»²⁵، و«ختم سنن أبي داود»²⁶، و«ختم سنن ابن ماجه»²⁷.

ويعتبر ختمه «ضياء الساري في مسالك أبواب صحيح البخاري» من أهم هذا الأختام الحديثية جمع فيه مؤلفه بين الرواية والدراية، وأودع فيه لباب الشروح المتداولة المشهورة، وزبدة نتائج شراحها، كالحافظ ابن حجر والعيني والقسطلاني والدماميني والكزماوي والبرماوي، مع الاعتناء بنسخ صحيح البخاري وفروعها، وتوجيهها واستظهار بعضها.

3- مرحلة الازدهار والكمال: لتكن بداية هذه المرحلة من القرن الحادي عشر فما بعده إلى نهاية القرن الثالث عشر «عصر الطباعة»، وهذه المرحلة مدينة للحافظ السخاوي ومعترفة له بالفضل والعرفان، فقد حاول الحفاظ بعد السخاوي تتبع أثره، واقتفاء منهجه، فما إن يختم أحد منهم كتاباً من كتب الحديث وغيره، إلا ويضع عليه ختماً، وبذلك كثرت الختوم وتعددت حتى إنه ليصعب على الدارس حصرها وتعدادها، وأصبح التأليف فيها عُرفاً بين أهل الصناعة سواء في المشرق أو المغرب²⁸.

وفي القرن الثالث عشر هجري ظهرت تصانيف عديدة لعلماء المغاربة على الخصوص بدليل وجود عدد كبير من المؤلفات في موضوع الختوم في شتى كتب العلوم تعود إليهم، وندرج فيما يأتي بعضاً منها مرتباً على حسب قدم تاريخ وفيات مؤلفيها:

21- منه نسخة بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم (17920/مكتبة حسن حسني عبد الوهاب).

22- ينظر: «هدية العارفين» لإسماعيل باشا (2/525).

23- طبع بتحقيق يونس عزيزو المزياي بدار البشائر الإسلامية ببيروت، ط/الأولى، سنة 1429هـ/2008م.

24- طبع بتحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، ونشرته: دار النوادر بدمشق، سنة 2013م.

25- طبع بتحقيق العربي الدائر الفرياطي بدار البشائر الإسلامية سنة 1423هـ/2002م.

26- حققه الباحث محمد النورستاني، وطبع بدار السلف بالرياض، ط/الأولى، سنة 1425هـ/2004م.

27- مخطوط بمكتبة الحرم المكي ضمن مجموع تحت رقم: (3808).

28- كذا قاله الأستاذ العربي الدائر الفرياطي في مقدمة كتاب «ختم جامع الإمام الترمذي» (ص:34).

1. «ختم على صحيح البخاري» لأبي عبد الله محمد القسطنطيني (ت 1226هـ / 1811م)²⁹.
 2. «نوافحُ الورد والعنبر والمسك الداري لشرح آخر ترجمة صحيح الإمام البخاري» للشيخ عبد القادر الكوهن (ت 1254/1838م)³⁰.
 3. «ختم على صحيح البخاري» لمحمد بن مصطفى البارودي (ت 1254هـ/1838م)³¹.
 4. «ختم صحيح البخاري» للعباس بن عبد الرحمن العلوي (ت 1296هـ/1878م)³².
 5. «عون الباري على فهم آخر تراجم صحيح البخاري» لأحمد بن الطالب بن سودة (ت 1321هـ/1903م)³³.
 6. «شرح آخر ترجمة من صحيح البخاري» لجعفر بن إدريس الكتاني (ت 1323هـ/1905م)³⁴.
 7. «ختمه صحيح الإمام البخاري» لمحمد بن عبد الكبير الكتاني (ت 1327هـ / 1909م)³⁵.
 8. «ختم الصحيح» لعبد الكبير بن محمد الكتاني (ت 1333هـ/1914م)³⁶.
 9. «إتحاف القارئ عند ختم البخاري» لأحمد بن جعفر الكتاني (ت 1340هـ/1921م)³⁷.
- وعموماً فإن المتأخرين قد أكثروا من التأليف في الختم بحيث يضيّق المجال هنا بحصر تصانيفهم في ذلك³⁸.

4- مرحلة الدراسة والتحقيق: وتبدأ من بداية القرن الخامس عشر إلى أيامنا هذه، وقد ركزت حركة التدوين والتأليف في الختم، بيد أنه بقي مجال واسع أمام الباحثين في التراث في بذل الجهود لإخراج كتب هذا الفن وطبعها، والتعريف بها وتحقيقها، ومن جهة ثانية في دراستها وتقويمها، والكشف عن مناهجها، وبيان أهميتها، وقيمتها العلمية.

-
- 29- يوجد منه نسخة بمكتبة المسجد النبوي الشريف تحت رقم: (9/ 175).
 - 30- حققه: صباح زخيني، ومحمد إقبال عروي، ونشرته: الحلقة الأفريقية للتحقيق بالمغرب، 2003م.
 - 31- يوجد منه نسخة بمركز جمعة الماجد تحت رقم: (9763).
 - 32- ينظر: «الإعلام بمن حل مراكز وأغمام من الأعلام» للعباس بن إبراهيم السملالي (8/23) نشر: المطبعة الملكية- الرباط، ط/الأولى، 1975م.
 - 33- طبع بالمطبعة الحجرية بفاس عام 1311هـ، ينظر: «معجم المطبوعات الحجرية» لإدريس بن الماحي (ص: 167).
 - 34- طبع بالمطبعة الحجرية بفاس في (28 ورقة) ينظر: «معجم المطبوعات الحجرية» (ص: 297).
 - 35- طبع بدار الكتب العلمية ببيروت سنة 2019م، بتحقيق: أفضل مسعود، وأحمد المصطفوي، وبمراجعة وتقديم الدكتور الشريف محمّد حمزة الكتاني.
 - 36- ينظر: «فهرس الفهارس» (2/745).
 - 37- ينظر: «سل النصال» (ص: 24).
 - 38- للاستزادة ينظر: دراسة الدكتور عبد اللطيف الجيلاني على كتاب «الانتهاض في ختم الشفا» (ص: 17).

المبحث الثاني: الأختام الحديثية على «صحيح البخاري»

المطلب الأول: الأختام المشرقية على «صحيح البخاري»

ومن أشهر أصحاب مجالس الإملاء عند المشاركة نذكر الحافظ ابن حجر (19) الذي أُملى أكثر من ألف مجلس، وقبل شيخه الحافظ العراقي ت 762 هـ الذي أُملى أكثر من 4000 مجلس، وزين الدين بن عبد الرحيم الحسني العراقي المصري (20) وبعده ولي الدين أبو الفضل أحمد بن عبد الرحيم العراقي المتوفى سنة 828 هـ الذي أُملى أكثر من ستمائة مجلس (21)، والحافظ السيوطي أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت 919 هـ الذي عقد أكثر من مائة مجلس (22) ثم الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمان السخاوي ت 902 هـ الذي بلغت مجالسه أكثر من ستمائة مجلس كما ذكر هو نفسه (23) والحافظ ابن الصلاح الذي سار على سنن شيوخه في ذلك.

ختم الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ):

إن الحافظ شيخ الإسلام قاضي القضاة، أبا الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني نزيل القاهرة لما أنهى شرحه على صحيح البخاري المسمى «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» عقد مجلس الختم، وكان من أحفل المجالس. ونقل ما تم في هذا المجلس في نسخة شرحه بقوله: «بلغ السماع لجميع المجلس الأخير من هذا الشرح، وأوله: خاتمة³⁹ على مؤلفه حافظ العصر، أستاذ أهل الدهر .. أبي الفضل أحمد العسقلاني ... بقراءة كاتبه إبراهيم بن خضر .. وحضور قاضي القضاة سعد الدين القدسي الحنفي ..».

وعد الجم الغفير، ثم ختم ذكر الأسماء بقوله: «في جماعة كثيرين من رام حصرهم فقد رام شططا. وكان يوماً مشهوداً لم يعهد مثله فيما تقدّم وكان الختم المذكور بالتاج والسبع وجوه بين كوم الرّيش ومنية الشيرج خارج القاهرة، يوم السبت ثامن شعبان، سنة اثنتين وأربعين وثمانمئة».

وانشدت فيه عدّة قصائد، منها ما أنشد في مجلس الختم، ومنها ما أنشد بعد ذلك. ومن بديع ذلك ما أنشده زين الدين عبد الرحمن الديري الحنفي:

أيّا سيّدًا حازَ العُلومَ بأسرها *** وأبدعَ في شرحِ البخاري نظامه
لئن راجَ إبريزُ البيوتِ بختمها *** فقلّ عنبرًا حقًا ومِسْكَ ختامه⁴⁰

39- كذا قاله الشيخ محمد الشاذلي النيفر في مقاله «الأختام في تونس»، مجلة الهداية، العدد/1، السنة/12، سبتمبر- أكتوبر 1984م، (ص:34).

40- «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» للسخاوي (1/467)، تحقيق: إبراهيم عبد المجيد، نشر: دار ابن حزم 1419هـ.

وابتدأ في الشروح في مقدّمته: في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، وعقد مجلس الختم في أوّل يوم من رجب سنة اثنتين وأربعين بعد ثمانمائة⁴¹.

وهذه الخاتمة عقدها الحافظ ابن حجر، وعدد فيها ما في البخاري من الأحاديث، موصولة أو معلقة. وكذلك ما فيها من الآثار، وذكر المناسبات التي أبدى البخاري في آخر الكتب، ممّا يدل على ختمه، كقوله في آخر حديث بدء الوحي: «فكان ذلك آخر شأن هرقل». إلى آخر استنباطاته لمناسبات الختم من كلّ كتاب.

ختم الحافظ شمس الدّين السخاوي (ت902هـ):

على كثرة الأختام الحديثية التي صنفها الإمام السخاوي، يعدّ ختمه «عمدة القاري والسامع في ختم الصحيح الجامع» من أهم تلك الأختام، خصه السخاوي بمناقشة أربعة محاور، وفصّل فيها القول، وهذه المحاور هي:

«المحور الأوّل: خصّصه للحديث عن حياة الإمام البخاري صاحب الصّحيح، وشذرات من حياته وأخباره وحفظه ونبوغه، ووجوه أرجحيته على «صحيح مسلم».

المحور الثّاني: رواية الإمام السخاويّ بالأسانيد المتّصلة المتعدّدة لآخر حديث في صحيح البخاري، منه إلى النّبّيّ الكريم صلى الله عليه وسلم، وقد تفنّن المصنّف وأبدع في سرد هذه الأسانيد، وفصّل فيها، وبّين طرق الرّواية والتّحويل والسّماع والإجازة والمكاتبة وغيرها، وفيه قال ابن العماد الحنبلي: إنّه كان يروي صحيح البخاري عن أزيد من مائة وعشرين نفساً.

وقد روى السخاوي هذا الحديث عن سبعة من شيوخه، من بينهم الحافظ ابن حجر العسقلاني الذي قال فيه: وقريّ... وأنا أسمع على شيخنا رحمه الله شيخ الإسلام من لم تر عيني في مجموعته مثله أبي الفضل العسقلاني رحمه الله، وكان والله نسيخ وحده، وهو أجلّ من أخذت عنه العلم والحديث.

المحور الثّالث: خصّصه لبيان الشّرح والفوائد المتعلّقة بآخر حديث في صحيح الإمام البخاري: «كلمتان خفيفتان على اللسان... سبحان الله وبحمده»، ومعظمه مستفاد من كتاب شيخ شيوخه ابن ناصر الدين الدمشقي: «التنقيح في فضل التسبيح».

المحور الرّابع: ما ساقه نقلاً عن شيخه ابن حجر للحديث الأخير في كلّ كتاب من كتب صحيح البخاري⁴².

وغير ذلك من الفوائد الكثيرة التي تعرض لها السخاوي في كتابه هذا، مع كثرة إيراد الروايات من الأحاديث والآثار التي تتعلق بما يورده من مسائل.

41- «الأختام في تونس» للشيخ محمد الشاذلي النيفر، مجلة الهداية (ص:34).

42- ينظر: مقدمة «عمدة القاري والسامع في ختم الصحيح الجامع» (ص:5) تحقيق: محمد عيد المنصور، نشر: دار عطاءات العلم ط/ أولى سنة 1437هـ.

لهذا الكتاب عدة طبعات أشهرها ما كان بتحقيق الدكتور مبارك الهاجري، وتحقيق الدكتور علي العمران نشر بدار عالم الفوائد سنة 1418هـ، وتحقيق الأستاذ محمد عيد المنصور، نشرته دار عطاءات العلم سنة 1437هـ.

ومن أهم أصوله الخطية نسخه الأم كُتبت من قِبَل أجلّ تلامذة المؤلّف، وهو الإمام القسطلاني شارح البخاري، وكتبها في عصر المؤلّف وفي حياته، وقراها عليه كاملة في مجلسين، وعليها خطُ المؤلّف، في أكثر من موضع، وختمها بإجازة عامة بخط المؤلّف لكتابها. حفظت هذه النسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم (329) حديث.

أوله: «الحمد لله ربّ العالمين، الرّحمن الرّحيم، مالِك يَوْم الدّين، حَمْدًا يليقُ بجلال وجهه وعظيم سلطانه القديم. والحمدُ لله منشئ الخلائق أجمعين، والسّموات والأرضين، حمْدًا يستوعبُ شكر فضله العَميم...».

آخره: «... فقد قرأ عليّ جميع هذا المجلس من تصنيفي كاتبه وصاحبه سيّدي الشّيخ الإمام الجّهتُذ الهُمَامُ العَلَامَةُ البارِعُ، مفيدُ الطّالِبين، قدوةُ المستفيدين، بقيّة السّلف الصّالحين، الشّهابُ أبو العبّاس القسطلانيّ المصريّ الشّافعيّ، نفع الله به وبلّغه تمامَ أرْبِه؛ في مجلسين ثانيهما في أواخر الشهر المذكور بمنزلي وأجزّت له روايته عَنّي وإفادته لَمَنِ التمس ذلك منه، وكذا أجزّت له بسائر مروّياتي ومؤلّفاتي. قاله وكتبه محمّد بن عبد الرّحمن السّخاويّ الشّافعيّ، غفر الله له ذنوبه، وسرّ عيوبه. وصلى الله على سيّدنا محمّدٍ وسلّم تسليمًا كثيرًا».

وجاء في مباحثه الآتي ذكره:

1. مقدمة	9. في فوائد نفيسة في معاني الحديث
2. في بيان المراد بكلمة أبي علي في تفضيل مسلم	10. فوائد في قوله: سبحان الله
3. قصة امتحان البخاري من أهل بغداد	11. فوائد في قوله: سبحان الله العظيم
4. سياق حديث في آخر جامعه	12. في فائدة الختم بهذا الحديث
5. استشكل أن المروي عن ابن عمر وأقل من الموجود المروي عن أبي هريرة.	13. من نكت الختم بهذا الحديث
6. استشكل قوله: "لا أكتب"	14. في اعتناء البخاري بختم كل كتاب بحديث جامع
7. تتمّة مناقب أبي هريرة	15. سند السخاوي رحمه الله إلى الجامع
8. تتمّة الكلام على رجال الإسناد	16. إجازة الحافظ السخاوي للعلامة القسطلاني

اللوحة الأولى من المخطوط 1/و



اللوحة الأخيرة من المخطوط 26/ظ



ختم محمّد بن عبد القادر الجعفريّ الحنبليّ المعروف بابن قاضي نابلس (ت 906هـ):

وهو من الأختام الحديثية القيمة لأحد أعلام السادة الحنابلة وهو الشيخ الفقيه وهو محمّد بن عبد القادر الجعفريّ النابلسي الحنبليّ وسمه بعنوان «تحفة السامع والقاري في ختم صحيح البخاري»، وهو ختم رائع على صحيح البخاري ضمّ بين دفتيه نبذة عن الصحيح وصاحبه ثمّ الحديث عن آخر حديث في الباب، وختمه مصنفه بذكر سنده إلى الصحيح.

أصوله من محفوظات خزانة دار الكتب المصرية تحت رقم: 1242، بلغت عدد أوراقه: (25ل)، ومسطرته: (21س)، نسخه محمد بن نور الدين بن ناصر الدين بن عبد الكريم بن محمد الرشيد الشافعي، وتاريخ نسخه كان بتاريخ يوم الاثنين حادي عشر ذي القعدة الحرام عام 1033هـ.

طبع بدار عطاءات العلم بالمملكة العربية السعودية بتحقيق محمد طاهر شعبان، ط/ أولى سنة 1437هـ.

أوله: «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حمداً يليق أحمد سبحانه ... حديث رسوله والاعتناء بأصح ما صنف في ذلك من منقوله لاسيما في هذه الأيام الشريفة ... وقال البخاري رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام كأني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب فسألت المعبرين فقالوا أنت تذب عنه الكذب فهو الذي حملني على ... الصحيح... قال الفبري رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال أين تريد فقلت أريد محمد بن إسماعيل البخاري فقال أقرئه مني السلام...»

آخره: «باب قول الله: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}، وَأَنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ وَقَوْلَهُمْ يُوزَنُ، وقال مجاهد: القسطاس: العدلُ بالزُّومِيَّةِ، ويقال: القِسطُ: مصدر المُقْسِط، وهو العادل، وأَمَّا القاسطُ؛ فهو الجائر.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِشْكَاب: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ عِمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ خَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: شُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، شُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ». تَمَّ الْخَتْمُ الْمُبَارَكُ الْمُسَمَّى: «تحفة السامع والقاري في ختم صحيح البخاري» بحمد الله وعونه وحسن توفيقه. تأليف الشيخ العلامة العمدة: مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجَعْفَرِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، أَسْبَغَ اللَّهُ عَلَيْهِ خُلُلَ رَحْمَتِهِ، وَنَفَعَ الْمُسْلِمِينَ بِعُلُومِهِ وَبِرَكَتِهِ، آمِينَ.

على يد العبد الفقير: مُحَمَّدُ بْنُ نُورِ الدِّينِ بْنِ نَاصِرِ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الرَّشِيدِيِّ الشَّافِعِيِّ غَفَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذُنُوبَهُ، وَسَتَرَ عِيُوبَهُ، وَفَعَلَ ذَلِكَ بِوَالِدَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَمَشَايِخِهِ وَأَحْبَابِهِ وَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ الَّذِي أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

بتاريخ يوم الاثنين المبارك حادي عشر ذي القعدة الحرام عام 1033هـ، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين».

وجاء في مباحثه الآتي ذكره:

1. مقدمة	9. وجه الختم بهذه الترجمة برأي المصنف
2. نبذة من حياة المصنف	10. تتمة الكلام على الترجمة
3. قصته مع أهل بغداد	11. الكلام على الحديث
4. طرف من ثناء الناس عليه	12. على إسناده
5. الدافع لتصنيف الصحيح مع المنهج	13. على متنه
6. طرف من فقهه في تراجمه	14. معنى سبحان الله، معنى العظيم
7. الكلام على الترجمة الأخيرة ومحتواها	15. في الفوائد المستنبطة
8. الكلام على الترجمة	16. إسناده المصنف إلى الصحيح

اللوحه الأولى من المخطوط 1/و



اللوحه الأخيرة من المخطوط 25/ظ



ختم الحافظ شهاب الدين القسطلاني (ت923هـ)

من أشهر الأختام الحديثية على صحيح البخاري ختم «**تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري**» لأشهر شارح لصحيح البخاري الحافظ شهاب الدين القسطلاني إمام الشافعية، وهو جزء في بيان منزلة صحيح البخاري، برزت في التحفة سمات عصر القسطلاني وسماته الشخصية:

«أولاً من الناحية العلمية: الموسوعية في تناول الأفكار. والاعتماد في أمهات المسائل وخطيرها على المعتمد من كتب أهل العلم في الحديث والعقيدة الأشعرية والفتات التربوية الصوفية.

ثانياً من حيث الأسلوب: التدرج في شرح نصوص الأحاديث. فهو أولاً يعرف برجال السند، ثم يشرحه لغوياً وبلاغياً ومن ثم يربطه بالمعتقدات الإسلامية، ويشرحه من الناحية الشرعية، وينتقل من الشرح الشرعي إلى التناول الذوقي لمفردات وجمل الحديث، ومن ثم يربط الكل بعقيدة التوحيد وواسع قدرة الله تعالى.

وكانت عبارات التحفة سهلة قريبة للفهم، كما أنها تراعي حال السامع والقارئ للتحفة مهما كان مستواه العلمي، فالقسطلاني يشرح بوضوح لقليل العلم، ويشير بعمق لأمهات المسائل التي تدرس بها أهل العلم»⁴³.

43- من ملخص مقدمة المحقق الأستاذ محمد رشاد السروان على الكتاب نشر: دار عطاءات العلم.

طبع الكتاب بدار ابن حزم بتحقيق أحمد بن محمد بن غانم آل ثاني، وطبعة ثانية بدار عطاءات العلم بتحقيق محمد رشاد السروان. حقق على نسخة فريدة خطية بمكتبة بايزيد تحت رقم (7951- تركيا)، عدد أوراقها (44ل)



وجاء في مباحثه الآتي ذكره:

1. مقدمة	9. في قوله: كلمتان حبيبتان إلى الرحمن
2. سياق آخر الحديث بأسانيد المؤلف إلى البخاري	10. في قوله: كلمتان حبيبتان، ونبذة من الكلام على المحبة
3. الكلام عليه من جهة الإسناد	11. في وجه تخصيص اسمه «الرحمن» دون غيره
4. المقاصد التي سيتناولها الشرح	12. في قوله: خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان
5. في وجه تخصيص الإمام البخاري الختم بهذا الحديث دون غيره	13. الكلام على الميزان، وعلى وزن الأعمال
6. في الكلام على رواته من البخاري إلى النبي صلى الله عليه وسلم	14. أقسام الناس في الآخرة، وهل الجن مكلفون؟
7. في إعرابه وغير ذلك	15. في قوله: سبحان الله وبحمده في الكلام على التسبيح، في الكلام على الجلالة الشريفة، في الكلام على الحمد
8. في تفسيره	16. في قوله: سبحان الله العظيم

اللوحة الأولى من المخطوط 1/و



اللوحة الأخيرة من المخطوط 44/ظ



ختم العلامة المحدث ابن علّان المكي (ت1057هـ):

صنف الحافظ المفسر محمد علي بن محمد بن علّان بن إبراهيم بن محمد الصديقي البكري الشافعي المكي، ختما سَمَّاه «**الوجه الصّحيح في ختم الجامع الصّحيح**»، كتبه في 24 من شهر صفر سنة 1044هـ، وقد قرأ ابن علان رحمه الله صحيح البخاري في جوف الكعبة أيام بنائها سنة 1039هـ، لما انهدمت من جهة الحطيم، فقارب ختمه ولم يتم البناء وهذه القراءة في جوف الكعبة لم تتفق لأحد من قبله من العلماء واتفقت لمن بعده، كما ذكر ذلك الشيخ إبراهيم بن منصور الهاشمي. وقد حفظ ختمه هذا بمكتبة بالمكتبة الظاهرية تحت رقم: 8995، في (11) لوحة. وله نسخة ثانية محفوظة بمكتبة نور عثمانية بتركيا تحت رقم (2431) جاءت في آخر كتاب المصنف: دليل الفالحين، في 6 لوحات.

وقد طبع بدار التوحيد للنشر بتحقيق صديقنا الدكتور نور الدين الحميدي ط/ أولى سنة 2016م، كما طبع طبعة ثانية بدار عطاءات العلم بالرياض.



وجاء في مباحثه الآتي ذكره:

1. مقدمة المصنف	9. أسانيد المصنف إلى البخاري
2. كتابة الحديث بين الحظر والإباحة	10. الكلام على آخر ترجمة في الصحيح
3. تدوين السنة	11. آخر حديث في الصحيح
4. مناقب البخاري رحمه الله	12. الكلام على السند
5. مناقب الجامع الصحيح	13. فوائد في الترجمة والحديث والمناسبة بينهما
6. ما حكاه خدام القبر النبوي الشريف	14. الكلام على المتن
7. مكانة الجامع الصحيح غير ما سبق	15. مناسبة الختم بهذا الحديث
8. بعض نكت تراجمه وإمامة مصنفه	16. الكلام على الميزان، وعلى وزن الأعمال

وجه اللوحة الأخيرة من المخطوط ظ/11



وجه اللوحة الأولى من المخطوط و/1



المطلب الثاني: الأختام المغاربة على صحيح البخاري

هذا الفن من الفنون يَكاَدُ يتميز به العلماء المغاربة على الخُصوص، بدليل وجود عدد كبير من المؤلفات في موضوع: الختوم في شتى كتب العلوم، وخاصة تلك تعلقت بصحيح الإمام البخاري رحمه الله، هذا وإن دَلَّ على شيء فإنما يدل على مدى العناية الفائقة، والأهمية الكبيرة التي أولاهها المغاربة لصحيح الإمام البخاري.

ختم الشَّيخ أحمد بن قاسم البوني الجزائري (ت1139هـ)

لأبي العباس أحمد بن قاسم البوني الجزائري، ختماً سَمَّاه: «إظهار بعض نفائس الأدخاري لختم أحاديث الإمام البخاري»⁴⁴، يعد من أقدم الأختام المغربية على صحيح البخاري كتبه مؤلفه سنة 1112هـ. وهذا الختم ليس كباقي الختمات من حيث المضمون، فالمعهود والمعروف في الختمات أن مؤلفيها يقتصرون على شرح الحديث الأخير من صحيح البخاري تبعاً لمجلس الختم، فإن الإمام البوني اختار أن يكون شرحه للأحاديث الأربعة الأخيرة من الصحيح وهي:

1- عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة، طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ كالتمر، طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، طعمها مر ولا ريح لها».

2- عن عروة بن الزبير قالت عائشة رضي الله عنها: سألت أناس النبي صلى الله عليه وسلم عن الكهان، فقال: «إنهم ليسوا بشيء» فقالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون بالشيء يكون حقاً، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجن فيقرقروها في أذن وليه، كقرقرة الدجاجة، فيخلطون فيه أكثر من مائة كذبة».

3- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج ناس من قبل المشرق، ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه قيل: ما سيماهم؟ قال: سيماهم التحليق، أو قال: التسبيد».

4- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

44- ينظر: «فهرس الفهارس» عبد الحي الكتاني (1/237) وقد شرع في تحقيقه الأستاذ محمد شايب الشريف الجزائري.



طبع الكتاب بدار المقتبس في (352ص) بتحقيق الأستاذ محمد شايب الشريف الجزائري ط/أولى سنة 2018م.

ختم الشيخ محمد بن علي الغرياني (ت1195هـ):

وسار على هذا الغرار العلامة المحدث محمد بن علي الغرياني المتوفى سنة 1195هـ، فاعتنى بختم البخاري حين أقرأه شرحاً، وقد دون بعض طلبته الحاضرين ما دار في ذلك الختم، مُصدراً له بمقدمة قائلا فيها: «وبعدُ، فلما من الله تعالى علينا بختم صحيح العلامة البخاري، على شيخنا الأجل الهمام الأفضل مثمر رياض العلم في الآفاق، ومحرز قصبات السبق في مضمار نجباء السباق ومترع حياض السَّنة السَّمة في جميع البلاد، ومرشف كؤوس معانيها للحاضر والباد، كشاف مخدرات المعاني، مولانا الأبر أبي عبد الله الشيخ سيدي محمد بن علي الغرياني، شرف الله في الخافقين قدره، وعطر بالفعل الجميل ذكره، آمين. بَثَّ حفظه الله مواعظ سكنت صميم القلوب، ووضع لنا مخدرات المسائل فنار من نور سناها الواجب والمندوب، فتشنت بعرف شذاها الأسماع، وتنورت من نور سناها البقاع، وخلع عليه في ذلك المجلس المرفع رواق الوقار والمجد، وحصل لجميع الحاضرين غاية المرام والقصد، وذلك يوم خمسة وعشرين من شهر رمضان المرفع قدره بالإنزال، سنة 1176هـ بالمدرسة السَّليمانية. وحضر بها جمعٌ غفير من أعيان أهل الحضرة العلية، وأجلة من العلماء الزاسخين أهل المجد والتَّعظيم، وتطارحوا به مباحث أرق من التَّسيم، فأجابهم شيخنا المذكور بأجوبة أعجب من التَّسليم، وغصت بهم المدرسة المذكورة مع اتِّساعها وامتلت من جميع بقاعها، ولا غرو فقد ختمه قبل ذلك مراراً، وأرانا مخدرات في ختمه جهازاً.

وحين أفاده شيخنا المذكور، سارعت لكتبه ناجزاً على الفور، وقدمته بهذه الشجعات، وجعلته تلو ما تقدمته هذه الأبيات، لمثل هذا فليعمل العاملون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فيا له من ختم ختم بأنواع الكمال، وحررت فيه أحداث وزن الأعمال، كنت إذ ذاك مدونا عليه، فأنشدت راغباً في الثواب بين يديه:

تسأل ذي الحرائم أم تجيب
وما تبدي غناء أم نجيب
رقت سحراً على العذبات تشدو
فالقت في الجوانح ما يشيب

ويشير إلى اختصاصه صلى الله عليه وسلم بجوامع الكلم، بعد تمهيد بمدحه عليه الصلاة والسلام، ثم يتلخص لمجد الشيخ الغرياني:

حبيب الله أوثر باختصاص
جوامع في بلاغتها ضروب
يحدثنا بها شيخ النعالي
إمام الفضل مولانا الحسيب
أبو عبد الإله أخو المزايا
محقق الرضين المستنير
فيا لله غريبان بلاداً
بدا منها لنا هذا النجيب
كريم صانه دين متين
وفوز أنه علم رحيب
إذا شاهدته يروي صحيحاً
تقول بدهشة هذا الغريب

ويقول في الختم:

ختمت لنا أحاديث البخاري
ختاماً فيه فضل اليمين
فلا زالت لك الأختام تترى
وأنت بورد علمك مستطيب

وموضوع الختم شرح الحديث الذي ختم به الإمام البخاري «صحيحه» بباب قول الله تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} ⁴⁵، وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن.

45- سورة الأنبياء، الآية 47.

وبنى البخاري هذا الباب على حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كِلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»⁴⁶.

واغتنم الشيخ الغرياني هذا الختم فعقد لنجله محمد الصالح على إحدى الكرائم تبركاً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، وهناه مدون ختمه بأبيات:

أي شيخ الشيوخ لك التهاني
 بختم مزجه عرف وطيب
 تلاه العقد للنجل المفدى
 سمى المصطفى نعم الحبيب
 فنعم العقد غب الختم وافي
 ونعم الصهر صهرك والنسيب
 فيها لله من عقد تسامى
 فقد سرت ببهجته القلوب

ويقع هذا الختم في قرابة أربعين صفحة، وكله تحريرات نفيسة، تدل على غزارة علم وذكاء وقاد. نماذج خطية من ختم الشيخ محمد بن علي الغرياني على «صحيح البخاري»:
 اللوحة الأولى من الختم



⁴⁶- أخرجه البخاري في «الجامع الصحيح»، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (وَنُفِخَ الْفُؤَارِينَ الْقُشَطِ لَيُؤْمَ الْقِيَامَةِ) [الأنبياء: 47]، وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن (9/162/رقم: 7563).

ختم الشيخ محمد جعفر بن إدريس الكتاني (ت1345هـ):

للشيخ العلامة الشَّريف محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني صاحب كتاب "الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة" وكتاب "سلوة الأنفاس"، ختماً رائعاً على الترجمة الأخيرة لصحيح البخاري، وهو من نوادر الأختام المغاربية حول أبواب البخاري جاء تحت عنوان "ختم صحيح الإمام البخاري"، وهو رسالة في الكلام على الترجمة الأخيرة نسخة الأصلية الأم بخط المؤلف في (12) لوحة، محفوظة بخزائن المكتبة العامة للكتب والوثائق- المغرب، طبعت مؤخراً بدار النشر: عطاءات العلم، بتحقيق الأستاذ محمد طاهر شعبان.

أولها: "... أمّا بعد، فهذا -إن شاء الله تعالى- شرحٌ لطيفٌ على ختم «صحيح البخاري»، أمّداً الله عزَّ وجلَّ بمدده الجاري، وجعله خالصاً لوجهه الكريم، وسبباً للتمتُّع برؤياه في دار النعيم، آمين. قال الشيخ، الإمام، شيخ الإسلام، سراج الدين، البلقيني رحمه الله في كلامه على مناسبة أبواب هذا الكتاب: «لَمَّا كان أصل العصمة أولاً وآخرًا هو توحيد الله عزَّ وجلَّ؛ ختم بكتاب التوحيد، ولما كان آخر الأمور التي يظهر بها المفلح من الخاسر، ثقل الموازين وخفَّتْها؛ جعله آخر تراجم الكتاب، وبدأً بحديث: «الأعمال بالنية» وذلك في الدنيا، وختم بأنَّ الأعمال توزن يوم القيامة، إشارةً إلى أنَّه إنما يثقل منها ما كان بالنية الخالصة لله عزَّ وجلَّ» اهـ. وقد قال رضي الله عنه: «باب»؛ أي: هذا باب، بإضافة لفظ باب إلى ما بعده، «قول»؛ أي: مقول الله؛ أي: في سورة الأنبياء، وهي سورة (اقترب): (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) ثبت لفظ {اليوم القيامة} في رواية أبي ذرٍّ، وسقط لغيره، والكلام على هذه الآية من علوم...».

آخرها: «... وفي عطف قوله: «فلا يظلم على قوله» «نضع» لأنَّ الجملتين في فعليتين، وهو من محسنات الوصل؛ أي: عطف الجمل بعضها على بعض؛ لأنَّ عطف الفعل على مثله، والاسم على مثله أولى، وفيه أيضًا تناسب بينهما أيضًا في المضارعة، وهو من محسناته أيضًا...».

محتوى الختم:

1. مقدمة	7. الكلام على الآية من جهة علم البديع
2. الكلام على الآية إعراباً	8. الكلام على الآية من جهة علم المنطق
3. الكلام على الآية صرفاً	9. الكلام على الآية من جهة علم الأصول
4. الكلام على الآية من جهة علم الاشتقاق	10. الكلام على الآية من جهة علم القراءات
5. الكلام على الآية من جهة علم المعاني	11. الكلام على الآية من جهة علم التفسير
6. الكلام على الآية من جهة علم البيان	12. مرجحات الميزان

اللوحۃ الأخيرة من المخطوط 12/ظ



اللوحۃ الأولى من المخطوط 1/و



المبحث الثالث: عوائد مجالس أختام «الجامع الصحيح»

ما يدور في مجلس ختم «صحيح البخاري» من عادات:

ممّا جرى عليه العمل في مجالس الأختام الحديثية هو أن:

يُستفتح المجلس بقراءة القرآن العظيم،

وبعد ذلك يتولى المملي بسط الكلام على الحديث الذي اختاره ليوم الختم،
وجرت العادة باستمرار، بالتماس مناسبة، إلى التلّص إلى الحديث الذي ختم
به الإمام البخاري كتابه، وهو: باب: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}⁴⁷
، وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال: «كَلِمَتَانِ خَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى
اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».
ثم يسبح لله تعالى، ويأتي ببعض المواعظ ممّا يناسب ذلك المحلّ، ثم يدعو
بما يتقبل الله منه.

ويؤمن على دعائه أقوام بأصوات مرتفعة: آمين يا رب العالمين، فإذا كان في
آخر التأمين قالوا: اللهم آمين يا رب العالمين، وسلام على المرسلين والحمد
لله رب العالمين.

47- سورة الأنبياء، الآية: 47.

ثم تقرأ **الفاتحة** عدة مرار بما يقتضيه المحل.
وينصرف ذلك الجمع بعد أن يقبل أكثرهم على ذلك الشيخ ويهنوه ويتبركوا به، ويكون له جمال في ذلك المجلس، والله تعالى يجازي كل أحد بنيته، وهو المطلع على ما في طويته ولكل امرئ ما نوى»⁴⁸.
ويختتم المجلس بهذا الدعاء إنشاداً:

يَا ذَا الْعُلَا وَالْجَلَالَ
وَمَنْ قَدْ حُبِّي بِسَنِّي الْخِلَالَ
مُحَمَّدَ الْهَاشِمِيَّ الَّذِي
بِهِ لَا يَخِيبُ لَدَيْكَ السُّؤَالَ
وَأَيُّ الْبُخَارِيِّ مَعَ مُسْلِمٍ
وَكُلُّ أَخَادِيثِ خَيْرِ الرَّجَالِ
وَأَيُّ «الشَّقَا» وَكِتَابِ «الشَّقَا»
وَمَا عُدَّ فِيهِ لَهُ مِنْ خِصَالِ
تَكْرَمَ عَلَيْنَا بِبُرْءِ الشَّقَامِ
وَنَيْلِ الَّذِي نَرْجِي فِي الْمَالِ
وَكُنْ حَضَنًا مِنْ جَمِيعِ الْهُمُومِ
أَيَّا خَيْرِ غَافٍ، وَيَا خَيْرَ وَالِ
وَفَرَجٍ كُرُوبًا لَقَدْ أَثْقَلْتُ
لَنَا الظَّهْرَ يَا مَنْ إِلَيْهِ السُّؤَالَ
فَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَيَا
كَرِيمًا يُجِبُّ الشَّخَا وَالنَّوَالَ
إِلَيْكَ بِسَطْنًا أَكْفَ الرَّجَا
فَرُخْمَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
فَمَا خَابَ عَبْدٌ إِلَيْكَ التَّجَا
وَسَيِّلْنَاهُ سَيِّدُ الْمَرْسَلِينَ⁴⁹

وقد وصف شيخ جامع الأزهر الأستاذ الأكبر حسونة النواوي - رحمه الله - مجلس ختم صحيح البخاري - وذلك عند انتهاء تصحيح النسخة اليونانية وقبل تقديمها للمطبعة الأميرية بولاق لطبعتها⁵⁰ بجامع الأزهر قائلاً: «هذا وقد احتفلنا **بيوم**

⁴⁸- ممّا وصفه ابن أبي دينار في كتابه «المؤنس» حول توصيف عادات مجالس الختم (ص: 288-287).

⁴⁹- الطويلي (أحمد): «رمضان بتونس وفي كتب التراث» (ص: 136-135)، نشر: الشركة التونسية للنشر، ط/الأولى، 2012م.

⁵⁰- وهي من أشهر النسخ المضبوطة والمصححة لصحيح البخاري، طبعت المطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، 1311 هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني.

ختم هذا الكتاب المستطاب في مركز إدارة **الجامع الأزهر** الأنور، فحضر في ذلك اليوم المشهود جمع من أكابر العلماء، وتليت الأدعية الصالحة المقبولة بدوام عرش الخلافة العظمى وتأيد مولانا أمير المؤمنين، وخطب فيها البعض من أكابرهم ببيان فضل هذا العمل وفضل الأمر به والعاملين فيه، واختتمناها بصالح الدعاء لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين، وأمن جميع الحاضرين بقلوب سليمة، وأفئدة مليئة كلها محبة وولاء وصفاء لعرش الخلافة، خلد الله ملك جلاله مولانا أمير المؤمنين فيه على الدوام، آمين. يوم الأحد 20 صفر سنة 1313 هـ، محل الختم. الفقير حسونة النواوي الحنفي، خادم العلم والفقراء بالأزهر».

وذكر صاحب كتابه «تأهب الزاوي الفصيح» صورة حية من صور الحياة الدينية في مدينة القيروان عند ختم «صحيح البخاري» صورة تبدو متميزة عن غيرها من مدن العالم الإسلامي كله. صورة المنادي في الأسواق ينشد ويقول: «أيها الناس ليبلغ الحاضر منكم الغائب، سيكون ختم «صحيح البخاري» غداة كذا أو عشية كذا في موضع كذا...».

ثم قال: «لختم «صحيح البخاري» في بلدنا القيروان شأن عظيم، ومشهد كريم، ومن تعظيمهم إياه وإجلالهم له أن يشتغلوا به عن أهم شيء لديهم، ويغلقوا حوانيتهم.. فيفزع الناس ويتسارعون لذلك وتتسارع النساء والضبيان والخاص والعام... فيقرؤون إما من تبارك أو من المزمّل أو من عمّ إلى آخر سورة من المفصل، ويختمون بأية الكرسي وآخر البقرة.. ويبتدئ الزاوي بما فيه تعظيم لجناح رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض سيره ومعجزاته حتى يحصل لذلك ضجيج يرفع الصوت بالصلاة عليه والتسليم ثم يذكر مواعظ ورقائق ويخوف الناس حتى يبكوا ويندموا على ما فرتوا، وربما حصل للمذنب بسبب ذلك التوبة، ثم يذكر من سعة رحمة الله ما يحب به الله لعباده، ثم يصلي ويسلم ثم يختم بالجامع الصحيح. فربما اشتغلوا بذلك من طلوع الشمس إلى قرب الزوال»⁵¹.

مدة رواية الحديث التي تنتهي بالختم:

أولاً: ما تكون فيه رواية الحديث في سائر أيام السنة وانتهاء الرواية في يوم معلوم من شهر رمضان.

من ذلك مجالس صحيح البخاري للقاضي الحنفي الشيخ حمودة الريكلي التونسي كان يرويها كامل شهور السنة بزاوية في مسجد الولي الصالح الشيخ سيدي معاوية بتونس العاصمة⁵². وقال المؤرخ الشيخ محمد ابن الخوجة في كتابه «معالم

51- ابن أبي دينار (محمد): «تأهب الزاوي الفصيح لفتح الجامع الصحيح» (ص: 37). و«المؤنس في أخبار إفريقية وتونس» (ص: 192).

52- ابن أبي دينار: «المؤنس» (ص: 288-287).

التوحيد»⁵³ إنه كان قائماً بمثل ذلك على الوجه الأتم المرحوم الشيخ مصطفى البارودي الإمام الأول بجامع باردو، فكان يقوم برواية الحديث من صحيح البخاري في مسجد الطراز كل عام إلى أن أدركه الأجل سنة 1322هـ/1904م⁵⁴.

كما كان العلامة الشيخ محمد قويسم (ت1114هـ/1702م) يتصدر للتدريس «صحيح البخاري» رواية ودراية، بأمر من الأمير محمّد باي المرادي (ت1108هـ/1696م) بجامع الإمام محرز بن خلف، على دور السّنة، وعين له مرتباً مؤبداً على ذلك يأخذه مشاهرة⁵⁵. وفي العهد الحديث اشتهر النّسابة شيخ حسن بن يوسف بإلقاء درس في «صحيح البخاري» كامل السّنة بجامع صاحب الطابع بالحلفاوين كل يوم قبل صلاة الصبح إلى أن أدركته المنية سنة 1945م⁵⁶.

ويكون ختم المجالس في ليلة الثامن والعشرين من شهر رمضان بعد ختم القرآن في المساجد.

ثانياً: ما تكون فيه رواية الحديث بطريقة دورية في سائر أيام الأسبوع مدة العام كلّه. ومن هذا القبيل صنع الشيخ المحدث المسند سالم بوحاجب (ت1342هـ/1924م) شيخ إسلام المالكية بتونس، أثناء مباشرته للإمامة والخطبة والرواية بجامع سبحان الله⁵⁷، ثم كتب في ذلك شرحاً جامعاً لجملة أبواب «صحيح الإمام البخاري»⁵⁸، ثم أضاف إليه أختامه الرّمضانية بجامع سبحان الله والمدرسة المنتصرية وهي نحو الستين ختماً جامعة لغير المسائل مع ما فيها من التوفيق بين الشريعة والتّمدن العصري⁵⁹.

ثالثاً: أختام تُقام في رمضان بعد رواية الحديث في خصوص أشهر رجب وشعبان ورمضان.

ذكر العلامة ابن أبي دينار في كتابه «المؤنس» عدة علماء من فضلاء عصره ممّن اشتهروا في دروسهم الحديثية بالرواية والدراية في أشهر رجب، وشعبان، ورمضان، وينهون هذه الدروس بأختام علمية في شهر رمضان المبارك، وقد وصفهم - رحمه الله - بقوله: «هؤلاء بلغوا درجة الرواية للمسند الصحيح، وواظبوا على ختم الحديث رواية ودراية»⁶⁰. ومن هؤلاء: الشيخ أبو العباس أحمد بن محمّد بن

53- خوجة (محمّد): «معالم التوحيد» (ص:218).

54- يوجد منه نسخة بمكتبة المسجد النبوي الشريف تحت رقم: 3/15.

55- خوجة (حسين): «ذيل بشائر أهل الإيمان» (ص:196-195).

56- التارزي (مصطفى كمال): «الأختام الحديثية الرّمضانية في تونس وأختام الكتب» (ص:29-28)، مقال بمجلة الهداية عدد 5/ سنة 22، فيفري 1998م.

57- الخوجة: «معالم التوحيد» (ص:218).

58- ن.م (ص:218).

59- أختام الشيخ سالم بوحاجب في «الموطأ» و«صحيح البخاري» التي ألّفها بالمدرسة المنتصرية وجامع سبحان الله. هي أختام بخط يده يقارب عددها الستين، يوجد منها مجموعة بالمكتبة العاشورية في كراسين: الأول تحت رقم (1328) والثاني تحت رقم (1235).

60- ابن أبي دينار: «المؤنس» (ص:288-287).

أحمد الشريف (ت1055هـ) لازم رواية «صحيح البخاري» على مدار السنوات التي كان يدرس فيها بجامع دار الباشا يبدأ من أوله إلى آخره في مدة الثلاثة أشهر، أي أن يتممه على وفق المراد، فيكون الختم على بابه⁶¹. والشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم فتاة (ت1115هـ) مفتي الديار التونسية سابقاً، له عدة دروس ومجالس أختام ألقاها في الجامع الأعظم جامع الزيتونة على صحيح البخاري⁶².

وفي العصر الحديث واصلت وزارة الشؤون الدينية بتونس على حث الأئمة والمشايخ على رواية صحيح البخاري من مستهل شهر رجب إلى آخر ليالي شهر رمضان المعظم.

رابعاً: رواية الحديث خاصة في شهر رمضان

يتم الختم في يوم معين من شهر رمضان. وكان هذا شأن غالب الجوامع بالبلاد التونسية ومنه الجامع الأحمدى بالمرسى من أحواز تونس. وكان عمل الأئمة في الختم يتمثل في اختيار مواضع من الأبواب والكتب من صحيح البخاري في مواضع تعالج فيه عادة بعض المسائل التشريعية التي لها مساس كبير بالحياة الاجتماعية لسردها قراءة ثم شرح غريب لفظها وبيان فوائدها، ويكون الختم ليلة السابع عشر من شهر رمضان ومن أشهر هذه المجالس مجلس الشيخ كمال التازري بمدينة المرسى بتونس وأخرها ما تم في ليلة 17 رمضان سنة 1417هـ وكان موضوعه «موقف الشريعة من التسعير»⁶³. حتى أصبحت الأختام الرمضانية عبارة عن دراسات وبحوث قيمة تتناول بالدرس شتى المواضيع المتصلة بأمور الدنيا والدين.

طريقة رواية الحديث في مجالس ختم «صحيح البخاري» ومواضيع الأختام:

اعتمد في رواية حديث مجالس الختم على طريقتين في سرد الحديث:

أحدهما: ختم القراءة والسرد: ويقصد بها الرواية المجردة للحديث بنية التبرك، وذلك بتسميع وإملاء أحاديث صحيح البخاري في المساجد والجوامع والزوايا والمدارس من غير شرح لألفاظ الحديث أو لمعانيه، وخاصة في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان وممن اعتنى بهذا النوع الشيخ جعفر الكتاني الذي ختمه ما بين سماع وإسماع بالزاوية الكتانية بفاس أكثر من عشرين مرة، والشيخ عبد الكبير الكتاني الذي ذكر ولده الشيخ عبد الحي الكتاني أنه ختمه خمسين مرة ما بين سماع وإسماع وإقراء، وما ذكره ابن الآبار في تكملة ممن أن ابن عطية ختم البخاري وحده سبعمائة مرة⁶⁴.

61- ينظر ترجمته في: محفوظ (محمد): «تراجم المؤلفين التونسيين» (1/175).

62- ينظر ترجمته في: مخلوف (محمد): «شجرة النور الزكية» (1/463)، و محفوظ (محمد): «تراجم المؤلفين التونسيين» (4/15-16).

63- كذا ذكره الشيخ مصطفى كمال التازري في مقاله «الأختام الحديثية الرمضانية في تونس وأختام الكتب» بمجلة الهداية عدد/6، سنة: 22، أفريل 1998م، (ص: 26).

64- ينظر: مقال للشيخ يوسف الكتاني: «افتتاحيات البخاري وختماته» (ص: 32). ويراجع «فهرس الفهارس» للكتاني 2/335.

وثانيهما: ختم الإقراء والشرح: ويقصد به سرد الحديث ثم شرحه والتعليق عليه وهو ما يسمّى بالدراية. والنوع الثاني: «وهو عبارة عن المجلس الحافل الذي يعقده العالم أو الشيخ، بمناسبة انتهاء دراسته مع طلبته وإقراره للجامع الصحيح، قراءة استيعاب وتمحيص ودراية، ولذلك يتهياً لمجلس الختم ويجتهد في الإعداد له، لما يحاط به من هالة ولما يحضره من علماء وشيوخ، فيكون مناسبة لتبريز المحدث وإظهار علمه وتفننه وإطلاعه، ومثل هذه الختمات العلمية هي التي كتبت ودونت، وبقيت علامة واضحة في تاريخ الفكر المغربي، وشاهداً ودليلاً قوياً على مدى عناية المغاربة وتفانيهم في الاهتمام بالجامع الصحيح»⁶⁵. ونجد من عيون هذه الختمات العلمية المدونة أقدمها وأروعها، ختمة الحافظ السخاوي، وختمة ابن علان، وختمة الشيخ محمد الغرياني، والشيخ عبد القادر الكوهن في القرن قبل الماضي، وختمة الشيخ محمد بن سودة، وختمة الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني، وختمة أحمد السلاوي وغيرها.

ومناسبات الختم: إذا كانت الختمات العلمية لصحيح البخاري، هي المقصود بالذات وهي اللون المسجل والمدون من أنواع الختمات، فإن مناسبات الختم كثير ومتعددة نذكر منها: الختم الذي يحصل بمناسبة قراءة وسرد صحيح البخاري على مدار أيام العام أو في أشهر رجب وشعبان ورمضان، كما كان يختم صحيح البخاري، بمناسبة تدشين المساجد والمدارس العلمية، أو «في خروج الجيش للجهاد وحرب العدو، كما حصل عندما كان الجيش المغربي يستعد بمراكش للخروج لمقابلة البرتغال في معركة وادي المخازن بقيادة السلطان السعدي، كما سجل المؤرخون ذلك وأثبتوه. فعندما عقد المنصور السعدي الراية للجيش في طريقه إلى وادي المخازن وسط جامع المنصور بمراكش، ختم عليها أهل الله حملة القرآن مائة ختمة، وصحيح البخاري، وصحبوا ذلك بالتهليل والتكبير، والصلاة والسلام على البشير النذير، والدعاء بالنصر والتمكين»⁶⁶.

وقد تحدث صاحب كتاب «الاستقصا» عن حضور سلاطين وأمراء الدولة السعدية بالمغرب الأقصى لمجالس الختم بقوله: «وهكذا كانت سيرته - أي: المنصور السعدي سلطان الدولة السعدية - في شهر رمضان عند ختم صحيح البخاري، وذلك لأنه كان إذا دخل رمضان سرد القاضي وأعيان الفقهاء كل يوم سفراً من نسخة البخاري، وهي عندهم مجزأة على خمسة وثلاثين سفراً في كل يوم سفر إلا يوم العيد وتاليه، فإذا كان يوم سابع العيد ختم فيه صحيح البخاري وتهياً له السلطان أحسن تهية، وكانت العادة الجارية عندهم في ذلك، أن القاضي يتولى

65- ينظر: مقال للشيخ يوسف الكتاني: «افتتاحيات البخاري وختماته» (ص:32).

66- ينظر: «نزهة الحادي» للفرنسي (ص:65)، و«المغرب في عهد الدولة السعدية» (ص:105)، و«افتتاحيات البخاري وختماته» (ص:32).

السرد بنفسه فيسرد نحو الورقتين من أول السفر ويتفاوض بعض الحاضرين في النساء، ويلقي من ظهر له بحث أو توجيه ما ظهر له، ولا يزالون في المذاكرة، فإذا تعالى النهار ختم المجلس وذهب القاضي بالسفر فيكمل سرده في بيته، ومن الغد يبتدئ سفره آخرًا، هكذا والسلطان في جميع ذلك جالس قريب من حاشية الحلقة قد عين لجلوسه موضع»⁶⁷.

أما ختمه في الزاوية فالأمر قائم على مثل مواسم المولد النبوي الشريف، حيث تشد إليه الرحال من كل مكان، ويطعم فيه الطعام على طريقة الحاتمية، ويلقي شيخ الزاوية درسًا في نصف يوم كامل يشهده العلماء وطلاب العلم وعامة الناس، ويلوّه إنشاد القصائد في مدح البخاري وكتابه.

ويرمي أصحاب الأختام إلى ما تتوفر أفادته لرغبة الناس في حضورها، فاتجه اختيارهم إلى ما يناسب عصرهم ومجتمعهم، وقد كان هذا من دأب وعمل الشيخ محمد البشير النيفر التونسي الذي عالج مسألة هامة وهي ما ادعاه البعض من كون بعض الأحكام هي محدودة الزمن. وكان شرحه على باب [إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا]⁶⁸، من كتاب التفسير من «صحيح البخاري». وفيه مستفيض في أحكام المواريث وكل ما فضل الله به الرجال على النساء، وما سوى الله فيه المرأة بالرجل في الميراث. وحرر الشيخ أحمد بن الخوجة الحنفي (ت1313هـ) مسألة العمل بخير البرق (التلغراف) لإثبات شهر الصوم ببرقية في هذا الشهر محمد باي المرادي في سنة 1280هـ، لورود خبر الصوم ببرقية في هذا الشهر وجاء في الموضوع بتحقيق بديع. وكان العلامة الواسع الاطلاع الشيخ محمد التجار (ت1331هـ) يتناول في مجالس سرد «صحيح البخاري» مسائل الوسيلة، والاجتهاد، والكسب، وغيرها، مما صار موضوع أخذ ورد بين الكاتبيين منذ عقود من الزمن⁶⁹.

ومن فوائد هذه المواضيع إعطاء صورة عن العلوم المتداولة في عصر المؤلف ومدى العناية بها شرحاً وتدریساً، فمثل هذه الأختام هي شاهد حي على العلوم التي كانت تُدرس والمتون التي تقرأ، فهي تمثل في بعض الأحيان وثيقة تاريخية تبرز مدى ازدهار العلوم وانخراط العلماء في الحياة الاجتماعية ومساهماتهم في حل بعض المشاكل السياسيّة والعلميّة المستجدة.

67- ينظر: «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى» لأحمد السلاوي (5/153-154).

68- سورة الأحزاب، الآية 45.

69- الخوجة (محمد): «معالم التوحيد» (ص:342).

المبحث الرابع: مميزات ومناهج المصنفين في فنّ الأختام الحديثية

(دراسة تطبيقية توثيقية على ختم صحيح البخاري للشيخ النّجّار⁷⁰)

وفي آخر هذه الدراسة نعرض عينة من هذه الأختام القيمة والتي اشتغلنا عليها من جهة ضبط نصها والتعليق عليها دراسةً وتحقيقاً، والذي وضعه مؤلفه تحت عنوان: «**تحرير على كتاب العلم من صحيح البخاري**». لأشهر شخصية في العصر الحديث كانت لها العناية البارزة بالأختام الحديثية مفتي الديار التونسية سابقاً وشيخ فقهاء المالكية بها المحدث الهمام محمد بن عثمان النّجّار التونسي المتوفى سنة 1331هـ/1913م، وقد جرت عادته رحمه الله أن يُصنّف ختوماً على أمهات أحاديث «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم»، بلغت سبعين ختماً، قام بإقراءها وتدريسها بمساجد وجوامع تونس الحاضرة في ليالي شهر رمضان.

(1) **توثيق الكتاب:** تبين لي بعد الدراسة أنّ هذا الختم الحديثي ثابت النسبة للشيخ محمد النّجّار رحمه الله، وذلك لما ورد في طرة الوجه الأول من المخطوط، والذي رُسم عليه اسمه⁷¹. كما نسب هذا الختم الحديثي لصاحبه الشيخ محمد النّجّار، غير واحد ممن ترجم للمصنف، منهم: الشيخ محمد مخلوف في «شجرة النور الزكية» (1/600)، والشيخ محمد السنوسي في «مسامرات الظريف» (1/365)، والشيخ محمد الخضر حسين في كتابه «تونس وجامع الزيتونة» (ص: 97)، وكارل بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (3/177)، والأستاذ محمد محفوظ في «تراجم المؤلفين التونسيين» (5/17)، والأستاذ محمد رضا كحالة في «معجم المؤلفين» (10/287).

(2) **موضوع الكتاب:** أمّا موضوع الكتاب فكما يظهر من عنوانه هو عبارة عن مجلس في ختم حديث كتابه العلم من «صحيح البخاري» بدأ فيه المؤلف بذكر حديث الختم، ثم شرع في بيان الأدلة الدالة على مشروعية كتابة العلم والأدلة الدالة على التّهي عنها، ثمّ تحدّث عن أنواع وتقاسيم العلوم، وأشار إلى ما ينبغي على طالب العلم أن يسلكه في دراسة العلوم، وذكر في مقابل ذلك أساليب التّعليم في صدر الإسلام وما ينبغي أن يُصار إليه من طرق التّعليم، كما تحدّث عن تاريخ الكتابة وتطوّراتها وطرق انتشارها. وقد وقف الشيخ النّجّار في هذا الختم الحديثي على مباحث عقائدية وفقهية عديدة، من ذلك تعرضه إلى مسألة الكسب وخلق أفعال العباد، التي توسع في بسط الأقوال فيها ومناقشتها فجاء بتقييدات وفوائد قل لها نظير حتّى في كتب العقيدة. ومن القضايا الفقهية التي أشار إليها قضية اللّقطة وأحكامها، وقضية القتال في الحرم المكي مدلا كلامه بأقوال السّادة المالكية، وختم الكتاب بذكر قاعدة رفع الحرج.

⁷⁰ ينظر ترجمته في: «شجرة النور الزكية» لمحمد مخلوف (1/599)، «تراجم المؤلفين التونسيين» لمحمد محفوظ (5/16)، «معجم المؤلفين» لمحمد رضا كحالة (10/286)، «الأعلام» للزّركلي (7/146).

⁷¹ ينظر طرة غلاف نسخة مكتبة البنان (ن)، ونسخة جامع الزيتونة (ج).

3) موارده: اعتمد الشيخ محمد النَّجَّار في نقلاته على عدّة كتب، نذكر منها:

كتب العقيدة: «قواعد العقائد» لأبي حامد الغزالي (ت505هـ)، و«المواقف» لعضد الدين الإيجي (ت756هـ)، و«شرح العقائد النَّسَفِيَّة» للتَّفْتَازاني (ت792هـ)، «شرح المواقف» للجرجاني (ت816هـ).

كتب التفسير: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (ت671هـ)، «الجواهر الحسان في تفسير القرآن» لعبد الرحمن الثعالبي (ت876هـ)، «إرشاد العقل السليم» لأبي السعود العمادي (ت982هـ)، و«روح المعاني في تفسير القرآن» لشهاب الدين الألوسي (ت1270هـ).

كتب الحديث: «الكواكب الدراري في شرح البخاري» لمحمد الكرمانی (ت786هـ)، «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن حجر العسقلاني (ت852هـ)، و«عمدة القاري شرح صحيح البخاري» لبدر الدين العيني (ت855هـ)، و«إرشاد الشَّاري لشرح صحيح البخاري» للقسطلاني (ت923هـ).

كتب الفقه والأصول: «شرح الزُّرقاني على مختصر خليل» لعبد الباقي الزُّرقاني (ت1099هـ)، و«جمع الجوامع في أصول الفقه» لتاج الدين السبكي (ت771هـ).

كتب اللغة والبلاغة: «القاموس المحيط» لأبي الطاهر الفيروآبادي (ت817هـ)، و«المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» لأحمد الفيومي (ت770هـ).

أهمّية الكتاب وميّزاته:

انتظم في هذا الختم الحديثي، جملة من الخصال، جعلتها قمّة بالتحقيق والدّراسة والنشر، ولعل أهمّها يتلخص في:

إنّها تمثل نموذجاً طريفاً لتأليف المحدثين التُّونسيّين والمغاربة في فنّ الأختام الحديثيّة، وما وضعوه في هذا الجانب يعتبر عزيزاً، ففي نشر هذه الرّسالة -على صغر حجمها- إضافة لإحدى اللبّات المعرفيّة في هذا الميدان.

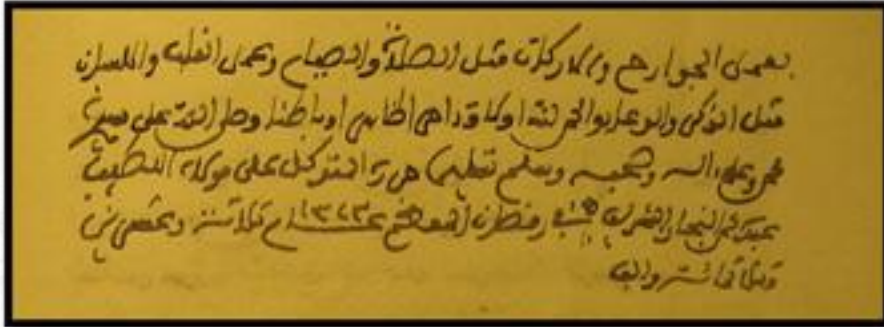
كما يعتبر هذا الختم الحديثي عن تداخل الفنون الإسلاميّة وتكاملها، وهي تُبرِّزُ التّواصل بين علماء المسلمين المشاركة والمغاربة، الفقهاء واللّغويين، والمقرئين والمحدثين، فهذا يبدأ وذاك يتم وهذا يؤلّف وذاك يستخرج، وآخر يوجز وثالث يفصل أو يشرح، دون اعتبار للاختلافات المذهبية، أو للحدود الجغرافية.

ما تميزت به شخصيّة محمد النَّجَّار من عمق في الفهم، واستقلال في النّظر، وسعة حفظ، وسيلان ذهن، فرغم إيجازه الكلام في هذا التّصنيف عمد الشيخ النَّجَّار إلى الوقوف على أهم غريب ألفاظ الحديث توسع في ضبطها وشرحها، وإيراد فقه الإمام مالك بن أنس في مواضع كثيرة.

بهذه الرسالة يتجلى عند هذا العلم تفتنه في ضروب الثقافة الإسلامية، ورسوخ قدمه في جوانب متعدّدة منها، فبالرغم من كونه إماماً في الفقه والأصول، بلّه حامل لواء الفتوى والقضاء في البلاد التونسية، فإنّه قد ضرب بسهم في فنّ الحديث وأصل فيه وفتح وخاض غمار هذا العلم الدقيق. كما يلحظ المطالع في ثنايا هذا الشرح المانع منهجاً علمياً متميزاً، وشرحاً زاخراً بجملة من الفوائد والمسائل والنكات.

وصف نسخته الخطية:

من أهم النسخ الخطية التي اعتمدت عليها في التحقيق نسخة المكتبة الصادقية بجامع الزيتونة المعمور بتونس تحت رقم (10044)⁽⁷²⁾، تقع في (24) لوحة، ومقاسها (17×15سم) ومعدّل الأسطر فيها (22) سطراً. أمّا خطّها فهو مغربي مبسوط مجوهر، يحمل جميع خصائص ذلك الخطّ المميّز عن غيره من الخطوط، وهي من تحرير المؤلف نفسه كما صرح بذلك في آخر المخطوط بقوله «والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لننتهدي لو لا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق. وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً [ل23/أ]. حرره خادم العلم المتوكل على ربه اللطيف عبده محمّد النّجار الشّريف لطف الله به، أمين. في 28 رمضان المعظم عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف 1323هـ، ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين».



وقد عمد المؤلف إلى شكل بعض الكلمات، وإظهار العناوين، وبدايات الجمل الهامة. وكان تاريخ تحرير هذه النسخة في 28 رمضان المعظم (1323هـ)، وبآخر هذه النسخة تقرّيباً للشيخ القاضي حمودة التّاج. وهذه النسخة التي حرّرها الشيخ النّجار تعتبر الإبرازة الثانية على ختم «صحيح البخاري» وقد كتبها بعد سنة من النسخة الأولى وأملاها في جامع حرم بتونس الحاضرة في الليالي الأواخر

72- ضُمّت هذه النسخة إلى دار الكتب الوطنية بتونس ضمن مجموع حديثي تحت رقم (1/7652).

من شهر رمضان سنة (1323هـ)، كما جرت عادة الأختام بتونس، وفي هذا الختم زيادات عن الختم الأول الذي حرره سنة (1321هـ) كما في نسختي دار الكتب الوطنية ومكتبة البناني. وقد أخرجت هذا الكتاب لعالم الطباعة والنشر مع دار المرقاة للدراسات والبحوث بالكويت سنة 1443هـ/2022م، في (232) صفحة.

اللوحة الأولى من نسخة جامع الزيتونة (ج) النسخة المبيضة بخط المؤلف سنة 1323هـ (الإبرازة الأخيرة)



اللوحة الأخيرة من نسخة جامع الزيتونة (ج)



صورة الكتاب المطبوع بدار المرقاة بالكويت ط/أولى 1443هـ



محتوى الختم

حديث الختم

بيان الجمع بين الأدلة الدالة على مشروعية كتابة العلم والأدلة الدالة على النهي عنها

المبحث الأول: الكلام على تراتيب الحديث الشريف وما تضمن من مسائل

المبحث الثاني: ترقى العلوم وبيان الدواعي إلى تأليفها

المبحث الثالث: في تقسيم العلوم

المبحث الرابع: فيما ينبغي أن يسلك في اقتناء العلوم

المبحث الخامس: في التأليف وأقسامها

المبحث السادس: في أساليب التعليم في صدر الإسلام وما ينبغي أن يُصار إليه من طرق التعليم

المبحث السابع: في تاريخ الكتابة وترقياتها وطرق انتشارها

المبحث الثامن: قاعدة رفع الحرج

تقريب الشيخ القاضي حمودة تاج الزيتوني

حديث الختم:

قال الشيخ الإمام، العالم الهمام، الحافظ الحجة، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي في باب كتابة العلم من «صحيحه»:

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ خُزَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ - عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ - بِقَتِيلٍ مِنْهُمْ قَتَلُوهُ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَرِبَ رَاغِلَتَهُ [فَحَطَبَ]، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْقَتْلَ، أَوْ الْفِيلَ - شَكَّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - وَسَلَطَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنُونَ، أَلَا وَإِنَّهَا لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، أَلَا وَإِنَّهَا خَلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، أَلَا وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ، لَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا، وَلَا يُعْصَدُ شَجَرُهَا، وَلَا تُلْتَقَطُ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ، فَمَنْ قَتَلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يُعْقَلَ، وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ أَهْلُ الْقَتِيلِ». فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: أَكْتُبْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «اكْتُبُوا لِأَبِي فَلَانٍ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ: إِلَّا الْإِذْخَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي بُيُوتِنَا وَقُبُورِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1/1]: «إِلَّا الْإِذْخَرَ».

ومن خلال دراسة محتوى هذا الختم تجلت لي خصائص منهج مؤلفه في العناصر التالية:

أ) في الجانب الحديثي: فيما يتعلق بسند الحديث لم يترجم المؤلف لرواة أسناد حديث الختم لعدم الإطالة على السامعين ولشهرتهم. وفيما يتعلق بمتن الحديث يذكر فوائده على شاكلة المباحث والمسائل، وقد يكتفي أحياناً بذكر معني لفظة أو مسألة دون تخصيص مبحث. ويستخرج فوائد الحديث على حسب ألفاظه بالتفصيل والتوسع مثال ذلك:

وقوله: «إِمَّا أَنْ يُعْقَلَ»، أي: يأخذ الدية بأن يمكن منها⁷³.

وقوله: «وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ»، أي: يُمكن من القود فيكون يعقل ويُنقاد متنازعين في أهل القَتِيل، والخاصُّ أن أولياء القَتِيل يَخِرون بين قبض العقل الذي هو الدية إن دفعها الجاني، وبين أن يقادوا بأن يمكنوا من القود من القاتل الذي هو القصاص. بمعنى أن الشارع سوغ لهم أحد الأمرين على البدل، لكن قبض الدية موقوف على رضَى الجاني بدفعها، وليس المراد أن أولياء القَتِيل إذا رضوا الدية يجبر الجاني على دفعها.

وحاصل المسألة أن مشهور مذهبنا معشر المالكية أن ولي القَتِيل له القصاص وله العفو على الدية إن رضَى الجاني بدفعها فإن لم يرض به خير الولي بين أن يقتص، وبين أن يعفو مجاناً.

73- «عمدة القاري» (2/166)، «مصابيح الجامع» للداميني (1/246).

(ب) في الجانب الفقهي: يشير إلى فوائد الحديث وأحكامه الفقهية من ذلك بيانه لقاعدة رفع الحرج في الحديث في قوله: «فقد تقدم لنا أنّ إباحة قطع الأذخر من الحرم مبنية على قاعدة رفع الحرج المشار إليها بقوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج:78]. ومن فروع هاته القاعدة الأخذ بالأخف والترخيص في جواز القصر والجمع والفطر في السفر قال ابن العربي (ت543هـ): «الأمر إذا ضاق اتسع».

قلت: ومن هذا قال فقهاؤنا رضي الله عنهم «إذا حلف بطلاق من يتزوجها من النساء فلا يلزمه الطلاق إذا عمم»، كأن يقول: «كل امرأة أتزوجها فهي طالق»، بل إنّما يلزمه الطلاق إذا أبقى لنفسه كثيراً من النساء، أي: كثيراً في نفسه وإن كان قليلاً بالنسبة إليه؛ كأن أبقى نساء أهل [ل22/ب] مكة أو المدينة بأن أخرجهن من اليمين، فإذا قال: «كل امرأة أتزوجها من غير أهل مكة أو المدينة فهي طالق»، لزمه الطلاق بتزوجها، لأنّه أبقى لنفسه التزوج من مكة أو المدينة مثلاً وهو كثير في نفسه بخلاف القرية الصغيرة، فإنّها ملحقّة بصورة التعميم وبسطه في كتب الفروع⁷⁴.

يقف على حكاية المذاهب والآثار في المسألة النازلة، ففي «معنى قوله: «إلا لمُنْشِدٍ»، أي: مُعَرَّفٍ، قال الشيخ القسطلاني (ت923هـ): «فليس لواجدها غير التعريف ولا يملكها هذا مذهبنا»، يعني: معشر الشافعية⁷⁵، وأمّا مذهبنا معشر المالكية⁷⁶ فلا فرق بين لقطة مكة ولقطة غيرها، في أن لواجدها الحبس بعد التعريف سنة، أو التصديق بها بعدها أو التملك».

(ج) في الجانب اللغوي: يهتمّ الشيخ النجار كثيراً باللغة ومشتقاتها ومعانيها كما له عناية فائقة بالضبط والشكل حتّى كثر ذلك في شرحه مثال ذلك قوله: «إلا الإذْخَرُ»، هو بكسر الهمزة وسكون الدال، وكسر الخاء المعجمتين، وهو نبت معروف طيب الرائحة.

(د) في جوانب مختلفة: ينقل كثيراً عن القسطلاني الذي هو أهم مصادره في الشرح، ويوافقه أحياناً، ويخالفه أحياناً، وقد يذكر كلامه دون موافقة ولا ردّ. كما تتفاوت شروحه من مبحث لآخر من حيث الكمّ، فيطيل في بعض المباحث ويختصر في بعضها الآخر. ويرجع سبب الطول في بعض المباحث (كمبحث قاعدة رفع الحرج) إلى الاستطراد في ذكر المسائل الفقهية أو الأصولية. كما استعان المؤلف ببعض المعارف الإسلامية في الشرح مثل العقيدة والتفسير والقراءات والتاريخ وغيرها إلا أنّه لم يكثر منها في كتابه.

74- ينظر: «شرح مختصر خليل» للخرشي (4/39)، «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (2/374).

75- يراجع: «الحاوي الكبير» للماوري (8/5)، «بحر المذهب» للرواني (7/318).

76- يراجع: «المقدمات الممهّدات» لابن رشد (2/477)، «الذخيرة» للقرافي (9/114).

خاتمة:

توصلت من خلال هذا البحث إلى أهم النتائج والفوائد الآتية:

يظهر جلياً أن كتاب الإمام البخاري كتب الله عز وجل له القبول في الأرض، حتى أضحت خزائن الكتب بشتى أنواعها سواء كانت عامة أو خاصة تتوفر على مجموعة من نسخ هذا الكتاب. ولم تقف هذه العناية عند هذا الحد بل تُرجم إلى لغات عديدة؛ ليتسنى لغير العرب الاطلاع عليه، ووجدت فن مجالس الأختام الحديثة من أهم الفنون الذي خدم ونشر صحيح البخاري في مختلف العصور.

الأختام الحديثة فنٌّ من فنون الحديث ولون طريّف من ألوان التّأليف فيه، يكاد يتميّز به المحدثون على الخصوص، وهو أحدُ علوم الدّراية الخاصّة بالبحث في الحديث من حيث دلالاته على المعنى المفهوم أو المراد منه. فموضوعه هو فقه الحديث باستخراج ما فيه من أحكام وحكم وآداب، وهو الغاية العملية التي تنظافر كلّ العلوم الحديثيّة على تحقيقها.

تُعتبر كتب الختم مرجعاً مهمّاً في دراسة مناهج المصنّفين إذ يتضمن كثير منها خلاصة استقراء تلك المناهج، ولذلك فلا ينبغي إهمال الرجوع إليها لكلّ من رام البحث في تراجم العلماء أو مناهجهم في تصانيفهم أو النّظر في أسانيد الكتب ومعرفة مدى انتشارها واهتمام النّاس بها.

إن الختمات أو الختم من العادات المحمودّة، والسنن الكريمة المعهودة التي سجلها تاريخ الفكر الإسلامي، وعرفت لها مراكز الثقافة بمناسبة انتهاء العالم أو الشيخ من تدريس فن من الفنون، حيث يعقد مجلس حافل يسمى «بيوم الختمة» يكلل به مجالس الشيخ في الفن الذي يدرسه، من نحو أو فقه أو تفسير أو حديث، ويختم فيه الكتاب الذي درسه لطلبته وتلاميذه، بعد أن يستعد لختمته ويجهّد في اختيار موضوعه، مركزاً على علومه ومعارفه، مفرغاً كامل جهده وطاقته، ليكون مبرزاً فيه بسبب حضور علماء البلد وشيوخها معه في ختمته، مما يدفعه لإظهار عبقريته ومقدرته العلمية، وخاصة في موضوع الختم أو الفن المختوم.

من أشهر كتب الختم التي اعتنى بها العلماء في المشرق والمغرب ختم صحيح الإمام البخاري وهو من أول المصنّفات زمنياً من عرف عادة الختم والتي تُوضع برسم الانتهاء من إقراء هذا الكتاب، أو شرح حديث منه والكلام عليه سنّداً ومنتّياً.

أصبحت مجالس ختم صحيح البخاري في مختلف الأمصار والبلدان على شاكلة حفل ولقاء علمي بهيج يجتمع حوله الناس، لسماع محاضرة الخاتم وفيها تتجلى عبقريته ومقدرته العلميّة حيث يملّي إملاءات قد تستغرق ساعات تتضمّن مسحة من الجدّة والإبداع في موضوع أحاديث البخاري، علاوة على الاستطرادات والنّكت الأدبيّة المليحة والتّخرّجات اللّغوية المتينة. هذا دون التوسع الماتع لذكر مناقب صاحب الصحيح الإمام البخاري.

وختامًا رحم الله هذا الإمام وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجعله مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنات الفردوس، وجعلنا من خدام سنة النبي الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم المتبعين لها، الذّايّين عنها، لنجازى بشرية من يد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فلا نظماً بعدها أبداً، ونسأله سبحانه وتعالى مجاورة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم في جنات الفردوس. إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

ثبت الدراسة:

«إظهار بعض نفائس أدخاري لختم أحاديث الإمام البخاري» لأبي القاسم البوني، تحقيق الأستاذ محمد شايب الشريفن نشر دار المقتبس، ط/أولى سنة 2018م.

«الأختام في تونس»: للشيخ محمد الشاذلي النيفر، مجلة الهداية، العدد/1، السنة/12، سبتمبر- أكتوبر 1984م.

«الإمام في ختم سيرة ابن هاشم»: لشمس الدين محمد السخاوي، تحقيق: الحسين بن محمد الحدادي، نشر: دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط/الأولى 1424 هـ - 2003م.

«الانتهاض في ختم الشفا» لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: عبد اللطيف الجيلاني، نشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط/الأولى، 1422هـ.

«الجوهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» لشمس الدين السخاوي، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، نشر: دار ابن حزم- بيروت، ط/الأولى، 1419هـ.

«المحكم والمحيط» لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/2000م.

«المطالع النصري للمطابع المصرية في الأصول الخطية»: لأبي الوفاء نصر الهوريني، تحقيق: طه عبد المقصود، نشر: مكتبة السنة، ط/الأولى، 1426هـ.

«تأهب الراوي الفصيح لفتح الجامع الصحيح»: للهادي بن محمد روشو، نشر: دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس، ط/الأولى 1433هـ-2012م.

«تراجم المؤلفين التونسيين»: لمحمد محفوظ، نشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط/الثانية، 1994م.

«ختم الموطأ رواية يحيى بن يحيى»: لعبد الله بن سالم البصري، تحقيق: يونس المكناسي، نشر: دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط/الأولى 1429 هـ - 2008م.

«ختم جامع الإمام الترمذي»: لعبد الله بن سالم البصري، تحقيق: العربي الفرياطي، نشر: دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط/الأولى 2002م.

«ختم صحيح البخاري»: لمحمد النجار، تحقيق: علي العلايمي، نشر: دار المرقاة، ط/الأولى 2022م.

«شجرة النور الزكية»: لمحمد مخلوف، عبد المجيد خيالي، نشر: دار الكتب العلمية، لبنان، ط/الأولى، 1424 هـ - 2003 م.

«معجم المؤلفين»: لعمر كحالة، نشر: مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي.

العناية بصحيح البخاري في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى من خلال تراجم كتاب «فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور» دراسة تحليلية

إعداد

الدكتور/ محمود شريف محمد نور
المعهد العالي لإعداد المعلمين
جمهورية تشاد



مقدمة

الإطار النظري والمفاهيمي

مشكلة البحث:

عرف عن المغاربة ومن في معانهم من مناطق إفريقيا جنوب الصحراء، اهتمامهم البادي بصحيح مسلم وتقديمه على صحيح البخاري. وفي هذا البحث نتبع مستوى الاهتمام بصحيح البخاري من قبل علماء بلاد التكرور، وحضوره في مناهجهم التعليمية، وإجازاتهم الحديثية، ومؤلفاتهم العلمية حول صحيح البخاري.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

تناول اهتمام علماء التكرور بصحيح البخاري.
إبراز الإسهام الإفريقي في الحفاظ على التراث الحديثي.

منهجية البحث:

اعتمد البحث على المنهج التاريخي، والتحليلي، والمنهج الوصفي، باعتبارها أنسب المناهج لمعالجة هذا الموضوع.

حدود البحث:

الحدود المكانية: بلاد التكرور وما جاورها.
الحدود الموضوعية: العناية بصحيح البخاري في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى من خلال تراجم كتاب «فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور».

هيكل البحث:

تم تقسيم البحث إلى ثلاثة محاور:

- 1- المحور الأول: الإطار النظري والمفاهيمي:
مشكلة البحث، أهدافه، منهجيته، حدوده، هيكل البحث.
مفهوم بلاد التكرور، أصل التسمية، الحدود الجغرافية.
 - 2- المحور الثاني: كتاب فتح الشكور في تاريخ علماء التكرور: تعريف، وعرض:
التعريف بالمؤلف.
عرض لكتاب فتح الشكور، وقيّمته العلمية.
 - 3- المحور الثالث: مظاهر العناية بصحيح البخاري في إفريقيا جنوب الصحراء من خلال تراجم «فتح الشكور»:
التعريف بالإمام البخاري، وكتابه الصحيح.
المغاربة بين صحيحي البخاري ومسلم
صحيح البخاري في المنهج التعليمي في إفريقيا جنوب الصحراء.
طرق التحمل والأداء لصحيح البخاري في إفريقيا جنوب الصحراء.
الدراسات العلمية لعلماء المنطقة حول صحيح البخاري في إفريقيا جنوب الصحراء.
الأثر المعنوي لصحيح البخاري في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.
- الخاتمة:
النتائج.
قائمة المصادر والمراجع.

مفهوم بلاد التكرور، أصل التسمية، الحدود الجغرافية:

مفهوم بلاد التكرور كاصطلاح جغرافي يتنازعه فريقان: أحدهما يرى أن نطاقه الجغرافي واسع ومن هؤلاء الإمام البرتلي الذي عرّف الحدود الجغرافية للمنطقة وذكر ذلك في مقدمة تاريخه بأن إقليم التكرور «إقليم واسع ممتد شرقاً إلى أدغاغ ومغرباً على بحر بني الزناقية وجنوباً إلى بيط وشمالاً إلى آدارار»¹

وهذا التعريف الموسع لنطاق مدلول الجغرافي للتكرور أعطى البرتلي أريحية في زيادة المادة العلمية لتراجمه.

والفريق الآخر يعطي نطاقاً ضيقاً لكلمة تكرور ويبقى محصوراً في جنوب الصحراء الكبرى بين الوسط والجنوبي الغربي دون أن يمتد شمالاً إلى نواحي بلاد شنقيط. ومن هؤلاء محمد بلو حيث ذكر أن بداية بلاد التكرور «من جهة الشرق بلد فور، ويليه من جهة المغرب بلد وّداي وبلد باغرم»²

1- البرتلي: «فتح الشكور»، ص: 26.

2- محمد بلو: «أنفاق الميسور في تاريخ التكرور»، مطبعة يروصكتو، نيجيريا، (بدون تاريخ) ص: 6.

المحور الأول: كتاب فتح الشكور في تاريخ علماء التكرور: تعريف، وعرض

التعريف بالمؤلف:

لا تتوفر الكثير من المعلومات حول سيرة الإمام محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، والمادة العلمية المتاحة في المراجع المطبوعة لا تغطي الكثير من جوانب حياته، وإن كانت المعلومات الموجودة تدل على سيرة علمية، وقامة لها مكانتها في الوسط العلمي في تلك البقاع، وأثرها الممتد من خلال الإنتاج العلمي الذي خلفه.

سأسعى في ترميم سيرة الشيخ من خلال الاعتماد على السيرة المختصر للشيخ البرتلي والتي كتبها تلميذه الشيخ الطالب ابن الصغير البرتلي، واختصرها الشيخ أبوبكر بن أحمد المصطفى في كتابه «منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور»، إضافة إلى مقدمة المحقق محمد إبراهيم الكتاني لكتاب فتح الشكور وقد أثبت ترجمة ابن الصغير بكاملة، وكذلك مقدمة المحقق عبد الودود ولد عبد الله للكتاب.

اسمه ونسبه:

هو محمد بن ابي بكر الصديق بن عبد الله بن محمد بن الطالب أغلى بنان بن إبراهيم بن يحيى بن علي بن إبراهيم بن تقدنض بن علي بن إدريس بن عيسى بن آذغوغ بن رقرق الأنصاري البرتلي³، ولا أدري هل ينسب إلى قبيلة الأنصار أم لا؟ علماً أن هناك الكثير ممن ينسب إلى الأنصار أوسها خزرجها في تلك الأصقاع من غرب إفريقيا وشمالها.

أسرته:

نشأ الإمام البرتلي بمدينة ولاتة حيث أسرته آل الطالب علي بنان البرتليون الذين عرفوا بالعلم والزهد والورع. فأبوه أبوبكر ولد في ولاتة سنة 1112هـ، وبها توفي سنة 1148هـ، بعد أن أخذ عن أشهر علمائها ولا سيما الطالب الأمين بن الحبيب الحرشي، وأبو بكر بن الحاج عيسى الغلاوي. أما جده الأعلى، وباسمه يشتركون (آل الطالب علي بنان)، فقد كان مشهور الولاية والبركة من أكابر الصالحين، يلقبه الناس «صاحب الضالة» لأن من ضلت له ضالة وناداه: يا طالب علي صاحب الضالة» رجعت إليه ضالته سالمة» وقد كان هذا الجد حياً في حدود سنة 1030هـ. وجده لأمه علي بن محمد بن الطالب علي بنان، عم والده، موصوف بالصلاح والسخاء ومعرفة الطب، وقد توفي جده هذا سنة 1152هـ⁴

3- أبو بكر بن أحمد المصطفى: «منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور»، ص: 75.

4- مقدمة تحقيق: «فتح الشكور»، المحقق: عبد الودود ولد عبد الله، دار نجيبويه، القاهرة، ط 2010م، ص: 18 - 19.

مولده:

اتفقت المصادر التي استقيت منها ترجمة البرتلي أنه ولد في العام 1140هـ في مدينة ولاته.

صفاته الخلقية والخلقية:

وصفه تلميذه ابن الصغير البرتلي بالورع والزهد، والاعتكاف على الطاعة، وأنه كان «جميل الخلق، فقد أخذ من خلقه صلى الله عليه وسلم فكان دائم البشر متواصل الأحران، كثير الصمت»⁵

أجمل وصفه صاحب منح الرب الغفور بأنه كان «حسن الخلق والخلق، صوفيا من أولياء الله تعالى الكاملين وعباد الله الصالحين، ذا زهد وورع، ومن زهده أنه لا يدخر لغد... وكان يحب الصالحين وأبناء النبي صلى الله عليه وسلم، وكان إذا أخذ يد أحدهم يقبلها وكان كثير الحياء»⁶

شيوخه:

تلقى الإمام البرتلي علمه من كبار علماء زمانه، وبكر في طلبه، فأخذ عن أكابر شيوخ ولاته مثل الحسن البرتلي، والإمام عمر ممة المحجوبي، وشارك أباه في الأخذ عن الطالب الأمين بن الحبيب الحرشي، وأخذ علم العقائد عن الشيخ أحمد بن عمر الوافي المحضري، وعلوم اللغة عن أبي بكر بن محمد بن عمر البرتلي، وتضلع في كثير من الفنون بالأخذ عن أحمد بن محمد بن موسى الزيدي الذي أجازته في كثير من العلوم كما يظهر من مراجعة أسانيد المؤلف لاسيما في علم الحديث⁷، وقد درس كتاب الرسالة على شيوخه الأمين بن الطالب، وكتاب الخليل على الحسن البرتلي، والنحو على الإمام عمر ممة⁸، وقد درس عليه نظم ألفية بن مالك في النحو⁹

إضافة إلى شيوخه الذين تلقى على أيديهم علم التصوف وأوراده. فقد تلقى الطريقة الشاذلية الناصرية عن الشريف زيدان بن عبد المالك الركاني، وأخذ الطريقة القادرية عن الشيخ علي بن سيد أحمد بن علي الرقادي الكنتي. أما الفقيه محمد بن المختار بن عثمان فقد ذكر أنه من أشياخه دون أن نعرف ما أخذ عنه¹⁰

5- مقدمة تحقيق: «فتح الشكور»، المحقق: محمد إبراهيم الكتاني، دار الرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1981م، ص: 18-21.

6- أبو بكر بن أحمد المصطفى: مصدر سابق، ص: 75-76

7- مقدمة تحقيق: «فتح الشكور»، المحقق: عبد الودود ولد عبد الله، ص: 19-20.

8- أبو بكر بن أحمد المصطفى: مصدر سابق، ص: 75-76.

9- مقدمة تحقيق: «فتح الشكور»، المحقق: محمد إبراهيم الكتاني، ص: 18.

10- مقدمة تحقيق: «فتح الشكور»، المحقق: عبد الودود ولد عبد الله، ص: 18

تلامذته:

لم يُشر الذين ترجموا للبرتلي إلى قائمة تلامذته الذين تلقوا عنه العلم، ولم يذكروا سوى تلميذه الشيخ ابن الطالب الصغير، ولم يُحفظ اسمه إلا لأنه وضع ترجمة موجزة لشيخه، وسبب آخر أشار إليه تلميذه أن شيخه كان «ممن دفن وجوده في أرض الخمول»¹¹ ومن هنا لم يشتهر بين الناس ذكره، لإيثاره البعد عن الأضواء ومواطن الشهرة زهدا وورعا.

وتلميذه ترجم له صاحب منح الرب الغفور في وفيات عام 1232هـ وذكر عنه أنه «كان رحمه الله تعالى شابا تقيا، نشأ في عبادة ربه. كان زاهدا عابدا يقوم الليل كله، ويختتم القرآن كل ليلة. وكان وليا عالما، له كرامات ... وكان ملازما للصلوات الخمس في المسجد. أخذ الفقه والأدب عن شيخه الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، وكان ورعا أديبا لببا عاقلا كيسا فطنا»¹²

مؤلفاته:

من خلال الصفات العلمية التي حلاه بها مترجمو البرتلي، نستشف منها أنه كان عالما موسوعيا استوعب علوم عصره سواء اللغوية والشرعية وعلم التصوف.

فقد وصفه بتلميذه بالإمام المشهور العلامة الحجة الحافظ المطلاع المحقق الكبير الثقة الثبت الفقيه النظار المجتهد المصنف التقي النقي الصالح الزاهد الورع البركة الخاشع الأبواب المفسر المحدث الحافظ المسند ... الأصولي الفروعي الأستاذ المقرئ المجود النحوي اللغوي البياني العروضي المتفنن الصوفي المتخلق ولي الله تعالى العارف به الأوحد الأخذ من كل فن أوفر نصيب، الراتع من كل علم مرعى خصيب، المفتي الشهير ...» وذكر عنه أيضا أن «همته الكتب وكان منظرا لها»¹³، ووصفه أبو بكر المصطفى بـ «العالم الفقيه»¹⁴

ومع أننا ندرك الطابع النمطي في هذا الثناء، إلا أنه يعطي صورة عن مكانة المؤلف عند معاصريه وكبار تلامذته؛ كما أن التمعن في ترتيب الألقاب يظهر أن ابن الطالب الصير يقدم أوصاف الحفظ والتحقيق والتثبت على صفة الفقيه مما يبرز تميز صورة المؤلف من بين علماء عصره بالضبط والتثبت والتحرير؛ وأكد ذلك في إشاداته بما عرف عن المؤلف من إقبال على الكتب مطالعة وتحريرا¹⁵

11- مقدمة تحقيق: «فتح الشكور»، المحقق: محمد إبراهيم الكتاني، ص: 18

12- أبو بكر بن أحمد المصطفى: «منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور»، ص: 94

13- ترجمة الشيخ البرتلي للشيخ ابن الطالب الصغير، مقدمة تحقيق: «فتح الشكور»، المحقق: محمد إبراهيم الكتاني، ص: 17، 19

14- أبو بكر بن أحمد المصطفى: «منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور»، ص: 75.

15- مقدمة تحقيق: «فتح الشكور»، المحقق: عبد الودود ولد عبد الله، ص: 17 - 18.

ومن هنا تنوع الإنتاج العلمي للإمام البرتلي، وكتب في علم مختلف ما يؤكد أحييته لهذا الألقاب العلمية التي خلعتها عليه مترجموه. ويلاحظ إلى جانب تنوع كتاباته غزارتها وإن كان الكثير منها في حكم المفقود الآن. من ذلك:

مفيد الطالبين على أم البراهين (شرح العقيدة الصغرى للسوسى في علم التوحيد)، وله ثلاثة شروح على هذا الكتاب.
شرح على أسماء الله الحسنى.
شرح المقدمة الآجرومية في النحو، وله عليها ثلاثة شروح.
عون رب العالمين على شرح السلم في المنطق للمعلمين والمتعلمين.
شرح قصيدة الشريف حمى الله التيشيتي في التوحيد.
شرح على رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه (اخترته المنية قبل إتمامه)
نسب الشرفاء ذرية مولاي الشريف السجلماسي.
فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور.

وغير ذلك من

علم السر.

فتح الرب الرؤوف في شرح قصيدة معاني الحروف.

علم التاريخ

نظم في نذب السواك

وله أنظام كثيرة، وفوائده وتصانيفه كثيرة، ولا يعرفها إلا من أحاط بكتبه¹⁶

وفاته: توفي رحمه الله يوم الأحد لسبع ليال بقين من ذي الحجة عام تسعة عشر ومائتين وألف (1219هـ)¹⁷، عن تسع وسبعين سنة¹⁸، وأغفلت المصادر ذكر مكان وفاته، وإن كان أغلب الظن أنه توفي مدينته ولاتة.

التعريف بكتاب «فتح الشكور في ذكر أعيان علماء التكرور»:

اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه:

أطبقت المراجع المتاحة التي تناولت سيرة الإمام البرتلي على نسبة الكتاب إليه واتفقوا على عنوانه. فقد أشار إليه تلميذه الطالب ابن الصغير بأن له «تأليف في تراجم علماء التكرور»¹⁹، وذكره صاحب منح الرب الغفور مختصراً بـ «فتح

16- مقدمة تحقيق: «فتح الشكور»، المحقق: محمد إبراهيم الكتاني، ص: 18، أبو بكر بن أحمد المصطفى: «منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور»، ص: 76، مقدمة تحقيق: «فتح الشكور»، المحقق: عبد الودود ولد عبد الله، ص: 20 - 21.

17- مقدمة تحقيق: «فتح الشكور»، المحقق: محمد إبراهيم الكتاني، ص: 22.

18- أبو بكر بن أحمد المصطفى: «منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور»، ص: 76.

19- مقدمة تحقيق: «فتح الشكور»، المحقق: محمد إبراهيم الكتاني، ص: 18.

الشكور...»²⁰، وفي بعض نسخ الكتاب زيدت كلمة على العنوان فصار «فتح الرب الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور»²¹، وكأن الناسخ ذهب خاطره إلى كتاب «منح الرب الغفور» الذي يعتبر تكملة لكتاب البرتلي فأضاف هذه الكلمة. والمؤلف كفانا مؤونة التثبت من عنوان كتابه، فقد ذكر اسم الكتاب كاملاً في مقدمته «... وسميته فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور»²²

موضوعه:

يعد هذا الكتاب تأليفاً تأسيسياً في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية في موريتانيا وما يليها من الصحراء والسودان، فقد استوعب مؤلفه تراث من سبقوه من المؤلفين في علم الطبقات عموماً وطبقات الفقهاء خصوصاً²³ ومحتوى الكتاب ظاهر للقارئ إذ أنه يهتم بتراجم علماء منطقة التكرور موضحاً تراثهم العلمي، ومساهماتهم في الثقافة الإسلامية في تلك البقاع البعيدة عن مراكز الحضارة الإسلامية بسبب الحواجز الجغرافية في غالب الأحيان. وقد أشار المؤلف في مقدمة كتابه إلى موضوع الكتاب: «أردت أن أتى بتاريخ أعيان علماء التكرور لتعرف مراتبهم في الفقه والدين، ... ولم أذكر غير المشاهير من العلماء، لأن الإحاطة متعذرة»²⁴

سبب تأليف الكتاب:

بصفة عامة فإن منطقة إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى تكاد تخلو من كتب التراجم والسير الذاتية، وهذا ما جعل المنطقة لاحقاً مجهولة لدى العلماء والمؤرخين والمهتمين بالثقافة الإسلامية عموماً. وقد تناول هذه الإشكالية محمد بلو حين وضع كتابه «إنفاق الميسور في تاريخ التكرور»، وأبدى إعجابه بالمشاركة واعتنائهم بالتاريخ عكس المغاربة الذين قلت عنايتهم بهذا الفن²⁵. وهذا التقصير من أكبر الأسباب التي حملت البرتلي على تأليف هذا الكتاب. وقد أبان عن ذلك في مقدمة كتابه بأنه رغم كثرة المؤلفات التاريخية «وتعريف العلماء في كل نوع من التاريخ، فمنهم من ألف في رجال مذهبه، ومنهم من ألف في النحاة، وغير ذلك، ورأيتهم لم يذكروا علماء التكرور لبعده المسافة بينهم وبين علمائنا، وكان في تعريفهم صحة ما قالوا أو ضعفه بالإسناد إليهم ... أردت أن أتى بتاريخ أعيان علماء التكرور لتعرف مراتبهم في الفقه والدين ... وربما تركت ذكر

20- أبو بكر بن أحمد المصطفى: «منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور»، ص: 76.

21- مقدمة تحقيق: «فتح الشكور»، المحقق: عبد الودود ولد عبد الله، ص: 28.

22- البرتلي: «فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور»، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1981م، ص: 28.

23- مقدمة تحقيق: «فتح الشكور»، المحقق: عبد الودود ولد عبد الله، ص: 5.

24- البرتلي: «فتح الشكور»، ص: 26.

25- محمد بلو: «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور»، مطبعة يروصكتو، نيجيريا، ص: 5.

من كان مشتهرا منهم لبعده داره مني، أو لعدم معرفتي بأخبارهم، مرتباً لهم على حروف المعجم المغربية، مقدماً عند اتفاق أسمائهم من سبقت وفاته على غيره، وذاكراً فيهم من دخل التكرور من غير أهله، وكان شيخاً لهم مشتهراً رجاء بركته»²⁶

تاريخ التأليف: لم يعرف على وجه التعيين السنة التي بدأ فيها البرتلي تأليف كتابه، إلا أنه انتهى من تصنيفه قبل وفاته بأربع سنوات. فقد استوعب في كتابه تراجم لعلماء عاشوا في هذه المنطقة مدة تقرب من مائة وستين سنة (1056 - 1215هـ)²⁷

قيمه العلمية: لهذا الكتاب أهمية بالغة في تاريخ الثقافة العربية في مكان وزمان معين لا يكاد المختصون يعرفون عنهما إلا قليلاً، وبذلك يسد فراغاً كبيراً في المكتبة العربية، إذ يشتمل على ما يزيد عن مائتي ترجمة لعلماء هذه المنطقة متضمناً في كثير من هذه التراجم تاريخ مولد المترجم، ومكان ولادته وتاريخ وفاته²⁸

ويعتبر هذا الكتاب مقارنة مع من سبقه في هذا المجال تأسيساً جديداً لعلم التراجم في هذه البلاد بوضعه على أسس منهجية تميزه عما اختلط به في التواريخ المتأخرة من إسهاب في ذكر الوقائع وتعداد المناقب، مع استفادته من مناهج هؤلاء المتأخرين في توسيع دائرة أصحاب التراجم تفادياً لما طبع تراجم أحمد بابا من نخبوية أدت إلى إقصاء الكثيرين ممن هم أهل للترجمة. وانفرد مؤلف فتح الشكور بمن سبقوه بالترجمة لطائفة كبيرة من علماء المجال الصحراوي الشنقيطي متتبعا مسارات انتقال المعارف والتقاليد العلمية من المدن الواقعة على خط التقاء المجال الصحراوي بالمجال السوداني²⁹

المحور الثالث: مظاهر العناية بصحيح البخاري في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى

التعريف بالإمام البخاري:

يعتبر الحافظ الخطيب البغدادي من أوائل من ترجموا للإمام البخاري ترجمة مفصلة في تاريخ بغداد، وأغلب من جاء بعده استقى سيرة الإمام منه.

ولا نستطيع أن نتناول في هذه الفقرة تفاصيل حياة الإمام البخاري، ولكن نكتفي بأهم محطات حياته العلمية لتكون دلالة على ما لم نذكره من جوانب حياته الأخرى.

26- المصدر نفسه، ص: 25 - 26.

27- مقدمة تحقيق: «فتح الشكور»، المحقق: عبد الودود ولد عبد الله، ص: 23.

28- مقدمة تحقيق: «فتح الشكور»، المحقق: محمد إبراهيم الكتاني، ص: 5 - 6.

29- مقدمة تحقيق: «فتح الشكور»، المحقق: عبد الودود ولد عبد الله، ص: 10 - 11.

هو الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري، وبردزبه مجوسي مات عليها، والمغيرة بن بردزبه أسلم على يدي يمان البخاري والي بخارى³⁰، وبردزبه هو بالبخرية، وبالعربية الزّراع³¹

والناظر في سيرة الإمام البخاري يخرج بملاحظة عامة وهي أن أسرته كانت تعرف بالدين والورع والعلم. فقد كان أبوه ابو الحسن إسماعيل بن إبراهيم من العلماء الروعين سمع مالك بن أنس، ورأى حماد بن زيد، وصافح ابن المبارك. وحديث عن أبي معاوية وجماعة³²

ولم يكن والده عالما فقط بل عرفه بورعه. فقد ذكر من حضر عند موته أنه قال: لا أعلم في جميع مالي درهما من شبهة³³

وأمه فإن المصادر لم تأت على ذكرها، وإنما وردت في ثانيا سيرة البخاري حين أصيب ابنها العمى فرأت أمه إبراهيم عليه السلام، فقال: يا هذه، قد ردّ الله على ابنك بصره بكثرة بكائك أو دعائك، فأصبح وقد ردّ الله عليه بصره، وخروجها مع ولديها أحمد ومحمد إلى مكة لحج بيت الله الحرام³⁴ ما يدل على صلاحها وعبادتها. وقد ظهر أثر تدين والديه وصلاحهما على حياة ابنهما لاحقا.

ولد الإمام البخاري يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشر ليلة خلت من شهر شوال سنة 194هـ³⁵، وكان أبوه مهتما بضبط تاريخ مولده، فقد وثّق ميلاد ابنه في ورقة كان يحتفظ بها البخاري³⁶، ووُصف بأنه كان نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير³⁷، وكان ماهرا في الرمي والسباق. فقد ذكر عنه أحد مرافقيه أنه كان «يركب إلى الرمي، فما أعلم أنني رأيته في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف، إلا مرتين، وكان لا يُسبق»³⁸

ولعل الإمام البخاري يعاني من مرض في عينيه منذ صغره. فقد أصيب بالعمى في صباه ثم ردّ الله عليه بصره، ولاحقا أصيب ببصره في خراسان فأوصاه رجل أن يحلق رأسه ويغلفه بنبته الخطمي ففعل ذلك فردّ الله عليه بصره³⁹

30- الخطيب البغدادي: «تاريخ بغداد»، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2001م، ص: 322 - 323.

31- المصدر نفسه: 330 / 2.

32- الذهبي: «سير أعلام النبلاء» ج12، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط10، 1994م، ص: 392، السبكي: «طبقات الشافعية الكبرى»، ج2، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ص: 213.

33- السبكي، المصدر السابق: 213 / 2.

34- السبكي: «طبقات الشافعية الكبرى»، 216 / 2.

35- الخطيب البغدادي، مصدر سبق ذكره، 324 / 2.

36- ابن حجر العسقلاني: «هدي الساري»، دار الرسالة العالمية دمشق، ط1، 2013م، ص: 527.

37- الخطيب البغدادي: 324 / 12.

38- السبكي: «طبقات الشافعية الكبرى»، 2/226.

39- الذهبي: 452 / 12.

ورغم أن البخاري نشأ يتيماً إلا أن أنه نشأ في أسرة ميسورة الحال. فقد ورث من أبيه مالا جليلاً، وكان يعطيه مضاربة⁴⁰، وعاش موسعاً عليه في دنياه، فكان يستغل كل شهر 500 درهم، وله قطعة أرض يكرها كل سنة بـ 700 درهم، وكان ينفق في السنة ما بين 4000 درهم إلى 5000 درهم⁴¹

وفارق البخاري بخارى، وله خمس عشرة سنة⁴²، ورحل في طلب العلم إلى سائر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان، والجبال، ومدن العراق كلها، وبالحجاز، والشام، ومصر⁴³، واختلف على الفقهاء بمدينة مرو وهو صبي، ونظر في عامة كتب الرأي، وكتب الحديث عن ألف وثمانين رجلاً⁴⁴

وعده الإمام السبكي من الشافعية وترجم له في طبقاته، لأن البخاري سمع من الزعفراني، وأبي ثور والكرابيسي... وتفقه على الحميدي وكلهم من أصحاب الإمام الشافعي، وروى عن الحسين، وأبي ثور مسائل الشافعي⁴⁵

وألف الإمام البخاري كتباً كثيرة جداً بعضها مفقود حتى الآن. فقد بدأت التأليف في سن مبكرة. ذكر عن نفسه أنه بعد أن أتم حجه مع أخيه وأمه تخلف في الحجاز و«لما طعنت في ثمان عشرة، جعلت اصنف في قضايا الصحابة والتابعين وأقوالهم»، وصنف كتابه «التاريخ» إذ ذاك عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة⁴⁶

وكان إقامته في الحجاز والتي امتدت ست سنوات⁴⁷ مكنته من تأليف كتابه «التاريخ» الذي يعتبر أشهر كتبه بعد الجامع الصحيح.

وقد عدّ ابن حجر العسقلاني للإمام البخاري عشرين كتاباً⁴⁸، وربما يعود هذا العدد من المؤلفات مقارنة بغزارة علمه ما ذكره البخاري عن نفسه أنه صنف جميع كتبه ثلاث مرات⁴⁹ في إشارة على كثرة مراجعته وتمحيصه لكتبه.

بعد تطواف وحياة حافلة بالعلم رجع البخاري إلى بلده ولكنه وجد مضايقة من أميرها خالد بن أحمد، وسببها أن الأمير طلب منه أن يحمل إليه كتاب «الجامع» و«التاريخ» لسمعه منه، فلم يجبه البخاري إلى طلبه صونا لمقام العلم وأهله،

40- ابن حجر، المرجع نفسه، ص: 531.

41- الذهبي: «سير أعلام النبلاء»، 12/ 449 - 450.

42- السبكي، 2: 222.

43- الخطيب البغدادي: 2/ 322.

44- الذهبي، 12/ 395، 401، 416.

45- السبكي: 2/ 214 - 215.

46- الذهبي: 12/ 400.

47- ابن حجر: «هدي الساري»، ص: 502.

48- ابن حجر، ص: 554 - 555.

49- الذهبي: 12/ 403.

وكان فوق هذا ورعا يتجنب السلطان ولا يدخل عليه، فأمر طائفة من أهل بخارى فشغبوا عليه، وتكلموا في مذهبه، وتم نفيه من بخارى⁵⁰؛ انتقل على إثر ذلك إلى خرتنك قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها، وكان له بها أقرباء ينزل عندهم. فما تم الشهر حتى قبضه الله ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت لغرة شهر شوال من سنة ست وخمسين ومئتين. عاش اثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما⁵¹

ومن طريف الصدف في تاريخ ميلاد البخاري ووفاته أنه ولد في شوال وتوفي في الشهر نفسه. ويوم مولده كان يوم الجمعة وهو العيد الأسبوعي، وتوفي في أول أيام عيد الفطر. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

المغاربة بين صحيحي البخاري ومسلم:

اشتهر بين المشتغلين في علم الحديث أن المغاربة – وسكان إفريقيا جنوب الصحراء تبع لهم – لهم مزيدا عناية بصحيح مسلم دون صحيح البخاري. وقد صرح ابن خلدون بذلك في مقدمته «وأما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به وأكثبوا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري من غير الصحيح مما لم يكن على شرطه، وأكثر ما وقع له في التراجع»⁵²

ويعزى هذا التقدير إلى تقديم صحيح مسلم من حيث الصناعة الحديثية لا من حيث الصحة. وقد أكدت النصوص التاريخية أن الاشتغال بالتأليف في صحيح البخاري بالغرب الإسلامي بدأ قبل الاشتغال بالتأليف في صحيح مسلم، فقد ألفت مؤلفات على صحيح البخاري تعود إلى القرن الرابع الهجري، في حين تأخر ذلك بالنسبة لصحيح مسلم إلى منتصف القرن السادس الهجري، ويعتبر أبو الحسن القابسي (ت: 403هـ) أول من أدخل رواية البخاري على القيروان⁵³ وإنما ذكرت هذا لأن العلماء في عموم ما وراء الصحراء الكبرى تتلمذوا على يد المغاربة وإليهم في الغالب تنتهي أسانيدهم، ومنهم أخذوا مناهجهم في الدراسة والتدريس.

صحيح البخاري في المنهج التعليمي في إفريقيا جنوب الصحراء:

يبرز الإمام البرتلي من خلال مؤلفه «فتح الشكور»، كيف أن صحيح البخاري يشكل جزءا أساسيا في المنهج التعليمي لطلبة العلم في هذه المنطقة.

50- الذهبي: 464 / 12 - 465.

51- الخطيب البغدادي: 2 / 232، 324، 457.

52- ابن خلدون: «المقدمة»، دار الفكر، بيروت، ط 2001م، ص: 560.

53- خولة كردى: «جهود علماء شمال إفريقيا في العناية بكتاب صحيح البخاري شرحا وتدريسا»، // afrikatrends.com/https

ويعتبر والد الإمام أحمد بابا أقدم النماذج التي أوردها البرتلي في عناية الأفارقة بصحيح البخاري وأهميته في مناهجهم التعليمية. فقد ذكر عن الحاج أحمد بن أحمد الفقيه العالم (ت: 991هـ) أنه أسمع الصحيحين نيفا وعشرين سنة، وأخذ عنه جماعة⁵⁴

وفي معرض تعداد المقررات الدراسية للإمام أحمد بابا التنبكتي (ت: 1036هـ) ذكر أنه قرأ صحيح البخاري إلى النصف منه، كما أن البخاري مع مختصره من الكتب التي قام بتدريسها لاحقا في مراکش. فقد جلس بجامع الشرفاء وقرأ عليه صحيح البخاري ومختصره سماعا وإسماعا⁵⁵

وإلى جانب دراستهم لصحيح البخاري قراءة وشرحا وفهما، فقد ترقّت همم بعض الطلبة إلى أبعد من ذلك بحفظه واستحضار متونه وأسانيده. فقد أورد البرتلي عن الشيخ الفقيه الطالب البشير بن الحاج الهادي (ت: 1197هـ) أنه «كان يحفظ ثلاثة أرباع من صحيح البخاري»⁵⁶ وهذا يعني أنه يحفظ 5672 حديثا من صحيح البخاري إذا أخذنا بعين الاعتبار الأحاديث المكررة فيه.

كما أورد البرتلي بعض النماذج عن العلماء الذين عرفوا بتدريس البخاري وإتقان مباحثه. فقد كان الشيخ سيدي مالك بن الحاج الغلاوي (ت: 1201هـ) مبرزا في ذلك مطلعا على مباحث الصحيح⁵⁷

إضافة إلى العينات التي ذكرها خلال تراجم الكتاب مثل الشيخ الوافي بن طالب بن الغلاوي⁵⁸، والشيخ سيدي عبد الله بن محمد بن الفقيه العلوي (ت: 1143هـ)⁵⁹، وسيدي أحمد بن آك السوفي⁶⁰

طرق التحمل والأداء لصحيح البخاري في إفريقيا جنوب الصحراء:

من الجوانب التي تكشف جوانب اهتمام علماء التكرور بصحيح البخاري حرصهم على الحصول على إجازة من شيوخهم حال انتهائهم من دراسة البخاري لينتظموا في سلسلة السند الموصول إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويناولوا شرف ذلك.

وقد أورد البرتلي العديد من النماذج الدالة على هذا الاهتمام.

من ذلك إجازة سيدي مالك بن المختار الغلاوي الأحمدي صحيح البخاري لتلميذه الشيخ عبد الله بن الفقيه الغلاوي الأحمدي. وصورته:

54- البرتلي: «فتح الشكور»، ص: 30.

55- البرتلي، المصدر نفسه، ص: 32 - 34.

56- البرتلي، ص: 79.

57- البرتلي، ص: 147.

58- البرتلي، ص: 216.

59- البرتلي، ص: 164.

60- البرتلي، ص: 50.

« وبعد، فقد أجزت الفقيه السيد عبد الله ابن شيخنا الفقيه أحمد بن الحاج حمي الله كتاب صحيح البخاري وكتاب الشفا للقاضي عياض، كما أجازنيهما شيخنا الفقيه أحمد بن الفقيه خليفة بن الطالب أحمد أكد الحاج العلوي الشنقيطي رحمهم تعالى بإجازة عن أبيه عن شيخه شيخ الشيوخ، وفقه أهل الرسوخ، سيدي محمد بن المختار بن الأعمش العلوي رحمهم الله تعالى، قال: وقد أجزت عبد الله المذكور ما أخذ عني وما لم يأخذ من غير الكتابين المذكورين، لما ظهر فيه من أهلية الإجازة معتمدا في ذلك على ما نص عليه العلماء، لأن من علم فيه أهليته الإجازة وجب إعطاؤها له وحرم منعها»⁶¹

ونموذج آخر للإجازة صحيح ما أجاز الإمام ابن الأعمش العلوي لتلميذه محمد بن الحاج عثمان الجماني. وصورته:

« وأجزت له، كما اراد وفقه الله لمرضاته وبشرط الطاعة، أن يروي عني صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى، وقد رويته بأسانيد متعددة، أعلاها إجازتي من الشيخ الإمام الشيخ المحقق المجاور أبي إسحاق إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي الكوراني الشهرزوري نفعنا الله تعالى ببركته. قال ومن خطه نقلت، قال حدثنا شيخنا الإمام صفي الدين أحمد بن محمد بن علي الشناوي، قدس الله تعالى سره، عن القطب محمد بن العلاء أحمد النهروالي ثم المكي، عن والده العلاء أحمد بن محمد، عن زين الحفاز أبي الفتوح أحمد بن عبد الله الطاوسي، عن المعمر أبي يوسف الهروي المشهور بسيف دسالة عن المعمر أبي عبد الرحمن محمد بن شاذنجت الفرغاني، عن المعمر أبي لقمان يحيى بن عمار الختلان، عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري عن الإمام الحجة أمير المؤمنين محمد بن إسماعيل البخاري رحمهم الله تعالى، قال الشيخ أبو إسحاق المذكور رحمه الله تعالى: فتقع لنا ثلاثيات البخاري وهي أعلى ما فيه بثلاثة عشر واسطة بيننا وبين النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا أعلى ما يؤخذ في زماننا لأمثالنا، والحمد لله⁶²

ومن النماذج إجازة القاضي عبد الرحمن بن ميغا التنبكتي للفقيه عمر الوالي الولاتي المحجوبي عن شيخه ابن ميغا عن القاضي أحمد بن أندغ محمد بن أحمد بن أحمد رحمه الله تعالى عن شيخ الجماعة أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بغيج الونكري عن الفقيه أندغ محمد بن الفقيه محمد بن أحمد الأثري التازختي عن شيخ الإسلام قاضي الجماعة جمال الدين أبي الفتح إبراهيم بن علاء الدين أبي الفضل القرشي القلقشندي عن الحافظ الإمام أحمد بن علي بن حجر عن أبي علي محمد بن أحمد بن عبد العزيز المهدوي إذنا مشافهة عن الإمام

61- البرتلي: «فتح الشكور»، ص: 171

62- البرتلي، ص: 116 - 117.

يحيى بن محمد بن سعد عن جعفر بن علي الهمداني عن عبد الله بن عبد الرحمن الديباجي إجازة عن عبد الله بن محمد بن علي الباهلي عن الحافظ أبي علي الحسن بن محمد الجيلاني الغساني عن أبي عمر أحمد بن يحيى الحذاء سمعا، وأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر إجازة. قال أنبأنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن أسد الجهيني عن أبي علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفريزي قال أنبأنا مؤلفه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي رحمه الله تعالى ونفعنا به أمين»⁶³ وهذا إسناد نازل جدا. وهذا سمة أكثر أسانيد هذه الناحية وعموم المغاربة مقارنة مع أسانيد المشاركة وعلوها وجودتها.

واهتم علماء التكرور برواية صحيح البخاري بمختلف أسانيده إلى الفريزي راوية البخاري. وقد ذكر البرتلي في ترجمة الشيخ الطالب سيدي أحمد بن البشير الكلسوكي أنه أخذ عن شيخه القاضي سيدي الوافي بن طالبين روايات البخاري⁶⁴ وأكثر الإجازات التي أوردها البرتلي لصحيح البخاري دقة وضبطا لصيغ الأداء والتحمل ما ذكره في ترجمة الإمام عمر بن ميم بن محمد الولائي حيث أجازته شيخه العالم سيدي أحمد بن سيدي محمد الزيدي:

«أجزته أن يروي عني مجموع صحيح البخاري المسند المختصر من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم المبين لأفعاله وأقواله وسننه وأيامه، بحق روايتي عن شيخنا العلامة المحدث الفقيه الصالح السيد محمد بن محمد بن بغيغ الونكري التنبكتي لصحيح البخاري قراءة مني لأوله وإجازة لباقيه، سنة ست وثلاثين بعد المائة والألف، كما أخبره به السيد والده الفقيه الإمام محمد بغيغ قائلاً: أخبرني بذلك شيخنا ووالدنا الفقيه الهمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحاج لطف الله بهم أمين قائلاً: أجزت له أن يروي عني بحق روايتي له عن شيخنا الفقيه محمد صالح بن أبي بكر قراءة قال أخبرني به شيخنا أبو العباس أحمد بن الفقيه الأمين بن أبي بكر سمعا عن والده الفقيه المذكور قال أخبرني به شيخنا الإمام العلامة جلال السيوطي إجازة قال أخبرني بجميع صحيح البخاري الشيخان المسندان جلال الدين القمصي ومحب الدين الحلبي بقراءتي على الأول من أوله على كتاب البيوع، وعلى الثاني من كتاب البيوع إلى آخر الصحيح. قال أخبرنا به أبو الحسين بن أبي المجد الدمشقي قال أخبرتنا به وزيرة ابنة أسعد التنوخي قالت أخبرنا أبو عبيد الله الزبيدي قال أخبرني به أبو الوقت السجزي قال أخبرنا به أبو الحسن الداودي قال أخبرنا به أبو محمد السرخسي قال أخبرنا به أبو عبد الله الفريزي قال حدثنا البخاري»⁶⁵

63- البرتلي، ص: 180 - 181.

64- البرتلي، ص: 54.

65- البرتلي، ص: 187 - 188.

الدراسات العلمية لعلماء المنطقة حول صحيح البخاري في إفريقيا جنوب الصحراء:

على قلة الأعمال العلمية التي كتبها علماء هذه المنطقة حول صحيح البخاري، إلا أن هذا الانتاج يشير إلى الأهمية التي يوليها علماء المنطقة لهذا الكتاب، وتنوع الدراسات التي قدّمها علماء المنطقة حول صحيح البخاري.

وقد أورد البرتلي بعضاً من تلك المؤلفات وهي:

- «غرة الصباح في اصطلاح البخاري»: للإمام عبد الله الحاج بن إبراهيم العلوي⁶⁶ وقد ذكره البرتلي مختصراً. والاسم الكامل للكتاب هو: «غرة الصباح فيما يلزم لطالب معرفة صحيح البخاري من الاصطلاح»، وهو عبارة عن منظومة تقع في 227 بيتاً تناول فيه شروط البخاري، وترجيحه على صحيح مسلم وموطأ مالك، إضافة إلى بعض المسائل في صحيح البخاري مثل تقطيعه الحديث والحكمة من تكراره، وبيان المختلف والمؤتلف ورتبه على حروف المعجم واستغرق معظم أبيات المنظومة⁶⁷

وإذا كان صاحب غرة الصباح أورد ضمن مباحث منظومته المؤلف والمختلف من رجال البخاري، فإن الشيخ الحاج الحسن آغيد أفرد لهذا المبحث كتاباً مستقلاً مضيفاً إليه رجال صحيح مسلم وسماه:

- «ضبط المشتبه من رجال الصحيحين»، ووصفه البرتلي بأنه نظم مفيد في بابه⁶⁸، وهو الآخر عبارة عن منظومة ليسهل حفظها على الطلبة والمشتغلين في علم الحديث، وتشتمل على 137 بيتاً من البحر الرجز، ولم يضع لها المؤلف اسماً معيناً، وإنما اكتفى بذكر موضوعها، ولهذا اختلفت تسميتها عند المؤرخين. وهي موزعة على خمسة وثلاثين فصلاً، تراوح عدد أبياتها ما بين بيت إلى عشرة أبيات في الفصل الواحد⁶⁹

ولعل هناك مؤلفات أخرى لعلماء التكرور حول صحيح البخاري لم يذكرها البرتلي في تاريخه.

- «تعليق على البخاري» للشيخ عبد الله بن الفقيه الطالب الغلاوي الأحمدى⁷⁰، لم أقف عليه ولعله شرح لأحاديث البخاري.

66- البرتلي، ص: 174

67- عبد الله الحاج العلوي: «غرة الصباح»، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط 1349هـ.

68- البرتلي، ص: 88.

69- الحاج الحسن آغيد: «منظومة في ضبط المشتبه من رجال الصحيحين»، ت: آية وليد توفيق وآخرون، مجلة جامعة الشارقة، العدد 4، ديسمبر 2022م.

70- البرتلي: «فتح الشكوك»، ص: 171.

الأثر المعنوي لصحيح البخاري في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى:

عُرف صحيح البخاري ببركته منذ وقت بعيد. وقد ذكر السبكي في طبقاته أن صحيح البخاري «كونه ملجأً للمعضلات، ومجرباً لقضاء الحوائج فأمر مشهور»⁷¹

وأصبح قراءة صحيح البخاري المتضمن لكلام سيد المرسلين تقليداً دينياً للعلماء في عموم بلاد المسلمين للحصول على البركة وجلب الخير.

وقد أورد البرتلي في «فتح الشكور» نماذج عديدة تدل على أن علماء التكرور كانوا يلازمون قراءة البخاري في المسجد ابتداء من شهر رجب ويستمرّون في القراءة شهري شعبان ورمضان من كل عام، وكان العلماء التكروريون يحرصون على حضور هذه المجالس وذكر البرتلي في ترجمة الشيخ عبد الله وناس أنه لم يكن «تفوته مجلس البخاري في المسجد أبداً»، وأسمع الحاج أحمد التنبكتي الصحيحين في هذه الشهور الثلاثة عشرين سنة⁷²

بل تحوّل من يتولى قراءة البخاري في هذه المجالس إلى وظيفة رسمية كالإمامة والخطابة. فقد أورد البرتلي عن الشيخ عمر بابا الولاتي أنه ولي الصلاة وخطبة الجمعة وقراءة الحديث «فهو الذي يقرأ الحديث صحيح البخاري وغيره في المسجد»⁷³، كما تولّاها الإمام عمر مـ بن محمد الولاتي الأحمدي فقد «جمع الإمامة وقراءة الحديث والتعليم للعربية، ومكث في الإمامة أربعين سنة»⁷⁴

الخاتمة

بحمد الله بعد الانتهاء من هذه الدراسة توصلت إلى عدة نتائج أهمها:

اهتمام علماء منطقة التكرور بصحيح البخاري، على عكس الاعتقاد السائد بأن علماء المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء يفضلون صحيح مسلم.

حظي صحيح البخاري باهتمام كبير في المناهج التعليمية، والإجازات الحديثية والمؤلفات العلمية لعلماء المنطقة.

دور علماء منطقة التكرور في نقل صحيح البخاري عبر الأسانيد المتصلة، مع حرصهم على تدريسه وتأليف الشروح والمنظومات لضبط رجاله وفهم مباحثه.

71- السبكي: «طبقات الشافعية الكبرى»، 2/ 234.

72- البرتلي: «فتح الشكور»، ص: 30، 148، 157.

73- البرتلي، ص: 183.

74- البرتلي، ص: 187.

بروز مؤلفات متنوعة لعلماء المنطقة حول صحيح البخاري، مثل شرح الأحاديث، وضبط المشتبه في الأسماء، وتحليل شروط البخاري، مما يدل على مزيد اهتمام بالبخاري في هذه المنطقة.

الأثر الروحي لصحيح البخاري والذي تجلّى من خلال الممارسات الدينية، مثل قراءته في المساجد خلال أشهر: رجب، شعبان، رمضان، واعتباره مصدرا للبركة وقضاء الحوائج.

قائمة المصادر والمراجع

محمد بلو: «أنفاق الميسور في تاريخ التكرور»، مطبعة يروصكتو، نيجيريا، (بدون تاريخ)

البرتلي: «فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور»،

أبو بكر بن أحمد المصطفى: «منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور»، ت: د. محمد الأمين بن حمادي، إصدارات المدرسة العليا للمعلمين، ليون، ط 2010م.

الحافظ الذهبي: «سير أعلام النبلاء»، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 10، 1994م.

الخطيب البغدادي: «تاريخ بغداد»، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 2001م.

السبكي: «طبقات الشافعية الكبرى»، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (بدون تاريخ).

عبد الله الحاج العلوي: «غرة الصباح»، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط 1349هـ.

الحاج الحسن أغيد: «منظومة في ضبط المشتبه من رجال الصحيحين»، ت: آية وليد توفيق وآخرون، مجلة جامعة الشارقة، العدد 4، ديسمبر 2022م.

ابن خلدون: «المقدمة»، دار الفكر، بيروت، ط 2001م.

خولة كردي: «جهود علماء شمال إفريقيا في العناية بكتاب صحيح البخاري شرحا وتدريسا»، المنصة الإفريقية، <https://afrikatrends.com>

ابن حجر العسقلاني: «هدي الساري»، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط 1، 2013م.

مظاهر العناية بصحيح الإمام البخاري في ليبيا (دراسة بليوغرافية تاريخية)

إعداد

د. عبد الحميد محمد العزابي

مدير مكتب الجودة،

وأستاذ مادة الحديث بكلية الدعوة الإسلامية بطرابلس الغرب



المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد.

فإن صحيح الإمام البخاري يعد من أعظم الكتب التي حفظت سنة النبي ﷺ، وقد حظي باهتمام بالغ من قبل العلماء والمحدثين عبر العصور. ولا تزال فوائده وآثاره متجددة، مما يستوجب رد هذا الدين، كما أشار إلى ذلك ابن خلدون،¹ ولئن كان الحافظ ابن حجر قد رد هذا الدين كما ذكر السخاوي،² وأشار إليه الشوكاني،³ إلا أن تجدد آثار هذا الدِّين على مر العصور، يستوجب تجديد الوفاء به، وهو من حسن القضاء. وتأتي هذه الدراسة المعنونة بـ: **مظاهر العناية بصحيح الإمام البخاري في ليبيا (دراسة بليوغرافية تاريخية)**، لتساهم في الوفاء بهذا السفر الأصيل بإبراز مظاهر الاهتمام بصحيح الإمام البخاري في ليبيا، وذلك من خلال رصد الأعمال العلمية، والمخطوطات - المؤلفات والمنسوخة في ليبيا- والدراسات الأكاديمية التي اهتمت بهذا الكتاب العظيم.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وسبعة مطالب، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

أما المقدمة، فتضمنت هدف البحث، ومنهجه، وحدوده. وفي التمهيد تم بيان تاريخ دخول صحيح البخاري إلى ليبيا. وأما المطالب السبعة، فقد تناولت بالتفصيل: رواة

1- انظر: تاريخ ابن خلدون (1/560)، وعبارته: "ولقد سمعت كثيراً من شيوخنا رحمهم الله يقولون: شرح كتاب البخاري دين على الأمة يعنيون أن أحداً من علماء الأمة لم يوف ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار" يقصد النظر في تراجم الأبواب.

2- انظر: التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي (ص 231)، وعبارته: «ولو وقف عليه ابن خلدون- أي شرح ابن حجر- القائل بأن شرح البخاري إلى الآن دين على هذه الأمة؛ لقرت عينه بالوفاء والاستيفاء».

3- بقوله: «لا هجرة بعد الفتح». انظر: الحطة في ذكر الصحاح الستة لصديق حسن خان (ص 71).

صحيح البخاري، ومخطوطات صحيح البخاري وشروحه في ليبيا، ومخطوطات صحيح البخاري وشروحه خارج الدولة الليبية، والنسخ والمؤلفات المفقودة، ثم المؤتمرات، والأعمال العلمية المعاصرة (الأكاديمية وغيرها)، والبحوث العلمية المنشورة في المجلات الليبية، ثم خُتم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

الهدف من البحث:

يهدف البحث إلى كشف مظاهر العناية بصحيح الإمام البخاري في ليبيا عبر العصور، من خلال جمع وتبويب الأعمال العلمية، والمخطوطات المنسوخة، والدراسات الأكاديمية التي أنتجها العلماء والباحثون الليبيون حول صحيح الإمام البخاري، وتقييم أثرها في الحفاظ على هذا الكتاب العظيم ونشر علومه.

وبهذا، يُسهم البحث في استكمال الصورة المشرقة التي قدّمها المسلمون في شمال إفريقيا في خدمة صحيح البخاري. فقد كشفت الدراسات السابقة عن الجهود الكبيرة التي بذلها علماء مصر وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا في العناية بهذا الصحيح⁴، إلا أن الجانب الليبي لم يحظَ بالاهتمام الكافي في الكتابات الأكاديمية وغيرها. ومن هنا، تأتي هذه الدراسة كمحاولة لسد هذه الفجوة، وإكمال المشهد العام لعناية شمال إفريقيا بصحيح البخاري، مع اعترافي بعدم تغطية جميع الجوانب والمظاهر في هذه الدراسة؛ نظراً لملاءمتها لشروط للمؤتمر، إلا أنني قدمت أهم المظاهر وأكثرها دلالة على العناية مع بذل الجهد في استقصاء جميع الأعمال المتعلقة بالمظاهر المختارة. وقد أثرت ترك بعض الجوانب الأخرى لفرص بحثية قادمة. فما لا يدرك كله لا يترك جله.

منهج البحث: اعتمد البحث على المنهج الببليوغرافي التاريخي، من خلال:

تتبع المصادر التراثية: مثل فهارس المخطوطات الليبية، وكتب التراجم والتواريخ الليبية وغيرها.

تحليل الأعمال الأكاديمية: بالاطلاع على قواعد بيانات الجامعات الليبية وغيرها؛ للوقوف على الرسائل العلمية والأبحاث التي تناولت صحيح البخاري من جميع الجوانب.

رصد الممارسات العلمية: مثل المؤلفات المعاصرة، والمؤتمرات المخصصة لدراسة صحيح البخاري.

4- انظر: مدرسة الإمام البخاري في مصر لأحمد إبراهيم أحمد، ومدرسة الحديث في القيروان (ص276)، للدكتور: حسين شواط، والإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي للدكتور: عبد العزيز دخان (ص18)، ومدرسة الإمام البخاري في المغرب، للدكتور يوسف الكتاني، وجهود علماء بلاد شنقيط حول الموطأ والصحيحين (رسالة دكتوراه)، للدكتور: سيدي محمد ولد الشيخ مقدمة في دار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا بالرباط سنة 2013م.

حدود البحث:

المظاهر: نظراً لتعدد وتنوع مظاهر العناية بصحيح البخاري التي يصعب تغطيتها جميعاً في بحث مقيد كهذا، كان لا بد من اختيار أهمها، وتكمن هذه الأهمية في قوة دلالاتها على العناية، وعمق تأثيرها، واستمرار أثرها، فاقترنت على غالب المظاهر العلمية: رواة البخاري، ومخطوطات صحيح البخاري وشروحه،⁵ والمؤلفات المعاصرة والدراسات الأكاديمية، والمؤتمرات.⁶

ليبيا: يُقصد بها في هذا البحث الرقعة الجغرافية الواقعة بين دولتي مصر وتونس، وفق حدودها السياسية الحالية.

تمهيد:

قبل الحديث عن مظاهر العناية بصحيح البخاري، يستحسن بيان متى دخل هذا الكتاب إلى ليبيا؟

ومع البحث، لم أتمكن من الوقوف على من بين تاريخ دخول صحيح البخاري إلى ليبيا، إلا أنه يمكن تحديد دخوله بناءً على ما توفر لدينا من تراجم الأعلام في تلك الحقبة التاريخية.

ولما كانت ليبيا متباعدة الأطراف شرقاً - إقليم برقة - وغرباً - إقليم طرابلس -، يُستبعد أن يكون تاريخ دخول الصحيح إلى الإقليمين واحداً، لذلك، سأحاول تقريب تاريخ دخوله لكل إقليم على حدة، مبتدئاً بالإقليم الشرقي المتاخم لمصر. فقد ذكرت المصادر أن أول من أدخل صحيح البخاري إلى مصر، وحدث به عن محمد بن يوسف الفربري (ت 320هـ) هو الإمام ابن السكن، سعيد بن عثمان بن سعيد المصري البغدادي (ت 353هـ)، كما قال الذهبي⁷، ولم تذكر المصادر تاريخاً محدداً لدخول الصحيح إلى مصر، إلا أنني وجدت أن أقدم شيوخ ابن السكن الذين سمع منهم في مصر هما المحدث محمد بن محمد النفاح الباهلي البغدادي نزيل مصر المتوفى سنة (314هـ)، والمحدث أبو الحسن علي بن أحمد ابن علان المصري (ت 317هـ)⁸، وبناءً على ذلك، يكون تاريخ دخول الصحيح إلى مصر سنة (314هـ) على

5- شاركُ سابقاً في مؤتمر حول صحيح البخاري ببحث تناول مخطوطات صحيح البخاري وشروحه في المكتبات الليبية بشكل عام. ولذلك، لن أذكر في هذا البحث إلا ما مؤلفه لبيباً، أو تم نسخه في ليبيا، تجنباً للتكرار، ولأن ذلك أدل على المقصود بإظهار العناية الليبية بصحيح البخاري.

6- من المظاهر العلمية التي لم يتسع المقام لذكرها في هذا البحث: عقد مجالس الإقراء والشرح، والاعتناء بالإجازات والأسانيد. وأما المظاهر الأخرى، كالمظاهر الاجتماعية والثقافية، فهي أيضاً توضح وتؤكد العناية الليبية بصحيح البخاري يحسن جمعها ودراستها، مثل مجالس قراءة الصحيح وختمه في شهر رمضان، والتسمية باسم البخاري، خاصة في مدينة غدامس.

7- انظر: سير أعلام النبلاء (16/117)، وانظر: مدرسة الإمام البخاري في مصر لأحمد إبراهيم أحمد (ص 80).

8- انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (21/218)، والسير للذهبي (14/295).

أقصى تقدير، إذ لم تذكر المصادر خروج ابن السكن من مصر مرة أخرى، بل نصت على أن نزوله مصر كان بعد ترحاله، وعليه يكون دخوله ليبيا من ناحية المشرق قريباً من التاريخ المذكور، نظراً لوجود صلات علمية في تلك الرقعة الجغرافية.

أما إقليم طرابلس فيمكن تقريب الفترة الزمنية لدخول صحيح البخاري إليها بالنظر إلى تاريخ دخوله تونس والقيروان وذلك في حدود سنة (357هـ) بناء على تاريخ رجوع الإمام القابسي من رحلته المشرقية حاملاً معه رواية البخاري.⁹ فهو أول من أدخل الصحيح إلى بلاد إفريقية كما نص على ذلك مخلوف وغيره¹⁰.

وقد سمع القابسي من أبي الحسن علي بن أحمد بن زكريا بن الخصيب - صاحب السماع والسند العالي - المعروف بابن زكرون الطرابلسي (ت370هـ)¹¹ عند مروره بطرابلس في طريقه إلى المشرق سنة (352هـ)¹²، ولم تذكر المصادر هل التقى بشيخه عند رجوعه من رحلته أم لا؟ إلا أن ما يؤكد وجود صحيح البخاري في طرابلس في تلك الفترة هو شرح الإمام الداودي الطرابلسي (ت402هـ)، على صحيح البخاري، والذي يعتبر أقدم شرح مغربي - على صحيح البخاري - إن لم يكن أقدمها إطلاقاً.

على أنني لا أستبعد دخول صحيح البخاري إلى ليبيا قبل هذا التاريخ إذا أخذنا في الاعتبار نقطتين:

الأولى: تاريخ دخول الصحيح إلى مصر سنة (314هـ)، إذ يستبعد أن يستغرق وصوله إلى إفريقية حوالي 50 سنة.

الثانية: وجود رواية من الأندلس سمعوا صحيح البخاري ورجعوا إلى الأندلس قبل سنة (357هـ)، ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج (ت380هـ)، الذي رجع سنة (345هـ) من رحلته المشرقية، حيث سمع صحيح البخاري من ابن السكن في مصر.¹³

وبناءً على ما تقدّم، يمكن حصر الفترة الزمنية التي دخل فيها صحيح البخاري إلى ليبيا ما بين سنة (314هـ) و(357هـ)، والله أعلم

9- انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (3/320).

10- في شجرة النور الزكية (1/145)، وانظر: مدرسة الحديث في القيروان (ص276)، ومدرسة الحديث في المغرب (ص30).

11- كان فقيهاً محدثاً، سمع من ابن الأعرابي وابن الجارود وابن المنذر وصالح بن أحمد العجلي، وهو الراوي عنه كتاب معرفة الثقات للعجلي، انظر: ترتيب المدارك (6/274).

12- انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (3/320).

13- انظر: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (2/95)، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (3/338).

المطلب الأول: رواية صحيح البخاري:

لطالما حظيت رواية صحيح البخاري باهتمام بالغ من العلماء قديماً وحديثاً، نظراً لمكانته الفريدة بين كتب الحديث. وقد بلغ هذا الاهتمام مبلغاً دفعهم إلى تأليف مصنفات خاصة لجمع رواته وحصرهم، بل إن رواية كتب السنة - ولا سيما صحيح البخاري - صارت من المناقب التي تُذكر في تراجم الرواة. ونادراً ما تجد كتاباً تناول صحيح البخاري إلا وذكر رواته وأسانيده. ومن هنا، جاء تقديمي لهذا المطلب على غيره من المطالب.

ومع ذلك، لم أقف على مَنْ نُسب إلى إحدى المدن الليبية صراحةً من رواية صحيح البخاري، إلا أنني ذكرت في هذا المطلب مَنْ نُسب إلى ذلك على سبيل الاحتمال أو الخطأ، وهما:

أبو الحسن علي بن حميد بن عمار الطرابلسي المكي المعمر (ت 576هـ): سمع صحيح البخاري من أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر الهروي (ت بعد 497هـ)، وتفرّد به عنه، ورواه عنه جماعة.¹⁴ وكانت قراءة أبي الحسن على أبي مكتوم بمكة في ذي القعدة سنة (497هـ).¹⁵

ومن المعلوم أن «طرابلس» تطلق على مدينتين: إحداهما في الشام (لبنان حالياً)، والأخرى في ليبيا. ومع البحث الواسع، لم أقف على مَنْ حدد نسبة أبي الحسن إلى إحداهما، وذلك على غير العادة في تحديد الأعلام المنسوبين إلى طرابلس. فالإمام العجلي، مثلاً، منسوب إلى طرابلس الغرب، وأبو القاسم حاتم الطرابلسي الأندلسي - أحد رواة صحيح البخاري - منسوب إلى طرابلس الشام.

ومع شح المعلومات حول صاحبنا، لم أستطع الجزم بأي شيء. كما أن الدكتور عبد السلام تدمري لم يذكره في موسوعته «علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي».¹⁶ وقد جزم بعض الباحثين المعاصرين بنسبته إلى طرابلس الغرب من غير دليل،¹⁷ وهو ما حملني على ذكره هنا من باب الاحتمال، وليس من باب الجزم والتأكيد. والله أعلم.

¹⁴- ترجمته في سير أعلام النبلاء (0/541)، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي (5/250).

¹⁵- ثبت الوادي أشي (ص236).

¹⁶- ذكر في مقدمة الموسوعة (1/16) أنه لم يذكر تراجم الأعلام الذين لم يثبت من لبنانيّتهم أو من دخولهم لبنان، وإنما اكتفى بذكر الأعلام الذين صرحت المصادر المعتمدة بارتباطها بلبنان وشيوخه.

¹⁷- منهم د. الصديقة الدعيكي في بحثها المعنون: إسهامات وجهود علماء ليبيا في خدمة السنة النبوية ضمن أعمال مؤتمر فقه التعامل مع السنة النبوية (2/2136).

وجاء منسوباً في الذيل والتكملة إلى مصر،¹⁸: "ومن شيوخ الحرم - زاده الله تشریفاً - نزلأؤه...، وأبو الحسن علي بن حميد، مصغراً، ابن عمار الأنصاري المصري.»

ولم أقف على من نسبته إلى مصر، ويبدو أن ذلك تصحف من كلمة «المقرئ»، فقد وصفه غير واحد بذلك، منهم الذهبي.

أبو القاسم حاتم بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي القرطبي (ت عام 469 هـ).

وقد نسبته المؤرخون إلى طرابلس الشام كابن بشكوال،¹⁹ والذهبي،²⁰ وابن فرحون،²¹ إلا أن أحمد بن الحسين النائب الأنصاري الطرابلسي (ت 1335 هـ) ذكره في كتابه: نفحات النسرین والريحان فيمن كان بطرابلس - الغرب - من الأعيان،²² وتبعه الشيخ الطاهر الزاوي (ت 1403 هـ) في كتابه: أعلام ليبيا،²³ وكأنهم اعتمدا في ذلك على كونه طرابلسياً أندلسياً، والله أعلم.

ومهما يكن من أمر، فلا يُستبعد وجود رواية لصحيح البخاري من أهل طرابلس وغيرها ممن أهملهم التاريخ. فطرابلس كانت مدينة يقصدها الحجاج والعاثرون إلى غيرها، وقد مرَّ بها عدد من رواة صحيح البخاري، منهم أبو الحسن القاسبي - أول من أدخل صحيح البخاري إلى تونس -، وغيره من أهل إفريقية والمغرب والأقصى والأندلس.²⁴

ولا شك أن هؤلاء الرواة التقوا بأهل طرابلس وأخذوا عنهم الرواية، كما أن بعض أهل طرابلس قاموا برحلات إلى مكة ومصر والقيروان، وغيرها من الأماكن التي كانت مستقراً لرواة صحيح البخاري في تلك الفترة، مما يرجح أخذهم الرواية عنهم.

18- في الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (1/734).

19- في الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (ص 154).

20- في تاريخ الإسلام (31/281)، وانظر: موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي للتدمري (2/67).

21- في الديباج المذهب (1/345).

22- (ص 76).

23- (ص 143).

24- نظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض (6/274)، والديباج المذهب لابن فرحون (2/103).

المطلب الثاني: مخطوطات صحيح البخاري وشروحه في ليبيا.

لا تزال الخزائن الليبية - بحمد الله - تحتفظ بمخزون ثري من المخطوطات القيمة، رغم ما مرّ بالبلاد من إحن ومحن عصفت بها قديماً وحديثاً. ومع كثرة المخطوطات المتعلقة بصحيح البخاري المحفوظة في خزائنها ومكتباتها، مما لا يسع المقام هنا لسردها، فقد اقتصرنا على ما كان مؤلفه أو ناسخه ليبيا، فهو أدل على المقصود بالعناية من غيره.

إضافة إلى ذلك، فقد جمعت جميع مخطوطات صحيح البخاري وشروحه في الخزائن والمكتبات الليبية في بحث آخر، فلن أكرره هنا. وقد استعنت في هذا المبحث ببعض المختصين²⁵ في التعرف على النساخ الليبيين الذين قد يشتهر فيهم غيرهم. وقدمت المؤلفين على النساخ، ومع بذل وسعي في البحث، إلا أنني لم أجد تراجم لهؤلاء النساخ. والله الموفق.

أحمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف بزروق (ت899هـ)²⁶، مؤلف: حاشية على الجامع الصحيح، لها: ثلاث نسخ:

الأولى: ناسخها: محمد بن محمد بن علي، بخط مغربي، عدد أوراقها: 210/23 سطرًا.²⁷

الثانية: ناسخها: مصطفى بن إبراهيم، في 14 شعبان 1187هـ، بخط مغربي، عدد أوراقها: 376/20 سطرًا.²⁸

الثالثة: ناسخها: إبراهيم بن عبد الرحمن أبو أحمد العوسجي الطرابلسي، في 4 جمادى الأولى 1066هـ، بخط مغربي، عدد أوراقها: 185/23 سطرًا.²⁹

25- وهو الأستاذ: إبراهيم الشريف، رئيس قسم المخطوطات بالمركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية.
26- وُلِدَ بفاس، فانتظم في سلك طلبة جامع القرويين والمدرسة العنانية مغا، وصار يتردد عليهما لدراسة أمهات كتب المذهب المالكي والحديث والأصول وقواعد العربية. ثم رحل إلى مصر وتونس ومكة والمدينة وطرابلس الغرب، فأفاد من مشايخهم أيضاً، فاجتمعت له قائمة طويلة بالشيوخ الذين أخذ عنهم، منهم: خاله أبو العباس أحمد بن محمد القشتالي (ت856هـ)، وأحمد بن عبد الرحمن البزليطي القيرواني حلولو (ت898هـ)، وأبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (ت899هـ)، وشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت902هـ). وقد ألف مؤلفات كثيرة بلغت (84) مؤلفاً، وصفها مترجموه بأنها تحوي تحريرات وتحقيقات قيمة، غزيرة الفوائد، وأنه كان يميل فيها إلى الاختصار. توفي في شهر صفر سنة (899هـ) بمدينة مصراته الليبية. انظر ترجمته في: أحمد زروق والزرزوقية، تأليف: علي فهمي خشيم، ونيل الابتهاج للتنبيكتي (ص130)، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (9/547).
27- فهرس مخطوطات مركز جهاد الليبيين (2/165) رقم المخطوط: 138، وقد طبع في مصر في عشرة مجلدات بعنوان: شرح صحيح البخاري للشيخ زروق، بدار حسان بالقاهرة، بتحقيق: عزت عطية، وموسى علي، كما حقق في رسائل علمية (بعنوان: التعليق والتنقيح على ما تضمنه الجامع الصحيح) لباحثين ليبيين سيأتي ذكرهم في المطلب السادس.

28- فهرس مخطوطات مركز جهاد الليبيين (2/165) رقم المخطوط: 235.

29- فهرس مخطوطات مركز جهاد الليبيين (2/165) رقم المخطوط: 237.

سليمان بن علي الجبالي، ناسخ: الجامع الصحيح للبخاري (ج14) في 11 رجب 1052هـ، بخط: مغربي، وعدد أوراقها: 258/15 سطرًا.³⁰

أحمد بن أحمد بن طابون، ناسخ: إرشاد الساري شرح صحيح البخاري. (7 أجزاء)، للقسطلاني (ت923هـ)، في 1187هـ، و1189هـ، و1190هـ، بخط مغربي، وعدد أوراق الأجزاء على الترتيب: 345، 396، 448، 381، 454، 493، 20-19/519 سطرًا.³¹

محمد بن الحاج عدال الغالي، ناسخ: بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، شرح مختصر صحيح البخاري المسمى جمع النهاية في بدء الخير والغاية (جزآن) لابن أبي جمرة الأندلسي (ت699هـ)، في 1109هـ، و1110هـ، وعدد أوراق الجزء الأول: 239/31 سطرًا، وعدد أوراق الجزء الثاني: 246/27 سطرًا.³²

وله نسخة أخرى في ثلاثة أجزاء (1، 3، 4) بتاريخ: 1110هـ، عدد أوراقها: 213، 260، 236/21 سطرًا.³³

أحمد بن رمضان بن أحمد القشاشي، ناسخ: التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح للزيدي (ت893هـ)، بخط مغربي في 1266هـ، وعدد أوراقها: 378/23 سطرًا.³⁴

وله نسخة أخرى بتاريخ: 1299هـ، بخط مغربي، وعدد أوراقها: 404/19 سطرًا، وبها تملك باسم محمد بن علي السنوسي، وآخر باسم الشيخ محمد الشيبني.³⁵

سعيد بن عبد الله الحجاجي، ناسخ: التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح للزيدي (ت893هـ)، بتاريخ: 1248هـ، في مدينة بنغازي، بخط مغربي، وعدد أوراقها: 272/20 سطرًا، وبه تملك باسم سعيد بن عبد الله سنة 1274هـ.³⁶

محمد بن سالم الكرغلي المصراطي، ناسخ: النور الساري على مختصر البخاري لابن أبي جمرة، لأحمد ابن أحمد بن محمد السجاعي (ت1197هـ)، في 1195هـ، بخط مغربي، وعدد أوراقها: 20/182 سطرًا.³⁷ وقد حققه أحد الباحثين كما سيأتي في المطلب السادس.

30- فهرس مخطوطات مركز جهاد الليبيين (2/136) رقم المخطوط: 217.

31- فهرس المخطوطات بمركز دراسة جهاد الليبيين، إعداد: إبراهيم الشريف، (2/122، 123، 124، 125) رقم المخطوط: 199.

32- فهرس مخطوطات غدامس، إعداد بشير قاسم يوشع (1/48) رقم المخطوط: 29/19، 18 مك

33- فهرس مخطوطات غدامس، إعداد بشير قاسم يوشع (1/49) رقم المخطوط: 10، 9، 27/7 مك

34- فهرس مخطوطات مركز جهاد الليبيين (2/129) رقم المخطوط: 179.

35- فهرس مخطوطات مركز جهاد الليبيين (2/129) رقم المخطوط: 1558.

36- فهرس مخطوطات مكتبة جامعة قاريونس (1/111) رقم المخطوط: 1623.

37- فهرس مخطوطات مركز جهاد الليبيين (2/158) رقم المخطوط: 238.

محمد الشعراني بن الحاج قشقش، ناسخ: شرح ابن أبي جمرة: عبد الله بن سعد بن أبي جمرة (ت699هـ) -على مختصره لصحيح البخاري- في 1268هـ، وعدد أوراقها: 23/128 سطرًا، وهو ناقص الأول³⁸.

وله نسخة أخرى بتاريخ: أواسط جمادى الأول 1268هـ، عدد أوراقها: 23/145 سطرًا³⁹.

المطلب الثالث: مخطوطات صحيح البخاري وشروحه خارج الدولة الليبية.

إن الهجرات العلمية لأعلام ليبيا، التي حدثت في أزمان متفاوتة لأسباب مختلفة، كانت إحدى عوامل هجرة المخطوطات خارج الدولة الليبية. وقد كتب الدكتور أحمد مسعود عن التواصل العلمي بين طرابلس وتونس في العهد الحفصي، وذكر (19) عالماً من طرابلس كانت لهم علاقات علمية مع تونس⁴⁰.

ولهذا نجد كثيراً من المخطوطات الليبية محفوظة في الخزائن والمكتبات الخارجية. وهذا الأمر ظاهر جداً، كما يتضح من كتاب: «المخطوطات الليبية المحفوظة في المكتبات التونسية والمغربية (قائمة أولية)»،⁴¹ الذي يضم (955) مخطوطاً. فكيف بالمخطوطات المحفوظة في الدول الأخرى؟ وبعد البحث، وقفت على الآتي:

1. نسخة من تعليق الشيخ زروق (ت899هـ) على البخاري محفوظة في الخزانة العامة بالرباط⁴².

2. ختم على صحيح البخاري لمحمد بن علي الغرياني الطرابلسي التونسي (ت1195هـ)⁴³، منسوخ سنة (1234هـ)، محفوظ في مكتبة الشيخ الطاهر ابن عاشور بتونس⁴⁴.

ومع ذلك لا أشك أن في جعبة المكتبات الخاصة الليبية وغيرها -التي لم تفهرس بعد- خفايا، تنتظر من يبرزها ويخرجها.

38- ينظر: مجلة الوثائق والمخطوطات، السنة الأولى، العدد الأول، (ص348).

39- فهرس المخطوطات بمركز دراسة جهاد الليبيين (2/173) رقم المخطوط: 165.

40- والكتاب من منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.

41- إعداد: الفرجاني الشريف.

42- فهرس المخطوطات الليبية المحفوظة في المكتبات التونسية والمغربية (ص125)، محفوظة تحت رقم (1888ك).

43- أبو عبد الله، المسند، رحل إلى تونس فأقام بها وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى القاهرة في طريقه للحج، فأخذ عن أعلام الأزهر. وفي مكة، أخذ عن مفتيها وغيره. ثم رجع إلى تونس وتوفي بها. وكان أول من تولى التدريس بالمدرسة السلیمانیة بتونس، التي أسسها الباشا علي باسم ابنه سليمان. وكانت له عناية خاصة بالرواية. انظر: شجرة النور الزكية لمخلوف (1/503)، أعلام ليبيا للطاهر الزاوي (ص347)، والجواهر الإكليلية (ص243).

44- فهرس المخطوطات الليبية المحفوظة في المكتبات التونسية والمغربية (ص200).

المطلب الرابع: النسخ والمؤلفات المفقودة.

بعد الحديث عن المخطوطات الليبية المحفوظة، يجدر بنا أن نذكر أن هناك نسخاً ومؤلفات أخرى لم تصل إلينا. ومع كونها غير موجودة اليوم، إلا أنها تشكل جزءاً مهماً من التراث العلمي الليبي، وتدل على مدى العناية بصحيح البخاري في ليبيا، وقد جمعت مادة هذا المطلب من كتب التراجم والتواريخ والرحلات⁴⁵ التي تعتبر مصدراً مهماً في التوثيق والتأريخ.

أحمد بن نصر الداودي أبو جعفر الأسدي الطرابلسي التلمساني (ت402هـ) له شرح على صحيح البخاري سماه: النصيحة، وقد أكثر الشراح من النقل عنه، إلا أنه فقد، والداودي من العلماء الذين استقروا بطرابلس دهرًا طويلاً، وأخذ عن علمائها، واستفاد منه أبناؤها كذلك، ولا يستبعد وجود كتابه في ليبيا آنذاك.⁴⁶

وقد أكثر الشراح من النقل عنه كابن بطل كابن حجر في فتح الباري، والعيني في عمدة القاري، والكرماني في الكواكب الدراري، وغيرهم.

نسخة الإمام الصدي لصحيح الإمام البخاري المنسوخة في مجلد واحد سنة (508هـ)، وفي آخرها سماع القاضي عياض وغيره، وفيها تقييدات ابن جماعة الكناني، والحافظ الدمياطي، وابن العطار، والسخاوي القائل: «هذا الأصل هو الذي ظفر به شيخنا ابن حجر العسقلاني، وبنى عليه شرحه الفتح، واعتمد عليه لأنه طيف به في مشارق الأرض ومغاربها الحرمين ومصر والشام والعراق والمغرب، فكان الأولى بالاعتبار كرواية تلميذه ابن سعادة».⁴⁷

وهذه النسخة الفريدة كانت محفوظة في ليبيا إلى زمن قريب، ثم اختفت، ولا يعلم مكانها حالياً على وجه التحقيق، والله أعلم.

ما ذكره التجاني في رحلته (706-708هـ)، من اهتمام أهل طرابلس بالصحيحين وقراءتهما في المساجد: "ولما حضرت درسه - أي الإمام الحافظ أبو فارس عبد العزيز بن عبيد⁴⁸ - وتحققت مكانته المكيمة في العلم، أحببت القراءة عليه مدة إقامتنا هنالك... ثم بعد ذلك في الشهر نفسه ابتدأت قراءة دولة أخرى من كتاب المسند الصحيح للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري - رحمه الله -".⁽⁴⁹⁾

45- كتب الرحالة الذين قيدوا ما شاهدوه أثناء رحلاتهم في ليبيا، مثل رحلة ابن العربي سنة (485) -وهي في كتابه قانون التأويل (ص428) -، ورحلة العبدري سنة (688هـ)، وابن رشيد (685هـ)، والتجاني (706-708هـ)، وابن بطوطة سنة (726هـ)، وغيرهم.

46- انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون (1/166)، وأعلام ليبيا (92).

47- انظر: فهرس الفهارس (2/707)، وقد كتب د: عبد الهادي التازي مقالاً مفصلاً حول هذه النسخة في مجلة دعوة الحق المغربية (ع8/ سنة 1973هـ)، بعنوان: مخطوطة وحيدة في العالم صحيح الإمام البخاري بخط الحافظ الصدي.

48- الطرابلسي، ولد في طرابلس سنة (639هـ)، كان رجلاً متضلعا في العلم، مشاركاً في علوم جمة، له اعتناء بكلام القرويين، رحل إلى الحج سنة (709هـ)، أنى عليه التجاني ومدحه في قصيدة في رحلته. انظر: ترجمته في: شجرة النور الزكية (1/294)، وأعلام ليبيا (230)، والجواهر الإكليلية (ص117).

49- رحلة التجاني (ص255).

وذكر أيضاً أن القاضي أبا محمد عبد الله بن إبراهيم بن أبي مسلم القاسبي، لما مر بطرابلس قاصداً بغداد، قرأ عليه الإمام الحافظ أبو فارس عبد العزيز بن عبيد بلفظه أكثر من نصف البخاري.⁵⁰

هذا النص من التجاني، مع إفادته اهتمام أهل طرابلس بصحيح البخاري، يثبت وجود نسخة من الصحيح في ذلك الوقت، إذ إن النسخ المحفوظة في المكتبات الليبية متأخرة عن هذا التاريخ.

أحمد بن عبد الرحمن بن عيسى الأوسى الأنصاري، النائب (ت: 1155هـ)، قاضي من أهل طرابلس الغرب، كان عالماً جليلاً فقيهاً محدثاً مشاركاً في جميع العلوم، له عدة مصنفات منها: تعليق على البخاري، وشرح على الآجرومية.⁵¹

محمد بن عليّ السنوسي (ت 1276هـ)⁵²، له رسائل في ختم الكتب الستة ومسند الإمام مالك والشافعي، وقد نسبها له عبد المالك بن عبد القادر⁵³ والبغدادي.⁵⁴

محمد بن أحمد الزنتاني الأزهري (1219-1322هـ) مؤسس الزاوية المعروفة في منطقة طبقة بالجنوب الليبي، ولقب بالأزهري لغزارة علمه. أسس الزاوية سنة (1272هـ)، وأنشأ بها مكتبة قيمة ضمت كثيراً من المخطوطات وكان ينسخ بيده، من ذلك مختصر ابن أبي جمره على صحيح البخاري، ولم أقف على هذه النسخة في فهارس المخطوطات، ولذا ذكرتها في هذا القسم.⁵⁵

50- رحلة التجاني (ص 258).

51- نظر ترجمته في: نفحات النسرین (ص 129)، وأعلام ليبيا (ص 82)، والجواهر الإكليلية (ص 228).

52- أبو عبد الله الخطابي الحسني الإدريسي، مؤسس الطريقة السنوسية. ولد سنة (1202 هـ) في مستغانم بالجزائر. ونشأ في بيت علم ودين وفضل، فدرس علوم الشريعة واللغة والمذاهب الإسلامية والطرائق الصوفية والفلسفة والمنطق وعلوم الفلك، وغير ذلك. قضى حياته على جناح السفر، فتنقل في البلاد العربية، وأخذ العلم في بلدتي الواسطة وفاس، ثم رحل إلى تونس ومصر والحجاز ثم غادر مكة إلى ليبيا وأقام بها عدة زوايا أشهرها زاوية الجغبوب سنة (1273 هـ) فأقام فيها إلى أن توفي بعد ثلاث سنوات في سنة (1276 هـ) كانت له مؤلفات كثيرة وصلت إلى (45) مؤلفاً. انظر: ترجمته في: شجرة النور الزكية لمخلوف (1/570)، وفهرس الفهارس للكتاني (2/1040)، والفوائد الجليلة في تاريخ العائلة السنوسية، لعبد المالك بن عبد القادر (ص 6)، وأعلام ليبيا للطاهر الزاوي (345).

53- في الفوائد الجليلة في تاريخ العائلة السنوسية (ص 49).

54- في هدية العارفين (2/401).

55- ترجمته في: الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية (ص 325)، وأعلام ليبيا (ص 367).

المطلب الخامس: المؤتمرات.

بعد أن استعرضنا في المباحث السابقة الجهود التاريخية لليبيين في العناية بصحيح البخاري، وبيان المخطوطات المحفوظة داخل ليبيا وخارجها، والنسخ والمؤلفات المفقودة، ننتقل الآن إلى الحديث عن الأعمال العلمية المعاصرة التي أنتجها الباحثون الليبيون حول صحيح البخاري.

تأتي هذه الأعمال امتدادًا للجهود التاريخية التي بذلها العلماء الليبيون في خدمة صحيح البخاري، حيث تواصل الأجيال المعاصرة العناية بهذا الكتاب العظيم عبر بحوث أكاديمية ودراسات نقدية وتحقيقات علمية لتؤكد استمرارية الاهتمام بصحيح البخاري في ليبيا حتى يومنا هذا، وقد جمعت جميع ما وقفت عليه.

وفيما يتعلق بهذا المطلب فإنه لم أقف على مؤتمر مخصص لصحيح البخاري، إنما على مؤتمر متعلق بكتب السنة، جاءت بعض أبحاثه لدراسة الأعمال العلمية المتعلقة بصحيح البخاري. وكان عنوان المؤتمر: «الجهود اللغوية حول العناية بالحديث الشريف من خلال شروح المالكية لكتب السنة وعلومها»، أشرف عليه قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب - جامعة بنغازي، بتاريخ (2022/11/22-20م). وسأذكر البحوث المتعلقة بصحيح الإمام البخاري فقط:

جهود الدماميني النحوية في مصابيح الجامع، أقسام الكلام، دراسة لغوية تحليلية (نماذج مختارة)، د. حسين الشريف، ود. حسن الشريف.

إثبات القواعد والأحكام النحوية بالحديث النبوي عند البدر الدماميني، كتاب: مصابيح الجامع أنموذجاً. أ. علي المالكي.

أثر البحث البلاغي في الكشف عما أشكل من المعاني في أحاديث البخاري عند الطاهر ابن عاشور في كتابه: النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح. د. أحمد إسماعيل.

جهود ابن بطال اللغوية من خلال شرحه لصحيح البخاري. د. بوبكر فيلوغ.

الجوانب اللغوية في شرح ابن بطال على صحيح البخاري، كتاب الاستئذان أنموذجاً. أ. المعتصم بالله حسن.

جهود ابن التين اللغوية في كتب شروح الحديث (التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملتن أنموذجاً). أ. مريم التريكي.

المطلب السادس: الأعمال العلمية المعاصرة الليبية (الأكاديمية وغيرها) حول صحيح البخاري - مرتبة تاريخياً.

مبتكرات اللآئى والدرر في المحاكمة بين العيني وابن حجر (في شرحيهما على البخاري)، للعلامة المحدث الفقيه الأصولي عبد الرحمن البوصيري (-1862م 1935م)⁵⁶، وسبب تأليفه كما ذكر في مقدمته - بعد إمعان القراءة في صحيح البخاري مع رفقاءه-: "تبيين الحال وكشف ما اشتبك في فهمه الشيخان الحافظان: العيني وابن حجر".⁵⁷ وهو لم يستوعب جميع مسائل الخلاف بينهما.

شرح أحاديث من مختصر ابن أبي جمرة لصحيح البخاري، شرحه الطيب بن عثمان المصراي (1918-1998م)، تقلد عدة مناصب منها: إدارة الوعظ والإرشاد، ومديراً للثقافة وشؤون العالم الإسلامي بالجامعة الإسلامية، ومديراً لمعهد أحمد باشا الديني، كما كان خطيباً وواعظاً بمسجد أبي رقية بمدينة طرابلس، وأنشأ بهذا المسجد منارة علمية أطلق عليها اسم "دار الحديث"، وكتابه المذكور كان مقرراً على طلاب السنة الأولى من المرحلة الأولى في دار الحديث.⁵⁸

قصص الأنبياء والصالحين في صحيح البخاري -بنائها وأهدافها-، للباحث: محمد الأنصاري، رسالة ماجستير مقدمة في كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية بالجامعة الأسمرية سنة 2006م.

الجهود اللغوية عند ابن حجر العسقلاني من خلال كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للباحث الطاهر سويسسي المنتصر، رسالة ماجستير مقدمة في كلية الدراسات اللغوية بجامعة السابغ من إبريل سنة 2007م.

النور الساري على مختصر البخاري لابن أبي جمرة للعلامة الشيخ أحمد السجاعي (1197هـ) - دراسة وتحقيق- للباحث خليفة الجراي، رسالة ماجستير مقدمة في كلية الفقه وأصوله بجامعة المرقب سنة 2008م.

56- الصنهاجي البوصيري ينحدر من قبيلة أمازيغية تدعى صنهاجة. ولد في مدينة غدامس، وحفظ القرآن وتلقى مبادئ = العربية والدروس الدينية على شيوخ عصره، ولازم شيخه محمد كامل بن مصطفى في الدروس والمطالعة ومراجعة الفتاوى، وكان شغوفاً باقتناء الكتب، وتولى التدريس في سن مبكرة، وتخرج على يديه جماعة كثيرة من أهل العلم، كما تولى الوظائف العامة مثل سجلات العقود ورئاسة كتيبة المحكمة الشرعية والقضاء. له عدة مؤلفات منها: الجواهر الزكية في مصطلح خير البرية، وهو تعليق على ألفية العراقي في مصطلح الحديث- مطبوع- وله الدرر المجنية من حديث خير البرية على الجامع الصغير للسيوطي في أربعة أجزاء-مخطوط-. انظر ترجمته في: أعلام ليبيا للطاهر الزاوي (ص213)، والأعلام للزركلي (3/334). وللإستزادة حول الكتاب ينظر: البوصيري وكتابه المحاكمات للباحث (رسالة ماجستير)، للباحث: أسماء قدور، مقدمة في كلية الآداب بجامعة طرابلس سنة 2009م، وكذلك بحث د. محمد الزائدي بعنوان: الشيخ عبد الرحمن البوصيري وكتابه: مبتكرات الآلي والدرر في المحاكمة بين العيني وابن حجر. مقدم في المجلة العلمية لعلوم الشريعة الصادرة عن كلية علوم الشريعة بجامعة المرقب، العدد لسنة 2018م، وهو منشور على الرابط: <https://2u.pw/AasESZpp>

57- (ص31).

58- انظر: أعمال ندوة: دور طرابلس الغرب في نشر الثقافة العربية والإسلامية (81)، ودليل المؤلفين العرب الليبيين (ص176)، إسهامات علماء ليبيا في إثراء الموروث الفقهي المالكي (4/965).

الأمثال النبوية في صحيح البخاري ومقاصدها العقدية والخلقية، للباحث عيسى محمد احميدة، رسالة ماجستير مقدمة في كلية الدراسات الإسلامية في جامعة السابغ من إبريل سنة 2008م.

التعليق والتنقيح على ما تضمنه الجامع الصحيح للعلامة أحمد زروق الفاسي (ت899هـ)، النصف الأول حققه محمد حامد اليعقوبي في رسالة دكتوراه بجامعة أم درمان السودانية، والنصف الثاني اشترك فيه محمد سالم العجيل، وصالح الأمين الماعزي في رسالة ماجستير بالجامعة الأسمرية بليبيا سنة 2010م.

شرح مختصر ابن أبي جمرة لصحيح البخاري لأبي الإرشاد نور الدين علي بن محمد الأجهوري المالكي (ت1066هـ) من أول كتاب بدء الخلق إلى آخر كتاب النفقات - دراسة وتحقيق-، للباحثة: إيمان أبو حجر، رسالة ماجستير مقدمة في كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية بالجامعة الأسمرية سنة 2012م.

المنهج الحديثي للإمام شمس الدين محمد بن يوسف الكزّمانى (ت786هـ) في كتابه الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري، للباحث: وليد أبو زيان، رسالة ماجستير مقدمة في كلية الآداب بجامعة طرابلس، سنة 2012م.

المجاز في الحديث النبوي الشريف من خلال صحيح البخاري، للباحث الطاهر امبية، أطروحة دكتوراه، مقدمة في كلية اللغة العربية بجامعة الخرطوم سنة 2013م.

منهج الكشميري في كتابه (فيض الباري شرح صحيح البخاري)، للباحث: مفتاح صكو، رسالة ماجستير مقدمة في كلية الآداب بجامعة طرابلس سنة 2013م.

المخبر الصحيح الجامع لفوائد مسند البخاري الصحيح لابن التين الصفاقسي (ت611هـ)، تحقيق ودراسة، للباحث خليفة الجراي، أطروحة دكتوراه مقدمة في كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة بنها سنة 2015م.

حاشية الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة على صحيح البخاري، تأليف محمد بن علي بن منصور الشنواني، المتوفى 1233 هـ من بداية كتاب الجمعة إلى نهاية كتاب الجزية والموادعة: دراسة وتحقيق: حمزة مازن، رسالة ماجستير في مقدمة في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الأسمرية سنة 2015م.

حاشية الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة لصحيح البخاري لمحمد بن علي بن منصور المصري الأزهري الشافعي (ت1233هـ)، من باب الحرص على الحديث إلى نهاية باب الذكر بعد الصلاة المكتوبة رسالة ماجستير للباحث هاشم عبد المطلب التركي، مقدمة في قسم التفسير والحديث بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الأسمرية سنة 2017م.⁵⁹

منهج الإمام البخاري في انتقاء مرويات المتكلم فيهم في الجامع الصحيح «رواة المرتبة الخامسة عند ابن حجر نموذجاً»، للباحث عمر هروس، أطروحة دكتوراه مقدمة في كلية الحديث وعلومه بالجامعة الأردنية سنة 2017م.

ألفاظ الحياة السياسية والاقتصادية في صحيح البخاري - معجم ودراسة دلالية صرفية-، للباحثة فوزية الواسع، أطروحة دكتوراه مقدمة في كلية اللغة العربية بجامعة المنصورة سنة 2017م.

حاشية الشنواني (ت: 1233) على مختصر ابن أبي جمرة لصحيح البخاري من بداية المخطوط إلى قوله: هذا الحديث ذكره البخاري في باب من أجاب الفتيا باليد - دراسة وتحقيق-، للباحث: إدريس ارحومة، رسالة ماجستير مقدمة في كلية الشريعة بالجامعة الأسمرية سنة 2018م.

اتجاهات المدافعين عن الصحيحين، للباحث صالح الماعزي، أطروحة دكتوراه مقدمة في كلية علوم الحديث بالجامعة الأردنية سنة 2018م.

منهج ابن حجر في الاستدلال بالسنة من خلال كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للباحث مالك الراجحي، رسالة ماجستير مقدمة في كلية الدراسات الإسلامية بجامعة طرابلس سنة 2018م.

منهج الإمام بدر الدين الدماميني في كتابه مصابيح الجامع شرح صحيح البخاري، للباحث علي امبية، رسالة ماجستير مقدمة في كلية الدراسات الإسلامية في جامعة طرابلس سنة 2018م.

الأبنية الصرفية ودلالاتها في اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (البخاري والمسلم)، للباحث إبراهيم علي عيسى، رسالة ماجستير مقدمة في كلية اللغة العربية بجامعة طرابلس سنة 2018م.

التوجيه اللغوي للقراءات الشاذة في كتاب عمدة القارئ للعيني (ت 885هـ)، للباحث رحمة شعبان علي، أطروحة دكتوراه مقدمة في كلية اللغة العربية، بجامعة مصراتة سنة 2024م.

المطلب السابع: البحوث العلمية المنشورة في المجلات الليبية - مرتبة تاريخياً:-

المباحث اللغوية عند العيني في شرح صحيح البخاري، إعداد: سامي الجميلي، منشور في مجلة الجامعة الأسمرية، السنة الرابعة، العدد السابع، سنة 2007م.⁶⁰

الأبواب المفرغة من التراجم في صحيح البخاري، إعداد: د. منصور سلمان نصار، منشور في مجلة البحوث الأكاديمية الصادرة عن أكاديمية الدراسات العليا بمصراته، العدد 3 لسنة 2014م.⁶¹

المعلق في الصحيحين، إعداد: د. المرزوقي علي المرزوقي، منشور في مجلة القرطاس الصادرة عن كلية التربية بجامعة الزاوية، العدد الرابع لسنة 2015م.⁶²

الدرس اللغوي عند الإمام البخاري (دراسة وصفية تحليلية)، إعداد: يوسف الخراز، منشور في مجلة كلية الآداب بجامعة مصراته، العدد الرابع لسنة 2015م.⁶³

المطابقة بين المبتدأ والخبر في صحيح البخاري، إعداد: أ.د يوسف العرجا، وأ. رندة حمودة، منشور في مجلة كلية التربية العلمية التابعة لجامعة بنغازي، العدد الثاني، لسنة 2016م.⁶⁴

الأحاديث التي أعلها أبو حاتم الرازي وأخرجها البخاري في صحيحه: جمعاً ودراسة، إعداد: إبراهيم خليفة، منشور في مجلة أصول الدين الصادرة عن كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الأسمرية، العدد الثالث، سنة 2017م.⁶⁵

إرشاد القاري إلى منهج الحافظ ابن حجر في توجيه مناسبات الإمام أبي عبد الله البخاري «من أول الكتاب إلى باب الزكاة»، إعداد: د. إمام الزائدي، منشور في مجلة العلوم الشرعية، الصادرة عن كلية العلوم الشرعية مسلاتة، بالجامعة الأسمرية، العدد الرابع لسنة 2017م.⁶⁶

الجانب الحديثي والفقهية عند ابن التين الصفاقسي في شرحه على صحيح البخاري، إعداد: د. خليفة الجراي، منشور في المجلة العلمية لعلوم الشرعية الصادرة عن كلية علوم الشريعة بجامعة المرقب، العدد الأول لسنة 2018م.⁶⁷

60- <https://search.mandumah.com/Record/765352>

61- <http://lam.edu.ly/ar/images/acadj/issue3/3.pdf>

62- <https://pis.hum.academy.edu.ly/en/publications/1020/download-file>

63- <https://2u.pw/SzGYEs1e>

64- <https://journals.uob.edu.ly/FESJ/article/view/205/124>

65- <https://search.mandumah.com/Record/906355>

66- <https://search.mandumah.com/Record/903685>

67- <https://2u.pw/BERbYPf2>

منهج الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، إعداد: عبد السلام الأزهرى، منشور في مجلة القلعة الصادرة عن كلية الآداب والعلوم بجامعة المرقب، العدد 11 لسنة 2019م.⁶⁸

منهج الإمام البخاري في الاستشهاد بالقراءات القرآنية، إعداد: د. عبد الرحيم إيدي، منشور في مجلة جامعة سرت العلمية، المجلد العاشر، العدد الأول، سنة 2020م.⁶⁹

منهج الإمام البخاري في الرواية عن المبتدعة في صحيحه - منهج الإنصاف النقدي- روايته عن الخوارج أنموذجاً، إعداد سالم البشير شعبان، منشور في المجلة العلمية لعلوم الشريعة الصادرة عن كلية علوم الشريعة بجامعة المرقب بمدينة الخمس العدد الثالث لسنة 2020م.⁷⁰

الموازنة بين كتابي الأدب للإمام البخاري - الأدب المفرد وكتاب الأدب في صحيحه- (دراسة وصفية تحليلية)، إعداد: د. صالح الأمين محمد الماعزي، منشور في مجلة البيان العلمية، الصادرة عن نقابة أعضاء هيئة التدريس بجامعة سرت، العدد التاسع، لسنة 2021م.⁷¹

توجيه القسطلاني لروايات الجامع الصحيح في كتابه إرشاد الساري (قضايا المتن أنموذجاً): دراسة نظرية تطبيقية، إعداد: د. وفاء العاتي، منشور في مجلة علمه البيان، الصادرة عن كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، بالجامعة الأسمرية، العدد الثاني لسنة 2021م.⁷²

دراسة تطبيقية حول تخريج الإمام البخاري الحديث في جامعته الصحيح، إعداد عمر هروس، منشور في مجلة العلوم الشرعية الصادرة عن الجامعة الأسمرية، العدد الثاني، لسنة 2021م.⁷³

تأثر الإمام البخاري في تراجمه بالإمام الشافعي في كتابه الأم، إعداد: أ. موسى التهامي، منشور في مجلة الأكاديمية الليبية للدراسات العليا مصراتة، سنة 2021م.⁷⁴

68- https://qlaj.elmergib.edu.ly/archive/11_kalla_2019.pdf

69- <https://2u.pw/pPOHueZU>

70- <https://2u.pw/RVoslm3M>

71- <https://journal.su.edu.ly/index.php/bayan/article/view/1883/1492>

72- <https://2u.pw/HPtj4s1k>

73- <https://2u.pw/BoqmbYRQ>

74- <https://lam-journal.ly/index.php/jar/article/view/322/227>

موقف الإمام البخاري من الفرق من خلال تراجم أبوابه كتابه الصحيح، إعداد: د. صالح علي الفرجاني، ود. عبد الرؤوف حقوق، منشور في مجلة القرطاس الصادرة عن مؤسسة الأندلس للثقافة، العدد السادس عشر لسنة 2022م.⁷⁵

وجوه استعمال الموصول الاسمي الخاص في صحيح البخاري -دراسة نحوية دلالية-، إعداد: د. حمزة أبو كرش، منشور في مجلة مجلة المنتدى الأكاديمي، الصادرة عن نقابة أعضاء هيئة التدريس بالجامعة الأسمرية الإسلامية، المجلد السابع، العدد الثاني، سنة 2023م.⁷⁶

الإمام الداودي الطرابلسي المالكي (ت 402هـ)، وشرحه لصحيح البخاري، دراسة منهجية من بداية الصحيح إلى نهاية كتاب العارية، إعداد: د. أسامة التريكي، ود. طيب صالح، منشور في المجلة العلمية لعلوم الشريعة الصادرة عن كلية علوم الشريعة في جامعة المرقب، ع 7، سنة 2024م.⁷⁷

آراء الداودي في شرح الحديث النبوي نماذج من كتاب فتح الباري لابن حجر، إعداد: فوزي البرني، منشور ضمن أعمال مؤتمر جهود علماء ليبيا في خدمة علوم الشريعة، في مجلة البحوث الأكاديمية الصادرة عن الأكاديمية الليبية للدراسات العليا - فرع مصراتة-، سنة 2024م.⁷⁸

75- <https://2u.pw/A2M88Lh1>

76- <https://2u.pw/6SmyS9WA>

77- <https://shsj.elmergib.edu.ly/index.php/shsj/article/view/9/8>

78- <https://lam-journal.ly/index.php/jar/article/download/793/649/1432>

الخاتمة:

بعد هذا التطواف شرقاً وغرباً مع جهود الليبيين في خدمة صحيح الإمام البخاري أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

كانت عناية أهل ليبيا بصحيح البخاري متنوعة المظاهر، شملت الجوانب العلمية والتعليمية والثقافية.

تنوعت المظاهر العلمية المتعلقة بصحيح الإمام بين الشرح والتعليق والنسخ والرواية، في القديم والحديث.

كان دخول صحيح البخاري إلى ليبيا متزامناً مع دخوله إلى الأقطار المجاورة، مما يدل على التواصل العلمي الوثيق بينها.

كشفت الدراسة عن وجود عدد كبير من المخطوطات المحفوظة في المكتبات الليبية، مما يدل على عناية خاصة بصحيح البخاري عبر العصور. كما أن وجود مخطوطات ليبية في مكتبات خارجية يؤكد حركة العلم بين ليبيا ودول الجوار، خاصة تونس والمغرب. وعلى الرغم من فقدان بعض المؤلفات والنسخ، إلا أن ذكرها في المصادر التاريخية يدل على غنى التراث الليبي في العناية بصحيح البخاري.

أظهرت الأعمال الأكاديمية والبحوث المنشورة في المجالات الليبية وغيرها اهتماماً متجدداً بصحيح البخاري، سواء عبر التحقيقات أو الدراسات النقدية، مما يشير إلى استمرار الاهتمام العلمي به.

التوصيات:

العمل على فهرسة مكتبات المخطوطات الليبية الخاصة التي لم تفهرس بعد. الكتابة عن مظاهر العناية بصحيح البخاري التعليمية والثقافية وغيرها. عقد مؤتمرات مخصصة لصحيح الإمام البخاري، تبرز وتنشر الأعمال الليبية في هذا المجال.

ختاماً، فإن هذه الدراسة تؤكد أن ليبيا كانت ولا تزال جزءاً من منظومة علمية اهتمت بصحيح الإمام البخاري، وما زال هناك الكثير لاستكشافه وإبرازه في هذا المجال.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العلمين.

فهرس المصادر والمراجع:

- أبو عبد الله الأبي وكتابه الإكمال، عبد الرحمن عون، الدار العربية للكتاب، 1983م.
- إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء، للعايشي، تحقيق محمد الزاهي، ط: دار الغرب الإسلامي، 1، 1999م.
- أعمال مؤتمر فقه التعامل مع السنة النبوية، جامعة المرقب الليبية، ط: 2021م.
- الأصول الستة رواياتها ونسخها، د. محمد إسحاق آل إبراهيم، ط: 1، 2009.
- الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، ط: 15، 2002م.
- أعلام ليبيا، الطاهر الزاوي، ط: دار المدار الإسلامي، بيروت، ط: 2، 2004م.
- أعمال ندوة: دور طرابلس الغرب في نشر الثقافة العربية والإسلامية لعدة مؤلفين، ط: جمعية الدعوة الإسلامية والمنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم 2009.
- إفادة النصح بسند الجامع الصحيح، لابن رشيد، تحقيق: د. محمد الخوجة، الدار التونسية للنشر.
- الأنساب، للسمعاني المروزي، تقديم وتعليق: عبد الله البارودي، الناشر: دار الجنان، ط: 1، 1988م.
- الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي للدكتور: عبد العزيز دخان، دار كردادة، ط: 1، 2011م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 2، 1993م.
- تاريخ ابن خلدون، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي، عناية: السيد العطار، ط: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط: 2، 1988م.
- التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي، عناية أحمد زكي بك، ط: المطبعة الأميرية ببولاق، 1896م.
- التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، محمد بن خليل بن غلبون، تحقيق: الطاهر الزاوي، ط: المكتبة السلفية، القاهرة، 1349هـ.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، لعياض اليحصبي، تحقيق: مجموعة، الناشر: مطبعة فضالة، المغرب، ط: 1.
- التواصل العلمي بين طرابلس وتونس في العهد الحفصي (837-625هـ)، أحمد مسعود، ط: مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ط: 1، 2007م.
- ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي، تحقيقي: عبد الله العمراني، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت/ لبنان، ط: 1، 1403هـ.
- الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، ناصر الشريف، ط: دار البيارق، بيروت، ط: 1، 1999م.

الحطة في ذكر الصحاح الستة، لصديق حسن، الناشر: دار الكتب التعليمية، بيروت، ط: 1، 1985م.

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، برهان الدين اليعمري، تحقيق: محمد الأحمد، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر لابن خلدون، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: 2، 1408 هـ - 1988 م.

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، للمراكشي، تحقيق: د إحسان عباس، ود محمد بن شريفة، ود بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، تونس، ط: 1، 2012 م.

رحلة ابن بطوطة (تفحة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تحقيق: محمد العريان، ومصطفى القصاص، ط: دار إحياء العلوم، بيروت، ط: 1، 1987 م.

رحلة ابن رشيد السبتي (ملء العيبة بما مع بطول الغيبة)، تحقيق: د. أحمد حدادي، ط: وزارة الأوقاف المغربية، 2003 م.

رحلة التجاني، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، ط: الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981 م.

رحلة العبدري، تحقيق: د. علي كردي، ط: الزهراء للإعلام العربي، دمشق، ط: 2، 2005 م.

روايات الجامع الصحيح ونسخه، د. جمعة عبد الحليم، ط: دار الفلاح، الأولى، 2013 م.

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، ط: دار الكتب العلمية، لبنان، ط: 1، 1424 هـ.

الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط: 2، 1374 هـ - 1955 م.

طبقات علماء أفريقيا، للخشني، دار الكتاب اللبناني.

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، للفاسي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1419 هـ.

فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات، عبد الحي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2، 1982 م.

فهرس المخطوطات الليبية المحفوظة في المكتبات التونسية والمغربية، الفرجاني الشريف، الناشر: مركز جهاد الليبيين، ط: 1، 2000 م.

فهرس المخطوطات بمركز دراسة جهاد الليبيين، إبراهيم الشريف، الجزء الثاني، ط: مركز دراسة جهاد الليبيين للمخطوطات للدراسات، ط: 1، 2000 م.

فهرس مخطوطات جامعة قارون، فرج ميلاد شمش، ط: جامعة قارون، بنغازي، ط: 1، 2001 م.

فهرس مخطوطات غدامس، بشير يوشع، ط: المركز الوطني للمخطوطات والدراسات التاريخية، ط: 2، 2011 م.

الفوائد الجليلة في تاريخ العائلة السنوسية، تأليف: عبد المالك علي، ط: دار الجزائر العربية، ودمشق مسكية، 1966م.

الفصل في مشتهه النسبه، للحازمي، المحقق: سعود الديحاني، الناشر: مكتبة الرشد، ط: 1، 2007م.

قانون التأويل، للقاضي ابن العربي المعافري الاشيلي، تحقيق: محمد السليماني، ط: 1، 1986م، الناشر: دار القبله للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

مبتكرات الآلئ والدرر في المحاكمه بين العيني وابن حجر للبوصيري، تحقيق: رائد صبري، مكتبة الرشد، ط: 1، 2005م.

منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد، تخريج عيسى الثعالبي المغربي، تحقيق: محمد العجمي، ط: دار البشائر، 1، 2004م.

محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا، تأليف: محمد مسعود جبران، منشورات مركز جهاد الليبيين، ط: 2، 1996م.

مدرسة الإمام البخاري في مصر لأحمد إبراهيم أحمد، دار الصالح، ط: 1، 2018م.

مجلة الوثائق والمخطوطات، السنة الأولى، ع الأول، نشر: مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.

مجلة قاريونس العلمية، العدد الرابع، السنة الثالثة، 1990هـ، منشورات جامعة قاريونس بنغازي.

المخطوطات الليبية المحفوظة في المكتبات التونسية والمغربية (قائمة أولية)، تأليف: الفرجاني سالم الشريف، ط: مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ط 1، 2000م.

مدرسة الإمام البخاري في المغرب، د. يوسف الكتاني، ط: دار لسان العرب بيروت.

مدرسة الحديث في القيروان، د. الحسين شواظ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط: 1، 1411هـ.

موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي، د. عبد السلام تدمري، ط: المركز الإسلامي للإعلام، ط: 1، 1984م.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، ط: وزارة الثقافة، دار الكتب، مصر.

نفحات النسرین والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تأليف: أحمد بن الحسين النائب الأنصاري، تحقيق: محمد زينهم محمد، ط: دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس.

نيل الابتهاج بتطريز الديباج، للتنبكتي السوداني، عناية: عبد الحميد الهرامة، ط: دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، ط: 2، 2000م.

هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، تأليف: إسماعيل البغدادي، الناشر: وكالة المعارف الجليلة، إستانبول، 1951هـ.

وفيات الأعيان لابن خلكان، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت.

جهود علماء نيجيريا في العناية بصحيح الإمام البخاري

إعداد

د. مطهر يوسف بن ناصر
مؤسسة الخبير للاستشارات التربوية،
كنو- نيجيريا



1. خلفيات معرفية عن نيجيريا ودخول الإسلام فيها:

1-1: نيجيريا بين شمالها وجنوبها:

نيجيريا دولة عريقة من الدول الإفريقية التي تقع جنوب الصحراء الكبرى، وتشارك في حدودها مع بنين غربا والنيجر شمالا، وتشاد والكاميرون شرقا، ويحدها إلى الجنوب خليج غينيا الذي يمثل جزءا من المحيط الأطلسي، وتمتاز نيجيريا بهذا الموقع الجغرافي الذي جعلها « آخر أقطار إفريقيا الغربية شرقا، ومبدأ أقطار إفريقيا الوسطى غربا، ... وحدودها الشمالية تقع في قلب القارة الإفريقية تقريبا¹»

ولقد كانت نيجيريا في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي مجموعة من عدة إمارات وممالك مستقلة، كل واحدة منفصلة عن الأخرى تمام الانفصال، وكانت هذه الممالك تختلف في عاداتها وتقاليدها، كانت في الشمال عدة ممالك يبلغ مجموعها ست عشرة مملكة، أكبرها: مملكة بزو، كما أن في الجنوب عدة ممالك أيضا، أقواها امبراطورية أوئو، غير أن حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية، استطاعت توحيد ممالك الهوسا تحت راية واحدة، في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ولما دخل الإنجليز، واستولوا على جميع البلاد، كانوا يطلقون عليها اسم (محمية ساحل النيجر) طورا، واسم (البلاد الواقعة في حوض نهر النيجر) تارة، وانتهوا في آخر المطاف بمطلع القرن العشرين إلى تسميتها (نيجيريا) التي تعني: البلاد الواقعة حول نهر النيجر²، والنيجر ثاني الأنهار الأربعة المشهورة في إفريقيا: (النيل، النيجر، الكونغو، السنغال)، وكلمة النيجر في الأصل «محرفة من نيجرو، وهي كلمة لاتينية، معناها: الزنجي الصغير، والأسود القصير، ولقد أطلقها الأمم القديمة على سكان غرب إفريقيا وأوستراليا³».

1- أبوبكر، علي، الثقافة العربية في نيجيريا، دار الأمة للطبع والنشر والتوزيع، كنو- نيجيريا، ط2، 2014م، ص 41.

2- ينظر: غلادنيث، شيخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وأدائها في نيجيريا، المكتبة الإفريقية، القاهرة، ط2، 1993م، ص 26-27.

3- الإلوري، آدم عبد الله، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط، 1433هـ/ 2012م، ص 19.

وبعد أن أحكم المستعمر السيطرة على جميع أنحاء البلاد، قام بتقسيمها أولاً إلى منطقتين منفصلتين إدارياً، هما: المنطقة الشمالية، والمنطقة الجنوبية، وعُيّن لكل منطقة حاكماً مستقلاً، قبل أن يصدر مرسوم استعماري آخر في يناير 1914م يقتضي توحيد المنطقتين تحت حكومة اتحادية، وتعيين حاكم عام لها، مقره لاغوس، وله نائبان، أحدهما يمثل في الشمال، والآخر يمثل في الجنوب⁴، وسوف تتفرع كل من المنطقتين إلى ثلاث مناطق أخرى بعد الاستقلال عام 1960م؛ تبعا للتمدد المستمر لل عمران والتمدن، ليلج عدد المناطق الجيوسياسية ستا في نيجيريا اليوم.

وتتكون نيجيريا الاتحادية من ست وثلاثين ولاية، إلى جانب العاصمة أبوجا، تكتسح المنطقة الشمالية تسع عشرة منها، وتستحوذ المنطقة الجنوبية على الولايات السبع عشرة الباقية، وتتميز كل منطقة بتنوعها الاثني واللغوي، فتعتبر قبائل الهوسا والفلاتة أكبر الاثنيات الشمالية، بينما كانت قبائل اليوروبا والإيغبو أشهر الاثنيات الجنوبية.

2-1: دخول الإسلام وانتشار تعاليمه في نيجيريا:

دخل الإسلام في نيجيريا، - وفق الكثير من المصادر التاريخية- فيما بين القرن الحادي عشر والرابع عشر الميلادي، ويقال إن الإسلام دخل في مملكة كانم في القرن الحادي عشر، ودخل ولايات الهوسا في القرن الرابع عشر الميلادي عن طريق كنو، وكان أول من أسلم من ملوك كنو: غليي ياجي (1385-1349م)⁵، وترجع مصادر تاريخية أخرى فضل دخول الإسلام في بلاد الهوسا إلى عدة الحملات التي أنفذهها سلاطين مملكة كانم- برنو، ويذكر من هذه الحملات حملة السلطان إدريس ألوما (1603-1571م)، وقد نتج عنها استيلاؤه على المنطقة الواقعة في غربي بزنو كلها، حتى مدينة كُنو⁶.

وأما المنطقة الجنوبية فقد دخل فيها الإسلام بفضل الدعاة الماليين والوناغرة الذين توجهوا إليها وحدانا ووزرافات بين القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي⁷، ويُذكر « أن الوناغرة هم الذين نشروا الإسلام في مدينة «كاشنّه»، ثم تكوّن منهم عصابة من أربعين رجلا توجهوا إلى مدينة «كأنو»، ونشروا الإسلام بها، مع العلم بأن الوناغرة قوم من غانا ومالي القديمة⁸».

4- ينظر: أبوبكر، علي، الثقافة العربية في نيجيريا، مرجع سابق، ص 163-162.

5- ينظر: غلادنتي، شيوخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، مصدر سابق، ص 27.

6- ينظر: أبوبكر، علي، الثقافة العربية في نيجيريا، مرجع سابق، ص 90.

7- ينظر: إلوري، آدم عبد الله، نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوروبا، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1990م، ص 51.

8- المرجع نفسه، ص 51.

وخير دليل على أن قبائل المنطقة الجنوبية عرفوا الإسلام عن طريق التجار أو العلماء الوافدين من مملكة مالي القديمة هو أن الإسلام يُدعى عند قبيلة يُورُبا حتى اليوم دين مالي، أي (الدين الوافد من مالي)⁹.

وتقدر نسبة المسلمين في المنطقة الشمالية بنحو 95% من جميع سكان المنطقة، وتزيد نسبة مسلمي المنطقة الجنوبية على 50%، وينتمي الأكثرية من مسلمي المنطقتين إلى العقيدة الأشعرية، والمذهب المالكي¹⁰، وكان انتماءهم الصوفي إما إلى الطريقة القادرية فهي الأقدم، وإما إلى الطريقة التجانية، وإما إلى غيرهما من الطرق الصوفية.

وأما انتشار التعاليم الإسلامية في نيجيريا فكان على أيدي العلماء العرب الوافدين من المغرب العربي ومن مصر، أمثال الإمام السيوطي، والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، وقد أقام الثاني مدة في مدينة كاشنة في عهد أميرها إبراهيم ماجي، وأنشأ فيها مدرسة لتعليم الصغار والكبار، وشيّد فيها مسجدا بحارة غوباروا، وحمل أهلها على تطبيق الأحكام الشرعية، وعيّن لهم قاضيا من تلاميذه، كما أنه استوطن مدينة كَنُو، وكتب لملكها مجموعة من الوصايا في إدارة شئون البلاد والعباد، منها «وصية فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام»، ونسخ له المصحف الشريف بخطه، وخلف عشرات - من الكتب والمخطوطات في شتى العلوم العربية والإسلامية، منها المكتوبة بنفسه والمكتوبة من غيره - ثرّت بها المكتبة العربية والإسلامية في نيجيريا، ويقال إنه لم يخرج من كَنُو إلا بعد أن تعلّم على يديه ما لا يقل عن ثلاثة آلاف عالم¹¹، ويذكر من علماء نيجيريا الذين قرأوا عليه: الشيخ البكري البرناوي، والشيخ سليمان الوالي التاركي، كما قرأ على أحد تلاميذه الشيخ جبريل بن عمر الأكّدي، أكبر من تأثر به ابن فودي في دعوته الإصلاحية¹².

9- ينظر: الإلوري، آدم عبد الله، الإسلام في نيجيريا، مرجع سابق، ص 38-37.

10- ينظر: يوسف، إبراهيم خليل، الشعر العربي في شمال نيجيريا من 1960م إلى 2000م، رسالة قدمت إلى شعبة اللغة العربية وأدائها، بكلية الدعوة الإسلامية، طرابلس- ليبيا، لنيل شهادة الماجستير في الدراسات الأدبية، بإشراف أ.د. محمد مسعود جبران، 2010/2011م، ص 28.

11- ينظر: عبد السلام، عبد الغني أيمبولا، إسهامات المغيلي في تطوير المخطوطات العربية في نيجيريا: مخطوطة العوامل في النحو العربي للجرجاني نموذجا، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية، بجامعة أدرار، الجزائر، العدد 6، مارس 2015م، ص 14-16.

12- ينظر: الإلوري، آدم عبد الله، آثار المغاربة في نشر الإسلام والعربية في غرب إفريقيا، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 28.

2. صحيح الإمام البخاري وجهود علماء نيجيريا في العناية به:

2-1: أولية صحيح الإمام البخاري في نيجيريا:

كان كتاب صحيح الإمام البخاري من بين عشرات الكتب الإسلامية التي عرفها علماء نيجيريا على أيدي العلماء المغاربة الذين زاروا البلاد ما بين القرنين التاسع والعاشر الهجريين، وأثبت الوثائق التاريخية المحلية أن أول من جاء به هو الشيخ محمد زهرة الشهير بـ (مَيْكَرْغُو)، الوافد من بَرْزُورَ، وهي قرية بمدينة فَغِيغَ، من أقاليم تونس، واشتهرت القرية بنيوغ أبناءها في الحديث، وهذا ما جعل من هذا الشيخ فريد عهده في معرفة الحديث، والإمام بأسانيده، وقيل إنه حفظ صحيح الإمام البخاري بأسانيده، وقد أقام في مدينة كَنُو في فترة أميرها محمد الملقب بـ (قَيْسُوكِي)، وقُتل فيها¹³، غير أنه خلف فيها آثارا علمية يُذكر بها حتى اليوم، وأبرزها نشر صحيح الإمام البخاري، وترسيخ دراسة الحديث النبوي بأسانيده، وقد تلمذ عليه عدد من علماء نيجيريا الذين صاروا فيما بعد أساطين الحديث، منهم: الشيخ عبد الله ثقة الفلاني الكشناوي، الذي كان يعتبر كعبة قاصدي علم الحديث، وكانت أسانيد علماء الحديث في نيجيريا تتصل به إن لم تكن تنتهي إليه، وقد أضاف إلى صحيح الإمام البخاري بعض شروح مفيدة¹⁴، ويقال إنه أول من حفظ الصحاح الست في هذه البلاد، وقد رثاه أحد تلاميذه بقصيدة شعرية تشي بمكانته العلمية، منها هذا البيت الآتي:

مدينة العلم عبدُ الله ذاك ثَقْلُهُ

وفي التعدّد خُذْ من بَعْدِهِ عُمَرَا¹⁵.

ومنهم الشيخ إبراهيم موسى غَيْرُو، الذي كان يعد شيخ علماء الحديث في بلاد الهوسا في زمنه¹⁶، وغيرهما من العلماء الذين اضطلعوا بنشر صحيح الإمام البخاري، وترسيخ علم الحديث في أنحاء نيجيريا شمالا وجنوبا، سيرا على النهج الذي شقّه أستاذهم التونسي محمد زهرة، الذي يعتبر بحق الأب الروحي لعلم الحديث في نيجيريا، وإذا كان هذا العالم التونسي أول من أدخل صحيح البخاري إلى نيجيريا، فإن هناك عالما تونسيا آخر يعتبر أول من أدخل الكتاب إلى القيروان، وهو أبو الحسن

13- ينظر: الكبرى، قريب الله محمد الناصر، الرسالة الجليلة لمكانة نيجيريا العلمية قبل كيان دولة صوكوتو العاصمة العلمية من القرن الثاني إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري، دار الآن للطباعة والنشر، قبرص، ط1، د.ت، ص 39-40.

14- ينظر المرجع السابق، ص 40-41.

15- ينظر: الإلبوري، الإسلام في نيجيريا، مرجع سابق، ص 68، ويقصد بـ (عمر) العلامة عمر الكباوي أحد أصحاب الشيخ عبد الله ثقة.

16- ينظر: الكبرى، قريب الله محمد الناصر، الرسالة الجليلة لمكانة نيجيريا العلمية، ا مرجع سابق، 40.

علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني الشهير بالقابسي¹⁷ (ت 403هـ)، وعلى يديه هو - ورفيقه عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت 392هـ) في رحلة الحج، ولقاء أبي زيد المرزوقي بمكة - دخل الكتاب في بلاد المغرب العربي والأندلس، وفي ذلك يقول المنوني: «وقد كان القابسي أول من أدخل صحيح البخاري إلى القيروان، كما يعتبر الأصيلي أول من روي عنه نفس الكتاب من طرف بعض المغاربة، حيث رواه عنه وعن القابسي أبو عمران الفاسي: موسى بن عيسى بن أبي حاج الغفجومي، نزيل القيروان، والمتوفى بها عام 430هـ، ومن جهة أبي عمران الفاسي يتصل عياض بالقابسي، ومن جهته أيضا يتصل بالأصيلي، وبالأندلس روى صحيح البخاري عن الأصيلي جمع من المحدثين...»¹⁸، إن هذا يشي برسوخ قدم العلماء التونسيين في علم الحديث، واهتمامهم الكبير برواية صحيح الإمام البخاري ونشره في إفريقيا شمالها وغربها.

كما أن دخول الكتاب إلى نيجيريا عبر تونس الخضراء كان دليلا يؤكد على أن مدرسة تونس بالإضافة إلى مدرستي تلمسان وفاس المغربيتين تنافس مصر في إمداد مناطق السودان الغربي بالعلوم والمعارف الإسلامية ردحا من الزمن حتى نبغ فيها العلماء¹⁹.

2-2: مظاهر عناية علماء نيجيريا بصحيح الإمام البخاري:

اهتم علماء نيجيريا بالحديث النبوي اهتمامهم بالقرآن الكريم؛ مؤمنين بأنهما المصدر الأساسي الذي يستمد منه التشريع الإسلامي، ولم يكونوا يهتمون بكتاب من بين كتب الأحاديث النبوية الاهتمام البالغ الذي أولوه صحيح الإمام البخاري، فقد اعتنوا به قراءة وإقراء وإجازة، وأوسعوه حفظا وتحفيظا، وتناولوه في مؤلفاتهم رواية ودراية، وتعاطوه في مجالسهم العلمية شرحا وترجمة إلى لغاتهم المحلية، وتربصوا بكل الشبهات التي أثارت حوله ذودا ودفاعا، وأطلقوا اسم مؤلفه على مؤسساتهم وفعالياتهم تقديرا وتبركا، وتبين عنايتهم بالكتاب أكثر في المظاهر الآتية:

2-2-1: قراءة صحيح الإمام البخاري وإقراؤه وإجازته: لما كان صحيح البخاري من أهم كتب الحديث التي لا يفهم القرآن الكريم ولا دين الإسلام حق الفهم إلا بها، اعتنى علماء نيجيريا بقراءته وإقراؤه وإجازة طلابهم على مروياته في كتاباتهم ومدارسهم،

¹⁷ - إنه «الفقيه النظار الأصولي المتكلم الإمام في علم الحديث وفنونه وأسانيده، كان عليه الاعتماد، مؤلفاً مجيداً ثقة صالحاً وكان أعمى لا يرى شيئاً وهو مع ذلك من أصح الناس كتباً وأجودهم ضبطاً وتقيداً يضبط كتبه بين يديه ثقات أصحابه والذي ضبط له البخاري سماعه من أبي زيد المرزوقي بمكة أبو محمّد الأصيلي، سمع من رجال إفريقية كالأيباني وأبي الحسن بن مسرور الحجام وأبي عبد الله بن مسرور دزاس بن إسماعيل، ورحل سنة 352 هـ فحج وسمع من حمزة بن محمّد الكنانى الحافظ والقاضي التستري وأبي زيد المرزوقي وأبي أحمد محمّد بن أحمد الجرجاني، روى عنهما البخاري وهما عن الإمام الفريزي عن البخاري وهو أول من أدخل رواية البخاري إفريقية وسنده وسند أبي ذر الهروي وسند من أخذ عنهما مذكور في أوائل فتح الباري على البخاري... مولده سنة 324 هـ وتوفي بالقيروان سنة 403 هـ، ودفن بباب تونس» (مخلوف، محمد بن محمد بن عمر، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2003م، ج 1، ص 145).

¹⁸ - المنوني، محمد، قيس من عطاء المخطوط المغربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1999م، ص 82.

¹⁹ - ينظر: الإلوري، آثار المغاربة في نشر الإسلام والعربية في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 26-27.

ومن أبرز علماء شمال نيجيريا الذين ثبت في تراجمهم أنهم قرأوه وأجيزوا في مروياته: الحاج محمد الراجي من أساتذة الشيخ عثمان بن فودي، سافر إلى الحج، وأخذ صحيح البخاري عن علماء الحجاز، وله إجازة إلى البخاري من شيخه أبي الحسن السّندي، عن محمد بن حياة السّندي.²⁰

كما ثبت في ترجمة الشيخ عثمان بن فودي (ت 1817م) وشقيقه الأصغر عبد الله (ت 1828م)، أنهما قرأ الكتاب وأجيزا فيه، وإلى ذلك يشير عبد الله، أثناء ترجمة حياة شقيقه الأكبر، وقال « وأخذ علم الحديث من خالنا وعمنا الحاج محمد بن راج بن مودب بن حم بن عال، قرأ عليه الصحيح للبخاري جميعه، وأنا أسمع، ثم أجازنا جميع مروياته مما أخذ من شيخه المدني السّندي الأصل أبي الحسن علي²¹». وأكده في نظمه الآتي:

من الحاج عمي وابن راج محمد
سماغ البخاري الصحيح المطيب
وسائر كُتب الحديث أجازنا
بها عن علي في المدينة يثرب.²²

وقد قام عبد الله بن فودي بالترحيب بشيخه بعد رجوعه من المدينة في قصيدة جيمية منها هذا البيتان:

هنيئاً نيل خير بأنعراج
إلى حاج شهير يابن راج
صبور فائق علماء علم الحد
يث مضيئه مثل السراج.²³

وأقر السلطان محمد بللو ابن الشيخ عثمان بن فودي (ت 1837م)، في كتابه (إنفاق الميسور) أنه قرأ صحيح البخاري نحو النصف وأجيز فيه على شيخه محمد بن محمد بن أبي بكر الونكري التنبكتي المعروف بـ (تغبغ)²⁴.

20- موسى، محمد الثاني عمر، الاهتمام بالسنة النبوية بلغة الهوسا، عرض وتحليل، منشورات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ط 1، 2012م، ص 3.

21- ابن فودي، عبد الله، إيداع النسوج من أخذت عنه من الشيوخ، تخريج: الفاتح قريب الله الناصري الكبرى، منشورات مكتبة الشيخ مالم كبرا، كنو- نيجيريا، ط 1، 1434هـ، ص 15.

22- المرجع السابق، ص 19.

23- ابن فودي، عبد الله، تزيين الورقات بجمع مالي من الأبيات، تصحيح الدكتور يحيى محمد الأمين، ضمن مختارات من مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي، دار اقرأ، غوسو- نيجيريا، ط 1، 2013م، المجلد 2، ص 12.

24- ينظر: ابن فودي، السلطان محمد بللو بن عثمان، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تصحيح: الدكتور سليمان موسى وغيره، ضمن مختارات من مؤلفات أمير المؤمنين محمد بللو، دار اقرأ، غوسو- نيجيريا، ط 1، 2013م، ج 1، ص 323-324.

وفي بلاد يوربا، دأب العلماء على منح إجازة في الكتاب، عقب الدورات العلمية التي تنظم فينة بعد أخرى لمدارسة أبوابه، وأقرب دورة فيما عرفت دورة الإمام أحمد بن حنبل، وقد نظمها مسجد الإمام البخاري بحارة جَلَالًا، أُوكِي أُوْدُو، تَنَكِّي- إلورن، بالتعاون مع مؤسسة دار الحديث والأثر الخيرية، لمدة ستة أيام من يوم السبت 3-8 جمادى الآخرة 1445هـ، تحت إشراف الدكتور إدريس أبي بكر إللوري النيجيري، وتناولت الدورة مدارس 200 حديث من الكتاب، بداية من باب صلاة الخوف، ومنح إجازة للذين حفظوها في نهاية الدورة.

ولا تقتصر قراءة الكتاب على الكتابات التقليدية والحلقات الحرة فقط، بل إنها تشمل أيضا المؤسسات الأكاديمية، حيث إن جزءا من أبواب الكتاب يُكوّن - إلى جانب الكتب الأخرى- مفردات منهج مادة الحديث النبوي التي يتناولها الطلاب المتخصصون في الدراسات الإسلامية بالمعاهد والجامعات الوطنية والأهلية قبل أن يكونوا مؤهلين للحصول على الإجازة العالية، وعلى سبيل المثال، عثرت في الموقع الرسمي²⁵ للجامعة الوطنية المفتوحة على مذكرتي مادة الحديث: (ISL 222) و (ISL 121) للعام 2012م، وهما تحتويان على أحاديث مختارة من ترجمة محمد محسن خان الإنجليزية لصحيح البخاري، طبعة 1981م.

2-2-2: حفظ صحيح البخاري وتحفيظه: كما تظهر عناية علماء نيجيريا بالكتاب في اهتمامهم بحفظه وتحفيظه للناس، واشتهر من الذين حفظوه من علماء شمال نيجيريا: الشيخ مَالَم سَاوُ زَاغِي، الذي يقال إنه حفظ الكتاب عن ظهر القلب إلى جانب كتب الصحاح الأخرى، وكان يصحح قراءة تلاميذه من حفظه، وكذلك الشيخ مَالَم حُسَيْنُ كَبَرَا وكلاهما من مدينة كُئُو²⁶، ويضاف إلى هذين الشيخ عبد الله ثقة الفلاني الكشناوي السالف الذكر، والذي قيل إنه أول من حفظ صحيح البخاري مع بقية كتب الصحاح في هذه البلاد²⁷.

وفي بلاد يوربا، يقوم عدد من الدعاة اليافعين بتحفيظ الشباب أحاديث الكتاب، واشتهر منهم الأستاذ أبو عبد الله عبد الغفار بن إبراهيم أنيوريدي الذي كان يعقد منذ 2023م جلسة أسبوعية لشرح الكتاب وتحفيظه لتلاميذه في مدرسة أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) للتعليم الإسلامي العربي في حارة أُوْكَوْ أُوْوُو- إلورن، ويقوم بتسميعهم كل يوم الأحد.

والأستاذ يوسف بن هاشم المعروف بـ(الخويديم)، وكان يعقد جلسة أسبوعية لشرح أحاديث الكتاب لتلاميذه وتحفيظهم إياها في مؤسسة دار القرآن والحديث الإسلامية بمدينة إبادن، وكان ينشر دروسه في تليجرام، باسم (Duroos Abil' Aaadilah Yusuf bin Haashim).

25- وهو * (noun.edu.ng)

26- موسى، محمد ثاني عمر، الاهتمام بالسنة النبوية، مرجع سابق، ص 9.

27- إللوري، الإسلام في نيجيريا، مرجع سابق، ص 68.

3-2-2: تناول صحيح البخاري رواية ودراية: كان علماء نيجيريا واثقين من صحة أحاديث البخاري، ولأجل ذلك، كانوا يعتمدون عليها كثيراً، ويستدلون بها على أقوالهم وأفعالهم، وكان من أكثر علماء نيجيريا رواية لأحاديث البخاري الشيخ عثمان بن فودي الذي روي أنه كان لا يستفتح خطبه ومجالس وعظه إلا بقوله: «وبسندنا المتصل إلى الإمام الحافظ الحجة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة بن بردية البخاري الجعفي، قال: حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، قال: أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي، أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي، يقول: سمعت عمر بن الخطاب على المنبر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه²⁸)، ثم يقول: أصلحوا نياتكم في أموركم كلها: في العبادة وغيرها، فما كان يصلي فليصل لله، ومن كان يصوم فليصم لله، وهكذا في سائر العبادات²⁹».

وملاً كتابه (سوق الأمة إلى اتباع السنة) بأحاديث صحيحي البخاري ومسلم، وذكر في المقدمة سبب الإكثار من إيراد أحاديث البخاري، قائلاً: «أورد فيه أحاديث صحيحي البخاري ومسلم فقط، لإجماع الأمة على قبولها، ولكون لفظ البخاري أكثر فيه من لفظ رواية مسلم، وإن اشتركا في إيراد معظمه في المعنى لكون البخاري أصح من مسلم على ما ذهب إليه الجمهور، ولكون رواية البخاري عندي سماعاً... فإنها كانت عندي إجازة³⁰».

كما أن هناك عدداً من العلماء تناولوا الكتاب دراية، فكتبوا عنه نظماً ونثراً، ومنهم من أفرد للتعريف به كتاباً، ومنهم من أوجز - في فقرة أو في باب - الحديث عنه، ويطالعنا في الفريق الأول الشيخ العلامة رمضان بن أحمد، وكان أصله من فزان، واستوطن زنفر، وورد في (إنفاق الميسور) أن له مؤلفاً نظم فيه رواية البخاري³¹، لكن للأسف لم نثر عليه.

ومن الذين عثرنا على مؤلفاتهم الشيخ عبد الله بن فودي، وله نظم على صحيح البخاري سماه (سراج جامع البخاري)، واستهل الناظم بذكر غايته من الأجوبة، وقال:

28- البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا وغيره، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1987م، ج6، ص2461.

29- ينظر: ابن فودي، السلطان محمد بللو، إنفاق الميسور، مرجع سابق، المجلد1، ص175-174.

30- ابن فودي، عثمان، سوق الأمة إلى اتباع السنة، تصحيح: الدكتور يحيى محمد الأمين، ضمن مختارات من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي، دار اقرأ، غوسو- نيجيريا، ط1، 2013م، المجلد3، ص428.

31- ابن فودي، السلطان محمد بللو، إنفاق الميسور، مرجع سابق، المجلد1، ص154.

وبعدُ، فالقصد بِذِي الأسطَارِ
تعريفُ ما في جامع البخاري
من شرطه والفصل والموضوع
تراجُم مَع سبب التَّقْطِيعِ
فيه الأحاديث والاختصار
وحكم ما عُلق والتكرار
عَدُّ الأحاديث مع الأبواب
والكتب والألقاب والأنساب
وهو سراج جامع البخاري
مُقتبساً من ضوء فتح الباري
عَدُّ شيوخه مع الرُّوَاةِ
وشارحيه شرحُ كُلِّ يَأْتِي.³²

وتتكون الأرجوزة من 12 فصلاً بعد المقدمة، وهي:

- 1- فضل صحيح البخاري.
- 2- موضوعه .
- 3- تراجمه.
- 4- تقطيع الحديث واختصاره وتكراره.
- 5- معلقاته.
- 6- عدد أحاديثه .
- 7- عدد كتبه وأبوابه.
- 8- الألقاب التي وردت في البخاري.
- 9- الأنساب التي وردت في البخاري.
- 10- عدد شيوخه.
- 11- عدد رواته.
- 12- شراحه.

وأما الفريق الثاني الذين ضمّنوا الحديث عن صحيح البخاري باباً من أبواب مؤلفاتهم، فيتصدرهم كذلك الشيخ عبد الله بن فودي، وله أرجوزة طويلة جداً، سماها (ضياء السند)، وسرد في أحد أبوابها سلسلة سند الكتاب إلى الإمام البخاري، جاء فيها:

32- ابن فودي، عبد الله، سراج جامع البخاري، تصحيح الدكتور سليمان موسى ايثاني، ضمن مختارات من مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي، دار اقرأ، غوسو- نيجيريا، ط1، 2013م، المجلد 3، ص 3.

يقول عبد الله بن عبد الحميد
 لله والصلوة في ذي المجد
 أخبرنا محمد بن زاذ
 أي عمنا خلاصة الحجج
 الجامع الصحيح للخاري
 والشيخ عثمان عليه القاري
 عن شيخه بطيئة أبي الحسن
 لعالم السندي حافظ السنن
 إلى قوله:

عن الشرحي عن القاري
 عن البخاري العظيم الأمر³³.

ولعبد الله بن فودي نظم آخر سماه (مصباح الراوي في علم الحديث)، وفيه أشار
 إشارة خاطفة في أكثر من موضع إلى الإمام البخاري وصحيحه³⁴.
 ويدخل في الفريق من بلاد يوربا الشيخ آدم عبد الله الإلوري (ت 1992م)، وله كتاب
 (مبادئ علم الحديث)، تعرض فيه لترجمة وجيزة - في حدود ثلاثة أسطر فقط - عن
 الإمام البخاري وعن عدد الأحاديث التي تضمنها صحيحه³⁵.
 ومن بلاد يوربا كذلك الشيخ محمد المصباح إبراهيم الزيتوني، وقد عقد أثناء
 شرحه لمنظومة البيقوني³⁶ مقارنة بين صحيح البخاري ومسلم، خلص فيها إلى
 المصادقة على قول الشاعر³⁷:

تشاجر قوم في البخاري ومسلم
 لدي وقالوا: أي دين تقدم؟
 فقلت: لقد فاق البخاري صحة
 كما فاق في حسن الصناعة مسلم.

33- ابن فودي، عبد الله، ضياء السند، تصحيح: مالم أنس محمد يعقوب، ضمن مختارات من مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي، دار اقرأ، غوسو- نيجيريا، ط1، 2013م، المجلد 1، ص 267-268.

34- ينظر: ابن فودي، عبد الله، مصباح الراوي في علم الحديث، تحقيق: محمد المنصور إبراهيم، دار العلم للطباعة والنشر، سكتو- نيجيريا، ط2، 2005م، ص 31 و 34.

35- الإلوري، آدم عبد الله، مبادئ علم الحديث، مطبعة الثقافة أغيجي، نيجيريا، ط1، 1980م، ص 7.

36- ينظر: الزيتوني، محمد المصباح إبراهيم، شرح الزيتوني لمنظومة البيقوني في علم الحديث، مطبعة دار النور، لاغوس، ط2، 2023م، ص 29-33.

37- * وهو الحافظ عبد الرحمن بن علي بن الدبيع، ينظر: (القنوجي، السيد صديق حسن، الحطة في ذكر الصحاح الستة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1985م، ص 159).

4-2-2: شرح صحيح البخاري وترجمة معانيه إلى اللغات المحلية: إن المكانة الرفيعة

التي يتبوّؤها الكتاب بين كتب الصحاح وباقي مجموعات الحديث، جعلت العلماء في نيجيريا يهتمون بشرح معانيه وترجمتها إلى اللغات المحلية لتقريب نصوص الكتاب إلى أفهام العامة من الناس، كل حسب المنطقة التي ينتمي إليها، وحسب اللغة الشائعة فيها، وفي منطقة شمال نيجيريا التي ينتشر فيها الهوسا اشتهر الشيخ أبو بكر محمود جومي (ت 1992م)، بإلقاء دروسه العلمية التي من بينها شرح معاني صحيح الإمام البخاري بالهوسا بمطلع ستينيات القرن العشرين في جامع السلطان بللو في ولاية كدونا خلال أيام شهر رمضان المبارك، وكانت الدروس تبث في إذاعة الولاية، ومع بداية عام 1971م كان الشيخ يخصص يوم السبت كل أسبوع، لإلقاء الدروس في الكتاب، من الساعة 4:30 إلى الساعة 6:00 مساءً، ولقد استطاع - رحمه الله تعالى - أن يكمل ترجمة الكتاب كاملاً من خلال دروسه الأسبوعية، وكانت ترجمته تتميز بشرح معاني الكتاب وربطها بالواقع الديني الذي يعيشه الناس في المجتمع، مع استنباط أحكام شرعية وآداب مستفادة من خلال أحاديثه³⁸.

ولقد أثرت هذه الدروس الأسبوعية في شريحة كبيرة من تلاميذه الذين صاروا فيما بعد يعقدون دروساً علمية في مدنهم المختلفة، منهم: الشيخ مختار غبّطو الذي كان يعقد في منزله بولاية ترابا جلسة شرح الكتاب بالهوسا كل مساء يومي السبت والأحد، وتبث في إذاعة الولاية الرسمية³⁹.

واشتهر في مدينة كنو الشيخ الدكتور أحمد محمد إبراهيم بعقد جلسة أسبوعية كان يشرح فيها الكتاب، داخل مسجد جامعة بايرو، في كل يومي السبت والأحد مساءً، وكان درسه يبث في إذاعة كنو، كما ينقل عبر شاشة التلفزيون الوطني (NTA) فرع كنو⁴⁰.

وإذا كانت الشروح المذكورة شفوية تُلقى في المجالس العلمية عفوية، فإن هناك شروحات أخرى للكتاب في لغة الهوسا تجشم أصحابها عناء طبعها، وتحملوا نفقة نشرها، كترجمة لأحاديث من الكتاب، كتبها الشيخ محمد سنوسي غمبي، ونشرها في جزأين عام 1984م⁴¹.

ولم يكن شرح الكتاب إلى لغة الهوسا حكراً على جهود الأفراد، بل إن المؤسسات الأكاديمية كذلك أسهمت في المجال أياً إساهم، ومن ذلك: مشروع ترجمة صحيح البخاري إلى الهوسا، واختير لتفيذه طلبة الليسانس بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة بايرو- كنو، ليكون بحثاً تكميلياً لحصولهم على الإجازة

38- ينظر: موسى، محمد ثاني عمر، الاهتمام بالسنة النبوية، مرجع سابق، ص 17-16.

39- ينظر: المرجع السابق، ص 19.

40- ينظر: المرجع السابق، ص 20.

41- ينظر: المرجع السابق، ص 31.

العالية، تحت إشراف منسق المشروع د. عبد العلي عبد الحميد، وهو أستاذ بالقسم، فقام الطالب عمر مَدَاوُو بترجمة أول مائة حديث من الكتاب عام 1983م، واستمرّ المشروع على أيدي طلبة آخرين إلى أن اكتمل عام 1988م⁴².

غير أن المشروع، على الرغم «من الجهود المبذولة فيه من قبل القائمين عليه والطلاب الدارسين على السواء، إلا أن ما صاحبه من الخلل كان كبيرا، ولم يكن العمل بمستوى ضخامة المشروع وأهميته، ومبدأ الخلل كامن في إسناد مثل هذا العمل إلى طلاب مرحلة الليسانس، وهي مرحلة أولية لتكوين الشخصية العلمية، ولم تكن بذلك النضج الذي يؤهلها للقيام بمثل هذا المشروع الضخم ذي الأهمية القصوى كهذه، ولو تمّ ذلك لطلاب مرحلة الماجستير والدكتوراه لكان الأمر أنسب وأليق...»⁴³.

وفي مناطق يوربا، يوجد عدد من الدعاة الشباب المتحمسين للدعوة إلى الله على منهج السلف الصالح كانوا يقومون بتنظيم حلقات ودورات علمية لشرح معاني الكتاب وترجمتها إلى لغة اليوربا، منهم الأساتذة المذكورون آنفا: الدكتور أبو عبد الله عبد الغفار بن إبراهيم أنيوريدي في مدينة إلورن، والأستاذ يوسف بن هاشم المعروف بـ(الخويديم) في مدينة إبادن، والدكتور إدريس أبي بكر الإلوري في مدينة إلورن أيضا، كلهم كانوا يقومون بشرح معاني الكتاب إلى لغة اليوربا قبل تحفيظ تلاميذهم نصوصه وتسميعهم.

والأستاذ عبد الغني جمعة رائد مجالس أهل السنة والجماعة بحارة أموكوغو- لاغوس، الذي كان يترجم معاني الكتاب في جلسات علمية إلى اليوربا، وقد نُشر له 46 مقطعاً صوتياً في ذلك على موقع (dawahnigeria.com)، كما نشر في الموقع 24 مقطعاً صوتياً ترجم فيها الدكتور عبد الملك ليمن من ولاية نيجر أحاديث من الكتاب إلى لغة نُوفي، وهي اللغة التي تتكلم بها القبائل النواوية المنتشرة في وسط الشمال، وفي الجنوب من نيجيريا.

5-2: الدفاع عن صحيح الكتاب أمام الشبهات التي أثّرت حوله: وتتجلى عناية علماء نيجيريا بالكتاب أيضا في استماتتهم في الدفاع عنه أمام الشبهات التي أثّرت حوله، وقصة الشبهات المثارة في نيجيريا كما هي الحال في العالم الإسلامي قديمة متجددة، لكن أحدثها في نيجيريا ما حكى قصته الدكتور محمد حبيب الله جمعة في النص الآتي: «فليس من الخبر الجديد في الساحة الدعوية النيجيرية خاصة في الجنوب الغربي منها ما يتجدد في كل سنة وفي كل شهر رمضان من الفوضى العلمية والفتن الدينية المتمثلة في التشكيك في المبادئ والطعن في

42- ينظر: المرجع السابق، ص 26.

43- المرجع السابق، ص 27.

المسلمات بحجة النقد العلمي... ويحمل لواءها مدير مركز التعليم العربي الإسلامي أَعْيَغِي نيجيريا الشيخ محمد حبيب الله آدم عبد الله الإلوري... كل ذلك في شاشات التلفزيونات الدولية... وما إن قرب شهر رمضان عام 2016م، حتى فاجأنا هؤلاء بطعوناتهم في أصح الكتب الإسلامية بعد القرآن الكريم (صحيح البخاري) بإجماع من يعتد بإجماعه من علماء الأمة من زمن الإمام البخاري إلى عصرنا، قطعوا في طائفة من أحاديثه وأسقطوا وجدعوا بل كذبوا بعض رواته من الصحابة والتابعين من أمثال راوية الإسلام أبي هريرة وأنس بن مالك - رضي الله عنهما... فمع قرب رمضان 2017م خرج علينا الأستاذ آدم يحيى عبد الرحمن الفلاني، بكتابه « في صحيح البخاري بحث ومراجعة»⁴⁴.

وواصل الدكتور عبد الرحمن كَاوُري الحكاية بالتأكيد على أن الأستاذ الفلاني وعد القراء في الكتاب بمناقشة الشبهات في أسلوب علمي أكاديمي، إلا أنه « خيب آمال الجميع؛ لأن محتوى هذا الكتاب أسوأ مما قيل في مجالس أَعْيَغِي، لأن ما قيل في المجالس بث على الهواء، لكن الأخ آدم يحيى عمق الجرج وأنكى فاجتر ما قيل في مجالس أَعْيَغِي، واستعاد الشبهات، فسجلها مكتوبة»⁴⁵.

فقام شريحة من العلماء بالدفاع عن صحيح البخاري والرد على هذه الشبهات التي هيكت حول صاحبه، بكل ما أوتوا من قوة، طائفة - وهم الأكثر- دافعوا عنه بألسنتهم، فعددوا من أجله حلقات وجلسات علمية عامة، بينما دافع عنه آخرون ببنانهم، فألفوا من أجله كتباً نُشر بعضها، وما زال البعض الآخر مخطوطاً غير منشور.

ومن الطائفة الأولى، وجدنا الشيخ عمران عبد المجيد أَيْلِيخَا، المدير العام لمجمع دار النعيم، وخطيب جامعها بمدينة لاغوس، وقد أذيعت جلسته العلمية في شريط سُمِّي بـ « القول الحق في صحيح البخاري» 2016م⁴⁶.

ومن الطائفة الثانية، رأينا الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن أحمد الإمام الشهير بـ(كَاوُري)، أستاذ التعليم العالي بكلية اللغات، في جامعة الحكمة إلورن، في كتابه الذي بلغت صفحاته 260، والذي نشر عام 2017م، بعنوان: (عن صحيح البخاري حوار علمي هادئ مع الأخ آدم يحيى الفلاني في كتابه « في صحيح البخاري»)⁴⁷.

44- أبابك، محمد حبيب أبيؤنن جمعة، وقفات علمية هادئة مع الأستاذ آدم يحيى الفلاني في كتابه « في صحيح البخاري بحث ومراجعة» غير منشور، 2017م، ص 2-3.

45- كاكوري، عبد الرحمن بن أحمد الإمام، عن صحيح البخاري، دار إيمائس للطباعة والنشر والترجمة، د.ب، ط 1، 2017م، ص 10.

46- ويوجد رد مضاد للشريط يتمثل في كتاب « ساعة مع شريط عمران عبد المجيد أَيْلِيخَا « القول الحق في صحيح البخاري، للشيخ محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري، نشر 2016م.

47- ولقي الكتاب ردوداً مضادة منها:

- كتاب عن صحيح البخاري عتراضات وتنبيهات، للشيخ محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري، نشر عام 2018م، وبلغت صفحاته 205.

- حديث مع علماء الحديث، للشيخ آدم يحيى عبد الرحمن الفلاني نشر 2019م، وبلغت صفحاته 264.

والدكتور الشاب محمد حبيب الله أبيؤدن جمعة أبايعة، في مؤلفه الذي انتهى من كتابته عام 2017م، ولم ينشره بعد، وقد بلغت صفحاته 78، وعنوانه: (وقفات علمية هادئة مع الأستاذ آدم يحيى الفلاني في كتابه) في صحيح البخاري بحث ومراجعة).

2-2-6: إطلاق اسم الإمام البخاري على المؤسسات الوطنية: كان من عادة العلماء في نيجيريا أن يطلقوا اسم الإمام البخاري على مؤسساتهم العلمية والدينية مثل المكتبات والمساجد، وعلى فعالياتهم الثقافية، مثل الدورات والحلقات العلمية والمهرجانات الثقافية؛ تقديرًا للمشاق التي تكبدها خلال مدة زمنية تربو على عقد ونصف كان يجمع فيها الأحاديث الصحاح التي تعد بالآلاف، في كتاب أسماه (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه)، وهو بذلك قد أسهم -كما يلاحظ في عنوان الكتاب- في جمع وتدوين السنة النبوية التي تعتبر ثاني مصادر التشريع الإسلامي.

ومن أبرز المؤسسات التي أطلق عليها اسم الإمام البخاري، وأكثرها نشاطاً - وفق المعلومات المتوفرة في صفحتها على مواقع التواصل الاجتماعي⁴⁸: مركز الإمام البخاري للأبحاث والترجمة بمدينة كُئو، بناه - بتمويل بعض المحسنين من دول الخليج - الأستاذ الدكتور الشيخ محمد الثاني عمر موسي الشهير بـ (ريجيئز لِيَمُو)، أستاذ بقسم الدراسات الإسلامية، جامعة بايرو، كُئو، واقتتح - في مهرجان كبير شهد مشاركة محلية وإقليمية ودولية - يوم الجمعة 29 جمادى الأولى 1444هـ، الموافق 23 ديسمبر 2022م، ويقع المركز في طريق غُوَاوَزُو السريع، قرب المقر الدائم لجامعة بايرو، ويحوي مئبناه مكتبة كبيرة، ومسجداً يسع مئات المصلين، وتُعقد فيه أكاديمية الإمام البخاري، وهي مدرسة خصصت لتعليم النساء وتوعيتهن بأمور دينهن، كل يومي السبت والأحد، من الساعة 10:30 صباحاً حتى 12:15 ظهراً، ويشرف المركز على مدرسة ثانوية اسمها كلية الإمام البخاري العالمية، الواقعة في طريق زَارِيَا السريع، بمدينة كُئو، ونشر المركز لمؤسسه من عام 2022 حتى الآن سلسلة من الإصدارات تجاوزت 25، وتُرجم أكثرها إلى الهوسا والإنجليزية، ومن هذه الإصدارات:

تذكرة المتعلمين بنعوت العلماء الربانيين.

نبي الرحمة.. سيرة ودروس وعبر.

تمام التوفيق في سيرة الصديق.

عمر الفاروق.. سيرة حياة ومسيرة كفاح.

⁴⁸ - الاسم والرابط كالتالي:

AL-Imamul Bukhari Center For Research And Translation
<https://www.facebook.com/share/165c2LaRVj/?mibextid=qj2Omng>

إتحاف السامع والقاري في ختم صحيح البخاري.
بغية المحتاج في ختم صحيح مسلم بن الحجاج.
بغية المشتاق في شرح رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى العراق.
العلمانية وأثرها في المجتمعات الإسلامية.
الشيخ عثمان بن فودي وقراءة في تراثه العلمي.
البناء العلمي للداعية والسبيل إليه.
الديباجة في بيان حكم تعدد الجمعة من غير حاجة.

الخاتمة:

من خلال البحث، حاولنا - قدر المستطاع - أن نسلط الضوء على جهود علماء نيجيريا في العناية بصحيح الإمام البخاري، ورأينا من الأهمية بمكان التمهيد للموضوع بالحديث المقتضب عن نيجيريا، مركزين على توزيعها الجغرافي والجيوسياسي بين الشمال والجنوب - وهما المنطقتان اللتان مثلتا الحدود المكانية للبحث - وعلى تركيبها الاثنية واللغوية، وعلى دخول الإسلام وانتشار تعاليمه ونسبة المسلمين فيها، لنقف بعد ذلك وقفة متأنية مع تاريخ أولية صحيح الإمام البخاري في نيجيريا، مشفوعا ببيان مظاهر عناية العلماء في الشمال والجنوب بالكتاب، وهذه المظاهر تتلخص: في قراءة الكتاب وإقراءه وإجازته، وفي حفظه وتحفيظه، وفي تناوله رواية ودراية، وفي شرحه ترجمة معانيه إلى اللغات المحلية، وفي الدفاع عنه وعن مؤلفه أمام الشبهات المثارة حولهما، وأخيرا، في إطلاق اسم مؤلفه على المؤسسات الوطنية والفعاليات الثقافية.

المصادر والمراجع:

- أبا بعلك، محمد حبيب أبيؤدن جمعة، وقفات علمية هادئة مع الأستاذ آدم يحيى الفلاني في كتابه « في صحيح البخاري بحث ومراجعة » غير منشور، 2017م.
- أبوبكر، علي، الثقافة العربية في نيجيريا، دار الأمة للطبع والنشر والتوزيع، كنو-نيجيريا، ط2، 2014م.
- الإلوري، آدم عبد الله، آثار المغاربة في نشر الإسلام والعربية في غرب إفريقيا، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط، د.ت.
- الإلوري، آدم عبد الله، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط، 2012م.
- الإلوري، آدم عبد الله، مبادئ علم الحديث، مطبعة الثقافة أغيجي، نيجيريا، ط1، 1980م.
- الإلوري، آدم عبد الله، نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1990م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا وغيره، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1987م.
- الزيتوني، محمد المصباح إبراهيم، شرح الزيتوني لمنظومة البيقوني في علم الحديث، مطبعة دار النور، لاغوس، ط2، 2023م.
- عبد السلام، عبد الغني أمبول، إسهامات المغيلي في تطوير المخطوطات العربية في نيجيريا: مخطوطة العوامل في النحو العربي للجرجاني نموذجاً، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية، بجامعة أدرار، الجزائر، العدد 6، مارس 2015م.
- غلادنتي، شيخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، المكتبة الإفريقية، القاهرة، ط2، 1993م.
- ابن فودي، السلطان محمد بللو بن عثمان، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تصحيح: الدكتور سليمان موسى وغيره، ضمن مختارات من مؤلفات أمير المؤمنين محمد بللو، دار أقرأ، غوسو-نيجيريا، ط1، 2013م.
- ابن فودي، عبد الله، إيداع النسوج من أخذت عنه من الشيوخ، تخريج: الفاتح قريب الله الناصري الكبيري، منشورات مكتبة الشيخ مالم كبرا، كنو-نيجيريا، ط1، 1434هـ.
- ابن فودي، عبد الله، تزيين الورقات بجمع مالي من الأبيات، تصحيح الدكتور يحيى محمد الأمين، ضمن مختارات من مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي، دار أقرأ، غوسو-نيجيريا، ط1، 2013م.

ابن فودي، عبد الله، سراج جامع البخاري، تصحيح الدكتور سليمان موسى ايثائي، ضمن مختارات من مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي، دار اقرأ، غوسو- نيجيريا، ط1، 2013م.

ابن فودي، عبد الله، ضياء السند، تصحيح: مالم أنس محمد يعقوب، ضمن مختارات من مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي، دار اقرأ، غوسو- نيجيريا، ط1، 2013م.

ابن فودي، عبد الله، مصباح الراوي في علم الحديث، تحقيق: محمد المنصور إبراهيم، دار العلم للطباعة والنشر، سكتو- نيجيريا، ط2، 2005م.

ابن فودي، عثمان، سوق الأمة إلى اتباع السنة، تصحيح: الدكتور يحيى محمد الأمين، ضمن مختارات من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي، دار اقرأ، غوسو- نيجيريا، ط1، 2013م.

القنوجي، السيد صديق حسن، الحطة في ذكر الصحاح الستة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1985م.

كاكوري، عبد الرحمن بن أحمد الإمام، عن صحيح البخاري، دار إيمائيس للطباعة والنشر والترجمة، د.ب، ط1، 2017م.

الكبري، قريب الله محمد الناصر، الرسالة الجليلة لمكانة نيجيريا العلمية قبل كيان دولة صوكوتو العاصمة العلية من القرن الثاني إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري، دار الآن للطباعة والنشر، قبرص، ط1، د.ت.

مخلوف، محمد بن محمد بن عمر، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.

المنوني، محمد، قبس من عطاء المخطوط المغربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999م.

موسى، محمد الثاني عمر، الاهتمام بالسنة النبوية بلغة الهوسا، عرض وتحليل، منشورات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ط1، 2012م.

يوسف، إبراهيم خليل، الشعر العربي في شمال نيجيريا من 1960م إلى 2000م، رسالة قدمت إلى شعبة اللغة العربية وآدابها، بكلية الدعة الإسلامية، طرابلس- ليبيا، لنيل شهادة الماجستير في الدراسات الأدبية، بإشراف أ.د. محمد مسعود جبران، 2010/2011م.

<https://www.facebook.com/share165/c2LaRVj?mibextid=qi2Omg>



مظاهر العناية بصحيح البخاري بمصر

إعداد

د/ بسمة إمام بشير



المقدمة:

يُعد صحيح البخاري من أعظم كتب الحديث النبوي وأصحّها؛ حيث حظي بعناية كبيرة من العلماء على مرّ العصور، ولا سيما في مصر، التي كانت مركزاً علمياً بارزاً لخدمة علوم الحديث. فقد اهتم العلماء المصريون بصحيح البخاري روايةً، وشرحاً، وتدريباً، وتحقيقاً، وتأريخاً؛ مما أسهم في ترسيخ مكانته العلمية ونشره في الأوساط الأكاديمية والدينية.

ولقد ظهرت مظاهر العناية بهذا الكتاب الجليل في مصر عبر عدة جوانب؛ منها: إبراز الشروح؛ حيث وضع العلماء المصريون شروحات مفصلة لتوضيح معانيه؛ مثل: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لابن حجر العسقلاني و«إرشاد الساري» للقسطلاني. كما برزت دراسة الرجال الذين رووا الصحيح واشتغلوا به؛ مما ساعد على ضبط أسانيده والتأكد من دقة رواياته.

إضافةً إلى ذلك، اهتم العلماء المصريون بحل الإشكالات التي أثّرت حول بعض الأحاديث، سواء من خلال النقد الحديثي أو التفسير الفقهي؛ مما عزّز الفهم الصحيح لمضامينه. ولم يتوقف هذا الاهتمام عند الجوانب العلمية فحسب، بل امتد إلى التأريخ لتدريسه ونشره؛ حيث كان يُقرأ في الأزهر الشريف، وطُبعت أجزاءه في المطابع المصرية منذ وقت مبكر.

وبناءً على ذلك، يسعى هذا البحث إلى دراسة مظاهر العناية بصحيح البخاري في مصر، من خلال تتبع الجهود العلمية التي بُذلت في خدمته عبر العصور، وبيان أثرها في الحفاظ على هذا السفر الجليل، ونشره بين طلاب العلم.

وقد قسمته إلى مبحثين:

الأول: التعريف ببلاد مصر، ومظان تراجم علمائها. وفيه المقصود ببلاد مصر، ومظان تراجم علمائها، والتعريف «بمظاهر عناية العلماء»؛ مثل: الإقراء والرواية والشروح والأجوبة.

والثاني: جهود العلماء المصريين في خدمة صحيح البخاري. تناولت فيه العلماء الذين كانت لهم صلة بالجامع الصحيح، ووجه عناية كل عالم منهم، مع بيان المؤلفات المطبوعة منها والمخطوطة، وإبراز الشروح والرجال أيضًا، ورتبت كل هذا حسب تاريخ وفاة العلماء، وقسمته إلى عدة مطالب:

المطلب الأول: الشروح الحديثية للجامع الصحيح.

المطلب الثاني: تراجم أبواب البخاري.

المطلب الثالث: مختصرات الجامع الصحيح.

المطلب الرابع: ثلاثيات الجامع الصحيح ومختاراته.

المطلب الخامس: ترجمة الجامع الصحيح إلى اللغة الإنجليزية.

وأخيرًا الخاتمة؛ حيث إنني وضحت فيها أهمية البحث وتوصياته.

المبحث الأول: التعريف ببلاد مصر، ومظان تراجم علمائها:

ذكر إقليم مصر، قال ابن حوقل في كتاب الأقاليم: (اعلم أن حد ديار مصر الشمالي بحر الروم رفح من العريش ممتدًا على الجفار إلى الفرما، إلى الطينة، إلى دمياط، إلى ساحل رشيد، إلى الإسكندرية وبرقة على الساحل، أخذًا جنوبًا إلى ظهر الواحات، إلى حدود النوبة، والحد الجنوبي من حدود النوبة المذكورة، أخذًا: شرقًا إلى أسوان، إلى بحر القلزم. والحد الشرقي من بحر القلزم قبالة أسوان إلى عيذاب، إلى القصير، إلى القلزم، إلى تيه بني إسرائيل، ثم يعطف شمالًا إلى بحر الروم، إلى رفح؛ حيث ابتدأنا وبقاعها كثيرة)¹.

وقال صاحب مباحج الفكر ومناهج العبر: (حد مصر طولًا من ثغر أسوان، وهو تجاه النوبة إلى العريش، وهو مدينة على البحر الرومي، ومسافة ذلك ثلاثون مَرحَلة، وحدّه عرضًا من مدينة بَرْقة التي على ساحل البحر الرومي إلى أَيْلة التي على بحر القلزم، ومسافة ذلك عشرون مَرحَلة، وتنسب إلى مصر، وقيل: مصر بن بيصر ابن حام، ويسمى اليونان بلد مصر مقدونية، وأول مدينة اختطت مصر مدينة مَنف، وهي في غربي النيل، وتسمى في عصرنا بمصر القديمة. ولما فتح عمرو بن العاص مصر أمر المسلمين أن يحيطوا حول فسطاطه، ففعلوا، واتصلت العمارة بعضها ببعض، وسمي مجموع ذلك الفسطاط، ولم يزل مقرًا للولاية والجند إلى أن وليه أحمد بن طولون، فضاق بالجند والرعية، فبنى في شرقيه مدينة، وسمّاها القطائع، وأسكنها الجند، يكون مقدارها ميلًا في ميل. ولم تزل عامرة إلى أن هدمها محمد ابن سليمان الكاتب في أيام المكتفي؛ حنقًا على بني طولون سنة اثنتين وتسعين ومائتين، وأبقى الجامع، ثم ملك العبيديون مصر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، فبنى جوهر القائد مولى المعز مدينة شرقي مدينة ابن طولون، وسمّاها القاهرة، وبنى فيها القصور لمولاه، فصارت بعد ذلك دار الملك ومقر الجند)².

مظان تراجم علماء مصر:

هناك العديد من المصادر التي يمكن الرجوع إليها للحصول على تراجم علماء مصر عبر العصور، فيما يلي قائمة شاملة لمظان تراجم علماء مصر مرتبة ترتيبًا أبجديًا:

1- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى 1967م، 1387هـ، ج: 1، ص: 23

2- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: الحافظ السيوطي، 1/24، 25

كتب التراجم العامة:

أبناء الزمن في تراجم علماء مصر في القرن الثامن الهجري: بدر الدين القرافي.
الأعلام: خير الدين الزركلي.
إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: المرتضى الزبيدي.
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني.
التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة: السخاوي.
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني.
سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: المرادي.
السلوك لمعرفة دول الملوك: تقي الدين المقرئ.
شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي.
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين السخاوي.
الوفيات: ابن قنفذ القسنطيني.

كتب التراجم الخاصة بعلماء مصر:

الأزهر في ألف عام: مجموعة مؤلفين تحت إشراف الشيخ عبدالمجيد سليم.
الأزهر وأعلامه: عبدالعزيز سيد الأهل.
الأزهريون والمؤثرات العلمية في الأزهر: عبدالله شحاتة.
الإعلام بمن في تاريخ مصر من الأعلام: محمد بن إياس الحنفي.
تاريخ علماء أهل مصر: يحيى ابن إبراهيم الحضري، المعروف بابن الطحان.
تاريخ مشيخة الأزهر: يتضمن تراجم شيوخ الأزهر.
جمهرة أعلام الأزهر الشريف في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين:
أسامة الأزهرى.
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: جلال الدين السيوطي.
خطط المقرئ: تقي الدين المقرئ.
رجال من الأزهر: محمد رجب البيومي.
طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين السبكي.
المعجم الوجيز في تراجم رجال الأزهر الشريف: جمع من المؤلفين.
المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي: ابن تغري بردي.
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي.
نيل الأمل في تراجم علماء وحكماء وأدباء الدول الإسلامية والعربية بمصر:
حسن قاسم.

كتب التراجم الحديثة والخاصة بالشخصيات المصرية:

معجم أعلام الإسكندرية في العصر الحديث: محمود فرج.

معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة.

معجم المطبوعات العربية والمعربة: يوسف إليان سركيس.

فهذه قائمة شاملة تغطي معظم المصادر التي تتناول تراجم علماء مصر، سواء من العصور الإسلامية المبكرة أو العصر الحديث.

مظاهر عناية العلماء:

تعني الأساليب والوسائل التي استخدمها العلماء عبر العصور؛ للحفاظ على العلوم ونشرها وتوضيحها للناس. وتتمثل هذه المظاهر في عدة جوانب؛ من أهمها:

الإقراء (التعليم والتلقين):

هو أحد أهم وسائل نقل العلم؛ حيث يقوم العالم بتعليم طلابه مباشرة، سواء في المساجد أو المدارس أو المجالس العلمية. كان العلماء يقرءون الكتب على الطلاب، ويشرحون لهم الغامض منها، ويمنحونهم الإجازات العلمية عند إتقانهم للمادة.

الرواية (نقل العلم بالسماع والإجازة):

تعتمد الرواية على تلقي العلم مشافهةً من العلماء ونقله بسند متصل. كان العلماء يعتمدون على الرواية في نقل الحديث الشريف، وكتب الفقه، والتاريخ، وغيرها من العلوم، مع العناية بالسند والتثبت من دقة النقل.

الشروح (تفسير وتوضيح النصوص):

قام العلماء بشرح المتن العلمية التي وضعها السابقون؛ لتوضيح المعاني، وبيان المقاصد، وحل المشكلات التي قد تواجه القارئ. من أمثلة الشروح: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لابن حجر العسقلاني، و«المجموع شرح المذهب» للنووي.

الأجوبة (الفتاوى والإجابات عن الأسئلة العلمية):

اهتم العلماء بالرد على الأسئلة العلمية التي ترد إليهم في مختلف العلوم، سواء كانت فقهية أو لغوية أو حديثة. كانت هذه الأجوبة تُجمع أحياناً في كتب خاصة؛ مثل: «فتاوى ابن تيمية»، و«المسائل الماردينية» لابن تيمية، و«فتاوى السبكي».

أهمية هذه المظاهر:

حفظ العلوم من الضياع عبر النقل الدقيق والمستمر.
تسهيل الفهم على الطلاب من خلال الشروح والتوضيحات.
التصحيح والتدقيق في الروايات والنصوص العلمية، مما يمنع انتشار الأخطاء.
تطبيق العلوم في الواقع من خلال الفتاوى والإجابات على المسائل المستجدة.

المبحث الثاني: جهود العلماء المصريين في خدمة صحيح البخاري:

حظي صحيح البخاري بمكانة عظيمة في مصر عبر العصور، حيث اعتنى به العلماء المصريون من مختلف الجوانب، سواء بروايته، وشرحه، وتحقيقه، والتدريس به. وقد أثرى هؤلاء العلماء المكتبة الإسلامية بشروح قيمة، ودراسات نقدية، وتحقيقات علمية، أسهمت في حفظ الصحيح ونشره بين طلاب العلم، ورتب كل هذا حسب تاريخ وفاة المصنف؛ وبه عدة مطالب:

أولاً: الشروح الحديثية للجامع الصحيح: وهو يتناول المصنفات التي شرحت الجامع الصحيح، سواء أكان هذا الشرح مستفيضاً أو مختصراً، ومن هذه الشروح:

شرح العلامة شمس الدين البرمائي، ت 831هـ، في كتابه: (اللامع الصبيح على الجامع الصحيح):

هو (البرمائي، شمس الدين محمد بن عبدالدائم بن موسى، وُلد في ذي القعدة سنة ثلاث وستين³، ولازم البدر الزركشي، وتمهّر به، وأخذ عن السراج البلقيني، وله تصانيف؛ منها: شرح العمدة، ومنظومة في الأصل، مات سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة)⁴. وينسب البرمائي إلى: (بُرْمَة، وهي بليدة ذات أسواق في كورة الغربية من أرض مصر في طريق الإسكندرية من القُسطاط)⁵. وهو (عالم بالفقه والحديث شافعي المذهب، مصري، تصدر للإفتاء والتدريس بالقاهرة، وتوفي ببيت المقدس، ومن كتبه: اللامع الصبيح على الجامع الصحيح، في شرح البخاري)⁶.

كتابه مطبوع باسم: اللامع الصبيح شرح الجامع الصحيح، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين، بإشراف: نور الدين طالب، والكتاب طبع في ثمانية عشر

3- يقصد بعد السبع مائة. كما ذكر الزركلي في الأعلام، حرف الميم، 6/ 188

4- حسن المحاضرة: السيوطي، ذكر من كان بمصر من الفقهاء الشافعية، 1/ 439، ت: 193.

5- معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي الرومي البغدادي، دار صادر بيروت، 1397هـ، 1997م، المجلد الأول، حرف الباء والراء وما يليهما، ص: 403.

6- بتصرف: الأعلام: الزركلي، حرف الميم، 6/ 188، 189.

مجلدًا، وفيه مقدمة المحقق والتعريف بالمؤلف، ثم دراسة الكتاب، والمجلد الأخير مخصص للفهارس، مطبوع في دار النوادر، سوريا، لبنان، قطر، الطبعة الأولى 1433هـ، 2012م.

وجه عناية البزماوي في كتابه: جمع كتابه بين شرحي العلامة الكرمانى وشرح العلامة الزركشي في كتابه التنقيح، فقد جمع بين الكتابين باختصار، وذلك بحذف ما وقع فيهما من التكرار، ثم نبّه على ما وقع فيهما من خلافٍ بترجيح المختار، بالإضافة إلى أن وصل الأحاديث المعلقة عندهما، وتسمية المبهمات، معتمدًا على فوائد الشيخ أبي حفص عمر البلقيني، وآخر تراجم الرواة إلى ما بعد المتون، مرتبًا ذلك على حروف المعجم؛ ليكون فهرسًا لهم، عدا ذكر المبهم من الأسماء فذكره في موضعه، واختصر عدة شروح رجع إليها برموز، فشرح الكرمانى رمز إليه ب (ك)، والزركشي ب (ش)، والقاضي عياض ب (ع)، وابن بطال ب (ط)، والخطابي ب (خ)، والنووي ب (ن)، وسيبويه في كتابه ب (س)، والكوفيون من الناحية اللغوية والنحوية ب (كو)، والبصريون ب (بصر)، وأما من خلال المتن والألفاظ فأطلق لفظ الموحدة على الباء وكان يطلق لفظ الباء على حرف الباء، مع تمييز اللفظ المراد بالحمرة وغيره بالسواد، مع تخريج الأحاديث الواردة من الكتب الستة؛ فإذا وجد الحديث في صحيح مسلم رمز له ب (م)، أبي داود ب (د)، والترمذي ب (ت)، والنسائي ب (س)، وابن ماجه ب (ق)، والأربعة ب (عو)، وعند اتفاق الخمسة مع البخاري يرمز ب (ع)، وإذا وجد في البخاري فقط فيرمز ب (خ)، مع وضع وضم فوائد من شرح الحافظ قطب الدين الحلبي، والحافظ مغلطاي، وابن الملقن وغيرهم، وبيان حكمة البخاري ومناسبتها في ترتيب الأبواب وتوضيح تصديره لأوائل الأحاديث في الأبواب، بدءًا بكتاب الوحي ثم الإيمان ونهاية بالتوحيد، والكتاب في مجمله توضيحٌ لبعض النواحي الإعرابية لصحيح البخاري، بالإضافة إلى بيان معاني المفردات اللغوية، مستشهدًا بالآيات القرآنية، وتوضيح بعض اللطائف في نهاية الأحاديث كاتفاق الأحاديث وذكرها أكثر من تابعي، وبيان أوجه الاتفاق بين الأحاديث النبوية المذكورة وإزالة الإلباس والغموض بينهم.

شرح الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، في كتابه: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»:

شرحه من أعظم شروح البخاري، أجلها نفعًا، ومن أهم مؤلفاته حول صحيح البخاري: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (مطبوع) ⁷ في ثلاث عشر جزءًا: أشهر

⁷ - طبع كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري برواية أبي ذر الهروي عن مشايخه الثلاثة السرخسي والمستلمي والكشميهني، بتحقيق: عبد القادر شعبة الحمد، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى 1421هـ، 2001م.

شرح على الإطلاق، يجمع بين الفقه، الحديث، واللغة، هدي الساري مقدمة فتح الباري (مطبوع)⁸ في مجلد واحد: مقدمة تحليلية لصحيح البخاري، تناول فيها منهج البخاري في كتابه، تغليق التعليق (مطبوع)⁹: استدراك على تغليق البخاري في صحيحه.

وجه عناية ابن حجر العسقلاني في كتبه في هدي الساري: قسّم ابن حجر كتابه إلى عدة فصول؛ منها: الأول: في بيان سبب تأليف البخاري للصحيح، والثاني في بيان موضوع صحيح البخاري وتسمية المؤلف لكتابه، والثالث في بيان تقطيعه لأحاديث وإعادة تكراره في الأبواب، والرابع في بيان إيرادته للأحاديث المعلقة مرفوعة وموقوفة، والخامس في سياق الألفاظ الغريبة الواردة في الجامع، والسادس في بيان المؤلف والمختلف من الأسماء والكنى والألقاب والأنساب، والسابع في تبين الأسماء المهملة، والثامن في بيان الأحاديث التي انتقدها عليه الدارقطني وغيره، والتاسع في أسماء من طعن من رجال هذا الكتاب والرد عليهم، والعاشر في عد أحاديث الصحيح، وتحدث أيضًا مناسبة الترتيب للأبواب، وذكر ترجمة للبخاري، وشيوخه وأقرانه وثناء الناس عليه وسعة حفظه، وبيان فضل الجامع الصحيح، وما وقع بينه وبين الذهلي، وتصانيفه ووفاته.

وجه عناية ابن حجر في كتابه فتح الباري: بدأ شرحه بمقدمة ذكر فيها أسانيده إلى الأصل بالسماع والأجازة، ثم بدأ في شرح الأحاديث بدءًا من كتاب بدء التوحيد، وحتى كتاب التوحيد، معتمدًا في شرحه على آراء العلماء من أهل الحديث ومن المفسرين واللغويين، مزيلاً لغموض الأحاديث التي يؤولهم تعارضها، مبينًا أوجه إعراب كلماتها في العديد من الأحوال، مستشهدًا بالآيات القرآنية وبأشعار العرب، ضابطًا لأسماء رجال الإسناد، ذاكراً أسماء الرواة ونسبهم ودرجة ثقتهم ووفاتهم.

شرح العلامة بدر الدين العيني (ت 855هـ)، في كتابه: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»¹⁰:

وجه عناية بدر الدين العيني في كتابه: حيث ركّز فيه على الجوانب الفقهية واللغوية، مما جعله من الشروح المهمة للصحيح. ولم يقتصر الاهتمام على الشروح، بل امتد إلى تحقيق الرجال والرواة، حيث عمل المحدثون المصريون

8- طبع كتاب هدي الساري مقدمة فتح الباري لابن حجر العسقلاني، بتحقيق: عبدالقادر شيبه الحمد، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1421هـ، 2001م.

9- أصل الكتاب رسالة دكتوراة نوقشت بكلية أصول الدين بالقاهرة، تحت عنوان: كتاب تغليق التعليق على صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني «تحقيق ودراسة»، للباحث: سعيد عبدالرحمن موسى القرقي، تحت إشراف: أ.د. الحسيني عبدالمجيد هاشم، 1400هـ، 1980م.

10- طبع كتابه، حيث ضبطه وصحه عبدالله محمود محمد عمر، بدار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1421هـ، 2001م، وهو عبارة عن خمس وعشرين جزءًا

على دراسة أسانيده، والتأكد من دقة النقل، مثل الجهود التي قدمها الإمام السخاوي (ت 902هـ) في كتبه الحديثية، واعتمد في ترتيب الكتب وشرحها على نفس ترتيب البخاري بدءاً بكتاب بدء الوحي وحتى كتاب التوحيد، ويعد الكتاب شرحاً مفصلاً، وبدأ شرحه بمقدمة عن تسمية كتابه وسبب تأليفه للكتاب، وذكر أيضاً أسانيده لكتاب الجامع الموصولة إلى صحيح البخاري، وتحدث عن بعض الفوائد كتسمية البخاري لكتابه، وأنه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، واتفاق العلماء على هذا، وشرط البخاري في صحيحه، وجملة ما في الصحيح من الأحاديث المسندة، وفهرس لأبواب الكتاب التي ذكرها ابن طاهر المقدسي، وجملة من حدث عنه البخاري، وقسمهم إلى طبقات، تجريح بعض المتقدمين لجماعة رووا في الصحيح والرد على ذلك، وفي الفرق بين المتابعة والاعتبار والشاهد، وفي ضبط الأسماء المتكررة في الصحيحين، وتحديث عن إكثار البخاري من أحاديث وأقوال الصحابة وغيرهم من غير إسناد، بالإضافة إلى تفسيره وضبطه لأسماء الأعلام، وضبطه للمتن إذا أشكل، وشرح الأحاديث النبوية، مبيّناً مظاهر الإعراب، معتمداً على آراء النحاة والمفسرين، مزيلاً لتعارض الأحاديث إذا توهم ذلك، مخرجاً لأحاديث، مبيّناً درجة ثقة الرواة ونسبهم ووفاتهم. وهو في الجملة من أجل الشروح للجامع الصحيح.

شرح العلامة شمس الدين السخاوي (ت 902هـ)، في كتابه: (عمدة القارئ والسامع):

هو (محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي، مؤرخ حجة، وعالم بالحديث والتفسير والأدب، أصله من سخا _ من قرى مصر، ومولده في القاهرة، ووفاته بالمدينة، وله تصانيف؛ منها: عمدة القارئ والسامع في الحديث).¹¹

كتابه هذا مطبوع باسم عمدة السامع والقارئ في فوائد صحيح البخاري، تحقيق وضبط: رضوان جامع رضوان، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الطبعة الأولى 1423هـ، 2003م.

وجه عناية السخاوي في كتابه: ذكر فيه عدة فضائل عن الإمام البخاري، والرد على من فضل صحيح مسلم على البخاري، وذكر قصة الإمام البخاري مع أهل بغداد، ونظم المؤلف شعراً في مدح البخاري، وذكر أيضاً فقه البخاري ورجاحة رأيه في ترتيب الجامع وتصنيفه، وتحدث عن الفوائد النفيسة الموجودة في صحيح البخاري، وذكر أن أبا هريرة _ رضى الله عنه _ هو أكثر الصحابة رواية.

11- انظر: الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، مايو 2002م، حرف الميم، الجزء السادس، ص: 194، 195.

شرح الشيخ أبي البقاء الأحمدي المصري الشافعي، نزيل المدينة، في كتابه المسمى ب: (البارع الفصيح في الجامع الصحيح):

هو (أبو البقاء محمد بن علي بن خلف الأحمدي المصري الشافعي، نزيل المدينة، وهو شرح كبير ممزوج، وكان ابتداء تأليفه في شعبان سنة 909هـ تسع وتسعمائة، أوله: الحمد لله الواجب الوجود إلخ، ذكر أنه جعله كالوسيط برزخاً بين الوجيز والبسيط، ملخصاً من شروح المتأخرين؛ كالكرماني وابن حجر والعيني)¹².

الكتاب مخطوط _ لم أعثر عليه مطبوعاً _ واسمه: البارع الفصيح على الجامع الصحيح، هكذا ذكره المؤلف نفسه في مقدمة المخطوط¹³، وليس كما قال سزكين¹⁴ بأن اسمه: الباري الفصيح في الجامع الصحيح.

وجه عناية الأحمدي في كتابه: هو كتاب جامع ملخص مفيد، خال من التتويل، نقحه المؤلف ووضع فيه فوائد جمة، مع اعتماده شرح المتأخرين، كشرح العلامة الكرماني، وشرح الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، وشرح أبي محمد محمود الحجة الدستور.

بدأ بكتابه بذكر الإسناد العالي منه إلى الإمام البخاري، وبمقدمة عن الإمام البخاري بذكر مولده ونشأته ونسبه ونبذة عن ترجمته، وعدد مشايخه، وحصر مَنْ خَرَجَ عنه منهم في صحيحه، وبيان طبقاتهم مع حصرها، وذكر أسماء مَنْ روى عن النبي _ صلى الله عليه وسلم _ من الصحابة رجالاً ونساءً، وعدد ما روى منهم من الأحاديث، مقدماً لرواة الألوف ثم رواة الألف ثم المائتين ثم المائة ثم العشرات ثم رواة الواحد، وبيان عدد مَنْ خَرَجَ عنه البخاري منهم من الرجال والنساء، وذكر سبب تأليف البخاري للجامع ومدة تأليفه له وعدد الكتب التي ألفها، وعدد ما اشتملت عليه من الأحاديث في الجامع، وذكر عدد أبوابه وأحاديثه المكررة، وجملة ما في الصحيح من المتابعات، وعدد مَنْ قرأ عليه، وبعض مَنْ أثنى عليه من الأئمة، وعدد محفوظاته من الصحيح وغيره، وذكر ما وقع له من الاختيار ببغداد، مع بيان سبب تقطيع الأحاديث في الجامع، واختصاره لها، وإعادتها، وموضع الحديث وغايته.

12- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبدالله، الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ت، باب الجيم، المجلد الأول، ص: 551.

انظر ترجمته: هدية العارفين «أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا البغدادي، وكالة المعارف الجليلية، إستانبول، 1955م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، باب الميم، المجلد الثاني، ص: 224.

13- انظر: مقدمة مخطوط البارع الفصيح على الجامع الصحيح، أصل النسخة من مكتبة ملليت العامة بتركيا، عليها وقف لشيخ الإسلام فيض الله أفندي، ومحفوظة بمكتبة، رقم 269، وهي نسخة مكتوبة على أصل نسخة المؤلف، للناسخ حسين بن رستم، بها 248 ورقة، 31 سطراً، ص: 3.

14- انظر: تاريخ التراث العربي، 1/ 237.

حيث إنه ذكر تراجم رجال الإسناد ونسبهم، مع بيان المولد والوفاة لهم، وذكر أيضًا مَنْ سمعوا من البخاري وَمَنْ روى عنهم، وترجم لراوي الحديث من الصحابة، مع ذكر عدد الأحاديث التي رواها، وبيان ما خرَّج البخاري منها في الصحيح، مع ذكر النسب والقبيلة والمولد والوفاة للرواة. أما بالنسبة للمتن فكان يذكره مع ضبط كاملاً، وإعرابه، وإيضاح غريبه، مستعيناً بأئمة اللغة كالجوهري في الصحاح، وصاحب القاموس، وغيرهما، كان يميز الكلام المتكلم فيه بالحمرة وغيره بالسواد، مع ذكر طرق الحديث التي روي منها، مع تعداد المواضع التي ذكرها المصنف في هذا الحديث، وبيان موضعها في الكتب الخمسة، وما انفرد عنهم البخاري، وما رواه البخاري عن شيخ دون واسطة، ولم يقع لغيره من أصحاب الكتب الخمسة إلا بواسطة رجل في الإسناد، مع مطابقة الآيات للتراجم في موضعها، ووجه مناسبة الباب لما قبله، مع ذكر ما اشتمل عليه السند من اللطائف، وذكر المؤلف تعليق الحديث أو إرساله، وذكر التوابع والشواهد أيضًا.

شرح العلامة جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، في كتابه المسمى ب: (التوشيح على الجامع الصحيح):

ذكر الإمام السيوطي ترجمته كاملة في كتابه حسن المحاضرة¹⁵، وذكر أن له كتابًا يُسمى التوشيح على الجامع الصحيح في شرح صحيح البخاري، وهو (إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو 600 مصنف، نشأ في القاهرة يتيماً، مات والده وعمره خمس سنوات وفاته سنة 911هـ)¹⁶.

كتابه مطبوع باسم: التوشيح شرح الجامع الصحيح، تحقيق: رضوان جامع رضوان، بمكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى 1419هـ، 1998م، مطبوع في تسعة أجزاء.

وجه عناية السيوطي في كتابه: بدأ كتابه بفصل في بيان شرط البخاري وموضوعه، ثم تحدث عن حكمة البخاري في تفريقه للأحاديث في أبواب عدة، والحكمة في وصل ما علقه في مواضع، وذكر البخاري لتراجم أبواب لم يذكر فيها حديث، ثم أعقب السيوطي كل هذا بفصل في ذكر مَنْ ذكره البخاري بكنيته في الصحيح من الرجال والنساء، وأعقب بفصل في التعريف بمن ذكر بالبوة، ثم مَنْ ذكر بلقب أو نسب، وفصل في ضبط ما يُشتبه أو يُلتبس من الأسماء، ثم فصل في المهمل، وهو في مجمله شرح لكتاب البخاري، ورتبه كما رتب البخاري جامعهم، بدءاً من كتاب الوحي، نهاية بكتاب التوحيد.

15- انظر: حسن المحاضرة، ذكر من كان بمصر من الأئمة المجتهدين، ت: 77، 1/ 335: 340.

16- بتصرف: الأعلام: الزركلي، حرف العين، 3/ 301.

هو شرحٌ جرى فيه مؤلفه مجرى الإمام الزركشي في شرحه المسمى بالتنقيح، وهو يحتوي على فوائد وزوائد من ضبطٍ للألفاظ، وتفسير للغريب، وبيان اختلاف الروايات، وزيادتها في الأخبار، وترجمة ما ورد في الحديث المرفوع ووصل الحديث المعلق الذي لم يقع في الصحيح وصله، وتسمية المبهم، وإعراب المشكل، والجمع بين المختلف.

العلامة شهاب الدين القسطلاني (ت 923هـ)، في كتابه المسمى ب: (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري):

هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، من علماء الحديث، مولده ووفاته في القاهرة، له إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط - عشرة أجزاء¹⁷، وذكر أيضًا صاحب الأعلام¹⁸ أن وفاته سنة 923هـ.

الكتاب مطبوعٌ في عشرة أجزاء، بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، الطبعة السابعة، سنة 1323هـ.

وجه عناية القسطلاني في كتابه: بدأ كتابه بمقدمة، وصفها بأنها عبارة عن فصول لفروع قواعد هذا الشرح، فالفصل الأول تناول فيه فضيلة أهل الحديث وشرفهم، والثاني: في ذكر أول مَنْ دَوَّن الحديث والسنن، ومن تلاه في ذلك، أما الثالث فتحدث فيه عن نبذة لطيفة جامعة لفرائد فوائد مصطلح الحديث، وتقسم أنواعه وكيفية تحمله وأدائه، وتحدث أيضًا عن المصنفين في علم الحديث؛ كالرامهرمزي، والحاكم النيسابوري، والخطيب البغدادي، والقاضي عياض، وغيرهم. وتحدث في الفصل الرابع فيما يتعلق بالبخاري من تقرير شرطه وتحريره وضبطه وترجيحه على غيره كصحيح مسلم، والجواب عما انتقده عليه البخاري_النقاد، وسبب تقطيعه للأحاديث وتكرارها في الأبواب، وعدة أحاديثه الأصول والمكررة مثلما ضبطه الحافظ ابن حجر. أما الفصل الخامس والأخير ففيه ذكر نسب البخاري، ومولده، وبدء أمره، ونشأته، وطلبه للعلم، وشيوخه، وتلامذته، وسعة حفظه، وثناء العلماء عليه، وكرامته.

والكتاب في مجمله شرحٌ كبيرٌ ممزوجٌ بالعديد من الفوائد، من حيث بيان المعاني وتوضيح المُشكِك منها، ومبيّنًا للغريب وخفايا الأحاديث، موضحةً الأحاديث المعلقة المذكورة في الجامع، مميّزًا الأصل من الشرح بالحمرة، كاشفًا عن اختلاف الروايات، مرتبًا كل ذلك على ما جاء في الجامع بدايةً من كتاب بدء الوحي، منتهيًا بكتاب التوحيد.

17- الأعلام: الزركلي، حرف الألف، 1/ 232. انظر: كشف الظنون: حاجي خليفة، باب الجيم، الجامع الصحيح، 1/552

18- حرف الألف، 1/232

شرح شيخ الإسلام اللغوي زكريا الأنصاري (ت 926هـ)، في كتابه المسمى ب: (منحة الباري بشرح صحيح البخاري)¹⁹:

هو (زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعي، أبو يحيى، شيخ الإسلام، قاضٍ مفسر، من حفاظ الحديث، ولد في سنيكة بشرقية مصر، وتعلّم في القاهرة، وكفّ بصره سنة 906هـ)²⁰.

الكتاب مطبوعٌ باسم: منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى ب: تحفة الباري، حققه واعتنى به: سليمان بن دريع العازمي، بالتعاون مع مركز الفلاح للبحوث العلمية، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1426هـ، 2005م، الكتاب مطبوع في عشرة مجلدات، وبه فهرس عامٌّ لأبواب الكتاب، وفهرس في نهاية كل مجلد.

وجه عناية زكريا الأنصاري في كتابه: هو شرحٌ لغويٌّ نحويٌّ في مجمله، وكشف مؤلفه عن العديد من المعاني الغامضة، موضحًا مظاهر الإعراب فيها، مقسمًا كتابه إلى عدة أبواب كما فعل البخاري في جامع، بالإضافة إلى تخريج الأنصاري لبعض الأحاديث من كتب الصحاح المعتمدة، وبيان آراء العلماء فيها؛ كالإمام ابن الصلاح، وشرح الأنصاري الأحاديث النبوية مستعينًا في شرحها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت في السنة، موضحًا أيضًا أسماء الأعلام ونسبهم ودرجة حفظهم، مع ضبط رجال الإسناد من كتب اللغة كالقاموس المحيط وغيره، وضبط المتن، وإيضاح الكلمات الملبسة فيه، ورتبه حسب ترتيب البخاري في الجامع، بدايةً من كتاب بدء الوحي وحتى كتاب التوحيد.

شرح العلامة نور الدين علي بن محمد، المصري المُنوفي (ت 939هـ)، في كتابه المسمى ب: (معونة القارئ لصحيح البخاري):

ذكر فؤاد سزكين أن هناك شرحًا على صحيح البخاري يسمى: (مئونة²¹ القارئ لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن خلف المُنوفي المتوفى سنة 939هـ)²².

¹⁹- ذكر ذلك محقق النسخة المطبوعة من الكتاب، وهو سليمان العازمي، بدار الرشد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1426هـ، 1/60. إلا أن فؤاد سزكين ذكر بأن اسم هذا الكتاب هو تحفة الباري بشرح صحيح البخاري. انظر: تاريخ التراث العربي: فؤاد سزكين، في علوم القرآن والحديث، 1/ 239.

²⁰- الأعلام: الزركلي، حرف الزاي، 46/ 3.

²¹- يقصد سزكين معونة.

²²- تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية د/محمود فهمي حجازي، وراجعته: د/ عرفة مصطفى، د/سعيد عبدالرحيم، طبع بإدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1411هـ، 1991م، المجلد الأول، الجزء الأول في علوم القرآن والحديث، ص: 240.

هو (نور الدين علي بن محمد بن محمد بن محمد بن خلف بن جبريل المصري، المنوفي، أبو الحسن المالكي، الشاذلي، من فقهاء المالكية، نحوي، لغوي، مولده ووفاته بالقاهرة، ولد سنة سبع وخمسين وثمانمائة، وتوفي سنة تسع وثلاثين وتسعمائة)²³.

الكتاب مطبوع باسم : معونة القارئ لصحيح البخاري، بتحقيق أ.د/ سليمان بن عبدالله بن حمود، بدار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1436هـ، 2015م، وهو في اثني عشر جزءاً، حيث إن الجزء الأخير مخصص للفهارس.

وجه عناية المنوفي في كتابه: شرحه عبارة عن تلخيص لأربعة شروح، وهي: الكواكب الدراري في شرح البخاري للكرماني، والتنقيح للزركشي، والتوشيح لجلال الدين السيوطي، والمصباح لبدر الدين الدماميني؛ حيث رمز للأول ب: (ك)، والثاني ب: (ز)، والثالث ب: (س)، والرابع ب: (د)، مع ضبطه للألفاظ الغريبة وشرحها وتفسيرها، وضبط الكنى والأسماء المُشكلة التي يقع فيها التصحيف، وضبط الأسماء عند ورودها أول مرة، وذكر التراجم والأنساب أحياناً، ووضع مقدمة في بيان نسب الإمام البخاري، وعدد أحاديثه في الصحيح، ورتب المؤلف كتابه حسب ترتيب البخاري في صحيحه بدءاً بكتاب بدء الوحي، نهاية بكتاب التوحيد.

شرح العلامة الأزهرى حسن العذوي (ت 1303هـ)، في كتابه المسمى ب: (النور الساري من فيض صحيح البخاري):

هو (خادم الحديث بالأزهر وناصر السنة، العلامة الجليل حسن ابن حمزاوي بن عبدالكريم العذوي الحمزاوي المالكي، ينتهي نسبه إلى سيدنا عبدالله بن مسعود، من قرية عذوة، بكسر العين المهملة بصعيد مصر، وُلد سنة 1221هـ، وهو من وفيات سنة 1303هـ، وله كتاب يسمى النور الساري من فيض صحيح البخاري، طبع، وهو عبارة عن تعليقات بهامش متن الصحيح)²⁴.

طُبِعَ الكتاب منفرداً، تحقيق محمد العزاوي، بدار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1436هـ، في عشرة أجزاء، ولقد صدّره المحقق بمقدمة، ثم نبذة حول تعريف الحديث الصحيح، والفوائد التي تتعلق به، ثم التعريف بالجامع الصحيح وشروحه، والتعريف بالإمام البخاري ونسبه ومولده وشيوخه وتلامذته ووفاته وثناء العلماء عليه، وجهود المتأخرين في شرح الحديث.

²³- مقدمة كتاب معونة القارئ لصحيح البخاري لأبي حسن علي بن محمد المنوفي، أ.د/ سليمان بن حمود، طبع بدار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1436هـ، 2015م، ج: 1، ص: 31.

²⁴- يتصرف: جمهرة أعلام الأزهر الشريف في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين: أسامة السيد محمود الأزهرى، طبع بمكتبة الإسكندرية، 1440هـ، 2019م، الجزء الثاني، ص: 58.

عناية العدوي في كتابه: بدأ شرحه بمقدمه عن سبب تأليف كتاب الجامع ، مستمدة من شرح الحافظ ابن حجر، وشرح العلامة القسطلاني، مشتملة على ثمانية فصول، الأول في تعريف علم الحديث، والثاني في بيان أول مَنْ دَوَّن في علم الحديث، والثالث في مصطلح الحديث، والرابع في بيان فضل صحيح البخاري، والخامس في زمن مولد البخاري وحفظه وسعة اطلاعه، والسادس في عدد الأحاديث الصحيحة، وبيان المرفوع والموقوف والمقطوع، والسابع في سبب تقطيع البخاري للأحاديث واختصاره لها، وفائدة تكرارها في الأبواب، والثامن في بيان تراجم البخاري في صحيحه. ولقد اعتمد في شرحه على تفسير معاني المفردات مستعينًا بكتاب الله تعالى، مبينًا أحيانًا مظاهر إعرابها، معتمدًا على أقوال عدة من العلماء والمشايخ السابقين كالحافظ ابن حجر في الفتح، والبيضاوي والقسطلاني والخطابي وغيرهم، مؤكدًا في بعض الأحوال ونافيًا لها في أحيان أخرى، مع التعريف بالصحابة وأسمائهم وضبط الكلمات المشككة في المتن، بدأ كتابه بنفس ترتيب البخاري بدءًا من كتاب بدء الوحي وحتى كتاب التوحيد، والكتاب في مجمله شرحٌ مختصرٌ موضَّحٌ لمعاني الكلمات والمراد من الأحاديث من غير إسهابٍ أو تطويل.

ثانيًا: تراجم أبواب البخاري: تناولت في هذا المطلب المصنفات الخاصة بتراجم أبواب الجامع الصحيح؛ ومنها:

مصنف العلامة ابن المنير الإسكندري (ت 683هـ)، المسمى ب: (المتواري على تراجم البخاري)²⁵.

معنى الاصطلاحى للتراجم الحديثية وهي تعني الأبواب أو الكتب التي يضعها المصنف في كتبه، فالتراجم المختارة من صحيح البخاري أي الأحاديث التي يتناولها الباب أو تدور في معناه.

هو (ابن المنير العلامة ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجذامي الإسكندراني. أحد الأئمة المتبحرين في العلوم من التفسير والفقه والأصليين والنظر والعربية والبلاغة والأنساب)²⁶. ذكر السيوطي: (أن من تصانيفه كتابا يسمى: مناسبات تراجم البخاري ووفاته كان بالإسكندرية)²⁷. وأرى أنه يقصد هذا الكتاب.

طُبِعَ هذا الكتاب، بتحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، بمكتبة المعلّاء، الكويت، الطبعة الأولى 1407هـ، 1987م.

²⁵- انظر: تاريخ التراث العربي: فؤاد سركين، 1/249.

²⁶- حسن المحاضرة: السيوطي، ذكر من كان بمصر من الأئمة المجتهدين، ت: 70، 1/316.

²⁷- بتصرف: حسن المحاضرة، 1/316، 317.

وجه عناية ابن المنير في كتابه: بدأ كتابه بمقدمة عن فضل علم الحديث وترجمة للإمام البخاري وزهده وورعه وحفظه، ومناقبه الدينية ومآثره، وبدأ تراجمه بكتاب: بدء الوحي إلى رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ و قول الله تعالى: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ) النساء/163، وهذا الكتاب في مجمله حول أبواب البخاري ذاكراً الأحاديث دون الأسانيد، معتمداً على ذكر راوي الحديث كالصحابي، ثم بعد ذلك أعقبه بكتاب الإيمان، وذكر فيه عدة أبواب؛ حيث يذكر في كل باب حديثاً واحداً وهو الحديث الذي يقوم عليه الباب، شارحاً معنى الحديث، موضحاً في نهاية كل باب أهميته، من خلال شرحه ، وهكذا حتى نهاية الكتاب، وهو أحاديث مختارة من الكتب مأخوذة من الجامع الصحيح؛ حيث إن به واحداً وسبعين كتاباً، و ثلاثمائة واثان وسبعون باباً، وذلك بداية من كتاب بدء الوحي، نهاية بكتاب التوحيد.

ثالثاً: مختصرات الجامع الصحيح: تناولت فيه المصنفات التي اختصرت الجامع الصحيح في شرح الأحاديث، ومنها من اكتفى بالمتن دون ذكر الإسناد، ومن هذه المختصرات:

مختصر العلامة عبد الرحيم، أبي الفتح العباسي (ت 963هـ)، في كتابه المسمى ب:
(فيض الباري في شرح غريب البخاري)²⁸ :

هو (عبد الرحيم بن عبدالرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي، عالم بالأدب، من المشتغلين بالحديث، وُلد ونشأ بمصر)²⁹.

الكتاب حُقق في رسالة علمية، تحت عنوان: (فيض الباري في شرح غريب صحيح البخاري، لعبد الرحيم بن عبدالرحمن بن أحمد العباسي، المتوفى سنة 963هـ، من أول الكتاب إلى قوله: كتاب الجمعة «دراسة وتحقيق»)، للباحث: عبدالعزيز محمد هزاع، تحت إشراف: أ.د/ موفق عبدالله القادر، وهي رسالة ماجستير، بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية 1439هـ، 2017م.

والكتاب لا يزال مخطوطة _ على حد علمي _ موجود في مكتبة حميدية باستانبول، رقم الحفظ 298، مكتوب باللغة العربية، فرغ المؤلف من كتابته وانتهى منه يوم 24 شعبان سنة 906هـ، يوم الأحد في القرن العاشر الهجري، أما النسخة المخطوطة فهي سنة 1175هـ، أي في القرن الثاني عشر، عدد أوراقها 511، نوع الخط تعليق، ووصفه مجود، الورقة بها خمسة وثلاثون سطراً.

²⁸- انظر: ترجمته في الأعلام: للزركلي، حرف العين، 3/345 .

²⁹- المرجع السابق.

وجه العناية في كتابه: ذكر أنه حصل على إجازة في رواية صحيح البخاري، وحذا حذو ابن الأثير في مصنفه، مع ذكر الأسانيد، وبقاء ترتيب الأبواب كما جاء به البخاري، وهذا الكتاب جامع بين فني الاختصار والتوضيح، وبه العديد من المسائل الفقهية والعلوم الأدبية، مع تخريج المؤلف الأحاديث لما ورد في كتب الصحاح المعتمدة؛ حيث رمز لما أخرجه مسلم فقط ب: (م)، والموطأ ب: (ط)، والترمذي ب: (ت)، وأبو داود ب: (د)، والنسائي ب: (س)، واتفقهم جميعاً ب: (ق)، والبخاري ب: (ف)، مع جمع الألفاظ الغريبة في كل باب، وشرحها، والألفاظ الغريبة يضعها في الهامش، مع شرحها في المتن موازياً لها.

مختصر مصطفى محمد عمارة، المسمى ب: (جواهر البخاري)³⁰:

وهو عبارة عن (سبعمئة حديث مختارة مع شرحها)³¹. الكتاب طُبِعَ باسم: (جواهر البخاري وشرح القسطلاني 700 حديث مشروحة)، بعناية خالد العطار، إشراف: مكتب البحوث والدراسات، بدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1428هـ، 1429هـ، 2008م.

وجه عناية مصطفى عمارة في الكتاب: بدأ كتابه بمقدمة ذكر فيها ترجمة الإمام البخاري، وترجمة للشيخ القسطلاني، وفضيلة أهل الحديث، حيث ذكر بعضاً من الأحاديث في الأبواب بداية من كتاب بدء الوحي، نهاية بباب الأدعية المختارة عن رسول الله _ صلى الله عليه وسلم، وذلك على غير ترتيب البخاري في الجامع، وبلغت عدد الأحاديث سبعمئة حديث مختارة، خالية من الشرح. فالكتاب في مجمله هو اختصار لما جاء في الجامع الصحيح من الأحاديث.

مختصر عمر ضياء الدين، في كتابه المسمى ب: (زبدة البخاري)³²:

الكتاب طُبِعَ بدار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1407هـ، 1986م، وهو إعادة للطبعة الأولى بدار الكتب العربية الكبرى بمصر سنة 1330هـ.

وجه عناية المؤلف: الكتاب من ضمن اختصارات الجامع الصحيح، فهو جمع لجميع ما في صحيح البخاري من الأحاديث القولية النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام، محذوفة المكررات؛ ليسهل حفظها، ويعم نفعها، وهو عبارة عن 1524 حديث عن النبي _ صلى الله عليه وسلم، مأخوذة من الكتب والأبواب الواردة في الجامع، على غير ترتيب البخاري؛ حيث إن الكتاب مبدوءً بمكتوب النبي _ صلى الله عليه وسلم، ثم كتاب الإيمان، ومختوم بكتاب التوحيد والشفاعة، وهو مطبوع في كتاب واحد.

30- انظر: تاريخ التراث العربي، 1/247.

31- انظر: تاريخ التراث العربي، 1/247.

32- تاريخ التراث العربي، 1/248.

رابعاً: ثلاثيات الجامع الصحيح ومختاراته: ومنها:

مصنف العلامة محمد بن عبدالدائم بن موسى، البرمائي (ت 831هـ)، المسمى ب: (شرح ثلاثيات البخاري)³³.

طبع الكتاب باسم ثلاثيات الإمام البخاري، تحقيق وتعليق: د/ مصطفى مخدوم، بدار المعلمة، الرياض، 2001م، في ثمانين ورقة.

عناية البرمائي في كتابه: عبارة عن نظم بأبيات شعرية لثلاثيات البخاري؛ ليسهل حفظها، ومعنى الثلاثيات كما ذكر البرمائي هي: ما يكون بين البخاري وبين النبي - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة رجال من الإسناد، والتعريف هذا خاص بالبخاري، وهي اثنان وعشرون حديثاً بالمكرر، وستة عشر بدون المكرر، تدور على خمسة أسانيد.

مصنف العلامة أحمد بن أحمد، ابن العجمي الوفاي (ت 1086هـ)، وله كتاب عن ثلاثيات البخاري³⁴:

هو (أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم العجمي الشافعي الوفاي المصري الأزهري، شهاب الدين، فاضل من المشتغلين بالحديث)³⁵، (وله شرح ثلاثيات البخاري)³⁶.

الكتاب طبع مرتين، المرة الأولى: بتحقيق: أ.د/ عبد الجواد حمام، في جزء واحد، بدار عطاءات العلم، المملكة العربية السعودية، 1438هـ، 2016م، 2017م. والمرة الثانية بتحقيق: أبي معاذ شحات رجب البقوشي، بدار الأمل، مصر، 1442هـ، 2020م.

ولقد اطلعتُ على صورة المخطوط، من المكتبة التيمورية، المحفوظ بدار الكتب القومية، تحت رقم 201، وهي عبارة عن 43 ورقة.

وجه عناية ابن العجمي في كتابه: الكتاب شرح لثلاثيات البخاري البالغة عددها اثنان وعشرون حديثاً، افتتحها بشرح حديث: (إنما الأعمال بالنيات)، واستمد مادته من إرشاد الساري للقسطلاني المستمد من فتح الباري، مع بعض الزوائد، وتحديث أيضاً عن إسناده العالي لصحيح البخاري، بالإضافة إلى ضبطه وتعريفه

33- انظر: تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، 1/248. حسن المحاضرة، السيوطي، ت: 193، 1/439. الأعلام، الزركلي، حرف الميم، 188/6، 189.

34- انظر: تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، 1/249.

35- الأعلام: الزركلي، حرف الألف، 1/92.

36- الأعلام: الزركلي، حرف الألف، 1/92.

لأسماء الصحابة والتابعين والعلماء والمشايخ، ذاكراً تاريخ وفاتهم أحياناً، مبيّناً وجوه الإعراب للعديد من الأحاديث، مستعيناً بآراء العلماء اللغويين؛ كالزمخشري وغيره، موضحاً آراء العديد من المذاهب الفقهية، ومستعيناً بآراء المفسرين كابن بطال وغيره.

مختارات العلامة عبدالسلام هارون، في كتابه المسمى ب: (الألف المختارة من صحيح البخاري)³⁷:

طُبع هذا الكتاب ثلاث طبعات، الأولى بدار سعد، مصر، سنة 1354هـ، والثانية بمكتبة الخانجي، مصر 1399هـ، 1979م، أما الثالثة فهي بتنقيح ابنه نبيل عبدالسلام هارون بمكتبة القرآن، مصر، 1418هـ، 1997م.

وجه عناية عبدالسلام هارون في كتابه: اختار ألف حديث من صحيح البخاري، شارحاً هذه الأحاديث، معتمداً على كتب أمهات الشروح والتفاسير لبيان أغراضها ومراميها، ثم علق ووضح لما في هذه الأحاديث من فوائد، مع ضبطه للألفاظ، وتحقيق الروايات، وبيان الهدف من هذا هو أن يجد طلبة العلم مجالاً ميسوراً للدراسة بعيداً عن الخلافات المذهبية، وذكر أهمية صحيح البخاري، ووضح أهم الشروح عليه، وهي شرح الكرمانلي، وشرح الحافظ ابن حجر، وشرح العيني، وشرح القسطلاني، واعتمد في تفسير الألف المختارة على هذه الشروح؛ حيث إنه كان يشير إلى أماكن وجودها أسفل كل حديث، بالإضافة إلى تخريج الأحاديث من الكتب الستة المعتمدة، وعرف بالبخاري أيضاً، ومولده ونسبه وكتبه وشيوخه وتلامذته، بالإضافة إلى ذكر نسب الرواة أحياناً وأسمائهم ووفاتهم، مع ذكر مواضع الإعراب لبعض الألفاظ، وذكر الأحاديث على غير ترتيب البخاري؛ حيث بدأ من كتاب بدء الوحي وحتى باب، قوله تعالى: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة)، والكتاب في مجمله من اختصارات الصحيح الجامع للبخاري.

خامساً: ترجمة الجامع الصحيح إلى اللغة الإنجليزية:

ترجمة الجزء الأول من صحيح البخاري لإبراهيم حسن الموجي (معاصر)، طبع في القاهرة بمجلة الأزهر³⁸:

الترجمة: باسم: (جامع صحيح البخاري «ترجمة إلى الإنجليزية»، للأستاذ إبراهيم حسن الموجي، وهو الأستاذ في الآداب وعضو الجمعية الآسيوية الملكية ببريطانيا العظمى، والمحاضر بمدرسة التجارة العليا بمانشستر)³⁹.

37- انظر: تاريخ التراث العربي، 1/ 248.

38- انظر: تاريخ التراث العربي: فؤاد سركين، 1/ 243.

39- تحقيق: مجدي علام، صحيفة دار العلوم، د. ت، وملخص كلامه عن الترجمة جاء في ثلاث ورقات، حيث إنه علق على بعض تراجم الموجي الذي تراجع عنها وصححها.

الخاتمة

بعد هذا العرض المفصل لمظاهر العناية بصحيح الإمام البخاري في مصر، يتضح جليًا مدى ما أولاه العلماء المصريون من اهتمام بالغ بهذا الكتاب الجليل، الذي يُعد أصح كتب الحديث النبوي الشريف. فقد تعددت وجوه العناية من: رواية، وإقراء، وشرح، وتحقيق، واختصار، وتأريخ، وترجمة؛ مما يعكس عمق الصلة العلمية والروحية التي ربطت علماء مصر بالجامع الصحيح.

وقد بيّن البحث كيف أن هذه الجهود لم تكن محصورة في عصر بعينه، بل امتدت عبر قرون متعاقبة، وشملت مدارس علمية متعددة ومناهج متنوعة، كلها اجتمعت على خدمة هذا السفر العظيم؛ حفاظًا على السنة النبوية، وترسيخًا للمنهج العلمي في التعامل مع النصوص الحديثية.

كما كشف البحث عن إسهامات علماء أجلاء؛ من أمثال: ابن حجر العسقلاني، والقسطلاني، والعيني، والسخاوي، والبرماوي، وغيرهم، ممن أثروا المكتبة الإسلامية بشروحهم وتحقيقاتهم، وأسهموا في ترسيخ قواعد علم الحديث، وتيسير الفهم لطلاب العلم.

وتوصي الباحثة بضرورة مواصلة العناية بصحيح البخاري من خلال تحقيق ما لم يُحقق من شروحه المصرية، ودراسة منهج العلماء في التعامل مع نصوصه، وإحياء هذا التراث العلمي في المؤسسات التعليمية والأكاديمية؛ ليظل صحيح البخاري منارةً لهداية الأمة، ودليلاً على عمق تراثها الحديثي وثنائها.

قائمة المصادر والمراجع

الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، مايو 2002م.

الألف المختارة من صحيح البخاري: عبدالسلام هارون، تنقيح ابنه نبيل عبدالسلام هارون بمكتبة القرآن، مصر، 1418هـ، 1997م.

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: شهاب الدين القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، الطبعة السابعة، سنة 1323هـ.

البارع الفصيح على الجامع الصحيح (مخطوط)، أصل النسخة من مكتبة ملليت العامة بتركيا، عليها وقف لشيخ الإسلام فيض الله أفندي، ومحفوفة بمكتبة، رقم 269، وهي نسخة مكتوبة على أصل نسخة المؤلف، للناسخ حسين بن رستم، بها 248 ورقة، 31 سطراً.

تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية د/محمود فهمي حجازي، وراجعته: د/عرفة مصطفى، د/سعيد عبدالرحيم، طبع بإدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1411هـ، 1991م.

تغليق التعليق على صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني «تحقيق ودراسة»، رسالة دكتوراة، بكلية أصول الدين بالقاهرة، للباحث: سعيد عبدالرحمن موسى القزقي، تحت إشراف: أ.د/الحسيني عبدالمجيد هاشم، 1400هـ، 1980م.

التوشيح شرح الجامع الصحيح: جلال الدين السيوطي، تحقيق: رضوان جامع رضوان، بمكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى 1419هـ، 1998م.

ثلاثيات الإمام البخاري: محمد بن عبدالدائم بن موسى، البرماوي، تحقيق وتعليق: د/ مصطفى مخدوم، بدار المعلمة، الرياض، 2001م.

جامع صحيح البخاري «ترجمة إلى الإنجليزية»، للأستاذ إبراهيم حسن الموجي، تحقيق: مجدي علام، صحيفة دار العلوم، د.ت.

جمهرة أعلام الأزهر الشريف في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين: أسامة السيد محمود الأزهرى، طبع بمكتبة الإسكندرية، 1440هـ، 2019م.

جواهر البخاري وشرح القسطلاني (700 حديث مشروحة): مصطفى محمد عمارة، بعناية خالد العطار، إشراف: مكتب البحوث والدراسات، بدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1428هـ، 1429هـ، 2008م.

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى 1967م، 1387هـ.

زُبدة البخاري: عمر ضياء الدين، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1407هـ، 1986م.

شرح ثلاثيات البخاري: أحمد ابن العجمي الشافعي الوفاي المصري، تحقيق: أ.د./عبدالجواد حمام، في جزء واحد، بدار عطاءات العلم، المملكة العربية السعودية، 1438هـ، 2016م، 2017م. طبع أيضًا بتحقيق: أبي معاذ شحات رجب البقوشي، بدار الأمل، مصر، 1442هـ، 2020م.

شرح ثلاثيات البخاري (مخطوط): أحمد ابن العجمي الشافعي الوفاي المصري فأصل المخطوط من المكتبة التيمورية، المحفوظ بدار الكتب القومية، تحت رقم 201، بها 43 ورقة.

عمدة السامع والقارئ في فوائد صحيح البخاري: شمس الدين السخاوي، تحقيق وضبط: رضوان جامع رضوان، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الطبعة الأولى 1423هـ، 2003م.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين العيني، ضبطه وصححه عبدالله محمود محمد عمر، بدار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1421هـ، 2001م.

فيض الباري في شرح غريب صحيح البخاري، لعبدالرحيم بن عبدالرحمن بن أحمد العباسي، المتوفى سنة 963هـ، من أول الكتاب إلى قوله: كتاب الجمعة «دراسة وتحقيق»، للباحث: عبدالعزيز محمد هزاع، تحت إشراف: أ.د/موفق عبدالله القادر، وهي رسالة ماجستير، بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية 1439هـ، 2017م.

فيض الباري في شرح غريب صحيح البخاري (مخطوط)، لعبدالرحيم بن عبدالرحمن بن أحمد العباسي موجود في مكتبة حميدية باستانبول، رقم الحفظ 298، مكتوب باللغة العربية، فرغ المؤلف من كتابته وانتهى منه يوم 24 شعبان سنة 906هـ، يوم الأحد في القرن العاشر الهجري، أما النسخة المخطوطة فهي سنة 1175هـ، أي في القرن الثاني عشر، عدد أوراقها 511، نوع الخط تعليق، ووصفه مجود، الورقة بها خمسة وثلاثون سطرًا.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبدالله، الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ت.

اللامع الصبيح شرح الجامع الصحيح، شمس الدين محمد بن عبدالدائم بن موسى، البزّماويّ، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين، بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، لبنان، قطر، الطبعة الأولى 1433هـ، 2012م.

المتواري على تراجم البخاري: ابن المنير العلامة ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجذاميّ الإسكندراني، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، بمكتبة المعلّ، الكويت، الطبعة الأولى 1407هـ، 1987م.

معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي الرومي البغدادي، دار صادر بيروت، 1397هـ، 1997م.

معونة القارئ لصحيح البخاري لأبي حسن علي بن محمد المنوفي، تحقيق: أ.د./ سليمان بن عبدالله بن حمود، طبع بدار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1436هـ.

منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى ب: تحفة الباري: زكريا الأنصاري، أبو يحيى، حققه واعتنى به: سليمان بن دريع العازمي، بالتعاون مع مركز الفلاح للبحوث العلمية، مكتبة دار الرشد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1426هـ، 2005م.

النور الساري من فيض صحيح البخاري: حسن العدوي، تحقيق محمد العزازي، بدار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1436هـ.

هدي الساري مقدمة فتح الباري لابن حجر العسقلاتي، بتحقيق: عبدالقادر شيبه الحمد، مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى 1421هـ، 2001م.

هدية العارفين «أسماء المؤلفين وآثار المصنفين»: إسماعيل باشا البغدادي، وكالة المعارف الجليلة، إستانبول، 1955م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.



جهود المدرسة المغربية الأندلسية في خدمة صحيح البخاري في عصر التأسيس والازدهار ق 4 - 7 الهجري

دراسة في الرواية ومجالس العلم وحركة التأليف

إعداد

د خالد الصمدي

أستاذ التعليم العالي في الدراسات الإسلامية
جامعة عبد الملك السعدي تطوان، المملكة المغربية



تقديم :

باسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه :

أما بعد فإن العناية بالحديث الشريف رواية ودراية لمن أشرف العلوم بعد الاشتغال بالذكر الحكيم وعلومه ، وإذا كان البلاغ هو المهمة الأولى للمبعوث رحمة للعالمين عليه الصلاة والسلام إلى يوم الدين ، فإن البيان هو المهمة الثانية لهذا النبي الأمين، قال تعالى « يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بغلت رسالاته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين »¹ وقال تعالى « قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين »² وفي نفس الذكر الحكيم يقول العليم الخبير « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون »³ وهكذا كانت المهمتان متلازمتان متكاملتان في رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا بلاغ بدون بيان، ولا بيان قبل البلاغ ، والبلاغ لا يكون إلا مبينا ،

وقد وعى المسلمون منذ بداية نزول الوحي بهذا التكامل بين البلاغ والبيان فحفظوا القرآن في الصدور وكتبوه في الألواح والرقاع وسعاف النخل ، ودونوا البيان النبوي الذي عاشوه قولاً وفعلًا بعد ما أذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك حين أمن اللبس والاختلاط بالقرآن ،

ومن هنا اعتنى المسلمون عبر التاريخ بالقرآن وبسنة النبي العدنان في نفس الآن فكان حفاظ الحديث كعائشة رضي الله عنها وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن العاص وعبد الله بن مسعود ، وجابر بن عبد الله ، وأبي موسى الأشعري وأبي

1- المائدة 67

2- النور 54

3- النحل 44

هريرة الدي قال « ما من الصحابة أحد أكثر حديثاً مني إلا ما كان من عبد الله بن عمر فإنه كان يكتب وأنا لا أكتب»⁴ رضي الله عنهم أجمعين ، وقد كتب بعض الصحابة رضوان الله عنهم بعد الترخيص في الكتابة⁵ فعرفت الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عباس ، وصحيفة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، والصحيفة الصحيحة لعبد الله بن عمر وكتاب عمر بن جزم الأنصاري ، ، وما كتب من الأحاديث لأبي شاة وهو من أهل اليمن بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، ووثيقة المدينة التي بين فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم حقوق وواجبات من يتساكنون فيها ، وهذه من أقدم المدونات التي وصلتنا في الحديث الشريف من عصر الصحابة ، وذلك قبل أن يتفرقوا رضوان الله عليهم في الأمصار ينشرون الإسلام ، وقبل أن يفد إليهم وإلى كبار التابعين بعواصم العلم في البلاد الإسلامية مأت طلبة العلم من البلدان التي وصلها الإسلام يسمعون الحديث الشريف من أفواه الصحابة رضوان الله عليهم ومن التابعين وتابع التابعين فيحفظونه ويدونونه حتى ظهرت المدونات الكبرى للسنة النبوية التي تلقتها الأمة بالقبول لدقتها في الرواية سنداً وممتناً ، وأولها ما جمع إمام دار الهجرة عالم المدينة الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه مالك بطلب من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي أراد أن يجمع الناس على كتاب واحد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة والتابعين وفقههم وهو كتاب المؤطى الذي طار به الناس مشرقاً ومغرباً ، ثم تتالت المصنفات خلال القرن الثالث الهجري بداية عصر التدوين ، فعرفت كتب السنن والمسانيد وغيرها من مجامع السنة النبوية ، وتوجهها فكان على رأسها كتاب الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المشهور بالجامع الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ت 256 هجرية ، والجامع الصحيح لتلميذه الإمام مسلم الحجاج القشري النيسابوري ت 261 هجرية ،

وقد تلقت الأمة عبر تاريخها الجامع الصحيح للإمام البخاري بالقبول واعتبرته أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى لما عرف عن صاحبه من الورع والتقوى والدقة والصبر في منهجية التلقي والجمع والتصنيف والاحتياط والتحري في الرواية والنقل ، وقد اعتنى به العلماء عبر التاريخ رواية ودراية فعقدت مجالس العلم لدراسته

4- رواه البخاري

5- يقول أبو سعيد رضي الله عنه: «اشتأذنا النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة»، أي: طلبنا الإذن منه في كتابة أحاديثه وكلامه «فلَمْ يَأْذَنْ لَنَا»، أي: منعهم من كتابة أحاديثه، ولكن في الصحيحين أنه لَمَّا خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فَتْحِ مَكَّةَ، قام رجلٌ من أهل اليمن فقال: اكْتُبْ لي يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: اكْتُبُوا لأبي شاة»، وهذا أمرٌ صريحٌ بالكتابة، وفي الصحيحين أيضاً أنه لَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قال: «اتَّوْنِي يَكْتُابُ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ»؛ فقيل: كان ذلك النهي عن الكتابة في بداية الأمر، ثُمَّ اشْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ كِتَابَةِ الْحَدِيثِ؛ فَيَكُونُ الْإِذْنُ فِي الْكِتَابَةِ نَاسِخًا، وَالنَّهْيُ مَنْسُوخًا، وَكَانَ النَّهْيُ لِعِلَّةٍ، فَلَمَّا زَالَتْ الْعِلَّةُ أُذِنَ فِي الْكِتَابَةِ؛ فَرَبَّمَا كَانَ الْمَنْعُ مِنْهُ هُوَ خَشْيَةُ اخْتِلَاطِ حَدِيثِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِالْقُرْآنِ، فَتَنَّى عَنْ كِتَابَتِهِ إِلَّا فِي أَفْرَادٍ وَحَوَادِثٍ قَلِيلَةٍ لِمُحْتَاجٍ وَنَحْوِهِ، فَلَمَّا كَمَلَ الْوَحْيُ انْتَفَتْ تِلْكَ الْعِلَّةُ. حديث صحيح رواه الترمذي

وألفت المصنفات الجوامع في روايته وشرحه وأعلها ومرتبته وأوفها مادة كتاب فتح الباري في شرح صحيح البخاري للإمام حجة الإسلام أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة 752 هجرية ، والذي لا يزال عليه المعول إلى يوم الناس هذا في الرواية والضبط والفقه ، فكان موئل العلماء وطلبة العلم لما يزخر به من الفرائد والفوائد ،

وقد كان للمغاربة في العناية بصحيح البخاري رواية ودراية جهد ونصيب مذ ضربوا أكباد الإبل لسماعه ونقله إلينا رواية من أعلى الأسانيد، حيث دخل إلى المغرب بروايات متعددة نهاية القرن الثا الهجري وبداية الرابع ليتم الاشتغال به سندا ومتنا لفظا ومعنى، فأنتجوا من ذلك علما غزيرا دونته كتب الرحلات والفهارس والمشىخات ومجالس العلم في المساجد والزوايا ؛ والرياضات والحوانيت وأوقفوا لها الأوقاف ، ووصل بهم الأمر إلى تبركوا ببركته في المدلهمات والآفات،

إلى أن ظهر في زمان الناس هذا قوم لا خلاق لهم من العامة الروبيضة ممن استطال لسانهم على ما ورد في هذا الكتاب المنيف من درر الحديث الشريف ، فقالوا من أنفسهم قبل النيل منه دون حجة ولا برهان سوى ما اشتته أنفسهم هزؤا ولعبا ، فنفرت الأمة بخيلها ورجلها مدافعة عن حياضه مبرزة بالحجة والبرهان كل ضلال وبهتان يطال سنة النبي العدنان ، فعقدوا لذلك كبريات المجالس العلمية من ندوات ومؤتمرات جامعة خلصت إلى مشاريع كبرى في توثيق ودراسة السنة النبوية وصياتنها من انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين ، ومن ذلك هذا المؤتمر العظيم الذي تحتضنه بلاد أوزبكستان حيث بلدة بخارى مسقط رأس أمير المؤمنين في الحديث، وتحت الرعاية المباركة لرئيسها، واحتفالا بطشقند عاصمة الثقافة الإسلامية في العالم الإسلامي 2025 ،

واستجابة لدعوة كريمة من منظمة العالم الإسلامي للتربية والعالم والثقافة إيسيسكو ، للمشاركة في هذا المحفل البهيج ، وإبرازا لجهود الجناح الغربي للعالم الإسلامي بصفة عامة وبلاد المغرب و الأندلس على وجه الخصوص في العناية بالحديث الشريف بصفة عامة وصحيح الإمام البخاري على وجه التحديد،

سأستعرض بحول الله خلاصات جهد بذلته طيلة أكثر من عشر سنوات في جمع وتبويب وتصنيف وفهرست وتكشيف المعالم الكبرى لمدرسة فقه الحديث في الغرب الإسلامي رواية ودراية حيث وقفت على مادة علمية ثرة غنية في عناية المغاربة بصحيح البخاري آثرت أن أعرض أهم معالمها لأول مرة في مؤتمر علمي عالمي وفاء لهذا العلم العظيم خديم السنة النبوية الشريفة عسى الله أن يكتبنا في زمرة الخلف العدول الذين ينفون عنها تحريف الجاهلين وانتحال المبطلين وتأويل الغالين ،

الحدود العلمية للورقة

وقد اخترت أن أركز في هذه الورقة العلمية على سبيل التمهيد على إبراز جهود المدرسة المغربية الأندلسية في خدمة الحديث الشريف منذ وقت مبكر خلال القرنين الثاني والثالث الهجري حيث وضعت أسس مدرسة الحديث في هذا القطر من العالم الإسلامي بعد الرحلات العلمية التي قادت عددا من العلماء إلى المشرق الإسلامي منذ وقت مبكر لرواية موطأ الإمام مالك إمام دار الهجرة، الشيء الذي مهد الطريق للتعامل مع مصادر السنة الكبرى التي عرفت بعد عصر التدوين وعلى رأسها الجامع الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه، وذلك بإعمال علوم الحديث التي نضجت واستوت في مجالس الرواية والدراية،

ثم أركز بعد ذلك على سبيل التفصيل على جهود علماء الغرب الإسلامي بعد ذلك من القرن الرابع إلى نهاية السابع الهجري وهي الفترة التي عرفت دخول كتاب الجامع الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256 هجرية) بروايات متعددة إلى هذه البلاد، وعرفت قمة العناية به في المدرسة المغربية الأندلسية رواية ودراية، ففي هذه المرحلة عقدت أوسع حلقات العلم لمدارسة هذا الكتاب العظيم وألفت معظم الكتب ذات الصلة به كما سنوضح ذلك في ثنايا هذه الورقة قبل اختلال سلطة الدولة الإسلامية في الأندلس في عصر الطوائف الثالث بعد سقوط قرطبة عاصمة الخلافة وإشبيلية دار الحديث منتصف القرن السابع الهجري ابتداء من سنة 633 هجرية، حيث تأثرت أجواء الحركة العلمية بالأندلس فقتل العلماء واتهبت المكتبات وهدمت دور العلم واقتحمت المساجد، فانتقل العديد من العلماء إلى المشرق وخاصة إلى مصر والعراق وما وراءهما من بلاد نيسابور حيث ازدهر هذا العلم هناك وانتشر

وقد عرفت هذه المرحلة التي سنركز عليها (من القرن الرابع إلى نهاية السابع الهجري)، جهودا عظيمة في العناية بالجامع الصحيح استثمر معظمها في تأليف أوفى شرح لصحيح البخاري والمعروف بفتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852 هجرية، والذي ضم دررا كثيرة من جهود علماء المغرب والأندلس في العناية بهذه الكتاب العظيم سندا ومتنا، وقد ظلت هذه الجهود غميسة لانشغال الناس بالفتح واحتفائهم بجلال قدره حتى قالوا فيه «لا هجرة بعد الفتح» فلم يهاجر الناس إلى غيره من الكتب التي تأسس هذا الجهد العظيم عليها ونهل منها،

فكان استهلالنا في ذلك بجهود الإمام أبي جعفر الداودي صاحب كتاب النصيحة المتوفى سنة 402 هجرية والذي كان يلقيه ابن حجر بالشارح لسبقه في هذا الباب، والختام بجهود ابن رشيد السبتي الفقيه الإمام المتوفى 721 هجرية صاحب

كتاب ترجمان التراجم في إبداء وجه مناسبات تراجم صحيح البخاري، لنخلص من خلال هذه المسيرة التاريخية إلى إبراز عناية علماء المغرب والأندلس بمختلف جوانب الجامع الصحيح من الرواية ومجالس العلم والجمع والتصنيف والتبويب، إلى الشرح الشامل أو المختصر، فالاشتغال بالغريب والمشكل والغريب، فالعناية بالتراجم التي تحتزن فرائد وفوائد جمة والتي قيل فيها «فقه البخاري في تراجمه»، فالشرح والفقه والاستنباط،

وهكذا ستجيب هذه الورقة العلمية خلال هذه المرحلة عن الأسئلة الكبرى التالية:

كيف صادرت الأندلس دار حديث بعد أن كانت دار فقه مما مهد للعناية بالجامع الصحيح؟

ما هي أبرز مظاهر عناية العلماء المغاربة بصحيح البخاري رواية ومجالس علم من بداية القرن الرابع الهجري إلى نهاية السابع؟

ما هي أبرز مظاهر عناية العلماء المغاربة بصحيح البخاري شرحاً وفقها خلال هذه المرحلة؟

فأقول وبالله التوفيق

1. المدرسة المغربية الأندلسية من الفقه إلى الحديث خلال القرنين 2 و3 الهجري

منذ دخل الإسلام الأندلس وأهلها على مذهب الأوزاعي إلى أن رحل طلبتها إلى الحجاز، وعادوا بمذهب مالك ينشرونه في بلادهم وفي مقدمة هؤلاء أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن القرطبي المعروف بشبطين ت 193 هـ وهو أول من أدخل الموطأ متفقها بالسماع إلى الأندلس⁶ وإن كان الموطأ دخل الأندلس قبله ولكن صنيع شبطين تميز بفقه الموطأ، وقال الضبي في عيسى بن دينار الغافقي الطليطلي «فقيه الأندلس في عصره وكان أفقه من يحيى على جلالة قدر يحيى وعظمته... كان يعجبه ترك الرأي والأخذ بالحديث وكان قد أجمع في آخر أيامه على أن يدع الفتيا بالرأي ويحمل الناس على ما رواه من الحديث في كتب ابن وهب وغيره حتى أعجلته المنية عن ذلك»⁷.

وقد لزم الإمام يحيى بن يحيى الليثي مالكا مرتين وقدم إلى الأندلس بعلم كثير فعادت الفتيا إليه بعد ابن دينار، وقد شهر عنه كما ذكر ابن الفرضي «أنه خالف

6- شجرة النور الزكية في طبقات علماء المالكية لابن مخلوف ص 63 ط دار الكتاب العربي بيروت 1349 هجرية

7- بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس لأحمد بن يحيى بن عميرة الضبي ج 2 ص 525 ط دار الكتاب العربي 1967 وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ج 2 ص 556 تحقيق إبراهيم الأبياري ط دار الكتاب المصري القاهرة ط 1 1983

رأي مالك في القنوات في الصباح لحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعه من الليث بن سعد، وترك رأي مالك في اليمين مع الشاهد وأخذ بقول الليث في ذلك بإيجاب شاهدين وقد انصرف إلى الأندلس فكان إمام وقته⁸

وإذا كان الإمام سحنون قد ركز اتجاه أهل الأثر في مدرسة مالك بالقيروان فإن ابنه أبا عبد الله محمد بن سحنون شيخ الإسلام وعلم الأعلام، قد دخل الأندلس حاملاً لواء هذا الاتجاه فاشتغل بالحديث تأليفاً ودارسة، قال القاضي عياض «وقد غلب على ابن سحنون الفقه والمناظرة وكان يحسن الحجة والذب عن السنة والمذهب»⁹. وقال خالد بن سعد في ثابت القرطبي: «كان مذهبه الميل إلى الحديث»¹⁰

إن استقراء هذه النصوص وغيرها مما حفلت به كتب التراجم يجلي بوضوح ظهور اتجاهين في التعامل مع مذهب مالك وكتاب الموطأ وهذان الاتجاهان ترسّخا في الغرب الإسلامي خلال هذه المرحلة (ق 2-3 هـ) واستمرّا في الرسوخ بعد ذلك فيما استقبل من القرون، وقد أثر اتجاه الأثر بشكل كبير في نشأة مدرسة فقه الحديث بالمغرب والأندلس في مركزيه آنذاك القيروان وقرطبة إلى أن صارت الأندلس بعد ذلك دار حديث ببقية بن مخلد، ت 276 هجرية ومحمد بن وضاح 278 هجرية

وقد استمدت شهرة بقي وابن وضاح وقودها من أمرين :

المادة الحديثية الجديدة والغزيرة التي أدخلها إلى الأندلس.

تعرضهما للنقد والتجريح من طرف أهل البلد من المشتغلين بالفقه والفتوى

ولعل صدق هذا التدافع بين الاتجاه الفقهي والاتجاه الأثري بعد عودتهما من الرحلة العلمية هو الذي جعل الدارسين يقولون إن الأندلس قبلهما لم تكن دار حديث ولو كانت كذلك لما وقع ما وقع من خلاف بين الفقهاء والمحدثين. بل وحتى الدراسات التي تذهب إلى أن الأندلس عرفت الحديث قبلهما أغفلت أعلام الحديث الذين تبنا اتجاه الأثر في مدرسة مالك، واكتفوا بالقول أن الحديث دخل مع أعلام من المشاركة كمعاوية بن صالح الحضرمي، وداود بن جعفر الصغير، وحبيب بن الوليد، وصعصعة بن سلام، وغيرهم وأن علماء الأندلس وطلبتها لم يجمعوا علم هؤلاء، وساقوا اعتراف ابن وضاح بهذا ليحيى بن معين « حين سأله هل جمعت حديث معاوية بن صالح ؟ فقال لا، فقال ما منعكم من ذلك قال ابن وضاح. قدم بلدا لم يكن أهله يومئذ أهل علم قال ابن معين أضعتم والله

8- شجرة النور الزكية في طبقات علماء المالكية لابن مخلوف ص 63 ط دار الكتاب العربي بيروت 1349 هجرية

9- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب الإمام مالك للقاضي عياض ج 4 ص 204 منشوران وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب 1983 م

10- أخبار الفقهاء والمحدثين بالأندلس ابن حارث الخشني الترجمة رقم 64 ص 67 تحقيق المستشرقين ماريّا روسا أبيلا ولويس مولينا ط المجلس الأعلى للأبحاث العلمية بمديرية

علما عظيمًا¹¹ والقارئ لهذا النص يكاد يجزم أن البلد لم تعرف محدثًا واحدًا تلقف هذا العلم وصانته، والواقع أن أهل الأندلس جمعوا حديث هؤلاء وإن كان ابن وضاح لم يتمكن من ذلك، فقد قال زيد بن الحباب «دخلت الأندلس وكتبت عن معاوية بن صالح¹² وقال الخشني متحدثًا عن قدوم معاوية بن صالح إلى الأندلس» وفي سفرته تلك كتب عنه وجوه أهل العلم¹³

وإذا أضفنا إلى هذا ما تحدثنا عنه في كلامنا عن دخول اتجاه الأثر في مدرسة مالك إلى القيروان والأندلس، علمنا أن البلد كانت دار حديث قبل بقي وابن وضاح مع خلاف في المنهج ،

فما الجديد في رحلة ابن وضاح وبقي؟؟ وما أثر ذلك في نشأة مدرسة فقه الحديث ؟

وللجواب عن هذا السؤال نقول : إذا كان علماء اتجاه الأثر في مدرسة مالك اقتصرُوا على ما روي عن مالك بفعل الصلات العلمية التي ربطت أغلب الراحلين إلى المشرق بالمدينة المنورة، فقد تميزت رحلة بقي بن مخلد وابن وضاح بما يلي :

استمداد الحديث من مصادر أخرى اشتغلت بأدق علومه كالجرح والتعديل وتدوين الحديث، فقد أخذ ابن وضاح في رحلته الأولى سنة 228 هجرية عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وسعيد ابن منصور وغيرهم حيث أربى عدد شيوخه عن المائة والسبعين، وأنه سمع في رحلته الثانية بإفريقية عن سحنون بن سعيد وعوف بن يوسف وسعيد بن عبدوس في جماعة كثيرة من البغداديين والمكيين والشاميين والمصريين والقرويين¹⁴

وأخذ بقي بن مخلد عن جماعة من أئمة المحدثين وكبار المسندين وعلى رأسهم أحمد بن حنبل وابن أبي شيبة وسمع بإفريقية عن سحنون بن سعيد وعون بن يوسف وغيرهم، حتى وصل عدد شيوخه إلى مائتين وأربع وثمانين رجلاً. وقد أفرد لهم أستاذنا الدكتور نوري معمر حفظه الله مصنفًا خاصًا سماه معجم شيوخ عبد الرحمن بقي بن مخلد صدر عن مطبعة الهداية بتطوان عام 1996 فأجاد فيه وأفاد.

صياغة جديدة لفقه الحديث بفعل إدخال مصادر جديدة في الحديث إلى الأندلس كمصنف ابن أبي شيبة، وهذا أثر في مصادر الفتوى حيث انتقلت من اعتماد مصدر واحد وهو موطأ مالك وشروحه وأقوال تلاميذه إلى التخير من مصادر

11- قضاة قرطبة لأبي عبد الله بن حارث الخشني ص 50 وما بعدها تحقيق إبراهيم الأبياري ط 1 دار الكتب الإسلامية ودار الكتاب المصري 1982 م

12- نفسه

13- نفسه ص 52

14- تاريخ علماء الأندلس لابن الفريسي ج 2 ص 651 ، وبغية الملتمس للضيبي ص 504

عدة ، قال ابن بشكوال في بقي بن مخلد «وكان متخيرا لا يقلد أحدا وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل وجاريا على مضمار أبي عبد الله البخاري وأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري وأبي عبد الرحمن النسائي عليهم رحمة الله»¹⁵

ولكن اختياره هذا لم يمنعه من الأخذ بمذهب مالك والإفتاء به بل والبراعة في استحضار الفتوى من مصادره فقد قال فيه ابنه أحمد بن بقي «كان رحمه الله لا يتعدى مذهب مالك رحمه الله إلى غيره ولا يخالف أصحابه فيه، وقد يمكن أن يكون هذا منه في حين الشورى وعند مقاطع الأحكام، إذ كان بقي يعلم أن الأحكام تجري على مذهب مالك رحمه الله، وأما مذهب بقي الذي كان يتقلده، الحديث والنظر لا يقلد أحدا من أهل العلم ما يظهر له الحق في غيره»¹⁶

وهكذا أصبحت بلاد المغرب والأندلس دار حديث بعد أن دخلت إليها معظم مصادره، واستوت فيها علومه وفنونه ، فازدانت بها مجالس العلم ، وبرع فيها رجالاته ، فأضحت مهياة لاستقبال كتاب أمير المؤمنين في الحديث الجامع الصحيح لأبي محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه رواية ومجالس علم وتأليف،

2. عناية العلماء المغرب والأندلس بصحيح البخاري رواية ومجالس علم

2-1 الرحلة في طلب صحيح البخاري

دخول صحيح البخاري برواية الفربري :

عني علماء الأندلس بالرحلة في طلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأسانيد العالية ، ومن مصادره السامقة السامية ، ولم نعثر في تراجم المشتغلين بالحديث بالمغرب والأندلس في القرن الثالث الهجري من ذكر اهتمامه بصحيح البخاري نظرا لاشتغالهم بموطأ مالك فقها ، وسنن أبي داود كتاب حديث، فقد عرف عن علماء الأندلس بالخصوص أنهم اهتموا بسنن أبي داود لأنه من أول ما دخل إليهم، فقد نقل ابن خیر عن ابن يربوع قوله «وهؤلاء القرطبيون لم يدخل عندهم من أول ما دخل إلا كتاب أبي داود فالتموا به وأما كتب الصحاح فلم تدخل عندهم إلا بأخرة»¹⁷. إلى أن وجدنا من أوائل من رحل لطلب الجامع الصحيح للإمام البخاري رضي الله عنه في القرن الرابع الهجري الإمام عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي ت 392 هجرية وهو من أهل أصيلة يكنى أبا محمد، ذكره الحميدي وقال

¹⁵- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم لأبي القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال ج 1 ص 117 ط الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966 م

¹⁶- أخبار الفقهاء والمحدثين بالأندلس لابن حارث الخشنى الترجمة رقم 58 ص 149 وما بعدها

¹⁷- فهرست ما رواه عن شيوخه، لأبي بكر محمد بن خير الإشبيلي : المعروف بابن خير، ص : 107. ط دار الأفاق الجديدة بيروت 1979 م

فيه « من كبار أصحاب الحديث والفقهاء رحل إلى القيروان ومصر ومكة فسمع من أبي زيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المروزي الفقيه صحيح البخاري عن محمد بن يوسف الفربري عنه، ثم إلى العراق فسمع في بغداد والكوفة والبصرة وواسط وأكثر الجمع والرواية. ورجع إلى الأندلس فساد في ذلك، وكان متقنا للفقهاء والحديث ألف كتابا كبيرا في الدلائل على المسائل فما قصر. روى عنه أبو محمد علي بن أحمد والمهلب بن أبي صفرة»¹⁸

صحيح البخاري برواية أبي زيد الهروي

إلى جانب الإمام الأصيلي رحل الإمام علي بن محمد بن خلف القابسي المتوفى سنة 403 هجرية إلى مكة فأخذ الجامع الصحيح عن أبي زيد الهروي قال الذهبي في تذكرة الحفاظ « وكان رحمه الله واسع الرواية عالما بالحديث ورجاله وعلله وهو أول من أدخل صحيح البخاري إلى إفريقية »¹⁹، ولم يكتف المهلب بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة أبو القاسم التميمي ت 433 هجرية بما سمع من شيخه الأصيلي من رواية البخاري عن طريق الفربري ، بل رحل إلى المشرق كما قال ابن بشكوال في الصلة «**فروى عن أبي ذر الهروي** وأبي الحسن علي بن فهر وأبي الحسن علي بن محمد بن بNDAR القزويني وأبي الحسن القابسي وغيرهم، »²⁰ كما ذكره ابن فرحون في الديباج فقال «كان أبو القاسم من كبار أصحاب الأصيلي وبه حيي كتاب البخاري بالأندلس لأنه قرأه تفقها أيام قراءته وشرحه واختصره اختصارا مشهورا سماه النصيح في اختصار الصحيح علق عنه تعليقا حسنا على البخاري، وسمع منه ابن المرابط وأبو عمر ابن الحذاء وأبو العباس الدلائي وحاتم بن محمد توفي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمئة هـ²¹ ومن رواية الفربري وأبي ذر الهروي أخذ معظم علماء المغرب والأندلس في القرن الخامس الهجري وبعده فشرعوا في الاشتغال بشرحه وفقهه كما ما سيأتي بيانه في حركة التأليف في رواية صحيح البخاري وشرحه

مجالس العلم بالمغرب والأندلس لمدارسه الجامع الصحيح للبخاري

عن طريق المعارف الحديثية التي نقلها علماء القرن الثالث والرابع الهجري من مختلف مراكز العلم بالمشرق أصبحت المادة الحديثية متوفرة بالغرب الإسلامي، وعلى رأسها الجامع الصحيح للإمام البخاري رحمه ، وهو ما جعل بعض من برز

18- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي ج 1 ص 400 تحقيق إبراهيم الأبياري ط 2 دار الكتاب اللبناني 1983 م

19- تذكرة الحفاظ للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي ج 3 ص 433 ط دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ ، وانظر جذوة المقتبس للحميدي ج 1 ص 396

20- الصلة لابن بشكوال ج 2 ص 626

21- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، لابن فرحون المالكي ج 1 ص 346 تحقيق محمد الأحمد أبو النور ط دار التراث القاهرة بدون تاريخ

من علماء هذا الجزء من العالم الإسلامي في بداية القرن الخامس الهجري يستغنون عن الرحلة ويكتفون بدراسة هذا التراث الضخم الذي نقل من المشرق، فنالوا بذلك شهرة كبيرة،

وهكذا سيعكف علماء الغرب الإسلامي نهاية القرن الرابع وبداية الخامس الهجري على دراسة الزاد الحديثي الذي أدخله الراحلون لطلب العلم خلال القرن الرابع الهجري الذي فيه دخلت أغلب مصادر السنة إلى الغرب الإسلامي بالسند والرواية وعلى رأسهم كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري، واشتغل الناس بهذه الكتب والمرويات في مجالس العلم التي ازدهرت وازدانت واتسعت نهاية القرن الرابع الهجري وقد حفظت لنا كتب التراجم نصوصاً تصف هذه الحركة المباركة، فقد كان الإمام أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي ت 392 هـ كما تذكر كتب التراجم أول من عقد مجالس الحديث فقرأ عليه كتاب البخاري بعد عودته من رحلة واسعة منتصف القرن الرابع الهجري إلى بغداد والكوفة والبصرة ومكة ومصر والقيروان، قال الحميدي «وأكثر الجمع والرواية ورجع إلى الأندلس فساداً في ذلك وكان متقناً للفقه والحديث»²²

وكان عبد الرحمن بن محمد القرطبي المعروف بابن فطيس ت 402 هـ «من جهاذة المحدثين وكبار العلماء المسندين حافظاً للحديث وعلمه منسوباً إلى فهمه وإتقانه عارفاً بأسماء رجاله ونقلته، يبصر المعدلين منهم والمجرحين، وله مشاركة في سائر العلوم وتقدم في معرفة الآثار والسير والأخبار، وعناية كاملة بتقيد السنن والأحاديث المشهورة، والحكايات المسندة جامعاً لها مجتهداً في سماعها وروايتها، وكان حسن الخط جيد الضبط، جمع من الكتب في أنواع العلم ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس، مع سعة الرواية والحفظ والدراية، وكان يملئ الحديث من حفظه بمسجده ومستمل بين يديه على ما يفعله كبار المحدثين بالمشرق، والناس يكتبون عنه وكان له ستة وراقين ينسخون له دائماً وكان قد رتب لهم على ذلك راتباً معلوماً وقد أخبر حفيده أبو سليمان أنه سمع عمه وغير واحد يحكون أن أهل قرطبة اجتمعوا لبيع كتب جده مدة عام كامل في مسجده في الفتنة والغلاء، وأنه اجتمع منها أربعون ألف دينار قاسمية، وأخبر أيضاً أنه كان لا يعير كتاباً من أصوله البتة، وكان إذا سأله أحد ذلك وألحف عليه أعطاه للناسخ فنسخه وقابله ودفعه إلى المستعير فإن صرفه وإلا تركه عنده»²³ وعن هذا العلم أخذ أغلب محدثي القرن الخامس الهجري، وعلمه هذا أهله ليؤلف عشرات المؤلفات.

وقد تأثرت الحركة العلمية بالأندلس بعد سقوط الدولة الأموية وظهور عصر الطوائف الأول فتفرق عدد من العلماء في الأمصار ونهبت المكتبات وانتهكت حرمت المساجد، ولم يقتصر تأثير الفتنة على حياة العلماء، وإنما امتد ليشمل الجلوس

22- تاريخ علماء الأندلس : ابن الفرضي، ج 2، ص : 605.

23- الصلة : ابن بشكوال، ج 1، ص : 309-310.

لطلب الحديث وتدريسه فهذا عبد الرحمن بن محمد الأزدي المصري أبو القاسم قدم الأندلس سنة 394 هـ وكان حافظاً للحديث حدث عنه أبو عمر بن الحذاء حين سكن قرطبة إلى أن وقعت الفتنة فخرج من الأندلس ومات بمصر.²⁴ كما أثرت الفتنة في بعض مجالس الحديث التي انتقلت من العلن إلى السر إذ إن بعض العلماء لزم بيته وأغلق على نفسه باب الرواية قال أبو عبد الله بن عتاب، «كان لأبي عثمان سعيد بن رشيقي الزاهد رواية كثيرة ودراية إلا أنه أغلق على نفسه باب الرواية والاجتماع إليه، وإنما كان ذلك لمن قصده مفرداً وعلم صحة مقصده واعتزل الناس وأقبل على العبادة قرأت عليه في مسجد أبي علاقه منفرداً إذ لم يكن يجتمع إليه»²⁵. وبعد أن سكن الغصب عن الناس وهدأ الروح، واستتب الحكم لبني جهور بقرطبة وبني عباد بإشبيلية عاد عدد من العلماء إلى قرطبة، فعادت مجالس العلم إلى سابق عهدها، «وعرف عن ابن جهور حاكم قرطبة حضوره لمجالس علم الحديث حيث جلس إلى أبي بكر بن أصبغ البياني، وأبي محمد الأصيلي الذي كان يشرح صحيح البخاري، والقاضي بن مفرج وغيرهم من الشيوخ الأكابر»²⁶

كما سعى كل ملوك الطوائف لتدعيم إماراتهم بدعوة العلماء إليها جلباً لود العامة بتنشيط حركة العلم، فقد راسل المعتمد بن عباد أبا عمر بن عبد البر يدعوه إلى أن يشرف مغرب الأندلس كما شرف مشرقها²⁷. وإن كان ولم يعرف عن ملوك الطوائف دعوتهم لمذهب معين، إنما كان همهم توسيع مجالس العلم في إماراتهم وتوفير قدر من الحرية لازدهار الحركة العلمية لأن في ذلك تثبيتاً لأركان الإمارة، ففي الدولة الصمادية كان محمد بن معن الذي لقب بالمعتصم بالله، والواثق بفضل الله يعقد المجالس في قصره للمذاكرة ويجلس يوماً في كل جمعة للفقهاء والخواص فيتناظرون بين يديه في كتب التفسير والحديث²⁸، كما عاد الناس إلى التنافس في اقتناء الكتب وجمع الدواوين وشراء ما عزم من النسخ الأصلية بعد أن تفرقت في أنحاء الأندلس زمن الفتنة²⁹

وممن اشتغل بصحيح البخاري في مجالس العلم علي بن خلف بن بطلال القرطبي ت 449 هـ الذي ذكر ابن بشكوال أنه «كان من أهل العلم والمعرفة، مليح الخط حسن الضبط، عني بالحديث ومعانيه العناية التامة، وحدث عنه جماعة من العلماء وألف في شرحه كما سيأتي»³⁰. وكذا القاسم بن الفتح بن الأريوالي الحجاري ت

24- الصلة : ابن بشكوال، ج 1، ص : 430

25- الصلة : ابن بشكوال، ج 1، ص 215

26- الصلة لابن بشكوال ج 1 ص 47

27- ابن عبد البر وجهوده في التاريخ : ليث سعود الجاسم، ص : 81. منشورات الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ط 2 1988م

28- تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين : إحسان عباس، ص 71.

29- انظر المكتبات التي أنشأت في الأندلس في المنتصف الأول من القرن 5 هـ من كتاب تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف لإحسان عباس، ص 56

30- الصلة : ابن بشكوال، ج 2، ص 411.

451هـ والذي قال فيه الحميدي «أبو محمد الأريواني فقيه مشهور عالم زاهد يتفقه بالحديث ويتكلم على معانيه. وكان رحمه الله إماما مختاراً ولم يكن يقلد أحداً، وكان عاملاً بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، متبعاً للأثر الصحاح متمسكاً بها»³¹ وفي هذه الفترة من القرن الخامس الهجري اشتهرت مجالس المناظرة خاصة بين فقهاء المالكية وأهل الظاهر بعد ظهور الإمام ابن حزم الأندلسي ت 456 هجرية، فاشتهرت مناظراته مع الإمام أبي الوليد الباجي ت 474 هجرية، وكان علم الحديث والأثر زاد هذه المجالس فقد ذكر القاضي عياض أنه «ولما تكلم أبو الوليد الباجي في حديث الكتابة يوم الحديبية الذي في البخاري قال: بظاهر لفظه، فأنكر ذلك عليه الفقيه أبو بكر ابن الصائغ وكفره بإجازة الكتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو النبي الأمي، وأنه تكذيب بالقرآن فتكلم في ذلك من لم يفهم الكلام حتى أطلقوا عليه الفتنة وقبحوا عند العامة ما أتى به وتكلم، فصنف أبو الوليد رسالة بين فيها أن ذلك غير قاذح في المعجزة فرجع بها جماعة»³² ودفعه ذلك إلى تأليف كتاب في أدب الحجاج والمنظرة «سماه المنهاج في ترتيب الحجاج»³³، وقد عرف عن يوسف ابن البر النمري ت 463 هجرية، عنايته بالموضوع في كتابه «جامع بيان العلم وفضله»³⁴ الذي عقد فيه باباً سماه «إثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة» وقد ضمن كتابه هذا كثيراً من التوجيهات في فقه السنة.

وممن عرف بإقراء الصحيحين في مجالس الحديث نهاية القرن الخامس الهجري وبداية السادس في عصر المرابطين الإمام أبي الحسين بن محمد بن فره بن سكرة الصوفي السرقسطي ت 514 هجرية الذي عاد من رحلته المشرقية «فسكن مرسية وقعد يحدث الناس بجامعها ورحل الناس إليه من البلدان وكثر سماعهم منه»³⁵ قال فيه الذهبي وفي مجالس علمه «له باع طويل في الرجال والعلل والأسماء والجرح والتعديل مليح الخط متقن الضبط حافظ المتن والإسناد قائم على إقراء الصحيحين وجامع بن عيسى»³⁶ يقصد الترمذي صاحب السنن،

ومن أشهر المشتغلين بالجامع الصحيح في مجالس العلم بالمغرب والأندلس، أبو القاسم أحمد بن محمد بن ورد التميمي ت 510 هـ الذي قال فيه ابن الخطيب في الإحاطة «قال الملاحى: «كان له مجلس يتكلم فيه على الصحيحين ويخص الأخمسة بالتفسير ولي قضاء غرناطة سنة 20 (يعني وخمسائة) فعدل وأحسن السيرة وبه تفقه طلبتها»»³⁷

31- نفسه

32- تذكرة الحفاظ للذهبي ج 4 ص 1218

33- طبع طبعات متعددة بدار الغرب الإسلامي تونس بتحقيق عبد المجيد التركي ط 5 سنة 2014

34- منشورات دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية بتحقيق أبي الأشبال الزهيري 1435 هجرية

35- الصلة لابن بشكوال ج 1 ص 144

36- تذكرة الحفاظ للذهبي ج 4 ص 253

37- الإحاطة في أجبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب تحقيق محمد عبد الله عنان ج 1 ص 170 منشورات الشركة المصرية للطباعة والنشر القاهرة ط 2 1973

قد ذكرت المصادر نصا نفيسا يحدد حتى طريقة تدريس فقه حديث الجامع الصحيح للإمام البخاري بدءا ونهاية، زمن الموحدين، ففي ترجمة أبي بكر محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي ت 659 هـ. قال الغبريني «وكان راوية حافظا للحديث عارفا برجاله وبأسمائهم وتاريخ وفاتهم .. وكان يقوم على البخاري قياما حسنا، وكان يقرأ الحديث بسنده إلى أن ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إذا انتهى الإسناد رجع إلى ذكر رجاله، فيبدأ من الصحابي رضي الله عنه فيذكر اسمه ونسبه وصفته وتاريخ ولادته ووفاته وحكاية إن عرفت عنه، ثم يتلوه بالتابعين كذلك ولا يزال يتبعهم واحدا فواحدا إلى أن ينتهي إلى شيخه فيقول أما شيخنا فلان فيقول (ويذكر ما ذكره فيمن تقدم ويزيد على ذلك بأنه لقيه وقرأ عليه كذا وسمع منه كذا) وبعد الفراغ من ذلك يذكر الحديث وعربيته ويعرض لما قيد فيه من الفقه والخلاف العالي ودقائقه ورقائقه والمستفادات منه، كل ذلك بفصاحة لسان وجودة بيان»³⁸

وفي عصر الطوائف الثالث نهاية الموحدين وبداية عصر المرينيين اضطرب أمر الأندلس بعد سقوط قرطبة سنة 633 هجرية، ثم إشبيلية مهد الحديث فأنحسر الدرس الحديثي بالأندلس وعاد الناس الاشتغال بالفروع والرقائق وخرج كبار العلماء إلى المشرق فازدهر بهم الدرس الحديثي هناك، ولله الأمر من قبل ومن بعد،

3. عناية العلماء المغاربة بالتأليف في صحيح البخاري شرحا وفقها

لقد أثمرت مجالس العلم ببلاد المغرب والأندلس التي ذكرنا بعض معالمها من القرن الرابع بداية البزوغ إلى نهاية السابع الهجري عصر الأفلح والركود، كتب ومؤلفات عظيمة لا تزال آثارها حلية إلى اليوم في أمهات شروح البخاري بعد القرن الثامن الهجري وعلى رأسها كتاب فتح الباري للإمام بن حجر العسقلاني الذي قيل فيه «لا هجرة بعد الفتح»

ونعرض فيما يلي مظاهر عناية علماء الغرب الإسلامي بصحيح البخاري رواية ودراية متبعين منهج التصنيف حسب الفنون الحديثية المعروفة في فقه المصنفات الحديثية على وجه التفصيل،

فقد ثبت لدينا بالاستقراء أن علماء الغرب الإسلامي اعتنوا في مجالس علمهم بعلم دراية الجامع الصحيح من مختلف جوانبه، شرحا، واختصارا ثم شرحا، كما اعتنوا بشرح غريبه، وشرح ما أشكل من أحاديثه، كما اشتغلوا بفقه تراجمه، كل

38- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للعلامة أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني ت 714 هجرية، ص 219. تحقيق عادل نويهض منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت ط 2 - 1979 م

ذلك بما عرف عنهم من السعة العلمية اللغوية والفقهية والحديثية ، فنتجت عن ذلك مؤلفات عظيمة جلت درر الجامع الصحيح وبسطتها لطلبة العلم ، وسنعرض في هذه الورقة ما وقفنا عليه في المصادر من مؤلفات وأصحابها مصنفة على تلکم الفنون فنقول وبالله التوفيق :

الاشتغال بالشرح الكامل للجامع الصحيح :

1-1 كتاب النصيحة في شرح البخاري، أحمد بن نصر الداودي الأسدي 402 هجرية

وأول شارح لهذا الكتاب العظيم من المتقدمين من علماء الغرب الإسلامي أحمد بن نصر الداودي الأسدي أبو جعفر الطرابلسي التلمساني توفي 402 هجري ، قال القاضي عياض في ترجمته «أبو جعفر أحد أئمة المالكية بالمغرب كان بطرابلس وبها أُملى كتابه في شرح الموطأ ثم انتقل إلى تلمسان وكان فقيها فاضلا متقنا مؤلفا مجيدا له الحظ من الحديث واللسان والنظر ألف كتابه النامي في شرح الموطأ، والواعي في الفقه، والنصيحة في شرح البخاري، والإيضاح في الرد على القدريّة، وكان درسه وحده لم يتفقه في أكثر علمه على فقيه مشهور وإنما وصل بإدراكه، حمل عنه أبو عبد الملك البوني وأبو بكر بن محمد بن أبي زيد توفي بتلمسان سنة 402 هـ وقبره عند باب القصبة³⁹

وهكذا عرف الغرب الإسلامي أول تأليف في شرح صحيح البخاري مع نهاية القرن الرابع وبداية الخامس الهجري وكان لأبي جعفر فضل السبق في ذلك فكان كتابه النصيحة على صحيح البخاري ثاني شرح للجامع الصحيح بعد أعلام السنن للخطابي وهو أول شروح البخاري في المشرق .

ولم يشتهر هذا شرح الداودي للبخاري عند المتأخرين كما لم يشتهر صاحبه رغم أنه كان -كما وصفه ابن فرحون- من أئمة المالكية في المغرب⁴⁰ ووصفه القاضي عياض بالمؤلف المجيد كما ذكرنا ، وذكر مؤلفاته، ولم نعث على صدى لكتابه هذا في الرسالة المستطرفة ولا في كشف الظنون الذي استعرض عشرات المؤلفات في شرح البخاري بادئا بشرح المهلب ابن أبي صفرة من الغرب الإسلامي، ولعل السبب في ذلك يعود في نظرنا إلى أمور منها :

³⁹- ترتيب المدارك : القاضي عياض، ج 7، ص 103، وانظر الديباج : ابن فرحون، ج 1، ص 165، الديباج المذهب : ابن فرحون، ج 1، ص 165، وشجرة النور الزكية لابن مخلوف، ص 110 وما بعدها، ويوسف الكتاني مدرسة الإمام البخاري بالمغرب، ج 2، ص 579 منشورات دار لسان العرب بيروت ط 1 ، ومعجم أعلام الجزائر : من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر عادل نويهض، ص 46 منشورات مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر بيروت لبنان 1980م

⁴⁰- الديباج المذهب : ابن فرحون، ج 1، ص 165

1 - أن الرجل حسب ما توفر لدينا من مادة قليلة في ترجمته⁴¹ لم يرحل إلى الأندلس أو إلى المشرق وإنما بقي بين طرابلس الغرب ومسقط رأسه بالمسيلة بالجزائر وبتلمسان.

2 - أن الرجل لم يتفقه في أكثر علمه على فقيه مشهور وإنما وصل بإدراكه، قال القاضي عياض بلغني أنه كان ينكر على معاصريه من علماء القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد فأجابوه اسكت لا شيخ لك لأن درسه كان وحده⁴².

3 - أن أهل الأندلس وقتئذ لم يكن لهم كبير اهتمام بغير الموطأ ويؤيد هذا أن علماء طرابلس الذين رَووا عن الداودي وأدخلوا كتبه إلى الأندلس اشتهر لديهم شرحه للموطأ ولم يشتهر لديهم كتاب النصيحة .

4 - أن سكناه بتلمسان وهي وقتئذ ليست معبرا إلى المشرق قلل من فرص التقائه بالراجلين وهذا واضح في كلام حاتم الطرابلسي حين قال «وكان أبو جعفر الداودي حين دخلت إلى المشرق حيا بتلمسان فلم يمكني لقاءه لتغرب الطريق من الجهة التي خرجت إليها من البحر»⁴³

ويكفي الرجل فخرا أن مؤلفه هذا كان باكورة اهتمام علماء الغرب الإسلامي بصحيح البخاري لفرط اشتغالهم بموطأ مالك ويكفيه شهرة ما وري عنه من نقول عند ابن حجر في الفتح والذي كان يلقيه بالشارح وإن كان قد تتبع غرائب نظرنا لتفسيره الألفاظ الغربية بلوازمها دون معانيها الأصلية⁴⁴

قال الكتاني : والكتاب لا يعرف له أثر إلى اليوم⁴⁵ وفي انتظار الظفر بنسخه أو بقطعة منه يبقى على الباحثين أن يشتغلوا بنقول ابن حجر عنه وترتيبها وتصنيفها وتتبعها عسى أن يكشف ذلك عن بعض جوانب شخصية المؤلف.

2-1 شرح صحيح البخاري لعلي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال 449هـ

شرح صحيح البخاري لعلي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال يعرف بابن اللحام يكنى أبا الحسن من أهل قرطبة روى عن أبي المطرف القنازعي، وأبي الوليد يونس بن عبد الله القاضي وأبي محمد بن يونس وغيرهم كان من أهل العلم والمعرفة والفهم مليح الخط حسن الضبط عني بالحديث العناية التامة وأتقن ما قيد منه، شرح صحيح البخاري في عدة أسفار⁴⁶ رواه الناس عنه وحدث عنه جماعة من العلماء توفي سنة 449هـ⁴⁷

41- انظر المصادر السابقة.

42- ترتيب المدارك : القاضي عياض ، ج 7، ص 103.

43- الفهرست : ابن خير ، ص 87.

44- معلمة القرآن والحديث بالمغرب الأقصى : عبد العزيز بنعبد الله ، ص 161

45- مدرسة الإمام البخاري بالمغرب : يوسف الكتاني ، ج 2، ص 579.

46- معجم المحدثين والمفسرين بالمغرب الأقصى : عبد العزيز بنعبد الله، ص 42. مطبعة فضالة بالمملكة المغربية 1972

47- الصلة : ابن بشكوال، 2/414. وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : للذهبي، ج 18، ص 47، قال فيه : «شارح صحيح البخاري العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن بطلال البكري» ونقل كلام ابن بشكوال في تعديله باختصار.

ذكر الزركلي أن الجزء الأول والثالث والرابع من هذا الشرح يوجد في الأزهريّة والثاني في خزانة القروين بفاس والخامس (والأخير منه) في شستريتي تحت رقم 4785 ومنه قطعة مخطوطة في استنبول أولها باب زيادة الإيمان ونقصانه⁴⁸

ذكره ابن مخلوف في الشجرة وقال : الإمام العالم الحافظ المحدث الراوية الفقيه روى عن ابن أبي صفرة والقنازعي والقاضي يونس بن عبد الله وغيرهم وأخذ عنه جماعة، **ألف شرحه المعروف على البخاري** والاعتصام في الحديث توفي سنة 444 هـ أو سنة 449⁴⁹ قلت والثاني أصح لوروده عند ابن بشكوال بدون شك منه.

هكذا ذكرته المصادر دون أن تشير إليه بعنوان معين وتلك كانت عادة الشراح إذ يعرف الشرح باسم صاحبه ولذلك عرف الكتاب **بشرح ابن بطل لصحيح البخاري**.

وقد ذكره ابن بشكوال في الصلة وقال «رواه الناس عنه»⁵⁰ وقال القاضي عياض في ترتيب المدارك .. «وَأَلَّفَ شرحاً لكتاب البخاري كبير يتنافس فيه كثير الفائدة»⁵¹

وقد عرف الكتاب عند المتأخرين فقد ذكره عبد العزيز بن عبد الله في معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى⁵² وذكره الزركلي في الأعلام، وقال منه الجزء الأول والثالث والرابع في الأزهريّة والثاني في خزانة القرويين بفاس والخامس والأخير منه في شستريتي 4785 ومنه قطعة مخطوطة في استنبول أولها باب زيادة الإيمان ونقصانه، وذكر في الهامش أن منه نسخة بخزانة القرويين تحت رقم 40/127⁵³.

وكنيت أعتقد أن هذا الشرح سينال حظاً وافراً من البحث والتعريف به وبمحتواه في كتاب مدرسته الإمام البخاري بالمغرب ليوسف الكتاني إلا أنني لم أعثّر على ضالتي سوى أن المؤلف قال «شرح البخاري، علي بن خلف بن عبد الملك القرطبي المعروف بابن بطل المتوفى سنة 449 ويقع في عدة أسفار وغالبه في فقه مالك نقل عنه الكرمانى في شرحه ويوجد بخزانة القرويين كما ذكره بل في فهرسته تحت عدد 423 وبفهرس القرويين تحت عدد 134، كما توجد نسخة منه بخزانة الجامع الكبير بمكناس تحت رقم (له 33) وتوجد نسخة أخرى بخزانة بن يوسف بمراكش تحت عدد 485»⁵⁴ وهي معلومات عن أرقام النسخ وأماكن وجودها مفيدة على كل حال لمن أراد أن يشتغل بتحقيق المخطوط أو دراسة شخصية ابن بطل.

48- الأعلام : للزركلي، ج 4، ص 285.

49- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف ص 115 منشورات دار الكتاب العربي بيروت 1349 هـ

50- الصلة لابن بشكوال ج 2 ص 414

51- ترتيب المدارك للقاضي عياض ج 8 ص 160

52- معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى عبد العزيز بن عبد الله ص 42

53- الأعلام للزركلي ج 4 ص 285

54- مدرسة الإمام البخاري بالمغرب يوسف الكتاني ص 370

وقد وجدت أن الأستاذ المنوني قد تتبع النسخ الخطية الموجودة في الخزائن المغربية ووصفها بما تحصل معه الفائدة في نقله من هذا المقام إذ يقول حفظه الله «شرح جامع الصحيح لابن بطلال علي ابن خلف بن عبد الملك البكري القرطبي ثم البلنسي توفي 449 هـ يغلب عليه الاهتمام بالفقه المالكي وأهمل شرح بعض الكتب منه :

نسخة الجامع الكبير بمكناس رقم 330 السفر الأول نسخة الخزانة العامة حرف القاف رقم 239 السفر الأول ناقص البداية.

خزانة القرويين رقم 127 السفر الثاني

خزانة القرويين رقم 134 السفر السادس

نسخة خزانة الزاوية الخمرافية بالراشيدية رقم 211 السفر الرابع

نسخة خزانة بن يوسف بمراكش رقم 485 مجلد أوله كتاب السلم⁵⁵

ويبدو أن الأستاذ المنوني قد اعتنى فقط بالكشف عن القطع المخطوطة بالخزائن المغربية، وقد وقفت في فهرست المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية بالكويت أن الجزء الخامس من الكتاب موجود بخزانة شستريتي تحت رقم 4785 كتبت في القرن 6 هـ وقد أخذت عنها نسخة مصورة للمعهد وتوجد به تحت رقم 2298⁵⁶

كما توجد نسخة مصورة أخرى لنفس الجزء من مصورات بعثة تركيا تحت رقم 531 بخزانة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية⁵⁷.

وقد صدر الكتاب بحمد الله محققا مطبوعا بتحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم عن دار النشر مكتبة الرشد الرياض المملكة العربية السعودية في 10 أجزاء الطبعة الثانية سنة 2003

شرح البخاري محمد بن علي بن إبراهيم الأموي يعرف بابن قرديال سنة 480 هـ

وهو محمد بن علي بن إبراهيم الأموي يعرف بابن قرديال من أهل طليطلة يكنى أبا عبد الله سمع من جماعة من رجال بلده وكان يناظر عليه في الفقه، وله تأليف في شرح كتاب البخاري ت 479 هـ وقيل سنة ثمانين وأربعمئة 480 هـ ويعتبر هذا الشرح من أقدم شروح البخاري، وقد شهر صاحبه بالمناظرة عليه في الفقه، فلا إخال

55- مخطوطات مغربية في القرآن والحديث محمد المنوني مجلة دار الحديث الحسنية العدد 3 ص 87

56- فهرست المخطوطات والمصورات بمعهد المخطوطات العربية بالكويت طبعة القاهرة 1997

57- فهرست المخطوطات والمصورات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم الحديث الشريف المجلد 2 ص 500 ط 1985

الكتاب إلا عني بفقه الأحكام وسط جو المناظرة الذي ساد منتصف القرن الخامس الهجري بين الباجي وابن حزم وأشياعهما، ولكنني لم أجد لهذا المؤلف أثرا في جميع المصادر التي وقفت عليها في هذا البحث سواء المتقدمة منها أو المتأخرة، مستثنيا من ذلك الإشارة الواردة في كتاب الصلة لابن بشكوال السالف ذكرها⁵⁸.

1-4 شرح البخاري لعيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي 486 هـ

وهو عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي سكن قرطبة وأصله من جيان من وادي عبد الله من عملها يكنى أبا الأصبغ، روى عن أبي محمد مكي بن أبي طالب، وأبي عبد الله محمد بن عتاب الفقيه وتفقه منه وانتفع بصحبته وعن أبي القطان، وأبي مروان بن مالك وأبي القاسم حاتم بن محمد وابن شماخ وأبي زكرياء القليعي وأبي بكر بن الغراب وغيرهم، وكان من جلة الفقهاء وكبار العلماء حافظا للرأي ذاكرة للمسائل عارفا بالنوازل بصيرا بالأحكام مقدما في معرفتها وجمع فيها كتابا حسنا مفيدا يعول الحكام عليه وكتب للقاضي أبي زيد الحشا بطليطلة، ثم للقاضي أبي بكر بن منظور بقرطبة، وتولى الشورى بها مدة ثم ولى القضاء بالعدوة ثم استقضى بغرناطة وتوفي مصروفا عن ذلك يوم الجمعة ودفن يوم السبت الخامس من محرم سنة ومولده سنة 413 هـ⁵⁹.

وقد عرف عن أبي الأصبغ عيسى بن سهل اهتمامه بالفتوى والمسائل حيث كان كما قال ابن بشكوال «من جلة الفقهاء وكبار العلماء حافظا للرأي والمسائل عارفا بالنوازل بصيرا بالأحكام حيث جمع فيها كتابا حسنا مفيدا يعول عليه الحكام سماه بنوازل الأحكام⁶⁰، وقد ذكرت المصادر المتأخرة لأبي الأصبغ شرحا للبخاري فقد قال إسماعيل باشا البغدادي في معرض حديثه عن شروح البخاري «ومنها شرح أبي الأصبغ عيسى بن سهل ابن عبد الله الأسدي⁶¹ وعنه نقل يوسف الكتاني في مدرسة الإمام البخاري في المغرب حيث قال «شرح البخاري لأبي الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي المتوفى سنة 486 هـ⁶². وعن كشف الظنون نقل محمد عبد الله التليدي في تراث المغاربة في الحديث وعلومه⁶³.. وتوجد في الأعلام للزركلي إشارة خفيفة في الهامش وليس في متن الترجمة إلى نسبة شرح لصحيح البخاري لأبي الأصبغ⁶⁴.

58- الصلة : ابن بشكوال، ج 2 ص 555 .

59- الصلة : ابن بشكوال، ج 2، ص 438 . الدياج : ابن فرجون، ج 2، ص 70 .

60- الصلة : ابن بشكوال، ج 2، ص 438 ..

61- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لإسماعيل باشا البغدادي، ج 1، ص 546، منشورات دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان

62- مدرسة الإمام البخاري بالمغرب يوسف الكتاني ص 571

63- تراث المغاربة في الحديث وعلومه محمد عبد الله التليدي ص 173 منشورات دار البشائر الإسلامية ط 1 - 1995

64- الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، لخير الدين الزركلي ج 5 ص 103 منشورات دار العلم للملايين ط - 1986

5-1 شرح البخاري لابن ورد التميمي ت 540 هجرية

وهو أحمد بن محمد بن عمر بن ورد التميمي أبو القاسم فقيه حافظ مشهور محدث ألف في شرح البخاري كتابا كبيرا ظهر فيه علمه ، وكان أوحده زمانه فقها وعلماء ومعرفة وفهما وذكاء، مولده في جمادى الآخرة سنة 465 هـ وتوفي عام 540 هـ يروي عن أبي علي الغساني وأبي علي بن سكرة وغيرهما.⁶⁵

قال ابن الخطيب في الإحاطة «قال الملاحى : كان من جلة الفقهاء المحدثين يقال إن علم المالكية انتهت إليه الرئاسة فيه وإلى القاضي أبي بكر بن العربي في وقتها ولم يتقدمهما في الأندلس أحد بعد وفاة أبي الوليد ابن رشد، كان له مجلس يتكلم فيه على الصحيحين ويخص الأخمسة بالتفسير ، ولي قضاء غرناطة سنة 20 (يعني وخمس مائة) فعدل وأحسن السيرة وبه تفقه طلبتها إذ ذاك ،

روى عنه جماعة كأبي جعفر بن الباذش وأبي عبيد الله وابن رفاعة وابن عبد الرحيم وابن حكيم وغيرهم وآخر من روى عنه أبو القاسم بن عمران الخزرجي بفاس توفي بالمرية في الثاني من رمضان سنة 540 هـ.⁶⁶

ذكره ابن مخلوف في الشجرة وأضاف إلى ما ذكر من مؤلفاته الأجوبة الحسان⁶⁷

. وقد نقل ابن الخطيب في الإحاطة عن الملاحى قوله في ابن ورد «كان من جلة الفقهاء المحدثين، يقال إن علم المالكية انتهت إليه الرئاسة فيه وإلى القاضي أبي بكر بن العربي».⁶⁸

وقد أثمرت هذه المجالس العلمية التي كان يعقدها ابن ورد مؤلفا في شرح البخاري وصفته المصادر بأنه كبير ظهر فيه علمه، وقد ذكر هذا الكلام الضبي في البغية⁶⁹ وعنه نقلت المصادر المتأخرة كابن مخلوف في الشجرة⁷⁰ وحاجي خليفة في كشف الظنون⁷¹ الذي ذكر أن الشرح واسع جدا، وقد خصه يوسف الكتاني ببضعة أسطر في مدرسة الإمام البخاري بالمغرب دون أن يشير إلى وجوده مخطوطا أو مطبوعا.⁷²

65- بغية الملتبس : الضبي، ج 1، ص 210 ترجمة رقم 363.

66- الإحاطة في أخبار غرناطة : ابن الخطيب، ج 1، ص 170 وما بعدها.

67- شجرة النور : ابن مخلوف، ص 134.

68- الإحاطة : ابن الخطيب، ج 1، ص 170 أو ما بعدها

69- البغية : الضبي، ج 1، ص 210

70- الشجرة : ابن مخلوف، ص 134

71- كشف الظنون : حاجي خليفة، ج 1، ص 546.

72- مدرسة الإمام البخاري بالمغرب : يوسف الكتاني، ص 571

1-6: النيرين في شرح الصحيحين لأبي بكر بن العربي المعافري ت 543 هجرية

العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي ولد سنة 468 هـ ورحل مع أبيه إلى المشرق وسمع أبا عبد الله بن طلحة النعالي وطراد بن محمد الزينبي .. وطائفة بالأندلس وذكر ابن بشكوال رحلته إلى مصر وبيت المقدس ومكة ودمشق قال وتخرج بالإمام أبي حامد الغزالي والعلامة أبي زكرياء التبريزي .. وجمع وصنف وبرع في الأدب والبلاغة وبعد صيته .. ثم ذكر جملة ممن روى عنه، ثم قال وأدخل الأندلس علما شريفا وإسنادا منيفا وكان متبحرا في العلم ثاقب الذهن عذب العبارة موطأ الأكناف كريم الشمائل كثير الأموال ولي قضاء إشبيلية فحمد وأجاد السياسة وكان ذا شدة وسطوة ثم عزل فأقبل على التصنيف ونشر العلم أثنى عليه ابن بشكوال كثيرا وقال «أخبرني أنه رحل إلى المشرق سنة 485 هـ وسمعت منه بإشبيلية وقرطبة كثيرا، إلى أن قال توفي ابن العربي بالعدوة بفاس سنة 543 هـ وسألته عن مولده فقال لي سنة 468 هـ»⁷³

وينسب إلى ابن العربي «شرح للصحيحين» وقد ذكره ابن فرحون في الديباج المذهب باسم «النيرين في شرح الصحيحين»⁷⁴

ومن فرط اهتمام ابن العربي بفقهِ الحديث وخاصة ما أشكل منه، فقد دفعته مجالس المناظرة إلى تخصيص أجزاء لشرح أحاديث بعينها كشرح حديث الإفك، وشرح حديث أم زرع، وشرح حديث جابر في الشفاعة، وتخصيص مواضع في التأليف لا تشك أنها تتضمن فقهِ الحديث كأحكام الآخرة والكشف عن أسرارها الباهرة⁷⁵

73- الصلة : ابن بشكوال، ج 2، ص 590.

74- الديباج المذهب : ابن فرحون، ج 2 ص 252

75- وقفت خلال رحلتي الإسبانية على نسخة مخطوطة منه بالمكتبة الوطنية بمديرية رقم 5177

2. اختصار صحيح البخاري مع شرحه

وقد اشتغل علماء الغرب الإسلامي باختصار صحيح البخاري لأغراض تعليمية مع تناوله بالشرح ومن أشهر ما عرف في هذا الفن :

1-2 النصيح في اختصار الصحيح مع شرحه ،

والكتاب هو للمهلب بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة أبو القاسم التميمي فقيه محدث سمع أبا محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي وأبا القاسم يحيى بن علي بن محمد الحضرمي المصري وعبد الوهاب بن الحسن بن منير وغيرهم. له كلام في شرح الموطأ، وفي كتاب الجامع لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري مات بعد العشرين والأربعمئة⁷⁶

قال ابن بشكوال «سمع بقرطبة من أبي محمد الأصيلي ورحل إلى المشرق وروى عن أبي ذر الهروي وأبي الحسن علي بن فهر وأبي الحسن علي بن محمد بن بندار القزويني وأبي الحسن القابسي وغيرهم، حدث عنه أبو عمر بن الحذاء وقال كان أذهن من لقيته وأفصحهم وحدث عنه أيضاً أبو عبد الله بن عابد وحاتم بن محمد وغيرهما كثير، وكان من أهل العلم والمعرفة والذكاء والفهم من أهل التفنن في العلوم والعناية الكاملة بها وله كتاب في شرح البخاري أخذه الناس عنه واستقضي بالمرية، وقال ابن مدير توفي المهلب سنة 436 هـ وذكر أنه استقضي بمالقة⁷⁷

ذكره ابن فرحون فقال «سكن المرية، من أهل العلم الراسخين المتقنين في الفقه والحديث والعبادة والنظر ونقل عن أبي الأصبغ بن سهل قوله «كان أبو القاسم من كبار أصحاب الأصيلي وبه حيي كتاب البخاري بالأندلس لأنه قرأه تفقها أيام قراءته وشرحه واختصره اختصاراً مشهوراً سماه النصيح في اختصار الصحيح علق عنه تعليقا حسنا على البخاري، وسمع منه ابن المرابط وأبو عمر ابن الحذاء وأبو العباس الدلائي وحاتم بن محمد توفي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمئة هـ⁷⁸.

وقد ترجم له الحميدي في الجذوة وقال «له كلام في شرح الموطأ، وفي كتاب الجامع لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري»⁷⁹ وقال نقلاً عن أبي الأصبغ ابن سهل القاضي، «كان أبو القاسم وأبو محمد من كبار أصحاب الأصيلي وبأبي القاسم حيي كتاب البخاري في الأنندلس لأنه قرئ عليه تفقها أيام حياته وشرحه واختصره،

76- الحميدي : جذوة المقتبس، ج 2، ص 563.

77- الصلة : ابن بشكوال، ج 2، ص 62.

78- الديباج : ابن فرحون، ج 2، ص 346.

79- الحميدي : جذوة المقتبس، ج 2، ص 563.

وله في البخاري اختصار مشهور سماه كتاب «التصحيح في اختصار الصحيح» وعليه شرحه وهو حسن مفيد»⁸⁰، وذكره ابن بشكوال وقال «له كتاب في شرح البخاري أخذ الناس عنه»⁸¹

وقد ذكر ابن فرحون في الديباج هذا المختصر وسماه «النصح» في اختصار الصحيح⁸² ومنه نسخة مخطوطة في الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 2596 في مجلد ضخم يشتمل على 318 ورقة قال فيها الدكتور المنوني «كتاب النصيح في اختصار الصحيح لابن أبي صفرة المهلب بن أحمد بن أسيد التميمي الأسدي توفي في 435 هجرية سار فيه على إسقاط المكرر

وتوجد من الكتاب نسخة مخطوطة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 2596 في مجلد ضخم يشتمل على 318 ورقة قال ذ. المنوني فيه : كتاب النصيح في اختصار الصحيح لابن أبي صفرة المهلب بن أحمد بن أسيد التميمي الأسدي توفي 435 هـ، سار فيه على إسقاط مكرر الجامع الصحيح للبخاري إلا ما دعت الحاجة إليه، وذكر آخر كل حديث الأبواب التي كرره بها البخاري، كما خرج الأحاديث المقطوعة، واعتمد فيه رواية شيخه الأصيلي والقابسي⁸³

ويبدو أن مدارس المهلب لهذا المختصر مع الطلبة في مجالس علمه، أنتجت شرحا الصحيح البخاري، نقلته المصادر عن المهلب، فقد ذكره حاجي خليفة حيث قال بعد ترجمة قصيرة له «صنف شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري⁸⁴ وذكره إسماعيل باشا البغدادي في معرض حديثه عن شروح البخاري، حيث قال «وشرح المهلب بن أبي صفرة الأزدي المتوفي سنة 435 هـ»⁸⁵

انطلاقا مما ذكرنا فإننا أمام استنتاجين :

- 1 - أن كتاب النصيح في اختصار الصحيح هو اختصار المهلب لصحيح البخاري، وهي مرحلة أولى قام بها قبل الشرح فلا ينبغي الخلط في التسمية بين الاختصار والشرح إذ كل منهما كتاب مستقل.
- 2 - أن الشرح كان عبارة عن حصيلة مدارسته لهذا المختصر مع تلاميذه حيث ذكر القاضي عياض - كما سبق - أن صحيح البخاري حيي بالأندلس بأبي القاسم لأنه قرئ عليه تفقها أيام حياته وشرحه» لذلك لم يعرف باسم محدد، سوى أن للمهلب شرحا على صحيح البخاري، وقد ألف ابن عبد البر كتاب الأجوبة الموعبة على المسائل المستغربة من البخاري والتي سئل عنها المهلب⁸⁶

80- نفسه

81- الصلة : ابن بشكوال، ج 2، ص 62

82- الديباج : ابن فرحون، ج 2، ص 346.

83- مخطوطات مغربية في علوم القرآن الحديث : المنوني، مجلة دار الحديث الحسنية، العدد 3، ص 95.

84- كشف الظنون : حاجي خليفة، ج 1 ص 545

85- هدية العارفين إسماعيل باشا البغدادي ج 2، ص 485

86- نفسه ج 2، ص 485

وقد كان هذا الكتاب الجليل القدر المتقدم العصر ببلاد الغرب الإسلامي في عداد ما ضاع من تراث الأندلس الزاخر إلى وقت قريب، ولم تذكر الدراسات المهمة بصحيح البخاري ولا كتب المخطوطات والتراث مكان وجوده إلى أن وقفت على قطعة من الكتاب مخطوطة مصورة من النسخة المحفوظة بخزانة ابن يوسف بمراكش في 124 صفحة. في خزانة الفقيه أبو خبزة التطواني ببيته العامر بتطوان. وقد ألقى الضوء على هذه القطعة الأستاذ محمد رستم من كلية الآداب بني ملال في دراسة جيدة⁸⁷

فقال حفظه الله وبارك في جهوده محققا مدققا « وتشمل هذه القطعة الكتب الآتية :

كتاب الجهاد
كتاب الجزية والموادعة
كتاب العقيدة
كتاب الصيد والذبائح

وقد رتب المهلب بن أبي صفرة كتابه وفق ترتيب الإمام البخاري للجامع الصحيح على الكتب والأبواب وكان من خطته في ذلك أن يقول كتاب كذا ثم يقول فيه فلان ويذكر الحديث ثم يشرع في الشرح قائلا قال المؤلف، وإذا أخرج البخاري في الباب الواحد عدة أحاديث ساقها مساقا واحدا فتارة يذكر الحديث كله وتارة يذكره مختصرا وتارة يذكر طرفا منه ثم يحيل على بقيته، ومما يلفت النظر في شرح المهلب كثرة الاستنباطات الفقهية والفوائد المتعلقة بالأحكام حتى لو قال قائل إن الشرح كله فقه وأحكام لما أبعد النجعة.

ومنهج المهلب في كتابه يرتكز على ما يلي :

- 1 - الشرح اللغوي ويعتمد في ذلك نقولا كثيرة عن أهل اللغة واللسان وديوان العرب.
- 2 - الصناعة الحديثية وذلك ببيان وهم الرواة وتصويب ما قد يقع فيه البخاري من خلل إدراج الحديث في غير باب، وبيان وجوه ذكر المتابعات والشواهد مما ليس من كلام النبي (وهذا كثير في شرح المهلب.
- 3 - استخراج الفقه والعناية بالاستنباط وذلك باستخراج الحكم الشرعي من الدليل وذكر أقوال الفقهاء في المسألة الواحدة وترجيح ما يراه صوابا بعد المقارنة ويفصل في حكاية أقوال مالك وأصحابه⁸⁸

87- مجلة دعوة الحق محمد رستم عدد 317 شوال 1416 هجرية 1996 ميلادية ص 133 وما بعدها

88- مجلة دعوة الحق محمد رستم عدد 317 شوال 1416 هجرية 1996 ميلادية ص 133 وما بعدها بتصرف

2-2 مختصر شرح صحيح البخاري للمهلب بن أبي صفرة، لابن المرباط المري ت 485

محمد بن خلف بن سعيد بن وهب يعرف بابن المرباط من أهل ألمرية ويكنى أبا عبد الله، روى عن أبي محمد أحمد بن محمد الطلمنكي، والمهلب بن أبي صفرة، وأبي الوليد بن ميقل وأبي عمر المقرئ وخلف الجعفري، ومحمد بن عباس القيرواني، وله تأليف في شرح البخاري⁸⁹ سمع منه وكان من أهل العلم والرواية والفهم والتفنن في العلوم، أخبرنا عنه غير واحد من شيوخنا، وقرأت بخط أبي الوليد سليمان بن عبد الملك صاحبنا، قال قرأت على قبر القاضي أبي عبد الله ابن المرباط مكتوباً في رخامة عند رأسه على قارعة الطريق عند باب بجانة، هذا قبر القاضي أبي عبد الله ابن المرباط توفي رحمه الله ونضر الله وجهه يوم الأحد لأربع خلون من شوال سنة 485 هـ⁹⁰ ولم يعرف عن ابن المرباط عنايته بكتاب آخر عنايته بصحيح البخاري، وكان سبب ذلك مصاحبته للمهلب بن أبي صفرة المحدث المتبحر الذي ذاع صيت شرحه لصحيح البخاري، وقد تحدثنا عنه بما تيسر لنا من المعلومات في حينه. قال القاضي عياض، «كان من أهل الفقه والفضل والتفنن سمع أبا القاسم المهلب وأجازه أبو عمر الطلمنكي وألف في شرح البخاري كتاباً كبيراً حسناً»⁹¹. قال ابن بشكوال بعد أن ذكر الكتاب «سمع منه وكان من أهل العلم والرواية والفهم والتفنن في العلوم»⁹²

وقد ترجم له ابن فرحون في الديباج ضمن أعيان المذهب فقال «له في شرح البخاري كتاب كبير حسن»⁹³.

وذكرته المصادر الحديثة كصاحب كشف الظنون⁹⁴ والزركلي في الأعلام⁹⁵. وعبد العزيز بن عبد الله في المعلمة⁹⁶.

89- قال فيه القاضي عياض «كتاب كبير حسن» ترتيب المدارك للقاضي عياض ج 8 ص 148

90- الصلة : ابن بشكوال، ج 2، ص 557 . معلمة القرآن والحديث : بن عبد الله، ص 199. وانظر الشجرة : لابن مخلوف، ص 122. وسير أعلام النبلاء : للذهبي، ج 19، ص 66.

91- ترتيب المدارك للقاضي عياض ج 8 ص 184

92- الصلة لابن بشكوال ج 2 ص 557

93- الديباج المذهب لابن فرحون ج 2 ص 240

94- كشف الظنون : البغدادي، ج 1 ص 545

95- الأعلام : الزركلي، ج 6 ص 115

96- معلمة القرآن والحديث بالمغرب الأقصى لعبد العزيز بن عبد الله ص 148

2-3 بهجة النفوس وتحليتها بمعرفة مالها وما عليها

شرح مختصر صحيح البخاري المسمى :

جمع النهاية في بدء الخير وغاية

عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي أبو محمد من علماء الحديث مالكي أصله من الأندلس ووفاته بمصر من كتبه جمع النهاية في بدء الخير والغاية اختصر فيه صحيح البخاري ويعرف بمختصر ابن أبي جمرة، وشرحه في كتاب سماه بهجة النفوس وتحليتها بمعرفة مالها وما عليها، وفاته عام 695 بمصر⁹⁷. ذكره ابن مخلوف وقال في ترجمته «أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة المحدث الراوية القدوة المقرئ العمدة الولي الصالح الزاهد العارف بالله له كرامات جمعت في كراريس أخذ عن جماعة منهم أبو الحسن الزيات أخذ عنه صاحب المدخل ابن الحاج ألف مختصر البخاري وشرحه بهجة النفوس مشهور توفي سنة 699 هـ⁹⁸. أورده صاحب كشف الظنون وذكر له من المؤلفات إلى جانب ما ذكر - شرح حديث عبادة بن الصامت وهو قوله عليه السلام بايعوني على أن تشركوا بالله شيئاً وشرح حديث الإسراء⁹⁹

وقد جمع ابن أبي جمرة عبد الله بن سعد بين الزهد والتصوف والعلم بالفقه والحديث لذلك جاءت مؤلفاته مطبوعة بدقائق العلم ونفحات التصوف، وكان رحمه الله يحب أن يشتغل الناس بحفظ حديث رسول الله لذلك قطع على نفسه العهد أن ييسر ذلك لهم مما صح من مصادر السنة النبوية. فألف كتابه في اختصار صحيح البخاري الذي سماه جمع النهاية في بدء الخير وغاية ذكر في مقدمته دواعي تأليفه فقال: «وبعد فلما كان الحديث وحفظه من أقرب الوسائل إلى الله عز وجل بمقتضى الآثار، ورأيت الهمم قد قصرت عن حفظها مع كثرة كتبها من أجل أسانيدها، فرأيت أن أخذ من أصحابها كتاباً اختصر منه أحاديث بحسب الحاجة إليها وأختصر أسانيدها ماعدا راوي الحديث فلا بد منه، فيسهل حفظها وتكثر الفائدة فيها إن شاء الله تعالى فوقع لي أن يكون كتاب البخاري لكونه من أصحها، ولكونه رحمه الله تعالى كان من الصالحين، وكان مجاب الدعوة، ودعا لقارئه، وقد قال لي من لقيته من القضاة الذين كانت لهم المعرفة والرحلة، এমন لقي من السادة المقر لهم بالفضل أن كتاب البخاري ما قرئ في وقت شدة إلا فرجت، ولا ركب به مركب فغرقت قط فرغبت مع بركة الحديث في تلك البركات لما في القلوب من الصدا، فاعله بفضل الله أن يكشف عما بها وأن يعرج عنها شذائد الأهواء التي تراكمت عليها، ولعل مجمل تلك الأحاديث الجليلة تعفي من الغرق في بحور البدع والآثام.

97- الإعلام : للزركلي، ج 4، ص 89 وانظر بنعبد الله في المعلمة، ص 120

98- شجرة النور : ابن مخلوف، ص 199

99- كشف الظنون : ج 2، ص 1040.

فلما كملت بحسب ما وفق الله إليه، فإذا هي ثلاثمائة حديث غير بضع، فكان أولها كيف كان بدء الوحي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآخرها دخول أهل الجنة وإنعام الله عليهم بدوام رضاهم فيها فسميته بمقتضى وضعه (جمع النهاية في بدئ الخير وغاية) ولم أفرق بينها بتبويب رجاء أن يتمم الله لي ولكل من قرأه أو سمعه بدء الخير بغايته¹⁰⁰

وهكذا يظهر من هذه المقدمة ومن تصفح الكتاب أن ابن أبي جمرة انتقى أحاديث بعينها من مختلف أبواب صحيح البخاري واختصر أسانيدها لتسهيل حفظها وتداولها. ويوجد هذا المختصر مطبوعاً طباعة أنيقة جيدة وهي طبعته الأولى الصادرة من دار ابن حزم ببغداد سنة 1993 بتحقيق الشيخ مروان محمد الشعار.

قال محقق الكتاب: «ولم يلتزم الإمام ابن أبي جمرة عند اختياره الأحاديث بترتيب الإمام البخاري فقدم وآخر خصوصاً في كتاب الصيد والشهادات وبدء الخلق، كما لم يكتف بحذف الأسانيد وإنما حذف أيضاً بعض مقاطع الحديث وتجاوز ذكر أسباب ورود الأحاديث¹⁰¹

وقد كان المختصر قاعدة لبناء المؤلف الثاني لابن أبي جمرة وهو كتاب «بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها»، والذي اشتهر ذكره في مختلف المصادر المترجمة للمؤلف نستفيد هذا من كلام ابن أبي جمرة إذ يقول: «أما بعد فلما كان من متضمن ما أودعنا برنامج الكتاب الذي سميناه: جمع النهاية في بدء الخير وغاية إشارة إلى تكثير فوائد أحاديثه، وتعميم محاسنه ونكت غريبه عملت على تبينها لأتبع خيراً بخير فيكون ذلك أصله وهذا ثمره وفننه».

وفي تبويب الكتاب وترتيبه يقول ابن أبي جمرة: «ولما كان الإمام صاحب الأصل وهو البخاري رحمه الله قد جعل لكل وجه مما يدل عليه الحديث الواحد باباً. ولربما كرر الحديث الواحد في أبواب شتى مراراً، ولربما قطع الحديث الواحد وأتى في كل باب منه بقدر الحاجة إليه، فرأيت أن أجعل كل حديث من تلك الأحاديث التي جمعت بنفسه مقام باب وأي باب، ومفاتيحه ظاهر الحديث والأبواب التي تتفرع منه، ووجوه تتبعه، ثم تتبعت ألفاظ الحديث لأقتبس من بركات تلك الألفاظ العذبة الزلال ما يكون منها رياً لظماً جهالات الفؤاد لأنه عليه الصلاة والسلام لا يكون منه زيادة حرف أو نقص حرف من الحروف إلا لمعنى مفيد لأنه لا ينطق عن الهوى»¹⁰².

100- مقدمة مختصر صحيح البخاري لابن أبي جمرة المسمى (جمع النهاية في بدئ الخير والغاية) تحقيق الشيخ مروان محمد الشعار وهي طبعته الأولى الصادرة من دار ابن حزم ببغداد سنة 1993.

101- مقدمة محقق الكتاب

102- مقدمة بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري المسمى (جمع النهاية في بدئ الخير والغاية) لابن أبي جمرة. مطبعة الصدق الخيرية بالقاهرة سنة 1353 هـ وطبعة دار الجيل بيروت سنة 1390 هـ وطبعة دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ

ويقول المؤلف رحمه الله في بيان منهجه في الكتاب «هذا الكتاب يحتوي على جمل من درر فرائض الشريعة وسننها ورغائبها، وآدابها وأحكامها، والإشارة إلى الحقيقة بحقيقتها، والإشارة إلى كيفية الجمع بين الحقيقة والشريعة وتبيين الطرق الناجية التي أشار إليها عليه السلام، والإشارة إلى بيان أضرارها والتحذير منها، وربما استدلت على بعض الوجوه التي ظهرت من الحديث بآي وأحاديث تناسبها وتقويها، فمنها باللفظ ومنها بالمعنى، واتبعت ذلك بحكايات ليشحد بها الفهم وليتبين بالمعنى، وربما أشرت في بعض المواضع إلى شيء من توبيخ النفس على غفلتها لعلها تنتهي عن غيها، وأودعت فيها شيئاً من بيان طريقة الصحابة وآدابهم، وما يستنبط من حسن عباراتهم وتحرزهم في نقلهم وحسن مخالطتهم، وما يستنبط من ذلك من آداب الشريعة إذا تعرض لفظ الحديث لشيء من ذلك، لأنه لا ينبغي أن يغفل عن شيء من ذلك لأنهم مع الصفوة المقربين والخيرة المرفوعين»¹⁰³.

وقد صدر وطبع هذا الكتاب طبعات عديدة أشهرها طبعة مطبعة الصدق الخيرية بالقاهرة سنة 1353 هـ وطبعة دار الجيل بيروت سنة 1390 هـ وطبعة دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ

3. الاشتغال بغريب صحيح البخاري

3-1 تفسير غريب البخاري

لأبي الوليد هشام بن عبد الرحمن بن عبد الله يعرف بابن الصابوني من أهل قرطبة رحل إلى المشرق فأدى الفريضة وروى هناك عن أبي الحسن القابسي وأبي الفضل الهروي وأحمد بن نصر الداودي وغيرهم وكان جيد المعرفة حسن الشروع في الفقه والحديث دؤوباً على النسخ جماعة للكتب جيد الخط وله كتاب في تفسير البخاري على حروف المعجم كثير الفائدة توفي سنة 423 هـ¹⁰⁴.

وكان الرجل جيد المعرفة حسن الشروع في الفقه والحديث، وقد وردت تراجمه مختصرة جداً عند من ترجم له من المتأخرين وكلها اعتمدت ترجمة ابن بشكوال في الصلة، ولذلك وجدنا إشارة بسيطة لمؤلفه (شرح البخاري) ملخصة في قول ابن بشكوال له كتاب في تفسير البخاري على حروف المعجم كثير الفائدة¹⁰⁵ « ونفس

103- نفسه

104- الصلة : ابن بشكوال، ج 2، ص 650.

105- الصلة : ابن بشكوال، ج 2، ص 650.

العبارة نقلها صاحب هدية العارفين¹⁰⁶ والزركلي في الأعلام¹⁰⁷ ولئن كان صاحب الصلة قد ذكر أن الكتاب في تفسير البخاري فإن ابن خير قد خصص هذه العبارة بشرح غريب البخاري¹⁰⁸ ولعل عبارة «على حروف المعجم» الواردة في وصف ابن بشكوال تزكي هذا المذهب.

قال ابن خير «شرح غريب كتاب البخاري لأبي الوليد بن الصابوني حدثني به شيخنا أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث رحمه الله قال نابه الصيرفي رحمه الله عن مؤلفه»¹⁰⁹

2-3 المعلمة في تفسير غريب ما في الصحيحين لأبي عبد الله محمد بن فتوح الحميدي ت 488 هجرية

وهو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي من أهل جزيرة ميورقة وأصله من قرطبة من ربض الرصافة منها يكنى أبا عبد الله.

روى عن أبي محمد علي بن محمد بن حزم الظاهري واختص به وأكثر عنه وشهر بصحبته وعن أبي العباس العذري وأبي عمر بن عبد البر وغيرهم ورجل إلى المشرق سنة 448 فحج ولقي بمكة كريمة المروزية وغيرها وسمع بمصر وإفريقية كثيرا وسمع بالشام والعراق واستوطن بغداد، من شيوخه أبو بكر الخطيب وأبي نصر بن ماكولا والقاضي أبي بكر بن إسحاق وأبي عبد الله القضاعي وأبي إسحاق الحبال وابن بقا الوراق وجماعة يكثر تعدادهم.

قال أبو علي «سمعت أبا بكر ابن الحاضية يقول ما سمعت الحميدي ذكر الدنيا قط وذكره ابن ماكولا فقال : «أخبرنا صديقنا أبو عبد الله الحميدي وهو من أهل العلم والفضل والتيقظ». وقال «لم أر مثله في عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم ، ولأبي عبد الله كتاب حسن جمع فيه بين صحيح البخاري ومسلم أخذه الناس عنه وله كتاب في علماء الأندلس نقلنا منه في كتابنا هذا ما نسبناه إليه.

وأخبرنا القاضي الإمام بلفظه قال سمعت أبا بكر ابن طرخان ببغداد يقول سمعت أبا عبد الله الحميدي يقول : ثلاثة أشياء من علوم الحديث يجب تقديم الاهتمام بها كتاب العلل وأحسن كتاب وضع فيه كتاب الدارقطني وكتاب المؤتلف والمختلف وأحسن كتاب وضع فيه كتاب الأمير بن ماكولا وكتاب وفيات الشيوخ وليس فيه كتاب وقد كنت أردت أن أجمع في ذلك كتابا فقال لي الأمير رتبته على حروف المعجم بعد أن ترتبه على السنين قال ابن طرخان فشغله عنه الصحيحان وتوفي رحمه الله ببغداد سنة 488 هـ¹¹⁰

106- هدية العارفين : إسماعيل باشا البغدادي ، ص 509

107- الأعلام : الزركلي ، ج 8، ص 86.

108- الفهرست : ابن خير ، ص 198.

109- نفسه

110- الصلة : ابن بشكوال، ج 2، ص 560

قال يحيى بن إبراهيم السجلماسي : قال أبي : لم تر عيني مثل الحميدي في فضله ونبله .. وكان ورعا ثقة إماما في الحديث وعلمه ورواته متحققا في علم التحقيق والأصول على مذهب أصحاب الحديث بموافقة الكتاب أو السنة، وذكر من كتبه كتاب حفظ الجار، وذم النميمة، والذهب المسبوك في وعظ الملوك، قال السلفي : سألت أبا عمر العبدري عن الحميدي فقال لا يرى قط مثله وعن مثله لا يسأل جمع بين الفقه والحديث. قال القاضي عياض : سمع من ابن حزم قديما وكان يتعصب له ويميل إلى قوله وكان قد أصابته فيه فتنة، ولما شدد على ابن حزم خرج الحميدي إلى المشرق. قال الذهبي : كان الحميدي صاحب حديث كما ينبغي علما وعملا وكان ظاهريا¹¹¹ ذكر له صاحب المعلمة تفسير غريب ما في الصحيحين¹¹² وهو مطبوع.

كان الإمام الحميدي ورعا، ثقة، إماما في الحديث وعلمه وروايته متحققا في علم التحقيق والأصول على مذهب أصحاب الحديث بموافقة الكتاب والسنة. وقد خلف آثارا حسنا في هذا المجال أشهرها الجمع بين الصحيحين، والذي صدر عن دار عالم الكتب بالرياض بتحقيق علي حسين البواب سنة 1995 . بالإضافة إلى كتاب التذكرة الذي طبع مرتين بتحقيق أبي عبد الرحمان بن عقيل الظاهري الأولى من دار العلوم بالرياض مستقلة والثانية ضمن كتاب الذخيرة من المصنفات الصغيرة من مطابع الفرزدق بالرياض سنة 1403 هـ .

وعناية الرجل بالصحيحين واشتغاله بهما كما اشتهر في تراجمه واستفاض جعله يؤلف في غريبهما مؤلفا في هذا الباب ذكرت المصادر المتأخرة أنه يوجد مخطوطا دون ذكر مكانه ولا أية معلومات عنه، وهكذا ذكر إبراهيم الأبياري في مقدمة تحقيقه لجذوة المقتبس أن من مؤلفات الحميدي تفسير غريب ما في الصحيحين¹¹³. ومثله فعل الزركلي في الأعلام¹¹⁴

3-3 شرح غريب البخاري لابن خيثمة الجبائي ت 540

محمد بن أحمد بن محمد ابن أبي خيثمة الجبائي سكن غرناطة يكنى أبا الحسن كان مبرزاً في علوم اللسان نحواً ولغة وأدباً متقدماً في الكتابة والفصاحة جامعاً فنونا الفضائل على غفلة كانت فيه.

¹¹¹- تذكرة الحفاظ : الذهبي، ج 4، ص 1218. وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي، الذي قال فيه : «قلت كان الحميدي يقصد كثيراً في رواية كتاب الشهاب عن مؤلفه فقال صيرني الشهاب شهاباً» ج 19، ص 120. وقال في ص 125 «قال

محمد بن طرخان : اشتغل الحميدي بالصحيحين إلى أن مات».

¹¹²- معلمة القرآن والحديث بالمغرب الأقصى : بن عبد الله، ص 192.

¹¹³- مقدمة تحقيق جذوة المقتبس للحميدي : إبراهيم الأبياري، ص 14 .

¹¹⁴- الأعلام : الزركلي، ج 6، ص 327

روى عن أبي الحسن بن سهل وأبي بكر بن سابق وأبي الحسن ابن الباذش وأبي علي الغساني وغيرهم، وصحب أبا الحسين بن سراج صحبة مؤاخاة.

صنف في شرح غريب البخاري مصنفًا مفيدًا توفي ليلة السبت، الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة 540 هـ. وجدته مذكورًا عند ابن الخطيب في الإحاطة حيث ترجم لابن أبي خيثمة ترجمة قصيرة قال في نهايتها «صنف في غريب البخاري مصنفًا مفيدًا»¹¹⁵

وقد ذكره صاحب كشف الظنون¹¹⁶ وعنه نقل الكتاني في مدرسة الإمام البخاري بالمغرب دون الإشارة إلى وجوده مخطوطًا أو مطبوعًا¹¹⁷

4. الاشتغال بتراجم البخاري وشرح ما أشكل منها

1-4 أحمد بن رشيق المرسي 440 هجرية

حظيت تراجم البخاري في الجامع الصحيح باهتمام بالغ من لدن المحدثين، حتى قيل «فقه البخاري في تراجمه» إذ تبدل الصناعة الدقيقة لهذه التراجم من حيث لغتها وإحاطتها بمعاني ما تحتها من النصوص واختصارها على ما أفاء الله به على الإمام البخاري من حكمة ونباهة، وللتأمل في أسرار هذه التراجم ومناسبتها لما يندرج تحتها، أفردنا علماءنا في الغرب الإسلامي بالتأليف، فألف أبو العباس أحمد بن رشيق الكاتب المتوفي سنة 646 هـ كتابه المعروف «بتراجم صحيح البخاري ومعاني ما أشكل منها»¹¹⁸ وهو أحمد بن رشيق الكاتب أبو العباس، كان أبوه من موالي بني شهيد ونشأ هو بمرسيه وانتقل إلى قرطبة وطلب الأدب فبرز فيه وبسق في صناعة الرسائل مع حسن الخط المتفق على نهايته، وتقدم فيهما وشارك في سائر العلوم ومال إلى الفقه والحديث وبلغ من رياسة الدنيا أرفع منزلة، وقدمه الأمير الموفق أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامري على كل من في دولته، لأسباب أكدت له ذلك عنده من المودة والثقة والنصيحة، والصحة في النشأة، فكان ينظر في أمور الجهة التي كان فيها نظر العدل والسياسة، ويشغل بالفقه والحديث، ويجمع العلماء الصالحين ويؤثرهم ويصلح الأمور جهده، وما رأينا من أهل الرئاسة من يجري مجراه، مع هيبة مفرطة، وتواضع وعلم عرف به مع القدرة مات بعد 440 عن سن عالية.

115- الإحاطة : ابن الخطيب، ج : 1، ص 170 أو ما بعدها

116- كشف الظنون حاجي خليفة ج 1 ص 553

117- الشجرة الزكية في طبقات علماء المالكية : ابن مخلوف، ص 134.

118- مدرسة الإمام البخاري بالمغرب : يوسف الكتاني، ص 752 .

وله رسائل مجموعة متداولة، منها الرسالة إلى أبي عمران موسى بن عيسى بن أبي نوح الفاسي وأبي بكر بن عبد الرحمن فقيهي القيروان، في الإصلاح بينهما، وله كلام مدون على تراجم كتاب الصحيح لأبي عبد الله البخاري ومعاني ما أشكل من ذلك، وقد رأيته غير مرة إذا غضب في مجلس الحكم أطرق ثم قام ولم يتكلم بين اثنين، فظنته كان يذهب إلى حديث أبي بكر عن رسول الله « لا يحكم حاكم بين اثنين وهو غضبان»¹¹⁹

ومن عنايته بفقهاء الحديث تأليفه، رسالة في تراجم البخاري وشرح ما أشكل منها، وقد ذكره الحميدي في جذوة المقتبس¹²⁰ ونقل عنه الضبي في البغية¹²¹ على العموم فموضوع الكتاب واضح من عنوانه إذ اهتم بشرح ما أشكل من تراجم البخاري وتفصيل وجه ربطها بما انضوى تحتها من نصوص،

2-4 حل غوامض الأسماء المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة لابن حمامة المغربي السجلماسي ت 700 هجرية

كما ألف محمد بن منصور بن حمامة المغربي السجلماسي كتابه الموسوم «بحل أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة» قال فيه ابن حجر في مقدمة معرض حديثه عن المؤلفات في تراجم البخاري «وتكلم على ذلك أيضا بعض المغاربة وهو محمد بن منصور بن حمامة السجلماسي ولم يكثر من ذلك بل جملة ما في كتابه نحو مائة ترجمة وسماه : فك أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة¹²² كما ذكره العلامة عبد الله كنون في النبوغ ضمن آثار المغاربة في الحديث والتفسير في عصر المرينيين¹²³

3-4 ترجمان التراجم في مناسبات صحيح البخاري لابن رشيد السبتي المتوفى سنة 721 هجرية

وفي هذا الفن ألف محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسين بن محمد بن عمر الفهري من أهل سبتة يعرف بابن رشيد الخطيب المحدث الشهير الذي رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ولقاء أهل العلم سنة 683 هـ فدخل إفريقية ومصر والشام وأخذ بها وبالجاز عن من لقي من الأعلام وأكثر من هذا الشأن وأجاد في الضبط والإتقان وتوسع في الرواية وذهب في ذلك إلى أبعد غاية وكان له تحقق بعلوم الحديث وضبط أسانيده وميز في ذلك رجاله

119- جذوة المقتبس : الحميدي، ج 1، ص 195. والبغية للضبي، ج 1، ص 224، والأعلام للزركلي، ج 1، ص 125

120- جذوة المقتبس : الحميدي، ج 1، ص 195.

121- بغية الملتبس للضبي ج 1 ص 224

122- نفسه ج 1 ص 551

123- النبوغ المغربي : عبد الله كنون، ص 216 .

ومعرفة انقطاعه واتصاله، إماما مشارا إليه وقدوة معتمدا عليه مع كمال الثقة وشهرة العدالة وكان من أهل المعرفة بعلم القراءات وصناعة العربية وعلم البيان والعروض والقافية وكان أدبيا خطيبا بليغا، قرأ ببلده سبته على الأستاذ أبي الحسن ابن الربيع القرآن العزيز بالقراءات السبع بمضمن كتاب التيسير، وقيد منه تقييدا حسنا على الكتاب لسبويه وقرأ أيضا الكتاب العزيز عن الأستاذ علي بن محمد الكتامي ابن الخضار بالمقارئ السبعة (وذكر جملة من شيوخه) منهم المحدث الأديب أبي إسحاق عن عبد الصمد عن عبد الوهاب ابن عساكر الدمشقي.

له من المؤلفات ترجمان التراجم في إبداء وجه مناسبة تراجم صحيح البخاري، ذكره ابن مخلوف وذكر تأليفه قائلا «ومن تأليفه ترجمان التراجم في إبداء وجه مناسبات تراجم صحيح البخاري، وإفادة النصيح في شرح الصحيح، وكان يعتمد في شرح البخاري على أبي عمر الصفاقسي المعروف بابن التين الممزوج بكلام المدونة وشراحها، ومنها السنن الأبين في المسند المعنعن والمحكمة بين الإمامين البخاري ومسلم وأحكام التأسيس في أحكام التجنيس والاضاءات والإنارات في البديع وشرح على كتاب في القوانين لشيخه أبي الحسن حازم ... مولده سنة 657 وتوفي في المحرم بفاس سنة 721¹²⁴

9. الاشتغال بشرح مشكل الحديث في الجامع الصحيح

1-5 شرح مشكل ما وقع في الموطأ وصحيح البخاري

لمحمد بن خلف الإلبيري المتوفى سنة 537 هجرية

وهو محمد بن خلف بن موسى الأنصاري المتكلم سكن قرطبة يكنى أبا عبد الله ويعرف بالإلبيري لأن أصله منها، روى عن أبي بكر محمد بن الحسن المرادي وأبي الحجاج يوسف بن موسى الكلبي وأخذ علم الكلام عنهما. وكان حافظا لكتب الأصول والاعتقادات واقفا على مذهب أبي الحسن الأشعري وأصحابه مع مشاركة في الأدب وله تأليف منها كتاب النكت الأمالي في النقض على الغزالي ورسالة الانتصار على مذاهب الأئمة الأخيار

رسالة البيان عن حقيقة الإيمان وشرح مشكل ما وقع في الموطأ وكتاب البخاري، واختصار كتاب الرعاية للمحاسبي ولد سنة 457 هـ وتوفي سنة 537 هـ¹²⁵

¹²⁴ - انظر شجرة النور : ابن مخلوف، ص 216.

¹²⁵ - التكملة : ابن الأبار، ج 1، ص 358، ت 1278 تحقيق الدكتور عبد السلام الهراس. وانظر معلمة القرآن والحديث : عبد العزيز بن عبد الله، ص 129 والأعلام : للزركلي، ج 6، ص 115. والذيل والتكملة : ابن عبد الملك الأنصاري، ج 6 ص 193 والإحاطة : ابن الخطيب، ج 3 ص 165-166.

ذكره ابن فرحون في الديباج وذكر مؤلفاته السابقة الذكر وأضاف إليها الرد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستقراء الواقعة في الجزء الأول من مقدماته¹²⁶

وأضاف إلى كل ذلك ابن مخلوف في الشجرة كتاب مداواة العين قال فيه جليل الفائدة¹²⁷

ولعل اهتمام الألبيري بمشكل الموطأ والبخاري ينبع من اهتمامه بالألفاظ المشتركة والمشكلة في نصوص السنة، والتي كانت مصدر خلاف بين علماء الكلام من حيث فهمها وتفسيرها أو تأويلها.

نستنتج هذا من خلال ما عرف عن المؤلف من اشتغاله بعلم الكلام وأصول الاعتقاد، وقد ذكرت المصادر المترجمة له مؤلفاته في ذلك، مثل كتاب «النكت الأمالي في الرد على الغزالي» ورسالة «الانتصار على مذاهب الأئمة الأخيار» و«رسالة البيان عن حقيقة الإيمان» ومن مؤلفاته في هذا السياق «شرح مشكل ما وقع في الموطأ وكتاب البخاري». وقد ذكرت المصادر المترجمة لابن خلف الإلبيري كتابه هذا، وأول من وجدته ينص عليه ابن الأبار في التكملة¹²⁸ كما ذكره ابن فرحون في الديباج¹²⁹ وعن هؤلاء نقلت المصادر المتأخرة فقد ذكره ابن مخلوف في الشجرة¹³⁰ والزركلي في الأعلام¹³¹ وبنعبد الله في المعلمة¹³²

126- الديباج المذهب : ابن فرحون، ج 2، ص 302.

127- شجرة النور : ابن مخلوف، ص 134.

128- التكملة : ابن الأبار، ج 1، ص 439- معجم أصحاب أبي علي الصديقي : لنفس المؤلف، ص 287.

129- الديباج : ابن فرحون، ج 2، ص 320.

130- شجرة النور : ابن مخلوف، ص 134.

131- الأعلام : الزركلي، ج 1156.

132- المعلمة : بنعبد الله، ص 129.

خاتمة

وبهذه الجولة المباركة في جهود علماء المغرب والأندلس في العناية بكتاب الجامع الصحيح رواية ودراية نكون قد سلطنا الضوء على درر زاخرة من التراث الحديثي في هذا الثغر من العالم الإسلامي في عصر الازدهار التي كان لها الأثر بعد القرن الثامن في المصادر الكبرى لشرح هذا الكتاب الجليل ، والتي ينبغي الاشتغال بها من طرف الدارسين والباحثين وخاصة نقول الإمام ابن حجر في فتح الباري عن علماء المغرب والأندلس ، فهي غزيرة ووافرة ، كما ينبغي تتبع أثر هذه الجهود في المشرق الإسلامي وخاصة في مصر والعراق وما وراءهما من بلاد أسيا الوسطى التي انتقل إليها عدد من علماء المغرب والأندلس بعد أن ذر قرن الفتن بهذه البلاد بعد ضعف الدولة في العصر المريني ، والله الأمر من قبل ومن بعد،

وكتبه خالد الصمدي وكان الفراغ منه بالرباط
في 15 رمضان الأبرك 1446 هجرية
والحمد لله لرب العالمين

عناية علماء بنغلاديش بـ «صحيح البخاري» عبر العصور: تدريسًا وتأليفًا

إعداد

محفوظ أحمد السلهتي
أستاذ الحديث الشريف بكلية المدني الإسلامية،
لندن، بريطانيا



المقدمة

يُعَدُّ «الجامع الصحيح» للإمام البخاري رحمه الله من أصحِّ الكتب بعد كتاب الله تعالى بإجماع أهل السنة والجماعة، وقد احتل مكانةً رفيعةً في نفوس المسلمين، واهتم به العلماء قديمًا وحديثًا حفظًا، وشرحًا، وتدريسًا، وتحقيقًا، لما حواه من الأحاديث الصحيحة، والدقة العالية في جمعها، وترتيبها، والتبويب عليها. وقد صار تدريسه سمةً بارزةً في المعاهد الشرعية، والمراكز العلمية، والجامعات الإسلامية في شتى أنحاء العالم.

ومن بين البلاد الإسلامية التي أولت عنايةً خاصةً بعلوم الحديث الشريف، تبرز بنغلاديش بوصفها دولة ذات تراث علمي عريق، ومؤسسات دينية نشطة، وتاريخ زاخر بخدمة السنة النبوية. فقد برز فيها عدد من العلماء الذين اشتغلوا بخدمة «صحيح البخاري»، تدريسًا وتأليفًا، في المدارس الشرعية المعروفة بـ «المدارس القومية»، وفي الجامعات الإسلامية الرسمية، فكان لهم أثر ملموس في نشر علوم الحديث، وتأسيس منهج أهل السنة والجماعة.

وإزاء هذا الاهتمام الكبير، تبرز الحاجة إلى دراسة تُسلِّط الضوء على جهود علماء بنغلاديش في العناية بـ «صحيح البخاري»، من خلال رصد مناهج تدريسه، والتأليف حوله، والتعريف بأبرز الأعلام الذين ساهموا في ذلك، مع بيان أثرهم العلمي والفكري.

إشكالية البحث:

تكمن إشكالية هذا البحث في أن موضوع عناية علماء بنغلاديش بـ «صحيح البخاري» من حيث التدريس والتأليف لم ينل حظه من الدراسة والبحث المستقل كما يستحق، إذ لا تزال الجهود البنغالية في هذا الميدان مبعثرة، وغير موثقة توثيقًا كافيًا في الدراسات العربية أو العالمية. ويُلاحظ أن كثيرًا من هذه الجهود لم

تُدَوِّنُ أصلاً، أو دُوِّنَ بعضها بلغات محلية كالبنغالية، مما جعل الاطلاع عليها محصوراً في نطاقٍ جغرافيٍّ ولغويٍّ ضيقٍ، بينما ما كُتِبَ منها بالعربية نُشر غالباً داخلَ بنغلاديش، فبقي بعيداً عن متناول القُرَّاء في سائر أنحاء العالم الإسلامي. كما أن جزءاً من جهود علماء بنغلاديش، خاصة قبل استقلال البلاد عام 1971م، قد اندرج ضمن جهود علماء الهند عمومًا في كُتُب التراجم والتاريخ العلمي، مما ساهم في تذويب الهوية العلمية المستقلة لعلماء بنغلاديش في مجال الحديث النبوي، وبالأخص في العناية بـ «صحيح البخاري». ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث في إبراز هذه الجهود وتوثيقها وتقديمها ضمن سياقها العلمي والجغرافي الصحيح.

أهمية البحث:

إبراز الدور الريادي لعلماء بنغلاديش في خدمة السنة النبوية، من خلال تسليط الضوء على جهودهم في تدريس وشرح «صحيح البخاري»، بوصفه أحد أعظم مصادر الحديث النبوي.

توثيق الجهود العلمية المتعلقة بـ «صحيح البخاري» في منطقة بنغلاديش، والتي ظلت لوقت طويل خارج دائرة الاهتمام البحثي في العالم العربي، رغم قيمتها العلمية وتنوع أشكالها.

سد فراغ بحثي ملحوظ في المكتبة العربية، حيث لا تزال معظم الكتابات عن العناية بـ «صحيح البخاري» تتركز في البيئات العربية والتركية والهندية، دون أفراد جهود العلماء البنغلاديشيين بدراسةٍ مستقلةٍ.

تعزيز التواصل الثقافي والعلمي بين العالم العربي والعالم الإسلامي الشرقي (جنوب آسيا)، من خلال التعريف بجوانب من التراث الحديثي المشترك، مما يساهم في بناء رؤية أكثر شموليةً لوحدة الأمة العلمية وتكامل مدارسها المعرفية.

الإسهام في الحفاظ على الهوية العلمية الخاصة ببنغلاديش ضمن خارطة خدمة السنة النبوية، خاصة في ظل تداخلها التاريخي الطويل مع الهند قبل الاستقلال، والذي أدى إلى طمس أو تهميش كثيرٍ من الرموز والجهود البنغالية في المبدونات العربية.

أهداف البحث:

تسليط الضوء على تاريخ بداية العناية بـ «صحيح البخاري» في بنغال في القرون الأولى.

التعرف على واقع تدريس «صحيح البخاري» في المؤسسات العلمية في بنغلاديش.

رصد الشروح والتعليقات التي كتبها علماء بنغلاديشيون على «الصحيح».

الدراسات السابقة:

تناول الأستاذ الدكتور محمد مهر علي، المتوفى سنة 2007 م، رحمه الله في كتابه الموسوعي باللغة الإنجليزية بعنوان «تاريخ المسلمين في بنغال»، في ثلاثة مجلدات ضخمة، الجوانب السياسية والثقافية لتاريخ المسلمين في بنغال عبر العصور، دون تركيز مباشر على علوم الحديث أو جهود العلماء في تدريس «صحيح البخاري». وفي مجال التراجم، برزت جهود علمية موسعة، من أبرزها ما ألفه الشيخ محمد حفظ الرحمن الكُملائي حفظه الله بعنوان «اليواقيت والجواهر في تراجم نبلاء بنغال والأكابر»، في ثمانية مجلدات، حيث جمع تراجم آلاف من علماء ومشايخ بنغلاديش، ومن بينهم عدد من شيوخ الحديث ومدرسي «صحيح البخاري». وتميز هذا العمل بذكر المؤلفات التراجمية السابقة باللغة البنغالية، حتى وإن كانت مختصرة أو قليلة المعلومات.

ومن المؤلفات الحديثة في هذا المجال أيضًا، كتاب الأستاذ ميزان هارون بعنوان «رجال صنعوا التاريخ وخدموا الإسلام والعلم في بنغلاديش»، وفيه تَرْجَمَ لشخصيات بارزة كان لهم أثر واضح في خدمة الدين والعلم، منهم بعض شيوخ الحديث. كما ظهرت بعض الدراسات الأكاديمية التي تُعنى بمناهج تدريس الحديث في الجامعات الرسمية في بنغلاديش، مثل دراسة الأستاذ مصباح الحق صودري وآخرين بعنوان «مناهج تدريس الحديث الشريف في جامعات بنغلاديش: الإيجابيات والسلبيات»، وهي دراسة تسلط الضوء على الجوانب التعليمية في المؤسسات الحكومية.

وعلى الرغم من هذه الجهود المتنوعة، لم يقف الباحث - حسب اطلاعه - على دراسة علمية متخصصة، باللغة العربية أو البنغالية، تناولت عناية علماء بنغلاديش بـ «صحيح البخاري» خصوصًا، من حيث التدريس والتأليف، وبخاصة في المدارس القومية الأهلية. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث في محاولة لسدّ هذا النقص العلمي، والإسهام في توثيق جهود علماء بنغلاديش في خدمة هذا الكتاب العظيم.

منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، القائم على جمع المعلومات من المصادر المتنوعة، وتحليلها للوصول إلى نتائج علمية دقيقة، مع الحرص على توثيق الجهود والنتائج العلمية المتعلقة بالموضوع، سواء ما كُتب منها بالعربية أو بلغات أخرى.

وقُسم البحث إلى أربعة مطالب وخاتمة في النتائج والتوصيات:

المطلب الأول: من بخاري إلى بنغال: جهود الشيخ شرف الدين أبو تومة في نشر علوم الحديث: يتناول هذا المطلب دور الشيخ شرف الدين أبو تومة في

تأسس نواة التعليم الحديثي في بنغال، وتدرّس الكتب الستة وعلى رأسها «صحيح البخاري».

المطلب الثاني: نسخة «صحيح البخاري» بخط الشيخ محمد بن يزدان بخش الشرواني: دلالة علمية وتاريخية: يُسلط الضوء على النسخة المخطوطة النادرة التي كتبها عالم بنغالي في القرن العاشر الهجري، وما انعكسه من اهتمام مبكر في المنطقة بكتاب «صحيح البخاري».

المطلب الثالث: دور المؤسسات الدينية في بنغلاديش في تدريس وشرح «صحيح البخاري»: دراسة في تجربة المدارس القومية: يستعرض هذا المطلب منهج تدريس «صحيح البخاري» في المدارس القومية، وتقاليدها علماء بنغلاديش في عقد مجالس ختم «صحيح البخاري» في نهاية العام الدراسي، وكذا ختمه عند المصائب والشدائد.

المطلب الرابع: إسهامات علماء بنغلاديش في التأليف حول «صحيح البخاري»: شروح وتعليقات بلغات متعددة: يتناول جهود التأليف والشرح التي قام بها العلماء البنغلاديشيون، وما أنتجوه من مصنفات باللغات البنغالية، والأردية، والعربية، والإنجليزية، في خدمة «صحيح البخاري».

المطلب الأول: من بخاري إلى بنغال: جهود الشيخ شرف الدين أبو تومة في نشر علوم الحديث

لا مناصّ من القول إن علم الحديث قد وصل إلى مسلمي بنغال منذ أن دخل الإسلام ديارهم، إذ إن الحديث النبوي جزء لا يتجزأ من الكيان الإسلامي، ولا يمكن للمسلم أن يطبق دينه على وجهه الصحيح دون الرجوع إلى تعاليم السنة النبوية. غير أن المؤرخين لم يتمكنوا من تحديد أول من تولى تدريس «صحيح البخاري» وسائر كتب الحديث في بنغال تحديداً دقيقاً، وذلك لندرة المعلومات في المصادر المتوفرة. ومع ذلك، تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن الشيخ شرف الدين أبو تومة كان أول، أو من أوائل، من اضطلع بتدريس الكتب الستة في بنغال.

ورغم أهمية مكانة الشيخ العلمية، إلا أن المصادر التاريخية قد شحت في تقديم تفاصيل دقيقة عن حياته. وتشير المعلومات المتوفرة إلى أن الشيخ كان ينحدر أصلاً من مدينة بخاري¹، ثم انتقل إلى مدينة دهلي، حيث أقام فيها مدةً من الزمن. وفي عهد السلطان شمس الدين إيلتمش، غادر دهلي متجهاً إلى سنار كاؤن، إحدى المناطق الواقعة في إقليم بنغال (بنغلاديش حالياً). وهناك أسس مؤسسة

1- السلهتي، إمداد الحق: «هداية الساري إلى دراسة البخاري»، 2/256.

علمية رائدة للدراسات الإسلامية العليا، أطلق عليها الأهالي اسم «درسباري»، وهي تسمية مركبة من كلمتين: «درس» و«باري» وهي كلمة بنغالية تعني الدار، أي: «دار الدرس». وقد قام الشيخ أبو تومة في هذه المؤسسة بتدريس «صحيح البخاري» والكتب الستة الأخرى، فضلاً عن كتب الحديث الكبرى، كـ «مسند أبي يعلى الموصلي» وغيرها².

ومع ذلك، يبدو أن المدرسة الحديثية التي أسسها الشيخ شرف الدين أبو تومة لم تستمر في تأثيرها عبر القرون التالية، إذ إن معظم أسانيد شيوخ الحديث المتأخرين في بنغلاديش تعود إلى الإمام الشاه ولي الله الدهلوي، المعروف بـ «مسند الهند». ويُفهم من ذلك أن أسانيد الشيخ شرف الدين انقطعت في وقت مبكر نسبياً، وقد يُعزى هذا الانقطاع إلى ضياع تلامذته أو إلى عدم تدوين رواياتهم وعدم الاهتمام بها في العصور اللاحقة. وهذه النتيجة تمثل خسارة علمية، لا سيما أن الشيخ كان من أبرز من تولى تدريس «صحيح البخاري» وسائر كتب الحديث في بلاد بنغال في مرحلة مبكرة، مما يؤهله لأن يُعتبر من أوائل المشتغلين بعلم الحديث والإسناد في المنطقة.

ويُعد هذا الانقطاع في سلسلة الإسناد مسألة جديرة بالبحث العلمي، إذ من الضروري أن يتناولها الباحثون المتخصصون في تاريخ الحديث في المنطقة من خلال تحليل العوامل الثقافية والاجتماعية والسياسية التي قد تكون أسهمت في طمس معالم هذه المدرسة، مع السعي إلى استكشاف آثارها في المخطوطات أو الروايات الشفوية أو كتب التراجم المحلية، وذلك للحفاظ على استمرارية الصورة التاريخية لتطور علم الحديث في بنغلاديش.

المطلب الثاني: نسخة «صحيح البخاري» بخط الشيخ محمد بن يزدان بخش الشرواني: دلالة علمية وتاريخية

من الشواهد البارزة على عناية علماء بنغلاديش الأوائل بـ «صحيح البخاري»: وجود نسخة كاملة من «صحيح البخاري»، نسخها بخط يده العالم البنغالي الشيخ محمد بن يزدان بخش الشرواني البنغالي، المعروف بلقب خواجكي، رحمه الله تعالى، وذلك في سنة 911هـ.

وقد وقف الباحثون على خبر هذه النسخة عبر كتاب «تاريخ علم الحديث في بنغال»³ للشيخ نور محمد الأعظمي، الذي أشار إلى وجودها في مكتبة خُدا بخش بمدينة باتنة في الهند، المعروفة سابقاً باسم مكتبة باقيبور. وبعد التحقق، تأكد

2- ينظر: الحسني، عبد الحي: «نزهة الخواطر»، 1/102. وللتوسع في أخباره راجع مقال الأستاذ حسين محمد نعيم الحق: الإمام شرف الدين أبو تومة؛ محدث الهند الأول، المنشور في شبكة المدارس الإسلامية.

3- ص 202.

الباحث أن النسخة محفوظة إلى اليوم في هذه المكتبة تحت أرقام المجلدات: (130، 131، 132). وكان الشيخ محمد بن يزدان بخش عضوًا في هيئة التدريس بمدرسة دَرشباري العريقة في بنغال، وقد كانت هذه النسخة من «صحيح البخاري» بمثابة النواة الأولى لمكتبة تلك المدرسة الكبيرة. وقد كُتبت بخط النسخ المتقن، على النحو التالي:

المجلد الأول: تحت رقم 130، ويقع في 228 صفحة، كل صفحة فيها 21 سطرًا.

المجلد الثاني: تحت رقم 131، ويقع في 242 صفحة، بنفس التنسيق.

المجلد الثالث: تحت رقم 132، ويقع في 320 صفحة، بنفس التنسيق.

وقد كتب الناسخ خاتمة مفصلة للنسخة، حدد فيها تاريخ الفراغ من النسخ، وأثنى فيها على السلطان علاء الدين شاه، حاكم بنغال آنذاك (927-905هـ)، وامتدحه بإطناب⁴.

وتمثل هذه النسخة الفريدة دليلاً عملياً على اهتمام علماء بنغال بالحديث النبوي الشريف، ولا سيما «صحيح البخاري»، حفظًا وتدریسًا ونسخًا، منذ وقت مبكر في التاريخ الإسلامي للمنطقة.

المطلب الثالث: دور المؤسسات الدينية في بنغلاديش في تدريس وشرح «صحيح البخاري»: دراسة في تجربة المدارس القومية

ينقسم التعليم الديني في بنغلاديش إلى ثلاثة مناهج رئيسية:

المدارس الدينية الأهلية (القومية): مؤسسات تعليمية مستقلة لا تخضع لإدارة الحكومة، وتعتمد في تمويلها على الدعم الشعبي. تُعنى بتعليم العلوم الشرعية وفق المنهج الديوبندي التقليدي، وغالبًا تُسمّى بـ «دار العلوم» أو «الجامعة»، مثل: دار العلوم معين الإسلام هاتهازاري، أو الجامعة المدنية أنغورا.

المدارس العالية: مؤسسات دينية تحت إشراف الدولة، تلتزم بالمناهج والسياسات التعليمية الحكومية، وتُدّرس المواد الدينية والعصرية وفق المنهج الموحد المعتمد من وزارة التعليم.

الجامعات الرسمية: مؤسسات عليا تُديرها الدولة، تُدّرس العلوم الدينية إلى جانب التخصصات الأخرى، وتُعد أقسام الدراسات الإسلامية والحديث جزءًا من الإطار الأكاديمي الرسمي.

⁴- ينظر: الكملائي، محمد حفظ الرحمن: «اليواقيت والجواهر في تراجم نُبلاء بنغال والأكابر»، 7/56، والسلهتي، محفوظ أحمد: «نسخة صحيح البخاري بخط عالم بنغالي في بداية القرن العاشر الهجري»، شبكة الألوكة، 2020 م.

وينصبّ اهتمام هذا البحث على المدارس القومية في بنغلاديش بوصفها بيئة تعليمية ظلّت تحتفظ بخصوصيتها واستقلالها في مناهج تدريس العلوم الشرعية، ويسعى إلى تسليط الضوء على دورها في تدريس «صحيح البخاري» وشرحه والعناية به علميًا، من خلال رصد مناهجها، وبيان جهود علمائها، وتوثيق أنشطتها التعليمية المرتبطة بهذا الكتاب الجليل. ويستفيد هذا المطلب من تجربة الباحث الدراسية المباشرة في هذه المدارس، مما يُكسب العرض طابعًا توثيقيًا ومعانيًا في آن واحد، إلى جانب ما تم الرجوع إليه من مصادر مكتوبة.

منذ تأسيسها سنة 1310هـ/1896م، نهضت الجامعة الأهلية دار العلوم معين الإسلام هاتهازاري، التي تُعدّ رائدة المدارس القومية في بنغلاديش، بمهمة تدريس «صحيح البخاري» كاملاً في المرحلة الختامية من البرنامج العلمي: الدرس النظامي، المعروفة بـ «دورة الحديث الشريف» أو «التكميل في الحديث»، معتمدةً إياه الكتاب الأساس في هذا المستوى. وقد سارت على نهجها سائر المدارس القومية، بل امتد أثرها إلى المدارس الحكومية، التي أدرجت تدريس «صحيح البخاري» ضمن مناهجها. غير أن الفارق بين المدرستين - القومية والعالية - ظلّ بيّناً من حيث مستوى جودة التعليم، ومدى تأهيل الطلاب للانتفاع المنهجي والعلمي بكتاب «صحيح البخاري».

تهتم هذه المدارس بتدريس «صحيح البخاري» اهتمامًا بالغًا، حتى إن المدرّس الذي يتولى شرح هذا الكتاب الجليل يُلقب بـ «شيخ الحديث». وأحياناً يُعهد بتدريسه إلى أكثر من أستاذٍ من الأساتذة الجادين المختصين في علم الحديث الشريف، حيث يتم توزيع أبواب «الصحيح» أو كتبه أو أجزاءه فيما بينهم؛ إذ إن طبعات «صحيح البخاري» الهندية غالباً ما تكون مجزأة إلى ثلاثين جزءاً لتيسير الاستفادة منه. فمثلاً، يتولى الشيخ الأوّل تدريس الأجزاء العشرة الأولى، والثاني والثالث يُكملان بقية الأجزاء على الترتيب. وقد يقع أن يتولى تدريس الكتاب كاملاً شيخٌ واحدٌ، من أوّله إلى آخره.

وتوجد نماذجٌ عديدةٌ لشيوخ الحديث الذين أفنوا أعمارهم في تدريس هذا الكتاب المبارك؛ ومن أبرزهم الشيخ مقدس علي السلهتي، الذي تخرّج في دار العلوم بديوبند (الهند)، ثم عاد إلى وطنه بنغلاديش عام 1958 م، وظل يدرّس «صحيح البخاري» في مدارس سلهت المتعددة لأكثر من خمس وستين سنة متواصلة، حتى وافاه الأجل في مطلع العام الجاري⁵. ولا شك أن هذا يُعدّ إنجازاً كبيراً لعالم شرعيٍّ، ومنقبة عظيمة تُضاف إلى سيرته.

5- وللباحث مقالة تناول فيها ترجمة هذا المحدث المعمر الكبير، وقد نشرت في موقع بيت الحكمة: SHAYKH MU- HAMMAD MUQADDAS ALI - BAITUL HIKMAH INSTITUTE

يلتحق الطلبة بـ «دورة الحديث الشريف» بعد أن ينتهوا من دراسة «مشكاة المصابيح» بأكملها دراسةً شرح وتفصيل، كمدخلٍ لدراسة الكتب الستة، مما يُيسر لهم متابعة دروس شيوخهم في «صحيح البخاري» وغيره. أما نسخة «الصحيح» التي يستخدمها الطلبة والأساتذة في هذه المدارس فهي الطبعة الحجرية للكتاب من الهند أو نسخها المصورة من باكستان أو بنغلاديش. وتتميّز هذه النسخة الحجرية بكونها غير مشكّلة ولا معرّبة، مما يجعل قراءتها تحدّيًا لبعض الطلاب، إلا أن ذلك يُعتبر تمرينًا مهمًا لمهاراتهم في قراءة اللغة العربية، واختبارًا لقدرتهم على فهم هذا الكتاب الجليل.

ومؤخرًا، بدأت مكتبة البشري الباكستانية بطباعة طبعة حديثة ملونة، مشكّلة ومعرّبة، مما سهّل قراءة الكتاب على الجميع، وساهم في الاستفادة منه بشكل أسهل. وفي كلتا الطبعتين، القديمة والجديدة، يحتوي الكتاب على الحواشي التي أضافها العلامة أحمد علي السهارنفوري رحمه الله، الذي كان أوّل من طبع الكتاب في الهند عام 1898م⁶.

أما قاعات الدروس، التي غالبًا ما تشهد اليوم اكتظاظًا بالطلاب الدارسين، فقد كانت في الماضي تقتصر على الكتب الدراسية فحسب، دون أن تضم كتبًا خارج المقررات. ولكن بعد اقتراح العلامة المحدث الناقد، الشيخ محمد عبد المالك الكُمْلاني - أحد أبرز شيوخ الحديث في بنغلاديش المعاصرة - بضرورة إضافة بعض شروح «صحيح البخاري» وغيرها من كتب الحديث وعلومه وعلوم الرجال إلى قاعات الدروس⁷، وكذلك بعد توافر الكتب العربية المطبوعة من دول العرب في بنغلاديش بكثرة وبسهولة، بدأت هذه القاعات الدراسية تتزين بكتب مثل «فتح الباري»، و«عمدة القاري»، وغيرها من شروح «الصحيح»، فضلًا عن شروح الكتب الستة وكتب علوم الحديث والرجال، مما يعكس تطور تدريس «الصحيح» وغيره من كتب الحديث في بنغلاديش.

وجدير بالذكر أن العام الدراسي في هذه المدارس يبدأ في شهر شوال وينتهي في شهر شعبان؛ حيث يفتتح شيخ الحديث التدريس بأول حديث من «صحيح البخاري» في وسط شوال، ويختتم بالحديث الأخير منه في نهاية رجب أو غرة شعبان، ثم يُعقد الامتحان المركزي الذي يتخرج الطلبة على إثره.

ويُتّسم منهج تدريس «صحيح البخاري» في هذه الجامعات بالجمع بين الرواية والدراية، وفقًا لما تتيحه ظروف الوقت ومدى توافر الفرصة وحيوية الشيخ ونشاطه. وغالبًا ما يُلاحظ أن بعض شيوخ الحديث يُوسّعون الشرح في أوائل العام الدراسي،

6- ينظر للتوسع في ترجمة الشيخ السهارنفوري ودوره في خدمة «صحيح البخاري»: زمان، منتصر، Hadith Scholarship in the Indian Subcontinent: Ahmad Ali Saharanpuri and the Canonical Hadith Literature، وهو كتاب يهم

الباحثين في جهود علماء الهند في خدمة كتب الحديث الشريف.

7- الكُمْلاني، محمد عبد المالك، «المدخل إلى علوم الحديث الشريف»، ص 245.

خاصةً عند تناول أبواب بدء الوحي، والإيمان، والطهارة، والصلوات، وغيرها من أبواب العبادات، فيولونها عناية خاصة بالبيان والتحليل. غير أن اقتراب نهاية العام الدراسي كثيراً ما يفرض تسريع وتيرة الشرح لإتمام الكتاب ضمن الجدول الزمني المقرر.

وفي مقابل هذا المنهج، يعتمد بعض الشيوخ أسلوباً أكثر توازناً، فيوزعون جهدهم التعليمي بانتظام على مدار العام، مقتصرين على التعليق والشرح عند الحاجة، بما يضمن استيعاب الطلبة لمضامين الكتاب دون إخلال ولا إسهاب. ويتبين من خلال هذين الاتجاهين أن منهج تدريس «صحيح البخاري» في المدارس القومية يتفاوت بحسب اجتهادات الشيوخ، ومدى إدراكهم لحاجة الطلاب العلمية وظروفهم الزمنية.

ولزيادة توضيح منهج تدريس «صحيح البخاري» في هذه المدارس، يحسن ذكر نموذج تطبيقي يتمثل في أحد كبار شيوخ الحديث في بنغلاديش، وهو العلامة الشيخ هداية الله رحمه الله تعالى الذي قام بتدريس «الصحيح» في الجامعة القرآنية العربية بلال باغ (داكا) وغيرها من المدارس، طوال سنين عديدة. وقد اتسم منهجه في تدريس «الصحيح» بالخصائص التالية:

التركيز على شرح الحديث روايةً ودرايةً: كان همه الأكبر في الدرس شرح الحديث شرحاً وافياً من جميع جوانبه، لغةً وفقهاً وبحثاً وتحقيقاً، مع العناية بنقل نخبة الأقوال المعتمدة من شراح الحديث، وأقوال الأئمة، وتوجيهات كبار علماء الهند أمثال الإمام الكشميري رحمه الله تعالى وغيرهم.

التعرض لتراجم الرواة: كان يتعرض في مواضع كثيرة إلى تراجم موجزة للرواة، مبرراً أهم مزاياهم العلمية والعملية، مع الإحالة الدقيقة إلى المصادر المعتمدة في علم الرجال.

تحقيق المسائل الخلافية: كان يشرح المسائل المختلفة المتعلقة بالحديث شرحاً تفصيلياً، مع عرض أدلة كل مذهب من المذاهب الأربعة وغيرها، ثم يقوم بتنقيح الأدلة وتحقيقتها بغاية من الإنصاف والعدل، وغالباً ما يرجح مذهب السادة الحنفية رحمهم الله تعالى بناءً على قوة الدليل لا على مجرد التعصب المذهبي. **الإنصاف في الترجيح:** كان رائده في جميع ترجيحاته العلمية هو الإنصاف والعدل، بعيداً عن العصبية المذهبية أو التحكم بالرأي، مع احترامه الشديد لجميع الأئمة المجتهدين من المذاهب الأربعة.

تسهيل المباحث المعقدة: ومن أبرز مزاياه في التدريس تسهيل المباحث الدقيقة، وحل مشكلات المسائل الكبرى بأسلوب حكيم، بحيث يربط أطراف البحث العلمي بروابط متينة، تظهر كأنها منظومة علمية متكاملة، مما يعث الطمأنينة والفهم العميق في قلوب الطلاب، كما تشهد بذلك أماليه التي خلفها⁸.

8- ينظر: الأميني، محمد فضل الحق، «درس البخاري لسلفنا الأكابر»، ص 61.

ومن بين كبار شيوخ الحديث في مدينة دكا، كان العلامة المصلح الشيخ محمد الله حافظجي حضور، المتوفى سنة 1987 م، رحمه الله تعالى، الذي يعتبر من أبرز الشخصيات العلمية التي أسهمت في تدريس «صحيح البخاري». وقد تميز الشيخ حافظجي بحسن فهمه لمحتوى الكتاب، بالإضافة إلى أسلوبه المميز في التدريس. وكان من عاداته البارزة أنه يختتم درسه اليومي في «الصحيح» بالدعاء والمناجاة، حيث كان يدعو بما يلي:

«اللهم اجعل نبينا لنا فرطاً، وحوضه لنا مورداً، اللهم احشرنا في زمرة، واستعملنا بسنته، وتوفنا على ملته، واجعلنا من حبه. اللهم اجعلنا سامعين مطيعين، أولياء مخلصين، ورفقاء مصاحبين، آمين»⁹.

لم يكن الدعاء الذي كان يختتم به الشيخ حافظجي حضور درسه في «صحيح البخاري» مجرد تقليد يومي، بل مثل مظهرًا من مظاهر ارتباطه العميق بسنة النبي ﷺ، ووسيلة تربوية لغرس محبته في نفوس طلابه، وحثهم على التمسك بهديه. ويُعدّ هذا الأسلوب انعكاسًا لمنهجه في التدريس، الذي لم يقتصر على نقل المعرفة، بل شمل أيضًا بناء الوعي الروحي وتعزيز القيم النبوية في سلوك المتعلمين.

أما ختم «صحيح البخاري» في نهاية العام الدراسي، فقد كان تقليدًا نادر الحدوث في الماضي، إلا أنه مع مرور الوقت بدأت بعض المدارس الإسلامية في بنغلاديش تولي اهتمامًا أكبر بإقامة احتفالات خاصة بهذه المناسبة في السنوات الأخيرة. وتُعد هذه الاحتفالات من أبرز مظاهر العناية بـ «الصحيح»، حيث يُدعى إليها عادةً أحد العلماء البارزين ممن عُرفوا بالعلم والعمل، ليكون ضيف الشرف في هذا المحفل المبارك.

وتشهد هذه المناسبة حضورًا كثيفًا من الطلبة والعلماء والعامّة، حيث يقرأ أحد الطلاب أو مجموعة منهم الباب الأخير من «صحيح البخاري» أمام الشيخ الضيف، الذي يتولى بعد ذلك شرح الحديث شرحًا علميًا يجمع بين الفهم الدقيق والدلالة العملية. كما يقوم الشيخ غالبًا بذكر سنده المتصل إلى الإمام البخاري رحمه الله تعالى. وتجدر الإشارة إلى أن أسانيد شيوخ الحديث في بنغلاديش ترجع في الغالب إلى الإمام الشاه ولي الله الدهلوي، من خلال طرق متعددة مشهورة تلقوها عن مشايخ دار العلوم ديوبند، أمثال شيخ الهند محمود الحسن الديوبندي، والعلامة رشيد أحمد الكنكوهي، والعلامة محمد أنور شاه الكشميري، والعلامة حسين أحمد المدني، رحمهم الله جميعًا.

ويختتم الحفل في الغالب بدعاء مؤثر يتولاه الشيخ الضيف، يشمل فيه الطلاب والحاضرين، متوسلاً إلى الله تعالى بالقبول والتوفيق والثبات على طلب العلم والعمل به. ويُستأنس في هذا المقام بأن الدعاء عقب القيام بعمل صالح يُرجى قبوله، إذ هو من السنن المهجورة التي دلّت عليها سيرة الأنبياء، كما في دعاء خليل الله إبراهيم عليه السلام بعد إتمام بناء الكعبة المشرفة: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، ثم أردف ذلك بقوله: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 127-128]. وهذا يدل على مشروعية التوجه إلى الله بالدعاء بعد إنجاز الأعمال الصالحة، رجاءً في القبول وتوفيقاً لما بعدها.

وتُعتبر هذه العادة -جلسة ختم «صحيح البخاري»- سمة لبعض المدارس التي تحتفل بختم «الصحيح»، بينما تلتزم مدارس أخرى بتقليدها المعتاد، حيث يختتم الدرس كما هو الحال في باقي أيام السنة. وبالرغم من هذا التنوع في الاحتفالات، فإنه يُلاحظ أن هناك بعض الرسائل والكتب الصغيرة المكتوبة بالأردية، والبنغالية، وحتى العربية، التي تتناول هذا الدرس الختامي لختم «صحيح البخاري»، وتوثق ممارسات بعض شيوخ الحديث في هذا السياق.

ومما يُعتبر من مظاهر العناية البارزة بـ «صحيح البخاري» في أوساط العلماء وطلبة العلم في بنغلاديش: الاهتمام بحفظ أحاديثه، باعتباره من أسمى صور التعلق بالسنة النبوية. إذ يحرص شيوخ الحديث في بعض المعاهد على تشجيع طلابهم على حفظ عددٍ من أحاديث «الصحيح»، يتفاوت بحسب القدرة، فقد يكون مئة أو ألف حديث، وتُنظَّم في ذلك مسابقات علمية يُكرَّم فيها الفائزون بجوائز تشجيعية، تقديرًا لجهودهم وتحفيزًا لغيرهم على الاقتداء. ومن الشواهد اللافتة على هذا الاهتمام ما رُوي عن أحد طلاب الحديث في مدينة دكا، أنه حفظ «صحيح البخاري» كاملاً خلال مدة وحيزة بلغت 43 يومًا فقط¹⁰، وهو إنجاز نادر يدل على همة عالية، ويُعد من الصور العجيبة في العناية بحديث النبي ﷺ عمومًا، وبـ «صحيح البخاري» خصوصًا.

ومن مظاهر عناية علماء بنغلاديش، بل وعامة المسلمين فيها، بـ «صحيح الإمام البخاري» دراسة وقراءة، ما استقر عليه العرف عند نزول المصائب أو حلول الشدائد من ختم «صحيح البخاري» في مجلسٍ واحد أو في مجالس معدودة. وغالبًا ما يتولى ثلاثون عالمًا قراءة «الصحيح»، بحيث يقرأ كل واحد منهم جزءًا واحدًا، ليختتم الكتاب كاملاً في جلسة واحدة. وتُعد هذه الممارسة مظهرًا من مظاهر الرجاء في رحمة الله تعالى، وطلبًا للبركة من حديث النبي ﷺ، كما تعكس تعلق المسلمين العميق بالسنة النبوية المطهرة.

10- ينظر: جريدة «الانقلاب» اليومية، دكا، 8 يناير، 2018.

ولا تقتصر هذه الظاهرة على بنغلاديش وحدها، بل تمثل امتدادًا لعادة أصيلة درج عليها علماء المسلمين في عصور متعددة، لا سيما في أوقات الشدائد العامة، كالمجاعات، والأوبئة، والفتن، وغيرها من الأزمات. ورغم صعوبة تحديد بداية دقيقة لهذه العادة، فإن المصادر التاريخية، وكتب التراجم، وشروح «صحيح البخاري»، تشير إلى أنها ممارسة تعود إلى ما يزيد على ثمانية قرون، وقد وثقت في عدد من المواقف التي سجلها المؤرخون والمحدثون.

قال ابن أبي جمرة: «قال لي من لقيته من القضاة الذين كانت لهم المعرفة والرحلة عمن لقي من السادة المقر لهم بالفضل: إن كتابه ما قرئ في وقت شدة إلا فرجت ولا ركب به في مركب فغرقت قط»¹¹.

وقال ابن كثير: «وكتابه الصحيح يستسقى بقراءته الغمام، وأجمع على قبوله وصحة ما فيه أهل الإسلام»¹².

وقال التاج السبكي: «وأما الجامع الصحيح وكونه ملجأ للمعضلات ومجربا لقضاء الحوائج فأمر مشهور، ولو اندفعنا في ذكر تفصيل ذلك وما اتفق فيه لطال الشرح»¹³.

فبعد ختم «صحيح البخاري» عند الشدائد من أبرز مظاهر العناية العملية به في بنغلاديش، امتدادًا لميراث علمي وروحي متجذر في التاريخ الإسلامي. وقد وثقت المصادر وقائع متعددة استُعين فيها بقراءة «الصحيح» لرفع البلاء، مما يعكس مكانته في الوجدان الإسلامي، ليس كمرجع علمي فقط، بل كرمز للسنة النبوية الصحيحة. وتبرز هذه الممارسة عمق ارتباط علماء بنغلاديش بهذا الكتاب، ودورها في ترسيخ حضوره في الحياة العلمية والاجتماعية.

في ضوء ما تقدم، يمكن القول إن المدارس القومية في بنغلاديش أدت دورًا رائدًا في حفظ مكانة «صحيح البخاري» ضمن منظومة التعليم الديني التقليدي، من خلال اعتمادها المتواصل لهذا الكتاب في أعلى مراحل الدراسة، واهتمامها بتدريسه على أيدي كبار العلماء المتخصصين. وقد امتاز منهجها بالتوازن بين الرواية والدراية، مع عناية خاصة بالبعد الروحي والتربوي، مما أضفى على تدريس «الصحيح» طابعًا علميًا متينًا وأثرًا تربويًا ملموسًا. كما أن تعدد أساليب الشرح، وتنوع مظاهر العناية بـ «صحيح البخاري» في هذه المدارس، يعكس الحيوية العلمية العميقة التي ما زالت تُميز التعليم الحديثي في بنغلاديش، ويؤكد أن هذا الكتاب الجليل لا يزال حاضرًا بقوة في البيئة العلمية التقليدية، بوصفه مصدرًا للمعرفة، ومنهجًا في التربية، ووسيلة للتواصل مع الهدي النبوي الشريف.

11- ابن أبي جمرة، «بهجة النفوس»، 1/6، وحكاة الحافظ في «فتح الباري»، 1/13، والقسطلاني في «إرشاد الساري»، 1/29، وغيرهما.

12- ابن كثير، «البداية والنهاية»، 11/250.

13- السبكي، «طبقات الشافعية الكبرى»، 2/234.

المطلب الرابع: إسهامات علماء بنغلاديش في التأليف حول «صحيح البخاري»: شروح وتعليقات بلغات متعددة

يبدو من خلال تصفح تراجم كبار علماء بنغلاديش (وبنغال تاريخيًا) أنهم اعتنوا بصناعة الرجال وتربية الأجيال أكثر من اهتمامهم بتأليف الكتب والرسائل. كما يُلاحظ أن جزءًا كبيرًا من التاريخ العلمي في بنغال لم يُحفظ بالشكل المطلوب. وبما أن بنغال كانت جزءًا من الهند قبل الاستعمار البريطاني، فقد تم تضمين تراجم العديد من العلماء وجهودهم ضمن علماء الهند، مما يجعل من الصعب أحيانًا تحديد علماء بنغال منهم.

ويسعى هذا البحث إلى تقديم قائمة بمؤلفات علماء بنغلاديش حول «صحيح البخاري»، سواء كانت باللغة البنغالية أو الأردية أو العربية، أو الإنجليزية. ويمكن تقسيم هذه المؤلفات إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

القسم الأول: ترجمة «صحيح البخاري» من العربية إلى البنغالية: يشمل هذا القسم جهود العلماء البنغلاديشيين في ترجمة «صحيح البخاري» إلى اللغة البنغالية، بهدف تسهيل وصول الأحاديث النبوية إلى جمهور أوسع من الناطقين بالبنغالية.

القسم الثاني: شروح صحيح البخاري: كليًا أو جزئيًا: يتناول هذا القسم المؤلفات التي تشرح «صحيح البخاري»، سواء كانت شروحًا شاملة للكتاب بالكامل أو شروحًا جزئية تناولت بعض الأبواب أو الأحاديث بشكل خاص.

القسم الثالث: مقدمات عن «صحيح البخاري» أو مؤلفات حوله من زوايا مختلفة: يختص هذا القسم بالدراسات التي تناولت «صحيح البخاري» من جوانب متنوعة مثل ترجمة الإمام البخاري، ومنهجية تصنيفه، بالإضافة إلى المؤلفات التي كتبت مقدمة له أو تناولت بعضًا من موضوعاته بشكل موسع.

القسم الأول:

إن أول من ترجم «صحيح البخاري» إلى اللغة البنغالية في تاريخها هو العلامة شيخ الحديث عزيز الحق، المتوفى سنة 2012 م، رحمه الله تعالى¹⁴. وقد واصل شيخ الحديث هذا العمل العلمي الفريد على مدى ستة عشر عامًا، حتى طُبعت ترجمته في عشرة مجلدات عام 1957 م، فكانت بذلك أول ترجمة بنغالية لكتاب «صحيح البخاري» ترى النور، ولم تكن مجرد ترجمة للأحاديث، بل جاءت مشفوعة

¹⁴ - للاطلاع على ترجمته الموسعة، ينظر: مقدمة ديوان العزيز، ص 26-15، والكملائي، محمد حفظ الرحمن: «البدور المضية في تراجم الحنفية»، 306-12/291، «البواقيت والجواهر في تراجم نبلاء بنغال والأكابر»، 29-6/11، وهارون، ميزان: «رجال صنعوا التاريخ وخدموا الإسلام والعلم في بنغلاديش»، ص 531-511.

بشرح موجزٍ وتعليقاتٍ نافعة؛ حيث لم يكتفِ المترجم بترجمة النصوص، بل شرحها وعلّق عليها بما يقتضيه المقام، وتناول كثيرًا من المسائل العقدية لأهل السنة والجماعة، متجنبًا الخوض في الخلافات الفقهية التي تكثر في الترجمات الأردنية مثلاً.

وقد ردّ على الإشكالات والالتهامات المثارة حول بعض الأحاديث، كما جمع الأحاديث المكررة في موضعٍ واحدٍ، وهو ما ميّز ترجمته عن غيرها، وأكسبها تفوقًا على سائر الترجمات اللاحقة للبخاري إلى البنغالية. وهذه ميزة لا توجد في غيرها من الترجمات البنغالية لهذا الكتاب الجليل.

وتكمن أهمية هذه الترجمة الأولى لـ «صحيح البخاري» في أنها جاءت في وقتٍ كان فيه المسلمون البنغاليون بأمرٍ الحاجة إلى مثل هذا العمل؛ إذ كانت اللغة البنغالية، حتى منتصف القرن العشرين، تفتقر افتقارًا شديدًا إلى المؤلفات في العلوم الإسلامية ونصوص الشريعة الأصلية. فباستثناء بعض الحركات والانتفاضات في مجال الصحافة والإعلام، وقلة من العلماء الذين ألفوا بعض الكتب الدينية أو ترجموا بعضها، كانت البنغالية تمرّ بأدنى مراحل الإفلاس الديني. فجاءت هذه الترجمة لتسدّ ذلك الفراغ العلمي، وتوفي بالدين التراثي الملقى على عاتق العلماء البنغاليين.

ثم توالى بعد ذلك ترجمات «الصحيح» إلى البنغالية تباعًا، ويصعب حصرها في هذا البحث الوجيز لضيق المجال.

القسم الثاني:

وبعد البحث والتتبع، تبين أن شروح «صحيح البخاري» الكاملة من تأليف علماء بنغلاديش قليلة للغاية، بل يكاد ينعدم وجود شرح مفصل كامل صادر عنهم. ومن خلال ما أمكن الوصول إليه، يظهر أن العالم البنغلاديشي الوحيد الذي قام بشرح «صحيح البخاري» كاملاً، وباللغتين: البنغالية والأردية، هو العلامة شيخ الحديث إدريس القاسمي، المتوفى سنة 2019 م، رحمه الله، وأسماه «كشف الباري»، وامتاز هذا العمل بالضخامة والإحاطة، حيث صدر في اثنين وثلاثين مجلدًا، مما يعكس الجهد الكبير المبذول فيه لخدمة هذا الكتاب العظيم ونشره بين الناطقين بالبنغالية.

وبما أن «صحيح البخاري» يُدرّس على نطاق واسع في المدارس القومية في بنغلاديش، فقد كان من الطبيعي أن تظهر أعدادٌ كبيرةٌ من الأمالي والمذكرات التي دوّنها الطلاب أو ألفها بعض الشيوخ أنفسهم أثناء تلك الدروس، والتي جُمعت وطُبعت لاحقًا في صورة كُتُبٍ ورسائلٍ مستقلة. ومن أبرز هذه الأمالي:

«كوكب الساري إلى صحيح البخاري»، بالعربية، من أمالي شيخ الحديث العلامة محمد مشاهد البایمفوري، المتوفى سنة 1969 م، رحمه الله تعالى¹⁵. وهذا طبع في سلهت بتحلل وتعلیق أبی الشریم الکنایغہاتی، والکتاب یشتمل علی شرح عدة أبواب من «صحيح البخاري».

«فضل الباري شرح صحيح البخاري»، بالأردنية، فقد جمع فيه شيخ الحديث العلامة عزيز الحق رحمه الله أمالي دروس شيخه العلامة شبير أحمد العثماني رحمه الله، وقد طبع في ثلاث مجلدات ضخمة، والكتاب يحتوي على شرح كتب عديدة من بداية «صحيح البخاري» إلى كتاب الأذان. والمجلد الثالث منه طبع بتحقيق وتعلیق الأستاذ سعید أحمد بن غياث الدين من المطبعة الرشيدية، داكا عام 2012 م. وقد قَرَّظَه العلامة محمد تقی العثماني وغيره، كما قدم له الشيخ محمد عبد المالك الكُمْلَائي بمقدمةٍ ضافيةٍ.

«درس البخاري»، بالأردنية، ألّفه شيخ الحديث محمد إسحاق، المتوفى سنة 2015 م، رحمه الله، وهو من تلامذة المحدث الكبير العلامة محمد يوسف البنوري رحمه الله، وقد لخص فيه المسائل الفقهية المختلف فيها تلخيصًا حسنًا، وشرح تراجم الأبواب مع الأحاديث شرحًا موجزًا، فهذا الشرح الوجيز لعدة أبواب مختارة من «صحيح البخاري» قد نال إعجاب القراء، وطبع في بنغلاديش وباكستان والهند مراتٍ كثيرةً.

«تقرير البخاري»، بالعربية، وهو أمالي دورس شيخ الحديث عبد القدوس حفظه الله تعالى، رئيس الجامعة العربية إمداد العلوم فريد آباد، داكا، جمعها أحد تلاميذه، محمد منظور حسين زبير، وهو يشمل شرح كتاب الإيمان والطهارة وأبواب من الصلاة على الطريقة الدراسية، وطبع عام 2014 م في 344 صفحة.

«الهادي إلى كتاب المغازي من صحيح البخاري»، بالعربية، ألّفه ملا عبد المؤمن بن حمد المجيدي، وقد تضمّن شرحًا موجزًا لأحاديث وتراجم أبواب من كتاب المغازي في «صحيح البخاري». ألّف المجيدي هذا الشرح أثناء دراسته في دورة الحديث الشريف بجامعة فريد آباد، عام 1434 هـ، وقد قرّظَه أساتذته، مما يدل على يقظة طلاب الحديث في بنغلاديش وحرصهم على الإسهام في خدمة كتاب الإمام البخاري رحمه الله، حتى في أثناء فترة الدراسة. صدر الكتاب عن دار أنور لائبريري في داكا، ويقع في 296 صفحة، ونُشر سنة 1437 هـ.

15- للاطلاع على ترجمته الموسعة، ينظر: الكملائي، محمد حفظ الرحمن: «البدور المضية في تراجم الحنفية»، 18/72، و«البواقيت والجواهر في تراجم نبلاء بنغال والأكابر»، 195-7/193، وهارون، ميزان: «رجال صنعوا التاريخ وخدموا الإسلام والعلم في بنغلاديش»، ص 183-190.

«كنز الباري»، بالإنجليزية، من أمالي شيخ الحديث المفتي سيف الإسلام، مؤسس جامعة خاتم النبيين في برادفورد، بريطانيا، وهو من أصل بنغلاديشي. فقد قام بعض تلامذته بجمع هذا الكتاب من دروسه في شرح «صحيح البخاري» التي ألقاها في تلك الجامعة، ويشتمل على شرح مختصر جدًا لعدد محدود من الأحاديث، مقتصرًا على باب بدء الوحي وكتاب الإيمان فقط. وطُبع الكتاب في 276 صفحة، وصدر عام 2016 م. ومما يؤخذ على هذا الكتاب أن الجامعيين أدرجوا ترجمة موسعة للشيخ سيف الإسلام، تجاوزت خمسين صفحة، وهو ما لا يتناسب مع طبيعة هذا العمل الموجز. ومع ذلك، يُعد هذا الكتاب أول نواة لشرح «صحيح البخاري» باللغة الإنجليزية من قِبَل علماء بنغلاديش، مما يعكس توجهًا نحو خدمة الحديث الشريف بلغة العصر وجمهور المهجر.

القسم الثالث:

«درس البخاري لسلفنا الأكابر»، بالعربية، للعلامة المفتي محمد فضل الحق الأميني، المتوفى سنة 2012 م، رحمه الله تعالى¹⁶. ذكر فيه مناهج أكابر علماء الهند وباكستان وبنغلاديش في تدريس «صحيح البخاري»، ثم أضاف ملحقات في آخره من شرح الحديث الأخير من «صحيح البخاري» وما إلى ذلك من الفوائد المتعلقة بموضوع الكتاب. وقد أورد العلامة الأميني في هذا المصنف جملة من المعلومات النادرة المستقاة من مراسلاته الخاصة مع كبار علماء عصره، من أمثال العلامة محمد يوسف البنوري والعلامة ظفر أحمد العثماني، وهي معلومات تُعد من النواذر التي لا تتوافر في المصادر الأخرى، ما يضيف على هذا الكتاب قيمة توثيقية بالغة الأهمية. والكتاب طبع في حياة المؤلف عام 1407 هـ في 130 صفحة.

«هداية الساري إلى دراسة البخاري»، وهو من تأليف شيخ الحديث العلامة إمداد الحق السلهتي، المتوفى سنة 2020 م، رحمه الله تعالى¹⁷. أَلَّفَ الكتاب بالعربية، وجاء في مجلدين ضخمين، تناول فيه موضوعات متعددة تتعلق بالإمام البخاري وكتابه «الصحيح»، إلى جانب مباحث أخرى ذات صلة، مثل تدوين الحديث وحجته، والتعريف ببعض المحدثين الأوائل ومؤلفاتهم، وكذلك بحث مكانة الإمام أبي حنيفة رحمه الله في علم الحديث وأصحابه المحدثين، إضافةً إلى عرض لتاريخ الحديث في الهند وبنغال. وقد لقي هذا الكتاب قبولاً حسناً لدى العلماء، حيث قرّظه وأثنى عليه جمعٌ من كبار علماء الهند وبنغلاديش، مشيدين بجهود المؤلف في خدمة علوم الحديث.

16- للاطلاع على ترجمته الموسعة، ينظر: الكملائي، محمد حفظ الرحمن: «البواقيت والجواهر في تراجم نُبلاء بنغال والأكابر»، 271-275/، وهارون، ميزان: «رجال صنعوا التاريخ وخدموا الإسلام والعلم في بنغلاديش»، ص 533-544.

17- للاطلاع على ترجمته الموسعة، ينظر: الكملائي، محمد حفظ الرحمن: «البواقيت والجواهر في تراجم نُبلاء بنغال والأكابر»، 1/400-402.

«إزالة القساس عن وجه ما قال البخاري: قال بعض الناس»، بالأردية، لشيخ الحديث المفتي مجيب الرحمن السلهتي حفظه الله تعالى، وقد تناول فيه المسائل التي عرّض بها الإمام البخاري إلى الإمام أبي حنيفة، وشرحها شرحاً مفصلاً، وطبعت هذه الرسالة في بنغلاديش والهند وغيرهما مما ينبئ عن قبولها في أوساط طلاب العلم وشيوخ الحديث في الديار الهندية.

«الوردة الحاضرة في أحاديث تلاميذ الإمام الأعظم وأحاديث العلماء الأحناف في الجامع الصحيح للإمام البخاري»، بالعربية، للأستاذ محمد مفيض الرحمن بن أحمد حسين الشاتغامي، وموضوع هذا الكتاب يتضح جلياً من عنوانه، وقد صدر عن مطبعة زمزم في باكستان، والمؤلف رغم كونه بنغلاديشياً درّس في مدارس كراتشي (باكستان) لسنتين طوال، ومؤخراً قد عاد إلى وطنه بنغلاديش.

«تحفة الأخيار بما في الكتب الستة من المصاريع والأشعار»، بالعربية، ألفه شيخ الحديث محمود حسين بن عبد العزيز السلهتي، حفظه الله تعالى. جمع فيه ما ورد من الأبيات الشعرية والمصاريع في الكتب الستة، فبلغ مجموعها 122 نصّاً، منها 41 بيتاً شعريّاً، وخمسة مصاريع. وقد انتهج المؤلف في شرح هذه الأبيات وتوضيح المصاريع منهجاً بيتاً وطريقاً رشيداً، ابتكره بنفسه، يُظهر بوضوح جهده العلمي وتأمّله في النصوص. والمؤلف بنغلاديشي الأصل، مقيم في بريطانيا، ويعمل شيخاً للحديث في الجامعة الإسلامية بمدينة برمنغهام منذ سنوات¹⁸. ويُعتبر هذا الكتاب من الإسهامات المتميزة التي تُبرز جانباً لطيفاً من جهود علماء بنغلاديش في خدمة كتب الحديث الشريف، وعلى رأسها «صحيح البخاري». صدر الكتاب عن معهد الإيمان في 208 صفحة، عام 2023 م.

18- للاطلاع على ترجمته الموسعة، ينظر: الكملائي، محمد حفظ الرحمن: «البواقيت والجواهر في تراجم نُبلاء بنغال

والأكابر»، 119-114/7.

«الإمام البخاري والمذهب الحنفي»، بالبنغالية، ألفه كاتب هذا البحث بأمرٍ من والده، شيخ الحديث أولياء حسين حفظه الله تعالى. يتناول الكتاب علاقة الإمام البخاري رحمه الله بعلماء المذهب الحنفي منذ صغره، ثم يبرز موافقاته لآراء الحنفية في بعض المسائل الواردة في «صحيحه»، كما يعرض ما نُقل عنه من تعرّضه للإمام أبي حنيفة رحمه الله بعبارة: «قال بعض الناس». وقد حرص الباحث على شرح هذه المسائل وبيان أوجهها، ملتزمًا بأدب البحث والاختلاف، ومظهرًا الاحترام الكامل لمقام الإمام البخاري. وقد طُبِع الكتاب في 128 صفحة، عن دار المكتبة المدنية الجديدة بمدينة سلّهت، بنغلاديش، عام 2016 م، وقد قدّم له الدكتور أ. ف. م. خالد حسين حفظه الله تعالى¹⁹.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن هذه القائمة المخصصة لأعمال علماء بنغلاديش في خدمة «صحيح البخاري» اقتصرَت على المؤلفات الأصلية التي ألفها هؤلاء العلماء. ولم تشمل الأعمال الثانوية كترجمات الشروح الأردية أو العربية إلى اللغة البنغالية، مع أن عددًا كبيرًا من شروح «صحيح البخاري» ومباحثه قد نُقل بالفعل إلى البنغالية، سواء من العربية أو الأردية. كما تُرجم كثيرٌ من الكتب التي تناولت الإمام البخاري وشخصيته ومنهجه وكتابه من مختلف الزوايا العلمية. ولا شك أن رصد هذه الجهود الترجمية وتحليل أثرها في نشر علوم الإمام البخاري بين الناطقين بالبنغالية يمثل موضوعًا علميًا مستقلًا، يستحق دراسة منفصلة تُبرز امتداد تأثير الحركة العلمية العربية والأردية إلى البيئة البنغالية.

ويتبيّن من هذا العرض أن إسهامات علماء بنغلاديش في خدمة «صحيح البخاري» تمتاز بالتنوّع والامتداد عبر عدة لغات، وتُعتبر عن حضور علمي رصين، وإن كان يغلب عليه الطابع التربوي والتقليدي أكثر من التأليف النظري المنهجي. وقد أفرزت البيئة العلمية في بنغلاديش أعمالًا مهمة في الترجمة والشروح والتقرير، مما يعكس عمق الصلة بين هذه البلاد وعلوم الحديث، رغم ندرة الشروح الكاملة وقلة التأليف باللغة العربية مقارنة باللغات المحلية. ويُبرز هذا المطلب صورة من صور تفاعل العلماء البنغلاديشيين مع تراث الإمام البخاري، ويستدعي مزيدًا من العناية البحثية لتوثيق هذه الجهود وتوسيع دراستها في ضوء المعطيات المعاصرة.

19- ولا يتسع هذا البحث الموجز لرصد جميع جهود علماء بنغلاديش في خدمة «صحيح البخاري» من شرح أو تعليق أو دراسة، فضلًا عن التعريف التفصيلي بها. لذا، يُكتفى بالإشارة إلى بعض منها «الفيض الجاري» للعلامة أحمد شفيق، و«منهاج الباري» للشيخ أحمد، و«إلهام الباري» و«غاية القارئ» كلاهما للشيخ مقبول حسين الأصغري، و«تقرير صحيح البخاري» للشيخ فضل الكريم، و«إنعام الباري» لمولانا أمين الدين، و«غنية القارئ» لبديع العالم، و«تعليقات القمري» للشيخ سليم الرحمن القمري، رحمهم الله تعالى، و«حمد الباري» للشيخ محمود الحسن الجاتراباري، و«منة الباري» للشيخ عظيم الدين، و«أنوار المغازي» للشيخ أنوار الحق، و«درس بخاري» للشيخ عمران المظهري، حفظهم الله، وغيرها من المصنفات التي تستحق دراسات مستقلة تُعنى بجمعها وتحققها وتحليل منهجها العلمي.

الخاتمة: نتائج وتوصيات

بعد استعراض الجهود المتنوعة التي بذلها علماء بنغلاديش في خدمة «صحيح البخاري» عبر العصور، يتبين أن هذه العناية لم تكن عرضية أو محصورة في حقبة زمنية محددة، بل شكّلت مسارًا علميًا مستمرًا ومتجذرًا في البيئة التعليمية والدينية في المنطقة. فقد بدأ الاهتمام مبكرًا مع الشيخ شرف الدين أبو تامة في القرن الثامن الهجري، وامتد ليشمل نسخ الكتاب وتدرسه وتأليفه وشرحه في المدارس القومية والجامعات الرسمية. كما تجلّت هذه العناية في اعتماد «صحيح البخاري» مرجعًا أساسيًا في مراحل التعليم العالي، وفي إقامة مجالس ختمه سنويًا، وختمه قراءةً في مجلس واحد عند الشدائد والمصائب، مما يعكس ارتباطًا علميًا وروحانيًا وثيقًا بسنة النبي ﷺ.

إن هذا التراث العلمي الثري الذي ساهم ويساهم به علماء بنغلاديش، رغم أنه بقي في كثير من جوانبه غير موثق أو متداول خارج الإطار المحلي، إلا أنه يُعدّ إضافة مهمة للجهود العالمية في خدمة السنة النبوية، ويستحق مزيدًا من البحث والتدوين، لتقديمه للأمة الإسلامية ضمن سياقه العلمي الصحيح، ولإبراز المكانة التي احتلتها هذه البلاد في خريطة العناية بالحديث الشريف عامةً، وبـ «صحيح البخاري» خاصةً.

كما أن إبراز هذه الجهود يساهم في ردم الفجوة المعرفية بين المراكز العلمية العربية ونظيراتها في جنوب آسيا، ويدعم التواصل الحضاري داخل الأمة الإسلامية. ومع كل هذه الجهود المشكورة في خدمة «صحيح البخاري»، لم يقف الباحث على مؤلفات أو دراسات متخصصة لعلماء بنغلاديش في الدفاع عن الإمام البخاري أو «صحيحه»، أو في الرد على شبهات المستشرقين والحدائيين ومنكري السنة. وهذا لا يعني بالضرورة غياب الوعي بهذه القضايا؛ فقد يكون ذلك اكتفاءً بما كتبته شخصيات علمية من خارج البلاد، أو اعتقادًا بأن البيئة الفكرية في بنغلاديش لم تُخترق بعد بمثل هذه الطروحات، أو ربما يعود السبب إلى عدم الاطلاع الكامل على أحدث ما أثير من شبهات خارج البلاد. إلا أن الواقع الفكري المتغير، خاصةً في أوساط طلاب الجامعات الرسمية والمثقفين المنفتحين على النتاج الغربي والحداثي عبر الوسائل الرقمية، يستدعي الالتفات إلى هذا الجانب المهم. وعليه، فإنّ من الملائم أن يضطلع بعض العلماء البنغلاديشيين بمهمة الرد العلمي المنهجي، دعمًا لما قدّموه من جهود تعليمية وتأليفية مشكورة.

كما يقدم البحث التوصيات التالية:

الاهتمام بتوثيق جهود العلماء البنغلاديشيين في تدريس وشرح «صحيح البخاري»، من خلال جمع المخطوطات، وتحرير التراجم، وتحقيق الأعمال غير المنشورة.

تشجيع الدراسات الأكاديمية باللغة العربية حول جهود علماء بنغلاديش في الحديث الشريف، لتسهيل تداولها والاستفادة منها في الأوساط العلمية خارج شبه القارة الهندية.

إعداد موسوعة علمية شاملة تتناول جهود علماء بنغلاديش في السنة النبوية، تشمل التدريس، والنسخ، والشروح، والحواشي، والمجالس العلمية، مع تصنيف زمني وجغرافي منهجي.

حث الجامعات الإسلامية والمؤسسات العلمية في العالم الإسلامي على التعاون مع العلماء البنغلاديشيين، وعقد ندوات ومؤتمرات علمية مشتركة تُعنى بخدمة الحديث الشريف.

إطلاق مشروع بحثي أو إعداد دراسات أكاديمية متخصصة للرد على شبهات المستشرقين والحدائثيين حول «صحيح البخاري»، بمشاركة علماء بنغلاديش وباللغة البنغالية، دعمًا للموقف العلمي الإسلامي ومواكبةً للتحديات الفكرية المعاصرة.

هذا، وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه وسلّم، والحمد لله ربّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن أبي جمرة، أبو محمد عبد الله، «بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة ما لها وما عليها»، بيروت، دار الجيل، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.
- ابن كثير، عماد الدين، «البداية والنهاية»، دمشق، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، 1434 هـ = 2013 م.
- الأعظمي، نور محمد، «تاريخ الحديث في بنغال»، دكا، المطبعة الإمدادية، الطبعة الثالثة، 1429 هـ = 2008 م.
- الأميني، محمد فضل الحق، «درس البخاري لسلفنا الأكابر»، دكا، المكتبة الأمينية، الطبعة الأولى، 1407 هـ = 1987 م.
- الحسني، عبد الحي، «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»، بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1420 هـ = 1999 م.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، «طبقات الشافعية الكبرى»، الرباط، دار هجر، الطبعة الثانية، 1413 هـ = 1993 م.
- السلهتي، إمداد الحق، «هداية الساري إلى دراسة البخاري»، دكا، دار الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1423 هـ = 2002 م.
- السلهتي، محفوظ أحمد، «نسخة صحيح البخاري بخط عالم بنغالي في بداية القرن العاشر الهجري»، شبكة الألوكة، 1441 هـ = 2020 م.
- صودري، مصباح الحق وآخرون، «مناهج تدريس الحديث الشريف في جامعات بنغلاديش: الإيجابيات والسلبيات»، ماليزيا، معالم القرآن والسنة (مجلة محكمة)، السنة الثانية عشرة، العدد الثالث عشر، 1438 هـ = 2017 م.
- الكملائي، محمد حفظ الرحمن، «اليواقيت والجواهر في تراجم نبلاء بنغال والأكابر»، دكا، مكتبة شيخ الإسلام، الطبعة الأولى، 2441 هـ = 2020 م.
- الكملائي، محمد حفظ الرحمن، «البدور المضية في تراجم الحنفية»، القاهرة، دار الصالح، الطبعة الأولى، 9341 هـ = 8102 م.
- الكملائي، محمد عبد المالك، «المدخل إلى علوم الحديث الشريف»، دكا، مركز الدعوة الإسلامية، الطبعة الرابعة، 2441 هـ = 1202 م.
- هارون، ميزان، «رجال صنعوا التاريخ وخدموا الإسلام والعلم في بنغلاديش»، دكا، دار البيان، 0441 هـ = 8102 م.





المحور الخامس

مشكلات ومآخذ على الجامع
الصحيح والأجوبة عنها



موقف الأمام البخاري النّقي عند إيراده للتراجيم المُعَلّة في مُصنّفاته وأثره في حل الإشكالات الواردة في الروايات الحديثيّة

حديث «الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ» نموذجاً

إعداد

د. فيصل أحمد

دكتوراه في الشريعة الإسلامية، تخصص الحديث الشريف،
محاضر في كلية الشريعة، جامعة سليمان ديميرال.



1. تمهيد

إنَّ الشريعةَ الإسلاميةَ تميزت بالعدل الذي هو أساس هذا الدين؛ والذي أمر الله به قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾¹. كما نهى ربنا عن الظلم؛ لابل نفى هذه الصفة عنه سبحانه حيث قال في مُحكم كتابه: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾². وقد جاء في الحديث القدسي الصحيح: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»³ واستناداً الى ذلك فمن العدل ألا يؤخذ البريء بجريرة أفعال غيره طالما أنها ليست من كسبه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾⁴.

هذا وقد أجمعت الأمة على أنَّ البلوغ شرط من شروط التكليف الذي تترتب عليه أحكام الشريعة الإسلامية عقوبة وجزاء؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ ﴾⁵، وقد وردت نصوص كثيرة صريحة في القرآن والسنة تدل على أنَّ من لم يبلغ الحلم لا يعذب في الآخرة؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل»⁶. وقد حكى غير واحد من علماء الإسلام أنَّ هؤلاء الأطفال في الجنة لأنهم ليسوا مكلفين قال النووي رحمه الله: «أجمع من يُعتد به من علماء المسلمين: على أنَّ من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة؛ لأنَّه ليس مكلفاً»⁷.

1- سورة النحل، 16/90.

2- سورة فصلت، 41/46.

3- صحيح مسلم، رقم 2577.

4- سورة الاسراء، 17/15.

5- سورة النور، 24/59.

6- سنن أبي داود، رقم 4403.

7- النووي، شرح صحيح مسلم، 207/16.

ومما تقرر في الشريعة الإسلامية أنَّ مناط التكليف هو العقل والاختيار؛ ومما هو معلوم أيضاً أنَّ ضابط العقل فيها هو البلوغ والسلامة من الآفات العقلية، كما أنَّ ضابط الاختيار حرية الإرادة والقدرة على تطبيق الأوامر والأحكام الشرعية. ولهذا لا يُسأل ولا يُعاقب الصغير الذي لم يبلغ الحلم لعدم اكتمال عقله، كما لا يُسأل المجنون لزوال عقله، لأنَّ شرطاً من شروط التكليف قد انتفى.

ويمكن القول أنَّ الاشكالية في حديث «الوائدة والموءودة في النار» تكمن في أنه يجعل الموءودة وهي الطفلة الصغيرة التي تدفن في التراب و التي لم تبلغ الحلم في النار على الرغم أنَّ نصوص الشريعة صريحة في عدم تكليفها؛ لابل إنَّ القرآن الكريم شتَّع على أولئك الذين يُندون البنات في الجاهلية بدون ذنب ارتكبنه قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾⁸ واستناداً الى ذلك فإنَّ المذهب الصحيح المختار عند المحققين من أهل العلم أنَّ أطفال المشركين الذين يموتون قبل البلوغ هم من أهل الجنة، فإذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة، فلان لا يعذب غير العاقل من باب الأولى. يُضاف الى ذلك أنَّ هذا الحديث يُحمَّل من لا ذنب له وزر غيره وجريته، وهو أمرٌ مشكَّل في دين عظيم أسأسه العدل والإنصاف، قد جاء بأحكامه نبيُّ الرحمة الذي اتسم هديه بإنصاف المظلومين ورفع الظلم عنهم. لذا جاءت هذه الدراسة في محاولة لإزالة الإشكال عن هذا الحديث من خلال دراسته من منظور نقاد عصر الرواية وموقفهم النقدي المتمثل بموقف البخاري النقدي من هذا الحديث في تاريخه الكبير والذي يشكل خارطة الطريق للوصول إلى النتائج المرجوة في هذه الدراسة دون الحاجة الى تأويله بتأويلات بعيدة وغير مقنعة. و استناداً لما سبق وللوصول إلى النتائج المرجوة قمتُ بتقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث وخاتمة كما يلي:

المبحث الأول: التراجم المعلة التي أوردتها البخاري في التاريخ الكبير وأهميتها في الحكم على الراوي والمروي.

المبحث الثاني: إشكالية حديث «الوائدة والموءودة في النار» ومواقف المحدثين منه وتوجيهاتهم المختلفة له.

المبحث الثالث: موقف الإمام البخاري من حديث الوائدة ودوره في حل الإشكال الوارد فيه من خلال طريقة إيراده لطرقة وألفاظه في كتابه التاريخ الكبير. ثم ختمت بأهم النتائج والتوصيات.

2. التراجم المعلة التي أوردتها البخاري في التاريخ الكبير وأهميتها في الحكم على الراوي والمروي

1.1. التعريف بمصطلح التراجم المعلة وأهميتها ومراحل تطورها

إنَّ مصطلح التراجم المُعلة مصطلح جديد استخدم في العصور المتأخرة وإن كانت تطبيقاته موجودة منذ عصر الرواية عند المحدثين، إذ كان وليد الحاجة في تلك المرحلة للحكم على الراوي والمروي؛ ما حذا بمحدثي عصر الرواية إلى جمع معلومات تفصيلية عن الراوي تمكنهم من الحكم عليه وعلى مروياته من خلال عرض ترجمة تفصيلية له؛ حيث ظهر اهتمام المحدثين جلياً بهذا الأمر في كتب السؤالات الحديثية التي احتوت على بعض التفصيلات عن الراوي⁹؛ كاسم الراوي وكنيته ولقبه والحكم عليه ومقارنته بغيره من الرواة وبيان حاله توثيقاً وتضعيفاً، مع تضمين هذه السؤالات في بعض الأحيان ما يتعلق بروايات هذا الراوي من علل كالانقطاع والارسال والرفع والوقف. ويمكن القول إن من أوائل كتب السؤالات التي تناولت التراجم المعلة سؤالات الدوري لابن معين و سؤالات المروزي لأحمد بن حنبل¹⁰. ثم تطور التصنيف في هذا الموضوع ليقترّب من الاستقلالية وذلك بتأليف الامام البخاري لكتابه التاريخ الكبير والذي شكل نقلة نوعية في هذا المجال، إذ حوى كثيراً من التراجم المعلة متمثلة بذكر التفصيلات عن الرواة ومروياتهم وقد أشار البخاري في كتاب التاريخ الكبير الى ملامح هذا الاصطلاح في تراجم الكتاب بقوله «قُلَّ اسمٌ في التاريخ الكبير الا وله عندي قصة الا اني كرهت تطويل الكتاب»¹¹ وقصة الراوي التي قصدها البخاري في قوله هذا هي التفصيلات والنكات المتعلقة به وبروايته ما يسهم في الحكم عليه وهو ما عرف بعد ذلك بالتراجم المعلة.

هذا وقد تميز أسلوب النقاد في هذه المرحلة بالاختصار والاجتزاء والاشارة الى العلل الواردة في حديث الراوي من خلال عرض ترجمة مختصرة له قد تتضمن روايات معينة لمقصدي نقدي يريده الناقد. ويمكن القول إنَّ من أبرز ملامح منهج هؤلاء العلماء في هذه المرحلة الاشارة الى أخطاء الرواة بأسلوب إشاري مع شيء من الاختصار مع عدم وضوح الدليل لقارئ هذه التراجم وهو ما يصدق على أسلوب البخاري في تاريخه الكبير كما سيتبين لنا في هذه الدراسة.

ثم تلت هذه المرحلة تصنيف مؤلفات احتوت على التراجم المعلة معزودةً بالأدلة والتوضيحات التي تبين سبب جرح الراوي والمروي ومن هذه المصنفات كتاب «المجروحين» لابن حبان و«الكامل في الضعفاء» لابن عدي، ثم تطورت الدراسات في هذا المجال لتتجه إلى الشمولية في ذكر أقوال النقاد في الرواي وذكر السيرة

9- أحمد بدري البشاشة، التراجم المعلة، 22، وما بعدها.

10- أحمد بدري البشاشة، التراجم المعلة، 24.

11- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 2/326؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، 12/400.

العلمية الإجمالية مع جمع شتات ما تفرق من علل الراوي وأخطائه؛ وكان من أهم هذه المصنفات كتاب «سير أعلام النبلاء» و«تذكرة الحفاظ» للذهبي. ثم تتابعت جهود العلماء في الاهتمام والتصنيف في هذا المجال من الناحية التطبيقية إلا أنَّ مصطلح «التراجم المعلة» لم يؤصل تأصيلاً نظرياً في هذه الفترة الزمنية وبقي الأمر على هذا الحال حتى عصرنا الحديث، حيث بدأ عدد من المعاصرين بالاهتمام بهذا المصطلح لثمر جهودهم تأصيلاً علمياً له وذلك من حيث بيان معنى هذا المصطلح ومفهومه وأهميته ومصادره وثمرته ومراحل تطوره ومناهج المحدثين في إيراد هذه التراجم في مصنفاتهم، فقد أطلق هذا الاصطلاح على هذا الفن حديثاً من قبل بعض المعاصرين ومن أوائل الذين استخدموا هذا المصطلح د. همام سعيد في تحقيقه لـ «شرح علل الترمذي» ود. عبد الكريم الوريكات في رسالته «الوهم في رواية مختلفي الأمصار» و أسعد تيم في كتابه «علم طبقات المحدثين» ليأتي د. أحمد بدري البشايشة ليتناول هذه التراجم بشكل مفصل في رسالته «التراجم المعلة» ليضع تعريفاً للتراجم المعلة بأنها: تعريف بالراوي يبين مواطن الضعف والقوة في أحاديثه تفصيلاً وتدليلاً، للوصول إلى صفة التعامل معها قبولاً ورداً بالنظر إلى صفات وأحوال تختص به.¹² حيث تناول دراسة هذا الموضوع بشكل مُفصل ما يجعل هذه الدراسة من أهم الدراسات الحديثة في هذا المجال لمن أراد الاستزادة في هذا الجانب.

2.2. أهمية التراجم المعلة التي ساقها البخاري في تاريخه الكبير للتعامل مع مرويات الراوي المشككة .

لقد شكّل تصنيف التاريخ الكبير نقلة نوعية في موضوع التراجم المعلة، لما حواه من مادة علمية أبهرت أهل زمانه، والدليل على ذلك مواقف جهابذة هذا الفن عند تصنيف البخاري لهذا الكتاب؛ فما إن انتهى البخاري من تصنيف التاريخ حتى بدأ المحدثون بتداوله والاستفادة منه والتصنيف على منواله فقد نُقِلَ عن عدد كبير من العلماء في ذاك الزمان قولهم: «حاجتنا من الدنيا النظر في كتاب محمد بن إسماعيل»¹³ وقد ذكر غير واحد من أهل الحديث أنَّ البخاري كان له السبق في التصنيف في هذا الموضوع بهذا الشمول وهو مما يتفق عليه المحدثون في جميع العصور؛ كالحاكم الكبير إذ قال: «وكتاب محمد بن إسماعيل في التاريخ كتاب لم يسبق إليه»¹⁴ وكذا الحافظ بن رجب قال أيضاً: «وقد سبق الناس إلى تصنيف الصحيح والتاريخ»¹⁵ ومن المعاصرين الشيخ المعلمي اليماني حيث قال: «وأول من صنف جامع لأسماء الرواة إلا من شدَّ هو التاريخ الكبير للإمام البخاري»¹⁶.

12- أحمد بدري البشايشة، التراجم المعلة، 22، 24.

13- الذهبي، سير أعلام النبلاء، 12/426.

14- الحاكم الكبير، الأسامي والكنى، 2/274.

15- ابن رجب، شرح علل الترمذي، 1/496.

16- الخطيب البغدادي، الموضح لأوهام الجمع والتفريق، 1/1.

ويُعد كتاب التاريخ الكبير من أهم مصادر التراجم المعللة المتضمنة للنكات والفوائد الحديثية فقد حوى عدداً كبيراً من هذه التراجم، بحيث يورد شيوخاً للراوي مشيراً إلى علاقته بهم، مع ذكر تلاميذ الراوي لكونهم أوثق الناس فيه وقد يكون العكس تماماً، إذ قد يورد اسم الراوي المترجم له ويذكر شيخه مع عبارة عدم السماع، وقد يذكر حديثاً من جملة أحاديث الراوي للإشارة إلى أن الراوي المترجم له قد أخطأ أو نسي أو لم ينقل كل ما سمعه كله أو فهم من اللفظ غير ما أراده النبي صلى الله عليه وسلم¹⁷.

لذا فإنَّ استخلاص النكات الدقيقة التي أشار إليها نقاد الحديث وضمّنها في التراجم المعللة، وخصوصاً تلك التي قصدها البخاري تمثل خارطة الطريق لحل الاشكالات الواردة في هذه الروايات المشككة، من خلال الحكم على هؤلاء الرواة بالقوة أو الضعف والحكم على مروياتهم بالقبول أو الرد وهذه الفوائد والنكات مما لا يسع المشتغل في هذا المجال جهلها؛ لا بل إنَّ إغفال الدراسات لمثل هذه التفاصيل المهمة التي أوردها نقاد الحديث في هذه التراجم يؤدي إلى إطلاق أحكام خاطئة على هذه المرويات. ما يسهم في زيادة الإشكال فيها كما سلاحظ هذه الدراسة التي ستتناول آراء العلماء وأحكامهم المتضاربة عند تناولهم حديث الوائدة والموعودة نموقف البخاري النقدي عند إيراده لهذا الحديث في ترجمة سلمة بن يزيد الجعفي.

1.2. محتويات الكتاب من تراجم الرواة وأحاديثهم

حوى كتاب التاريخ الكبير على مادة علمية غزيرة؛ كأسماء الرواة والعلل والجرح والتعديل والتي تشكل مادة التراجم المعللة الأساسية حيث أحصى بعض الباحثين عدد التراجم فيه لتصل إلى 13798 ترجمه تقريباً كما في نسخته المطبوعة، وهذه التراجم موزعة على الشكل التالي¹⁸: الجزء الأول والثاني: (2894) راوياً الجزء الثالث والرابع: (3176) راوياً والجزء الخامس والسادس: (3267) راوياً و الجزء السابع والثامن: (3452) راوياً والجزء التاسع: (993) راوياً وقد خصصه البخاري للكنى؛ كما احتوى على كثير من متون الحديث حيث بلغت (6095) متناً ما بين متصل ومنقطع¹⁹.

17- نعمة الله الاعظمي، الفوائد المهمة في دراسة الحديث، 47، 48.

18- محمد عبد الكريم عبيد، تخريج الأحاديث المسندة المرفوعة في التاريخ الكبير، 240.

19- خالد معروف عليه، منهج الامام البخاري في ذكر شيوخ الرواة المترجمين في تاريخه الكبير، 32.

2.2. طريقة استخلاص موقف البخاري من التراجم المعلة للحكم على الراوي أو المروي

لقد صنّف البخاري تاريخه وهو يعني أنّ فهم منهج تصنيف الكتاب من الأمور التي قد يصعب فهمها لذا قال « لو نشر بعض أستاذي هؤلاء لم يفهموا كيف صنت التاريخ » وقال أيضاً « وقلّ اسمٌ في التاريخ إلّا وله عندي قصة إلّا أنّي كرهت تطويل الكتاب » ولم يقتصر البخاري على هذا المنهج في التاريخ بل كان الاختصار سمة جُلّ مصنفاته وخصوصاً كتاب التاريخ حيث اقتصر فيه على التلويح دون التصريح؛ وقد صعب على من عاصره وذاكره فهم عبارته، فما بالنّا فيمن بعده، قال البخاري « ذاكرني أصحاب عمرو بن علي الفلاس بحديث، فقلت لا أعرفه فسروا بذلك وصاروا الى عمرو بن علي فقالوا له ذاكرنا محمد بن إسماعيل بحديث فلم يعرفه، فقال عمرو بن علي الفلاس: « حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث »²⁰ ما يوجب على الدارسين للتراجم المعلة التي يوردها البخاري في تاريخه الكبير التّأني وإمعان النظر لاستخلاص النكات التي قصدها البخاري في هذه التراجم وفهم اصطلاحاته النقدية. إذ يرى الباحث أنّ أبرز الطرق تعين على فهم مراد البخاري ومقصده من ايراد الترجمة في التاريخ الكبير الطرق التالية:

الطريقة الأولى: الرجوع إلى المصادر التي ألفت في زمانه أو بعده، سواء أفرد ذلك بالتصنيف أو ممن تكلم عليه مدرجاً في كتابه أو نوّظر فيه كسؤالات الترمذي له في كتاب علل الترمذي فهذه السؤالات قد تفكّ ألغاز التاريخ الكبير مايسهم في استظهار موقفه.

الطريقة الثانية: جمع ألفاظ الجرح والتعديل الواردة في التاريخ ومقارنتها بأقوال أئمة الجرح والتعديل لمعرفة مراد البخاري من لفظ معين كقول البخاري « فيه نظر » أو في « حديثه نظر » أو « في اسناده نظر » كما فعل محمد فرحات لاستظهار مراد البخاري من هذه الالفاظ في كتابه (قطف الثمر في تحرير قول البخاري فيه نظر) فهذه الدراسات تعين الباحث على فهم مراد البخاري لمثل هذه الإطلاقات عند ورودها في تراجم الرواة .

الطريقة الثالثة: الأبحاث والدراسات المعاصرة ولا سيما بحوث الدكتوراه والمجلات العلمية المحكمة ومن هذه الرسائل المهمة التي اطلع عليها الباحث، منهج الامام البخاري في ذكر الرواة المترجمين في التاريخ الكبير للدكتور خالد معروف عليوه الذي أشرنا اليه سابقاً. هذا ولا ننسى أنّ لكل ترجمة قرائنها المحتفة بها وهذه القرائن تلعب دوراً كبيراً في الحكم على الراوي والمروي والتي ينبغي على الباحث مراعاتها لاستخلاص موقف البخاري بشكل صحيح.

20- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 2/338؛ ابن حجر، تهذيب الكمال، 24/454.

3. إشكالية حديث «الوائدة والموعودة في النار» ومواقف المحدثين وأحكامهم وتأويلاتهم له

لقد كان للعلماء وخصوصاً المحدثين منهم مواقف متباينة من حديث الوائدة والموعودة، إذ كان للإشكال الوارد فيه دورٌ كبير في إحداث هذا التباين في هذه المواقف كما سيتبين لنا في هذا المبحث الذي سيسلط الضوء على أحكام العلماء وآراءهم ومواقفهم من هذا الحديث والتي سنستعرضها كما يلي:

1.3. المصححون للحديث

إنَّ الإشكال الوارد في هذا الحديث لم يمنع بعض العلماء من تصحيح هذا الحديث حيث تقاربت اصطلاحات هؤلاء العلماء التي أطلقوها عند تصحيحهم لهذا الحديث؛ فمنهم من صحح الحديث دون التطرق إلى الإشكال الوارد فيه؛ ومنهم من صححه متأولاً هذا الحديث؛ والبعض الآخر ذهب إلى الحكم على سند الحديث بالصحة دون التطرق إلى إشكالية المتن ومعارضته لنصوص الشريعة وثوابتها؛ وسنتناول دراسة أقوال هؤلاء العلماء كما يلي:

1.1.3. القائلون بتصحيح الحديث دون التطرق إلى الإشكال الوارد فيه

ذهب بعضُ المحدثين إلى القول بصحة هذا الحديث دون التطرُّق إلى الإشكال الوارد فيه كالإمام الدارقطني؛ والذي يرى صحة هذا الحديث وأنه على شرط البخاري ومسلم حيث ألزم البخاري ومسلم إخراج²¹. وسواء كان مقصد الدارقطني إلزام الشيخين إخراج الحديث على منهجهما وشرطهما في التصحيح، أو كان قصده أنه ينبغي إخراج وإيداع الحديث في الصحيحين؛ فكل المقتضيين يدلان على أنَّ الدارقطني يرى أنَّ حديث الوائدة هو في أعلى درجات الصحة لتوافر شرط البخاري ومسلم فيه وهذا ما يفهم من صنيعه في كتاب الإلزامات²².

وجدير بالذكر أن بعض المعاصرين فهم أن للدارقطني قولان؛ قولٌ بتصحيح الحديث وهو ما ذهب إليه في كتاب الإلزامات والتتبع، وقول آخر في كتاب العلل حيث يرى أنَّ هذا الحديث مضطرب. وعند الرجوع إلى كتاب علل الدارقطني تبين أنَّ الدارقطني أعلَّ بعض طرق الحديث ورجَّح رواية سلمة بن يزيد الجعفي وأنها أصحُّ روايات الحديث وهي التي ألزم البخاري ومسلم إخراجها لتوافر شرط الصحة فيها، وهو ما يفهم من صنيعه في كتاب العلل²³. فيكون موقف الدارقطني هو الحكم على حديث الوائدة بالصحة من طريق سلمة بن يزيد الجعفي وإعلاله لبعض الطرق الأخرى، لا كما فهم بعض المعاصرين أنَّ له قولان متعارضان²⁴.

21- الدارقطني، الإلزامات والتتبع، 99.

22- فيصل أحمد، منهج الدارقطني في التصحيح على شرط الشيخين، 37.

23- فيصل أحمد، منهج الدارقطني في التصحيح على شرط الشيخين، 38.

24- خالد علوان، حديث الوائدة والموعودة في النار دراسة نقدية، 25/2391.

ويمكن القول إنَّ سبب عدم تطرق الدارقطني للإشكال الوارد في هذا الحديث أنَّ منهجه في كتاب الإلزامات يعتمد على تصحيح الحديث استناداً إلى صحة سنده في الغالب؛ فإذا توافر في سند الحديث رجال الشيخين أو أمثالهم من جهة العدالة والموثوقية وخلوها مما يقدر ويطنع في أسانيدنا فإنَّ الدارقطني يرى صحة هذه الأحاديث دون النظر إلى متونها، لذا نلاحظ قلة المتون التي ذكرها الدارقطني في كتاب الإلزامات لأنَّ منهجه في التصحيح يعتمد على صحة وسلامة الأسناد غالباً.

ومن الذين يرون صحة هذا الحديث أيضاً دون التطرق إلى الإشكال الوارد فيه الحافظ ابن حبان البستي فقد أخرج هذا الحديث في صحيحه ما يفهم من ذلك تصحيحه لهذا الحديث²⁵. ويلحق بالأقوال السابقة فيما وقفت عليه من الأحكام ما ذهب إليه الحافظ الهيثمي معبراً عن ذلك بقوله: رجاله رجال الصحيح دون الدخول في تفاصيل الإشكال الوارد فيه²⁶.

2.1.3. القائلون بصحة الحديث مع تأويله

ذهب عددٌ من العلماء إلى صحة الحديث متأولينه لرفع الإشكال عنه لأنَّ وجود الإشكال فيه يشكل عائقاً لقبول هذا الحديث. وسنتناول في هذا المبحث توجيهات العلماء لهذا الحديث وتأويلاتهم له. فصحة بعض طرق الحديث وتصحيح بعض المحدثين المتقدمين للحديث مع معارضته لقواعد الشريعة في عدم ترتب العقوبة والجزاء على من لم يبلغ الحلم؛ هذا ببعض العلماء إلى تأويل الحديث لإزالة الإشكال الوارد فيه ما يؤدي إلى عدم طرح الحديث ورده. وسنستعرض هذه التأويلات مع مناقشتها إن لزم الأمر كما يلي:

1.2.1.3. المذهب الأول: أن هذه القصة واردة في سبب معين فلا تُحمل على العموم

يرى أصحاب هذا المذهب أنَّ هذه القصة وردت في سبب معين فلا تُحمل على العموم؛ أي أن هذا الحديث خاص بأمر سلمة واسمها مليكة وبابنتها التي وأدتها، فيكون النبي صلى الله عليه وسلم قد علم - بالوحي - أنَّ مصير هذه الموءودة في النار. وإلى هذا القول مال البيهقي؛ إذ لم يرض البيهقي إهدار الحديث رغم معارضته ما هو أصح منه من الأحاديث التي تدل صراحة على أن أطفال المشركين في الجنة، فذهب إلى أنَّ هذا الحديث ورد في حادثة مخصوصة²⁷. كما نحى هذا

25- ابن حبان، المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع، 522 / 16.

26- نور الدين الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 1/119.

27- البيهقي، القضاء والقدر، 1/351.

المنحى الإمام السبكي و ابن عبد البر أيضاً²⁸ وإلى هذا القول مال ابن القيم²⁹. كما نقل العظيم آبادي عن بعض المعاصرين أنَّ هذه الحادثة واقعة عين في شخص معين³⁰.

2.2.1.3. المذهب الثاني: المراد بالوائدة القابلة والموعودة أم الطفلة

أي بمعنى أنَّ «الموعودة» يقصد بها «الموعود لها» وهي الأم، وليست البنت التي دُفنت في التراب؛ وقد مال إلى إختيار هذا التأويل المناوي في كتابه «فيض القدير»؛ أو قد يقال بأن ذلك مؤول بما ذكره بعضهم من أنَّ الوائدة هنا هي القابلة التي ترضى بدفن البنت في الحفرة كما كانوا يفعلونه في الجاهلية، والموعودة بأنها الأم أي الموعود لها؛ حيث لم يرتض المناوي مذهب القائلين بأن الحادثة مخصوصة؛ بل مال الى ترجيح ما ذهب اليه بقوله: وهذا أولى من ادعاء أنه واردٌ على سبب خاص وواقعة معينة³¹. ويمكن القول إنَّ التكلف ظاهرٌ في هذا المذهب لاسيما وأنَّ اطلاق الموعودة على أم الطفلة لم يشتهر عند العرب ولم يذكر في كتب اللغة ولم يعرف في ذلك العصر، ثم إنَّ طرق الحديث التي ورد فيها وصف الموعودة بأنها لم تبلغ الحنث لقول سلمة وأخيه «إنَّ أمانة وأدت بنية لها صغيرةً فما حالها؟»³² لذا فان هذا التأويل لا يحل الإشكال الوارد في هذا الحديث. وقد ذهب الألباني إلى قول قريب من هذا المذهب بقوله «إنَّ المقصود من هذه العبارة «الوائدة والموعودة» له؛ أي الزوج في النار، فالوائدة مصرح به بأنه هي الأم لأنها مؤنثة، أما الأب لم يذكر في الحديث صراحة لكن ذكر ضمناً، لأنَّ قوله والموعودة، لا يمكن أنَّ يحمل على ظاهر النص، لأنَّ الشريعة قاطعة الدلالة على أن الطفل الصغير الذي لم يبلغ سن التكليف ليس مكلفاً ولا مؤاخذاً فلا يحكم عليه بأنه من أهل النار، ولذلك فتأويل لفظ (والموعودة له) هو زوج الوائدة»³³. وهو تأويل بعيد كما نرى، يجاب عليه بما أجبنا سابقاً.

4.2.1.3. المذهب الرابع: أنَّ الموعودة في هذه فتاة بالغة وليست صغيرة

تأول بعض المحدثين لفظة «الموعودة» الواردة في الحديث بأنها بالغة، لذا استحققت العقاب في النار وإلى ذلك ذهب ابن حزم الأندلسي و ابن القيم؛ قال ابن القيم: فليس في الحديث أنَّ الموعودة لم تكن بالغة فلعلها وئدت بعد بلوغها³⁴.

28- ابن عبد البر، التمهيد، 120/18.

29- ابن القيم، أحكام أهل الذمة، 2/95.

30- العظيم آبادي، عون المعبود، 322/12.

31- السهارنفوري، بذل المجهود في حل سنن أبي داود، 135/13.

32- ابن سعد، الطبقات، 1/324؛ ابن عبد البر، التمهيد، 11/382.

33- الألباني، سلسلة الهدى والنور، شريط : 15 توقيت الفهرسة : 00:50:29.

34- علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي، الفصل في المل والأهواء والنحل، 4/59.

وهذا القول يعارضه اللفظ الوارد في بعض الطرق «لم تبلغ الحنث» ولفظ «أن أئماً وأدت بنية لها صغيرة فما حالها» وقد حاول ابن القيم الإجابة عن هذا الاعتراض بما يلي: «فإن قلت: فلفظ الحديث «لم تبلغ الحنث؟» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الوائدة والمعوودة في النار». فقد قال أبو محمد ابن حزم: هذه اللفظة؛ وهي قوله «لم تبلغ الحنث» - ليست من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا شك، وأن النبي أنكر قولهما «لم تبلغ الحنث» لأنها كانت قد بلغت الحنث بوحي من الله إليه، بخلاف ظنهما، لا يجوز إلا هذا القول؛ لأن كلامه صلى الله عليه وسلم لا يتناقض ولا يتكاذب ولا يخالف كلام ربه، بل كلامه يصدق بعضه بعضاً، وبوافق ما أخبر به عن ربه عز وجل ومعاذ الله من غير ذلك»³⁵.

مناقشة هذا التأويل: لم يشتهر عند العرب وأد البنات البالغة ولا المرأة الكبيرة فهذا لم يرد، كما أنه لم يُسجل لنا التاريخ أن العرب في الجاهلية كانوا يأدون البنات البالغات ولا أدري ما الدليل الذي استند أصحاب هذا المذهب في تأويلهم لهذا الحديث.

5.2.1.3. المذهب الرابع: أنه أول الأمرين من رسول الله

يقول أصحاب هذا المذهب أن هذا الحديث كان أول الأمرين من رسول الله أي أن هذا الحديث كان قبل أن يعلم رسول الله أنهم في الجنة وقد يشهد لهذا التأويل ما رواه عبد الرزاق في مصنفه وكذا ابن عبد البر في التمهيد: أن خديجة رضي الله عنها سألت النبي أول مرة فقال: «هم مع آبائهم، ثم سألته فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ثم سألته بعدما استحكم الإسلام فقال: هم على الفطرة أو قال: في الجنة»³⁶. ومن الذين ذهبوا إلى هذا المذهب أيضاً: ابن حجر الهيتمي؛ حيث رجح أن أطفال المشركين في الجنة، وأن حديث الوائدة هو أول الأمرين من رسول الله وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا الحديث قبل أن يعلم أن أطفال المشركين في الجنة³⁷.

6.2.1.3. التوقف عن الحكم على هؤلاء الأطفال وأن مرد أمرهم إلى الله يمتحنهم يوم القيامة

وبهذا القول قال حماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك وإسحاق بن راهويه³⁸ وهو مذهب مالك كما ذكر ابن عبد البر؛ حيث ذهب أصحاب هذا المذهب إلى التوقف، ويعبر به بأن هؤلاء الصغار في المشيئة، أي أنه لا يحكم لمعين منهم بجنة ولا نار، وأنه جاء في عدة أحاديث أنهم يوم القيامة في عرصات القيامة يؤمرون

35- ابن القيم، أحكام أهل الذمة، 2/1121.

36- ابن عبد البر، التمهيد، 18/117.

37- ابن حجر الهيتمي، الفتاوى الحديثية، 78.

38- ابن عبد البر، التمهيد، 18/18.

وينهون، فمن أطاع الأمر دخل الجنة، ومن عصى دخل النار³⁹. فمن علم منه تعالى أنه إذا بلغ آمن أدخله الجنة، أو كفر أدخله النار⁴⁰. حيث استدلوا أيضاً بحديث: «الله أعلم بما كانوا عاملين»⁴¹. ومن الذين ذهبوا إلى هذا المذهب أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية؛ كما نسب ابن عبد البر هذا القول لعدد من العلماء ولم يسمهم.

مناقشة هذا التأويل: ذكر ابن عبد البر بعد ما تقدم من الأحاديث الواردة في امتحان الأطفال تضعيفه لهذه الأحاديث وأنها ليست قوية، ولا تقوم بها حجة وأهل العلم ينكرونها؛ لأن الآخرة دار جزاء وليست دار عمل ولا ابتلاء، فكيف يكلفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها؟!⁴²

2.3. المضعفون للحديث

لم يرتض بعض المحدثين تصحيح حديث الوائدة والموعودة، بل على العكس تماماً ذهبوا إلى تضعيفه والحكم بعدم صحته لأسباب عديدة، رغم وروده من طرق ظاهرها السلامة من العلل، ومن هؤلاء العلماء الذين ضعفوا هذا الحديث: ابن الجوزي وابن الوزير اليماني وأحمد الغماري ويوسف القرضاوي وعدد من المعاصرين. حيث اختلفت طريقتهم في التعامل مع هذا الحديث. فقد كان هناك تباين في طريقة إعلال هذا الحديث، فقد ذهب ابن الجوزي إلى القول بضعف الحديث ولم يقف ابن الجوزي عند هذا الحد بل ذهب إلى تضعيف كل الأحاديث الواردة في هذا الباب؛ فقد حكم على الأحاديث التي صرح بأن أولاد المشركين في النار بأنها ضعيفة. ولربما كان سبب تضعيفه لهذا الأحاديث أن متونها المشكلة تشترك بنفس العلة التي تعارض نصوص الشريعة الواضحة⁴³. كما ذهب ابن الوزير اليماني إلى عدم صحة هذا الحديث مستدلاً ببعض الروايات التي ذكرت أن ابناً مليكة قد ارتدّا وهذا السبب كافٍ عنده لرد الحديث⁴⁴. وما ذهب إليه ابن الوزير مردود لأنه استدل على ردة أبناء مليكة برواية ساقها ابن سعد في طبقاته وسندها باطل لأن فيه هشام بن محمد بن السائب وهو متروك الحديث؛ كما أن البخاري أثبت ضحبة سلمة بن يزيد ما يجعل هذا المذهب الذي ذهب إليه ابن الوزير اليماني فيه نظر. هذا وقد ذهب أيضاً عدد من المعاصرين إلى تضعيف الحديث كيوسف القرضاوي الذي يرى إعلال الحديث وأنه لا يصح بسبب الاشكال الوارد فيه⁴⁵. كما أشار محققو مسند أحمد طبعة الرسالة إلى نكاته⁴⁶.

39- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، 5/58.

40- ينظر: ابن حجر، فتح الباري، 3/246.

41- مسند أحمد بن حنبل، 57/14.

42- ابن عبد البر، الاستذكار، 3/112.

43- ينظر: ابن الجوزي، جامع المسانيد، 3/241.

44- ابن الوزير اليماني، العواصم والقواصم، 7/250.

45- يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، 116.

46- مسند أحمد بن حنبل، 25/268.

الخلاصة مما سبق: بعد استعراض أقوال العلماء وأحكامهم على حديث الوائدة والموعودة نجد أنّ هذه الأحكام السابقة التي أطلقها العلماء لم تسهم في حل الإشكال الوارد فيه؛ إما لأنها صحت الحديث رغم معارضته لثوابت الشريعة؛ أو لأنها ردت رغم وروده من طرق عدة تدل على أن له أصلاً؛ أو لأنها أولته بتأويلات بعيدة مردودة غير مقنعة في شيء من التكلفة، من هنا تأتي أهمية موقف البخاري النقدي في حل هذا الإشكال من خلال استعراض موقفه النقدي الذي سنستخلصه من خلال دراسة طرق هذا الحديث التي أوردها البخاري في ترجمة سلمة بن يزيد في التاريخ الكبير في المبحث التالي.

4. موقف الامام البخاري من حديث الوائدة ودوره في حل الاشكال الوارد في الحديث من خلال دراسة طريقة إيراده لطرقة وألفاظه في كتاب التاريخ الكبير

تعتبر أحكام الإمام البخاري على الأحاديث من الأحكام المهمة والقيمة عند أهل الحديث كيف لا وهو إمام الصنعة، فقد تميز منهجه بالاعتدال عند الحكم على الأحاديث والرواة. ويمثل موقف الإمام البخاري وتصرفه النقدي عند إيراده لأي حديث في مصنفاته وخصوصاً كتاب التاريخ الكبير خارطة الطريق للتوصل إلى الحكم الصحيح على هذه الأحاديث مشكل لبراغته في عرض طرق الحديث مع تضمينها للإشارات النقدية ولوقوفه على علل هذه الروايات ودرايته بحال روايتها؛ كيف لا وهو شيخ المحدثين وإمامهم، ويشهد له أهل الصنعة من أهل زمانه ومن بعدهم من المحدثين، لا بل قد أجمعت الأمة على علو كعبه في هذا الفن، واستناداً إلى ذلك فإنّ موقف البخاري من حديث الوائدة والموعودة وتصرفه النقدي عند إيراده له في التاريخ الكبير يمثل المنهج الصحيح للتعامل مع مثل هذه الأحاديث المشككة. وسنستعرض في هذا المبحث موقف البخاري من هذا الحديث ودوره في حل الإشكال الوارد فيه من خلال من خلال دراسة طريقة إيراده لطرقة وألفاظه في كتاب التاريخ الكبير.

1.4. طريقة الامام البخاري في ايراد طرق وألفاظ الحديث في تاريخه الكبير

كتاب التاريخ الكبير كتاب تراجم مُعلّة كما قلنا سابقاً، وقد سلك الإمام البخاري مسالك متعددة عند إيراده لتراجم الرواة في التاريخ الكبير، ولاستخلاص موقفه من هذا الحديث ينبغي الإشارة إلى طريقة إيراده لترجمة الرواة في التاريخ الكبير لأنها تسهم في استظهار موقفه، وباستقراء طريقة البخاري عند إيراده لترجمة الراوي نلاحظ الطرق التالية لإيراد التراجم ما يلي:

الطريقة الأولى: ذكر الرواة المُترجم لهم صراحة دون ذكر أي من رواياتهم، وسبب ذلك أن الامام البخاري قصد الإشارة الى الأمور المتعلقة بذات الراوي وعلاقته بالرواة الآخرين؛ سواء كانوا من شيوخه أو من تلامذته أو حتى من أقرانه⁴⁷.

الطريقة الثانية: يذكر البخاري الرواة المترجم لهم مع إيراد بعض الروايات والألفاظ المُشكلة ومقصد البخاري من إيراد البخاري لهذه الروايات في ترجمة الراوي الإشارة الى علل هذه الروايات كالاختلاف في الفاظ الحديث؛ وعلى الأغلب تكون هذه العلل مرتبطة بالمتن للإشارة إلى أنَّ الناقل لهذا الحديث من الرواة قد أخطأ أو نسي أو اختلط أو لم ينقل كل ما سمعه كله أو فهم من اللفظ غير ما أراده النبي صلى الله عليه وسلم أو غيرها من المقاصد المهمة⁴⁸.

واستناداً لما سبق يمكن القول إنَّ الحديث الذي بين أيدينا في هذا البحث من هذا القبيل، فالبخاري عندما ترجم لسلمة بن يزيد أورد طرق الحديث وألفاظه وأشار إلى الاختلاف الوارد فيه، حيث ساق أسانيد الحديث وألفاظه في ترجمة سلمة بن يزيد ما يعني أنَّ موقف البخاري النقدي الذي أراد البخاري الإشارة إليه يُستخلص من الطرق التي تدور على سلمة بن يزيد مقرونة بالطرق التي تدور على ابن مسعود الواردة في هذه الترجمة، والتي سنستعرضها بنفس الترتيب الذي ذكره البخاري مع إضافة ترقيم للطرق في هذه الترجمة؛ قال البخاري: «سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ لَهُ صَحْبَةٌ» ثم ساق البخاري طرق الحديث وألفاظه كما يلي:

الطريق الأولى: قَالَ مُسَدَّدٌ (نا) مُعْتَمِرٌ عَنْ دَاوُدَ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عُلَقَمَةَ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ يَزِيدَ وَيُقَالُ الْجَعْفِيُّ، أَتَيْتُ أَنَا وَأَخِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا: إِنَّ أُمَّنَا مُلْكَةً مَاتَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَتْ تَصِلُ الرَّجَمَ وَتُقْرِى الصَّيْفَ فَهَلْ يَنْفَعُهَا مِنْ عَمَلِهَا ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا، قُلْنَا، فَإِنَّ أُمَّنَا وَأَدَّتْ، قَالَ الْمَوْؤُودَةُ وَالْوَائِدَةُ فِي النَّارِ إِلَّا أَنْ تُدْرِكَ الْوَائِدَةُ الْإِسْلَامَ فَيَغْفُو اللَّهُ عَنْهَا فَتُسَلِّمَ.

الطريق الثانية: حَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ يُوسُفَ (نا) سَهْلُ بْنُ زِيَادٍ سَمِعَ دَاوُدَ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عُلَقَمَةَ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ يَزِيدَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْوَائِدَةُ وَالْمَوْؤُودَةُ فِي النَّارِ.

الطريق الثالثة: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى (نا) ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ سَمِعَ أَبَاهُ عَنْ غَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -مِثْلَهُ.

الطريق الرابعة: قَالَ أَبِي فَحَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ أَنَّ غَامِرًا حَدَّثَهُ عَنْ عُلَقَمَةَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

⁴⁷- خالد معروف عليه، منهج الامام البخاري في ذكر شيوخ الرواة المترجمين في تاريخه الكبير ، 218.

⁴⁸- نعمة الله الاعظمي، الفوائد المهمة في دراسة الحديث ومختلف الحديث، 218.

الطريق الخامسة: حَدَّثَنَا عُثَيْدُ اللَّهِ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عُلُقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ -قَوْلُهُ .

الطريق السادسة: وَقَالَ لَنَا عَارِمٌ (نا) سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ الْحَكَمِ الثَّبَانِيَّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عُلُقَمَةَ وَالْأَسْوَدِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: جَاءَ ابْنَا مُلَيْكَةَ فَسَأَلَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَمَّنَا وَأَدَّتْ فَقَالَ: أُمُّكُمَا فِي النَّارِ بِطَوْلِهِ.

الطريق السابعة: وَقَالَ عَارِمٌ (نا) الصَّعْقُ بْنُ حَزْنٍ عَنْ عَلِيٍّ عَنْ عُثْمَانَ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نحوه، وَقَالَ عَارِمٌ قَالَ حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ: حَدِيثُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَصَحُّ.

الطريق الثامنة: وَقَالَ ثوري عَنْ منصور عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عُلُقَمَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مرسل.

ثم ختم البخاري الترجمة بحديث آخر لسلمة قال البخاري:

وقال لي محمد أبو يحيى حَدَّثَنَا شَبَابَةُ (نا) شُعْبَةُ عَنْ سِمَاكِ عَنْ عُلُقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ عَنْ أَبِيهِ: سَأَلَ يَزِيدُ بْنُ سَلَمَةَ الْجُعْفِيُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: اشْمَعُوا وَأَطِيعُوا، عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ (نا) رَوْحُ (نا) شُعْبَةُ عَنْ سِمَاكِ عَنْ عُلُقَمَةَ عَنْ أَبِيهِ: سَأَلَ سَلَمَةَ بْنُ يَزِيدٍ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ⁴⁹.

2.4. دراسة طريقة إيراد البخاري لطرق حديث الوائدة والمعوودة

أورد البخاري حديث الوائدة والمعوودة في ترجمة سلمة بن يزيد الجعفي من طرق عدة كما ساق عدداً من الأسانيد الأخرى التي تدور على عبد الله بن مسعود؛ بالإضافة إلى ذكر ألفاظ معينة من متن الحديث.

وإيراد البخاري لهذه الألفاظ في ترجمة سلمة بن يزيد يدل على أن البخاري قصد الإشارة إلى علل حديث سلمة بن يزيد؛ كعادته عند إيراد هذه التراجم في التاريخ الكبير، لأن البخاري كثيراً ما يربط العلل التي يريد الإشارة إليها في كتابه التاريخ بصاحب الترجمة وألفاظ الحديث المشار إليها في التراجم المعللة. ولتتضح المسألة بشكل أفضل سنتناول دراسة هذه الأسانيد مع العلل التي أشار البخاري إليها في ترجمة سلمة بن يزيد التي تبين مقصده والموضحة في المخطط التشجيري كما يلي :

1- الطريق الأولى والثانية:

ساق البخاري في الترجمة أولاً الطرق المؤدية إلى سلمة بن يزيد مشيراً إلى الاختلاف في متونها وسندها فقد روي من طريق مُسَدَّد عن معتمر: أن سلمة وأخيه سألا النبي فقال: الْمَوْعُودَةُ وَالْوَائِدَةُ فِي النَّارِ. بتقديم الموعودة على الوائدة؛ بينما رواه بشر عن سهل أن سلمة سأل النبي فقال الْوَائِدَةُ وَالْمَوْعُودَةُ فِي النَّارِ.

وهذا الاختلاف في لفظ الحديث وسنده يدل على عدم ضبط الرواة للحديث لاسيما وأن كلا الطريقين يتحدان في المخرج، لذلك أورد البخاري هذا الاختلاف مشيراً إلى عدم ضبط الرواة لألفاظ هذا الحديث. ويؤكد هذا الكلام استخدام البخاري لفظ «نحوه» حيث قال نحوه أي قريب من لفظ الحديث المذكور، ولم يقل مثله عند



إشارته إلى متن الحديث؛ والفرق «نحوه» و«مثله»: أن «نحوه» يقال في موضع يكون الحديثان متحدين في المعنى، متغايرين في اللفظ وأما قوله «مثله» يقال في موضع يكون فيه الحديثان موافقين في اللفظ والمعنى.⁵⁰

كما أشار البخاري الى إشكالية أخرى عند إيراده للطريق الأولى المتضمنة لعبارة «إِلَّا أَنْ تُدْرِكَ الْوَائِدَةُ الْإِسْلَامَ فَيَغْفُو اللَّهُ عَنْهَا فَتُسَلِّمَ» فخصَّ عفو الله بالوائدة دون الموعودة في حال إدراكها الاسلام، وهذا مما يشكل أيضاً؛ فالموعودة لو أدركت الإسلام لغفي عنها أيضاً كما الوائدة؛ لأنَّ الاسلام يَجِبُ ما قبله. لذا أراد البخاري الإشارة إلى الاختلاف في الحديث وهو مما يعل به هذا الحديث لأنَّ هذا الاختلاف ناجم في الأغلب عن وهم وخطأ من الرواة وعدم ضبطهم للحديث لاثبات وقوع الخطأ في الحديث. إذ يعتمد نقاد الحديث إلى جمع طرق الحديث للوقوف على علله؛ وإلى ذلك أشار علي بن المديني بقوله: "البَابُ إِذَا لَمْ تُجْمَعْ طَرُقُهُ لَمْ يَتَّبَعْنَ حَظُّوهُ"⁵¹.

2- الطريق الثالثة والرابعة:

ومدار هذه الطرق على عبدالله بن مسعود، وقد قصد البخاري من خلال إيراده لهذين الطريقين الإشارة الى تعارض الوصل والإرسال حيث أورده البخاري في الطريق الثالثة من طريق إبراهيم بن موسى عن الشعبي عن النبي مرسلأ، أورده في الطريق الرابعة عن يحيى بن زكريا عن أبيه عن أبي إسحاق عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي موصولأ. والمرسل أصح من الموصول لأسباب عديدة: منها أن زكريا زاد فيه اسناده راوياً وهو الشعبي وجعله عن علقمة ويؤيد هذا الكلام حكم الدارقطني عليه بالغرابة لتفرد زكريا بهذه الرواية فلم يرو عنه سوى ابنه يحيى بالإضافة الى اختلاط ابي اسحاق وهو مما يزيد من وهن الطريق الموصولة.⁵²

3- الطريق الرابعة والخامسة:

أراد البخاري من خلال عرضه لهاتين الطريقين الإشارة الى الاختلاف على علقمة؛ فتارة يرويه ابو اسحاق عن الشعبي عن علقمة في الطريق الرابعة، وتارة أخرى يرويه إسرائيل عن أبي إسحاق عن علقمة مباشرة بدون ذكر الشعبي في الطريق الخامسة.

والطريق الرابعة ذكرنا عللها كما مر سابقاً، بقي الإشارة إلى علل طريق إسرائيل عن أبي إسحاق؛ وهذه الطريق فيه عدد من العلل القادحة: منها أنَّ أبا إسحاق ليس له سماع من علقمة كما نقل عدد من المحدثين كالبرديجي⁵³، بالإضافة الى أنَّ سماع إسرائيل من أبي إسحاق بآخرة أي بعد اختلاطه وهو ما يعل به هذا السند.⁵⁴

51- الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، 1641.

52- ابن طاهر المقدسي، أطراف الغرائب والأفراد، 4/117.

53- العلائي، جامع التحصيل في أحكام المراسيل، 246.

54- ابن رجب الحنبلي، شرح علل الترمذي، 2/711.

4- الطريق السادسة والسابعة:

الطريق السادسة من أهم الطرق التي ساقها البخاري في الترجمة، وهي التي يرى أنها أصح الطرق لما روى عارم عن حماد قوله: حديث سعيد بن زيد أصح، وهو ما ارتضاه البخاري للأسباب التالية:

أ- خلو هذه الطريق من أبي إسحاق المختلط و المتهم أيضاً بالتدليس.⁵⁵

ب- ترجيح حماد بن زيد لهذه الطريق التي لم يذكر فيها لفظ الموعودة؛ وحكمه عليها بأنها أصح هذه الطرق؛ وحماد من كبار الحفاظ الثقات، وهذا يتوافق مع موقفه من الحديث حيث نُقل عنه أنَّ أطفال المشركين في المشيئة أي أنه لا يرى صحة لفظ «الموعودة في النار».

ج- إنَّ الطريق السادسة المشار إليها انتفت فيها الإشكالات المتعلقة بعلقمة من ناحية الاختلاف عنه لورود علقمة مقروناً بالأسود بن يزيد كما ذكر البخاري في الترجمة. وعلقمة والأسود من أوثق تلاميذ ابن مسعود.⁵⁶

د- خلو هذه الطريق من اللفظ المشكل «الْمَوْعُودَةُ فِي النَّارِ» و ورود لفظ «أُمُكَّمَا فِي النَّارِ» في الحديث الطويل الذي يذكر قصة قدوم ابني مليكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم ساق البخاري المرسل من طريق أبي وائل عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولاتعارض بين الوصل والارسال هنا لان الموصول من طريق سعيد بن زيد أصح.

هـ- إيراد البخاري لما يؤيد موقفه المستنتج من تصرفه النقدي من هذه اللفظة المشكلة لحديث صحيح آخر يعارض كون الموعودة في النار، وهذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه عن سلمة بن يزيد أن سلمة نفسه سأل النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ. المعارض تماماً لحديث الموعودة في النار، ومعناه أنَّ الله مجاز كل حسب عمله فلا يُحمل المرء جريرة غيره وذنبه.⁵⁷

فإيراد البخاري لحديث آخر لسلمة يعارض لفظ «الموعودة في النار» يدل على وقوع خطأ أو نسيان من الرواة أو أنَّ الراوي لم ينقل كل ماسمعه كله، أو فهم من اللفظ غير ما أراده النبي صلى الله عليه وسلم.⁵⁸

55- الذهبي، ميزان الاعتدال، 2/709.

56- الذهبي، سير أعلام النبلاء، 4/53.

57- القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 4/55.

58- نعمة الله الأعظمي، الفوائد المهمة في دراسة الحديث، 48.

فمن عادة الإمام البخاري في تراجمه المعللة، أن يختم الترجمة بما صح من حديث الراوي أو بما صح من أحاديث أخرى تعارض الحديث الذي ساقه أولاً في الترجمة وهذا كثير في تصرفات البخاري عند نقده المتون في التراجم المعللة والأمثلة على ذلك كثيرة ومن هذه الأمثلة إعلاله لأحاديث النهي عن أكل الضب في التاريخ الكبير عند إيراده لها في ترجمة ثابت بن وديعة أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حَسَنَةَ، قَالَ: غَزَوْنَا فَأَصَابَتْنَا مَجَاعَةٌ فَتَزَلْنَا بِأَرْضٍ كَثِيرَةِ الضَّبَابِ فَأَخَذْنَا مِنْهَا فَطَبَخْنَا فَسَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّ أُمَّةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَقَدَتْ فَأَخَافُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ» فَأَكْفَأْنَا الْقُدُورَ.

حيث ختم البخاري الترجمة بحديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم: لا آكلُهُ وَلَا أُحَرِّمُهُ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ كَانَ حَرَامًا لَمْ يُؤْكَلْ فِي مَائِدَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهذا التصرف من البخاري في مثل هذه المواضع المشككة من الأحاديث يدل إعلاله لهذه الاحاديث المُشككة بما صح من الأحاديث الواردة في نفس الباب.

النتائج والتوصيات

1- يُعتبرُ الأمام البخاري من أئمة النقد الذين تمثل تصرفاتهم النقدية خارطة الطريق لحل كثير من الإشكالات الواردة في الروايات الحديثية؛ وذلك لوقوفه على علل هذه الأحاديث وجمعه لطرقها ومعرفته بحال رواياتها.

2- أبدع الإمام البخاري عند إيرادهِ للتراجم المُعلة في كتاب التاريخ الكبير؛ بحيث يمكن لمن يمعن النظر في طريقة عرضه لهذه التراجم استظهار واستخلاص موقفه من هذه الروايات من خلال هذه التراجم التي ضمنها كثيراً من النكات والفوائد الحديثية، ما يجعل التراجم المعلة مصدراً مهماً من مصادر الحكم على الروايات الحديثية وخصوصاً المُشكل منها.

3- حديث «الوائدة والموعودة في النار» من الأحاديث المشككة التي تُعارض صريح القرآن وصحيح السنة في عدم ترتب العقوبة والعذاب على من لم يبلغ من الأطفال. وإيراد الإمام البخاري لهذا الحديث في ترجمة سلمة بن يزيد يدل على وقوع الخلل في الطرق التي تدور على سلمة بن يزيد والتي ورد فيها لفظ «الموعودة في النار» لأسباب عديدة من أهمها وقوع الاختلاف في الحديث سنداً وممتناً، وتعارض الوصل والارسال، ما يدل على عدم ضبط الرواة لسند الحديث ومتمنه.

4- ذهب البخاري من خلال عرضه لترجمة سلمة إلى أنَّ أصبح طرق الحديث هو طريق سعيد بن زيد عن علي بن الحكم البناني من طريق علقمة بن قيس و الأسود بن يزيد مقرونين عن ابن مسعود، وهو ما نقله البخاري عن شيخه عام عن حماد بن زيد قوله: «حديث سعيد بن زيد أصبح» أي أصبح طرق الحديث؛ وهذه الطريق لا تتضمن لفظ «الموعودة في النار» وإنما لفظ «أمكما في النار».

5- أشار البخاري في ترجمة سلمة بن زيد إلى عدد من القرائن التي تؤيد هذا الترجيح؛ ومن أهم هذه القرائن:

- أ- خلو هذه الطريق من أبي إسحاق المختلط و المتهم أيضاً بالتدليس.
- ب- ترجيح حماد بن زيد لهذه الطريق وحكمه عليها بأنها أصح الأسانيد؛ وحماد من كبار الحفاظ الثقات.
- ج- إنَّ هذه الطريق انتفت فيها الإشكالات المتعلقة بعلقمة من ناحية الاختلاف عنه، لورود علقمة مقروناً بالأسود بن يزيد النخعي، كما ذكر البخاري وعلقمة والأسود بن يزيد من أوثق تلاميذ ابن مسعود.
- د- خلو هذه الطريق من اللفظ المشكل «الموعودة في النار» و ورود لفظ «أمكما في النار» في الحديث الطويل الذي يذكر قصة قدوم ابنتي مليكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

4- إن ورود حديث الوائدة من طرق عديدة يدل أنّ للحديث أصلاً، ولكن معارضة هذا الحديث لثوابت الشريعة الاسلامية يدل على أنّ الناقل لهذا الحديث قد أخطأ أو نسي أو وهم أو فهم غير ما أراده النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما يرجحه نقاد الحديث عند ورود بعض الروايات من طرق عدة مع معارضتها للقرآن وصحيح السنة ولثوابت الشريعة وهذا ما أثبتناه في هذه الدراسة التي استظهرت موقف البخاري المتضمن أعلاه للفظ «الموعودة في النار» الذي أشكل على المحدثين.

5- يمثل موقف البخاري من الحديث موقفاً وسطاً بين المواقف التي أبداه المحدثون لأنه أشار الى موضع الخلل والخطأ في الحديث من اشارته الى أصح طرقه، وبذلك؛ لا هو ردّ الحديث جملة وتفصيلاً؛ ولا هو حكم عليه بالصحة مع وجود الإشكال فيه، ما يبرز أهمية المنهجية النقدية التي يسلكها البخاري في الحكم على الأحاديث المشكلة، ما يعزز القناعة بموثوقية منهجه في تصحيح الأحاديث.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم.

كيف نتعامل مع السنة النبوية، المؤلف: يوسف القرضاوي، دار الوفاء، 1992- 1413 هـ

أحكام أهل الذمة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية المحقق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري الناشر: رمادي للنشر الدمام الطبعة: الأولى، ١٤١٨ عدد الأجزاء: ٣.

أطراف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام الدارقطني، المؤلف: أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني المحقق: محمود محمد محمود حسن نصار / السيد يوسف الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م عدد الأجزاء: ٥.

الأسامي والكنى، الحاكم الكبير، أبو احمد، محمد بن محمد بن إسحاق، تحقيق يوسف بن محمد .

الأسماء والصفات البيهقي تحقيق عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة 1993م.

الالزامات والتتبع، أبو الحسن الدارقطني، تحقيق مقبل بن هادي الوادعي، دار الكتب العلمية الطبعة الثانية 1985م-1405هـ

الإلزامات والتتبع، الدارقطني، أبو الحسن الدارقطني، تحقيق مقبل بن هادي الوادعي، دار الكتب العلمية الطبعة الثانية 1985م-1405هـ.

التاريخ الكبير، البخاري، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان عدد الأجزاء: 8.

التراجم المعلة، أحمد بدري البشاشة، رسالة دكتوراه، رسالة دكتوراه من جامعة اليرموك الأردنية (2011) م، غير منشورة.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب عام النشر: ١٣٨٧ هـ عدد الأجزاء: ٢٤.

الجامع الصحيح، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة: الأولى، 1422 هـ عدد الأجزاء: 9

الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم الرازي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت 327 هـ) الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن - الهند الطبعة: الأولى، 1271 هـ - 1952 م.

العلل الواردة في الأحاديث النبوية، الدارقطني، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت 380 هـ) حقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي. الناشر: دار طيبة - الرياض. الطبعة: الأولى 1405 هـ - 1985 م.

العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، المؤلف: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي حقه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415 هـ الطبعة: 3.

الفتاوى الحديثية، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس المحقق: عدد الصفحات: 241. الفوائد المهمة في دراسة الحديث ومختلف الحديث، نعمة الله الأعظمي دار الكتب العربية، تركيا 2021.

المستدرك على الصحيحين الحاكم النيسابوري، المؤلف: محمد بن عبد الله الحاكم ، تحقيق: مصطفى عبد القادر الناشر: دار الكتب العلمية ؛ بيروت الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1990 م.

المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقلها المؤلف: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي المحقق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير الناشر: دار ابن حزم بيروت الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 عدد الأجزاء: 8 .

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، 1392 عدد الأجزاء: 18.

تاريخ بغداد، المؤلف: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي ، الخطيب البغدادي (المتوفى: 463 هـ) المحقق: الدكتور بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2002 م عدد الأجزاء: 16.

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) حقه: أبو فتية نظر محمد الفاريابي الناشر: دار طيبة.

تفسير القرآن العظيم، المؤلف: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت 774 هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م عدد الأجزاء: 9 (8 والفهارس).

تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، اعتنى به إبراهيم الزبيق وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة 1996م.

جامع المسانيد، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت 509 هـ تحقيق: الدكتور علي حسين البواب الناشر: مكتبة الرشد .

سنن ابن ماجة، ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبعة دار احياء الكتب، القاهرة 1952م.

سنن ابي داوود، أبو داوود، تحقيق عزت عبيد الدعاس، نشر محمد علي السيد، حمص 1389هـ

سنن الدارقطني الدارقطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م عدد الأجزاء: 5

سؤلات للدارقطني البرقاني رواية الكرجي عنه، المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب، أبو بكر المعروف بالبرقاني (المتوفى: 425هـ) المحقق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقرى.

سير أعلام النبلاء، الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، 1405 هـ عدد الأجزاء: 25.

شرح علل الترمذي، لابن رجب الحنبلي تحقيق نور الدين عتر، دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق 1978م

علل الترمذي الكبير، المؤلف: محمد بن عيسى، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) المحقق: صبحي السامرائي ، وآخرون، الناشر: عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية - بيروت الطبعة: الأولى، 1409 عدد الأجزاء: 1.

علل الترمذي الكبير، المؤلف: محمد بن عيسى، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) المحقق: صبحي السامرائي ، وآخرون، الناشر: عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية - بيروت الطبعة: الأولى، 1409 عدد الأجزاء: 1

عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي

فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، المؤلف: أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني، الناشر: دار المعرفة -بيروت، 1379 ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: 13.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، الناشر: دار المعرفة -بيروت، 1379 ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: 13

فهرسة ابن خير الإشبيلي، المؤلف: أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي الإشبيلي. المحقق: محمد فؤاد منصور الناشر: دار الكتب العلمية بيروت/ لبنان الطبعة: الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م.

مجمع الزوائد، الهيثمي، طبعة مكتبة القدسي 1352هـجري.

مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، المؤلف: الإمام أحمد بن حنبل (164-241هـ) المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة عدد الأجزاء: 50

منهج الامام البخاري في ذكر شيوخ الرواة المترجمين في تاريخه الكبير، خالد معروف عليه، رسالة لنيل درجة الدكتوراة من الجامعة الأردنية عام 2018، منشور على شبكة الانترنت .

منهج الدارقطني في التصحيح على شرط الشيخين، فيصل أحمد، رسالة دكتوراة، جامعة اسكي شهير، 2024.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي تحقيق: علي محمد البجاوي الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1382هـ - 1963م عدد الأجزاء: 4.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ابن خلكان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد ، البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت.

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لابي الحجاج المزي ، تحقيق بشار عواد معروف طبعة مؤسسة الرسالة 1985م الناشر: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة: الثانية، 1415 هـ عدد الأجزاء: 14.

جامع التحصيل في أحكام المراسيل، المؤلف: صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكليدي بن عبد الله الدمشقي العلائي المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي الناشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة: الثانية، 1407 - 1986 عدد الأجزاء: 1.

إشكاليات المشككين، وذوي الاتجاهات الشاذة في فهم أحاديث صحيح البخاري الواردة في غير المسلمين، دراسة تحليلية نقدية

إعداد

د. عارف حسن الفتى

دكتوراه في الحديث وعلومه، ومحاضر بكلية أصول الدين
بالجامعة الإسلامية الحكومية كياهي الحاج عبد الرحمن واحد، بكالونجان -
إندونيسيا



المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

قد لقي موضوع الأحاديث المشككة - وهي الأحاديث التي يوهم ظاهرها التعارض - اهتماماً كبيراً منذ العصور القديمة والوسطى واستمر حتى العصور الحديثة المعاصرة. والدراسة حول هذه المسألة لديها نمط ديناميكي؛ فالأحاديث التي لم تكن لديها نوع من إشكالية الدلالة والتطبيق في العصور القديمة، لقيت عدة من الإنتقادات في العصر الحديث وتُتهم أن لديها إشكالية من حيث الثبوت والمعنى معاً. ومن الأحاديث التي استشكلت معناها في العصر الراهن هي الأحاديث التي تظهر معني العنف ضد غير المسلمين وهي مروية في صحيح البخاري الذي تلقى الأمة له بالقبول ويعترف بأنه أصح كتب بعد القرآن، مثل حديث أمّرت أن أقاتل الناس، أو حديث قتل النساء والصبيان في الحرب، أو حديث الأمر بهجاء الأعداء، أو حديث الإذن بإهلاك ممتلكات غير المسلمين وغير ذلك.

فإن تلك الأحاديث في العصر الحديث تثير جدلاً ونقاشاً، ذلك لأن الجماعات المتشددة ذوي الاتجاهات الشاذة تستغل هذا النوع من الأحاديث ليكون أساساً وسندا لتبرير التشدد و التطرف والعنف ضد غير المسلمين. واستناداً بهذه الأحاديث، ذهبت تلك الجماعات بأن أصل العلاقة الأساسية بين المسلمين وغير المسلمين هي علاقة التصادم والصراع، علاوة على ذلك أنهم ذهبوا أن الحرب ضد غير المسلمين يعتبر من الحتم التاريخي الذي نصّت عليه النصوص الإسلامية المقدسة من القرآن و السنة النبوية.

وبناءً على ذلك، اكتسب هذا الفهم الحرفي والتطبيق المفرط عند المتشددین اهتماماً كبيراً من قبل العلماء والمثقفين لأنه يتناقض تماماً مع المبادئ السامية للإسلام بالإضافة إلى روح التقدم لدى الأمم التي تؤكد روح السلام والعلاقات

المتناغمة بين البشر في جميع أنحاء العالم. فأثارت هذه الظاهرة مجموعة واسعة من الجدل بين الأكاديميين المعاصرين الذين يتسائلون عن مدى صحة تلك الأحاديث وتفسيرها وتطبيقها في الحياة الحديثة، وعلى الرغم من وجود تلك الأحاديث في أصح كتب بعد القرآن وهو صحيح البخاري، لا يمنع عددا من الكاتبيين لإعادة النظر في صحة تلك الأحاديث وتشكيكها حيث أنهم يفترضون أنها لا تتفق مع المبادئ الإسلامية مثل مبادئ الرحمة وحرية الرأي.

فمما لا ريب فيه أن شيوع الفهم الخاطئ لتلك الأحاديث من قبل جماعات المتشددين والمشككين له إشكاليات في ثلاث مستويات؛ مستوى التثبت والتوثيق والتصحيح، و مستوى الفهم والشرح، و مستوى تنزيل وتطبيق النص على الواقع. ومن هنا تأتي أهمية الدراسة النقدية على آراء أصحاب هذين الاتجاهين-إتجاه المتشددين وإتجاه المشككين- ومنهج تعاملهما مع الأحاديث المتمثلة في تجلية المنهج الصحيح لتوثيق وفهم وتطبيق أحاديث صحيح البخاري التي تظهر معنى العنف ضد غير المسلمين.

فمجال هذا البحث دراسة إتجاه فهم جماعات المتشددين والمشككين في تعاملهم مع أحاديث صحيح البخاري التي تظهر معنى العنف ضد غير المسلمين، وذلك بعرض آراءهم والتعرف على المرتكزات المنهجية لدراساتهم والكشف عن منطلقاتهم الفكرية و التطلع على الآثار المترتبة على آراءهم من خلال القراءة المتمعنة لأهم كتابات وأدبيات ذلك الإتجاهين. وسيقوم الباحث بتقويم فهمهم و طعونهم في تلك الأحاديث، وذلك بإخضاع نتائج دراساتهم لقواعد البحث العلمي وأصول النقد الحديثي ومناقشتها لمعرفة مدى صحتها أو تهافتها، مع الاستفادة مما كتبه العلماء والباحثون في هذا المجال.

ويشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

المقدمة : أهمية الموضوع وسبب اختياره

المبحث الأول : أحاديث التعامل مع غير المسلمين في صحيح البخاري بين في نظر الاتجاهات الشاذة والمشككين.

المبحث الثاني : نماذج إشكاليات ذوي الاتجاهات الشاذة و المشككين في فهم أحاديث صحيح البخاري الواردة في غير المسلمين

المطلب الأول: حديث أمّرت أن أقاتل الناس

المطلب الثاني: حديث قتل النساء والصبيان في الحرب

المطلب الثالث : حديث الإذن بإهلاك ممتلكات غير المسلمين

المطلب الرابع : حديث الأمر بهجاء غير المسلمين

المبحث الثالث : أسباب خلل المشككين وذوي الإتجاهات الشاذة في فهم الحديث

ثم الخاتمة وفهرس بأهم المصادر والمراجع

المبحث الأول : أحاديث التعامل مع غير المسلمين في صحيح البخاري في نظر الاتجاهات الشاذة والمشككين.

اتفق العلماء رحمهم الله تعالى على أن صحيح البخاري هو أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وقد تلقته الأمة بالقبول عبر الزمان. ولكن بعض أحاديث صحيح البخاري قد يساء فهمه من قبل بعض الناس. منهم من أخطأوا في الفهم؛ لأنهم لم يستخدموا المنهج الصحيح و الطريقة الصحيحة في فهم الحديث النبوي الشريف. رغم أنهم يعترفون ويعتقدون ثبوت أحاديث صحيح البخاري وصحة نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن نتائج فهمهم الخاطئ لحديث صحيح البخاري تثير إشكالات في الساحة الفكرية والساحة العملية. و يمكن أن نسمي هذ الفريق الأول بالفريق ذي الإتجاهات الشاذة. في حين أن الفريق الثاني أخطأوا أيضاً منهجياً في فهم أحديث صحيح البخاري، وهم يرون أن أحاديث صحيح البخاري متناقضة و مخالفة للمبادئ النبيلة للتعاليم الإسلامية ومقاصد الشريعة، إلى درجة أنهم يشككون في صحة صحيح البخاري و ورفضوا ثبوته. ومن أحاديث صحيح البخاري التي يساء فهمها من قبل هذين الإتجاهين المذكورين، الأحاديث التي تتحدث عن غير المسلمين، وخاصة تلك التي تظهر موقفاً عنيفاً وقاسياً تجاه غير المسلمين.

والفريق الأول يرى أن أعمال العنف بأشكالها المختلفة ضد غير المسلمين مشروعة دينياً في أي ظرف من الظروف، بما في ذلك في الأوضاع السلمية الحالية في أغلب الدول الإسلامية. وهم يستندون في نشاطهم العنيف إلى أدلة دينية من القرآن والسنة النبوية، بما في ذلك الأحاديث الواردة في صحيح البخاري. إن هذه النظرة التي تركز على فهم خاطئ للنصوص الدينية، تؤدي إلى ظهور موقف إقصائي ينفي الجماعات الأخرى – وخاصة غير المسلمين – والذي يتخذ أشكالاً مختلفة، مثل الآراء المهينة، وخطاب الكراهية، وحتى الأعمال العنيفة.

ومن الكتب التي امتلأت بمثل هذه الإتجاهات كتاب بعنوان «إدارة التوحش: أخطر مرحلة تمر بها الأمة» لأبي بكر ناجي¹، وكتاب «مسائل من فقه الجهاد» لأبي عبد الله المهاجر². يحتوي الكتاب الأول على أنماط واستراتيجيات الحركات لتدمير النظام الحكومي السائد، بينما يحتوي الكتاب الثاني على إرشادات تقنية وعملية لتنفيذ أنشطة الحركة. لقد كان هذان الكتابان مصدر إلهام ودافع لكثير من الناس لارتكاب أعمال العنف ضد غير المسلمين الذين يعيشون في مختلف البلدان الإسلامية. فإن صيغة الجهاد التي اقترحها أبو عبد الله المهاجر في كتابه هي جهاد هجومي. وأباح صراحة أشكالاً مختلفة من الأعمال العنيفة ضد غير المسلمين، مثل القتل أو

1- ينظر: «إدارة التوحش: أخطر مرحلة تمر بها الأمة»، لأبي بكر ناجي (سوريا: دار التمرد، 2004)

2- ينظر: «مسائل من فقه الجهاد»، لأبي عبد الله المهاجر

الحرق أو الغرق أو قطع رؤوس الأعداء وعرضها، سواء كان غير المسلمين يعيشون في بلاد إسلامية أو غير إسلامية. ويعتمد أبو عبد الله المهاجر في صياغة آرائه على النصوص الدينية، ومنها الأحاديث النبوية الواردة في صحيح البخاري.

ومن أحاديث صحيح البخاري التي استند إليها حديث: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»³، وحديث أمر النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: «اهْجُهمْ أَوْ هَاجِهمْ وَجَبْرِيلُ مَعَكَ»⁴. وهذان الحديثان من بين الأدلة التي أَسْتَعْمِلْتُ لشرعة العنف الجسدي واللفظي ضد غير المسلمين. وفيما يلي قائمة الأحاديث الواردة في صحيح البخاري التي تستخدمها هذا الإتجاه كأدلة في عدائها لغير المسلمين. وقد استقرأ وجمع الباحث هذه الأحاديث من الكتابين المذكورين.

3- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن ثلاثة من الصحابة رضي الله عنهم: [1] عبد الله بن عمر (كتاب: الإيمان، باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة)؛ و [2] أنس بن مالك (كتاب: الصلاة، باب: فضل استقبال القبلة)؛ و [3] أبي هريرة (كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة؛ كتاب: الجهاد والسير، باب: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة؛ كتاب: إستتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: من أبى قبول الفرائض؛ كتاب: الإعتصام بالكتاب والسنة، باب: الإقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم)

4- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن البراء بن عازب رضي الله عنه (كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة؛ كتاب: المغازي، باب: مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم؛ كتاب: الأدب، باب: هجاء المشركين)

الرقم	أحاديث صحيح البخاري	موضوع الحديث
1	عَنْ ابْنِ عُثْمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ غَضِمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ» ⁵	
2	عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَتَيْتُ بِمِفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي» ⁶	(1) الأحاديث التي استدلوا بها
3	عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ» ⁷	على الحث على ارتكاب أعمال
4	عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ زَأَى ضَعْفَنَا وَعَجَزَنَا فَاحْلَهَا لَنَا» ⁸	العنف ضد غير المسلمين
5	عَنْ ابْنِ عُثْمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الدَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» ⁹	

5- سبق تخريجه

6- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن [1] جابر بن عبد الله رضي الله عنه (كتاب: التيمم؛ كتاب: الصلاة، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً؛ كتاب: فرض الخمس، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم أحلت لكم الغنائم؛ [2] أبي هريرة رضي الله عنه (كتاب: الجهاد والسير؛ باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب؛ كتاب: التعبير، باب: رأيا الليل؛ كتاب: التعبير، باب: المفاتيح في اليد؛ كتاب: الإعتصام بالكتاب والسنة؛ باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم)

7- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن [1] عبد الله ابن أبي أوفى رضي الله عنه (كتاب: الجهاد والسير؛ باب: الصبر عند القتال؛ كتاب: الجهاد والسير؛ باب: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار آخر القتال حتى تزول الشمس؛ كتاب: الجهاد والسير؛ باب: لا تمنوا لقاء العدو؛ كتاب: التمني، باب: لا تمنوا لقاء العدو؛ [2] أبي هريرة رضي الله عنه (كتاب: الجهاد والسير؛ باب: لا تمنوا لقاء العدو)

8- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن: أبي هريرة رضي الله عنه (كتاب: فرض الخمس؛ باب: أحلت لكم الغنائم؛ كتاب: النكاح، باب: من أحب البناء قبل الغزو)

9- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن: عبد الله بن عمر رضي الله عنه (كتاب: الجهاد والسير، باب: قيل في الرماح)

الرقم	أحاديث صحيح البخاري	موضوع الحديث
6	حديث قتل كعب ابن الأشرف ¹⁰	
7	حديث قتل أبي رافع ¹¹	
8	عَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ غَامَ الْفُتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ، فَلَمَّا نَزَعَهُ، جَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ خَطْلٍ مُتَغَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: أَقْتُلُوهُ » ¹²	(2) الأحاديث التي استدلو بها على أن النبي صلى الله عليه وسلم فعل أو أمر بالعنف الجسدي ضد غير المسلمين
9	حديث إجلاء بني قينقاع من المدينة ¹³	
10	حديث إجلاء بني النضير من المدينة ¹⁴	
11	عن ابن عوفٍ، قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى نَافِعٍ فَكَتَبَ إِلَيَّ، « إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَغَارَ عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُونَ، وَأَنْعَامُهُمْ تُسْقَى عَلَى الْمَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ وَسَبَى ذَرَارِيَهُمْ وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ جُؤَيْرِيَّةَ ». حَدَّثَنِي بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ ¹⁵	
12	حديث قتل بني قريظة وسبي ذراريهم ¹⁶	
13	حديث غزوة خيبر ¹⁷	

10- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه (كتاب: الرهن، باب: رهن السلاح؛ كتاب: الجهاد والسير، باب: الكذب في الحرب؛ كتاب: الجهاد والسير، باب: الفتك بأهل الحرب؛ كتاب: المغازي، باب: قتل كعب ابن الأشرف)

11- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن البراء بن عازب رضي الله عنه (كتاب: الجهاد والسير، باب: قتل المشرك النائم؛ كتاب: المغازي، باب: قتل أبي رافع)

12- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه (كتاب: الحج، باب: دخول الحرم ومكة بغير إحرام؛ كتاب: الجهاد والسير، باب: قتل الأسير وقتل الصبر؛ كتاب: المغازي، باب: أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح؛ كتاب: اللباس، باب: المغفر)

13- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه (كتاب: المغازي، باب: حديث بني النضير)

14- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه (كتاب: المغازي، باب: حديث بني النضير)

15- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه (كتاب: العتق، باب: من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع وجامع وفدى وسبى الذرية)

16- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن [1] عائشة رضي الله عنها (كتاب: المغازي، باب: مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم)؛ [2] أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (كتاب: الجهاد والسير، باب: إذا نزل العدو حكم رجل؛ كتاب: المناقب، باب: مناقب سعد بن معاذ؛ كتاب: المغازي، باب: مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم؛ كتاب: الاستئذان، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم قوموا إلى سيدكم)

17- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عمر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (كتاب: المزارعة، باب: إذا قال رب الأرض أفرك ما أفرك الله)

الرقم	أحاديث صحيح البخاري	موضوع الحديث
14	حديث « وَأَوْضَى عِنْدَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ أَخْرَجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » ¹⁸	
15	عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ الصَّعْبِ بْنِ جَثَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ: مَرَّ بِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَبْوَاءِ أَوْ بِوَدَّانَ وَشِئْلَ عَنْ أَهْلِ الدَّارِ يَتَّبِعُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَيَضَابُ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، قَالَ: هُمْ مِنْهُمْ ¹⁹	
16	عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْثٍ، فَقَالَ: « إِنْ وَجَدْتُمْ فَلَانًا وَفَلَانًا فَأَخْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ »، ثُمَّ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « جِئْنَا أَرْضَنَا الْخُرُوجِ إِيَّيْ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فَلَانًا وَفَلَانًا، وَإِنَّ النَّارَ لَا يَعْذِبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَأَقْتُلُوهُمَا » ²⁰	(2) الأحاديث التي استدلو بها على أن النبي صلى الله عليه وسلم فعل أو أمر بالعنف الجسدي ضد غير المسلمين
17	عن أنس: أَنَّ تَفَرًّا مِنْ عُكْلٍ ثَمَانِيَّةٍ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَابَعُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَاسْتَوْخَمُوا الْأَرْضَ، فَسَقَمَتْ أَجْسَامُهُمْ، فَشَكُّوا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَفَلَا تَخْرُجُونَ مَعَ زَاعِيْنَا فِي إِبِلِهِ فَنُصِيبُونَ مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا، قَالُوا: بَلَى، فَخَرَجُوا، فَشَرِبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا، فَضَحُوا، فَقَتَلُوا زَاعِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَطْرَدُوا النَّعَمَ، فَتَبَلَّغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمْ، فَأَذْرَكُوا، فَجِيءَ بِهِمْ، فَأَمَرَ بِهِمْ، فَقَطَّعَتْ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ، وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ، ثُمَّ تَبَذَّهُمْ فِي الشَّمْسِ حَتَّى مَاتُوا. ²¹	

18- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه (كتاب: العلم، باب: كتابة العلم؛ كتاب: الجهاد والسير، باب: هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم؛ كتاب: الجزية، باب: إخراج اليهود من جزيرة العرب؛ كتاب: المغازي، باب: مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته؛ كتاب: المرضى، باب: قول المريض قوموا عني؛ كتاب: الإعتصام بالكتاب والسنة، باب: كراهية الخلاف)

19- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن عَن الصَّعْبِ بْنِ جَثَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (كتاب: الجهاد والسير، باب: أهل الدار يبيتون فيصاب الولدان والذراري بياتا ليلا)

20- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه (كتاب: الجهاد والسير، باب: التوديع؛ كتاب: الجهاد والسير، باب: لا يعذب بعذاب الله)

21- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه (كتاب: الوضوء، باب: أبوال الإبل والدواب والغنم و مزابضها؛ كتاب: الزكاة، باب: إستعمال إبل الصدقة وألبانها لأبناء السبيل؛ كتاب: الجهاد والسير، باب: إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق؛ كتاب: المغازي، باب: قصة عكل وعرينة؛ كتاب: الطب، باب: الدواء بأبوال الإبل؛ كتاب: الطب، باب: الدواء بألبان الإبل؛ كتاب: الطب، باب: من خرج من أرض لا تلائمهم؛ كتاب: من المحاربين من أهل الكفر والردة، باب: لم يحسم النبي صلى الله عليه وسلم المحاربين من أهل الردة حتى هلكوا؛ كتاب: من المحاربين من أهل الكفر والردة، باب: لم يسق المرتدون المحاربون حتى ماتوا ؛ كتاب: من المحاربين من أهل الكفر والردة، باب: سمر النبي صلى الله عليه وسلم أعين المحاربين ؛ كتاب: تفسير القرآن، باب: إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله؛ كتاب: الدية، باب: القسامة)

(3) الحديث الذي

استدلوا به على
أن النبي محمد
صلى الله عليه
وسلم اعتدى
على ممتلكات
غير المسلمين

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «حَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ وَقَطَعَ وَهِيَ الْبُؤَيْرَةُ، فَتَزَلَّتْ:
مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَبْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ
اللَّهِ»²²

18

(4) الحديث

الذي استدلوا
به على أن النبي
محمد صلى
الله عليه وسلم
أباح العنف
اللفظي ضد غير
المسلمين

عَنْ التَّبَرَّاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِحَسَّانَ: «اهْجُؤْهُمْ أَوْ هَاجِهِمْ وَجِيرِيلُ مَعَكَ»²³

19

أما الفريق الثاني هم يرون أن أحاديث صحيح البخاري التي تحتوي على ظاهرة العنف ضد غير المسلمين هي العناصر الدخيلة التي تتسرب إلى تعاليم الإسلام النبيلة، و يؤكدون أن هذه الأحاديث تسيء إلى صورة الإسلام. وهم يعتقدون أن هذه الأحاديث تتعارض مع المبادئ الأساسية للإسلام في التعامل مع غير المسلمين؛ وقد علمنا أن الإسلام من خلال القرآن الكريم يؤكد على مبادئ الحرية الدينية، وعدم الإكراه في الدين، والرحمة للعالمين، والتعايش السلمي بين الإنسان، في حين أن هذه الأحاديث تشجع المسلمين على رفض التنوع، وإجبار الآخرين على اعتناق الإسلام، وتبرير أعمال العنف ضد غير المسلمين. ولهذا التعارض الصريح فيجب علينا رفض هذه الأحاديث، ولا يجوز الاحتجاج بها، كما أنها لا تعتبر صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم، لأنها تحتوي تناقضاً واضحاً مع القيم والمبادئ الأساسية لدين الإسلام ومع شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالسلام والرحمة إلى العالم أجمع. وبناء على ذلك يجب رد هذه الأحاديث والتشكيك في صحتها وثبوتها. ولم يكتفوا بذلك، بل انتقدوا صحيح البخاري برمته ورفضوا إجماع الأمة بأن صحيح البخاري هو أصح الكتب بعد القرآن، وانتقدوا أيضاً مناهج المحدثين في توثيق الأحاديث النبوية -

22- أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه (كتاب: المزارعة، باب: قطع الشجر و النخل؛ كتاب: الجهاد والسير، باب: حرق الدور والنخل؛ كتاب: المغازي، باب: حديث بنى النضير؛ كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: «ما قطعتم من لينة»)

23- سبق تخريجه

وعلى هذا الأساس ينتقد العديد من الكتاب المعاصرين نقداً تفكيكياً على هذه الأحاديث في صحيح البخاري، وشككوا في صحتها، واعتبروا أن المشكلة ليست مشكلة في منهج الفهم فقط، بل إن المشكلة الأساسية هي وجود هذه النصوص الحديثة في كتاب صحيح البخاري. ومن المؤلفين المعاصرين الذين انتقدوا هذه الأحاديث: سامر الإسلامبولي في كتابه «تحرير العقل من النقل والقراءة النقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم»²⁴، وزكريا أوزون في كتابه «جناية البخاري: إنقاذ الدين من إمام المحدثين»²⁵. و من بين المحاور الرئيسية لمحتوى هذين الكتابين والكتب الأخرى المماثلة لهما هو النقد على صحيح البخاري ومنهج علماء الحديث في رواية الحديث وتوثيقه. وقد تعرضت الأحاديث التي تحتوي على معاني تتعارض مع القرآن الكريم و مبادئ الإسلام الأساسية للنقد والتشكيك في صحتها، ومنها الأحاديث التسعة عشر المذكورة و التي تحتوي على ظاهرة العنف ضد غير المسلمين.

المبحث الثاني : نماذج إشكاليات ذوي الاتجاهات الشاذة و المشككين في فهم أحاديث صحيح البخاري الواردة في غير المسلمين

وفي المبحث الثاني سنعرض أربعة أمثلة من الأحاديث التسعة عشر المذكورة. وسوف نبدأ بعرض الآراء المنحرفة والشاذة في استخدام كل الأحاديث كأدلة لتبرير أعمال العنف ضد غير المسلمين. ثم نبين كيف أن طائفة المشككين ينكرون صحة الأحاديث مع عرض حججهم، ثم نبين فهم الحديث فهما صحيحاً وسليماً.

المطلب الأول: حديث أمّرت أن أقاتل الناس الحديث عند ذوي الاتجاهات الشاذة

هناك عدة أحاديث في صحيح البخاري التي إتخذها طائفة من ذوي الاتجاهات الشاذة أساساً للقيام بأعمال العنف ضد غير المسلمين، بل وتستخدمها ذريعة لقتال غير المسلمين وقتلهم مع أنهم مواطنون في بلاد المسلمين. فأبو عبد الله المهاجر مثلاً يرى أن كل البلاد غير الإسلامية اليوم هي دار حرب فيجب قتالها وحربها. قال أبو عبد الله المهاجر: «وقد نص الفقهاء بل ونقلوا الإتفاق على وجوب -لا إباحة- قصد الكفار بالقتل والقتال في ديارهم وإن لم يتعرضوا بأي أذى للمسلمين»²⁶ وكذلك يجب قتال غير المسلمين الذين يعيشون في البلاد

²⁴- ينظر: «تحرير العقل من النقل والقراءة النقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم»، لسامر الإسلامبولي (دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، 2000)

²⁵- ينظر: «جناية البخاري: إنقاذ الدين من إمام المحدثين»، لزكريا أوزون (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2004)

²⁶- «مسائل من فقه الجهاد»، لأبي عبد الله المهاجر (ص: 25)

الإسلامية، لأن البلاد الإسلامية الموجودة اليوم عند رأيه لا يوجد فيها شرعية الشريعة، لأن القوانين التي تطبق هي قوانين الكفار، ولذلك فإن البلاد الإسلامية الموجودة اليوم أيضاً تدخل في دائرة دار الحرب. ولذلك ضمان الأمن الممنوح لغير المسلمين باطل. ولا يمكن وقف القتال ضد غير المسلمين إلا لسببين، وهما: الدخول إلى الإسلام، أو الحصول على ضمانات أمنية من دولة إسلامية شرعية وفقاً للشريعة الإسلامية.²⁷

ومن أحاديث صحيح البخاري التي اعتمد عليها أبو عبد الله المهاجر: عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَجَسَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ»²⁸.

الحديث عند المشككين

لقد تعرض هذا الحديث للنقد والتشكيك في صحته من قبل المفكرين المعاصرين. ومن بينهم سمير إسلامبولي، وقال إن الإنسان في الإسلام يتمتع بالحرية الدينية الكاملة كما ورد في سورة البقرة: 256، و سورة الكهف: 29. و مشروعية القتال في الإسلام ليست لإكراه الإنسان على اعتناق الإسلام، و الحرب إنما يحوز في الإسلام من أجل دفع الظلم. و الإسلام يعطي الإنسان الحرية - على أساس مبادئ الحرية والعدل - لاختيار ما يريد. وعلى هذا فإن كل حديث فيه أمر بقتال الناس وإكراههم على قول لا إله إلا الله - بما في ذلك حديث صحيح البخاري المذكور - فهو حديث باطل لأنه يخالف نصوص القرآن التي هي قطعية الدلالة، وفي نفس الوقت يسلب الناس حقهم في ممارسة حرية الاعتقاد.²⁹

ومن بين هؤلاء إسرار أحمد خان، وقد وجه انتقادات مماثلة مفادها أن هذا الحديث يتناقض مع القرآن. وهذا الحديث فضلاً عن أنه لا يتفق مع سورة البقرة: 256 التي تؤكد على أنه لا إكراه في الدين، فإنه يتعارض أيضاً مع سورة الشورى: 48، وسورة الجاثية: 22-21 التي توضح أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم هي الدعوة و التبليغ، وليس إكراه الآخرين على الدخول في الإسلام.³⁰

وأبدى جمال البنا انتقادات مماثلة أيضاً. وبعد أن انتقد جمال البنا الجانب الإسنادي من الحديث، فإنه أكد أن حرية الفكر والعقيدة حق مقدس في الإسلام. وقد ذكر

²⁷- «مسائل من فقه الجهاد»، لأبي عبد الله المهاجر (ص: 16، 18، 23، 25، 29، 43، 45)

²⁸- سبق تخريجه

²⁹- «تحرير العقل من النقل والقراءة النقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم»، لسامر الإسلامبولي (ص: 247-248)

³⁰- "Authentication of Hadis Redefining The Criteria" لإسرار أحمد خان (لندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،

2010) ص: 58

القرآن الكريم حالات عديدة من الردة، ولا يذكر لها العقوبة الدنيوية، فجزاء المرتد في القرآن هو الجزاء أو العقوبة الأخروية. ولذلك يجب رفض كل حديث يخالف تعاليم القرآن الكريم مثل حديث «أمرت أن أقاتل النّاس»، لأن التمسك و الالتزام بهذا الحديث يؤدي إلى المخالفة الصريحة لتعاليم القرآن³¹.

ووجه زكريا أوزون أيضا نفس الانتقاد بأن الحديث يبين بوضوح أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتال البشر كافة حتى يعلنوا الإسلام، وأن الحرب هي الوسيلة الوحيدة لحماية دمائهم وأموالهم. ويرى أوزون أن هذا الحديث يتعارض بشكل واضح مع مضمون القرآن³².

الفهم الصحيح للحديث

ولرد وتصحيح هذين الإتجاهين الخاطئين في فهم الحديث المذكور، يقدم العديد من العلماء فهماً صحيحاً وسليماً وفق المنهج الصحيح في فهم نصوص السنة النبوية. وصحة هذا الحديث لا شك فيه لأنه في صحيح البخاري، وأن الخطأ وقع في طريقة فهم الحديث. ويؤكد الشيخ محمد رمضان البوطي على أنه لفهم الحديث المذكور بشكل صحيح لا بد من الاهتمام بثلاثة جوانب. الأول: هو فهم الحديث في سياق كامل وخريطة كاملة لمفهوم الجهاد والحرية الدينية من منظور إسلامي. والثاني: استخدام المنهج اللغوي الصحيح في تفسير كلمة «أُقاتِل» الموجودة في الحديث. والثالث: تحديد العوامل والشروط التي تبيح قتال غير المسلمين من منظور الفقه الإسلامي الصحيح.

أما بالنسبة للجانب الأول فبين البوطي أن الحديث المذكور يجب أن يفهم مع آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية التي تتحدث عن قضية الدعوة والجهاد بشكل عام، وقضية قتال غير المسلمين بشكل خاص. وأكد البوطي أن الروح الأساسية للجهاد في الإسلام هي نشر تعاليم الإسلام، وأن المبدأ الأساسي في الدعوة الإسلامية هو إتاحة المجال للاختيار وإعطاء الحرية للناس في اتخاذ القرار، فلا يجوز نشر الإسلام عن طريق الإكراه والعنف. فهذه المبادئ هي المبادئ الأساسية التي حددتها آيات كثيرة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، بحيث يجب أن نفهم الحديث المذكور أيضاً على ضوء روح ومقاصد آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الأخرى الواردة في هذا المجال³³.

31- «تجريد البخاري ومسلم من الأحاديث التي لا تلزم»، لجمال البنا (القاهرة: دعوة الإحياء الإسلامي، 2008)، ص: 283

32- «جناية البخاري: إنقاذ الدين من إمام المحدثين»، لزكريا أوزون (ص: 86-85)

33- «الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه»، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1993)، ص: 50 - 53.

المسألة الثانية المهمة التي يجب الانتباه إليها هي استعمال كلمة «أقاتل» في الحديث. وقد فهم بعض الناس أن هذا الحديث يأمُر المسلمين بإكراه الآخرين على الدخول في الإسلام و قَتْل من يرفض. وهذا النوع من الفهم فهم خاطئ. والسبب الرئيسي لهذا الفهم الخاطئ يكمن في الخطأ في تفسير كلمة «أقاتل». فإن كلمة «أَقَاتِلْ» لها معنى مختلف عن كلمة «أَقْتُلْ». والكلمة الأولى الموجودة في الحديث تدل على معنى المشاركة، بحيث تتضمن معنى رد الفعل على الهجمات ومحاولات القتل التي يقوم بها العدو أولاً، فلا يمكن فهم كلمة «أَقَاتِلْ» في اللغة على أنها هجوم أولي، وإنما هي رد فعل على تصرفات قام بها العدو³⁴. ويوضح البوطي أن هذا النوع من الفهم هو أيضاً الفهم الذي طرحه العلماء القدماء كالشافعي وابن حجر العسقلاني وابن دقيق العيد³⁵.

والجانب الثالث المهم الذي ينبغي الاهتمام به هو العوامل والشروط التي تبيح قتال غير المسلمين. فالسبب الرئيسي لجواز قتال غير المسلمين ليس كفرهم فقط كما يعتقد بعض الناس بناء على فهمهم الخاطئ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». وأكد البوطي أن السبب الرئيسي في جواز قتال غير المسلمين هو موقف الحراية والإعتداء الذي يتخذه تجاه المسلمين. وبناء على ذلك عندما يحارب الكفار الدعوة التي يقوم بها المسلمون، فيجوز قتالهم، ومتى كفوا عن القتال وجب على المسلمين أن يكفوا عن قتالهم وحربهم. وبين البوطي أن هذا الإستدلال يمكن فهمه بسهولة من سورة التوبة الآية 36³⁶، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَخَذَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتِجَارَكَ فَأَجَرَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾

وبالإضافة إلى هذه الآية فإن البوطي يستدل أيضاً بسورة التوبة الآية 13 و بأعمال الصحابة التي تدل على أن الإذن بقتال غير المسلمين ليس بسبب كفرهم بل بسبب قتالهم ومحاربتهم للدعوة الإسلامية³⁷. وبناء على ذلك فيجب فهم الحديث المذكور تحت هذا الضوء من آيات القرآن الكريم، حتى لا يفهم من جملة «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله» الواردة في الحديث أن السبب الذي يبيح قتال غير المسلمين هو أنهم لم يعلنوا إيمانهم. وكلمة «حتى» في هذه الجملة في الحقيقة تشير إلى الحد النهائي الذي يجب فيه التوقف عن قتالهم، في حين أن الأصل في جواز قتال غير المسلمين هو شيء آخر، وهو الحراية كما تقدم بيانه.

34- المرجع السابق، (ص: 60)

35- المرجع السابق، (ص: 60-61)

36- المرجع السابق، (ص: 56)

37- المرجع السابق، (ص: 58)

وبناء على ما تقدم رأى البوطي أن معنى الحديث المذكور هو: «أمرت أن أصد أي عدوان على دعوتي الناس إلى الإيمان بوحداية الله، ولولم يتحقق صد العدوان على هذه الدعوة إلا بقتال المعادين والمعتدين فذلك واجب أمرني الله به.»³⁸

وقد شرح الدكتور وهبة الزحيلي شرحاً خاصاً لمعنى جملة «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله» وقال: «هذا الحديث ذكر للغاية التي يباح قتالهم إليها، بحيث إذا فعلوها حرم قتالهم، والمعنى أنني لم أؤمر بالقتال إلا إلى هذه الغاية، وليس المراد أنني أمرت أن أقاتل كل أحد إلى هذه الغاية، فإن هذا خلاف النص والإجماع، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يفعل هذا قط، بل كانت سيرته أن من ساله لم يقاتله.»³⁹

وأكد أيضاً الدكتور يوسف القرضاوي. ومن الخطأ أن نفهم هذا الحديث على أنه أمر بقتال كل أهل الأرض حتى يدخلوا في الإسلام.⁴⁰ وأن المقصود بكلمة «الناس» في الحديث ليس البشرية كلها، بل المحاربون، أي من حمل السلاح لقتال المسلمين. فالأمر الوارد في الحديث هو أمر بمواجهة الاعتداءات التي قام الكفار بها.⁴¹

والخلاصة أن هذا الحديث حديث صحيح، ولا يتعارض مع مبدأ حرية الاعتقاد الذي أقره الإسلام -كما يزعمه المشككون-. فإن الأمر في الحديث ليس أمراً بإجبار الآخرين على الدخول في الإسلام -كما فهمه المتشددون-. ولكن الأمر هنا هو الأمر برد الاعتداء. فالباعث على الحرب والقتال في الإسلام هو دفع الاعتداء، لا البدء به، قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة:190). فالسلم هو الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم، وباعتبار الحرب ضرورة لا يلجأ إليها إلا مقاومة للظلم والعدوان، وحين لا يكون بد منها، أما الحروب العدوانية والهجومية فهي حروب لا يعرفها الإسلام.

المطلب الثاني: حديث قتل المدنيين و النساء والصبيان في الحرب

الحديث عند ذوي الاتجاهات الشاذة

ومن الأحاديث الصحيحة التي استخدمتها جماعة المنحرفين كأساس لارتكاب العنف الجسدي ضد غير المسلمين، الحديث الذي فيه صورة من قتل النساء والأطفال في الحرب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهو: عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ، عَنْ الصَّعْبِ بْنِ جَثَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ: مَرَّ بِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَبْوَاءِ أَوْ بَوْدَانَ وَسُئِلَ عَنْ أَهْلِ الدَّارِ يُبَيِّتُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَيُصَابُ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذُرَارِيِّهِمْ، قَالَ: هُمْ مِنْهُمْ⁽⁴²⁾.

38- المرجع السابق، (ص: 58)

39- «آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة»، للدكتور وهبة الزحيلي (بيروت: دار الفكر، 1998) ص: 107

40- «فقه الجهاد دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة»، للدكتور يوسف القرضاوي (القاهرة: مكتبة الوهبة، 2009) ج: 1/ ص: 347

41- المرجع السابق، (ج: 1/ ص: 357)

42- سبق تخريجه

واستناداً على هذا الحديث يرى أبو عبد الله المهاجر أن جميع الكفار سواء كانوا من العسكريين أو من المدنيين دماًؤهم كلها مباح الدم، حيث قال: «إلا أن قول الجمهور إن هؤلاء (النساء والصبيان والشيخوخ الفانين) لا يقتلون لأنهم ليسوا من أهل الممانعة: لا يعنى -البتة- إثبات العصمة لهم كما أطلق بعض المعاصرين ذلك عند حديثه عن هذه الأصناف؛ فهذا الإطلاق خطأ فاحش، وقد بينا قبل في مسألة مستقلة أن العصمة لا تثبت إلا بإيمان وأمان، وحتى عصمة الأمان: هي عصمة حكمية لا حقيقية مع كونها -أيضاً- جزئية، مؤقتة؛ فالعصمة الحقيقية المؤبدة لا تكون بغير الإسلام وهذا وفاق بين أهل الشرع. غير أن الجمهور يفرقون بين سبب إباحة الدم وبين موجب القتل؛ فسبب إباحة دم الكافر: هو الكفر لا غير، أما موجب القتل: فهو كون الكافر من أهل الممانعة»⁴³

وبناء على هذا الرأي فإن مهاجمة الكفار وقتلهم سواء كانوا مشاركين في الحرب أو غير مشاركين فيها ما داموا قادرين ومطيعين على القتال هو عمل مشروع؛ «فكل من كان مطيقاً للقتال فهو من أهل المقاتلة والممانعة وإن جلس في بيته»⁴⁴. وبناء على ما تقدم رأى أبو عبد الله المهاجر أن مهاجمة دار الحرب بمختلف الأساليب والطرق جائز حتى لو أدى ذلك إلى قتل النساء والصبيان. قال أبو عبد الله المهاجر: «تقرر معنا في المسألة السابقة: مشروعية رمي الكفار، وقتلهم، وقتالهم بكل وسيلة تحقق المقصود، حيث تبين معنا أنه يشرع لعباد الله المجاهدين في سبيل إعلاء كلمته: رمي الكفار الحربيين، وقتلهم، وقتالهم بكل وسيلة تخطف نفوسهم، وتنزع أرواحهم من أجسادهم تطهيراً للأرض من رجسهم، ورفعاً لفتنتهم عن العباد أياً كانت هذه الوسيلة تعم المقصودين من الكفار الحربيين وغير المقصودين من النساء والصبيان، ومن في حكمهم من الكفار ممن لا يجوز قصدهم بالقتل»⁴⁵

الحديث عند المشككين

ومن المشككين في صحة هذا الحديث زكريا أوزون، واعتبر أن هذا الحديث دليلاً على أن الإمام البخاري لم يكن متقناً في اختيار الأحاديث وتمحيصها، فأدرج في كتابه مثل هذا الحديث. ويقول أوزون أن هذا الحديث يتعارض مع تعاليم الإسلام مثل ما رواه الصحابي أبو بكر الصديق حين أوصى جنود المسلمين الذين خرجوا للحرب بعدم قتل النساء والأطفال. قال أوزون: «وهنا نتساءل: ألم يسمع الإمام البخاري بوصية الخليفة الراشدي أبي بكر الصديق لقادة جيشه في حروبهم ألا يقطعوا شجراً أو يقتلوا شيخاً أو امرأة... إلخ. فهل كان الخليفة مخالفاً لسنة رسول الله بوصيته تلك أم أن بعض الصحابة نقل ما خالف الرسول وأثبت ذلك إمامنا البخاري في صحيحه»⁴⁶

43- «مسائل من فقه الجهاد»، لأبي عبد الله المهاجر (ص: 148)

44- المرجع السابق، (ص: 141)

45- المرجع السابق، (ص: 189)

46- «جناية البخاري: إنقاذ الدين من إمام المحدثين»، لزكريا أوزون (ص: 69-70)

الفهم الصحيح للحديث

وقد حاول كثير من العلماء في تصحيح فهم هذا الحديث الذي رواه الصَّعْبُ بْنُ جَثَّامَةَ. وقد جمع العلماء الأحاديث الأخرى في هذا الموضوع وفهمها فهما متكاملًا لا يتجزأ، ووضع حديث الصَّعْبُ بْنُ جَثَّامَةَ موضعه الصحيح بين تلك الأحاديث. وهناك اتجاهان في فهم هذا الحديث. الأول: أن حديث الصَّعْبُ بْنُ جَثَّامَةَ في قتل النساء وذرية المشركين من الأحاديث المنسوخة؛ الثاني: الجمع بين حديث الصَّعْبُ بْنُ جَثَّامَةَ وبين الحديث الذي ينهى عن قتل النساء والصبيان. الإتجاه الأول يؤكد أن من أخلاقيات الحرب المقررة في الإسلام تحريم قتل من لا يشارك في الحرب ولا يحمل السلاح، كالأطفال والنساء والشيوخ والرهبان والراهبات والمقعدين والمزارعين والتجار ونحوهم. والأدلة من الأحاديث النبوية في نهى قتل من لا يقاتل ولا يحمل السلاح كثيرة، منها ما رواه البخاري في «كتاب الجهاد» في «باب قتل الصبيان في الحرب» عن ابن عمر رضي الله عنه: أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة، فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان.⁴⁷

وروى البخاري في «كتاب الجهاد» في «باب قتل النساء في الحرب» حديث ابن عمر من طريق آخر، قال: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى رسول الله عن قتل النساء والصبيان.⁴⁸

وفي هذين الحديثين إنكار ونهي من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء في الحرب. وتحريم قتل النساء والصبيان والشيوخ الهرمين سنة من سنن الخلفاء الراشدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك راعى ذلك الخليفة عمر ابن عبد العزيز، كما روى عنه ذلك الإمام مالك في الموطأ⁴⁹، مما يدل على استمرار ذلك النهج طيلة القرون الأولى.

وأما حديث الصَّعْبُ بْنُ جَثَّامَةَ فهو في أول العهد المدني ومنسوخ بتلك الأحاديث. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «وهذا الحديث أخرجه أبو داود بمعناه من وجه آخر، عن الزهري، وكأن الزهري أشار بذلك إلى نسخ حديث الصعب. وقال مالك والأوزاعي: لا يجوز قتل النساء والصبيان بحال، حتى لو تترس أهل الحرب بالنساء والصبيان، وتحصنوا بحصن أو سفينة، وجعلوا معهم النساء والصبيان: لم يجز رميهم ولا تحريقهم»⁽⁵⁰⁾.

47- رواه الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عمر رضي الله عنه (كتاب: الجهاد، باب: قتل الصبيان في الحرب)

48- رواه الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابن عمر رضي الله عنه (كتاب: الجهاد، باب: قتل النساء في الحرب)

49- رواه الإمام مالك في «الموطأ» (كتاب: الجهاد، رقم الحديث: 966)

50- «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن حجر العسقلاني (القاهرة: دار أبي حيان، 1996)، ج: 7/ ص: 579، 580

أما الإتجاه الثاني هو الإتجاه الذي جَمَعَ بين الحديثين: حديث الصَّعْبُ بْنُ جَثَّامَةَ الذي يجيز والأحاديث الأخرى التى تنهى عن قتل النساء والصبيان في الحرب. فقوله صلى الله عليه وسلم «هم منهم»، أي في الحكم في تلك الحالة، وليس المراد إباحة قتلهم بطريق القصد إليهم، بل المراد كما قال الإمام الخطابي - بيان جواز «قتلهم في البيات وفي الحرب، إذا لم يتميزوا من آبائهم، وإذا لم يتوصل إلى الكبار إلا بالإتيان عليهم، وأن النهي عن قتلهم ينصرف إلى حال التمييز والفرق»⁵¹

وقد لخص الدكتور يوسف القرضاوي لفهم هذه الإشكالية بقوله: «أن جمهور فقهاء المسلمين يُحرِّمون قتل النساء والصبيان والشيوخ الكبار، ومثلهم الزماني والعميان والرهبان، ومن في حكمهم من كل من لا يباشر القتال. ومن أجاز منهم قتل النساء والصبيان ومن في حكمهم فإنما يجيزه تبعاً لا قصداً، بحكم ضرورات الحرب، كما يدل عليه مجموع الأحاديث»⁵²

وأكد الدكتور وهبة الزحيلي أيضاً أنه من حيث المبدأ يحرم قتل النساء والصبيان الذين لا يحملون السلاح. والحديث المذكور لا يتضمن جواز تعمد استهداف نساء العدو وأطفاله، بل إن الحديث يدل على أنه إذا كانت الحالة الطارئة لا يمكن معها فصلهم عن رجال العدو المسلحين فإنه يجوز مهاجمة العدو حتى لو تضررت النساء والأطفال، فيقتلون أيضاً، فليس المراد إباحة قتلهم بطريق القصد إليهم بل للضرورة، والضرورة تقدر بقدرها.⁵³

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن حديث الصَّعْبُ بْنُ جَثَّامَةَ الذي ذكره الإمام البخاري هو حديث منسوخ أو يوضح حالة معينة وفي حالة طوارئ. وهذا الحديث لا يترتب عليه أثر شرعي مطلق لجواز قتل النساء والأطفال، ولكن هذا الجواز خاص بحالات الطوارئ الحربية التي لا يمكن تجنبها. وهذا الحديث لا يتعارض مع الأحاديث الأخرى التي تنص صراحة على تحريم قتل النساء والأطفال في الحرب.

المطلب الثالث : حديث الإذن بإهلاك ممتلكات غير المسلمين

الحديث عند ذوي الاتجاهات الشاذة

وبالإضافة إلى العنف الجسدي ضد غير المسلمين، فإن أحاديث صحيح البخاري تستخدم أيضاً كأساس من قبل جماعة المنحرفين لارتكاب العنف ضد ممتلكات غير المسلمين. ويرى أبو عبد الله المهاجر أن إتلاف الأراضي والأموال والمباني المملوكة للكفار، ولو لم تكن هناك ضرورة ملحة، جائز. وذلك لإضعاف قوتهم و

⁵¹- «معالم السنن»، للخطابي (القاهرة: مطبعة أنصار السنة المحمدية، 1961)، ج: 13/ص: 13، 15، وابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (ج: 7/ص: 578)

⁵²- «فقه الجهاد دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة»، للدكتور يوسف القرضاوي (ج: 1/ص: 753)

⁵³- «آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة»، للدكتور وهبة الزحيلي (ص: 107 ص: 502، 506، 507)

إذلالهم وجعلهم يندمون. ورأى المهاجر أن مثل هذا التدمير والتخريب من شأنه أن يضعف العدو ويشعره بالذل، وفيه فوائد عظيمة للمسلمين، لأنه يزيد من معنوياتهم وثقتهم في الحرب، حيث قال: «أن جماهر أهل العلم ... على جواز قطع أشجار وزروع العدو، وتخريب العامر من أملاكهم ومنشأتهم وإن لم تدع الحاجة أو المصلحة إلى ذلك لمجرد النكاية في أعداء الله، وكبتهم، وقهرهم، وغيظهم، وهو ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم، وأقره الله تعالى من فوق سبع سموات، وجعله إجزاء للكافرين»⁵⁴.

كما أبو عبد الله أكد المهاجر أن للمسلمين أن يدمروا بكل طريقة، بما في ذلك حرق كل ما يحتمل أن يكون قوة للعدو، سواء كان من مصادر الغذاء أو الشراب أو المال أو السلاح وغير ذلك، سواء في حالة حرب أو غير حرب. قال أبو عبد الله المهاجر: «فيجوز لعباد الله المجاهدين أن يقوموا بإتلاف كل ما من شأنه أن يتقوى به أعداء الله الكفرة - إذا خافوا أن يقع في أيديهم - من طعام، وشراب ومتاع، وسلاح، وعتاد، ومال، وغير ذلك من كل ما يمكن أن تحدث لهم به قوة سواء كان ذلك في حال القتال أم لا، وسواء كان ذلك ملكاً للمسلمين في الأصل أم كان ملكاً لأعدائهم، ولم يختلف الفقهاء هنا إلا في إتلاف وقتل ذوى الأرواح من الدواب في غير حال القتال.»⁵⁵

ومن الأدلة التي استند إليها أبو عبد الله المهاجر⁵⁶ الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه، والذي يبين أن النبي صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير. عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «حَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ وَقَطَعَ وَهِيَ الْبُؤَيْرَةُ، فَتَزَلَّتْ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَبَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ»⁵⁷.

الحديث عند المشككين

وممن ينكر صحة حديث تحريق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير، زكريا أوزون وابن قرناس. وهناك عدة أسباب ذكرها زكريا أوزون لرفض هذا الحديث: أولاً: أن هذا الحديث يخالف خطبة أبي بكر الصديق حين أراد أن يبعث جيشه إلى الحرب، والتي نهى فيها عن قطع الزرع في الحرب. ثانياً: أما الآية الواردة في الحديث عامة لا تشير بصفة خاصة إلى إباحة وتبرير حرق النخل. وقال زكريا أوزون: «وإني لأعجب من إسقاط كلام الله - عز وجل - على ذلك الحديث، فالآية الواردة فيه لم تشير إلى التحريق أصلاً وهي تبين أن قطع أو ترك الأشجار عامة إنما يتم بإذن الله وعلمه، وليس أمره، كون النبات من أهم مظاهر الحياة على وجه الأرض»⁵⁸.

54- «مسائل من فقه الجهاد»، لأبي عبد الله المهاجر (ص: 233)

55- المرجع السابق، (ص: 234)

56- المرجع السابق، (ص: 223)

57- سبق تخريجه

58- «جناية البخاري»، لزكريا أوزون (ص: 70)

وقد أورد ابن قرناس عدة حجج في رد هذا الحديث: أولاً: إن النخيل الذي أحرقه الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقع خارج القلاع التي تحصن فيها يهود بني النضير. لذلك لا داعي لحرق الحقائق لأن ذلك لا يحميها بشكل مباشر. وعلاوة على ذلك، لو كان النبي صلى الله عليه وسلم عازماً على إجلاء بني النضير، فإن الخيار العقلي هو أن يترك الحديقة وجعلها المسلمون غنيمة بعد خروج بني النضير من المدينة. ثانياً: أن الحرق نوع من الإفساد في الأرض. وهل يعقل أن يجزأ الرسول صلى الله عليه وسلم على الإفساد في الأرض، وقد نزل عليه القرآن يحذر الناس من الإفساد وإهلاك الحرث والزرع، كما جاء في القرآن الكريم سورة البقرة: 204 - 206⁵⁹.

الفهم الصحيح للحديث

ولكي نفهم مسألة حرق نخل يهود بني النضير بوضوح وبشكل موضوعي وصحيح لا بد أن نتنبه إلى الأمور التالية، كما بينها راغب السرجاني⁶⁰:

أولاً: لم تكن حروب النبي صلى الله عليه وسلم حروب تخريب، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون يحرصون أشد الحرص على الحفاظ على العمران في كل مكان؛ ومن أخلاقيات الحرب في الإسلام تحريم التدمير بقطع ما هو من مصادر الحياة البشرية، أو إتلاف ما هو من احتياجات الإنسان. فقد جاء في كثير من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك، ومنها وصيته صلى الله عليه وسلم لأحد جيوشه: «وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَرَةً، وَلَا تَعْقِرَنَّ نَخْلًا، وَلَا تَهْدِمُوا بَيْتًا»⁶¹.

ثانياً: لقد قامت قبيلة بني النضير بخيانة عظمى للعهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك بتدبير محاولة اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه ليست جريمة عادية، فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان رئيساً للمدينة المنورة فضلاً عن كونه رسول رب العالمين، وقتله سيؤدي حتماً لفتن ضخمة تعصف بالمدينة.

ثالثاً: لذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم موقفًا حاسماً فقرر إخراج بني النضير إلى خارج المدينة، وهذا أقل عقاب يتناسب مع الحدث، وإلا كان قتلهم بتهمة التدبير لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم أمراً وارداً، ولكن بني النضير رفضوا الخروج، وأرسل رئيسهم حيي بن أخطب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: «إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك»، بل وتحالف اليهود مع المنافقين بالمدينة بقيادة عبد الله بن أبي بن سلول، وتعاهدوا جميعاً على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بُدّاً من القتال.

⁵⁹ - «الحديث والقرآن»، لابن قرناس (بغداد: منشورة الجمل، 2008) ص: 218

⁶⁰ - «أخلاق الحروب في السنة النبوية»، لراغب السرجاني (القاهرة: مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، 2010) ص: 142

⁶¹ - «السنن الكبرى»، للبيهقي (بيروت: دار الكتب العلمية، 1414) ج: 9/ ص: 154

رابعاً: وبالفعل أخذ جيش الرسول صلى الله عليه وسلم وحاصر حصون بني النضير. استمر الحصار ستة أيام، وفي رواية خمسة عشر ليلة، وأثناء هذا الحصار كان اليهود يرمون المسلمين بالنبل والحجارة والسهم من خلف أسوار الحصون، وساعدهم على استمرار الرمي وجود النخيل خارج الحصون، فكان يحميمهم، وفي ذات الوقت يعوق الرؤية للمسلمين، وصعب الموقف على المسلمين، وكان من الممكن أن يستمر الحصار فترات طويلة جداً لولا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر الصحابة بإحراق النخيل الموجود خارج الحصون.

خامساً: لقد كان الهدف من حرق النخيل واضحاً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو لم يكن يريد بحرقه الإفساد في الأرض كما يدّعون - حاشاه - إنما أراد بذلك هدفين رئيسيين. أما الهدف الأول فهو فتح المجال للسهم الإسلامية أن تصل إلى داخل الحصون اليهودية، وتجنب الرمي اليهودي الذي كان يعتمد على الاختفاء خلف هذا النخيل، أي أن الأمر كان ضرورة عسكرية بحته. وأما الهدف الثاني من حرق النخيل فهو استفزاز اليهود للخروج من الحصون ومحاربة المسلمين وجهًا لوجه، فالحصار صعب على المسلمين كما هو صعب على اليهود، والبقاء طويلاً أمام الحصون ليس أمراً آمناً.

سادساً: لم يتم حرق عدد كبير من النخيل، ففي رواية قتادة والضحاك أنهم قَطَعُوا مِنْ نَخِيلِهِمْ وَأَحْرَقُوا سِتّاً نَحَلَاتٍ فَقَطَّ62، وفي رواية ابن إسحاق قال: قَطَعُوا نَحْلَةً وَأَحْرَقُوا نَحْلَةً63. فالعدد قليل جداً، ولو كان القطع بغرض النكاية والتشفي، أو بغرض الإفساد في الأرض لكان المقطوع أضعاف ذلك حتماً.

سابعاً: أن هذا الفعل نادرٌ جداً في السيرة، بل هي المرة الوحيدة التي فعل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، ولو كان الهدف هو الإفساد في الأرض فلماذا لم يفعله مع غير بني النضير؟ بل لماذا لم يفعله مع بني قينقاع من قبل، أو مع بني قريظة ويهود خيبر من بعد؟ إن المنطق السليم ليؤكد أنه اضطر إلى ذلك اضطراراً، وذلك لظرف عسكري.

ثامناً: أن هذا الأمر كان أمراً عارضاً تماماً ولم يكن سُنَّةً مطردة، بدليل أن أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- مع شدة حرصه على اتباع سُنَّةِ الرسول صلى الله عليه وسلم - إلا أنه أمر الجيوش المتجهة إلى حرب الرومان بقيادة أسامة بن زيد -رضي الله عنه- بعدم قطع النخيل تحديداً، ولو كان الأمر متكرراً في حياته صلى الله عليه وسلم لأمر به الصديق رضي الله عنه - ، أو على الأقل سكت عنه، لكنه قال في وضوح وحسم: «وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا، وَلَا تُحَرِّبَنَّ غَائِمًا، وَلَا تَغْفِرَنَّ شَاةً وَلَا بَعِيرًا إِلَّا لِمَا كَلَّتْ، وَلَا تُحْرِقَنَّ نَخْلًا وَلَا تُغْرِقَنَّ»64

62- «تفسير القرطبي»، للقرطبي، (بيروت: دار الفكر)، ج: 18/ ص: 9

63- المرجع السابق (ج: 18/ ص: 9)

64- «الموطأ» للإمام مالك، (دار إحياء العلوم العربية، 1414) ص: 334

وأكد الدكتور يوسف القرضاوي أن حرق النبي صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير لم يكن هذا هو الهدف الأساسي، ولم يقصد أن يحرقها أول الأمر، ولكنه أضطر لاستخدامه من باب الضرورات الحربية. ولم يحرق ولم يقطع النبي الكثير من أشجار النخيل الموجودة، بل فقط تلك التي يستخدمها العدو للحماية. وقد فعل النبي ذلك لضرورة حربية، ليسوق بني النضير إلى التسليم.⁶⁵

أما ما يخص الآية الكريمة من سورة الحشر فقد سَمِيَ النخل فيها بـ«لَيْئَةٍ»، وقال السهيلي -كما نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح- في تخصيصها بالذكر إيماء إلى أن الذي يجوز قطعه من شجر العدو ما لا يكون معدا للإقتيات لأنهم كانوا يقتاتون العجوة والبرني دون اللينة⁶⁶. وترجم الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب «ما قطعتم من لينة»، وفسر لفظ «اللينة» بنخلة ما لم تكن برنيّة أو عجوة⁶⁷. وعلى هذا تبين أن ما تم حرقه وقطعه لم يكن نخلة بني النضير بأكملها، بل جزء منها بصفة خاصة فقط، فضلا عن كونها تعوق في عملية الحرب.

وبناء على ما تقدم يتبين لنا أن الإتهامات علي حديث «حرق نخل بني النضير» و سوء استخدامه لعملية العنف ضد غير المسلمين، لا تقوم على أسس قوية، فهم لم يقرأوا الحديث النبوي قراءة جيدة، ولم يفهموا سياق الأحداث التي وقع فيها الحديث. فإنهم لا يعانون من أخطاء في الفهم فحسب، بل يعانون أيضًا من أخطاء منهجية.

المطلب الرابع : حديث الأمر بهجاء غير المسلمين

الحديث عند ذوي الاتجاهات الشاذة

قد بينا سابقا أحاديث صحيح البخاري التي استدلت بها طائفة المنحرفين لتبرير أفعالهم في أعمال العنف الجسدي ضد غير المسلمين وإتلاف أموالهم. والآن سوف نوضح حديث صحيح البخاري الذي يستخدمونه لتبرير ارتكاب العنف اللفظي ضد غير المسلمين. والحديث هو: عَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَسَّانَ: «اهْجُهُمْ أَوْ هَاجِهِمْ وَجَبْرِيلُ مَعَكَ»⁶⁸. ومن خلال استخدام هذا الحديث فإن فريق المنحرفين يجيزون الاستهزاء واللعن والسب واستعمال الكلمات القاسية تجاه غير المسلمين .

⁶⁵- «فقه الجهاد دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة»، للدكتور يوسف القرضاوي (ج:1/ص: 271-270)

⁶⁶- «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن حجر العسقلاني (ج:8/ص: 257-256)

⁶⁷- «صحيح البخاري» للإمام البخاري، (كتاب التفسير، باب «ما قطعتم من لينة»، نخلة ما لم تكن برنيّة أو عجوة)

⁶⁸- سبق تخريجه

الحديث عند المشككين

وممن ينكر صحة حديث أمر النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت بهجاء غير المسلمين ، زكريا أوزون ومحمد سعيد العشماوي. يرفض زكريا أوزون هذا الحديث، ويقول: «أن يأمر الرسول بهجاء المعارضين له، هو أمر فيه شك لأن الباري - عز وجل - قال فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾» -القلم: 4- ، ولكن أن يكون جبريل الوحي الأمين مع الشاعر حسان في هجائه بحيث يصبح شعره مؤيدا من السماء فهذا أمر لا يمكن قبول نسبه إلى الرسول الكريم»⁶⁹ و يرى محمد سعيد العشماوي نفس الشيء. ورأى أن الحديث يوحى بأن النبي كان يشجع شعر حسان بن ثابت «المقدع والبذيء»⁷⁰

الفهم الصحيح للحديث

الهجاء في اللغة العربية ضد المدح. وصح أن النبي صلى الله عليه وسلم حث حسان بن الثابت على هجاء أهل الكفر من قريش. ولكن لكي نفهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت بفهم صحيح لا بد من الالتفات إلى الأمور الآتية:

أولاً: لقد كان الشعر عند العرب، في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وقبله، وسيلة مهمة لنشر الآراء وتأثير الجماهير بها. فالشعر حينذاك له مكانة مثل مكانة وسائل الإعلام اليوم.

ثانياً: كان أعداء الإسلام من مشركي مكة ينشرون كثيرا من القصائد التي تسيء وتؤذي الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين وتستهزئ بهم. وكان القصد وراء ذلك إشعال نار الفتنة، وإضعاف روح الأمة الإسلامية في الدعوة ونشر تعاليم الإسلام. وفي هذا السياق الصراعى أمر النبي صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت أن يواجه انتشار هذه الآراء السلبية بتأليف القصائد المضادة التي تهاجم الأعداء من المشركين. فإن سياق الأمر النبوي هو سياق الحرب و الصراع. وهجاء حسان لأهل الكفر من قريش كان من باب المواجهة في المعاملة، فكان دفاعا وجوابا على هجاء قريش للنبي صلى الله عليه وسلم، فأهل الكفر هم من بدأ. فعن حسان أنه قال لأبي هريرة: «أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ، أَسْمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيَّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ؟ قَالَ: نَعَمْ» (رواه البخاري ومسلم)

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ لِحْسَانَ مِئْبَرًا فِي الْمَسْجِدِ يَقُومُ عَلَيْهِ قَائِمًا، يُفَاخِرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْ قَالَتْ:

69- «جناية البخاري: إنقاذ الدين من إمام المحدثين»، لزكريا أوزون (ص: 106-107)

70- «معالم الإسلام»، محمد سعيد العشماوي (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2004) ص: 26-27

يُنَافِخُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ حَسَنَانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ مَا يُفَاجِرُ، أَوْ يُنَافِخُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (رواه الترمذي وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»). ومعنى «ينافخ» يدافع عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويرد عنه أذى المشركين بشعره.

وقال ابن حجر العسقلاني: «وفي الحديث: جواز سب المشرك، جواباً عن سبه للمسلمين، ولا يعارض ذلك مطلق النهي عن سب المشركين لئلا يسبوا المسلمين: لأنه محمول على البداءة به، لا على من أجاب منتصراً»⁷¹

ثالثاً: إن قصائد حسان بن ثابت، وإن كانت تتضمن هجاء للعدو، إلا أن محتواها يتفق مع الضوابط التي حددها الإسلام ولا يخالفها، وهي:

1. عدم السب على مقدسات الآخرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ آدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: 108)، وحسان بن ثابت لم يكن يهجو قريشاً بكفرهم وعبادة الأوثان، إنما كان يهجوهم بالأيام التي هزموا فيها ويعيرهم بالمثالب والأنساب.

2. عدم التكلم بالكلام البذيء إلا لرد اعتداء معتدي وهذا مقيد بقدر ما اعتدى به الخصم ومقيد بالصدق في الحديث فلا يقول فيهم إلا ما يعلم من عيوبهم يقينا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا بِاللَّعَّانِ وَلَا الْفَاجِسِ وَلَا الْبَذِيءِ»⁷²

وأكد محمد عمار أن الأشعار التي أنشدها حسان بن ثابت كانت بمثابة رد فعل على سخرية الكفار واستهزائهم. ومحتوى أشعار حسان بن ثابت لا يخالف الضوابط التي وضعها الإسلام، فلا يمكن أن يعتبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم أباح الهجاء الدنيء البذيء.⁷³

71- «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن حجر العسقلاني (ج: 10 / ص: 563)

72- أخرجه الإمام الترمذي في «السنن» (كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في اللعنة)

73- «سقوط الغلو العلماني»، لمحمد عمار (القاهرة: دار الشروق، 2002)، ص: 54-55

المبحث الثالث: أسباب خلل المشككين وذوي الإتجاهات الشاذة في فهم الحديث

ومن أهم أسباب الخلل الناشئ في عقول هؤلاء المنحرفين والمشككين في فهم حديث صحيح البخاري، ما يأتي:

أولاً: عدم فهم الحديث وفق قواعد اللغة العربية وأساليبها

إن العلم باللغة العربية أمر ضروري لإمكانية فهم السنة النبوية فهما سليمان ولمعرفة مقاصدها ومرادها بشكل صحيح. ومن أسباب إساءة فهم السنة من قبل المشككين و المنحرفين أنهم يفسرون مفردات القرآن والحديث بمقتضى فهمهم وعقلهم وعدم التأكد من مدلولات الألفاظ، ثم يتأولون بما يمكنهم من التأويلات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه، فوقعوا في خلل كبير في استدلالهم. و خير دليل على ذلك عدم فرقهم بين معنى «أقتل» و «أقاتل» في حديث صحيح البخاري، وعدم دقتهم في فهم لفظ «لينة» في سورة الحشر كما تقدم بيانه.

ثانياً: عدم جمع الأحاديث الواردة في الموضوع الواحد

من اللازم لفهم السنة فهما صحيحاً: أن تجمع الأحاديث الصحيحة في الموضوع الواحد، - فلا يقتصر على بعضها- بحيث يرد متشابهها إلى محكمها، ويحمل مطلقها على مقيدها، ويفسر عامها بخاصها. وبذلك يتضح المعنى المراد منها، ولا يضرب بعضها ببعض. فالنظرة الجزئية لنصوص الشريعة تؤدي إلى تقطيع النصوص وبترها. ومما تقدم يتضح لنا أن من أساءوا فهم السنة من ذوي الإتجاهات الشاذة أو من المشككين اقتصر في فهم الحديث على بعض المرويات دون بعضها، فأخطأ.

ثالثاً: القصور في النظر في ملابسات الحديث

من أسباب الانحراف في فهم الحديث، قلة العناية بالملابسات والظروف المحيطة التي سيق فيها النص، فقد يكون النص مرتبطاً بعلة معينة يوجد بوجودها ويزول بزوالها، أو سيق في ظرف معين، أو ذكر لسبب خاص، فلا يصح والحال هذا أن يعمم الحكم المأخوذ منه أو يُعمل به على الدوام. وبهذا السبب وقع المتشددون في خطأ عند استدلالهم على حديث حرق نخل بنى النضير وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت بهجاء المشركين، وزلّ المشككون في الرد على صحة تلك الأحاديث.

رابعاً: الجمود على ظاهر النص من غير نظر إلى العلل والأسباب والمقاصد

يقصد بالجمود الوقوف على ظاهر النص من غير إلتفات إلى العلة والسبب والمقصد، وعدم الأخذ به يؤدي إلى الوقوع في انحرافات خطيرة، ومثل ذلك الوقوف على ظاهر نص متشابه من غير رده إلى المحكم من النصوص، فهذا يوقع أيضاً في الانحراف والشذوذ. فالنصوص الشرعية جاءت لتحقيق مقاصد الشارع

الراجعة إلى الحفاظ على مصلحة الخلق ودفع المفسدة عنهم، فيجب مراعتها في فهم النصوص الحديثية. وقد وقع المتشددون والمشكلون في تفسير بعيد عن تلك المقاصد والأهداف، وأدى ذلك إلى الحيدة، والزيغ في الفهم والانحراف في تأويل أحاديث صحيح البخاري.

خامسا: التسرع في دعوى التعارض

فطريقة المشككين قائمة على الإستدلال بالنص لأجل المعارضة وإظهار الإضطراب وعدم الوثوق به. مع أن الأحاديث التي ذكروا أن فيها تعارض مع القرآن أو مع الأحاديث الأخرى أو مع العقول السليمة، فالتعارض فيها ظاهري ولها مخرج واضح بناء على القواعد التي وضعها العلماء في موضوع «مختلف الحديث» أو «مشكل الحديث». فقد اجتهد المحدثون وبينوا المسالك التي يُحل بها هذا التعارض، من الجمع بين الأحاديث، والنسخ، والترجيح، والتوقف.

سادسا: عدم الرجوع إلى العلماء المتخصصين أو الشراح في فهم الحديث

فالرجوع إلى فهم العلماء المتخصصين هو سبيل النجاة والسلامة في فهم السنة النبوية، وقد فهموا النصوص بالقواعد والضوابط العلمية الدقيقة وأنزلوها منازلها. ولذا لا بد من مراعاة فهمهم لنصوص الحديث النبوي والإستفادة منه لتحقيق الفهم الصحيح والسليم. وهذا -أي الرجوع إلى العلماء من خلال مؤلفاتهم- لا يعني المنحرفين والمشكلين، فيقعون في الأخطاء في فهم الحديث.

الخاتمة

وبعد، فبناء على ما تقدم يتضح لنا أن أحاديث صحيح البخاري التي ظاهرها تحتوي على ظاهرة العنف ضد غير المسلمين، تم فهمها خطأ من قبل الفريقين؛ الفريق الأول يعتقد تماماً على صحة الأحاديث وثبوتها لأنها في صحيح البخاري، ولكنه أخطأ في الفهم فجعلها أدلة لتبرير عملية العنف ضد غير المسلمين. أما الفريق الثاني يشكك في صحة الأحاديث، ويرى أن الأحاديث التي تحتوي على ظاهرة العنف ضد غير المسلمين تتعارض تماماً مع التعاليم الأساسية للقرآن وشخصية النبي صلى الله عليه وسلم. ولذلك يجب رفض هذه الأحاديث. كما أنها تسبب أيضاً أثراً سلبية على حياة الإنسان عملياً.

ويتضح من هذه الورقات أن كلا من الفريقين وقع في خلل منهجي في فهم النصوص الحديثية. فأحاديث صحيح البخاري التي ظاهرها تحتوي على ظاهرة العنف ضد غير المسلمين لا تُنشئ مشاكل سواء على مستوى الفهم أو على مستوى التطبيق على أرض الواقع، إذا تم فهمها بفهم صحيح وفق القواعد والضوابط العلمية التي رسمها العلماء المتخصصون، فمراعاة هذه القواعد والضوابط مسألة ضرورية للوصول إلى أفضل صور التعامل الصحيح مع الحديث النبوي.

التوصيات:

ضرورة رصد هذه المفاهيم الخاطئة، ودراستها بمنهج نقدي دقيق وإظهار منهجها الزائف في التعامل مع السنة النبوية ومع صحيح البخاري خاصة؛ العمل على تأصيل المنهج الصحيح والسليم في التعامل مع صحيح البخاري في المستويات الدراسية المتعددة ببيان منهج الإمام البخاري، وطريقة الفهم الصحيح لأحاديثه؛

العمل على تأصيل المفاهيم الصحيحة في وسائل الإعلام وعلى صفحات التواصل الاجتماعي لتوضيح عبقرية الإمام البخاري في صحيحه وإظهار الصورة الصحيحة لفهم أحاديثه.

وأسأل الله تعالى لهذا العمل القبول والتوفيق، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم، والحمد لله رب العالمين.

فهرس بأهم المصادر والمراجع

- «آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة»، للدكتور وهبة الزحيلي (بيروت: دار الفكر، 1998م)
- «أخلاق الحروب في السنة النبوية» لراغب السرجاني (القاهرة: مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، 2010م)
- «إدارة التوحش: أخطر مرحلة تمر بها الأمة»، لأبي بكر ناجي (سوريا: دار التمرد، 2004م)
- «الجامع لأحكام القرآن»، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2006م)
- «الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه»، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1993م)
- «الحديث والقرآن»، لابن قرناس (بغداد: منشورة الجمل، 2008م)
- «السنن الكبرى»، لأحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي (بيروت: دار الكتب العلمية، 1414هـ)
- «الموطأ»، للإمام مالك بن أنس (دار إحياء العلوم العربية، 1414هـ)
- «تجريد البخاري ومسلم من الأحاديث التي لا تلزم»، لجمل البنا (القاهرة: دعوة الإحياء الإسلامي، 2008م)
- «تحرير العقل من النقل والقراءة النقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم»، لسامر الإسلامبولي (دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، 2000م)
- «جناية البخاري: إنقاذ الدين من إمام المحدثين»، لزكريا أوزون (بيروت: رياض الرئيس للكتب والنشر، 2004م)
- «سقوط الغلو العلماني»، لمحمد عمارة (القاهرة: دار الشروق، 2002م)
- «سنن الترمذي»، لمحمد بن عيسى الترمذي (بيروت: دار إحياء التراث العربي)
- «صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه»، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (دار طوق النجاة، 1422هـ)
- «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن حجر العسقلاني (القاهرة: دار أبي حيان، 1996م)

«فقه الجهاد دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة»، للدكتور يوسف القرضاوي (القاهرة: مكتبة الوهبة، 2009 م)

«مسائل من فقه الجهاد»، لأبي عبد الله المهاجر

«مسند الإمام أحمد»، أحمد بن محمد ابن حنبل (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1999)

«معالم الإسلام»، محمد سعيد العشماوي (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2004)

«معالم السنن شرح سنن أبي داود»، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (القاهرة: مطبعة أنصار السنة المحمدية، 1961)

"Authentication of Hadis Redefining The Criteria" لإسرار أحمد خان (لندون: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2010)

معالمٌ منهجية لرد الشبهات عن صحيح الإمام البخاري

إعداد

د. محمد سهلي

أستاذ الحديث الشريف وعلومه، بجامعة محمد الأول،
المملكة المغربية.



المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد،

فإن الباعث على الانتصار للبخاري والتهميم بدفع الشبهات عنه: هو توقيير المعرفة العلمية من حيث هي، واحترام أنظار العلماء، لأجل ما قام بهم من صفات موجبة للإصغاء لقولهم، بغض الطرف عن أشخاصهم وانتماءاتهم.

إننا لا نزعم أن صحيح الإمام البخاري فوق النقد، ولا أن منهج المحدثين منتهى إلى الكمال في باب نقد المرويات والأخبار، ولسنا ممن يستحث الناس على التقليد المحض والتسليم الأعمى.

لكننا نزعم واثقين أن منهج النقد الحديثي هو أجود ما بأيدي الناس في هذا الباب، وأنه أقوى ما انتهى إليه النظر الإنساني في تقرير شروط السلامة النقلية، ولا أدل على ذلك من أنه لم يقع الاستدراك عليه بعد باستحداث شروط ومحتررات تُرجى لتدارك وجوه الخلل أو القصور فيه.

ولعل من أسباب ذلك أن تُنظر الأمة الإسلامية والحدائق من أذكيائها تواردوا وتضافروا على تحرير قواعد نقد الأخبار وتنقيحها عبر العصور، من مختلف المذاهب والمشارب، فجاءت على قدر، تسر الناظرين.

إن الرأي الحصيف يقتضي التمسك بهذا المنهج حتى يظهر ما هو أجود منه، وسنكون أول الآخذين به من غير ممانعة، وليس لعاقِل فضلا عن عالم أن يظرح شيئا تبدت جودته العلمية والمنهجية إلى غير بدل، فنحيل الناس على الاعلم واللامنهج.

عادةً «المفكرين وذوي النظر السديد: إنْ هدموا بنوا، وإنْ أسقطوا منهجاً جاءوا بمنهج آخر يرون أنه أفضل منه، ويبينون وجه أفضليته بالدليل والبرهان، وإنْ هدموا رأياً جاءوا برأي أفضل، ويبينون وجه أفضليته.

انظر ما جاء به الأشعري حين فارق الاعتزال، وما احتج به ابن السمعاني حين فارق مذهب الأحناف، بل ما جاء به الملحدون في حربهم للدين وأصوله العقديّة وغيرها، وما احتج به كل ذي مذهب فقهي أو عقدي حين يَنتقد، وحين يَهدم آراء غيره.

إنْ هزم الباطل يكون بإظهار الحق، وإنْ كان حقاً في نظر الهادم وحده؛ فإنْ رأيه ما دام قد أتى بما يصح أن يكون دليلاً، أو حجة في ذلك مقبول، وإنْ كان مرجوحاً عند مخالفه، وغير مقبول. **فلا يصح الهدم لبناءٍ ما دون بيان البديل عنه؛ وهو بناء آخر أفضل منه،** فالطبيعة لا تعرف الفراغ.¹

واستلھاما مما تقدم، تروم هاته الورقة الانتصار للمعرفة، من خلال بيان المنهج العلمي الأمثل لتفكيك الشبهات المثارة حول صحيح البخاري، بتقرير المعالم التي تضبط نظر المتصدر لهذا الشأن، ليقع قوله في محله، ويحصل به الانفصال عن تلك الشبهات، على النهج المعتبر عند المحققين من أرباب النظر.

والذي دعانا إلى رسم هاته المعالم هو أن كثيراً من محاولات الرد لم تقع على السنن المرضي، من حيث المنهج والثمرة والأثر، بل إن بعضها أثمر نتائج عكسية، زادت من اضطراب نار تلك الشُّبه واستقواء أصحابها ظانين أنهم على شيء.

ولما كان إعمال تلك القواعد متوقفاً على تأهل المتصدر وتحققه بالشرائط العلمية، ارتأينا ألا نُخلِّي المقام من الكلام على ذلك، ليترتب مضمون مقالتنا هاته في مقدمة ومطلبين وخاتمة.

المطلب الأول: مقعود لبيان شرائط المتصدر للرد، وصفاته العلمية.

والمطلب الثاني: لبسط القول في المعالم التي تؤطر منهج تفكيك هاته الشبهات، وتكشف عن كيفيات الانفصال والجواب عنها، مستنيرين بما انتثر وتفرق من كلام أئمة الإسلام من الفقهاء والمحدثين وأرباب الجدل والنظر.

وهذا أوان الشروع في المقصود.

1- موجبات سقوط القول الحدائي في قراءة النص الديني، الفقيه العلامة مولود السريري، ص. 349-350.

المطلب الأول: شروط المتصدر للرد على الشبهات

قبل الكلام على المعالم المنهجية التي يجب على المتصدي للشبهات الحديثة رعايتها، يُستحسن التنبيه -وإنْ بِإِجْمَالٍ- إلى شروط مَنْ ينتهز لهاته المهمة العظيمة؛ لأن كثيراً من الناس يُضرون بالبخاري وبالسنة من حيث يرومون الانتصار لهما؛ وقد قال الشافعي:

رَامَ نَفْعاً فَضَرَّ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ *** وَمِنْ الْبَرِّ مَا يَكُونُ عُقُوقاً

فمن أهم تلك الشرائط:

المعرفة التامة بعلوم الحديث وفنونه.

الإلمام بتاريخ علم الحديث.

معرفة شروط الأئمة ومناهج التصنيف العامة والخاصة.

درك معالم القوة ومواطن الدقة والتميز في منهج الإمام البخاري.

التحصيل الجيد لقواعد الجدل وأصول البحث والمناظرة.

الاطلاع على الشبهات المثارة حول البخاري والسنة عبر التاريخ، وأجوبة العلماء عنها، لأن كثيراً منها مكرور.

الوقوف على أصول المنتقدين وخلفياتهم المذهبية وهوياتهم العقدية، لمعرفة مداخل الرد عليهم، وانتقاء الأدلة والأساليب المناسبة.

المطلب الثاني: معالم منهجية لدفع الشبهات عن صحيح الإمام البخاري

إن المتصدر للجواب عن الشبهات المثارة حول البخاري يتعين عليه بعد تأمله لهذا العمل والتحقق بشرائطه العلمية المتقدمة، أن يهتدي بجملة من المعالم تضبط نظره في هذا الشأن، ليكون جوابه واقعا في محله، داحضا للشبهة من أصلها، وإلا يكن كذلك فهو توهين للقول للديني، وتنفير منه، وصد عن سبيله، وكم من مذهب صحيح في ذاته، أزرى به منتحلوه لتقاصر قرائحهم وكُلّها عن الانتصار له، وإظهار بحجته.

فلنحرر في هذا المطلب أمهات تلك المعالم، لأن المقام يضيق عن استقصاء جميعها، والميسور لا يسقط بالمعسور.

المعلم الأول: التوجه إلى هدم أصول الشبهات:

وذلك بأن يطلب الباحث أصول المنتقدين وخلفياتهم المذهبية، فينقل محل النزاع إليها؛ لأنها في الحقيقة هي المحركة لأنظارهم والمثيرة لشبههم. فإذا هُدم الأصل انهدم معه كل ما بني عليه وإن كثر، وكُفي الباحث نصب إبطال الفروع.

فلو فرضنا أن أحداً يتهم بعض الصحابة في ديانتهم وأمانتهم، بناءً على أخبار في البخاري يزعم أنها تصدق دعواه؛ فإنه الذي يتعين المصير إليه ههنا: هو إثبات عدالة الصحابة جملة، وتقرير جريان العموم على ذلك الصحابي، بدل تعني الجواب عن تلك الأخبار واحداً واحداً.

وإذا كان يزعم -مثلاً- أن البخاري قد افترى الكذب على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في أحاديث معينة، فإن النظر يقتضي أن يُنقل البحث إلى إقامة الدلائل على صدق البخاري وأمانته، وتورعه عن ذلك الفعل المَشِين، عوض تتبع جميع تلك المرويات، وبيان موافقة الثقات للبخاري، وعدم انفراجه بشيء منها، لأجل تبرئته.

وفي كثير من الأحوال يكون استغراب الأحاديث أو التشكيك فيها ناشئاً عن معضلات متعلّقة بمباحث العصمة والنبوة، فحري أن تُرد المناقشة والمكالمة إلى علم أصول الدين ابتداءً، قطعاً التشغيب من أصله، وبذلك يُتقَى الانغمار في بحر الجزئيات اللامتناهية، التي تنهدم بمجرد هدم أصولها.

وهذا المعلم يُسلمنا إلى الذي يليه.

المعلم الثاني: صرف وافر العناية إلى الشبهات الكلية الكبرى:

وهذا مما يقتضيه النظر السديد؛ إذ لا معنى للتشاغل بالاعتراضات الجزئية في ظل قيام الشبه الكلية التي تُكْر بالهدم على الكتاب برمته، وتُذهبه أشتاتاً؛ كالتّي تنازع في أصالة الكتاب، وصحة نُسخه، وثبوت نسبته إلى البخاري، أو التي تُكابر فتُنازع في وجود شخصية البخاري من أصلها.²

فمثل هذا حري أن يُصدّر به النظر، وتصرف له العناية الجُلّى، ولا يُنتقل إلى ما دونه إلا بعد تحريره.

فإذا تمهّد للباحث تقرير أصالة الكتاب وإثبات وثاقته جُملياً، واستتب له الانفصال عن مثل تلك الشبهات الكلية، وإقامة البراهين على بطلانها، أضحى معترك المباحنة منحصر في الجزئيات وأفراد الأخبار والرواة، وهذا أهون ما يكون، إن وقع المضي على وفق ما سيأتي تباعاً من المعالم.

المعلم الثالث: بناء التصور العلمي الصحيح عن الكتاب ومؤلفه:

إن مما يفتح الذريعة أحياناً للاجترأ على صحيح البخاري، هو تهويل بعض المتشرعة في وصف الكتاب، ومؤلفه، مع أنه، رضي الله عنه، أهل لكل منقبة، واصفين إياهما بما ينحو بهما نحو الصورة المثالية الخرافية.

² - ويلتحق بذلك الشبهات الكبرى المثارة حول السنة كلها؛ كمسألة تأخر تدوين السنة وانعدام الكتابة في العهد الأول.

وهذا المسلك غير سليم، والصواب أن تُبنى صورة واقعية عن الإمام البخاري وصحيحه، تشهد لها البراهين العلمية والحقائق التاريخية.

وتقريباً لذلك نمثل ببعض ما يمكن أن تقوم به هاته الصورة الصحيحة:

أن صاحب الكتاب هو أحد أئمة هذا العلم المبرزين؛ أي أنه من أهل الاختصاص بلغة العصر؛ ومقتضى النظر العلمي أن يُحترم رأيه، ويُدعى له من ليس من أهل الشأن. أن البخاري مضى في كتابه على منهج المحدثين النقدي، ولم يخترع مسلكاً جديداً. أن البخاري لم ينفرد بمتن من المتون لم يذكر في غيره من المدونات الحديثية المسندة؛ ولن تخطئ الحق إن قلت: إنه كتاب جامع لطرف صالح من المصنفات السابقة؛ كالموطأ، وجامع سفيان، ومسند الحميدي، ومسند إسحاق بن راهويه، ومصنف عبد الرزاق.³

ليس لهذا الكتاب ولا لمؤلفه قدسية ذاتية، وإنما قُدِّم على غيره من المصنفات لصرامته المنهجية وانضباطه للقواعد العلمية، وليس لإمامة مؤلفه فحسب.

أن هذا العمل -على جلالته- جهد بشري، قد تعثر به بعض النقائص.

أن العلماء انتقدوا مواضع في الكتاب لأحد موجبين غالباً: خروج البخاري عما اشترطه من درجات الصحة العليا، أو انحطاطه عن مرتبة الصحة جملةً بحسب نظرهم، وهذا قليل، ولا ينبغي إنكار وجوده.

أن وقوع النقد على الكتاب لا يسوّغ التولّج به إلى الطعن فيه، فالشاذ يؤكد القاعدة ويثبتها ولا يبطلها، ولا يصار إلى خلاف الأصل إلا بدليل ناقل.

أن صحيح البخاري ليس عملَ فردي، بل هو عملُ أمةٍ برمتها؛ بدءاً بالبخاري، ومشيعته الذين ورث عنهم منهج الانتقاء في المرويات والرجال، مروراً بالنقاد من أهل عصره الذين أقرّوا بصحة الكتاب في الجملة، ثم من جاء بعدهم. وهذا التوارد عليه من أئمة الحديث في كل عصر -مراجعةً وفحصاً ونقداً- هو الذي أثمر تلقى الأمة له بالقبول، فهو -إذن- قبول قائم على بحث ونظر، وليس تسليماً صرفاً ولا إذعانا جماعياً.

فعلى هذا النحو ينبغي أن يُمضى في بناء الصورة الصحيحة عن الإمام البخاري وكتابه، التي إذا تقرر وأقيمت عليها الدلائل المؤيدة بالواقع كان الجدل فيها من قبيل العناد والمكابرة، وقد قال حجة الإسلام: «فالمتمعن لا تزیده المناظرة إلا تمرداً وإباءً».⁴

3- مما أُلّف في مصادر البخاري خاصة: دراسات في مصادر البخاري، للدكتور فؤاد سركين؛ المصادر المكتوبة للبخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، للأستاذ محمد عبد الله باجمعان، رسالة ماجستير.

4- حقيقة القولين، للإمام الغزالي: ص. 272.

المعلم الرابع: بذل الوسع في إبراز مظاهر القوة النقدية للكتاب:

من أهم مداخل نصره الإمام البخاري وكتابه أن يُشتغل بالكشف عن مظاهر العبقرية والنبوغ في الكتاب، وما أكثرها، ليستيقن الناس استحقاقه تلك المنزلة، وليتهيّب المتولعون بالتشغيب اقتحام عقبته إن كان لهم حظ من تعظيم المعرفة وقواعد النظر.

فمن تلك المظاهر التي تستدعي كشفًا:

دقائق التعليل في الكتاب،⁵ التي لا يقتصرها إلا الحذاق من أهل الاختصاص. وفائدتها في هذا المقام أنها تُبين لذي النظر السليم أن من يفتن لهاته الدقائق، لا تعزب عنه العلل الجليلة والنكارات الظاهرة، ليتريث في التعقب والإيراد.

أصل التحري لدى الإمام البخاري؛ وينبئ عن ذلك علو شرطه النقدي، وحسن انتقائه للرجال، وما اشتهر من تركه الحديث لمجرد الشك في صحته وسلامته من القوادح.

وإذا كان ابن القطان الفاسي يقول في حق عموم المحدثين: «لا تخف على المحدث أن يقبل الضعيف، وخف عليه أن يترك من الصحيح.»⁶ فكيف يكون شأن البخاري؟

ومن ذلك أيضا أنه يورد الحديث الذي صح عنده على وجه التمرريض إذا ذكر المتن بالمعنى أو اختصره؛ قال الحافظ: «وقد يُستشكل ترك البخاري الجزم به مع صحته عنه، وذلك محمول على قاعدة ذكرها لي شيخنا أبو الفضل بن الحسين الحافظ، رحمه الله؛ وهي أن البخاري لا يخص صيغة التمرريض بضعف الإسناد، بل إذا ذكر المتن بالمعنى أو اختصره أتى بها أيضا، لما علم من الخلاف في ذلك.»⁷

تجليات الإنصاف في مختاراته من أصول الحديث: نذكر منها موقفه من المبتدعة، حيث روى لغير الدعاة منهم في الشواهد والأصول، كما قال ابن الصلاح،⁸ بل أخرج لبعض الدعاة كذلك؛ كعمران بن حِطّان السّدوسي، وهو من دعاة الخوارج، وعبد الحميد بن عبد الرحمن الجُمّاني، وكان داعية إلى الإرجاء.⁹

ومنها أيضا روايته عن بعض من تكلم في ضبطه على وجه الانتقاء، استنادا إلى موافقة الثقات، وذلك لاعتبارات فنية وموجبات صناعية، كما هو معلوم.

ومنهج الانتقاء هذا هو «طريقة أئمة هذا الشأن»، بعبارة ابن القيم.¹⁰

5- مما هو مفيد في هذا الباب: منهج الإمامين البخاري ومسلم في إعلال المرويات، د. صلاح الدين الإدلبي: ص. 13. فما بعدها، إبراز صنعة الحديث في صحيح البخاري واجب الوقت، د. ماهر الفحل: ص. 67 فما بعدها.

6- أحكام النظر، لابن القطان الفاسي: ص. 144.

7- فتح الباري: 1/111.

8- مقدمة ابن الصلاح: 4/79.

9- التقييد والإيضاح: 4/79.

10- زاد المعاد: 1/353، وينظر: شرح علل الترمذي: 2/831.

استثمار البخاري للمنهج العقلي في النقد، وهذا يشركه فيه عامة النقاد، إذ المنهج الحديثي يراعي النظر العقلي إجمالاً،¹¹ وقد خُصت هذه المسألة بالبيان والتصنيف،¹² لأهميتها، وحاجة المقام إليها في ظل تكاثر الشبهات حول السنة ومنهج نقدها.

وههنا تنبيه مهم؛ وهو أن مقتضيات العادة كثيراً ما تشتبه بمقتضيات العقل، فنُنسبُ بعض الأصول الحديثية إلى العقل غلطاً.

نعم للحكم العادي قيمته واعتباره، المستمدّان من تكرره والتوارد عليه، لكنه لا يرقى إلى قوة الحكم العقلي، لإمكان تخلفه، خلافاً للأول.

والحكم العقلي هو: «إثبات أمر أو نفيه من غير توقف على تكرر، ولا وضع واضح»¹³

بمعنى أن العقل يتوصل إليه على وجه الاستقلال، من غير أن يتوقف على شيء آخر، كقولنا في الإثبات: العشرة زوج، وفي النفي: السبعة ليست بزوجة، وإن لم يستند النفي والإثبات للذين في هذا الحكم إلى شرع، ولا احتاج إلى تكرر واختبار أو عادة.¹⁴

و«إنما أضيف الحكم العقلي للعقل، وإن كانت الأحكام كلها لا تدرك إلا به، لأن مجرد العقل -بدون فكرة أو معها- كاف في إدراك هذا الحكم»¹⁵

وقد قال المناطق في سياق تقسيم الدلالات إلى وضعية وعقلية وطبيعية إن: «المراد بالدلالة العقلية ما ليس لغير العقل فيه مدخل، لا ما للعقل فيه مدخل، وإلا كانت جميع الدلالات عقلية؛ لأن العقل له مدخل في الجميع»¹⁶

وعليه فإن على الناظر في هذا المقام أن يترتب في نسبة بعض الأصول والقواعد الحديثية إلى العقل، حتى يعلم -على جزم- أنها عقلية، لئلا يقع الدرك عليه، وينسب إلى المجازفة.

11- منهج النقد عند المحدثين، محمد مصطفى الأعظمي: ص. 89-83، النظر العقلي في قواعد نقد المحدثين والخلل المنهجي في نقد المتن عند المعاصرين، الدكتور محمد ناصري، مجلة الواضحة الصادرة عن مؤسسة دار الحديث الحسنية، العدد 7، ص. 91، المنهج النقدي عند المحدثين وعلاقته بالمنهج النقدي التاريخي، الدكتور عبد الرحمن السلمي، ص. 185، حوار حول منهج المحدثين في نقد الروايات سنداً ومتناً، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، ص. 12-13.

12- من ذلك: الأسس العقلية لمنهج نقد المحدثين، د. حاتم العوني، عقلانية منهج المحدثين في التحقق من عدالة الرواة، د. حاتم العوني.

13- شرح الهددي على أم البراهين للإمام السنوسي: ص. 25.

14- الشرح الكبير على المرشد المعين، للشيخ ميارة: ص. 15.

15- حاشية الشيخ عبد الله الشرقاوي على شرح الهددي على أم البراهين للإمام السنوسي: ص. 25.

16- حاشية الغليمي الحمصي على شرح التصريح للأزهري على توضيح ابن هشام على الألفية: 1/22.

نعم يوجد من أهل البيان والأصول من غد من العقلية ما للمقدمة العقلية فيه مدخل.

مثلاً: قد يقول قائل إن الذي يقتضي اشتراط الضبط في الراوي أو اشتراط انتفاء الشذوذ في الخبر هو العقل؛ إذ لا يعقل أن نقبل الخبر لمجرد عدالة راويه، لأن العدول غير معصومين من السهو والغلط.

ثم لا يفعل كذلك أن نكتفي بالعدالة والضبط، بل لا بد من اشتراط انتفاء الشذوذ، لقيام احتمال خطأ الضابط، لاسيما إن دل على ذلك قرينة المخالفة أو التفرد.

والتحقيق أن هذا انحراف عن مأخذ هذا الحكم، والصواب أن ذلك مبني على العادة المطردة في الناس، على اختلاف الأعصار والأمصار، وتفاوت الملكات والهيئات، لا على العقل؛ لأن العقل يجوز أن يخطئ المتقن على الدوام، كما يجيز نقيضه؛ وهو إصابته في كل الأحوال.

وإنما الذي يجعل خطأ المتقن بعيداً، وصوابه قريباً هو جريان العادة في الناس على ذلك الأمر.

المعلم الخامس: الانضباط لمقتضيات فن الجدل وقواعد المناظرة:

تقدم في المطلب الأول أن تحصيل المعارف الحديثة فقط لا يؤهل لتصدر للرد على الشبهات، بل لا بد من امتلاك ناصية علم الجدل وأصول المناظرة، إذ لا سبيل إلى إحقاق الحق بغير ذلك في هذا المقام، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ونذكر من مُشَخَّصَات هذا الانضباط أمرين مهمين:

الأول: التنزه عن أساليب المغالطة والسفسطة:

فمثلاً: يتكرر -في سياق الرد على من ينكر السنن جملة وتفصيلاً ويشكك في صحة النقل الحديثي- الاحتجاجُ بحديث المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمَا يَغْدِلُهُ، يُوشِكُ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكِتِهِ أَنْ يَقُولَ: بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ هَذَا الْكِتَابُ، فَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ خَلَالٍ أَخْلَلْنَاهُ، وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلَا وَإِنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ.»

وهذا الاستدلال فيه مغالطة المصادرة على المطلوب؛ إذ هو استدلال بعين الدعوى ومحل النزاع؛ بيان ذلك أن هذا القائل احتج ببعض السنة على من ينكر كلها؟ فللخصم أن يقول: أتلى لنا التسليم بثبوت ذلك الحديث، ونحن ننازع في ثبوت السنة برمتها، ونستضعف منهجها النقدي، والبعض تبع للكل في الحكم.

نعم، يصح أن يستدل بهذا الحديث في محاجة من لا يرى حجية السنة في التشريع مثلاً، مع اعتقاده ثبوتها في الجملة من حيث النقل. أما الأول فلا.

الثاني: مقارعة الخصم بالحجج التي يسلمها:

إذا كان الغرض من المناظرة العلمية هو إظهار الحق بطريق الإقناع، فلا يجوز أن يساق من الحجج إلا ما كان مسلماً عند الخصم معتبراً في مذهبه، فلو فرضنا أن ملحدًا استخف بمسألة دينية، فلا يستقيم أن نحتج عليه لإثباتها بالأدلة السمعية (نصوص الكتاب والسنة)، لأنه لا يُقيم لها وزناً في النظر، ولا يسلم حجيتها، بل الصواب أن نلزمه بالأدلة التي يذعن لها؛ من البراهين العقلية، والمقتضيات الحسية والعادية. وإن كان الأصوب أن يُنقل النقاش معه أولاً إلى البحث الوجودي ومسائل النبوات.

وهذا النهج يجري في كل الفنون، فالمالكي لا يصح أن يحتج على الشافعي في الفقهيات بعمل أهل المدينة مثلاً، لأنه ليس حجة عند الشافعية، كما لا تستقيم محاكاة الظاهري بمقتضى القياس، لأنه أصل باطل في نظره، وهلم جرا.

وعليه، فمن استشكل حديثاً للبخاري أو أنكر نسبته إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يصح أن نحتج عليه بأحاديث أخرى في البخاري أو ما في حكمه، لأنها كالعدم عنده؛ بل يجب أن تُبسط له الحجج التي يصدق بها، ويراهها أصولاً معرفية معتبرة.

وذلك بحسب حاله؛ فإن منكري السنن ليسوا سواء، منهم الملحدون، ومنهم من يؤمن بالباري تعالى، ولا يعتقد أصل النبوة، ومنهم من يصدق بالنبي صلى الله عليه وسلم رسولاً من رب العالمين، لكنه لا يرى السنة حجة شرعية، ومنهم من يراها حجة في الجملة، ويرد كثيراً منها.

ويتصل بهذا المعلم معلم آخر رأينا ألا نفرده بالترجمة لشدة قربه منه؛ وهو أنه:

يُمْتَنَعُ أَنْ يَقَازَعَ الْمَخَالَفُ بِمَا لَا يَدْرِكُ كُنْهَهُ مِنَ الْأَصُولِ الْمَعْرِفِيَّةِ، وذلك أن بعض تلك الأصول والقواعد لا تقوم بكل ذهن، ولا تدركها إلا نفوس مخصصة، صيغت صياغة مخصصة، بحيث تشترك في التصورات والرؤى المعرفية.

وإكداؤُ النفس في تحصيلها -ولو تصوراً- طلبٌ لمحال، وهذا شبيه بالعلم الحضوري، الذي يذكره المناطقة؛ وأنت خبير بأن إحساسك بالألم أو الجوع لا يجده حقاً إلا من قام به نفسٌ ما قام بك، وإن أردت وصفه لأحد لا يشاركك الوصف، لن يدرك ذلك على وجه المطابقة، وإنما يقع له تقريبٌ يحُصِّلُ به إدراكٌ ما بتوسط الصورة الذهنية، وهذا هو المعبر عنه بالعلم الحسولي.

وكذلك بعض الأصول الدينية كما قدمنا؛ «لا يستوعبها على حقيقتها إلا من شغلته، فملأت قلبه تنوقاً، عقله تفكراً وتأملاً، وهذا غير متحقق فيمن ينظر إلى هذه الأشياء من خارج، ويصفها من غير أن يستوعبها على الوجه المطلوب، وإنما يحكم عليها بما حصله من نظرتها الأولى، والنظرة الأولى حمقاء، وبالإدراك البديهي،

وليس كل ما أدرك بالبديئة قد أدرك على حقيقته، ثم إن العقل ليس وحده مصدر العلم كما يدعي، فإن الروح مصدر للمعارف.

إذا تقرر هذا فإن الحداثيين يجب عليهم أن يعلموا أن أقرب الناس لهذا الدين وأعلمهم به هم من تلبسوا به بقلوبهم وعقولهم، مع طول الزمان (...) عقيدة وعملاً، وما وجدوا في داخله من أمور لا يُدرك حقيقتها إلا من كان مثلهم، فالآثار التي يتوقف ترتبها على العمل بتعاليم الدين الإسلامي لا يمكن إدراكها إلا بذلك العمل»¹⁷

ومما نُجربه مثالا في ذلك: **مسألة عدالة الصحابة**، فإنه لا يشك في ثبوتها -على الجملة- وقيام أدلتها مؤمّنٌ شدا طرفا من علم الشريعة.

أما من لم تخالط بشاشة الإيمان قلبه، فحري ألا يتصور أن مجرد لقاء المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم، يرفعه من حال إلى حال، ويثمر في نفسه وقلبه أنوارا وبركات تمنعه من تعمد الكذب عليه، صلى الله عليه وسلم.

ولا تطمعن أن يعتقد غير المؤمن أمانة الأئمة؛ كالبخاري مثلا، لأنه ما درى حقيقة الوازع الإيمان، ولا اعتراه مثل حال هؤلاء؛ من الخشية لله، والحرص على الدين، والشفقة من التزبد فيه؛ لأنه لا يستشعر رقيبا، ولا يدرك عظم هذه المعاني وأثرها على النفس، فمن لا يروعى عن الكذب لا يتصور بقاء أهل الصدق، والفاجر الذي هان عليه الفجور لا يظن أن في الدنيا عفيفا، وهذا متقرر فلا نطيل به.

أما المتشرع المؤمن فهو يقطع بأمانة البخاري وغيره من أئمة الدين، ويجزم باستحالة كذبهم، بل وينزههم عن كل منقصة تزري بمقامهم، لأنه يشاركهم في ذوق الإيمان، ويستشعر ثقل مسؤولية الدين، وشدة التقول على الله، ووعيد الكذب على رسوله، وهو دونهم، فكيف بأولئك البررة الذين أفنوا أعمارهم في إقامة حقائقه الدين، والذب عنه.

وحاصل القول: أنه ينبغي لمن انتصب لسانا للدين أن يراعى حال المخالفين، ويستصحب قصور مدارك بعضهم عن جملة من الأصول الدينية، التي يتوقف دركها على سوابق ومقدمات لا مناص من تحصيلها.

المعلم السادس: حمل الخصم على الانضباط للمقتضيات المذكورة

لا يكفي أن يحمل المحاوُ نفسه على الالتزام بأصول الجدل وآداب المناظرة، وإنما عليه أيضا أن يكون رقيبا على الخصم، من حيث رعايته لتلك الأصول والآداب، لاسيما إن لاح منه تقصّد التغليب والإيهام والتلاعب، كما هو ديدن معظم من ينتقد البخاري من العصريين.

17- موجبات سقوط القول الحدائي في قراءة النص الديني: ص. 387.

ولنضرب أمثلة لما وقعوا فيه من ذلك:

التشنيع على الخصم بما لم يقله:

ومثاله قولهم: إن المحدثين يزعمون أن كل ما في البخاري صحيح،¹⁸ وأن البخاري لا يخطئ أبدا،¹⁹ وأن معنى عدالة الصحابة هو العصمة، وغير ذلك من المقالات المصطنعة التي يهوّل بها الخصم ويستأسد في إبطالها، وهي باطلة عند الجميع من أصلها، ولا قائل بها.

إسناد الشيء إلى غير دليله، على وجه الإيهام:

من العبارات المطردة في سياق رد الآثار قولهم: «هذا معارض للعقل، غير معقول، كيف يعقل كذا، لا يقبله العقلاء...»

وغالبا ما يقال ذلك فيما مدخل للعقل فيه أصلا، إما على سبيل الغلط والجهل بحدود الحكم العقلي، وإما بطريق الإيهام.

كمن ينكر واقعة الإسراء والمعراج مثلا، من حيث إن العقل يحيلها. ولو أنه أسند إحالة ذلك إلى مجريات العادة لكان لمقالته وجه، ولتمهد طريق الاسترسال في مناقشته.

ومثله الذي أنكر قصة اختبار أهل بغداد البخاري، التي أبانت عن رسوخ حفظه، بحجة أنها «تخرق حدود العقل والمنطق»²⁰ وقال في سياق آخر: إن جمع البخاري لهذا الكم من الأخبار بالنظر إلى عمره «مستحيل عقلا».²¹

وكذلك من قال: إن أصل عدالة الصحابة يتنافى وإعمال العقل.²²

فليت شعري عن أي عقل يتحدثون؟؟ وكيف يقحم العقل في مثل هذا؟؟

الحيدة عن محل النزاع:

وقد وقع في ذلك طائفة ممن ينتقدون أحاديث البخاري؛ تُلقي الواحد منهم يتجنب التصريح بما يستبطنه من أفكار حول الموضوع، فيتتسر بعض الشبهات المتكلفة، ليسوغ إنكاره لتلك الأحاديث.

والواقع أن محل النزاع ليس هو البخاري ولا أحاديثه، وإنما مشكلته هي السنة برمتها؛ لأن البخاري لم يخرج عن معهود المحدثين في منهج النقد، ولا في الأخبار التي أودعها كتابه. فلا وجه لجعله حينئذ محلا للاستشكال.

18- صحيح البخاري نهاية أسطورة، رشيد أيلال، دار الوطن، 2017، ص. 8.

19- نفسه: ص. 106.

20- صحيح البخاري نهاية أسطورة: ص. 105.

21- نفسه: ص. 128.

22- عدالة الصحابة، علي الطرابلسي، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط. 1، 2009م، ص. 7.

فعلى الباحث أن يفتن لهذا الرّوغان الجدلي، ويسوق الخصم إلى محل النزاع الحقيقي، ويمنعه من الحيدة عنه، لئلا يضيع الجهد في الجواب عما لا طائل من وراءه، ولا أثر له في إقناعه.

الانتقائية:

كثيرٌ ممن أبدوا شبهات حول البخاري يلاحظ عليهم الانتقائية في النظر، وعدم طرد أصولهم، وهذا الخلل المنهجي وحده كاف لإبطال مقالاتهم، وقدح الشك في علمية بواعثها.

والشأن في مثل هذا المقام: أن يطالب الخصم بطرد أصوله، أو إبراز موجب تركها إن كان ثمة موجب.

وإيضاحا للمراد نمثل بما يلي:

من يقول إن شخصية البخاري وهمية، وأن كتاب الجامع الصحيح أسطورةٌ لمؤلف مجهول،²³ لا يخلو: إما أن يكون ممن يرى حجية التواتر، أو لا.

فإن كان ينكر حجيته، فقد كفينا النظر، إذ لا سبيل إلى مكالمته من يرد القطعيات ويشذ عن إجماع العقلاء.

وإن كان يقر بحجيته، فيلزمه اعتقاد وجود هاته الشخصية، واعتقاد ثبوت نسبة هذا الكتاب إليها، لأن كلا الأمرين ثابت بطريق التواتر.

وأنت خبير بأن الأصوليين يمثلون للمتواتر في سياق العوائد بما اشتهر من الأمصار والأشخاص، مقررين أن من أنكر مثل ذلك فقد انتسب إلى العناد والمكابرة وجدد الحقائق؛ يقول الأمدي: «ولو أنكر منكر في وقتنا هذا -ممن نشأ في خطتنا، أو في خطة مجاورة لخطتنا- وجود مكة وبغداد، كان منسوباً إلى المكابرة، والعناد؛ فكذاك وجود رسول الله، صلى الله عليه وسلم»²⁴

ثم إن أبى التزام ذلك، فعليه أن يظهر الفرق -من حيثية التواتر هاته- بين شخصية البخاري وبين غيره ممن يقطع بوجوده من الأعلام الأقدمين؛ كأفلاطون وأرسطو وسقراط مثلاً، إذ لا دليل على وجودهم إلا تناقل خبرهم عبر العصور كافة عن كافة.

كما أن عليه أن يعلل منازعته في نسبة الكتاب للبخاري، مع أنه يقبل - على وجه التسليم التام- كثيراً من المصنفات القديمة التي لم تحظ بشهرة الجامع الصحيح، ولم تُنقل على الهيئة الجمعية التي نُقل بها.²⁵

23- نهاية أسطورة: ص. 9. والكتاب برمته قائم على هذا الطرح.

24- أبكار الأفكار: 3/49، ونحوه في التلخيص في أصول الفقه، للجويني: 2/299.

25- ممن بسط هاته المسألة: الشيخ سيدي محمد العمراوي في كتابه: القول الرجح في تواتر الجامع الصحيح.

من يرى أن منهج المحدثين باطل، وأنه لا يقوم على أسس علمية،²⁶ وأن ما في الصحيحين مكذوب، يلزمه طرد أصله هذا، فلا يحتج بشيء قائم على هذا المنهج أبدا.²⁷

لكن الواقع أنهم ينتقون من هاته الكتب ما يوافق أهواءهم، فتجدهم يحتجون، مثلا، بحديث أبي سعيد الخدري²⁸ في النهي عن كتابة العلم،²⁹ مع أن أصلهم يقتضي رده، لأن ثبوته مبني على منهج باطل عندهم، فهو في حكم المعدوم، ومخرّج في كتاب منتخل خرافي، بزعمهم؟؟

وكذلك كل حديث تستحسنه أذواقهم كحديث: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»،³⁰ الذي يصحون به في كل ناد، مع أن لازم مذهبهم بطلانه؛ لأنه ما نُقل ولا صُحح إلا من طريق المحدثين؟؟

الذين يحاكمون البخاري إلى القواعد بزعمهم ويعيبون عليه الإخلال بالأمانة العلمية والتحري، ينبغي أن يكونوا -حال تلبسهم بالنقد- أحرص الناس على الأمانة وألزمهم للتحري.

بيد أنا نجد حالهم على خلاف ذلك.

ويحضرنا في هذا المقام أن بعض العصريين،³¹ عاب على البخاري الإخراج لبعض الرواة؛ وهو عثمان ابن أبي شيبة، بحجة أنه كان يتلاعب بألفاظ القرآن العظيم، بناء على أخبار رويت في ذلك.

وكان الأجدر بمن أشهّر سيف النقد في وجه الإمام البخاري، أن يُعمل المنهج التشكيكي النقدي ذاته في شأن تلك الأخبار، التي لم يثبت منها شيء،³² وإنما هي قصص تناقلها أهل السير من طريق الهلكى والكذابين.

فهل من الأمانة العلمية الاحتكام إلى قواعد النقد تارة، ونبذها تارات أخرى؟؟

وهل يقتضي النظر العقلي المزعوم نقض الثابت الموجود بما هو في حكم المعدوم، واطراح الوثيق لأجل الضعيف؟؟

26- صحيح البخاري نهاية أسطورة: ص. 45-52.

27- من العبث أن تجدهم يثنون على منهج المحدثين في سياق نصرته ما يوافق أمزجتهم؛ كقول رشيد أيلال: «قاله أئمة الجرح والتعديل من الحفاظ والمحدثين: أهل الاختصاص...» ص. 9.

28- صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب التثبت في الحديث، وحكم كتابة العلم، رقم: 3004.

29- صحيح البخاري نهاية أسطورة: ص. 17.

30- صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معاش الدنيا، على سبيل الرأي، رقم: 2361.

31- هو الدكتور عدنان إبراهيم في إحدى خطبه.

32- هذا ما خلصت إليه في بحث قديم بعد تمحيص تلك الأخبار والوقوف على أسانيدھا في مظانھا.

المعلم السابع: الإنصاف في الجواب عن الأحرف التي انتقدها العلماء من الكتاب:

إن من مقتضى توقير العلم أن يُنظر في ما انتُقد من كتاب البخاري بعين الإنصاف والتجرد، فيوزن بعيار القواعد، من غير تحامل عليه، ولا استخفاف بأنظار منتقديه من العلماء.

وموجب هذا التنبيه هو ما لوحظ من تكلف في الجواب عن تلك الاعتراضات.³³ وذلك ربما يستبطن أن معرفة أولئك العلماء بالصنعة دون معرفة البخاري بها، أو أن احتمال غلط البخاري في غاية البعد، ما يقتضي أن رأيه مقدم على غيره مطلقاً. والحق أن هذه التصورات التي يستبطنها بعض المعاصرين بآئنة عن الواقع.

ومن أسف أن ظاهرة التكلف في الانتصار للبخاري لم يسلم منها الأكابر، كالنووي وابن حجر، كما قال السخاوي.³⁴

إن من فصل الخطاب أن نستصحب أن اجتهد البخاري في بعض المواطن من صحيحه قد لا يسلمه غيره من النقاد، لأن الخلاف جارٍ وسائغ في أصول النقد والتصحيح من جهة، وفي تنزيل تلك الأصول والقواعد على أفراد الأخبار وأعيان الرواة، من جهة أخرى.

فالمتعین في مثل هاته المضايق أن ينشد الحق حيث كان، ولو أفضى ذلك إلى تخطئة البخاري، رحمة الله، إذ لا ضير في أن يكون الصواب مع غيره في بعض الأحرف من كتابه، ولا أدل على ذلك من أن الحافظ ابن حجر -على استماتته في الانتصار للبخاري- أعياه الجواب عن بعض مشكلات الصحيح، فقال مرة: «وهذا عندي من المواضع العقيمة عن الجواب السديد، ولا بد للجواد من كبوة، والله المستعان.»³⁵

هذا، وإن إعمال النقد في كتاب الصحيح لمن صميم تعظيمه والعناية به، لأنه يؤول إلى صد الطاعنين، وحسم مادة الاعتراض.

المعلم الثامن: العناية بتوجيه تصرفات البخاري الموهمة خروجَه عن شرطه:

لا شك أن للبخاري شروطاً ومعايير مضي عليها في صحيحه، منها ما هو منصوص عليه، ومنها ما استنبط من بطريق التتبع والاستقراء. بيد أن المصنف قد يتصرف على خلاف المعهود من شروطه وعوائده، لمقتضيات علمية وفنية، كما هو معلوم.

33- وقد أقر الصنعاني بأن في أجوبة العلماء عن تلك الاعتراضات الغث والسمين. إرشاد النقاد: ص. 119.

34- فتح المغيث: 1/96.

35- فتح الباري: 1/376.

ولما كان هذا مما يُشكل فهمه ويَدق درّكه، لزم تفسيرُ تلك التصرفات الموهمة، وحملها على أوجه علمية معتبرة عند أهل الصنعة، قطعاً للشغب عن الكتاب، وسدا للذريعة في وجه من يروم الخلوّص من هاته المنافذ للحط من قدره.

ولنضرب لذلك أمثلة:

عننة المدلسين في الصحيح:

الذي جرى به عمل المحدثين في شأن عننة المدلسين أنها لا تحمل على الاتصال حتى يتبين السماع من وجه آخر، واستثنوا ما وقع في الصحيحين من ذلك، فحملوه على ثبوت سماعه من جهة أخرى، ركونا إلى تحري الشيخين واستصحابا لشدة نقدهما.³⁶

غير أن طائفةً من العلماء استشكلوا هذا الاستثناء؛ كابن دقيق، وصدر الدين بن المرّحل، والمزي،³⁷ وابن القطان الفاسي.³⁸

لكن الذي أبغى تقريره ههنا: هو أن لرأي الجمهور هذا ما يعضده من عمل الأئمة، وببين أن أصل الرواية قد يكون على خلاف الوجه الذي سيقّت به في المصنفات، فقد يكون الخبر -مثلاً- متصلاً عند المحدث في واقع الأمر، ثم فيسوقه في بعض مصنفاته منقطعاً.

ويصلح للتأصيل لهذا الأمر قول الخطابي (388 هـ) في الرد على من أعل أحد الأخبار بالانقطاع: «وقد ضعف حديث أبي سعيد الخدري قوم، زعموا أن مالكا أرسله عن عطاء بن يسار، ولم يذكر فيه أبا سعيد الخدري، وهذا مما لا يقدر في صحته، ومعلوم عن مالك أنه يرسل الأحاديث وهي عنده مسنده وذلك معروف من عاداته».³⁹

وأظهر من ذلك في تقرير ما نحن فيه: أن ابن حبان ذكر في مقدمة صحيحه أنه قد يخرج حديث المدلس معنعنا، بعد علمه باتصاله. فمن لم يطلع على هذه النكتة يوشك أن يقضي بانقطاع كل تلك الأخبار المعنعة من غير تردد.

قال ابن حبان: «فإذا صح عندي خبر من رواية مدلس أنه بين السماع فيه، لا أبالي أن أذكره من غير بيان السماع في خبره، بعد صحته عندي من طريق آخر».⁴⁰

36- فتح المغيّب، للسخاوي: 4/460، شرح التبصرة والتذكرة، للعراقي: 1/239.

37- نكت الحافظ ابن حجر على ابن الصلاح: 2/267 - 268.

38- معايير ابن القطان الفاسي في تصحيح الأخبار: ص. 282.

39- معالم السنن: 1/240.

40- التقاسيم والأنواع: 116-115/1.

وإذا كان المحدثون ينصون على أن عنعنة المدلس تحمل على الاتصال إذا كانت من طريق أهل التحري من النقاد الذين اتخلوا روايات المدلسين وميزوا المسموع من غيره، كالليث في روايته عن أبي الزبير، وشعبة في أخذه عن الأعمش، وأبي إسحاق، وقتادة؛ فليطردوا هذا الأصل فيما يرويه الشيخان من تلك المعنعنات، لحاظاً لأصل التحري والحوطة، ولا يظهر بين الصورتين فرق مؤثر.

روايات المختلطين في الصحيح:

قال ابن الصلاح: «واعلم أن من كان من هذا القبيل محتجاً بروايته في الصحيحين أو أحدهما فإننا نعرف على الجملة أن ذلك مما تميز، وكان مأخوذاً عنه قبل الاختلاط.»⁴¹ ونحوه للنووي.⁴²

وهذه المسألة كالتي قبلها من حيث البناء والتوجيه؛ بمعنى أن الشيخين ثبت عندهما أن تلك الأخبار من قديم حديث المختلط، وإن كان ظاهر الرواية لا يدل على ذلك.

روايات بعض المتكلم فيهم:

تقدم لنا أن البخاري قد يخرج لبعض المتكلم فيهم، في المتابعات والشواهد، على خلاف ما يقتضيه شرط الصحة، وذلك بناء على أن للمتكلم فيه -بالضرورة- قدراً من الإصابة فيما يرويه، يُستدل عليه بموافقة الثقات، إذ لا ينبغي أن تظّرح مروياته برمتها، بل ينتقى منها ما صح وسلم من آفات النقل، وكذلك كان يفعل الإمام البخاري.

المعلم التاسع: ترك التبري مما يُظن أنه عيبٌ في الكتاب:

يسجل على بعض المتشركة أن المخالف إذا واجههم -على وجه التشغيب- ببعض ما ينسب للشريعة من أخبار أو أحكام مشكّلة في الظاهر = بادرُوا إلى إعلان البراءة منها، بدل حملها على المحامل السائغة والتأويلات المناسبة.

ويظهر ذلك بجلاء عند الذين أولعوا بفكرة التقريب بين الدين ومقتضيات العلوم العصرية؛ فما وافقها من الدين استحسّنوه وأشادوا به، وما خالفها أنكروه وتخرجوا من نسبته للشرع، وإن كان ظاهر الوثيقة، معلوم الثبوت.

وعوّداً إلى ما له صلة بالصحيح، نجد أنه اشتهر من منهج الإمام البخاري أنه قد يتصرف في متون الحديث بحذف بعض ألفاظها؛ تحريراً للفظ النبوي من عبارات الرواة وأوهامهم، ويسميه بعضهم إعلالاً بالحذف، وتكرر من الحافظ التنبية على مواضعه من الصحيح.

41- مقدمة ابن الصلاح: 5/429.

42- التقريب (مع التدريب): 2/516.

بل إن مسلما صرح في صحيحه أنه يفعل ذلك أيضا،⁴³ وللشيخ محمد عوامة، حفظه الله، بحث بعنوان: **حذف طرف من الحديث اختصارا له أو إعلالا.**

الشاهد من ذلك أن من الباحثين الأفاضل من حسب ذلك منقصة، فأكثر تعمد البخاري له، لمنافاته الأمانة العلمية، ولكونه مدخلا للطعن في السنة وأئمتها.⁴⁴ كما قال.

والحق أن هذا ثابت، بل كان هو شأن النقاد في عصر الرواية؛ كانوا إذا غلب على ظنهم أن لفظ الخبر مشوب بتصرفات النقلة، التي قد تحيل المعنى، أو تُشكّل بوجه ما، فإنهم يخلّصونه منها، وإن لم يصرحوا بذلك، وإنما يفتن له من جمع الطرق وقارن الألفاظ.

وليس ذلك بمنقصة في حق البخاري أبدا، بل هو دليل على وفور يقظته ودقة نقده. وهذا العمل مخرّج -كما لا يخفى- على جواز الرواية بالمعنى، وجواز اختصار الحديث، فمن يقول بهما، لزمه القول بذلك أيضا.

المعلم العاشر: استيفاء النظر في المحل والتريث في الجواب:

وذلك لأن كثيرا من الشبهات المثارة حول أفراد الأحاديث قد تبنى على لفظ معلول أو منتزَع من سياقه. فاستيفاء النظر بجمع الطرق -مثلا- قد يرفع كثيرا من تلك الإشكالات، ويوقف على جيد اللفظ، وصحيح المعنى.

يقول الحافظ ابن حجر: «إن بعض الرواة يختصر الحديث، وإن المتعين على من يتكلم على الأحاديث أن يجمع طرقها، ثم يجمع ألفاظ المتون إذا صحت الطرق، ويشرحها على أنه حديث واحد، فإن الحديث أولى ما فسر بالحديث».⁴⁵

ومما يحضرنا في هذا المقام حديث أثاره بعضهم على سبيل الإنكار،⁴⁶ وهو ما أخرجه الشيخان من طريق أنس، رضي الله عنه، قال: «خرجت جارية عليها أوضاع بالمدينة، قال: فرماها يهودي بحجر، قال: فجيء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبها رمق، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلان قتلك»، فرفعت رأسها، فأعاد عليها، قال: فلان «فلان قتلك»، فرفعت رأسها، فقال لها في الثالثة: «فلان قتلك»، فخفضت رأسها، فدعا به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقتله بين الحجرين».⁴⁷

43- انظر أمثله: المدخل إلى صحيح الإمام مسلم، د. محمد النورستاني: ص. 118.

44- الألفاظ التي ذكر الحافظ ابن حجر أن الإمام البخاري تعمد حذفها أو إبهامها، دراسة استقرائية نقدية، د. محمد عودة الحوري، د. عبد الرزاق أبو البصل، مجلة جامعة أم القرى، العدد 94، سبتمبر، 2023.

45- فتح الباري: 6/475.

46- هو الدكتور عدنان إبراهيم في إحدى خطبه.

47- متفق عليه؛ البخاري، كتاب الديات، باب: إذا قتل بحجر أو بعضا، رقم: 6877، مسلم، كتاب القسامة، باب ثبوت القصاص في القتل بالحجر وغيره من المحددات والمثقلات، وقتل الرجل بالمرأة، رقم: 1672.

قالوا هذا باطل النسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لأن فيه إزهاق نفس بمجرد ادعاء الجارية، وهي تنازع الموت.

والحق أن هذا الإشكال المتوهم يرتفع بأدنى التفات إلى طرق الحديث من نفس الكتابين، ففي بعض طرق البخاري: «فجىء باليهودي فاعترف»،⁴⁸ ويوب عليه: باب إذا أقر بالقتل مرة قُتل به. وفي رواية لمسلم: «فأخذ اليهودي فأقر».⁴⁹

فدل ذلك على أنه لم يُقتص منه بمجرد ادعاء الجارية، بل بإقرار القاتل على نفسه، فانقطع أصل الإشكال.

المعلم الحادي عشر: الاهتداء بأقوال العلماء في الباب، مع الحذر من التسليم المطلق بها:

لا بد لمن انتهض للرد عن الشبهات أن ينظر هل تقدم للعلماء قول فيها؛ فإن كثيرا من تلك الاعتراضات مكرورة، وللعلماء في شأنها أجوبة مسطورة، قد ينحسم البحث بالوقوف عليها وسوقها للمعترض، ولا يكون ثمة داع إلى صرف الجهد في تحصيل حاصل، وطلب ما ليس وراءه طائل.

لكن ليتنبه إلى أن التسليم التام لما يرد في الباب من أقوال العلماء، من غير انتحال ولا تمحيص، قد يحول دون تفكيك الشبهة وتحرير الجواب السديد عنها، لأن العالم قد لا يولي الشبهة مستحقها من العناية والنظر، وربما صادف ذلك منه شغلا أو ذهولا، أو غير ذلك من الأحوال المانعة من استتمام النظر، ولحاظ لوازم القول، والتنبيه للإيرادات المتوقعة.

ومن ذلك ما وقع للذهبي، في ترجمة عثمان بن أبي شيبة، حيث ساق جملة من الأخبار الواهية في شأنه تصحيفه للقرآن، ثم قال مسلما بها: «فكأنه كان صاحب دعاية، ولعله تاب وأناب».⁵⁰

فكان هذا القول منه مانعا من تحرير الجواب عن هذه الشبهة، إذ يوهم ثبوت تلك الأخبار، ويُجئ إلى تكلف تسويغها وطلب مخرجها، مع أنها بواطل، كما تقدم لنا آنفا.

هذا ما به تمام القول في هذا المطلب الثاني، وبه ينتجز ما قصدنا تحريره في هذا الموضوع، والحمد لله أولا وآخرا.

48- البخاري، كتاب الديات، باب إذا أقر بالقتل مرة قُتل به، رقم: 6884.

49- مسلم، كتاب القسامة، باب ثبوت القصاص في القتل بالحجر وغيره من المحددات والمثقلات، وقتل الرجل بالمرأة، رقم: 1672/17.

50- ميزان الاعتدال: 3/38.

الخاتمة:

تبين من خلال ما سبق في هاته الورقة أن النهوض للجواب عن الشبهات المثارة حول البخاري لا يستطيعه كل أحد، لتوقفه على شرائط معرفية ومنهجية بسطناها.

وليس يتمهد هذا الأمر على سداد لهذا الذي قامت به تلك الشرائط، إلا إذا استهدى بجملة من المعالم، التي توجه نظره وتعصمه من الاسترواح إلى ما لا ينضبط من طرائق البحث والاستدلال. ومنها:

- التوجه إلى هدم أصول الشبهات.
- صرف وافر العناية إلى الشبهات الكلية الكبرى.
- بناء التصور العلمي الصحيح عن الكتاب ومؤلفه.
- بذل الوسع في إبراز مظاهر القوة النقدية للكتاب.
- الانضباط لمقتضيات فن الجدل وقواعد المناظرة.
- حمل الخصم على الانضباط للمقتضيات المذكورة.
- الإنصاف في الجواب عن الأحرف التي انتقدها العلماء من الكتاب.
- العناية بتوجيه تصرفات البخاري الموهمة خروجَه عن شرطه.
- ترك التبري مما يُظن أنه عيبٌ في الكتاب.
- استيفاء النظر في المحل والتريث في الجواب.
- الاهتداء بأقوال العلماء في الباب، مع الحذر من التسليم المطلق بها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جريدة المصادر والمراجع:

إبراز صنعة الحديث في صحيح البخاري واجب الوقت، د. ماهر الفحل، دار الأنصار للنشر والتوزيع.

أبكار الأفكار في أصول الدين، سيف الدين الأمدي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت.

أحكام النظر، لابن القطان الفاسي، تحقيق: د. إدريس الصمدي، دار القلم، دمشق، ط. 1، 2012م.

إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، الأمير الصنعاني، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، 1985 م.

الأسس العقلية لمنهج نقد المحدثين، د. حاتم العوني، مركز إحياء للبحوث والدراسات، القاهرة، ط. 1، 2020.

الإفصاح بتكميل النكت على ابن الصلاح، الحافظ أحمد بن علي ابن حجر، (بهامش مقدمة ابن الصلاح).

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. طارق بن عوض الله، دار العاصمة، الرياض، ط. 1، 2003م.

التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح (بهامش مقدمة ابن الصلاح)، الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي.

التلخيص في أصول الفقه، لإمام الحرمين الجويني، المحقق: عبد الله جولم النبالي، وبشير أحمد العمري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. 1، 1996م.

حاشية الشيخ عبد الله الشرقاوي على شرح الهددي على أم البراهين للإمام السنوسي، مطبعة بن هلابي، تايلاند.

حاشية العليمي الحمصي على شرح التصريح للأزهري على توضيح ابن هشام على الألفية، المطبعة الأزهرية، 1325 هـ.

حوار حول منهج المحدثين في نقد الروايات سندا ومتنا، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1994م.

زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين محمد ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. 1، 1996 م.

شرح التبصرة والتذكرة، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002م.

شرح علل الترمذي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الحنبلي، تحقيق: الدكتور همام سعيد، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة: الأولى، 1987م.

صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، اعتنى به: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية)، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ.

صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، ط. 1، 1991م.

عقلانية منهج المحدثين في التحقق من عدالة الرواة، د. حاتم العوني، مركز إحياء للبحوث والدراسات، القاهرة، ط. 1، 2020.

علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح الشهرزوري، تحقيق: طارق عوض الله، دار ابن القيم، الرياض، ودار ابن عفان، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2015م.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية، مصر، الطبعة الأولى، 1380 - 1390 هـ.

فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: د. عبد الكريم الخضير، ود. محمد آل فهيد، دار المنهاج، الرياض، ط. 1، 1436هـ.

القول الرجيح في تواتر الجامع الصحيح، الشيخ امحمد العمراوي السجلماسي، منشورات البشير بنعطية، فاس، ط. 1، 2019م.

المدخل إلى صحيح الإمام مسلم، د. محمد النورستاني، وزارة الأوقاف الكويتية، ط. 1، 2007م.

معالم السنن، أبو سليمان حمد بن محمد الخطّابي، تحقيق: محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية بحلب، الطبعة الأولى، 1932 م.

معايير ابن القطان الفاسي في تصحيح الأخبار، محمد سهلي، منشورات مؤسسة دار الحديث الحسنية، الرباط، ط. 1، 2023م.

منهج الإمامين البخاري ومسلم في إعلال المرويات، د. صلاح الدين الإدلبي، دار الفتح، عمان، ط. 1، 2014.

منهج النقد عند المحدثين، محمد مصطفى الأعظمي، مكتبة الكوثر، المربع، الطبعة الثالثة، 1990م.

المنهج النقدي عند المحدثين وعلاقته بالمناهج النقدية التاريخية، الدكتور عبد الرحمن السلمي، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط. 1.

موجبات سقوط القول الحدائي في قراءة النص الديني، ضمن مجموع رسائل علمية في فنون مختلفة، الفقيه العلامة مولود السريري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 2012م.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1963م.

حقيقة القولين، للإمام الغزالي، تحقيق: د. محمد الدوسري، مجلة الجمعية الفقهية السعودية، العدد 3، 2008م.

النظر العقلي في قواعد نقد المحدثين والخلل المنهجي في نقد المتن عند المعاصرين، الدكتور محمد ناصيري، مجلة الواضحة الصادرة عن مؤسسة دار الحديث الحسنية، الرباط، العدد 7.

الألفاظ التي ذكر الحافظ ابن حجر أن الإمام البخاري تعمد حذفها أو إبهامها، دراسة استقرائية نقدية، د. محمد عودة الحوري، د. عبد الرزاق أبو البصل، مجلة جامعة أم القرى، العدد 94، سبتمبر، 2023.

حديث سحر النبي ﷺ ودفع الإشكالات المثارة حوله

إعداد

د. عبد الكريم محمد جراد
باحث



مقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره وسار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن السنة النبوية تعد الركيزة الثانية للتشريع الإسلامي، إذ تأتي مكملية للقرآن الكريم، فتستقل بتقرير بعض الأحكام، وتفصل ما ورد فيه مجملًا، وتخصص عمومها، وتقيد مطلقه، وتوضح معانيه، ومن هذا المنطلق، كان حفظها وصونها ضرورة لازمة، إذ في ذلك حفظ للكتاب العزيز ذاته، وصيانة لمقاصد الشريعة وأحكامها، قال النبي ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانٌ عَلَى أُرْيَكْتِهِ، يَقُولُ: عَلَيَّكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ خَلَالٍ فَأَجْلُوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ»¹.

وقد حظي **صحيح البخاري** بمكانة رفيعة، حيث عدّه العلماء أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، ولاقى القبول لدى العلماء عبر العصور، بعد خضوعه لأدق معايير التمحيص والنقد الحديثي؛ ومع ذلك، لم يواجه كتاب من كتب السنة حملات طعن وتشكيك كما واجه **صحيح البخاري**، حيث تعرض لهجوم ممنهج، استند إلى دعاوى واهية، أطلقها من يفتقرون إلى التخصص في علوم الحديث وأصول النقد الحديثي، مما يوجب على المتخصصين والباحثين في الحديث الشريف أن يتصدوا لهذه الادعاءات، بردود علمية قائمة على منهجية نقدية رصينة، تكشف زيف تلك الشبهات وتفتد أسسها.

1- سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم: 4604، ومسنند أحمد، رقم: 17174.

ومن بين الأحاديث التي طالتها سهام التشكيك: **حديث سحر النبي ﷺ**، حيث أُثيرت حوله العديد من الإشكالات والانتقادات، مما يستدعي دراسته ومناقشته بموضوعية ومنهجية علمية، وهو ما يتناوله هذا البحث.

أهمية البحث وأهدافه:

بيان صحة الحديث وثبوته في صحيح البخاري، ورد الإشكالات المثارة حوله. توضيح مفهوم السحر في السياق الشرعي وعدم تعارضه مع عصمة النبي ﷺ في التبليغ. بيان منهج العلماء في التعامل مع الأحاديث التي قد تثير إشكالات ظاهرية. رد الشبهات المعاصرة الموجهة إلى الحديث وفق منهج علمي رصين.

إشكالية البحث:

يعالج هذا البحث الإشكالات المطروحة حول حديث سحر النبي ﷺ، وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما مدى ثبوت حديث (سحر النبي ﷺ)؟
هل يتعارض الحديث مع مكانة النبي ﷺ وكمال عقله؟
هل يتنافى الحديث مع عصمة النبي ﷺ، وصدقه في تبليغه؟

المنهج العلمي المتبع في البحث:

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي؛ بجمع الشبهات المثارة حول الحديث من مصادرها، إضافة إلى المنهج التحليلي لدراسة تلك الإشكالات ومقارنتها برؤود العلماء، والمنهج النقدي المعني بتمحيص هذه الشبهات وفق معايير النقد العلمي الرصين، مستنيرًا بأقوال العلماء قديمًا وحديثًا.

خطة البحث:

المقدمة: تتناول أهمية الموضوع، وأهدافه، وإشكاليته، والمنهجية المعتمدة في معالجته.

المبحث الأول: حديث سحر النبي ﷺ؛ وشرح غريبه، وتخريجه، وبيان مداره، واختلاف ألفاظه:

المطلب الأول: نص الحديث، وشرح غريب ألفاظه.

المطلب الثاني: تخريج الحديث، وبيان مداره، واختلاف ألفاظه.

المبحث الثاني: الادعاءات المثارة على حديث سحر النبي ﷺ، والرد عليها.

المطلب الأول: الادعاء بأن هذا الحديث يقدر في سلامة عقله ﷺ.

المطلب الثاني: الادعاء بأن هذا الحديث يزعم الثقة في صحة تبليغه عليه الصلاة والسلام.

الخاتمة: تتضمن أبرز النتائج والتوصيات المستخلصة من البحث.

والله ولي التوفيق

والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: حديث سحر النبي ﷺ؛ وشرح غريبه، وتخرجه، وبيان مداره، واختلاف ألفاظه:

يعد حديث سحر النبي ﷺ من الأحاديث التي حظيت باهتمام واسع بين العلماء، نظرًا لما أثير حوله من نقاشات تتعلق بصحته ومدى انسجامه مع مسلمات العقل ومفردات العقيدة الإسلامية، وقد ورد هذا الحديث في أصح كتب الحديث، وهو صحيح البخاري، مما يقتضي دراسته وفق منهجية علمية تعتمد على تخرجه وبيان طرقه، ومدى اتفاق العلماء على ثبوته، مع تحليل ألفاظه وشرح غريبه لفهم معانيه بدقة، وذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: نص الحديث، وشرح غريب ألفاظه:

أولاً: نص الحديث: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ عِنْدِي، لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَشْعَرْتُ أَنْ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجَفَّ طَلْعُ نَخْلَةٍ ذَكَرَ. قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بَيْتِ دُرَّوَانَ». فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، كَأَنَّ مَاءَهَا نِقَاعَةُ الْجَنَاءِ، أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا اسْتَحْرَجْتَهُ؟ قَالَ: «قَدْ عَاقَبَنِي اللَّهُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَوَّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا» فَأَمَرَ بِهَا فَذْفِفَتْ.

ثانياً: شرح غريب ألفاظ الحديث:

مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ: «بِضَمِّ الزَّيِّ وَفَتْحِ الرَّاءِ وَشُكُونِ التَّيَاءِ آخِرِ الْخُرُوفِ وَبِالْقَافِ» «بطن من الأنصار مشهور من الخزرج»²، «ويقال لهم: بنو زريق بن عبد حارثة بن مالك»³.
أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ: «أي: أجابني فيما دعوته. فسَمَّى الدعاء: استفتاء. والجواب: فتياً؛ لِأَنَّ الدَّاعِيَ طَالِبٌ، وَالْمَجِيبَ مُسَعِّفٌ، فَاسْتَعِيرَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ».
مَطْبُوبٌ: «المطبوب: المسحور والطَّب: السحر، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ فِي مَرِيضٍ: «فَلَعَلَّ طَبًّا أَصَابَهُ». وقيل للمسحور مطبوب على شَبِيلِ التَّفَاوُلِ، كَمَا قِيلَ لِلدِّيَغِ سَلِيمٍ أَي: أَنَّهُ يَطْبُ وَيَعَالَجُ فَيَبْرَأُ»⁴.

2- ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، 1379هـ، (10/226).

3- ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله، بذل المجهود في حل سنن أبي داود، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/1996م، (8/236).

4- الزمخشري، محمود بن عمر، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، 1399هـ/1979م، (2/353).

مشط ومُشاقّة: قال البخاري رحمه الله: «يقال: المشاطة ما يخرج من الشعر إذا مشط، والمشاقّة من مشاقّة الكتان» أي: ما يخرج من الكتان إذا مشط ومشق. «وقيل المشاقّة هي المشاطة بعينها، والقاف تبدل من الطاء لقرب المخرج. والله أعلم»⁵.

وجفّ طلع نخلة ذكر: «الجفّ بالضم: وعاء الطلح» «وهو الغشاء الذي يكون فؤقه»⁶، قال النووي رحمه الله: «وأما قوله: وجفّ. هكذا في أكثر نسخ بلادنا؛ جب بالجم وبالباء الموحدة، وفي بعضها: جف بالجم والفاء، وهما بمعنى... ويطلق على الذكر والأنثى، فلهذا قيده في الحديث بقوله طلعة ذكر، وهو إضافة طلعة إلى ذكر، والله أعلم»⁷.

بئر ذروان: قال النووي: «هو في جميع نسخ مسلم ذي أروان، وكذا وقع في بعض روايات البخاري، وفي معظمها ذروان، وكلاهما صحيح، والأول أجود وأصح. وادعى بن قتيبة أنه الصواب، وهو قول الأصمعي، وهو بئر بالمدينة في بستان بني زريق»⁸.

قاعة الحناء: «الماء الذي يخرج فيه لونها إذا نقعت فيه»⁹، والمعنى هنا: «أن ماءها متغير لونه مثل ماء نُقع فيه الحناء»¹⁰.

أنور على الناس فيه شراً: «يفتح الثاء المثلثة وتشديد الواو، ويروى: أن أثير، من الإثارة، وكلّهما بمعنى واحد»¹¹.

5- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: جماعة من العلماء، ط1، المطبعة الأميرية، 7/137، وابن حجر، فتح الباري، 10/232.

6- الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، 23/88، مادة: «ج ف ف»، وابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، 1/278، مادة: «جف».

7- النووي، يحيى بن شرف، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار إحياء التراث العربي، 14/177.

8- النووي، المنهاج، 14/177، و ياقوت الحموي، شهاب الدين، معجم البلدان، دار صادر، 1/162.

9- القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، دار ابن كثير، 5/573.

10- لملا علي القاري، علي بن سلطان، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، 9/3796.

11- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، 21/281.

المطلب الثاني: تخريج الحديث، وبيان مداره، واختلاف ألفاظه:

الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه مختصراً، ومطولاً¹²، ومسلم في صحيحه¹³، وابن ماجة في سننه¹⁴، والنسائي في السنن الكبرى¹⁵، وابن أبي شيبة في مسنده¹⁶، وابن راهويه في مسنده¹⁷، وأحمد في مسنده¹⁸، وأبو يعلى في مسنده¹⁹، وابن حبان في صحيحه²⁰، والبيهقي في سننه الكبرى²¹، وغيرهم ...

والمشجر الآتي يبين رواة الحديث ومداره:

الكتاب	رقم الحديث	الجزء والصفحة	الراوي الأول	الراوي الثاني	الراوي الثالث	الراوي الرابع
صحيح البخاري	3175	4/101	عائشة	عروة بن الزبير	سليم بن عروة	يحيى
صحيح البخاري	3268	4/122				عيسى
صحيح البخاري	5763	7/136				عيسى بن موسى
صحيح البخاري	5765	7/137				ابن جريج
صحيح البخاري	5766	7/137				أبو أسامة
صحيح البخاري	6063	8/18				سفيان
صحيح البخاري	6391	8/83	عائشة	عروة بن الزبير	سليم بن عروة	أنس بن عياض
صحيح البخاري	6391	8/83				إبراهيم بن منذر
صحيح البخاري	6391	8/83				إبراهيم بن منذر
صحيح البخاري	6391	8/83				إبراهيم بن منذر
صحيح البخاري	6391	8/83				إبراهيم بن منذر
صحيح البخاري	6391	8/83				إبراهيم بن منذر

12- البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الطب، باب السحر، برقم 3175، 3268، 5763، 5765، 5766، 6063، 6391، (4/101)، (4/122)، (7/136)، (7/137)، (7/137)، (8/18)، (8/83).

13- مسلم، مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، كتاب السلام، باب السحر، برقم 2189، (7/14).

14- ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، كتاب الطب، باب السحر، برقم 3545، (ص752).

15- النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، كتاب الطب، باب السحر، برقم 7569، (7/100).

16- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، كتاب الطب، باب في الرجل يسحر ويسم فيعالج، برقم 25064، (13/135).

17- ابن راهويه، إسحاق بن إبراهيم، مسند ابن راهويه، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، مكتبة الإيمان، باب ما يروى عن عروة بن الزبير، عن خالته عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ، برقم 737، (2/229).

18- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة رضي الله عنها، برقم 24300، (40/344).

19- أبو يعلى، أحمد بن علي الموصلي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، مسند عائشة رضي الله عنها، برقم 4882، (7/68).

20- ابن حبان، محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ذكر وصف ما طبَّ النبي ﷺ بعد قدومه المدينة، برقم 7258، (7/708).

21- البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، كتاب القسامة، باب من قال: السحر له حقيقة، برقم 16572، (8/232).

الكتاب	رقم الحديث	الجزء والصفحة	الراوي الأول	الراوي الثاني	الراوي الثالث	الراوي الرابع	الراوي الخامس
صحيح مسلم	2189	7/14	عائشة	عروة بن الزبير	هشام بن عروة	ابن نمير	أبو كريب
سنن ابن ماجه	3545	ص752				عبد الله بن نمير	أبو بكر بن أبي شيبة
السنن الكبرى للنسائي	7569	7/100				عيسى بن يونس	إسحاق بن إبراهيم
مسند أبي يعلى	4882	7/68				أبو أسامة	مجاهد بن موسى
صحيح ابن حبان	7259	7/708				عيسى بن يونس	إسحاق بن إبراهيم
السنن الكبرى للبيهقي	16494	8/232				أنس بن عياض	عبد الله بن محمد بن عبد الحكم
مسند أحمد	24300	40/344				ابن نمير	-
مصنف ابن أبي شيبة	25064	13/135				عبد الله بن نمير	أبو بكر
مسند إسحاق بن راهويه	737	2/229				عيسى بن يونس	-

من خلال هذا الجدول يتبين أن جميع من روى هذا الحديث إنما رواه عن عائشة رضي الله عنها، ومداره على ابن أبي أختها هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير رضي الله عنه.

فالحديث صحيح متفق عليه، ثابت عند أهل العلم والحديث، تلقاه العلماء بالقبول، ولم يطعن فيه أحد من أهل الحديث، قال القاضي عياض: «هذا الحديث صحيح متفق عليه»²²، وقال ابن القيم: «وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، متلقى بالقبول بينهم، لا يختلفون في صحته، ... وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيح هذا الحديث، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله وأيامه»²³.

وأما كون الحديث أحاداً لا يقدح في صحته مطلقاً، فرواه كلهم عدول، ولا مطعن في أحدهم، قال نور الدين عتر -رحمه الله-: «أجمع العلماء من أهل الحديث ومن

²²- القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، (2/181).

²³- ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، (2/223-224).

يعتد به من الفقهاء والأصوليين على أن الحديث الصحيح حجة يجب العمل به، سواء كان راويه واحدًا لم يروه غيره، أو رواه معه راو آخر، أو اشتهر برواية ثلاثة فأكثر ولم يتواتر»²⁴.

هذا من حيث تخريج الحديث وثبوته، أما من حيث اختلاف ألفاظه، ففي الجدول الآتي بيان للاختلافات البارزة، والاضافات المعتبرة في ذلك:

الكتاب	رقم الحديث	الجزء والصفحة	اختلاف لفظ الحديث
صحيح البخاري	3175	4/101	"يخيل إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه" بدون تفصيل القصة.
صحيح البخاري	3268	4/122	تفصيل القصة، ذكر الرجلين، وبيان أن السحر كان في «مشط ومشاقة وجف طلح».
صحيح البخاري	5763	7/136	إضافة أن لبيد بن الأعصم من بني زريق، وذكر ذهاب النبي ﷺ إلى البئر مع أصحابه.
صحيح البخاري	5765	7/137	إضافة أن النبي ﷺ كان يُخْتَلَى إليه أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وذكر أن لبيد بن الأعصم كان منافقاً.
صحيح البخاري	5766	7/137	ذكر «بئر ذي أروان» بدل «بئر ذروان»، وإضافة «فكرهت أن أثور على الناس منه شراً».
صحيح البخاري	6063	8/18	وصف أن النبي ﷺ مكث كذا وكذا يخيل إليه، وإضافة تفصيل الحديث بلفظ «يعني مسحوراً».
صحيح البخاري	6391	8/83	استخدام لفظ "ظب" بدل "شجر".
صحيح مسلم	2189	7/14	"يهودي من يهود بني زريق" بدل «رجل من بني زريق»، واستخدام «أفتاني» بدل «أفتاني فيما استفتيته».
سنن ابن ماجه	3545	ص752	إضافة «فلم يقل أفلاً أحرقته»، واستخدام «فأخرجه» بدل «دفنت».
السنن الكبرى للنسائي	7569	7/100	استخدام «أشعرت» بدل «شعرت»، وذكر «ملكين» بدل «رجلين».
مسند أبي يعلى	4882	7/68	زيادة «فدعا الله ثم دعا» قبل الحديث عن الملكين.
صحيح ابن حبان	7259	7/708	استخدام «قد أفتاني فيما استفتيته» بدل «أفتاني»، وذكر «فكرهت أن أثير على المسلمين شراً».
السنن الكبرى للبيهقي	16494	8/232	إضافة "وكرهت أن أثير على الناس منه شراً".
مسند أحمد	24300	40/344	ذكر «شعرت أن الله قد أفتاني» بدل «أشعرت»، واستخدام «دفنت» بدل «فأحرقفت».
مصنف ابن أبي شيبة	25064	13/135	إضافة «أفلاً أحرقته» قبل رد النبي ﷺ.
مسند إسحاق بن راهويه	737	2/229	ذكر «هو مطبوبٌ بهذا» بدل «هو مطبوبٌ»، وإضافة «ملكين» بدل «رجلين».

24- عتر، نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، ص244.

يتضح من خلال هذا الجدول أن ألفاظ الحديث متقاربة، حيث رُوي بصيغتيه المختصرة والمطولة، وتضمن زيادات توضيحية مهمة، من أبرزها:

تحديد هوية الساحر، وهو لبيد بن الأعصم، يهودي من بني زريق، وبيان أنه كان منافقاً يُظهر الإسلام ويُخفي الكفر.

توضيح أن ما كان يُخَيَّل إلى النبي ﷺ أنه فعله ولم يفعله، هو إتيان النساء.

الإشارة إلى المدة التي مكث فيها النبي ﷺ تحت تأثير السحر.

بيان أن الرجلين اللذين جاء النبي ﷺ لم يكونا من البشر، وإنما هما ملكان تمثلا في صورة رجلين.

أما باقي الفروق، فهي مما يتعلق بالترادف أو الرواية بالمعنى، دون تأثير جوهري على مضمون الحديث.

المبحث الثاني: الادعاءات المثارة على حديث سحر النبي ﷺ، والرد عليها.

طعن بعض العلماء قديماً وحديثاً بحديث سحر النبي ﷺ، مدعين مخالفته للعقل، وممن طعن فيه من العلماء قديماً: الحاكم، والجصاص، والماوردي، وغيرهم، وممن شكك بصحته لمخالفته العقل حديثاً: الشيخ محمد عبده، وابن قرناس، وسامر إسلامبولي، وإسماعيل الكردي، والسيد هاشم معروف الحسني، وغيرهم، ولقد كان طعنهم في الحديث من وجوه عدة، أتناول أهم اثنين منها في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: الادعاء بأن هذا الحديث يقدر في سلامة عقله ﷺ:

قال المعتضون على حديث سحر النبي ﷺ، بأن هذا الحديث مما يقدر في سلامة عقله -بأبي وأمي هو ﷺ-، وهو مما يحط من مقام النبوة بزعمهم، ويؤدي إلى إبطال معجزاته ﷺ، ولذلك حكم عليه الحاكم بالشذوذ، فقال: «هذا الحديث مخرج في الصحيح وهو شاذ بمرة»²⁵، وقال الجصاص: «وقد أجازوا من فعل الساحر ما هو أطم من هذا وأفزع، وذلك أنهم زعموا أن النبي ﷺ سحر، وأن السحر عمل فيه...، وقد قال الله تعالى مكذبا للكفار فيما ادعوه من ذلك للنبي ﷺ، فقال جل من قائل: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبَتُّونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الفرقان: 8]، ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تلعب بالحشو الطغام، واستجرارا لهم إلى القول بإبطال

25- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، المدخل إلى كتاب الإكليل، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، الإسكندرية، ص39.

معجزات الأنبياء عليهم السلام والقدر فيها، وأنه لا فرق بين معجزات الأنبياء وفعل السحرة، وأن جميعه من نوع واحد»²⁶، وقال الماوردي: «وأنكره آخرون، ومنعوا منه في رسول الله ﷺ وإن صح في غيره، لما في استمراره عليه من خيل العقل، وأن الله تعالى قد أنكر على من قال في رسوله حيث يقول: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾»²⁷.

وتبع هؤلاء العلماء عدد من العلماء حديثاً، منهم: الشيخ محمد عبده؛ فقد قال: «ولا يخفى أن تأثير السحر في نفسه ﷺ حتى يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئاً وهو لا يفعله، ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور العادية، بل هو ما ش بالعلم، آخذ بالروح، وهو مما يصدق قول المشركين فيه: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ: إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الفرقان: 8]، وليس المسحور عندهم إلا من خولط في عقله، وخيل له أن شيئاً يقع وهو لا يقع، فيختل إليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه»²⁸. وجرى على مثل قائلته ابن قرناس؛ حيث عنون لهذا الحديث بـ «أفعال وأقوال غير معقولة»²⁹، وكذلك قال سامر إسلامبولي: «إنه مصادم لعصمة الأنبياء ومناف لها ولحقيقة النبوة... فلذا يجب على المسلمين أن يكون تفكيرهم سليماً وموضوعياً، وأن لا يثبتوا أي خبر حتى يثبتوا من صحته متناً قبل السند... ويرفضوا هذه الأخبار لتصادمها مع صريح القرآن وعصمة النبوة والسلامة النفسية والقوة العقلية لرسول الله ﷺ، حتى وإن كانت هذه الأخبار في البخاري ومسلم، لأن الحق أحق أن يتبع»³⁰. ويقول أيضاً: «وهذا السحر في العقل يتصادم بشكل صريح مع مقام النبوة... فالقول بسحر النبي هو طعن بمادة الوحي؛ لأن المسحور لا يؤخذ منه شيء لفقدانه أهلية التبليغ وعدم الثقة بعقله وحكمه على الأشياء»³¹. وعلى مثله جرى إسماعيل الكردي، حين قال: «هذا الحديث ردّه كثير من العلماء القدماء والمعاصرين؛ حيث رأوا أنه يحط من مقام النبوة»³². وكذلك السيد هاشم معروف الحسني، في قوله: «إن الذين رووا هذا الحديث ودونوه هم المسحورون؛ لأنهم لا يفكرون بما يكتبون، ويروون ولا يتثبتون، وكيف يصح على نبي لا ينطق عن الهوى كما وصفه ربه، أن يكون فريسة للمشعوذين، فيفقد شعوره ويغيب عن رشده»³³.

26- الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1994م، (1/59).

27- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (6/376).

28- محمد عبده بن حسن خير الله، تفسير القرآن الكريم (جزء عم)، دار المعرفة، ص182-181، وأبو رية، محمود، أضواء على السنة المحمدية، دار الفكر، ص351-350، والبناء، جمال، السنة ودورها في الفقه الجديد، دار الفكر الإسلامي، ص237.

29- بن قرناس، الحديث والقرآن، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2008م، ص: 312 و142-141.

30- إسلامبولي، سامر، تحرير العقل من النقل، ليقاننت للدراسات الثقافية، 2019م، (ص174-173).

31- إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، (ص245).

32- الكردي، إسماعيل، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث: دراسة تطبيقية على بعض أحاديث الصحيحين، دار الأوائل، دمشق، 2002م، ص: 156.

33- معروف الحسني، هاشم، دراسات في الحديث والمحدثين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط1، 368 صفحة، ص: 255.

وقبل أن نورد كلام العلماء في الرد على هذا الادعاء وتفنيده، لا بد من الإشارة إلى ما تقدم آنفاً من أن الحديث صحيح ثابت متفق عليه، تلقاه أئمة الحديث بالقبول، ولم يطعنوا فيه بمطعن، وإنما أجابوا عن الإشكالات التي أشكلت لدى البعض، وعن الادعاءات التي قدمها آخرون، فقال القاضي عياض بعد أن جزم بصحته: «وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به؛ لسخف عقولها، وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع»³⁴، وبمثله قال ابن القيم -كما تقدم-، واستند هؤلاء العلماء على أدلة، منها:

أن الله تعالى أثبت تعرض نبي الله تعالى موسى عليه السلام لهذا النوع من السحر (سحر التخييل)، وذلك في قوله: **﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْتَ ثَلَاثِي وَإِنَّمَا أَنْتَ نَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَبَلُهُمْ وَعَصِيُّهُمْ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾** [طه: 66-65]، قال المباركفوري: «الحديث يفيد أن هذا الأثر إنما كان إلى حد التخييل، وإصابة الرسول ﷺ بالسحر إلى هذا الحد مما ثبت بالقرآن، قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام وسحرة فرعون: **﴿فَإِذَا جَبَلُهُمْ وَعَصِيُّهُمْ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾** [طه: 65]، وقد ثبت بهذا أن الذين رفضوا هذا الحديث من المتكلمين، ومن حذا حذوهم بحجة أنه ينافي منصب النبوة والرسالة، فقد رفضوا القرآن من حيث يشعرون أو لا يشعرون»³⁵، فإنه «لم يقل أحد من أهل العلم، ولا من أهل الذكاء: إن ما خيل لموسى عليه الصلاة والسلام أولاً من سعي عصي السحرة قاذح في رسالته، بل وقوع مثل هذا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام يزيد قوة الإيمان بهم، لكون الله تعالى ينصرهم على أعدائهم، ويخرق لهم العادة بالمعجزات الباهرة، ويخذل السحرة والكفرة، ويجعل العاقبة للمتقين، كما هو مبين في آيات الكتاب المبين»³⁶.

أن السحر إنما هو «مرض من الأمراض، وعارض من العلل، يجوز عليه كأنواع الأمراض، مما لا ينكر ولا يقدر في نبوته»³⁷، ومن هنا نجد -كما تقدم في تخريج الحديث- أن جميع من خرجه من أئمة الحديث، إنما أودعه في كتاب الطب، إشارة إلى أن السحر مرض من الأمراض له علاجه ودواؤه، يقول الإمام السهيلي رحمه الله: «وقد طعنت المعتزلة في هذا الحديث وطوائف من أهل البدع وقالوا: لا يجوز على الأنبياء أن يسحروا، ولو جاز أن يسحروا، لجاز أن يجنوا ... والحديث ثابت خرجه أهل الصحيح، ولا مطعن فيه من جهة النقل ولا من جهة العقل؛ لأن العصمة إنما وجبت لهم في عقولهم وأديانهم، وأما أديانهم فإنهم يبتلون فيها، ويخلص إليهم بالجراحة والضرب والسموم والقتل، والأخذة التي أخذها رسول

34- القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (2/181).

35- المباركفوري، صفى الرحمن، منة المنعم في شرح صحيح مسلم، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1420هـ/1999م، (3/449).

36- المرصفي، سعد، حديث السحر في الميزان، دار طبية، الرياض، ط1، 1408هـ/1988م، (ص 40).

37- القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (2/181).

الله ﷺ من هذا الفن إنما كانت في بعض جوارحه دون بعض»³⁸. وقال ابن القيم: «والسحر الذي أصابه ﷺ كان مرضاً من الأمراض عارضاً شفاه الله منه، ولا نقض في ذلك ولا عيب بوجه ما، فإن المرض يجوز على الأنبياء، وكذلك الإغماء، فقد أغمي عليه ﷺ في مرضه، ووقع حين انفكت قدمه، وجش شقته، وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعة في درجاته ونيل كرامته، وأشد الناس بلاء الأنبياء، فابتلوا من أمهم بما ابتلوا به من القتل والضرب والشتم والحبس، فليس ببذع أن يُبتلى النبي ﷺ من بعض أعدائه بنوع من السحر، كما ابتلي بالذي رماه فشجه، وابتلي بالذي ألقى على ظهره السلى وهو ساجد، وغير ذلك، فلا نقض عليهم ولا عار في ذلك؛ بل هذا من كمالهم، وعلو درجاتهم عند الله»³⁹.

أنه ليس ثمة أدنى تعارض بين علو مقام النبوة، وبين كون عليه الصلاة والسلام بشراً؛ يمرض كالbشر، ويؤذى كإذائهم، وقد أثبت الله تعالى ذلك في كتابه حين قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]، وقد بين المازري أن مقام النبوة والوحي محفوظ ومصون، وأن النبي ﷺ معصوم فيه، أما الجانب البشري فيحمل عليه نسيانه وما يخيّل إليه من الأمور الدنيوية، قال رحمه الله: «الدليل قد قام على صدقه فيما يبلغه عن الله سبحانه وعلى عصمته فيه، والمعجزة شاهدة بصدقه ... وما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها ولا كان رسولا مفضلاً من أجلها هو في كثير منه عرضة لما يعترض البشر فغير بعيد أن يخيّل إليه في أمور الدنيا ما لا حقيقة له»⁴⁰. وقال أبو العباس القرطبي مبينا وجه العصمة في أمر الوحي دون أمور الدنيا: «فيتخيّل إليه أنه يُقدّم على الأكل، أو المشي مثلاً؛ لأنّه لا يحسّ بمانع يمنعه منه، فإذا رام ذلك وأخذ فيه لم يأت له ذلك، لغلبة المرض الناشئ عن السحر، لا أنه ﷺ أوجب له خلا في عقله ولا تخليطاً في قوله؛ إذ قد قام برهان المعجزة على صدقه، وعصمة الله تعالى له عن الغلط فيما يبيّنه بقوله وفعله»⁴¹.

أن السحر لم يمكث في النبي ﷺ مدة طويلة، فإنه الله تعالى استجاب دعاءه وعافاه منه، ويؤيد ذلك رواية أحمد والنسائي وغيرهما، وفيها: «سحر النبي ﷺ رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما»⁴². وورد تحديد هذه المدة بأربعين يوماً،

38- السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، ط 1، 1410 هـ/1990 م، (201-4/200).

39- ابن القيم، بدائع الفوائد، (2/224).

40- المازري، محمد بن علي، المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1390 هـ/1970 م، (3/159).

41- القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط 1، 1417 هـ/1996 م، (5/570).

42- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، السنن الصغرى، كتاب تحريم الدم، باب سحرة أهل الكتاب، برقم 4080، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، برقم 19267، والطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، برقم 5016.

قال ابن حجر: «ووقع في رواية أبي ضمرة عند الإسماعيلي: «فأقام أربعين ليلة». وفي رواية وهيب عن هشام عند أحمد «ستة أشهر»، ويمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه والأربعين يوما من استحكامه»⁴³. ويقول المهلب: «ذلك السحر لم يضره ﷺ؛ لأنه لم يفقده شيئا من الوحي، ولا دخلت عليه داخلية في الشريعة، وإنما اعتراه شيء من التخيل والتوهم، ثم لم يتركه الله على ذلك، بل تداركه، ثم عصمه، وأعلمه بموضع السحر، وأمره باستخراجه وخلصه عنه، فعصمه الله من الناس ومن شرهم كما وعده، وكما دفع عنه أيضا ضرر الشَّيْء بعد أن أطلعه الله على المكيدة فيه، بأنه أظهرها إليه معجزة من كلام الذراع»⁴⁴.

أن السحر لم يسلط على عقل النبي ﷺ وروحه، واقتصر تسلطه على جسده ﷺ، قال القاضي عياض رحمه الله: «فقد استبان من معاني هذه الروايات أن السحر إنما يسلط على جسده وظواهر جوارحه، لا على عقله وقلبه واعتقاده، ويكون معنى قوله في الحديث: «حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتين»، ويروى: «يخيل إليه». أي: يظهر له من نشاطه ومتقدم عاداته القدرة عليهن، وزوال ما أنكر قبل من حاله، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر، فلم يأتين ولا يتمكن من ذلك، كما يعتري من وخذ وسحر عن ذلك»⁴⁵. وقال في موضع آخر: «إنما أثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه وأضعف جسمه وأمراضه... ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله: وهذا أشد ما يكون من السحر، ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى: إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله؛ من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث، فيظن أنه رأى شخصا من بعض أزواجه، أو شاهد فعلا من غيره، ولم يكن على ما يخيّل إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره، لا لشيء طرأ عليه في ميزه. وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا، ولا يجد به الملحد المعترض أنسا»⁴⁶. وقال ابن القيم: «غاية هذا السحر فيه إنما هو في جسده، وظاهر جوارحه، لا على عقله وقلبه، ولذلك لم يكن يعتقد صحة ما يُخَيَّل إليه من إتيان النساء، بل يعلم أنه خيال لا حقيقة له، ومثل هذا قد يحدث من بعض الأمراض، والله أعلم»⁴⁷.

43- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، 1379هـ، (10/226).

44- ابن بطال، علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، 1423هـ، (359-358/5)، وابن الملكن، عمر بن علي، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق، 1429هـ، (18/630).

45- القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ط 1، 1419هـ/1998م، (7/88).

46- القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، (183-182/2).

47- ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر، الطب النبوي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الهلال، (ص: 94).

يتبين من خلال ما سبق أن ادعاء تأثير السحر على عقل النبي ﷺ مردود بالأدلة القاطعة من الكتاب والسنة والعقل، وأنه لا تعارض بين ثبوت هذا الحديث وكمال عقل النبي ﷺ وعلو مقامه، فقد كان تأثير السحر مقصوراً على الجوانب الحسية الدنيوية، دون أن يمتد إلى عقله أو إدراكه، كما أن هذا الابتلاء يتسق مع سنن الله في اختبار الأنبياء، ويؤكد بشريتهم دون أن ينال من مقامهم ومكانتهم، وأن الطعن فيه مبني على فهم خاطئ لطبيعة السحر وتأثيره، مما يدل على أن هذه الاعتراضات لا تقوم على أساس علمي معتبر، بل تنبع من تأويلات متكلفة لا تصمد أمام البحث الدقيق والنظر المنهجي الصحيح.

المطلب الثاني: الادعاء بأن هذا الحديث يزعزع الثقة في صحة تبليغه عليه الصلاة والسلام:

الادعاء بأن حديث سحر النبي ﷺ يزعزع الثقة في صحة تبليغه عليه الصلاة ادعاء متفرع عن سابقه، حيث يزعم المعارضون أنه إذا جاز وقوع التخيل في حق النبي ﷺ، فقد ينسحب ذلك على الوحي نفسه، فيتوهم أنه قد أوحى إليه ولم يوح إليه في الحقيقة، أو العكس، مما يفضي - بزعمهم - إلى التشكيك في كل ما بلغه عن الله تعالى، وينسف الثقة بوحيه ورسالته، قال المازري: «وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر، فزعم أنه... يمنع الثقة بالشرع»⁴⁸، وقال السيد هاشم معروف الحسني: «والأحاديث المروية حول هذا الموضوع كلها تنص على أن النبي ﷺ قد أثر به السحر إلى حد أصبح يخيّل إليه أنه قد صنع الشيء وما صنعه، ولأزم ذلك أن يكون قد فقد رشده، ومن الجائز عليه في تلك الحالة أن يتخيّل أنه قد صلى ولم يصل، وأن يتخيّل شيئاً يتنافى مع نبوته بل مع إنسانيته فيفعله... فيفقد شعوره، ويغيب عن رشده، ومع ذلك يصفه القرآن بأنه لا ينطق إلا بما يوحى إليه، ويفرض على الناس أجمعين أن يقتدوا بأقواله وأفعاله، والمسحور قد يقول غير الحق، ويفعل ما لا يجوز فعله على سائر الناس، وقد يخرج عن شعوره وإدراكه»⁴⁹. ويقول الكردي: «تجوز هذا على الأنبياء يفقد الثقة بما شرعوه من الشرائع؛ إذ يحتمل على هذا أنه يخيّل إليه أنه رأى جبريل وليس هو ثم، وأنه يوحى إليه بشيء، ولم يوح إليه بشيء»⁵⁰.

وقد أجاب العلماء على هذا الادعاء بعدة أوجه، منها:

كل ما ورد في الجواب على الادعاء الأول يقتضي بطلان هذا الادعاء أيضاً، فإن السحر الذي أصاب النبي ﷺ كان عارضاً أثر في بدنه لا في عقله، وانصرف إلى

48- النووي، يحيى بن شرف، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (14/174)..

49- السيد هاشم معروف الحسني، دراسات في الحديث والمحدثين، دار الكتاب الإسلامي، (ص: 255).

50- الكردي، إسماعيل، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث، دار الأوائل، 2002م، (ص156).

شؤونه الدنيوية دون الوحي، فلم يؤثر في إدراكه للرسالة ولا في تبليغه عن الله تعالى، قال القاضي عياض رحمه الله: «وقد نزه الله الشرع والنبي ﷺ عما يدخل في أمره لبسا، وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه أنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدر في نبوته، وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخل في شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدر في صدقه لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا وإنما هذا فيما يجوز طروقه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان، وأيضاً فقد فسر هذا الفضل الحديث الآخر من قوله: حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتينهن. وقد قال سفيان: هذا أشد ما يكون من السحر ولم يأت في خير منها أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله وإنما كانت خواطر وتخييلات»⁵¹.

أن هذا التخيل لم يؤثر على الرسالة بشيء، فلم يكن مانعاً من تلقي موسى عليه السلام للوحي، بدليل أن الوحي جاء مباشرة بعد هذا ليطمئنه، وليذكره برفعة مقامه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: 68]، وكذلك فلم يكن تخيل النبي ﷺ مانعاً من نزول الوحي، بدليل أن الوحي جاء النبي ﷺ في المنام، وأخبره بأنه مسحور، وباسم من سحره، ومكان السحر، وقام عليه الصلاة والسلام وأخبر بذلك كله، فكان مثل ما قال، قالت د. آمال محمد فتح الله: «هذا التخيل لموسى عليه السلام قد حدث فعلاً، وخاف موسى مما رآه، ولكن لم يمنعه من تلقيه الوحي في الحال، فكيف نصدق بالتخيل في حق موسى دون محمد صلى الله وسلم عليهما وفي هذا الحديث نفسه الرد على من أنكروه؛ إذ فيه أن الوحي قد نزل عليه ﷺ أثناء مرضه في المنام، فأخبره بأنه مسحور، وباسم من سحره، وأين سحره، وقام من نومه وأخبر بكل ذلك، فوجدوه كما قال! فأين تأثير السحر على الوحي والتبليغ؟ وهذا وحي في المنام يذكره ويعقله!»⁵².

أن سحر النبي ﷺ - كما نص عليه الحديث - كان أثره خاصاً بإتيان زوجاته فحسب، ويؤكد ذلك أن الإخبار بالتخيل لم يرد إلا على لسان زوجه عائشة رضي الله تعالى عنها، ولو كان عاماً في أمور أخرى لرآه الصحابة ورووه، كما يدل لذلك تنصيص روايات البخاري على التخصيص بذلك، «ففيها تصريح بأن السحر كان في حق النساء خاصة، وما يتوهم العموم فيه من بعض ألفاظ الرواة، فليحمله على هذا التخصيص»⁵³، قال الخطابي: «فأما ما يتعلق من أمره ﷺ بالنبوة، فقد عصمه الله

51- القاضي عياض، الشفا، (2/181).

52- مجلة الزهراء، العدد: 23، (1/249-250)، نقلاً عن موسوعة بيان الإسلام، (ق3، ج9، ص228-227).

53- الكشميري، محمد أنور شاه، فيض الباري على صحيح البخاري، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426 هـ - 2005 م، (6/141).

في ذلك، وحرس وحيه أن يلحقه الفساد والتبديل، وإنما كان يُخيل إليه من أنه يفعل الشيء ولا يفعله، في أمر النساء خصوصاً، وفي إتيان أهله قَصْرَةً؛ إذ كان قد أخذ عنهن بالسحر، دون ما سواه من أمر الدين والنبوة»⁵⁴.

أنه «لم يثبت، بل ولم يرد أنه ﷺ تكلم بكلمة واحدة في أثناء مدة السحر تدل على خلل في تبليغه، ولا أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به، ومن نفى فعله بالدليل ولا دليل»⁵⁵. قال د. موسى شاهين: «لم يؤثر عن أحد من الصحابة، ولا عن أحد من أعدائه أنه رآه وقد خيل إليه في هذه المدة الطويلة أنه فعل الشيء ولم يفعله، ومثل هذا أمر لا يخفى ولا يكتفى ممن يتلمسون له الهفوات»⁵⁶، وقالت د. آمال محمد فتح الله: «ولو أثر السحر على الوحي كما يزعمون، فهل كان أعداؤه نياماً؛ فلم يأخذوا عليه في فترة مرضه أنه قال قولاً، فكان بخلاف ما أخبر به، وهم الذين يتربصون به الدوائر؟! ولم ينقل عنه ﷺ في أثناء مرضه خبر من الأخبار يخالف ما أخبر به»⁵⁷.

أن ما أصاب النبي ﷺ من التخيّل كان مجرد حالة نفسية عارضة، تشبه ما يمر به الإنسان من همٍّ أو حزن، وهي لا تؤثر على صدق كلامه أو صحة تبليغه للوحي. فالنبي ﷺ معصوم فيما يبلغه عن الله تعالى، ولم يكن لما أصابه أي تأثير على رسالته. وفي هذا السياق، يقول عبد الرزاق حمزة: «وتهويلكم بأن ذلك يؤثر على الثقة بالوحي لا وجه له، فَرَاوِيَةُ الحديث أم المؤمنين تقول: إنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله، وهذه حالة نفسية تعتري الإنسان في الأحوال العادية كالهمِّ والحزن، أما الوحي فقد تكفل الله بحفظه... فالأحوال النفسية من همٍّ وحُزْنٍ ومرضٍ وسحرٍ لن تتسلط على الوحي ولن تُشكِّك فيه، والصحابة ومنهم أم المؤمنين راوية حديث السحر كانوا حريصين على سؤال رسول الله ﷺ عما يشكل عليهم، ولم ينقل عن واحد منهم استغراب شيء من عبادات الرسول كصلاته بهم يومياً خمس مرات، منها الصلاة السرية والجهرية»⁵⁸.

أن وقوع الظن الخاطئ في بعض الأمور الدنيوية لا يقدر في العصمة، وقد وقع مثل ذلك لأنبياء آخرين، وقد أثبت الله تعالى ذلك في القرآن الكريم، يقول المعلمي: «وإنما ذاك خاطر عابر، لو فرض أنه بلغ الظن فهو في أمر خاص من

⁵⁴- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد، أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1409 هـ - 1988 م، (2/1504).

⁵⁵- التميمي، محمد بن خليفة بن علي، رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1419 هـ - 1999 م، (ص: 251).

⁵⁶- لاشين، موسى شاهين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1423 هـ - 2002 م، (8/559).

⁵⁷- مجلة الزهراء، العدد: 23، (250-1/249)، نقلاً عن موسوعة بيان الإسلام، (ق3، ج9، ص228-227).

⁵⁸- حمزة، محمد عبد الرزاق، ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية، مكتبة السنة، القاهرة، ط2، 1409 هـ - 1989 م، (ص: 271-270).

أُمُور الدنْيا لم يتعدْه إلى سائر أُمُور الدنْيا فضلًا عن أُمُور الدين، ولا يلزم من حدوثه في ذاك الأمر جوازُه فيما يتعلّق بالتبليغ»⁵⁹ ثم ذكر أن ظن الشيء وهو غير موجود جائز على الأنبياء، ومثل له بغضب موسى على أخيه هارون وأخذه برأسه؛ لظنه أنه قصر، مع أنه لم يقصر، وقول يعقوب لابنيه لما ذكروا له ما جرى لابنه الثاني: «قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِّرْ حَمِيلَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» [يوسف: 83]، يهتمهم بتدبير مكيدة، مع أنهم حينئذ أبرياء صادقون»⁶⁰.

يتبين مما سبق أن ادعاء تأثير السحر على وحي النبي ﷺ وتبليغه للرسالة باطل لا يقوم على دليل، إذ لم يُنقل عنه ﷺ خلال مدة السحر أي خطأ في التبليغ أو الوحي، ولم يُرو أن أحدًا من الصحابة استشكل ذلك أو ارتاب فيه، وقد تكفل الله بحفظ وحيه، فلم يكن للسحر أي تأثير على ما يبلغه عن ربه، مما يجعل هذا الادعاء واهيًا، لا سند له من النقل الصحيح أو العقل السليم، وعلى العموم؛ فقد قيل إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء أنه فعله وما فعله؛ لكنه تخيل لا يعتقد صحته، فتكون اعتقاداته كلها على السداد، وأقواله على الصحة⁶¹، ولا يبقى لمعتز وجه حق أو صواب.

والمجازفة برد الأحاديث على خلاف منهج المحدثين، لمجرد فهم خاطئ أو تأويل بعيد، مجازفة خطيرة تؤدي إلى هدم السنة والتشكيك بها وبالوحي النبوي المبين للقرآن الكريم.

59- المعلمي، عبد الرحمن بن يحيى، الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1399 هـ - 1979 م، (ص: 346).

60- نفسه، (ص: 347-346).

61- القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (2/181).

الخاتمة: تتضمن أبرز النتائج والتوصيات المستخلصة من البحث.

أولاً: النتائج:

حديث سحر النبي ﷺ صحيح متفق عليه، تلقاه علماء الحديث بالقبول، ولم يطعن فيه أحد من أهل الحديث المعبرين.

جميع الروايات والآثار تؤكد أن النبي ﷺ كان في كامل قواه العقلية خلال فترة السحر، ولم يُنقل عنه أي اضطراب، ولم يمس السحر عقله ﷺ.

ثبتت الروايات الحديثية أن تأثير السحر كان مقصوراً على بعض الأمور الحسية في حياته الخاصة، ولم يمتد إلى الوحي أو تبليغ الرسالة، وقد تكفل الله تعالى بحفظ وحيه من أي تلاعب أو تغيير.

تعرض النبي ﷺ للتخيل بسبب السحر، حصل مع سيدنا موسى عليه السلام، فقد أثبت القرآن الكريم تعرضه لذلك، ولم يؤثر ذلك على الوحي ولا على التبليغ، ولم يقدر ذلك في نبوته.

لم يكن الحديث يثير شبهة حقيقية في العصمة، وإلا لكان الصحابة أول من ناقشها، لكنهم نقلوه دون استنكار، مما يؤكد أنهم فهموا عدم تعارضه مع مقام النبوة.

المعترضون على الحديث لم يعتمدوا على أصول النقد الحديثي، بل انطلقوا من افتراضات عقلية لا تستند إلى المنهج العلمي، مما أدى إلى تأويلات خاطئة تخالف أصول البحث في الحديث.

إنكار الأحاديث الصحيحة لمجرد استشكالها عقلياً يشكل خطراً على السنة، ويفتح الباب لرد كثير من النصوص الشرعية بناءً على معايير غير منضبطة.

ثانياً: التوصيات

تعزيز الدراسات الأكاديمية المتخصصة في الأحاديث التي يُدعى تعارضها مع العقل، وفق مناهج المحدثين، وإعداد أبحاث علمية تفند هذه الشبهات بمنهجية رصينة.

إنتاج برامج إعلامية متخصصة في الرد على الشبهات المثارة حول الأحاديث النبوية، بأسلوب يجمع بين الطرح العلمي الموثوق والإخراج الجذاب.

إنشاء منصة إلكترونية متطورة تستخدم تقنيات الذكاء الاصطناعي لتحليل الشبهات المثارة حول الأحاديث النبوية والرد عليها بردود علمية موثقة.

إدراج مادة الأحاديث المشككة ضمن المناهج الأكاديمية في الجامعات، مع التركيز على مناهج المحدثين في نقد الروايات وتحليلها علمياً.

إعداد **موسوعة علمية شاملة** تتناول الأحاديث التي يُزعم تعارضها مع العقل، مع بيان تفسيرها الصحيح وفق منهج أهل الحديث والعلماء المتخصصين.

تأسيس **مرصد حديثي** متخصص في متابعة الشبهات المثارة حول السنة النبوية، وتحليلها، والرد عليها ببحوث علمية ومنهجية رصينة، مع تقديم تقارير دورية حول أبرز الاتجاهات الفكرية في هذا المجال.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م.
- ابن أبي شيبه، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه العبسي، مصنف ابن أبي شيبه، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط1، 1409هـ/1989م.
- ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، ط1، 1383هـ/1963م.
- ابن بطلال، علي بن خلف بن عبد الملك البكري القرطبي، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ط1، 1423هـ/2003م.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، 1379هـ/1959م.
- ابن حبان، محمد بن حبان البستي، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، 1414هـ/1993م.
- ابن راهويه، إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، مسند ابن راهويه، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، مكتبة الإيمان، ط1، 1419هـ/1998م.
- ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله اليعمري، بذل المجهود في حل سنن أبي داود، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/1996م.
- ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، ط1، 1420هـ/1999م.
- ابن القيم، الطب النبوي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الهلال، ط1، 1391هـ/1971م.
- ابن الملقن، عمر بن علي الأندلسي، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق، ط1، 1429هـ/2008م.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ/2009م.
- ابن قرناس، الحديث والقرآن، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 1429هـ/2008م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: جماعة من العلماء، ط1، المطبعة الأميرية، 1309هـ/1891م.

البیهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، 1414هـ/1994م.

التميمي، محمد بن خليفة بن علي، رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة الرشد، ط1، 1419هـ/1999م.

الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1994م.

الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، المدخل إلى كتاب الإكليل، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، الإسكندرية، ط1، 1404هـ/1984م.

الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد، أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى، ط1، 1409هـ/1988م.

الزمخشري، محمود بن عمر، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، 1399هـ/1979م.

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، ط1، 1410هـ/1990م.

الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير.

العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي.

عتر، نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر.

القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، ط1، 1390هـ/1970م.

القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ط1، 1419هـ/1998م.

القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، دار ابن كثير، ط1، 1417هـ/1996م.

الكردي، إسماعيل، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث، دار الأوائل، ط1، 1423هـ/2002م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ/2002م.

المباركفوري، صفي الرحمن، منة المنعم في شرح صحيح مسلم، دار السلام، ط 1، 1420هـ/1999م.

الملا علي القاري، علي بن سلطان، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، ط 1، 1422هـ/2001م.

مسلم، مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

محمد عبده بن حسن خير الله، تفسير القرآن الكريم (جزء عم)، دار المعرفة.

حمزة، محمد عبد الرزاق، ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية، مكتبة السنة، القاهرة، ط 2، 1409هـ/1989م.

لاشين، موسى شاهين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1423هـ/2002م.

مجلة الزهراء، العدد: 23، نقلاً عن موسوعة بيان الإسلام.

مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بدون طبعة، 1374هـ/1955م.

محمد عبده بن حسن خير الله، تفسير القرآن الكريم (جزء عم)، دار المعرفة.

حمزة، محمد عبد الرزاق، ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية، مكتبة السنة، القاهرة، ط 2، 1409 هـ - 1989م.

لاشين، موسى شاهين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1423 هـ - 2002م.

البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، ط 3، 1407هـ/1987م.

القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1399هـ/1979م.

القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ط 1، 1419هـ/1998م.

استشكال رواية الإمام البخاري عن الزهري لخبر التردّي والجواب عنه

إعداد

الدكتورة زينب أبو علي



إن الدارس لكتب المصطلح، يجد ذكر اتفاق العلماء على أن صحيح البخاري أصحُّ كتب الحديث بعد كتاب الله العزيز¹، ويرجع هذا لعلو شرطه في قبول الأخبار، وعلو كعبه في نقدها. ولما كان الكمال لغير الله تعالى مستحيلا، فقد تتبع جمع من المحققين من نقاد الحديث صحيح البخاري، ووقفوا عند مدى تنزيله لما اشترطه في كتابه، وألزم به نفسه، وكشفوا عن مواطن خف فيها تنزيله لمعايير الدققة، فروى أحيانا عن نزل مستوى ضبطه في المتابعات، تثبيتا للإنصاف العلمي، وتقييدا لأحكام الجرح العامة، وغير ذلك من الأسباب التي علمها تلامذته، أو بينها في تاريخه.

غير أننا أضحينا نسمع انتقادات لبعض الروايات في الصحيح، إما بكونها منافية للعقل، أو بكونها مخالفة للمعايير النقدية، ومن ذلك نقد رواية الإمام الزهري لخبر محاولة تردّي الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد انقطاع الوحي.

فعجبت لاتفاق فريقين - لا يعتبر أحدهما نفسه موافقا للآخر بأي حال من الأحوال - على القطع برد ما أخرجه البخاري في «جامعه الصحيح المسند» حول ما حصل للرسول ﷺ حين هَمَّ أن يتردّي من الجبل زمن بدء الوحي.

الفريق الأول وهو - حسب علمي - أول من أثار الشبهة، يزعم أنه قرأني المنهج، عقلاني الاتجاه، تنويري النزعة، غايته تنزيه الرسول ﷺ مما يثلم عصمته، ويقدح في نبوته، ويهدف إلى حفظ عقيدة المسلم من الأكاذيب التي تزيغ بها عما يجب اعتقاده في أهلية المصطفى ﷺ للنبوة وفي عصمته.

1- معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، المؤلف: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: 643هـ)، المحقق: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر - سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت، سنة النشر: 1406هـ - 1986م (الصفحة: 18). و التكت على مقدمة ابن الصلاح، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: 794هـ)، المحقق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، الناشر: أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م، (الصفحة: 163 من الجزء الأول).

أما الفريق الثاني - حسب علمي - فهو جمع من معاصري الفريق الأول، هبوا للدفاع عن رسول الله ﷺ برّد كل أوصاف النقص والعيوب التي نزهه الله تعالى عنها، لتعارضها مع مقتضيات مرتبة النبوة، فدعاهم هذا إلى التسليم للفريق الأول بكذب الرواية المذكورة قطعاً وتنافيها مع العقيدة السليمة.

نعم عجبت للطرفين معا كيف يتفقان على هذا الرأي -بغض النظر عن نوايا كل، فهذا مما اختص الله تعالى وحده بعلمه- والمتتبع لحالهما يجدهما متناقضين في الرؤية والتصور والأساليب والاتجاهات، لكنهما اتفقا على تنزيه الرسول ﷺ عن محتوى الرواية موضوع النقاش.

فالطرف الأول رد الرواية لزعمه أنها تخالف العقل والنقل، أما الثاني فرأى أنها تنقض عرى العقيدة الصحيحة، ولم تسلم من عيوب الرواية التي تضعف الحديث الصحيح عند المحدثين أنفسهم. والحق أنني لما قرأت لكل طرف لم أقنع بما يزعمونه بتاتا، بل إنني تعجبت كل العجب من أن العلم يداس بين أرجلهم جميعا؛ إذ لا أحد من الطرفين اتبع منهجا علميا اصطلح عليه العلماء، ولا اتجاها عقليا سلم له العقلاء، وسأبين ذلك بتوفيق الله عز وجل.

وإنني إن عجبت لأدلتهم فلسفت أستغرب وجود هذين الطرفين المتناقضين، فوجود العدميين يوجد المتعصبين والعكس بالعكس.

أولا أورد الرواية موضوع النقاش تامة ثم أرد مزاعم كل فئة:

أخرج الإمام البخاري رحمه الله في جامعه المسند الصحيح قال: «حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب ح وحدثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر قال الزهري: فأخبرني عروة عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكان يأتي حراء، فيتحنث فيه -وهو التعبد -الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ فقال له النبي ﷺ: «فقلت: ما أنا بقارئ». فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: «اقرأ باسم ربك الذي خلق» حتى بلغ: «علم الإنسان ما لم يعلم». فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: «يا خديجة ما لي؟» وأخبرها الخبر وقال: «قد خشيت على نفسي» فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة حتى

أُتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة أخو أبيها وكان امراً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة: ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ ما رأى فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم؟» فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشأ ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة، حتى حزن النبي ﷺ -**فيما بلغنا - حزننا غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل، فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك»².**

والجواب عن الطرفين أجعله في مبحثين، الأول أرد فيه الطعن العقلي، والثاني أناقش فيه الطعن النقدي الحديثي.

المبحث الأول: النقد العقلي:

ذهب الفريق الأول إلى رد الخبر بالعقل، فقالوا عقولنا لا تقبل أن يهيم الرسول - صلى الله عليه وسلم- بالتردي من شاهق، فهذا طعن في صدق نبوته. وساقوا أدلة عقلية وأخرى نقلية لتأكيد صحة زعمهم منها:

1. الرواية موضوع المناقشة تناقض قول الله ﷻ: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾³ فقالوا: (النرى في كتاب (صحيح البخاري) كيف افتري على الرسول محمد عليه وعلى جميع الأنبياء السلام. أنه كان ممن قنط من رحمة الله تعالى، لدرجة أنه حاول الانتحار مراراً، وكان يحاول أن يلقي نفسه من رؤوس شواهق الجبال، ومن دهاء البخاري ومكره جعل من الرسول محمد عليه وعلى جميع الأنبياء السلام، رجلاً يقنط من رحمة الله تعالى، ويولي ظهره لما جاء به من عند ربه، لأنه قال عن الروح الأمين عن ربه: قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ. (56) الحجر).

2- صحيح البخاري: كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، الحديث رقم 6982

3- الحجر:56

سؤالِي لمن تدمروا مما يصور بعض الناس كاريكاتيريا أو فلاما سينمائيا، فما قولكم في الرواية التالية التي قد مثلت فلما؟؟⁴

أتطوع بجواب على سؤال السائل هذا، وقد نقلته بأمانة ولم أصلح الأخطاء التي كانت سببا في ركاكة الأسلوب، فأقول:

إن الآية المستشهد بها هي جواب إبراهيم -عليه وعلى نبينا السلام- للملكين اللذين بشراه بغلام رغم كبر سنه، إذ رد عليهما متعجبا من البشارة: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ (52) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (53) قَالَ أَتَشْرُتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ (54) قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ (55) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (56)﴾

فدلت الآيات على أمور نذكر ما يهمنا هنا:

تصريح إبراهيم -عليه وعلى نبينا السلام- بإحساسه بالوجل من الزائرين الغريبين وهذا لا يتعارض مع نبوته في شيء، فالخوف من العوارض البشرية لا تنتقص من مكانة النبوة شيئا.

تعجبه -عليه وعلى نبينا السلام- مما جاء به من البشارة لا يعني أنه لا يؤمن بقدرة الله على ذلك، ولكن الطبيعة البشرية جُبلت على التردد والمجادلة قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾⁵

الخوف والتردد الظاهرين على إبراهيم -عليه وعلى نبينا السلام- جعلوا الملكين يظنان أنه قانط وهذا ما نفاه عن نفسه لهما، فإذا كان الملكان قد يفسران بعض الظواهر البشرية على غير حقيقتها عند نبي الله إبراهيم -عليه وعلى نبينا السلام- فما الذي يجعل البشر يطمئنون لتفسيرهم بعض العوارض البشرية عند نبي الله محمد ﷺ؟؟

فلا وجه للاستدلال بهذه الآية على تعارضها مع الرواية موضوع النقاش.

2. دليل آخر قدموه لتقوية هواجسهم أقتبسه من نفس المقال: (لم يكتف البخاري بالكذب على الرسول عليه وعلى جميع الأنبياء السلام. أنه كان يحاول التردي من أعالي الجبال ليقتل نفسه، بل أورد قبل ذلك روايات ينهى الرسول عن قتل النفس والتردي من أعالي الجبال، لأن قتل النفس يؤدي بصاحبه إلى الخلود في نار جهنم مخلدا فيها. والعياذ بالله تعالى. لقد جاء في (صحيح البخاري) ما يلي:

4- هذا الزعم منشور في مقال على هذا الرابط: (وقد نقلته كما هو بأغلاطه حرصا على أمانة النقل) Brahim إبراهيم Daddi داددي في السبت ٢٤ - يناير - ٢٠١٥ - ١٢:٠٠ صباحاً: دائما في نظري البخاري هو أكبر مسمي إلى الرسول والإسلام، ج4. 20h15 الساعة: (11/3/2025) بتاريخ: http://www.ahl-alquran.com/arabic/printpage.php?doc_type=1&doc_id=12878

5333 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سُلَيْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ ذَكْوَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَخَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَخَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا.

صحيح البخاري - (ج 18 / ص 74) المكتبة الشاملة.) انتهى الاقتباس.

أرد بقولي «سلاما» تصديقا لقول الله ﷻ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾⁶

الرواية موضوع النقاش تتحدث عن بدء الوحي لا عن انتهائه، والأنبياء جميعا لا يكونون على علم بتعاليم الدين حتى ينزل، فهم لا يعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله جل في علاه، وليس رسول الله ﷺ استثناء منهم في ذلك؛ قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾⁷ وقال عز من قائل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾⁸ وقال جل في علاه: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾⁹ والآيات في هذا المعنى كثيرة، والشاهد منها أنه لا يعقل أن يقال بالتعارض بين الحديثين عند البخاري، لأن تحريم التردى متأخر عن وقت بدء الوحي، فقد نزل في زمن التشريع، وبهذا بطل الدليل الثاني أيضا.

3. الدليل الثالث عندهم هو عبارة عن خواطر ذهنية سأعتبرها -تجاوزا- دليلا عقليا حتى أستسيغ الرد عليها. قالوا في نفس المقال المذكور أعلاه: (فمن المؤذي الأكبر لرسول الله محمد عليه وعلى جميع الأنبياء السلام. البخاري أم جريدة «شارلي إبدو» بباريس؟؟؟)

ماذا لو لم يتبدى له جبريل عليه السلام. هل كان النبي سيلقي بنفسه من رؤوس شواهق الجبال؟؟؟

أم أن هذه الرواية يريد بها البخاري إيذاء من اصطفاه الله تعالى وكلفه بتبليغ آخر الكتب للعالمين؟؟؟

6- الفرقان: 63

7- فصلت: 6

8- الكهف: 110

9- يونس: 109

لماذا كرر البخاري محاولة الرسول للتردي من شواهد الجبال (مرارا)؟؟؟ أترك
الجواب لكم أعزائي الكرام لتحكموا على مصداقية البخاري الذي يعتبره بعض رجال
الدين (أصح كتاب) قالوا: بعد كتاب الله تعالى، وهم يعتبرون كل ما بين دفتي
البخاري هو وحي من عند الله سبحانه.

لنسلم بأن ما بين دفتي البخاري كله وحي من عند الله تعالى، فهل الرواية التي
اتهم البخاري بها الرسول بأنه كان يحاول التردى من شواهد الجبال ليلقي بنفسه
منها، أقول إذا كانت وحيًا من عند الله تعالى فلماذا يحضر جبريل عليه السلام كل
مرة ليمنعه من التردى من أعالي الجبال؟؟؟

لعلمكم أعزائي فإن هذه الرواية (التنة) لا توجد في الكتب التسعة، إلا في البخاري
تحت رقم 6467، وفي مسند أحمد تحت رقم 24768. فما سر ذلك؟؟؟ انتهى
الاقتباس.

هذا التهافت على الحديث والمحدثين بغير علم ولا هدى ولا بصيرة لا يستحق أن
ينظر إليه بله عن أن نجيب عنه، لكن يبقى البيان واجبا علينا تجاه المسلمين الذين
يسمعون مثل هذه الأقاويل التي قد تطرح في أذهانهم تساؤلات عدة.

وللأسف أن هذا الطرح نجده عند الفريق الثاني أيضا، لهذا سأرد هذه المزاعم -
بتوفيق من الله ﷻ- من جانبين: جانب الأدلة العقلية وجانب الصنعة الحديثية.

أولا: الأدلة العقلية: كل الناس يعجب بعقله ويفزع إليه لفهم ما حوله، وهذا أمر
فطري باعتبار أن العقل مناط الفهم، والفهم يلزم منه صحة أداء التكليف الشرعية،
والله ﷻ يخاطب من يُعمل عقله بالفكر للوصول إلى الحق، والآيات في ذلك كثيرة:

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾¹⁰ ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾¹¹ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ
وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾¹² ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾¹³
﴿كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾¹⁴ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ
يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
الصُّدُورِ﴾¹⁵ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾¹⁶ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾¹⁷

10- البقرة: 265

11- آل عمران: 191

12- الأنعام: 51

13- الأعراف: 184

14- يونس: 24

15- الحج: 44

16- الرعد: 3

17- النحل: 11

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾¹⁸ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾¹⁹ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾²⁰ ﴿وَجَعَلْ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾²¹ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾²² ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْيَانٍ خَائِفِينَ وَمَنْ يَتَفَكَّرْ لِمَا آتَيْنَاهُ الْإِنسَانَ خِفَاءً إِنْ يَرِئَهُ إِلَّا أَذًى يَدِي عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾²³ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾²⁴ ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾²⁵

الآيات القرآنية كثيرة جدا في الحث على إعمال العقل والتفكير لفهم الكون والوحي والوصول إلى الحقيقة، وما أدرجته أرى فيه كفاية للتدليل على أن الإسلام دين العقلاء بامتياز.

لكن الدعوى القائلة بأن العقل هو مصدر المعرفة وميزانها، فما قبله العقل نسلم له وما لم يقبله العقل فلا، فهذه الدعوى نفسها لا يقبلها العقل البشري، لأنه جارحة من الجوارح البشرية تستقبل المعلومة وترسلها، وما بين الاستقبال والإرسال سلسلة من العمليات يقوم بها العقل الإنساني قصد النظر في المعارف وتجزئتها وتحليلها ومقارنتها وربما تجربتها في الواقع، وذلك من أجل الفهم والإدراك والقبول، وهذه عمليات سليمة ومطلوبة وهي ما يميز عقل العالم عن عقل الجاهل.

لكن اللبس الذي يقع فيه دعاة العقلانية هؤلاء، هو ظنهم أن كل الذين يقومون بهذه السلسلة من العمليات العقلية الهامة والمعقدة، سيصلون بالضرورة إلى نتيجة واحدة يتشابه فيها العقلاء والعقلانيون بالضرورة، وهذا أمر مضحك لأن العقل لا يدعيه والواقع لا يسلم له. بل العكس هو ما نراه في كل العلوم والفنون، حيث نجد اختلاف النتائج وإن تشابهت عمليات التفكير العقلي.

أضف إلى ذلك أن العقل بحد ذاته ليس هو المعرفة، بل هو أداة امتلاكها وإدراكها، فالذين يُسَلِّمون لعقولهم في كل النتائج يقعون في هذا الخطأ حينما يجعلون نبات أفكارهم هي المعرفة ذاتها، والحق أن العقل ما هو إلا وعاء للمعرفة، وليس هو المعرفة ذاتها.

18- النحل: 44

19- النحل: 69

20- الروم: 7

21- الروم: 20

22- الروم: 23

23- الزمر: 46

24- الجاثية: 11

25- الحشر: 21

ولأربط هذا بموضوع النقاش أقول: إن بعض الذين يدعون التفرد بالتفكير العقلاني ويعتبرون أنفسهم حماة العلم والمعرفة، ويتّبعون تنزيه الرسول الكريم ﷺ مما لا يليق به من الصفات، نقول لهم: إن تنزيهه ﷺ عما لا يليق به هو مقتضى الإيمان وكماله بلا أدنى شك، ولا يخالف في ذلك إلا جاهل أو مغرض، لكن الخلاف يكمن في الميزان المعتبر شرعا في التنزيه، فلا بد أن ننزه الرسول الكريم ﷺ بما جاء به الوحي لا العقل، وإلا وقعنا -عن وعي أو لا- فيما وقعت فيه قريش في جاهليتها حين أعجبته عقولهم فاستكانوا لها وتركوا الوحي ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الظَّغَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا (7) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (8) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (9) تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلَ لَكَ فُصُورًا (10) بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ شَعِيرًا (11)﴾.²⁶

فانظر إلى هؤلاء الذين ضرب الله ﷺ لنا بهم المثل، وهم شرذمة من الناس ادعوا الوعي العقلي، وحسن المقصد إذ نزحوا الرسالة الإلهية عن أن تكون لمن يشبههم في الضعف البشري، وهدتهم عقولهم إلى أن وحي الله تعالى لا يستحق أن يكون إلا لملك أو لمتكبر عن مخالطة الناس والحاجة إليهم، والمخيف في هذا كله أن ذكاء عقولهم وما يدعونه من حسن نواياهم كان سببا في عذابهم، لأنهم لم يحسنوا استعمال عقولهم لإدراك الحكمة الإلهية في بعثة رجل يتيم فقير صادق أمين لينذر الناس بين عذاب شديد. لأن ميزان العقل اختل حينما اعتبر الضعف البشري سببا في رد الوحي النبوي.

وهذا الذي يدعوه عقله إلى تنزيه الرسول ﷺ عن ظواهر الضعف البشري كأن يُسحر، أو أن يشتد حزنه لوفاة أحبته، أو يشتد خوفه فيرغب بترك هذه الدنيا لشدة وطأة الوحي عليه، أو.. أو.. فإن الآية بينت أشياء أقل من هذا كله بكثير، نزحه عنه بعض من سبق في النظام الزمني، فنلاحظ أن حرف «أو» تكرر في الآيات، وهذا دليل على أن التنزيهات العقلية كثيرة ذكر الله ﷺ بعضها، لأن الغاية ليست حصر ما في أذهان المكذبين بل الغاية بيان تهافتهم وضعف عقولهم التي يتباهون بها.

وما دمنا في محل بيان الاستدلال العقلي الواسع، أود أن أختمه لأنتقل إلى ما أراه أهم بكثير في هذه الدراسة وهو الصنعة الحديثة، وقبل ذلك أختم كلامي في هذا المقال مع «العقلانيين» برأي الفيلسوفة الأمريكية لسلي هازلتن، التي وصفت نفسها بكونها علمانية من المدرسة اللادينية، وإن كان أصل ديانتها اليهودية، فقد بحثت سيرة المصطفى محمد ﷺ وهي تؤكد في بعض محاضراتها

العالمية المصورة²⁷ عكس ما يراه «العقلانيون» الذين ذكرنا بعض آرائهم أعلاه؛ من أن الخوف والفرع الشديد الذي أحس به الرسول ﷺ وجعله يهتم بالتردي أكثر من مرة هو مس بعصمته وطعن في نبوته، فهي ترى أن هذا الأمر واقعي وطبيعي جدا لا تناقض فيه مع رسالته، لسبب بسيط هو أن هذا تم في بداية الوحي الذي ينتمي للملكوت الأعلى ويخرج عن نظام الكون الذي يفوق مستوى إدراك الإنسان.

وأضافت أنها كانت سترتبك أكثر لو أن الرسول ﷺ فرح وطرب وحلق قرب الملك، أو نزلت من السماء جوقة تنشد له... معتبرة أن هذه الأمور بعيدة عن الطبيعة البشرية، بل قد تنتقص من ثقل الوحي نفسه.²⁸

وجه الشاهد عندي هو أن الحسم في الأخبار بالعقل أمر غير «عقلاني» البتة؛ لأن العقل قد يقبل -أحيانا- الشيء وضده، فإذا استمسكنا بالترجيح العقلي كما فعل الفريقان المذكوران بداية فلن نبرح مكاننا في النقاش ولن نخرج بفائدة تذكر، ولهذا أختصر الكلام حول عقلانية موضوع الرواية إلى دراسة الرواية نفسها من جهة الصنعة الحديثة، وهذا ما حرص عليه المحدثون جميعا بما فيهم البخاري رحم الله الجميع.

ثم إن النبوة وتبعاتها من وحي ومعجزات وملائكة.. وغير ذلك من أمور الغيب الذي لا دخل للعقل الإنساني في فهمه واستيعابه، إذ لا مجال للعقل البشري أن يقرر ما ينبغي لنبي أن يتصف به وما لا ينبغي له؛ فلا يُقبل بتاتا أن يقول ذو عقل -مثلا- ما كان على آدم -عليه السلام- أن ينسى أمرا إلهيا فريدا، إذ لو تعددت التعاليم الربانية إليه لقبلنا -عقلا- أن ينسى بعضها، أما والأمر متعلق بشيء واحد فكيف يُعقل أن يغفل عنه؟

ولا يُقبل أن يقول: ما كان لنوح -عليه السلام- أن يدعو على أمته بالهلاك، بل إن كمال صفات النبوة يقتضي أن يكظم غضبه ويصبر على بني جلدته.

كما لا يُقبل من قائل أن يقول هلا صبر إبراهيم -عليه السلام- وترك كسر أصنام قومه حتى يقتنعوا هم أنفسهم بدين التوحيد الحق فيقومون هم يكسرونها.

ولا غيره أن يقول كيف يعقل أن يقال لأم موسى إذا خفت على وليدك فألقيه في اليم، والعقل السليم يقول إن الأم العاقلة إذا خافت على وليدها احتضنته وآوته إليها ولم تلقه في اليم..

وليس لقائل أن يقول ما لموسى -عليه السلام- وللغضب؟ يقتل بسببه خصمه ويكسر الألواح بسببه..

ولا غيره أن يقول: كيف لنبي كيونس -عليه السلام- أن يترك دعوة قومه للتوحيد لأنهم ما استجابوا له من أول الأمر..

27- محاضراتها موجودة على شبكة الأنترنت

28- وقد رأيت تسجيلا بصريا لمن زعم إن الرسول ﷺ كان يرجع للجبل اشتياقا لرؤية الملك وسرورا به.

ولا لغيرهم أن يقول غير معقول أن يأمر الخضر موسى -عليهما وعلى نبينا السلام- أن يصمت ليتعلم، والتعلم إنما يكون بالسؤال والحوار والبيان...

والأمثلة لا تحصر على ما يمكن أن يطرح من تساؤلات عبثية لا حصر لها ولا موجب لها ولا طائل من طرحها.

لا يقبل عقل سليم مثل هذه التساؤلات لسبب بسيط هو أن الغيب لا يدخل في إطار التنظير العقلي، والنبوة وتوابعها من الغيب، لهذا فليس لأحد أن يتكلم فيها من عند نفسه معتبرا أن نتاج عقله حاكم على الفكر البشري الذي يتميز بالاختلاف والتباين.

المبحث الثاني: الصنعة الحديثية:

بعد بيان تهافت من زعم رد العقل السليم لزيادة الإمام الزهري في الرواية المذكورة، أعرج على دراستها من جانب الصنعة الحديثية، وأبدأ بطرح تساؤل أراه هاما:

هل ما جاء في الرواية من قول الزهري -رحمه الله-: «فيما بلغنا» فذكر محاولة التردي صحيحة عند البخاري أولاً؟ وعند غيره من نقاد الحديث ثانياً؟

يتفق الفريقان المذكوران أنفاً على عدم صحتها مطلقاً، ويتميزان عن بعضهما بكون الفريق الأول ينقض صحيح البخاري كله، بل ينقض السنة كلها فلا يأخذ إلا بالقرآن، وهذا لن أناقشه هنا لأنه ليس موضوع النقاش. أما الفريق الثاني فهو يدافع عن السنة دفاعاً مستميتاً بلا شك، وضمنها صحيح البخاري طبعاً، إلا أنه يرد هذه الزيادة في صحيح البخاري تضعيفا لها لأسباب عقلية كما سبق، ولأسباب علمية، أذكر ما اطلعت عليه منها:

هذه الزيادة تطعن في عقيدة قائلها، لأنها تنسب عيباً فظيعاً لرسول الله ﷺ يطعن في نبوته.

هذا القدر من الحديث منكر، ومن صححه فهو جاهل بأصول الرواية وقواعدها. هذه الزيادة ليست على شرط البخاري، فوجب على من ذكرها أن يقول: إن البخاري رواها بلاغاً أو منقطعة، وهذا يعني أنها ضعيفة.

هي من بلاغات الزهري، وبلاغات الزهري شبه الريح لأنه يدلل هذه الزيادة تدخل في القدر الضعيف من صحيح البخاري بدليل وجود من تتبع كتابه وحتى لو افترضنا صحتها فقد أولها أبو بكر الإسماعيلي

قد يكون هناك دعاوى أخرى لم أطلع عليها، لكن ردي على ما ذكرت سيكون كافياً للتدليل على صحة ما في الصحيح عموماً، وصحة هذه الرواية على وجه الخصوص.

بلغ التصنيف في الحديث الشريف ذروته في القرنين الثالث والرابع، فجمعت الروايات التي كانت متفرقة فيما مضى، وتميز هذان القرنان ببلوغ النقد الحديثي أوجه، لذلك كانت حركة الجمع والتأليف مزدهرة، والأحكام بين النقاد معلومة متبادلة ومتقاربة، وهذا ما جعل العلماء يفاضلون بين هذه المصنفات الحديثية، حيث علموا شروط أصحابها ومناهجهم في تصنيفها.

وفي هذا الزمان أيضا بدأ الإجماع على صحة الصحيحين، وشذت الهمم لبدء كتب المستخرجات عليهما، والشروح لمعانيهما، وكتب النقد التي تمتح من قواعدهما ما تبرز به المخالف، وتقعده القواعد، وتبرز -إلى الوجود- تلك القرائن التي بينوا بعضها وأغفلوا غيرها.

وفي خضم هذا الرقي العلمي الذي بلغت به علوم الحديث مبلغا لا يستغنى عنه في العصور الموالية، لم يبلغنا قول أحد من المحدثين بوجود «أحاديث ضعيفة» في الصحيحين، فيها ما يطعن في عقيدة من يصححها ويسلم لها، بل أشد نقد وصلنا هو كتاب التتبع للدارقطني، انتقد فيه عشرات من الأحاديث بَيَّن ما ظهر له فيها من ضعف في أسانيدها وقارنها بغيرها، ومن طالع كتب الدارقطني علم اهتمامه بجمع الأسانيد والمقارنة بينها.

وإني تتبعت هذا الكتاب الفريد في بابهِ، فما وجدته ذكر روايتنا موضوع هذا النقاش، ولم يتعرض لذكرها من قريب ولا من بعيد، وهذا يعني واحدا من أمرين:

إما أنه غفل عن ذكرها سهوا، وهذا احتمال بعيد إذ لو كان الأمر كذلك لاستدرك عليه علماء عصره ومن يأتي بعدهم وهو ما لم يحصل.

وإما أنه لم ير ضعفها -على قواعد المحدثين- فلم يعرج على ذكرها، وهذا أصوب؛ إذ لو كانت الرواية ضعيفة لما سكت عنها المحدثون جميعا، بل لو اعترض عليه أحدهم لتواترت الأخبار بذلك في كتب الحديث وقواعده التي صنفت بعد.

هذا، وإن اعتبار هذه الرواية تطعن في عقيدة من يصححها فيه نظر، ذلك أن كل المسلمين بشتى اتجاهاتهم الفكرية والعقدية ينسبون أنفسهم بفخر إلى أهل السنة والجماعة، وعقيدة أهل السنة والجماعة تسمى أيضا عقيدة أهل الحديث، فلو كانت هذه الرواية تطعن في عقيدتهم لكان المحدثون هم أول من يردها على البخاري -رحمه الله- هذا إن لم يهتموه في عقيدته.

والمطلع على سيرته يقف على أنه غُذِب وسجن كما سجن من قبله من المحدثين في قضية عقدية خطيرة هي القول بأن القرآن مخلوق. وهذا يدل على أن العلماء كانوا على وعي تام بالقضايا العقدية التي يجادل فيها المتكلمون في عصر ازدهرت

فيه الفرق الكلامية كما هو معلوم في كتب التاريخ. فكيف يعقل إذن أن يسكتوا عن هذه الرواية التي أخرجها في صحيحه بالزيادة المذكورة ولا نجد من ذكرها أو أشار إليها لا تلميحاً ولا تصريحاً؟

بهذا يتبين لنا أن هذه الرواية لم يفهم منها أحد من السلف الصالح طعنا في نبوة الرسول ﷺ ولا تنقيصاً، بل هو راجع إلى خوف ورهبة من هيبة الوحي كما قرره بعض من شرح هذه الرواية من شراح صحيح البخاري كما سيأتي بعد -إن شاء الله تعالى-.

أما الطرح الثاني الذي يزعم أن هذه الزيادة منكورة، ومن قبلها فقد جهل أصول الرواية وقواعدها، فهذا الكلام هو المنكر لأنه غير قائم على أصول الرواية وقواعدها؛ إذ إن أول ما يتعلمه الطلاب المبتدئون في علوم الحديث، هو أن المنكر صفة لمخالفة الضعيف للثقات، وهذا شيء غير موجود في هذه الرواية؛ فكل الرواة هنا ثقات وليس فيهم ضعيف، والزيادة التي زادها أحد الثقات في هذه الرواية تدخل في إطار زيادة الثقة لا الشذوذ بله النكارة، لأنها لا تخالف ما رواه الثقتان، ومعلوم أن زيادة الثقة هي مقبولة عند عامة المحدثين وخاصتهم، فمن أين لهم هنا بصفة النكارة؟ أم أن القائل بها هو المخالف لقواعد القوم؟

أما دعوى تدليس الإمام ابن شهاب الزهري التي قال بها الفريق الثاني أيضاً، وجعلوها سبباً في رد هذه الزيادة، فسأرد عليها بدليل قاطع أيضاً؛ ذلك أن المعلوم من عمل المحدثين من جهة أصول الرواية وقواعدها، دراسة المرويات بعد دراسة الرواة وقت التصنيف، وبيان هذا فلا مندوحة من استحضار هذه القواعد منذ فجر استقرائها واستخراجها من بطون كتب الحديث، مادام الاختلاف في هذه الجزئية يحيل على هذه القواعد فأقول بتوفيق الله: إن أوائل ما ألف في علوم الحديث مما وصلنا رُسْمُهُ، هو على ضربين: نقد الرواة، وتصنيف الروايات؛ فأما نقد الرواة فيكون بأحكام عامة عليهم؛ فإن قالوا عن أحد الرواة في السند إنه: «سيء الحفظ»، فهذا تنبيه إلى تحري الحيلة في مروياته، وسبر أحاديثه وتمحيصها، فهو نقد له فقط وليس لمروياته كلها، لأن هذا الحكم عليه يحتمل أنه حفظ ويحتمل أنه نسي، والناقد اطلع على هذه الاحتمالات وعلم محل الحفظ عنده حين قارن روايته برواية الحفاظ المتقنين، فلم يطلع على مخالفة روايته لروايتهم، كما علم محل خطئه ووهمه لما كشف مخالفته للحفاظ الأثبات.

فإذا كان المحدث الناقد ألف في علم الجرح والتعديل وتاريخ الرواة وطبقاتهم، فإنه يذكر أحكاماً عامة على الرواة، وقد يبين بعضها بأمثلة لمروياتهم تدل على الحكم الذي قرره، دون أن يتكلم في كل رواية من محفوظاته على حدة، لأن هذا فيه تطويل كبير يُخرج كتابه عما جُعِلَ له.

لكنه إذا قصد التصنيف في الروايات، وخاصة على طريقة الفقهاء؛ بقصد جمع أحاديث أصول الدين والأحكام وغير ذلك مما يحتاجه المسلمون في عبادة الله اقتداء برسول الله ﷺ، فإنه يسبر مرويات الرواة كل واحدة على حدة، فيقارن بين الأسانيد بشروطه في النقد التي عليمها من علمها من طلابه، واستقرأ بعضها غيرهم، ثم يختار من هذه الأسانيد ما يجزم بصحته بعد البحث والنظر والمقارنة والسبر والاعتبار، فإذا اطمأن إلى روايته وفضلها على رواية غيره لما اطلع عليه من صحتها وثبوتها، صَمَّنَهَا مصَنَّفَه، وأمسك عن رواية غيره التي قد حفظها أيضا لأجل الاعتبار والمقارنة.

لذلك نجد المحدثين قسمين من حيث التصنيف: قسم نَقَدَ وصَنَّفَ، وقسم نقد ولم يصنف؛ فالبخاري -رحمه الله- هو من القسم الأول الذي نقد الرواة والمرويات معا، فصنف الصحيح، واختار فيه من حفظه الواسع أصحابها - بشروطه - وأقواها من حيث الثبوت.

أما القسم الثاني من المحدثين فهم كانوا أصحاب الخبرة والدراية بالرواة والمرويات، فجمعوا توارихهم لأجل بيان أحوالهم العامة، فدونا أحكام عامة على الراوي، من حيث الجرح والتعديل، فيقولون مثلا: فلان مدلس، وفلان اختلط، وفلان ثبت... وهذه الأحكام العامة تخص الراوي عموما، ولا تعني كل رواية على حدة، فالثقة قد يهمل ويخطئ ويخالف، لكن صفة التوثيق لازمة له، والذي اختلط باختلاطه طارئاً على حفظه، فوجب التنبيه على النظر في مروياته للتمييز وليس لطرحها جملة وتفصيلا. وسيء الحفظ كذلك، يحتمل أنه حفظ أحاديث وافق فيها الرواة، ووهم في أخرى فأتى بما لا يقبل منه، فوجب تمحيص مروياته للاحتياط.

فمن أراد التصنيف من المحدثين الذين يحرصون على حفظ أسانيد كثيرة للمتنبين الواحد من أجل المقارنة والانتقاء، فإنه يستحضر هذه القواعد العامة التي اتفق عليها نقاد الحديث، فيختار من سماعاته ما ترجحت موافقته لقواعد النقد، وإلا طرح روايته، وحصل التنبيه على الوهم الحاصل فيها، وهذا يعمل به في سائر روايات الثقات من النقلة.

وهذا ما ينطبق على هذه الرواية موضوع الدراسة، فإن بعض النقاد - (يحيى بن سعيد القطان، ويحيى بن معين...) - أخبروا بتدليس الزهري -رحمه الله- في بعض مروياته ونهبوا عليه، يَبِّن ذلك الإمام الذهبي؛ فحكى عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال: «مرسل الزهري شر من مرسل غيره؛ لأنه حافظ، وكل ما قدر أن يسمى سمي، وإنما يترك من لا يحب أن يسميه. وقال يحيى بن معين: «مراسيل الزهري ليست بشيء». وقال الشافعي: «إرسال الزهري عندنا ليس بشيء»، وذلك أنا نجده يروي عن سليمان بن أرقم».²⁹

29- سير أعلام النبلاء: 5/339 الذهبي (748هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م

هذه الأحكام العامة التي أخبر بها الذهبي لا تُقبل على إطلاقها كما قلت سابقاً، والذين قالوها لم يقصدوا ثبوتها مطلقاً، والمحدثون يعرفون هذا وبه يأخذون، فهم يطلقون هذه الأحكام العامة بقصد أن يأخذ غيرهم من أهل الاختصاص الحيطة والحذر فيما يروونه، وهذا هو الاتفاق الجماعي بين المحدثين.

فَيُقبل المحدثون على تحقيق سماع الراوي في كل رواية خَرَّجوها من طريقه، فإن علموا الاتصال اطمأنوا للرواية، وإن لم يعلموه، هبوا للبحث عن القرائن التي تدل على وجود السماع من عدمه، فيحصون سماعاته وينبهون عليها تلامذتهم، فتأتى من صنيعهم هذا الاطمئنان للمصنفات التي تركوها عمدة في الصحة لمن بعدهم.

قال الحاكم بعد ذكر الطبقة الخامسة من المدلسين: «الجنس الخامس من المدلسين قوم دلسوا عن قوم سمعوا منهم الكثير، وربما فاتهم الشيء عنهم، فيدلسونه، ومن هذه الطبقة جماعة من المحدثين: المتقدمين، والمتأخرين، مخرج حديثهم في الصحيح، إلا أن المتبحر في هذا العلم يميز بين ما سمعوه، وما دلسوه.»³⁰

وهذا ما بيّنه برهان الدين الحلبي في تبيينه لأسماء المدلسين حين حكى الإجماع على قبول عنعنته فقال: «محمد بن شهاب الزهري الإمام العالم المشهور، ومشهور به، أي التدليس- وقد قبل الأئمة قوله (عن)».³¹

فقوله: قبل الأئمة عنعنته قصد به أئمة الحديث العارفين بالروايات الذين خبروا أحوالها، وقارنوا بينها، وعلموا أقواها من أضعفها، فهم أحق بالحكم على الرواية من حيث صحتها من عدمها، وهم من يحتكم إليه في حالة الخلاف، وهم حذاق النقاد الذين يميزون في مرويات من رمي بالتدليس، بين ما تحقق فيه السماع وما لم يتحقق..

لهذا ما وصلنا في شيء من كتب النقد وغيرها كلام عن تدليس الزهري في هذه الرواية موضوع الدراسة، ولو كانت فيها شبهة تدليس لَرُدَّت على البخاري وغيره ممن أخرجوها في كتبهم، وليبَيَّنوا بالأدلة الواضحة والقرائن البينة ضعف هذه الرواية وردوها عليهم، خاصة وأنا نعلم أن المحدثين كانوا يحرصون على تصحيح كتبهم وتنقيحها، بل إن من قواعدهم المجمع عليها ترك التحديث عن لا يصون كتابه من الدس والغلط، وهذا يعلمه المبتدئون من دارسي قواعد علوم الحديث.

30- «علوم الحديث» ص 109 معرفة علوم الحديث أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدي بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ) المحقق: السيد معظم حسين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الثانية، 1397هـ - 1977م

31- التبيين لأسماء المدلسين، ص: 50 لبرهان الدين الحلبي سبط ابن العجمي (841هـ) تحقيق يحيى شفيق حسن، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى 1406 هـ - 1986 م

فكيف نتهم البخاري بأنه أخطأ في إخراج هذه الرواية الضعيفة في صحيحه، ونحن لم نقف على من اتهمه بذلك في عصره الذي زخر بجهاذة المحدثين النقاد من أمثال أبي زرعة الرازي (264هـ)، وأبي حاتم الرازي (327هـ)، والإمام النسائي (303هـ)، وغيرهم ممن لا يشق لهم غبار في الصنعة الحديثية عموماً وفي نقد الرواة على الخصوص.

وإن أحداث طلاب الحديث يعلمون مكانة الإمام الزهري -رحمه الله تعالى- من كتب هؤلاء أنفسهم إذا طالعوا أحكامهم، ومع ذلك سأستدعي أقوالهم تذكيراً للناسي وتعليماً للجاهل، وسأختصر الأقوال اختصاراً حتى لا أضيع انتباه القارئ عن بيت القصيد في هذه الدراسة.

قال إمام الجرح والتعديل ابن أبي حاتم الرازي -رحمه الله تعالى- في مقدمة كتابه الجامع النافع الماتع، في علم الجرح والتعديل³²، متحدثاً عن طبقة الزهري أولاً ثم عنه ثانياً: «فخلف بعدهم (أي الصحابة) التابعون الذين اختارهم الله عز وجل لإقامة دينه، وخصهم بحفظ فرائضه وحدوده، وأمره ونهيه، وأحكامه، وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم، وأثاره، فحفظوا عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نشره وبثوه من الأحكام والسنن والآثار، وسائر ما وصفنا الصحابة به رضى الله عنهم، فأتقنوه وعلموه وفقهوا فيه، فكانوا من الإسلام والدين ومراعاة أمر الله عز وجل ونهيه بحيث وضعهم الله عز وجل ونصبهم له إذ يقول الله عز وجل (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَأْخُذُونَ بِاللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) الآية³³.

حدثنا عبد الرحمن نا محمد بن يحيى أنا العباس بن الوليد النرسي نا يزيد ابن زريع ثنا سعيد عن قتادة قوله عز وجل: (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَأْخُذُونَ بِاللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) فصاروا برضوان الله عز وجل لهم، وجميل ما أثنى عليهم، بالمنزلة التي نزههم الله بها عن أن يلحقهم مغمز أو تدركهم وصمة، لتيقظهم، وتحرزهم، وتثبتهم، ولأنهم البررة الأتقياء، الذين ندبهم الله عز وجل لإثبات دينه، وإقامة سنته وسبله، فلم يكن لاشتغالنا بالتمييز بينهم معنى، إذ كنا لا نجد منهم إلا إماماً مبرزاً، مقدماً في الفضل والعلم، ووعي السنن وإثباتها، ولزوم الطريقة واحتبائها، -رحمة الله ومغفرته عليهم أجمعين- إلا ما كان ممن ألحق نفسه بهم، ودلسها بينهم، ممن ليس يلحقهم، ولا هو في مثل حالهم، لا في فقهه، ولا علمه، ولا حفظه، ولا إتقانه، ولا ثبته، ممن قد ذكرنا حالهم وأوصافهم ومعانيهم في مواضع من كتابنا هذا، فاكثفنا بها وبشرحها في الأبواب مستغنية عن إعادة ذكرها مجملة أو مفسرة في هذا المكان».

هذا الكلام العجيب ذكر نوعين في هذه الطبقة: -طبقة التابعين- النوع الأول الذي شبهه بالصحابة لما كان من حرصهم على اتباع سننهم في الديانة والعلم والفقه والعمل، ونوع آخر ليس بذلك، وهذا يدعونا للكشف -من كتابه- عن أي الفريقين

32- مقدمة المعرفة لابن أبي حاتم (9-1/8)

33- التوبة: 100

إليه ينتمي ابن شهاب الزهري -رحمه الله تعالى- حتى يتثبت من يلزمه بشيء في روايته، فينظر كل طاعن فيه إن كان سيقبل كلام ابن أبي حاتم فيه جملة وتفصيلاً، أم أنه سيضرب صفحاً عن كلام الرجل -الذي هو يحكي أحكام الرازيين أبي حاتم وأبي زرعة بأمانة وعلم- وسيأتينا بكلام غيره ممن هو أعلم بحاله.

قال في ترجمته:³⁴ «محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري القرشي أبو بكر، روى عن أنس بن مالك، وسهل بن سعد، وأبي الطفيل، والسائب بن يزيد، وعبد الله بن ثعلبة، ومحمود ابن الربيع، وعبد الرحمن بن أزهر، ورأى ابن عمر، وروى عن أبان بن عثمان ولم يسمع منه، ولا يصح حديث أبان بن عثمان في طلاق السكران، روى عنه عراك بن مالك، وأخوه عبد الله بن مسلم، وبكير ابن الأشج، ومنصور بن المعتمر، وعمرو بن شعيب، ويحيى بن سعيد الانصاري، وصالح بن كيسان، وسليمان بن موسى، ومالك بن أنس، وسفيان ابن عيينة، ومعمربن راشد، ويونس بن يزيد، وعقيل، والأوزاعي، والزبيدي. سمعت أبي يقول ذلك.

نا عبد الرحمن نا أبو عبد الله الطهراني أنا عبد الرزاق عن معمر قال: قال عمر بن عبد العزيز لجلسائه: هل تأتون ابن شهاب؟ قالوا: إنا لنفعل. قال فأتوه فإنه لم يبق أحد اعلم بسنة ماضية منه. قال معمر: وإن الحسن وضرباءه لأحياء يومئذ.

نا عبد الرحمن نا محمد بن عوف حدثني ابن أبي اسامة الرقي نا أبي عن جعفر بن برقان عن عمرو بن ميمون عن عمر بن عبد العزيز قال: «ما رأيت أحداً أحسن شوقاً للحديث إذا حدث من الزهري».

نا عبد الرحمن نا محمد بن يحيى نا محمود بن غيلان نا عبد الرزاق أنا معمر قال: قال عمر ابن عبد العزيز: «عليكم بابن شهاب هذا، فإنكم لا تلقون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه».

نا عبد الرحمن نا أحمد بن سنان الواسطي قال سمعت عبد الرحمن ابن مهدي يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: «حدث الزهري يوماً حديثاً، فلما قام قمت فأخذت بعنان دابته فاستفهمته، قال: تستفهمني؟ ما استفهمت عالماً ولا رددت على عالم قط. قال فجعل عبد الرحمن بن مهدي يعجب فذيك الطوال؟ فتلك المغازي؟.

نا عبد الرحمن نا أحمد بن عبيد الرحمن ابن أخي وهب قال أخبرني عمي قال: أنا الليث بن سعد قال: قال ابن شهاب: «ما استودعت قلبي علماً فنسيه».

نا عبد الرحمن نا علي بن الحسن الهسنجاني نا يحيى بن عبد الله ابن بكير قال أخبرني ابن القاسم قال سمعت مالكا يقول: «بقي ابن شهاب وماله في الدنيا نظير».

نا عبد الرحمن قال ذكره أبي عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين أنه قال: «الزهري ويحيى بن سعيد أثبت في القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم ومن افلح بن حميد».

نا عبد الرحمن نا أحمد بن سنان قال كان يحيى بن سعيد القطان يقول: «الزهري حافظ كان إذا سمع الشيء علقه».

نا عبد الرحمن نا أحمد بن عبد الرحيم البرقي نا عمرو يعنى ابن ابى سلمة التنيسي قال: سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول عن مكحول: ما بقي على ظهرها أحد أعلم بسنة ماضية من ابن شهاب الزهري».

نا عبد الرحمن حدثني احمد بن عبد الرحيم البرقي نا عمرو ابن ابى سلمة التنيسي قال سمعت سعيد بن بشير يذكر عن قتادة أنه قال: «ما بقي على ظهرها إلا اثنان: الزهري وآخر»، فظننا أنه يعنى نفسه.

نا عبد الرحمن نا إسماعيل بن أبي الحارث نا أحمد بن حنبل عن عبد الرحمن بن مهدي عن وهيب قال سمعت أيوب (السختياني) يقول: «ما رأيت أحدا أعلم من الزهري، فقال له صخر بن جويرية ولا الحسن؟ قال: ما رأيت أحدا أعلم من الزهري».

حدثنا عبد الرحمن نا علي بن الحسن الهسنجاني نا أحمد بن حنبل نا عبد الرزاق قال: سمعت عبيد الله بن عمر يقول: «لما نشأت، فأردت أن أطلب العلم، جعلت آتي أشياخ آل عمر رضى الله عنه رجلا رجلا وأقول: «ما سمعت من سالم؟» فكلما أتيت رجلا منهم قال: «عليك بابن شهاب فان ابن شهاب كان يلزمه»، قال وابن شهاب حينئذ بالشام.

نا عبد الرحمن حدثني أبي نا ابن الطباع نا سفيان - يعني ابن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار يقول: «ما رأيت أحدا أنص للحديث من الزهري».

نا عبد الرحمن نا أبي نا ابن الطباع قال سمعت سفيان يقول: «لم يكن في أنفاس أحد أعلم بسنة منه - يعني الزهري».

حدثنا عبد الرحمن حدثني أبي نا ابن الطباع نا سفيان قال: قال لي أبو بكر الهذلي: «قد جالسنا الحسن وابن سيرين فما رأينا أحدا أعلم منه - يعني الزهري».

نا عبد الرحمن نا إسماعيل بن أبي الحارث نا أحمد بن حنبل عن عبد الرزاق قال قال معمر: «ما رأيت مثل الزهري في وجهه قط».

نا عبد الرحمن نا أبي نا هارون بن سعيد الأيلي قال أخبرني خالد يعني بن نزار عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال: ما رأيت أعلم من الزهري، ولقي رجلا.

حدثنا عبد الرحمن نا صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل نا علي يعني ابن المديني - قال سمعت سفيان يقول: «لم أر من هؤلاء أفقه من الزهري وحماد وقتادة».

نا محمد بن أحمد ابن البراء قال قال علي ابن المديني: «لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم من ابن شهاب ويحيى بن سعيد وأبي الزناد وبكير بن عبد الله بن الأشج».

نا عبد الرحمن حدثني أبي نا هارون بن سعيد قال أخبرني خالد ابن نزار قال سمعت مالكا يقول: «أول من أسند الحديث ابن شهاب».

نا عبد الرحمن حدثني أبي نا هارون قال أخبرني خالد عن سفيان قال: «كان الزهري أعلم أهل المدينة».

نا عبد الرحمن سمعت أبي يقول: «الزهري أحب إلى من الأعمش، يحتج بحديثه، وأثبت أصحاب أنس الزهري».

نا عبد الرحمن قال: سئل أبو زرعة عن الزهري وعمر بن دينار فقال: «الزهري أحفظ الرجلين».

نا عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول: قلت لإبراهيم بن موسى: «ابن شهاب الزهري عندك فقيه؟ فقال نعم فقيه وجعل يفخم أمره».³⁵

هذه أقوال أئمة المحدثين من أقران الزهري وتلامذته ومن بعدهم ممن يعتد برأيهم في هذا الشأن، فكيف يصار إلى رأي غيرهم فيه؟ فإن قال قائل إنه بشر يجوز فيه الخطأ على كل حال، والعلماء بينوا أخطاء الثقات كما بينوا أخطاء الضعفاء، وقد بينوا أن الزهري اشتهر بالتدليس في بعض الروايات، وهذا قيده العلماء بضرورة بيان الاتصال في الرواية التي وردت بصيغة العنعنة وغيرها من الصيغ التي هي مظنة الانقطاع كما في هذه الرواية موضوع الدراسة. أجيّب عن هذا من وجهين:

أولا لا يذم تدليس المدلس إلا بعد التأكد من اجتماع شروط بَيِّنِها الخطيب البغدادي بقوله: «والتدليس يشتمل على ثلاثة أحوال تقتضي ذم المدلس وتوهمه: فأحدها ما ذكرناه من إيهامه السماع ممن لم يسمع منه وذلك مقارب للإخبار بالسماع ممن لم يسمع منه، والثانية: عدوله عن الكشف إلى الاحتمال، وذلك بخلاف موجب الورع والأمانة، والثالثة: أن المدلس إنما لم يبين من بينه وبين من روى عنه، لعلّنه بأنه لو ذكره لم يكن مرضيا مقبولا عند أهل النقل، فلذلك عدل عن ذكره، وفيه أيضا أنه إنما لا يذكر من بينه وبين من دلس عنه، طلبا لتوهم

علو الإسناد، والأنفة من الرواية عمن حدثه، وذلك خلاف موجب العدالة ومقتضى الديانة، من التواضع في طلب العلم وترك الحمية في الإخبار بأخذ العلم عمن أخذه، والمرسل المبين بريء من جميع ذلك»³⁶.

فتبين من مقولة الخطيب أن ما شهد به الأئمة للزهري من ديانته وعدالته وتوقيه، ينفي عنه التدليس المذموم الذي اشترط في وجوده ارتفاع وجود موجب العدالة ومقتضى الديانة، وبقي احتمال وجود التدليس غير المذموم في بعض مرويات الزهري كما نبه إليه من رّدّ زيادته، وهذا وإن كان غير موجود في هذه الرواية موضوع الدراسة، إلا أنني لا أمانع بيانه من أجل الفائدة.

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: « والتدليس على ضربين، قد أفردنا في ذكر كل واحد منهما بشرحه وبيانه كتاباً، إلا أنا نورد في هذا الكتاب شيئاً منه إذ كان مقتضياً له. فالضرب الأول: تدليس الحديث الذي لم يسمعه الراوي ممن دلّسه عنه، بروايته إياه على وجه يوهّم أنه سمعه منه، ويعدل عن البيان لذلك، ولو بين أنه لم يسمعه من الشيخ الذي دلّسه عنه، وكشف ذلك، لصار بيانه مرسلًا للحديث غير مدلس فيه، لأن الإرسال للحديث ليس بإيهام من المرسل، كونه سامعاً ممن لم يسمع منه، وملاقياً لمن لم يلقه، إلا أن التدليس الذي ذكرناه متضمن للإرسال لا محالة، من حيث كان المدلس ممسكاً عن ذكر من بينه وبين من دلّس عنه، وإنما يفرق حاله حال المرسل بإيهامه السماع ممن لم يسمع منه فقط، وهو الموهن لأمره فوجب كون هذا التدليس متضمناً للإرسال والإرسال لا يتضمن التدليس، لأنه لا يقتضي إيهام السماع ممن لم يسمع منه، ولهذا المعنى لم يذم العلماء من أرسل الحديث وذموا من دلّسه»³⁷.

وقال أيضاً: «وقال فريق من الفقهاء وأصحاب الحديث: إن خبر المدلس غير مقبول، لأجل ما قدمنا ذكره من أن التدليس يتضمن الإيهام لما لا أصل له، وترك تسمية من لعله غير مرضي ولا ثقة، وطلب توهّم علو الإسناد، وإن لم يكن الأمر كذلك. وقال خلق كثير من أهل العلم: خبر المدلس مقبول لأنهم لم يجعلوه بمثابة الكذاب، ولم يروا التدليس ناقضاً لعدالته، وذهب إلى ذلك جمهور من قبل المراسيل من الأحاديث، وزعموا أن نهاية أمره أن يكون التدليس بمعنى الإرسال. وقال بعض أهل العلم: إذا دلّس المحدث عمن لم يسمع منه ولم يلقه، وكان ذلك الغالب على حديثه لم تقبل رواياته، وأما إذا كان تدليسه عمن قد لقيه وسمع منه فيدلس عنه رواية مالم يسمعه منه فذلك مقبول، بشرط أن يكون الذي يدلس عنه ثقة. وقال آخرون: خبر المدلس لا يقبل إلا أن يورده على وجه مبين غير محتمل للإيهام، فإن أورده على ذلك قبل، وهذا هو الصحيح عندنا، وسنذكر كيفية اللفظ الذي يزيل عنه الإيهام فيما بعد إن شاء الله»

36- الكفاية في علم الرواية: باب الكلام في التدليس وأحكامه ص: 395-396

37- الكفاية في علم الرواية: باب الكلام في التدليس وأحكامه ص: 395-396

وأخرج الخطيب عن «عمر الخلال، ثنا محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبه، ثنا جدي، قال: التدليس؛ جماعة من المحدثين لا يرون به بأسا، وكرهه جماعة منهم ونحن نكرهه، ومن رأى التدليس منهم فإنما يجوز عن الرجل الذي قد سمع منه فيسمع من غيره عنه ما لم يسمعه منه، فيدلسه، يرى أنه قد سمعه منه، ولا يكون ذلك أيضا عندهم إلا عن ثقة. فأما من دلس عن غير ثقة، وعمن لم يسمع هو منه، فقد جاوز حد التدليس الذي رخص فيه من رخص من العلماء».³⁸

ثانيا: ألمح الخطيب في المقولة الأولى إلى التداخل الذي يحصل بين التدليس والإرسال، وهذا يستحق أن نتوقف عنده لنرى إذا كان هذا الأمر هو حال روايتنا هذه، فالزهري قال: «فيما بلغنا» وهذه المقولة تدخل فيما يسميه العلماء بالبلاغات، وهذه البلاغات لها حكم الإرسال حتى يتبين الاتصال، ولنا أن نتساءل: لمن يتبين الاتصال؟ هناك جواب واحد هو: حذاق النقاد من المحدثين، الذين عرفوا أحوال الرواة كما يعرف أحدنا أحوال أبنائه، فيصلون ما ظاهره الانقطاع ويجعلونه في كتبهم، ويحكمون له بالصحة، ومثال هذا بينه المتأخرون من الحفاظ الذين انكبوا على حل رموز المصنفات الحديثية؛ منهم الحافظ العلائي الذي فصل في التدليس وذكر طبقات المدلسين، وما يقبل من مروياتهم مما لا يقبل، ثم قال: «وهذا كله في تدليس الراوي ما لم يتحمله أصلا بطريق ما، فأما تدليس الإجازة والمناولة والوجادة بإطلاق» «أخبرنا» فلم يعده أئمة الفن في هذا الباب، كما قيل في رواية أبي اليمان الحكم بن نافع عن شعيب، ورواية مخزمة بن بكير بن الأشج عن أبيه، وصالح بن أبي الأخضر عن الزهري وشبه ذلك، بل هو إما محكوم عليه بالانقطاع أو يعد متصلا.

ومن هذا القبيل ما ذكره محمد بن طاهر المقدسي عن الحافظ أبي الحسن الدارقطني أنه كان يقول فيما لم يسمع من البغوي: قرئ على أبي القاسم البغوي: حدثكم فلان، ويسوق السند إلى آخره، بخلاف ما هو سماعه فإنه يقول فيه: قرئ على أبي القاسم وأنا أسمع، أو أخبرنا أبو القاسم البغوي قراءة ونحو ذلك، فإما أن يكون له من البغوي إجازة شاملة بمروياته كلها فيكون قراءة ونحو ذلك، أو لا يكون كذلك فيكون وجادة، وهو قد تحقق صحة ذلك عنه. على أن التدليس في المتأخرين بعد سنة ثلاثمائة يقل جدا، قال الحاكم: لا أعرف في المتأخرين من يذكر به إلا أبا بكر محمد بن محمد بن سليمان الباغندي والله أعلم».³⁹

وقال سبط ابن العجمي: «قال أبو بكر البزار إن الشخص إذا روى عن من لم يدركه بلفظ موهم فإن ذلك ليس بتدليس على الصحيح المشهور».⁴⁰

38- الكفاية في علم الرواية: باب ذكر شيء من أخبار بعض المدلسين ص: 361

39- جامع التحصيل: ص: 114

40- التبيين لأسماء المدلسين لبرهان الدين الحلبي أبو الوفا إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الشافعي سبط ابن العجمي (المتوفى: 841هـ) تحقيق يحيى شفيق حسن، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى 1406 هـ - 1986 م (ص: 13)

قال ابن الصلاح: «وفي الصحيحين وغيرهما من الكتب المعتمدة من حديث هذا الضرب كثير جداً: كقتادة، والأعمش، والسفيانين، وهشام بن بشير، وغيرهم. وهذا لأن التدليس ليس كذبا، وإنما هو ضرب من الإيهام بلفظ محتمل»⁴¹

وبيت القصيد من هذه النماذج -التي اخترتها من وسط الكثير من الأقوال في التدليس من كتب جهابذة المحدثين في أعصار متباينة- أن أبين أن أحكام المحدثين ليست قواعد عامة تنزل على جميع الرواة، ومختلف المرويات، بل كل رواية لها حيثياتها المعتمدة في التصحيح والتضعيف، وهذا ليس في التدليس فحسب، بل قل ذلك في جميع فنون الحديث وضوابطه، وبطون الكتب زاخرة بنماذج على ذلك لا يغفل عنها إلا من لم يطالعها؛ وهذا حال الفريق الأول الذي دحضت حجته في بداية الكلام، أو من يجمد على القواعد العامة، والضوابط التي سطرها المتأخرون من المحدثين، دون أن يكلف نفسه البحث في جزئيات أحكام نقاد الحديث المتقدمين.

وهذا لعمري، هو ما يسوء كل متكلم في الحديث في عصرنا الحالي، أن يكتفي بدراسة القواعد العامة التي كان أول استخراج لها في القرن الرابع، بعد أن نفقت المكتبة الحديثية يديها من نقد الرواة وتمييز المرويات. فيكتفي بكتب القواعد هذه لفهم عمل نقاد الصنعة الحديثية، ولا ينظر إلى خصوصية كل رواية من حيث قرائنها التي تحفها.

وهذا ما يفعله حذاق النقاد بما يصلهم من الروايات؛ دل على ذلك الكثرة الجمة من التطبيقات العملية التي يقومون بها لتمييز ما صح مما لم يصح، ولولا مخافة التحويل المخل لتبعت نماذج تشمل كل القواعد الحديثية، ولعل الله تعالى ييسر لهذا العمل من يقوم به، لأهميته القصوى.

لكنني أورد هنا بعض الأحكام المتعلقة بالتدليس الذي هو سبب اللبس الواقع لمن ضعف الرواية به، فأختار من تبين البرهان الحلي بعض هذه النماذج: فقال في موسى بن عقبة: «موسى بن عقبة في البخاري روايته عن الزهري، وفي بعضها عنه: «قال الزهري». قال الإمام أبو بكر الإسماعيلي: «يقال إنه لم يسمع من الزهري شيئا» قال العلائي: «قلت: وذلك بعيد لأن البخاري لا يكتفي بمجرد إمكان اللقاء، قال ولم أر من ذكر موسى بن عقبة بالتدليس غيره انتهى»⁴²

و قال في موضع آخر: «هشام بن عروة إمام مشهور، لم يشتهر بالتدليس، ولكن قال ابن المديني: سمعت يحيى بن سعيد يقول: كان هشام بن عروة يحدث عن

41- مقدمة ابن الصلاح: ص: 75

42- التبيين: ص: 56-57

أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: «ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا...» الحديث و: «ما ضرب بيده شيئاً..» الحديث فلما سألته قال أخبرني أبي عن عائشة قالت: «ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين..» لم أسمع من أبي الا هذا والباقي لم أسمعه إنما هو عن الزهري. رواه الحاكم في علومه، قال العلائي وفي جعل هشام بمجرد هذا مدلساً نظر قال ولم أر من وصفه به انتهى.⁴³

وبَيَّن ابن الصلاح أنه لا يحكم على كل ما سكت عنه راويه -ممن يعرف عنهم أنهم نقاد الرواية- بالانقطاع فقال: «مثال ذلك:» ما روينا عن علي بن خشرم قال: كنا عند ابن عيينة، فقال: «الزهري»، فقليل له: «حدثكم الزهري؟» فسكت، ثم قال: «الزهري»، فقليل له: «سمعت من الزهري؟» فقال: «لا، لم أسمعه من الزهري، ولا ممن سمعه من الزهري، حدثني عبد الرزاق، عن معمر عن الزهري».⁴⁴

وقد بَيَّن ابن حبان قبله بقرون مثل هذا فقال: «فإذا صح عندي خبر من رواية مدلس أنه بين السماع فيه لا أبالي أن أذكره من غير بيان السماع في خبره بعد صحته عندي من طريق آخر»⁴⁵

وقال الخليلي: «فأما النوع الصحيح المتفق عليه فمثل ما يرويه أحد الأئمة: كمالك، وابن أبي ذئب، والماجشون، وابن جريج، وغيرهم، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم. أو ما يرويه الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فمن لم يكن له معرفة بالحديث كل ما يجده بهذا الإسناد حكم بصحته، وإنما يكون كذلك إذا كانت الرواة إلى أن يبلغ إلى الزهري، ومالك ثقات عدولاً، فأما إذا كان فيهم ضعيف، أو ركب عليهم ضعيف، فذاك الأئمة يردونه، ويذكرون علته، فقياس ذلك من الصحيح المتفق عليه».⁴⁶

فتأمل كلام الخليلي هذا لتفقه عن المحدثين عملهم؛ إذ هم لا ينطلقون من قواعد كلية ليصححوا أو يضعفوا، بل عكس ذلك هو الصواب، لأنهم ينظرون في كل رواية على حدة، كما يكشف الطبيب على كل مريض على حدة، حتى يعرف المرض، ثم ينظر في خصوصية كل مريض ليختار الدواء المناسب.

43- التبيين لابن العجمي ص: 59

44- مقدمة ابن الصلاح: النوع الثاني عشر: معرفة التدليس وحكم المدلس

45- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبُد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: 354هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بليان الفارسي (المتوفى: 739 هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م (1/162)

46- الإرشاد في معرفة علماء الحديث المؤلف: أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن خليل القزويني (446هـ) تحقيق: د. محمد سعيد عمر إدريس الناشر: مكتبة الرشد - الرياض الطبعة: الأولى، 1409 (1/157-158)

قال الخليلي في ترجمة إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة المدني: «ضعفوه جدا تكلم فيه مالك والشافعي، وتركاه، قال له الزهري يوما: يا إسحاق، تجيء بأحاديث ليست لها أزمة ولا ختام إذا حدثت فأسند»⁴⁷

كيف يعقل أن يستنكر عليه في ترك الإسناد ثم يفعل مثله، أليس هذا أدعى أن يقول له أبو اسحق إنما أفعل مثلما تفعل لو كان يفعل هذا حقا؟

وإذا علمنا مما سبق أن ما يقال عن تدليس الزهري لا يعتد به عند نقاد الرواية، أعرج على بيان حال مراسلاته التي لها علاقة بالحديث موضوع الدراسة، وقد تبين لنا من كلام الخطيب سابقا حين قال: «ولهذا المعنى لم يذم العلماء من أرسل الحديث وذموا من دلّسه» وهذا يدل على أن الإرسال في زمن التابعين لم يكن عيبا في الرواية مطلقا، وإنني أجد كلاما كثيرا للعلماء في هذا الأمر، وأعمل جهدي لاختيار بعض الأقوال مختصرة وأحيل إلى غيرها لمن أراد التوسع في هذه المسألة.

من ذلك ما توسع الحافظ ابن عبد البر في بيانه في مقدمة كتابه الماتع النافع «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، حيث ذكر مذاهب العلماء في الحديث المرسل، في إطار بيانه لاتصال بلاغات الإمام مالك في الموطأ، فقال: «أما بعد، فإني رأيت كل من قصد إلى تخريج ما في موطأ مالك بن أنس رحمه الله من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قصد بزعمه إلى المسند، وأضرب عن المنقطع والمرسل، وتأمّلت ذلك في كل ما انتهى إلي مما جمع في سائر البلدان، وألف على اختلاف الأزمان، فلم أر جامعيه وقفوا عند ما شرطوه، ولا سلم لهم في ذلك ما أملوه، بل أدخلوا من المنقطع شيئا في باب المتصل، وأتوا بالمرسل مع المسند.

وكل من يتفقه منهم لمالك ويتحلّه، إذا سألت من شئت منهم عن مراسيل الموطأ قالوا صحاح، لا يسوغ لأحد الطعن فيها، لثقة ناقلها، وأمانة مرسلها، وصدقوا فيما قالوه من ذلك، لكنها جملة ينقضها تفسيرهم بإضرابهم عن المرسل والمقطوع، وأصل مذهب مالك رحمه الله والذي عليه جماعة أصحابنا المالكيين أن مرسل الثقة تجب به الحجة، ويلزم به العمل، كما يجب بالمسند سواء.

وأجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر، في جميع الأمصار فيما علمت، على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا، إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع شرذمة لا تعد خلافا ...»

إلى أن قال: «وقالت طائفة من أصحابنا مراسيل الثقات أولى من المسندات، واعتلوا بأن من أسند لك فقد أحالك على البحث عن أحوال من سماه لك، ومن أرسل من الأئمة حديثاً مع علمه ودينه وثقته فقد قطع لك على صحته وكفاك النظر. وقالت منهم طائفة أخرى لسنا نقول إن المرسل أولى من المسند، ولكنهما سواء في وجوب الحجة والاستعمال، واعتلوا بأن السلف رضوان الله عليهم أرسلوا ووصلوا وأسندوا، فلم يعب واحد منهم على صاحبه شيئاً من ذلك، بل كل من أسند لم يخل من الإرسال، ولو لم يكن ذلك كله عندهم ديناً وحقاً ما اعتمدوا عليه، لأننا وجدنا التابعين إذا سئلوا عن شيء من العلم وكان عندهم في ذلك شيء عن نبيهم صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه رضي الله عنهم قالوا: قال رسول الله كذا، وقال عمر كذا، ولو كان ذلك لا يوجب عملاً ولا يعد علماً عندهم لما قنع به العالم من نفسه، ولا رضي به منه السائل، وممن كان يذهب إلى هذا القول من أصحابنا أبو الفرج عمرو بن محمد المالكي، وأبو بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري، وهو قول أبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

وزعم الطبري أن التابعين بأسرهم أجمعوا على قبول المرسل، ولم يرو عنهم إنكاره، ولا عن أحد الأئمة بعدهم إلى رأس المائتين، كأنه يعني أن الشافعي أول من أبى من قبول المرسل.

وقالت طائفة أخرى من أصحابنا لسنا نقول إن المسند الذي اتفقت جماعة أهل الفقه والأثر في سائر الأمصار وهم الجماعة على قبوله، والاحتجاج به، واستعماله، كالمرسل الذي اختلف في الحكم به وقبوله في كل أحواله، بل نقول إن للمسند ميزة فضل لموضع الاتفاق وسكون النفس إلى كثرة القائلين به وإن كان المرسل يجب أيضاً العمل به...»⁴⁸

توجيه ابن عبد البر -رحمه الله تعالى- لأقوال العلماء في الإرسال يستفاد منه أن الأصل في الإرسال قبوله في طبقة التابعين ومن بعدهم، واشتهر عندهم أن أول من منعه هو الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى، وهذا يفهم منه أنه حصر به زمن قبول الإرسال لا رده مطلقاً، ودليلي في ذلك، أن الإمام الشافعي نفسه نجد له الكثير من البلاغات وغيرها مما ظاهره الانقطاع في كتابيه النافعين الجيدين: الأم والرسالة، مع كونه يستدل بالنصوص على المسائل الفقهية، وهذا يدل على قبوله للإرسال فيما علم اتصاله.

ومع أن أمثلة ذلك كثيرة جداً لا سبيل إلى حصرها، إلا أنني سأذكر شيئاً قليلاً منها، بغية التدليل على ما أنسبه إلى عمله، وتحقيقاً لما قاله ابن عبد البر سابقاً.

48- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (463هـ) تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب عام: 1387 هـ (5-1/1)

(قال: الشافعي - رحمه الله تعالى -): بلغنا عن سلمة بن الأكوع أنه قال: «خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطبتين وجلس جلستين» وحكى الذي حدثني قال: «استوى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الدرجة التي تلي المستراح قائماً، ثم سلم وجلس على المستراح، حتى فرغ المؤذن من الأذان، ثم قام فخطب الخطبة الأولى، ثم جلس ثم قام فخطب الخطبة الثانية» وأتبع هذا الكلام الحديث فلا أدري أحدثه عن سلمة أم شيء فسرره هو في الحديث (قال: الشافعي): وأحب أن يفعل الإمام ما وصفت. وإن أذن المؤذن قبل ظهور الإمام على المنبر، ثم ظهر الإمام على المنبر فتكلم بالخطبة الأولى، ثم جلس، ثم قام فخطب أخرى أجزأه ذلك - إن شاء الله - لأنه قد خطب خطبتين فصل بينهما بجلوس (قال): ويعتمد الذي يخطب على عصا، أو قوس، أو ما أشبههما؛ لأنه بلغنا «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يعتمد على عصا» أخبرنا الربيع قال: أخبرنا الشافعي قال أخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج قال: «قلت لعطاء: أكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقوم على عصا إذا خطب؟ قال: نعم كان يعتمد عليها اعتماداً»⁴⁹

فتأمل كيف أنه ذكر الحديث الأول بصيغة: «بلغنا» واستدل به على المسألة ولم يسم من حدثه، وفي الحديث الثاني قال: «بلغنا» ثم ذكر الحديث بسند متصل، فدل هذا أن المحدث الناقد لا يستدل بالحديث إلا إذا علم صحته واطمأن إلى اتصاله، بَيَّن ذلك أم لم يبينه.

وقال أيضاً: «وبلغنا أن علياً كرم الله وجهه كان يقرأ على المنبر {قل يا أيها الكافرون} و{قل هو الله أحد} فلا تتم الخطبتان إلا بأن يقرأ في إحداها آية فأكثر والذي أحب أن يقرأ ب {ق} في الخطبة الأولى كما روي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يقصر عنها، وما قرأ أجزأه إن شاء الله تعالى، وإن قرأ على المنبر سجدة لم ينزل ولم يسجد، فإن فعل وسجد رجوت أن لا يكون بذلك بأس؛ لأنه ليس يقطع الخطبة، كما لا يكون قطعاً للصلاة أن يسجد فيها سجود القرآن.

(قال الشافعي): وإذا سجد أخذ من حيث بلغ من الكلام وإن استأنف الكلام فحسن (قال: الشافعي): وأحب أن يقدم الكلام، ثم يقرأ الآية؛ لأنه بلغنا ذلك، وإن قدم القراءة ثم تكلم فلا بأس. وأحب أن تكون قراءته ما وصفت في الخطبة الأولى، وأن يقرأ في الخطبة الثانية آية أو أكثر منها، ثم يقول: أستغفر الله لي ولكم، (قال الشافعي): بلغني أن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - كان إذا كان في آخر خطبة قرأ آخر النساء {يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة} ⁵⁰ إلى آخر السورة».⁵¹

49- كتاب الأم للشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس المطلبي القرشي المكي (204هـ) الناشر: دار المعرفة - بيروت بدون طبعة سنة 1410هـ/1990م (1/230)

50- [النساء: 176]

51- كتاب الأم: 1/231

وقال الشافعي- رحمه الله تعالى -: «بلغنا أن الزهري قال «ما ركب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عيد، ولا جنازة قط» (قال الشافعي) : وأحب أن لا يركب في عيد، ولا جنازة إلا أن يضعف من شهدها من رجل أو امرأة عن المشي فلا بأس أن يركب، وإن ركب لغير علة فلا شيء عليه»⁵².

والأمثلة كثيرة جدا في كتابه الفذ، من تتبعها سيقف على أن الشافعي -رحمه الله تعالى- يذكر الكثير من الأدلة الحديثية على المسائل الفقهية بصيغة البلاغ والإرسال وأحيانا «روي»، ومن جهل قواعد المحدثين سيظن أنه بنى فقهه على المنقطع من النصوص، وهو غير صحيح لسبب واحد هو أن المحدث الناقد ليس مضطرا لبيان الأسانيد لأنه يخاطب أمثاله من الحفاظ الذين يميزون الحديث عند سماعه أول مرة، ولا يخاطب عامة الناس.

فإن قال قائل إن كتاب الأم كتاب فقه وليس كتاب حديث، فصاحبه في سعة من أمره، له ألا يعمل قواعد المحدثين في الكتاب، عكس صحيح البخاري فهو كتاب حديث لا فقه، فعليه أن يبين الأسانيد؟

فأقول: إن القارئ الحصيف، يميز بين قواعد الرواية وفنون التصنيف، ولا يخلط هذا بذلك؛ فالمحدث يجمع الأحاديث منذ بداية الطلب، ويدونها بما فيها من تكرار، وما فيها من صحيح وسقيم، وما فيها من ثقات ومتروكين، وهذا كله يتم في وقت الطلب، فإذا أنهى جمع الروايات، جلس لسبرها، وفحصها، ونخلها، بحسب الشروط المعمول بها عند أهل الصناعة.

قال البخاري -رحمه الله- : «أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح»⁵³ فإذا تأملنا مسنده الجامع الصحيح، علمنا أنه ليس فيه مائة ألف حديث صحيح، ولا ما يقاربه، وهذا يدل على طريقتة في التصنيف، حيث اختار من مائة ألف طريق ما ينيف عن سبعة آلاف، وشتان بين العددين.

ويدل هذا على أن الحديث الواحد يحفظه بعشرة أسانيد صحيحة أو يزيد، وقد يحفظه بأكثر من ذلك، واستحضاره للحديث الصحيح يغنيه عن الاتكال على الضعيف، ولهذا اشترط الصحة في سنده ولم يلزمه بها أحد، كما أن الأسانيد الصحيحة لم تعوزه، وليس في كتابه الذي صنّفه على أبواب الفقه ما يعده الفقهاء غريبا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخباره التي طبقت شهرتها الآفاق.

52- الأم: 1/267

53- أخذنا عن الكامل في ضعفاء الرجال أبي أحمد بن عدي الجرجاني (365هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض

وعبد الفتاح أبو سنة الناشر: الكتب العلمية - بيروت- لبنان الطبعة: الأولى، 1418هـ-1997م (1/226) والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة الحنبلي البغدادي (629هـ) حققه: كمال يوسف الحوت الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م (الصفحة: 33)

زد على هذا أنه ليس وحده من ألف في الصحيح وإن بَرَّ غيره في ذلك، وعاش في عصر العلم والعلماء، وعصر نقد الرواية وتاريخ الرواة، فلو جاء بما يعد شاذاً وغريباً عما هو مشهور عند الأئمة الفقهاء لما ترددوا في مناقشته، ولو فعلوا لبلغنا ذلك، ولو فعلوا واقتنع لصح ونقح، لأن هذا صنيع العلماء، لكن شيئاً من هذا لم يصلنا، لا من شيوخه الذين شهدوا لكتابه بالصحة وبرّزه، ولا من أقرانه الذين ذكروهم وذكروه، ولا من تلامذته الذين حملوا عنه وقدموه، فمن أين جاء هؤلاء الأدعياء الذين ادعوا محبته ثم ثلموه؟ يقول بعضهم: إن هذه الدعوى قالها المحدثون أنفسهم عن البخاري فأكدوا أنه لا يجزم بصحة ما في الصحيحين، ودليل ذلك تتبع الدارقطني للصحيحين، وكلام من بعده من المحدثين، مثل ابن الصلاح إذ قال: «القول بأن ما انفرد به البخاري أو مسلم مندرج في قبيل ما يقطع بصحته لتلقي الأمة كل واحد من كتابيهما بالقبول على الوجه الذي فصلناه من حالهما فيما سبق، سوى أحرف يسيرة تكلم عليها بعض أهل النقد من الحفاظ، كالدارقطني وغيره، وهي معروفة عند أهل هذا الشأن، والله أعلم».⁵⁴

وتبعه من جاء بعده في هذا التقرير، الذي يعتبر أن ما كل ما في كتاب البخاري صحيح، بسبب قوله: «سوى أحرف يسيرة تكلم عليها بعض أهل النقد من الحفاظ، كالدارقطني وغيره، وهي معروفة عند أهل هذا الشأن» فهذا يعني جواز أن تكون هذه الرواية داخلة فيما قال؟

وأقول إن ما قاله ابن الصلاح هنا هو كلام نظري تعييدي، وليس واقعاً؛ أولاً لأنه ذكر الدارقطني وغيره ولم يذكر أمثلة ليستبين القارئ وجه الضعف عند البخاري، وثانياً إذا فصلنا ما أجمله ابن الصلاح في كلامه هذا فسيظهر أن ما تكلم فيه هؤلاء الحفاظ -وسأذكر أمثلة من كتبهم- لا يضعف أحاديث الصحيح.

ولبيان ذلك نأخذ أمثلة من كتاب التتبع للدارقطني -رحمه الله تعالى- حيث قال في بدايته: «ابتداء ذكر أحاديث معلولة اشتمل عليها كتاب البخاري ومسلم أو أحدهما بينت عللها والصواب منها.. أخرج البخاري ومسلم حديث عبد الأعلى عن معمر عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول (صلى الله عليه وسلم): «يتقارب الزمان ويلقى الشح ويكثر الفتن ويكثر الهرج».

قلت: وقد تابع حماد بن زيد عبد الأعلى وقد خالفهما عبد الرزاق فلم يذكر أبا هريرة وأرسله، ويقال إن معمرأ حدث به بالبصرة من حفظه، بأحاديث وهم في بعضها، وقد خالفه فيه شعيب ويونس والليث ابن سعد وابن أخي الزهري رووه عن الزهري عن حميد عن أبي هريرة). وقد أخرجاً جميعاً حديث حميد أيضاً».⁵⁵

54- مقدمة ابن الصلاح: النوع الأول، ص: 29

55- الإلزامات والتتبع للدارقطني: (385هـ) تحقيق: الشيخ أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، 1405 هـ - 1985 م (1/120-122)

أبدأ أولاً ببيان مقصوده من الكتاب بقوله: «ابتداء ذكر أحاديث معلولة اشتمل عليها كتاب البخاري ومسلم أو أحدهما بينت عللها والصواب منها» فالحافظ الدارقطني -رحمه الله تعالى- بيّن أن غايته من تأليفه الوقوف على علل بعض الأحاديث التي خرجها الشيخان أو أحدهما، والذي لا يميز مقصود مصطلح «الحديث» عند أهل الصنعة من المتقدمين، سيظن أنه يقصد المتن، والحق أنهم يريدون به السند، وهذا يظهر في الأحاديث التي أوردها الدارقطني في كتابه، وتخصيصه الكتاب بـ«العلل» إحياء منه على ما خفي على كثير من علماء عصره (أي الدارقطني).

نخرج الحديث عند الشيخين، لنقف على الأسانيد وننظر فيما تتبعهما الدارقطني فيه؛ فالحديث أخرجه البخاري قال: حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب، قال: أخبرنا أبو الزناد، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج - وهو القتل - حتى يكثر فيكم المال فيفيض»⁵⁶

وفي موضع آخر قال: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني حميد بن عبد الرحمن، أن أبا هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشح، ويكثر الهرج» قالوا: وما الهرج؟ قال: «القتل القتل»⁵⁷

وقال في موضع آخر: حدثنا عياش بن الوليد، أخبرنا عبد الأعلى، حدثنا معمر، عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج» قالوا: يا رسول الله، أيما هو؟ قال: «القتل القتل» وقال شعيب، ويونس، والليث، وابن أخي الزهري، عن الزهري، عن حميد، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم.⁵⁸

وأخرجه مسلم فقال: حدثني حرملة بن يحيى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، حدثني حميد بن عبد الرحمن بن عوف، أن أبا هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يتقارب الزمان، ويقبض العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح، ويكثر الهرج» قالوا: وما الهرج؟ قال: «القتل».

حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، أخبرنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، حدثني حميد بن عبد الرحمن الزهري، أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يتقارب الزمان، ويقبض العلم» ثم ذكر مثله.⁵⁹

56- صحيح البخاري: كتاب الاستسقاء، أبواب الاستسقاء باب ما قيل في الزلازل والآيات برقم: 1036

57- صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل برقم 6037

58- صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب ظهور الفتن برقم 7061

59- صحيح مسلم: كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان برقم 11

وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الأعلى، عن معمر، عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «يتقارب الزمان، وينقص العلم» ثم ذكر مثل حديثهما.

حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر، قالوا: حدثنا إسماعيل يعنون ابن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، ح وحدثنا ابن نمير وأبو كريب وعمرو الناقد، قالوا: حدثنا إسحاق بن سليمان، عن حنظلة، عن سالم، عن أبي هريرة ح، وحدثنا محمد بن رافع، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، ح وحدثني أبو الطاهر، أخبرنا ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن أبي يونس، عن أبي هريرة، كلهم قال: عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث الزهري، عن حميد، عن أبي هريرة، غير أنهم لم يذكروا «وَيُلْقَى الشَّحُّ»⁶⁰

وإذا تأملنا الحديث الأول في تتبع الدارقطني، فهما مقصوده من الكتاب كله، أو بعضه، ذلك أنه ذكر متن الحديث بالسند الصحيح عند الشيخين، ثم نبه على مخالفة أحد رواة المتن عند غيرهما، ما ينبئ الحضيف بضعف ذاك السند المخالف، وليس ما اختاره الشيخان؛ فقد أخرجاه من طريق عبد الأعلى مرفوعا، ومن طريق حميد مرفوعا كذلك، ولكن عبد الرزاق الصنعاني أخرجه مرسلًا ولم يسر به على الجادة، لكن الإشكال الذي أراد بيانه هو أن معمرًا -الذي روى الحديث من طريقه- خالف الثقات: شعيب ويونس والليث بن سعد وابن أخي الزهري، الذين روه عن الزهري عن حميد عن أبي هريرة مرفوعا، وهذا يعني أن الوهم من معمر، لأنه روى الحديث مرة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وهذا خطأ في نظر الدارقطني، ومرة عن الزهري عن حميد عن أبي هريرة وهو الصواب.

لكننا إذا تأملنا صنيع الشيخين في كتابيهما فسنرى عجا يجعلنا نُسَلِّمُ للمأ من العلماء الذين أجمعوا على صحة ما فيهما؛ فالحديث أخرجه البخاري في ثلاثة مواضع اتفق معه مسلم في سنيين؛ الأول الذي جعله أصلا في الباب وهو: أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني حميد بن عبد الرحمن⁶¹، أن أبا هريرة... الحديث مرفوعا.

والثاني -وهو الذي قصده الدارقطني بالتتبع - وهو: عبد الأعلى، عن معمر، عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة... الحديث مرفوعا.

60- صحيح مسلم: كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان برقم 12

61- وقع خطأ للنساج أو المحققين لصحيح مسلم في هذا السند فكتبوا الزهري بعد حميد بن عبد الرحمن بن عوف، وذلك في طبعين لصحيح مسلم، طبعة بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، وطبعة دار المغني بالسعودية ودار ابن حزم بلبنان الطبعة الأولى: 1419 هـ 1998 م ولم أطلع على غيرهما لتحقيق هذه المسألة.

وانفرد البخاري بطريق أخرى عن أبي اليمان، قال: أخبرنا شعيب، قال: أخبرنا أبو الزناد، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة.. الحديث مرفوعا.

وانفرد مسلم بطريق عن حرملة بن يحيى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، حدثني حميد بن عبد الرحمن بن عوف، أن أبا هريرة.. الحديث مرفوعا.

ثم سرد متابعات غير ما سبق عن أبي هريرة وهي:

يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر، قالوا: حدثنا إسماعيل يعنون ابن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة،

ح وحدثنا ابن نمير وأبو كريب وعمرو الناقد، قالوا: حدثنا إسحاق بن سليمان، عن حنظلة، عن سالم، عن أبي هريرة،

ح وحدثنا محمد بن رافع، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة،

ح وحدثني أبو الطاهر، أخبرنا ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن أبي يونس، عن أبي هريرة،

كلهم قال: عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث الزهري، عن حميد، عن أبي هريرة، غير أنهم لم يذكروا «ويلقى الشح».

وليس هذا أعجب العجب عند مسلم في هذا الحديث، بل إيراده لشواهد لهذا الحديث عن عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري، وجعلها هي الأصل في الباب؛ وهي:

حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا وكيع، وأبي، قال: حدثنا الأعمش،

ح وحدثني أبو سعيد الأشج - واللفظ له - حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن أبي وائل، قال: كنت جالسا مع عبد الله وأبي موسى فقالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن بين يدي الساعة أياما يرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهرج والهرج القتل».

حدثنا أبو بكر بن النضر بن أبي النضر، حدثنا أبو النضر، حدثنا عبيد الله الأشجعي، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله وأبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم..

وحدثني القاسم بن زكرياء، حدثنا حسين الجعفي، عن زائدة، عن سليمان، عن شقيق قال: كنت جالسا مع عبد الله وأبي موسى، وهما يتحدثان، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بمثل حديث وكيع وابن نمير.

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو كريب، وابن نمير، وإسحاق الحنظلي، جميعاً عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن شقيق، عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله.

حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا جرير، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: إني لجالس مع عبد الله وأبي موسى وهما يتحدثان، فقال أبو موسى: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بمثله.

وكأنني بالإمام مسلم -رحمه الله تعالى- يقدم خبر الرجلين -عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما- على خبر الواحد -أبي هريرة رضي الله عنه- وفي هذا فوائد جمة في الصنعة الحديثية، كمقارنة الرواية بالشهادة، وتقديم الأصح على الصحيح، وترتيب الأدلة في التصنيف، وعرض المرويات التي لم يخرجها شيخه البخاري... وغيرها كثير تنبيك عن سعة العلم، وجودة الصنعة.

فهذه النظرة العجولة تظهر أن تتبع الدارقطني للرواية لم يقصد منه تضعيف الحديث لأن الشيخين أخرجاه من طرق عدة صحيحة، وإنما مقصوده أن يوازن بين الأسانيد التي عند الشيخين، وهذا عمل غير مستحسن منه؛ لأنهما أعلم الناس بها، وقد التزما الصحة في كتابيهما وصدقاً في ذلك، بعد نظر ناظرهما من الحفاظ المتقنين الذين شهدوا بصحة الصحيحين، فعمل الدارقطني في التتبع وغيره مما ألف دليل على معرفته هو بالصنعة، وفهمه لقواعد النقاد، وليس حاكماً على من سبقه في العلم والخبرة بأحوال الراوي والمروي.

فدعوى ضعف بعض ما في صحيح البخاري بسبب تتبع الدارقطني لأسانيد مردودة على قائلها من أول حديث في التتبع، ولولا مخافة الإطالة المخلة لتعرضت لأمثلة غيرها من الكتاب لتأكيد الأمر، وهذا ما فهمه العلماء المختصون بالصنعة الحديثية، فلم يعتبروا ردود الحافظ الدارقطني وغيره على الصحيحين تنقيصاً لهما، بل مجرد آراء الخبراء في ترتيب الأسانيد، فإذا اختلفت الآراء يقدم أعرفهم بالأسانيد ومخارجها.

فإيراد الشيخين للحديث من طرق صحيحة إحداها عن معمر بن راشد عن الزهري عن سعيد عوض حميد، هو تصحيح لهذه الرواية، وليس تضعيفاً لها، ولا طعن في معمر، وإلا ما الداعي إلى إيرادها في كتاب الجامع الصحيح، وليس في الأدب المفرد أو التاريخ؟

فلا جدوى، إذن من القول إن سند الرواية موضوع هذه الدراسة ضعيف، لأن بعض العلماء تتبعوا أحاديث في صحيح البخاري، فهذا يعني أن فيه أحاديث ضعيفة، فهذه دعوى ولدت ميتة كما بينت آنفاً، ببيان نوعية نقد الدارقطني لأسانيد الصحيح، ولا جدوى من القول أيضاً بالانقطاع لإيراده لرواية الزهري معلقة، فقد أجمع العلماء على صحة معلقات البخاري.

قال ابن الصلاح في ذلك: «ما أسنده البخاري ومسلم - رحمهما الله - في كتابيهما بالإسناد المتصل فذلك الذي حكما بصحته بلا إشكال. وأما المعلق وهو الذي حذف من مبتدأ إسناده واحد أو أكثر، وأغلب ما وقع ذلك في كتاب البخاري، وهو في كتاب مسلم قليل جدا، ففي بعضه نظر.

وينبغي أن نقول: ما كان من ذلك ونحوه بلفظ فيه جزم، وحكم به على من علقه عنه، فقد حكم بصحته عنه، مثاله: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: كذا وكذا، قال ابن عباس: كذا، قال مجاهد: كذا، قال عفان: كذا. قال القعنبي: كذا، روى أبو هريرة كذا وكذا، وما أشبه ذلك من العبارات.

فكل ذلك حكم منه على من ذكره عنه بأنه قد قال ذلك ورواه، فلن يستجيز إطلاق ذلك إلا إذا صح عنده ذلك عنه، ثم إذا كان الذي علق الحديث عنه دون الصحابة، فالحكم بصحته يتوقف على اتصال الإسناد بينه وبين الصحابي.

وأما ما لم يكن في لفظه جزم وحكم، مثل: روي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كذا وكذا، أو روي عن فلان كذا، أو في الباب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - كذا وكذا، فهذا وما أشبهه من الألفاظ ليس في شيء منه حكم منه بصحة ذلك عمن ذكره عنه؛ لأن مثل هذه العبارات تستعمل في الحديث الضعيف أيضا. ومع ذلك فأيراده له في أثناء الصحيح مشعر بصحة أصله إشعارا يؤنس به ويركن إليه، والله أعلم».⁶²

وقال الحافظ ابن حجر جوابا على اعتراض أحدهم على قول ابن الصلاح: «حكم المرسل حكم الحديث الضعيف»، كيف يقول هذا فيما يرسله أئمة التابعين وقد قرر في تعليقات البخاري الجازمة بأنها صحيحة على من علقها عنهم؟

أجاب الحافظ عن ابن الصلاح: بأن البخاري اختص بذلك لأنه التزم الصحة في كتابه بخلاف غيره من أئمة التابعين فإنهم لم يلتزموا بذلك. ثم اتبع الجواب بشيء من التعليل والتفصيل.⁶³

وقد نبه الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في هذه المقولة إلى ملمح هام، هو أن البخاري - رحمه الله - في وقت السماع والجمع والتدوين، جمع كما هائلا من الأحاديث، ما صح منها وما لم يصح، ثم سبرها، وتفحصها، ونقحها، فاستخرج منها ما صح عنده بشروط علم الرواية، وضمنه كتابه الصحيح المسند، فالتزم بشروط الصحة في كتابه بما يعلمه هو من أحوال الرواية والرواة.

62- مقدمة ابن الصلاح: النوع الأول، ص: 25

63- النكت على ابن الصلاح لابن حجر العسقلاني (852هـ) تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1404هـ/1984م (1/ 91)

وهذا يحيلنا إلى أمر آخر لا يقل أهمية، وهو أن البخاري -رحمه الله- لم يكن ملزماً بأحكام غيره على الأحاديث، فلم يكن ملزماً بالاحتكام إلى أحكام الرازيين: أبي حاتم وأبي زرعة وغيرهما على الرجال، وذلك لأمرين:

الأول: لأنه عالم جاب البلدان، وتفقد الرواة، واطلع على أحوالهم، وتفقد أحوال مروياتهم، وكتاباه النفيسان: التاريخ والأدب المفرد يظهران تقدمه في علوم الرواة والمرويات.

الثاني: وهذا أمر غاية في الأهمية، لا يهتم به بعض أهل الاختصاص، وهو أن الأحكام التي تجدها في كتب الجرح والتعديل هي أحكام عامة على الرواة، بحيث يبين المحدث الناقد ما يغلب على عمل الراوي؛ فإن كان يغلب عليه الإتيان والحفظ وموافقة الحفاظ المتقنين، أعطي حكمهم، وإن كان يغلب عليه الخطأ والخلط والنسيان، فيخالف الحفاظ، أعطي حكم ذلك، ويبقى حكماً عاماً على الراوي لا على مروياته.

نعم، نجد في كتب الجرح والتعديل ذكراً لأحاديث الراوي تبين سبب الحكم الذي أوقعه النقاد عليه، لكن تلك الأحاديث هي على سبيل المثال، يبين بها الناقد سبب إصدار ذاك الحكم عليه، لكنه لا يسرد جميع ما روى من الأحاديث، لهذا فإن حكمه عليه ليس نهائياً، إنما كانت أحكامهم للمساعدة في تمحيص أحوال الرواة، وإلا لو كانت نهائية لما وجدنا الاختلاف في الأحكام على الرواة بين العلماء.

وإذ تبين هذا الأمر، علمنا أن من قيل فيه مثلاً: «سوء الحفظ» أنه يغلب على حفظه الخطأ، فيحترس من روايته ولا تطرح، وما يفعله المحدثون -الذين التزموا إخراج ما صح من الأحاديث- من تخريج لبعض أحاديثه، إنما هو بيان «عملي» على أنه صحت له هذه الأحاديث التي خرجوها له، لأنهم قارنوها بمرويات الحفاظ المتقنين، فوافقهم فيها، فليس من الإنصاف العلمي ردها. فهم بهذا العمل قد ميزوا ما صح عنده مما لم يصح، وهذا عمل جبار لا يحسنه كل أحد؛ لما يحتاجه من علم واسع بطرق الحديث، ومخارجه، واستحضار لعلم الطبقات، لمعرفة من سمع معه الأحاديث من حذاق الرواة فيقارن روايته بروايتهم، ونظر في أحوال المرويات هل سلمت مما يقدح فيها؟.. إلى غير ذلك من فنون الرواية وعلومها.

ثم إن هذه الرواية موضوع الدراسة، هي من زيادة الإمام الزهري، ولزيادة الثقة حكم معلوم عند المحدثين عموماً، وعند البخاري على وجه الخصوص، بينه ابن الصلاح بقوله: «وسئل البخاري عن حديث: «لا نكاح إلا بولي» المذكور، فحكم لمن وصله، وقال: «الزيادة من الثقة مقبولة»، فقال البخاري هذا، مع أن من أرسله شعبة وسفيان، وهما جيلان لهما من الحفظ والإتيان الدرجة العالية.

ويلتحق بهذا ما إذا كان الذي وصله هو الذي أرسله، وصله في وقت وأرسله في وقت. وهكذا إذا رفع بعضهم الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم ووقفه بعضهم على الصحابي، أو رفعه واحد في وقت ووقفه هو أيضاً في وقت آخر، فالحكم على

الأصح في كل ذلك لما زاده الثقة من الوصل والرفع؛ لأنه مثبت وغيره ساكت، ولو كان نافيا فالمثبت مقدم عليه؛ لأنه علم ما خفي عليه، ولهذا الفصل تعلق بفصل زيادة الثقة في الحديث.⁶⁴

فكلامه هذا دليل على أن البخاري قبل زيادة الزهري لسببين، الأول عام هو أن زيادة الثقة مقبولة عنده، والثاني أن الزهري روى القصة مرة مسندة، ومرة بزيادة دون إسنادها، فدل أنه استغنى ببيان السند أول مرة عن إعادته. والله تعالى أعلم.

خاتمة:

عمل هذا المقال على الجواب المستفيض عن رد خبر الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- عن الإمام الزهري -رحمه الله تعالى-، في بلاغه عن هَمَّ الرسول الأكرم، محمد صلى الله عليه وسلم، بالتردي من شاهق بعد تأخر الوحي، فمنهم من رده بتفسير عقلي يراه يصادم مقتضيات النبوة، فكان الجواب من القرآن الكريم بأحداث كثيرة وقعت للأنبياء والرسول لا يعيها العقل البشري، ومع ذلك لا يردها إلا من يطعن في الوحي جملة. ومنهم من انتقد السند، ووصفه بأوصاف قدحية، كالنكارة، والتدليس، والانقطاع، فجاء الجواب عنها من صنيع حذاق نقاد الحديث عموما، ومن شروط الإمام البخاري في تصنيفه على وجه الخصوص، ذلك أن الأمة أجمعت على علو كعبه في الصنعة الحديثية، وقوة شرطه في كتابه الصحيح، ما جعله معلمةً حديثيةً، قدر الله تعالى لها الانتشار في سائر الأقطار، ومفخرةً علميةً تُدْرَس في سائر الأعصار. وصلى الله وسلم على النبي المختار، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار، ومن تبعهم من المحسنين الأبرار.







الدكتور فردوس عبد الخالقوف
مدير مركز الحضارة الإسلامية
جمهورية أوزبكستان



د. سالم بن محمد المالك
المدير العام للإيسيسكو



السفير خالد فتح الرحمن
مدير مركز الحوار الحضاري
بالإيسيسكو



د. عبد الإله بنعرفة
نائب المدير العام للإيسيسكو

اللجنة العلمية



الدكتورة زينب أبوعلي



الدكتور محمد نصيري



الدكتور بوشتي الزفروفي

الباحثين



د. أحمد صنوبر
جامعة إسطنبول



سعيد محمد
باحث الدكتوراه في قسم اللغة العربية،
كلية مدينة العلوم العربية التابعة
لجامعة كالكون



أ.د. مفرح بن سليمان القوسي
أستاذ الدراسات العليا بجامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية بالرياض



أ.د. مسعود مزهودي
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة باتنة - الجزائر



أ.د. قاسم علي سعد
جامعة الشارقة



أ. عبد الله محمد جربكو
جامعة الشارقة



أ.د. إدريس الخرشافي
أستاذ التعليم العالي بجامعة القرويين
و جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس
المملكة المغربية



أ.د. عبد الباري حميدي
أستاذ الحديث وعلومه بكلية الشريعة
جامعة كابول



الباحث/ كيمو بن محمد كوندي
باحث في مرحلة ماجستير بكلية دارالعلوم
جامعة القاهرة/ قسم الشريعة الإسلامية

الباحثين



د. أبوبكر بن محمد بن عيسى التشادي
مدير معهد الإتيان العالي الجامعي في
أنجمينا وأستاذ الحديث وعلومه في المعهد.
والمشرف العام على مراكز الإتيان العلمية
في تشاد



د. هيثم عبد الحميد خزنة
كلية العلوم الإسلامية،
جامعة صباح الدين زعيم،
إسطنبول، تركيا



د. محمد المتولي علي فاضل
قسم الحديث وعلومه،
كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنات ببورسعيد،
جامعة الأزهر



د. أحمد عطية
كبير الباحثين بمركز المخطوطات
مكتبة الإسكندرية



أ.د. بكر بن محمد فضل الله البخاري
أستاذ الحديث بقسم السنة وعلومها
كلية أصول الدين والدعوة بجامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية



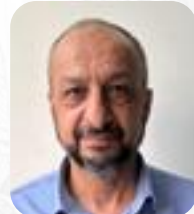
حشاش العدولي
أستاذ مساعد بجامعة الزيتونة
وأستاذ باحث بمركز الدراسات
الإسلامية بالقبروان.



د. نورالدين الحميدي
أستاذ الحديث وعلومه بكلية الآداب
جامعة القاضي عياض بمراكش



د. رضوان الحصري
جامعة ابن زهر
كلية الآداب والعلوم الإنسانية- أكادير
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية
أبو ظبي



أ.د. محمود مصري
أستاذ الحديث وعلومه وتحقيق
المخطوطات في كلية العلوم
الإسلامية بجامعة السلطان محمد
الفاطح الوقفية بإستانبول
المدير العام لدار المخطوطات
إستانبول

الباحثين



د. علي بن أحمد العلامي

رئيس مصلحة المناسبات والتظاهرات الدينية
بوزارة الشؤون الدينية تونس، متحصل على شهادة
الدكتوراه من جامعة الزيتونة، والمكلف بمجالس
الاختام الحديثة بمساجد البلاد التونسية.



د. عبد المجيد خيالي

رئيس قسم الموظفين
بالخزانة الحسنية



محمد تقي بن رحيم الدين

مُشرف علمي بمؤسسة المعارف
لإحياء التراث الإسلامي
مدينة شيتاغونغ، بنغلاديش



د. مطهر يوسف بن ناصر

مؤسسة الخير للاستشارات التربوية،
كنو- نيجيريا



د. عبد الحميد محمد العزابي

مدير مكتب الجودة،
وأستاذ مادة الحديث بكلية الدعوة
الإسلامية بطرابلس الغرب



د. محمود شريف محمد نور

أالمعهد العالي لإعداد المعلمين
جمهورية تشاد



محفوظ أحمد السلهتي

أستاذ الحديث الشريف بكلية
المدني الإسلامية،
لندن، بريطانيا



د. خالد الصمدي

أستاذ التعليم العالي في الدراسات الإسلامية
جامعة عبد الملك السعدي تطوان،
المملكة المغربية



د. بسمة إمام بشير

الباحثين



د. محمد سهلي
أستاذ الحديث الشريف وعلومه،
بجامعة محمد الأول،
المملكة المغربية.



د. عارف حسن المُننى
دكتوراه في الحديث وعلومه،
ومحاضر بكلية أصول الدين
بالجامعة الإسلامية الحكومية كياهي الحاج
عبد الرحمن واحد، بكالونجان - إندونيسيا



د. فيصل أحمد
دكتوراه في الشريعة الإسلامية،
تخصص الحديث الشريف،
محاضر في كلية الشريعة، جامعة
سليمان ديميرال.



د. أبرار بنت فهد بن محمد القاسم
أستاذ الحديث المشارك
بجامعة شقراء



الدكتورة زينب أبو علي



د. عبد الكريم محمد جراد



د. أفنان بنت نافع بن أحمد النافع
دكتوراه التفسير والحديث
من جامعة الملك سعود



